السنة السادسة عشرة

العدد الحادي والستون

مجلة

مركز دراسات الكوفة

مجلة فصلية محكمة تعنى بالدراسات الإنسانية

اقرأ في هذا العدد

- سياسة الإمام علي ع واستشراف المستقبل
- حركة التاريخ في الفكر الديني
- النمو الذكي مقابل الامتداد الحضري
- الضغط المهني وتأثيره في السلوك الجانح في بيئة العمل

مجلة مركز دراسات الكوفة

الترقيم الدولي ISSN :1993-7016

العدد ٦١ السنة السادسة عشرة ٢٠٢١

جمهورية العراق النجف الأشرف – جامعة الكوفة

المراسلة

Website : www.ksc.kufauniv.com
Email : kufascenter@gmail.com
Mobile : 07400665815

جميع الحقوق محفوظة © مركز دراسات الكوفة

أعضاء هيأة التحرير

أ.د. رضا صاحب أبو حمد/ كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة الكوفة

أ.د. عبد الصاحب البغدادي/ كلية التخطيط العمراني/ جامعة الكوفة

أ.د. رزاق كردي العابدي/ كلية الآثار/ جامعة الكوفة

أ.د. محمد علي آذرشب مدير مركز الحوار الفارسي/ إيران

أ.د. حسن جابر حسن/ الجامعة اللبنانية/ لبنان

أ.د. محسن خنياب الميالي/ كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

أ.د. عامر عبد زيد البديري/ كلية الآداب/ جامعة الكوفة

أ.د. وهاب فهد الياسري/ كلية الآداب/ جامعة الكوفة

أ.د. حيدر ناجي الشاوي/ كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

أ.د. حسين لفته حافظ/ مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

رئيس التحرير:

أ.د. عدي جواد الحجار

مدير التحرير:

أ.د. عقيل جاسم دهش

مسؤول الحسابات

السيدة ولاء فيصل محسن

الإخراج الفني:

المهندس أسامة عادل الشماع

ضوابط النشر

١. أن لا يكون البحث قد نشر أو قبل للنشر في مجلة أخرى.
٢. تقبل البحوث المكتوبة باللغة العربية فقط.
٣. يشترط في البحث المقدم للنشر أن يكون مراعيا لقواعد البحث العلمي وأن يكون مرتبا على النحو الآتي: عنوان البحث-اسم الباحث-درجته العلمية-خلاصة البحث باللغتين العربية والانجليزية -المقدمة-متن البحث-الخاتمة والنتائج -قائمة الهوامش-المصادر والمراجع.
٤. يرفق مع البحث السيرة الذاتية الموجزة للباحث التي تتضمن ما يأتي حصراً: اسم الباحث ومكان عمله، واختصاصه العلمي ونتاجاته البحثية وأهم مشاركاته العلمية ووسيلة الاتصال به.

٥. يلزم ألاّ تزيد عدد صفحات البحث عن ٢٠ صفحة، وإذا زاد عدد الصفحات عن ذلك يستحصل مبلغ قدره ٣٠٠٠ دينار عن كل صفحة إضافية.
٦. يخضع البحث للتحكيم السري من الخبراء المختصين لتحديد صلاحيته للنشر ولا يعاد البحث إلى صاحبه سواء قبل للنشر أم لم يقبل، ولهيأة التحرير صلاحية نشر البحوث على وفق الترتيب الذي تراه مناسبا.
٧. تقدم البحوث مطبوعة باستخدام برنامج (Microsoft Word) بخط (Arabic Transparent) للغة العربية بحجم (١٦) للعنوان الرئيس و(١٤) للبحث و(١٢) للهوامش، وبخط (Time New Roman) للغة الانكليزية.
٨. تكون فقرة المسافات البادئة والتباعد قبل النص وبعده صفراً وتباعد الأسطر يكون (واحد ونصف).
٩. تنسق الأبيات الشعرية باستخدام الجداول.
١٠. تترك مسافة بمقدار (٢،٥) على الجوانب الأربعة للصفحة.
١١. تقدم البحوث مطبوعة بنسختين على ورق قياس (A4) مع قرص صلب (CD) مسجل عليه البحث على وفق المتطلبات.

محتويات العدد ٦١

١	الجهد اللغوي والبلاغي للشيخ النهاوندي في كتابه "نفحات الرحمن في تفسير القرآن"	أ.د. عدي جواد الحجار الباحثة نورس جمال عبد الزهرة	١
٢	الموقف من الوجود والاستجابة الوجدانية في شعر شكوى العذريين	أ.د. صباح عباس عنوز الباحثة ضحى فلاح عبد	١٩
٣	سياسة الإمام علي "ع" واستشراف المستقبل- نظرةٌ في فكره القيادي	أ.د. رحيم خريبط الساعدي	٣٧
٤	التقابل والتضاد في خطاب الإمام الكاظم (ع)	أ.د. عبد الإله العرداوي الباحث نور هاشم محمد	٦٣
٥	الجموع في تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب للمشهدي (ت ١١٢٥هـ)	أ.د. حيدر كريم الجمالي الباحثة طيف فاضل صاحب	٨٣
٦	شعر كعب بن زهير- قراءة نقدية	أ.د. عقيل جاسم دهش	١٠٩
٧	الأدوات عند الكوفيين	أ.د. ناصر عبد الإله دوش الباحثة حنين حمزة عبد الحسين	١٣٥
٨	المصرف العقاري العراقي- بنيته الإدارية والتنظيمية ١٩٦٨-١٩٧٦	أ.د. فؤاد طارق كاظم الباحث صالح عبد الحسين علوان	١٥٥
٩	التنظيم القانوني للحقوق التقاعدية لأعضاء المجالس التشريعية- دراسة مقارنة	أ.د. رافع خضر صالح شبر	١٨٩
١٠	هواجس فاضل حاتم الشعرية	أ.م.د. قاسم محمد العنزي الباحث حيدر جابر عبد الله	٢٢٥
١١	اللغة في شعر العصور المتأخرة من ٦٥٦ _ ١٣٣٥	أ.م.د. سعد جبار الحسناوي الباحثة إيمان عبد المجيد كريم	٢٥١
١٢	أبو الحسن سهل بن محمد الأزدي الغرناطي (٦٣٩هـ) حياته وآثاره من الشعر والنثر	أ.م.د. عارف عبد الكريم مطرود	٢٦٧
١٣	حركة التاريخ في الفكر الديني- مقاربة في فكر الامامية	أ.م.د. محمد علي الحكيم	٣٢٣

١٤	الضغط المهني وتأثيره في السلوك الجانح في بيئة العمل- دراسة تحليلية لآراء عينة من العاملين في منظمات الأعمال الصغيرة والمتوسطة الحجم	أ.م. حسين عبد الخالق علي م.د. عامر عبد كريم الذبحاوي	٣٥٩
١٥	الحفاظ على البيئة في الشريعة الإسلامية- تدوير النفايات أنموذجا	أ.م.د. ناهدة جليل الغالبي	٤٠١
١٦	بناء برنامج تعليمي قائم على مهارات الاستماع لتلامذة المرحلة الابتدائية	م.د. عقيل عبد الرضا صادق	٤٤١
١٧	الحب الإلهي والاندماج الروحي في شعر سليمان بن علي التلمساني ٦٩٠ هـ	م.د. جنان فاضل علي	٤٧٣
١٨	النمو الذكي مقابل الامتداد الحضري- دراسة في تطبيق مؤشرات النمو الذكي في مدينة الناصرية	م.د. عادل حسن جاسم الباحثة سارة عبد الكريم حنون	٤٩٧
١٩	الرياضيات والتحديات التي تواجهها في مجالات الحياة كافة- دراسة نظرية	م.م. فاضل عبد العباس عطا الله	٥٢٥
٢٠	تطوير أداء اقسام الرقابة والتدقيق الداخلي في الوحدات الحكومية الخدمية من خلال تطبيق المعايير والمفاهيم الدولية- انموذج مقترح في المديرية العامة لتربية النجف الاشرف	م.م. العباس فاضل عبد الهادي م.م. عمار سليم العامري م.م. وسام هادي جواد	٥٦٣

الجهد اللغوي والبلاغي للشيخ النهاوندي في كتابه "نفحات الرحمن في تفسير القرآن"

أ.د. عدي جواد الحجار
مدير مركز دراسات الكوفة
الباحثة نورس جمال عبد الزهرة
كلية التربية الأساسية/ جامعة الكوفة

المقدمة:

المنهج اللغوي هو (منهج عنى بالجانب اللغوي في تفسير القرآن ، وتمحض لاشتقاق المفردات وجذورها، وشكل الألفاظ وأصولها ،فجاء مزيجا من اللغة والنحو والحجة والصرف والقراءات ، وكان مضماره في الكشف والإبانة).[١] فاذا لم يجد المفسر تفسيرا من كتاب الله و السنة النبوية واقوال الصحابة والتابعين يرجع الى اللغة العربية (اللغة هي الأساس في التعبير القرآني ، وإن فهم القرآن الكريم يعتمد أساسا على اللغة فهي أداة التعبير والقرآن نزل بلسان عربي مبين ، فمعرفة اللغة العربية شرط أساس في فهم القرآن وبدون الاستناد عليها في فهم القرآن يكون الفهم ناقصا ومعيبا).[٢]

(إن القرآن الكريم يعتبر من أروع النصوص الأدبية وأبلغها تعبيرا ومضمونا ، وقد كان العرب ذوي اهتمام بالغ بهذه النصوص ، لأنها تكون ثقافتهم الخاصة سواء في الناحية التعبيرية أو في الناحية الفكرية والاجتماعية ، ونجد آثار هذا الاهتمام ينعكس على حياتهم الخاصة والعامة ، فيحفظون الشعر العربي والنصوص الأدبية الأخرى ويستظهرونها ، ويعقدون الندوات والأسواق للمباراة والتنافس)[٣]

وقد اهتم الشيخ النهاوندي اهتماما لا يقل عن اهتمامه بالجانب الاثري في تفسير الآيات للوصول الى معنى الآية بيان المراد منها وسيعرض البحث بعض الشواهد والتطبيقات عليه:

أولا : تفسير المفردات:

إن المفسرين اعتمدوا على اللغة في بيان الكثير من النصوص القرآنية فعندما لا يوجد تفسير للنص القرآني في القرآن ولا في السنة الشريفة ولا باقول الصحابة والتابعين فيكون الرجوع الى لغة العرب لتفسير مفردات الالفاظ وما أورده النهاوندي :

بيان معنى مفردة بالرجوع الى اللغة :في قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ﴾ [٤]

(الكلالة: مصدر ، من تكلله النسب أي أحاط به . وبه سمي الإكليل ، وهي منزلة من منازل القمر لإحاطتها بالقمر إذا احتل بها . ومنه الإكليل أيضا وهو التاج والعصابة المحيطة بالرأس).[٥]

(وان كان رجل) ميت (يورث) منه ، لكونه او حال كونه (كلالة) واذا قريب ، ليس بينة وبين ذلك القريب نسبة ابوة او بنوة ، كما عن الصادق (ع) فانه فسرها بمن ليس بولد ولا والد ،(او) كانت (امراة) متوفاة كذلك. وقيل: ان الكلالة في اللغة بمعنى الاحاطة ، سمي من عدا الوالد والولد من القرابات بالكلالة لإحاطتهم بالشخص.[٦]

ثانيا : تراكيب النحو:

النحو : (يعد علم النحو من العلوم المهمة التي يجب على المفسر لكلام الله ان يكون ملما وعارفا بها لكي يعينه ذلك في التفسير ، لان المعنى يتغير ويختلف باختلاف الاعراب فلابد من وضعه في الحسبان ، ولابد من الاعتماد عليه قبل البيان ، ومن لا يعرف النحو قد يقع في اخطاء فاحشة) .[٧]

سوف يتطرق البحث لما اورده الشيخ النهاوندي من المسائل منه في تفسير الآيات.

١–المرفوعات:

أ–المبتدأ والخبر:

المبتدأ : هو (الاسم الضريح ، أو المؤول به ، المجرد من العوامل اللفظية ، غير الزائدة وشبهها ، مخبرا عنه أو وصفا رافعا لمستغنى به ،والخبر : هو الجزء المنتظم منه مع المبتدأ جملة مفيدة ، نحو : (الله واحد) . وارتفاع المبتدأ بالابتداء ،وهو عامل معنوي. وارتفاع الخبر بالمبتدأ ، وهو عامل لفظي .)[٨]

(وقد يحذف المبتدأ والخبر جميعا إذا دل عليهما دليل ، وهذا كما يقال أزيد قائم ، فتقول : نعم أي نعم زيد قائم فحذفا لما دل قولك نعم عليهما ، وهذا لا يكون إلا مع القرينة الدالة على ذلك)[٩]

وقد ذكر الشيخ النهاوندي مسائل من باب الابتداء والخبر سيذكر البحث بعضها منها:

في قوله تعالى:﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ [١٠]

قيل:(ان ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ مبتدأ ، وقوله :﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾خبره) .[١١]

﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ ﴾ [١٢]

ان قوله: (﴿ومثلهم في الانجيل ﴾مبتدأ خبره (كزرع) .على أي تقدير انما قوى الله اصحاب محمد وكثرهم (ليغيظ بهم الكفار)ويشتد غضبهم بأرغان انوفهم وخزيهم)[١٣]

وجاء في قوله تعالى :﴿فَإِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفاتِنِينَ﴾ [١٤]

وان : حرف تنصب الاول اسما لها وترفع الثاني خبرا لها .

قيل :(ان الواو في قوله :﴿ وَما تَعْبُدُونَ﴾ بمعنى مع ، والجملة خبر (ان) والمعنى: انكم دائما مع ما تعبدون لا تفارقونه ولا تتركون عبادته ابدا ، وان ضمير ﴿عليه﴾ راجع الى كلمة ما في ﴿ما تعبدون﴾ والمعنى : ما انتم ايها المشركون على ما تعبدون بفاتنين وبباعثين وحاملين على طريق الفتنة والاضلال الا من هو صالي الجحيم مثلكم).[١٥]

وجاء في قوله تعالى من سورة الانعام ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ﴾[١٦]

الفاعل هو : (الاسم ، المسند إليه فعل ، على طريقة فعل ، أو شبهه ، وحكمه الرفع ، والمراد بالاسم : ما يشمل الصريح ، نحو : قام زيد ، والمؤول. به ، نحو : يعجبني أن تقوم ، أي : قيامك)[١٧].

(قيل لما كان الاعتناء بأخراج الحي من الميت اكثر من اخراج الميت من الحي ، اتى سبحانه في بيان الاولى بالجملة الفعلية للدلالة على اعتناء الفاعل بفعله ، وفي بيان الثاني بالجملة الاسمية غير الدالة عليه).[١٨]

وفي قوله تعالى :﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [١٩]

(في التعبير عن الامر بصيغة المضارع دلالة على تأكيد الوجوب ، لان فيه اشعار بان هذا الوجوب ملازم للعمل ، ويكون امتثاله معه ، كما ان في تقديم المطلقات على فعل ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ دلالة على قوة الوجوب) .[٢٠]

٢: المنصوبات: (جمع منصوب اسم مفعول من نصب الشيء ، اقامه ،اصطلاحا : هي الاسماء المعربة التي يكون موقعها النصب في الكلام وهو ما اشتمل على علم المفعولية .)[٢١] (و المنصوبات خمسة عشر، وهي: المفعول به ، والمفعول المطلق ، والمفعول فيه ، والمفعول من أجله ،والمفعول معه ، والحال ، والتمييز ، والمستثنى والمنادى ، وخبر كان وأخواتها ، وخبر الحروف المشبهة ، وخبر أفعال المقاربة ، واسم إن وأخواتها واسم لا التي لنفي الجنس ، والتابع للمنصوب : من نعت وعطف وتوكيد وبدل)[٢٢] وسيتطرق البحث لما اورده الشيخ النهاوندي من المنصوبات :

أ–المفعول له : (ويسمى المفعول لأجله ، ومن أجله : هو مصدر معلل الحدث مشارك له في الزمان والفاعل ، فهو يفيد علة حدوث الفعل ويشاركه في زمنه وفاعله ، وعرف أيضا تعريفا مختصرا بأنه ما فعل الفعل من أجله)[٢٣]. أما الحال فهو : (اسم منصوب يبين هيئة حصول الفعل وعلامته ويأتي من الفاعل جاء زيد راكبا . ويأتي من المفعول به ركبت الفرس مسرجا. ومن المجرور مررت بالدار خاوية. ويسميه سيبويه نعت الفعل . و نصب الحال ، في رأي الشيخ – وعند جمهور النحاة . لأنه فضلة – كالمفعول – أتي بعد تمام الكلام ، فأصبح (كالمستغنى عنه فاستحق أضعف أن يكون نكرة))[٢٤] او هو (الوصف الفضلة المنتصب للدلالة على هيئة ، نحو فردا اذهب ف فردا حال ، لوجود القيود المذكورة فيه).[٢٥]

وما اورده الشيخ النهاوندي في هذا الباب في قوله تعالى:﴿أَإِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ [٢٦]

قيل :(ان ﴿ أَإِفْكًا﴾ مفعولا له ، انما قدمه لكون الاهم عنده ان يقرر عندهم انهم على افك وباطل في شركهم . وقيل : انه مفعول ل (تُرِيدُونَ﴾ او حال ، والمعنى اتريدون الهة من دون الله افكين) .[٢٧]

ب–التوابع، التابع : هو (المشارك لما قبله في إعرابه الحاصل والمتجدد . و التوابع خمسة : نعت ، وتوكيد وعطف بيان ، وعطف نسق ، وبدل)[٢٨]

وما اورده الشيخ النهاوندي من التوابع هو التوكيد :

التوكيد :(تابع لما قبله في الاعراب يؤتى به ليقرر أمر متبوعه في النسبة والشمول . والتوكيد نوعان :التوكيد المعنوي و التوكيد اللفظي . التوكيد المعنوي أيضا نوعان : الأول ما يرفع توهم مضاف إلى المؤكد وله لفظتان : النفس والعين ولا بد من اضافتهما إلى ضمير يطابق المؤكد . نحو : جاء زيد نفسه أو عينه)[٢٩]

اشار الشيخ النهاوندي الى تكرار لفظ ﴿السَّابِقُونَ﴾ في قوله تعالى من سورة الواقعة :حيث كرر اللفظ في قوله تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [٣٠] مرتين

قيل : (ان ﴿السَّابِقُونَ﴾ الثاني تأكيد للاول . وقيل : ان المعنى : السابقون ما السابقون ؟فحذفت كلمة ما لدلالة الجملتين السابقتين عليها . وقيل : ان السابقون الثاني مبتدأ ، وخبره قوله : ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ الى الله باعلى درجات القرب الذي يكون للبشر ، او المقربون الى العرش ، لان درجاتهم فوق درجات غيرهم في الجنة التي سقفها عرش الرحمن ، لقول النبي ﷺ:(اذا سألتم الله فسألوه الفردوس ، فانه اوسطه الجنة واعلاه ، وفوقه عرش الرحمن). [٣١]

٣–المجرورات : (هو ما اشتمل على علم المضاف إليه، والمضاف إليه كل اسم نسب إليه شيء بواسطة حرف جر لفظا ، أو تقديرا ، مرادا)[٣٢] وما اوره الشيخ النهاوندي عنه في قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٣٣]

قيل:(ان الجار والمجرور متعلقان ب﴿ نُّوحِي﴾ والمعنى : نوحي اليهم بالبينات من العلوم والمعارف والاخلاق والاحكام ، وبالزبور والكتب السماوية . او متعلقان ب ﴿ تَعْلَمُونَ﴾ والمعنى : ان كنتم لا تعلمون بالكتب السماوية والدفاتر المعروفة المتضمنة لذكر احوال الانبياء

وقيل انهما متعلقان ﴿الذِّكْرِ﴾ والمعنى فأسالوا اهل الذكر بالبينات والزبور ، ان كنتم لا تعلمون بها). [٣٤]

٤- العطف : العطف: (تابع يدل على معنى مقصود بالنسبة مع متبوعه يتوسط بينه وبين متبوعه أحد الحروف العشرة مثل قام زيد وعمرو فعمرو تابع مقصود بنسبة القيام اليه مع زيد ؛ (عطف البيان) تابع شامل لجميع التوابع).[٣٥]

وسيتطرق البحث لما اورده الشيخ النهاوندي في العطف ؛ جاء في قوله تعالى :﴿ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾[٣٦]

(عطف سبحانه الارجل على الرؤوس بقوله ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾فعلم ان المسح يجزي ببعض الارجل ، بحيث يصدق مسماه عرضا ، ويستحب بالكف ، واما طولا فيجب ان يمسح القدم من رؤوس الاصابع ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ وقبتي القدمين).[٣٧]

ثالثا: معاني الحروف:

يقول السيوطي عن اهمية معرفة الادوات والحروف :(اعلم ان معرفة معاني الادوات التي يحتاج اليها المفسر ، واعني بالادوات الحروف وما شاكلها من الاسماء والافعال والظروف من المهمات المطلوبة لاختلاف مواقعها ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها)[٣٨] وبهذه الاهمية التي اكتسبتها حروف المعاني في توجه دلالة الخطاب فقد افرد العلماء فصولا خاصة وابحاثا مستقلة في كتبهم لدراسة هذه الحروف [٣٩]. سوف يتطرق البحث لما اورده الشيخ النهاوندي من معاني الحروف في تفسير الآيات.

١-معنى (من) في قوله تعال :﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾[٤٠]

(من) : (تأتى على خمسة عشر وجها : احد معانيها: التبعيض وتسد بعض مسدها ، وثاني معانيها : بيان الجنس ، وكثيرا ما تقع بعد ما ومهما)[٤١]

قال :(القاضي ان (من) في قوله تعالى : ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ هنا لتبين الجنس فيؤذن بان علي بن ابي طالب من جنس الرسول وقوله : ويتلوه شاهد منه)فيه بيان لكون علي تالي الرسول من

غير فصل بينهما بتال اخر ، فمن جعله تاليا بعد ثلاثة فعلية الدلالة، لان التالي هو من يلي غيره على اثره من غير فصل بينهما.

اقول : الظاهر ان (من) للتبعيض ، كما ذكره الفخر – ودلالته على فضل امير المؤمنين اقوى من كون (من) لتبيين الجنس ، وكون علي بعضا من الرسول لكونه نفسه ، كما دلت عليه اية المباهلة ، فما دام كون نفس النبي التي هي بعض مجموع من نفسه وبدنه ، موجودا بين الناس ، كان النبي موجودا بينهم ، فلا معنى لرجوع الناس الى غيره).[٤٢]

٢–وفي قوله تعالى:﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٤٣]

ومن (معاني (من): ابتداء الغاية ، وهو الغالب عليها ، حتى ادعى جماعة أن سائر معانيها راجعة إليه ، وتقع لهذا المعنى في غير الزمان). [٤٤]

قيل:(كلمة (من) هنا ليس للتبعيض، بل هي لا بتداء الغاية ، والمعنى : يجعل مبتدأ توبته زمانا قريبا من المعصية ، لئلا يقع في زمرة المصرين . قيل : ان المراد من قوله تعالى :(من) زمان قريب قبل ان يشرب في قلوبهم حبه ، فيطبع عليها ، فيتعذر عليهم الرجوع) .[٤٥]

و(لحرف الباء ايضا اربعة عشر معنى و أحد معانيها : السببية : نحو لقيت بزيد الأسد ، أي بسبب لقائي إياه ، أي أنها لسبب ما).[٤٦]

قيل : (ان باء ﴿بِالْهُدَى﴾ للسببية ، والمعنى : ارسله بسبب الهدى ولاجله ، فلا يصدر عنه ما هو سبب الضلال ، وليس فتح مكة منه ببعيد ، مع ان الله ارسله بالدين الثابت ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ ويغلبه ويعليه ﴿عَلَى﴾غيره من الدين كله). [٤٧]

رابعا :الشؤون البلاغية

البلاغة في اللغة : تعني الانتهاء والوصول ، يقال : بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا، وصل وانتهى ، وتبلغ بالشيء، وصل مراده ،والبلاغ: ما يتبلغ به ويتوصل الى الشي المطلوب .[٤٨]

اما اصطلاحا (هي من بلغت الغاية اذا انتهيت اليها وبلغتها غيري ، ومبلغ الشي منتهاه ، والمبالغة في الشيء : الانتهاء الى غايته وسميت البلاغة بلاغة ، لانها تنهي المعنى الى قلب السامع فيفهمه).[٤٩]

(يميل اكثر البلاغيين القدامى والمحدثين الى انها : مطابقة الكلام لمقتضى الحال او مناسبة المقال للمقام).[٥٠]

و(القرآن ثروة بلاغية لا تنفد ، ومعين لغوي لا ينضب ، قدرة تشريعية خارقة ، ورسالة سماوية رائدة . هذا التقييم الجزئي للقرآن لا تتوافر أبعاده في كتاب بشري أو إلهي، ذلك ما دعا علماء العرب والمسلمين والغربيين والمستشرقين أن ينهلوا من روافده ، وأن يحدبوا على فهمه الحقيقي ، وقد نتج عن هذا المنطق أن امتدت يد الباحثين للقرآن فاستخرجت جملة من كنوز).[٥١]

وقد اهتم المفسرون واعتنى عناية فائقة بالبلاغة للوقوف على معانيها ومقاصد الفاظها لادرك مراد خطاب الشرعي ، وما فيه من احكام شرعية .

سيتطرق البحث لعرض بعض الشواهد التي تعرض لها الشيخ النهاوندي في تفسيره

١- التشبيه:

التشبيه في اللغة :(هو التمثيل ، يقال هذا شبه هذا ومثيله ، وفلان شبه من فلان وهو شبهه وشبهه وشبيهه.. وشبه اذا ساوى بين شيء وشيء ، والمثل، الشبيه والنظير).[٥٢]

اما اصطلاحا : هو عقد مماثلة بين شيئين او اكثر وارادة اشتراكهما في صفة او اكثر بإحدى ادوات التشبيه و واركان التشبيه هي المشبه ، والمشبه به ، ووجه الشبه ،واداة التشبيه .[٥٣]

جاء في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾[٥٤]

(حيث صرح بتعميم الاباحة من حيث مكان الانتفاع وكيفيته بقوله : ﴿نِسَاؤُكُمْ﴾ وازواجكم ﴿ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ ومواضع القاء بذوركم منهن ، تحرثون الولد واللذة ، ووجه الشبه بين النطفة والبذر ظاهر ، فكما ان صاحب الحرث له ان يأتي حرثه من أي مكان وباي كيفية ، كذلك الزوج . حيث شبه الله سبحانه وتعالى الازواج بامكنة الحرث في مجامعتهن بالاتيان من أي مكان واي كيفية ارادوا).[٥٥]

-بيان الاستعارة:

الاستعارة لغة :- (رفع الشيء وتحويله من مكان الى اخر يقال استعار فلان سهما من كنانته ، رفعه وحوله منها الى يده ، وبمعنى ان الشيء المستعار قد انتقل من يد المعير الى المستعير للانتفاع به).[٥٦].

و اصطلاحا :(هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة صارفة عن ارادة المعنى الاصلي) .[٥٧]

أ-في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾. [٥٨]

حيث قال الشيخ النهاوندي :(نظائر هذه الاخبار كثيرة بحيث لو ادعى احد تواترها المعنوي او الاجمالي لا يعد مجازفا ، فلا مناص من الالتزام والقول بوجود عالم الذر، وعليه عامة المفسرين واهل الاثر كما ادعاه الفخر الرازي ، ولا مجال لانكاره ، وتأويل الاخبار بما نقله الفخر عن اصحاب النظر وارباب المعقولات من انه تعالى اخرج الذرية من اصلاب ابائهم ، وذلك الاخراج انهم كانوا نطفة ، فأخرجهم الله تعالى في ارحام امهاتهم ، وجعلها علقة ثم مضغة ، ثم جعلهم بشرا سويا وخلقا كاملا ، ثم اشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم من دلائل وحدانية وعجائب خلقه وغرائب صنعه ، فالاشهاد صاروا كانهم قالوا :بلى، وان لم يكن هناك قولا باللسان ، ولذلك نظائر منها قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ ، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾. فهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهور في الكلام ، فوجب حمل الكلام عليه .

وقال بعض اخر من العامة في توجيه الآية : انه من باب التمثيل والتخييل ، نزل تمكينهم من العلم بربوبيته بنصب الدلائل الافاقية والانفسية ، وخلق لاستعداد فيهم منزلة الاشهاد ، وتمكينهم من معرفتها والاقرار بها منزلة الاعتراف ، فلم يكن هناك اخذ واشهاد وسؤال وجواب ، وباب التمثيل باب واسع في القران والحديث وكلام البلغاء ، قال الله تعالى:﴿﴾ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾).[٥٩]

٣-المجاز: جاء في لسان العرب: (جزت الطريق ، وجاز المواضع جوازا ومجازا ، سار فيه وسلكه وجاوزت الموضع بمعنى جزته ، والمجاز والمجازة المواضع).[٦٠]

اما اصطلاحا :(مفعل من جاز الشي يجوز اذا تعداه ، واذا عدل باللفظ عما يوجبه اصل اللغة ، وصف بانه مجاز على المعنى انهم جازوا به عن موضعه الاصلي ، او جاز هو المكان الذي وضع به اولا) .[٦١]

في قوله تعالى في سورة القيامة :﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾. [٦٢]

(ارخى ستوره واراد اخفاء اعماله . قيل ان الستور استعمل مجازا في الاعذار بعلامة المشابهة ، فكما ان الستور تمنع رؤية المحتجب كذلك المعذرة تمنع قبح الذنب . وقيل يعني ولو جاء باعذاره ، بان يقول : حملني على العصيان الضرورة وشدة الحاجة ، او الجهل بالحكم ، او خوف ذهاب الجاه ونحوها من الاعذار ، ف انها لا تنفعه ، لعلمه بانه كاذب فيها ، او صادق ولا تكون عذرا فيه). [٦٣]

٤- الكناية:

الكناية في اللغة : (هو ان تتكلم بشيء وتريد به غيره ، وكنى عن الامر بغيره يكنى كناية ، اذا تكلم بغيره مما يستدل به عليه ، مثل الرفث و والغائط ونحوه).[٦٤]

اما اصطلاحا:(هي ان يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له باللغة ، ولكن يجيء الى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومي به اليه ، ويجعله دليلا عليه)[٦٥] وقيل الكناية لفظ اطلق ، واريد به لازم معناه الحقيقي ، مع قرينة لاتمنع من معناه الاصلي.[٦٦]

حيث جاء في قوله تعال : ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾[٦٧]

قيل:(ان الدخان كناية عن المجاعة والقحط ، فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من شدة الجوع ، او لان في عام القحط يظلم الهواء لقلة الامطار وكثرة الغبار ، او لان العرب تسمي الشر الغالب دخانا ، واسناد اتيانه الى السماء ، لانه بسبب كفها عن الامطار) .[٦٨]

خامسا :الظواهر اللغوية :

اشترط العلماء على من يفسر كلام الله عز وجل ويتصدى لهذا المقام الجليل أن يكون ملمة بعلوم تعينه على ذلك ومن هذه العلوم اللغة .

اللغة : بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع والفرع ، قال مجاهد:[٦٩] لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله ، إذا لم يكن عارفا بلغات العرب .

١-بيان الترادف:

الترادف لغة : جاء في لسان العرب : (الردف ما تبع الشيء وكل شيء تبع شيئا فهو ردفه واذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف ، والجمع الردافى ، جاء القوم ردافى أي بعضهم يتبع بعضا .).[٧٠]

أ-في قوله تعالى :﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ [٧١]

قيل في قوله تعالى : (﴿لَا تُبْقِي﴾ أي انها لا تبقى مما القى فيها شيئا بل تهلكه بالاحراق ﴿وَلَا تَذَرُ﴾ هالكا حتى يعاد ، وعن ابن عباس قال : انها لا تبقي من الدم واللحم والعظم شيئا ، فاذا اعيدوا خلقا جديدا لاتذر ان تعاود احراقها باشد مما كانت ، وهكذا ابدا ، ولا تبقي من المستحقين للعذاب الا عذبتهم ، ثم لا تذر من ابدان اولئك المعذبين شيئا الا احرقته . وقيل : يعني لاتبقي من ابدان المعذبين شيئا ، ولا تذر من قوتها وشدتها شيئا الا اعملت تلك القوة والشدة في تعذيبهم . وقيل : ان الجملتين مترادفتان ذكر للتاكيد).[٧٢]

٢-بيان التضاد:

الضد: (كل شيء ضاد شيئا ليغلبه، السواد ضد البياض ، والموت ضد الحياة، تقول :هذا ضد هذا وضديده، الليل ضد النهار اذا جاء هذا ذهب ذاك) .[٧٣]

وعرفه إبراهيم بن فتحي عبد المقتدر بأنه : (لفظة واحدة تحمل المعنى وعكسه) [٧٤]

﴿أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [٧٥]

(فَمَا فَوْقَهَا) وما هو الاكبر منها كالذبابة والعنكبوت وغيرهما ،فان المنظور من التمثيل توضيح المقصود وكشف المستور بالنظير المحسوس ، ولا ينظر الى حقارة الممثل به وجلالته وصغره وكبره ، ولا الى دناته وشرفه ، بل ينظر الى مطابقة المثل للممثل له ، وهو حاصل في امثال القران على النحو الاتم الاكمل . وقيل :ان كلمة (فوق)من الاضداد ، تطلق على الاعلى والادنى وعلى هذا يحتمل ان يكون (ما فوقها) بمعنى : مادونها ، وما هو اصغر منها).[٧٦]

الهوامش:

١ - محمد حسين علي الصغير ، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم :١٠٥+ محمد علي ايازي ،المفسرون حياتهم ومنهجهم :٤٤.
٢- حكمت عبيد الخفاجي، الامام الباقر واثره في التفسير :٢١٢
٣ -محمد باقر الحكيم ،علوم القران : ١٠٩
٤ - النساء: ١٢
٥ -القرطبي ،الجامع لاحكام القران :٧٦/٥
٦ -النهاوندي ، نفحات الرحمن :٢/ ١٨٧+ ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير :٩٥/٢+ الجوهري ،الصحاح :١٨١١/٥.
٧ -عبد العزيز بن عبد السلام السلمي ، تفسير العز بن عبد السلام :٦/١
٨ -السيد احمد الهاشمي ،القواعد الاساسية للغة العربية :١٠٤+ابو البقاء العكبري ،اللباب في علل البناء والاعراب : ٩٦+ عبدة الراجحي ،التطبيق النحوي :٨٤.
٩ - يحيى بن حمزة العلوي اليمني ،الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز :٦٤/٢+ ابراهيم بركات ،النحو العربي : ١٤٤/١.
١٠ - ال عمران : ٧
١١ - النهاوندي نفحات الرحمن:٥٨١/١+ البحراني ،البرهان في تفسير القران :٨٩١/٣+الفيض الكاشاني ،تفسير الصافي : ١٢٦/٤
١٢ - الفتح: ٢٩
١٣ -النهاوندي ، نفحات الرحمن : ٦٤٣/٥+ ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير :١٧٤/٧+ الطبري ، جامع البيان: ١٦٥/١.
١٤ - الصافات : ١٦١
١٥ - النهاوندي، نفحات الرحمن:٣٢٢/٥+القرطبي ، الجامع لاحكام القرطبي: ١٣٦/١٥.
١٦ - الانعام :٩٥

١٧ -ابن عقيل الهمداني ،شرح ابن عقيل :٤٦٢/١+ ابن الناظم ،شرح الفية ابن مالك :٨٣+ عبد الرحمن بن علي المكودي :شرح المكودي على الالفية في علمي الصرف والنحو :٩٠.
١٨ - النهاوندي نفحات الرحمن:٥٢١/٢+ الفخر الرازي ،تفسير الرازي :١٣/ ٩٣+الطوسي ، التبيان : ٢٠٨/٤
١٩ - البقرة :٢٢٨
٢٠ - النهاوندي نفحات الرحمن،٤٦٧/١+الفخر الرازي ، تفسير الرازي :٣٢٠/١٣+ ابي حاتم الرازي ، تفسير القران العظيم : ٦٤/٢.
٢١ -عزيزة فوال بابتي ،المعجم المفصل في النحو العربي : ٤٥٧/٢
٢٢ -السيد احمد الهاشمي ، القواعد الاساسية للغة العربية :١٥٧.
٢٣ -محمد محمود عوض الله ، اللمع البهية في قواعد اللغة العربية : ٣٦٤
٢٤ -ابو القاسم عبد الكريم القشيري ، نحو القلوب : ٦٧٥.
٢٥- ابن عقيل الهمداني ، شرح ابن عقيل : ١/ ٦٢٥+ فئة من المدرسين ، تيسير وتكميل شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك :٣/ ٣٥.
٢٦ - الصافات: ٨٦
٢٧ - النهاوندي، نفحات الرحمن: ٥/ ٣٠٣ +الطوسي ، التبيان : ٥٠٨/٨+ القرطبي ، احكام القران : ٩٢/١٥
٢٨ -ابن عقيل الهمداني ، شرح ابن عقيل :١٩٠/٢+عبد الغني الدقر ،معجم النحو :١٢٧+معجم القواعد العربية في النحو والصرف : ١٦٤+اميل بديع يعقوب ، موسوعة النحو والصرف والاعراب :٢١٣ .
٢٩ - ابن عقيل الهمداني ، شرح ابن عقيل :٢٠٦/٢+ نديم حسين دعكور ،القواعد التطبيقية في اللغة العربية :٣٧٦+فئة من المدرسين +تيسير وتكميل شرح ابن عقيل :٢٩٤/٣
٣٠ - الواقعة :١٠
٣١ - النهاوندي، نفحات الرحمن:١٤٣/٦+الفيض الكاشاني ،تفسير الصافي:٣٠٢/٥+العياشي ،تفسير العياشي :١٠٥/٢
٣٢ -رضي الدين الاستراباذي ،شرح الرضي على الكافية :٢٠١/٢+ابراهيم ابراهيم بركات ،النحو العربي :٤/ ٢٠٥+عثمان بن ابي بكر الدوني ،الكافية والشافية :٢٨.
٣٣ - النحل :٤٣
٣٤ -النهاوندي نفحات الرحمن : ٥٨٢/٣+ الواحدي ، اسباب النزول : ١٨٨+ تفسير القرطبي : ١٠٩/١٠
٣٥ -الجرجاني ، التعريفات :٦٥.
٣٦ - المائدة :٦
٣٧ - النهاوندي ، نفحات الرحمن: ٣٣٧/٢+ السوطي ، الاتقان :٤٥٦/١+ تفسير الصافي :١٨/٢+ تفسير ابي السعود :١١/٣
٣٨ -السيوطي : الاتقان في علوم القران : ٤١٠/١+ محمد يوسف الشربجي ،الامام السيوطي وجهوده في علوم القران :٤١١+ خلود عموش ، الخطاب القراني :١١٣
٣٩ -السرخسي ،اصول السرخسي :٢٠٠/١+ القاضي ابو يعلى ،العدة في اصول الفقه : ١٩٤/١
٤٠ - هود :١٧

٤١ -الفيروز ابادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز :٤/ ٥٣١:ابن هشام الانصاري ، مغني اللبيب عن كتب الاعاريب :٣٢٠/١
٤٢ - النهاوندي نفحات الرحمن: ٣٠٢/٣+الفيض الكاشاني ، تفسير الصافي :٤٣٦/٢+القرطبي ، احكام القران :١٧/٩
٤٣ - النساء :١٩١
٤٤ -الفيروز ابادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز :٤/ ٥٣١:ابن هشام الانصاري ، مغني اللبيب عن كتب الاعاريب :٣٢٠/١
٤٥ - النهاوندي نفحات الرحمن: ١٩١/٢+تفسير البيضاوي : ٢/ ١٧٥+ تفسير الرازي : ٤/١٠
٤٦ -اميل بديع يعقوب ، موسوعة النحو والصرف والاعراب ١٨٥+عبد الغني الدقر ، معجم النحو :٩٠+عبد الغني الدقر ، معجم القواعد العربية في النحو والتصريف :١١٥.
٤٧ -النهاوندي ،نفحات الرحمن : ٦٤٠/٥+الطبرسي ،مجمع البيان :١٠
٤٨ -ظ: ابن منظور، لسان العرب ، (مادة بلغ): ٤١٩/٨
٤٩ -العسكري ، الصناعتين :١٢
٥٠ -محمد حسين علي الصغير ،اصول البيان العربي : ١٧٣
٥١ -محمد حسين علي الصغير، المبادئ العامة لتفسير القران الكريم: ٥.
٥٢ -ابن منظور ، لسان العرب : ٥٠٥/١٣
٥٣ -ظ: احمد الهاشمي ، جواهر البلاغة : ١٩٩+ ابو هلال العسكري ،الصناعتين ،٢٤٦ .
٥٤ البقرة:٢٢٣
٥٥ -النهاوندي ، نفحات الرحمن :٤٦٢/١+القرطبي ، تفسير القرطبي :٩٣/٣ .
٥٦ -عبد العزيز عتيق ، علم البيان :١٦٧
٥٧ -احمد الهاشمي ،جواهر البلاغة :٢٤٣
٥٨ - الاعراف : ١٧٢
٥٩ - النهاوندي ، نفحات الرحمن : ٣٠/٣+ الغرناطي الكلبي ، التسهيل لعلوم التنزيل :٣١٢/١
٦٠ -ابن منظور ، لسان العرب :٣٢٦/٥.
٦١ -محمد حسين الصغير ،اصول البيان :٣٩+ احمد الهاشمي : جواهر البلاغة :٢٣١
٦٢ -القيامة:١٥
٦٣ -النهاوندي نفحات الرحمن . ٣٧٩/٦+القرطبي ، تفسير القرطبي : ١٠١/١٩.
٦٤ -ابن منظور ، لسان العرب : ٢٣٣/١٥
٦٥ -الجرجاني ، دلائل الاعجاز :١٠٥+ النويري ، نهاية الارب :٥٩/٧
٦٦ -ظ: عبد العزيز عتيق، علم البيان ،٢٠٣+ الصغير، محمد حسين علي ،اصول البيان العربي :١٤٢
٦٧ -الدخان: ١٠
٦٨ -النهاوندي ، نفحات الرحمن : ٥٣٤/٥+الطوسي ، التبيان :٢٢٦/٩+القرطبي ، تفسير القرطبي :١٣١/١٦.
٦٩ - عبد العزيز بن عبد السلام السلمي ،تفسير العز بن عبد السلام :٥-٦
٧٠ -ابن منظور ، لسان العرب : ١١٤/٩.

٧١ -سورة المدثر:٢٨
٧٢ - النهاوندي ، نفحات الرحمن :٣٧٠/٦+ الطوسي ،التبيان :١٠ /١٨٠ + تفسير الصافي :٢٤٩/٥+ تفسير القرطبي :٧٨/١٩
٧٣-ابن منظور، لسان العرب :٢٦٣/٣.
٧٤ - إبراهيم فتحي ،مكانة السنة في التشريع ،٢٣
٧٥ - البقرة :٢٦
٧٦ - النهاوندي ، نفحات الرحمن :٢٣٦/١+ الطوسي ، التبيان :١٨٥/١+الفيض الكاشاني ،تفسير الصافي : ١٠٧/١

المراجع:

القرآن الكريم.

١. أميل بديع يعقوب : باحث في علوم اللغة العربية ومحقق معاصر موسوعة النحو والصرف والاعراب ، دار العلم للملايين –بيروت ،الطبعة الاولى ،١٣٨٤هـ–٢٠٠٥م.

٢. أيازي: السيد محمد علي : المفسرون (حياتهم ومنهجهم) ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي.

٣. البحراني : هاشم بن سليمان بن اسماعيل الكتكاني التوبلاني (ت١١٠٧هـ): البرهان في تفسير القران ، تحقيق ونشر قسم الدراسات الاسلامية في مؤسسة البعثة ،قم–ايران ،(بلا تاريخ)

٤. البيضاوي :ناصر الدين .عبد الله بن عمر بن محمد (ت:٦٨٥هـ): تفسير البيضاوي ،دار الفكر ،بيروت – لبنان .

٥. ابن الجوزي: جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن (ت٥٩٧هـ): زاد المسر في علم التفسير ،المحقق ، عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان، الطبعة الاولى ،١٤٢٢هـ.

٦. الجوهري :ابو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت : ٣٩٣ هـ): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٦ م + الطبعة : الرابعة: ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

٧. حكمت عبيد حسين الخفاجي : الامام الباقر وأثره في التفسير ،مؤسسة البلاغ، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م.

٨. الحكيم: السيد محمد باقر (ت: ١٤٢٤هـ): علوم القرآن ، مجمع الفكر الإسلامي – قم ، مؤسسة الهادي – قم ،الطبعة الثالثة ١٤١٧. دعكور : حسين نديم : القواعد التطبيقية في اللغة العربية ،مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع ،بيروت ،لبنان ،الطبعة الثانية ،١٩٩٨م.

٩. الدقر : عبد الغني : معجم القواعد العربية في النحو والتصريف وذيل بالاملاء ،دار القلم ،دمشق ،الطبعة الاولى ،١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٠. الراجحي : الدكتور عبدة : التطبيق النحوي ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الطبعة الاولى ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١١. الرازي : ابن ابي حاتم الرازي ، محمد عبد الرحمن (ت٣٢٧هـ): تفسير ابن ابي حاتم ، تحقيق اسعد محمد الطيب ، دار الفكر بيروت-لبنان.

١٢. الرضي الاستراباذي: رضي الدين محمد بن الحسن (ت:٦٨٦ هـ) : شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب ،المحقق حسن بن محمد بن ابراهيم الحفظي -يحيى بشير مصطفى ،جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ،طبعة الاولى ، ١٤١٧هـ-١٩٦٦م.

١٣. ابن السراج : ابو بكر محمد بن السري بن سهل (ت:٣١٦هـ): الاصول في النحو، المحقق عبد الحسين الفتلي ،مؤسسة الرسالة ،لبنان -بيروت .

١٤. السرخسي: شمس لائمة محمد بن احمد بن ابي سهل (ت:٤٩٠هـ): اصول السرخسي ،لجنة احياء المعارف العثمانية -حيدر اباد ،الطبعة الاولى ،١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

١٥. سلطان العلماء: عبدالعزيز بن ابي القاسم بن الحسن (ت:٦٦٠هـ)، تفسير القران -تفسير العز، (اختصار تفسير لتفسير المارودي)،المحقق ،عبد الله بن ابراهيم الوهبي ، دار ابن حزم ، بيروت - لبنان ،١٤١٦هـ- ١٩٩٦.

١٦. السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن (ت : ٩١١ هـ): الاتقان في علوم القران ، المكتبة الثقافية ، بيروت - لبنان ، ١٩٧٣م.+ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان .

١٧. الشربجي: محمد يوسف : الامام السيوطي وجهوده في علوم القران،دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع ،الطبعة الاولى ، دمشق ،١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

١٨. الصغير : الدكتور محمد حسين علي : اصول البيان في ضوء القرآن الكريم ،دار المؤرخ العربي ،الطبعة الاولى ،١٩٩٩م.

١٩. الصغير نفسه : المبادئ العامة التفسير القران الكريم ،دار المؤرخ العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م

٢٠. الطبرسي: ابو علي، الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ): مجمع البيان في تفسير القران ، تعليق : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، تقديم : السيد محسن الأمين العاملي ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ١٤١٠ هـ- ١٩٩٥ م

٢١. الطبري : ابو جعفر ، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ): جامع البيان عن تأويل أي القران ، تحقيق خليل الميس ، ضبط وتوثيق وتخريج صدقي جميل العطار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥ م .

٢٢. الطوسي: ابو جعفر، محمد بن محمد بن الحسن (ت:٤٦٠هـ): التبيان في تفسير القران ، تحقيق احمد حبيب قيصر العاملي ،المطبعة العلمية ، النجف – العراق ،١٣٧٦هـ.

٢٣. عبد العزيز عتيق (ت:١٣٩٦هـ): علم البيان ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت –لبنان ،١٤٠٥هـ-١٩٨٢م.

٢٤. عبد الكريم بن هوزان القشيري ابو القاسم : نحو القلوب ،مرسي محمد علي ،دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان ، ،الطبعة الثانية ،١٤٢٦-٢٠٠٥.

٢٥. عزيزة فوال بابتي : المعجم المفصل في النحو العربي ،دار الكتب العلمية ،بيروت –لبنان ،١٩٧١م.

٢٦. العسكري : ابي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل(ت: ٣٩٥ هـ) ،الصناعتين الكتابة والشعر ،تحقيق علي محمد البجاوي –محمد ابو الفضل ابراهيم ،دار احياء الكتب العربية ،الطبعة الاولى ،١٣٧١هـ-١٩٥٢م.

٢٧. العكبري البغدادي: محب الدين ابو البقاء بن الحسين (ت:٦١٦هـ): اللباب في علل البناء والاعراب ،الحق، د.عبد الاله النبهان ،دار الفكر ، دمشق سورية ، الطبعة الاول ، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٢٨. العموش : خلود ابراهيم سلامة: الخطاب القرآني –دراسة في العلاقة بين النص والخطاب ،عالم الكتب الحديث ، اربد ، الاردن ،جدارا للكتاب العالمي ،عمان ، الطبعة الاولى،١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٢٩. العياشي :ابو النظر محمد بن مسعود السمرقندي (ت: ٣٢٠هـ): تفسير العياشي ، تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي ، المكتبة العلمية الاسلامية، طهران – ايران.

٣٠. الفيروز ابادي: مجد الدين ابو طاهر محمد بن يعقوب (ت:٨١٧هـ): بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ،المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية –لجنة احياء التراث الاسلامي ،القاهرة ،١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٣١. القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد الخزرجي (ت : ٦٧١ هـ): الجامع لأحكام القرآن – تفسير القرطبي : تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار احياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٤ هـ -١٩٩٤ م .

٣٢. الكاشاني : محمد محسن بن مرتضى بن محمود (ت١٠٩١هـ): تفسير الصافي ، تحقيق حسن الاعلمي ، مؤسسة الهادي ، قم- ايران ،الطبعة الثانية، ١٤١٦ هـ.

٣٣. مجموعة من المدرسين: تيسير وتكميل شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ،دار العصماء ،دمشق ،الطبعة الاولى ،١٤٢٨هـ-٢٠٠٩م.

٣٤. محمد محمود عوض الله: اللمع البهية في قواعد اللغة العربية ،دار الكتب العلمية ،بيروت –لبنان ،١٩٧١.

٣٥. ابن منظور: ابي الفضل ،جمال الديم محمد بن مكرم (ت: ٧١١ هـ): لسان العرب : الناشر : دار صادر – بيروت ، الطبعة : الثالثة ، سنة الطبع : ١٤١٤ هـ .

٣٦. المؤيد بالله: يحيى بن حمزة بن علي الحسيني (ت:٧٤٥هـ): الطراز لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ، المكتبة العنصرية ، بيروت،الطبعة الاولى ، ١٤٢٣هـ.

٣٧. الهاشمي: احمد بن ابراهيم بن مصطفى (ت:١٣٦٢هـ): جوهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ضبط وتدقيق وتوثيق ،د. يوسف الصميلي ،المكتبة العصرية ،بيروت .

٣٨. هشام: عبد الله بن يوسف بن احمد ابو محمد (ت :٧٦١هـ) : مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، المحقق ، د.مازن المبارك –محمد علي حمد الله ،دار الفكر –دمشق ،الطبعة السادسة ،١٩٨٥.

٣٩. الهمداني : ابن عقيل ،عبد الله بن عبد الرحمن (ت:٧٦٩هـ): شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ، المحقق، محمد محي الدين عبد الحميد ،دار التراث ، القاهرة –مصر ،الطبعة العشرون ،١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٤٠. الواحدي : ابو الحسن ، علي بن احمد بن محمد (ت٤٦٨هـ): اسباب النزول ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة – مصر، ١٩٥٩هـ.

٤١. يعلى ابن الفراء: محمد بن الحسين بن محمد (ت:٤٥٨ هـ): العدة في اصول الفقه ،حققه وعلق عليه واخرج نصه :د.احمد بن علي بن سير المباركي ، الطبعة الثانية ،١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

الموقف من الوجود والاستجابة الوجدانية في شعر شكوى العذريين

أ.د. صباح عباس عنوز
الباحثة ضحى فلاح عبد
كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

المقدمـــــــة:

ذكر البحث في الموضوعات سابقاً بأن الاستجابة الوجدانية هي عملية استقبال الكلام بلذة واكتشاف ، أيّ هناك محاورة بين الوجدان وعملية التلقي ، إذ يهرع المنشئ إلى أنتاج النص برغبة وجدانية ، ولهذه الرغبة علاقة بالمجال الثقافي لأن الأخيرة تعتني بهِ الثقافة الخارجية التي يدرّ بها المجتمع على المنشئ ، فما يختلقه المنشئ من واقعه تدخل ضمن أطار المجال الثقافي ولما جاء الاسلام فرض أشياء أخرى فكان المجال الثقافي مقيداً بفرضيات وتعاليم فرضها الاسلام الحنيف[١] .

إن الغزل العذري لم يكن موضوعا شعريا طارئا ، فحين نشأ غزل العذريين في ظل الأجواء الإسلامية الجديدة على حياة الشاعر العربي ، نقلها من طور التجزئة القبلية الى طور التوحد تحت راية الاسلام، فتلقى هذهِ الأجواء برحابة صدر واستجاب استجابة سريعة، فتثقف بثقافة القران حين جاهد نفسه بشوقه ولهفته واختيار أسلوب جديد يتماشى مع الواقع وهذا يرجع الى طبيعة الظروف التي صاغت بعض الظواهر الاجتماعية و الدينية و العاطفية صياغة خاصة ، وبهذا تفاعل مع البيئة التي خضع لمؤثراتها فساعد ذلك على التطور والتوجه نحو اتجاه واحد [٢]، وقد تغيرت أساليب القول الشعري عند بث الشكوى بعد مجيء الدين الاسلامي الحنيف ، الذي غذّى مجال الشاعر الثقافي كثيراً مع أن ظهور الدين الإسلامي قد قلل من قصائد الغزل بسبب انشغال العرب بالمعارك مع المشركين ، فلم يكن هنالك مجال للهو وحديث القلب ، والعبث مع النساء و التودد اليهن ، وفي أحايين أخرى كان بعضهم يتحرج من اثم او خوف من منع فقد حرم الاسلام التحرش بالنساء لذلك خففت هذا اللون الشعري[٣] ، لكن مما ساعد على الاستمرارية كون هذه الظاهرة في بعض جوانبها تعبر عن الحب ، فهو ينتمي الى عالم من المشاعر

والعواطف، اكثر مما ينتمي الى عالم العقل[٤]،وعلى الرغم من ذلك فالشعراء العشاق عبروا كلا حسب اتجاه اخلاقي معين يلونون به قصائدهم معتمدين على مجال ثقافي جمع بين القديم والجديد الذي فرضته البيئة (التخطيط والاستمرارية من أجل الوصول إلى بلاغة أكبر للتأثير في السياقات الفكرية)[٥] ، بوصفها وعاء يستوعب جميع مجالات الثقافة والتقاليد للمجتمع، وتحويلها الى نتاج ابداعي فتؤدي دورا مهما في تطويع المعاني [٦]، ولا سيّما وان الاسلام (لم يلغِ جميع القيم الجاهلية ، وإنّما أبقى على طائفة منها، وهي تلك السجايا التي ينبغي أن يتحلى بها المرء في كلّ عصر)[٧].

اخذت ظاهرة الصراع النفسي حيزاً كبيراً في الشعر العذري بوصفها أعلى درجات الصفاء والنقاء الروحي، بل هي من أكثر الظواهر الحاحاً وتواجداً ، فلا نكاد نجد قصيدة او مقطوعة والصراع موجوداً وبارزاً فيها، فله الاثر البالغ في السيطرة على المشاعر والعواطف والانفعالات ، فهي تجرد النفس وتضغط على الذاتية والانانية[٨]، لأن الغزل العذري ما هو الا ابراز للوجع العشقي بالدرجة الاولى من فرط الحنين نتيجة التوتر النفسي ، فهو الجذر المضمر لكل فكر احتجاجي في التراث العربي[٩] ، فالصراع مظهر ثقافي له علاقة واضحة بالاستجابة الوجدانية تتمثل (بالتشكيل الفني ، وبنية القصيدة ، و ما تتضمنه من عناصر متضّادة ومتصارعة ، و ثنائيات ضدية ومفارقات ناطقة بأشكال التوتر و الصراع)[١٠] ، لذا فالطابع العربي وتراثه موجود في الحالة الشعورية ذاتها التي واجهت الحالة النفسية والبيئية لتحمل ردود فعل قاسية وجافية وجاحدة ، ادت الى تحريك وجدانهم فصوروها شعراً عربياً واضحاً وغزلاً عذرياً خالصاً، وهم يمثلون شعراً اسلامياً مجاري للوضع المفروض ، فتوحدوا في الشكل والمضمون ، حريصين على ارضاء ذلك الذوق ، مستمدين من التراث معانٍ تقوي من نصهم الشعري، وفي الوقت نفسه ترضي اذواق المتلقين على اختلاف ثقافاتهم وتوجهاتهم [١١] ، فانقسم الشعر العذري في ظل الصراع العربي الى قسمين :

أ- الصراع الاجتماعي الواقعي (الخارجي) :

تتجلّى العلاقة بين وجوه الوجود أي الموقف من الواقع المعيش و الاستجابة الوجدانية بشكل متميز ، فالشاعر العذري كان يطمع ان تبلغ علاقته بمحبوبته غاية مشروعة ، هي الغاية التي أقرها المجتمع

والدين ، الا انه واجه العراقيل والحواجز والسدود ، الأمر الذي جعله طريد الاهل والسلطة ، فلا يستطيع رؤيتها او اللقاء بها بسبب التربص له [١٢] ، فولد ذلك لديه احتجاجاً ، وبات هذا الاحتجاج يعبّر عن موقف الرفض حين يواجه الفرد (الانا) للمجتمع دون وسيط في مواجهة (ألنّحنُ) الهائلة ، وهي شفرة اجتماعية ادرك مضمونها الطرف الاخر، تحمّل صبرها الذات المسلمة خاصة في جوانبها الروحية ، فرضتها متطلبات روح التاريخ والقهر الاجتماعي [١٣]، فالشاعر العربي اعتنى بأساليب البيان العربي حين اخذ لوناً اجمل وطابع احسناً ، وسبيلا اقوم ، فقد هجروا الالفاظ النابية والعبارات المكشوفة والمعاني الهزيلة غير المرغوبة ، والاخلاق المفضوحة [١٤]، فكان الاعتناء قائماً على صيغ التعبير الموحية المعبرة عن أعماقهِ ، والشاعر العربي دفع كمية هائلة من الوجع والضغط في سبيل مقاومة رغباته ، وهذا الأمر أعتمد على الجانب التاريخي من الروح والجانب الطبيعي الأصيل الأمر الذي ولد لدى الفرد انشطاراً بين القبول والرفض اي القبول بمطالب الروح التاريخي الحاضن للتمثل ، والرفض الذي تمارسه الطبيعة ، فيوسف اليوسف عد الشاعر العذري كالطفل المدلل تغلب عليه الانانية وعشق اللذة [١٥]، والصراع (أيّا كان لونه موجود في نواحي الحياة المختلفة، في الفكر والحرب والحبّ والكراهيّة والغنى والفقر والرّحمة والقسوة والظّلم والعدل وموجود او منعكس على النفس الإنسانية وذلك مجال مثير يكتنفه الغموض)[١٦]، وهذا التلوين تحكمه القوة الفنية في الاداء ، لذا كان شعرهم ناضجا بالقدر الكافي ، فالشريعة الاسلامية عملت جاهدة على ترسيخ قاعدة الثقافة الاسلامية وتوسيعها ، إذ رافق الحب العفيف اهتمام وتوجيه خاص بحب المرأة ، وتجسد ذلك كثيرا من قصائد الشعراء العذريين ، لأن الشعر تحكمه قوة الانفعال الانساني والمخيلة الشعرية وموهبة الشاعر وقابليته في خلق ثقافة معينة تتوافق مع نوعية الاتجاه المفروض [١٧].

فهذا جميل بن معمر* فاض شعره بالغزل العفيف ، وأعطى للشعر العربي صوراً رائعة مليئة بالقوة و الحسن ، على الرغم من حالة العصيان حين عصى العواذل في هجرها ، ولم يغير ذلك من موقفه شيئاً ، فعلى الرغم من تثاقل بثينة ورفض اهلها ، فهو يرضى بهذا الظلم ، ولم يتمرد عليهم الا شعراً ، فهو

يرضى بالقليل وما ترتب على هذا القليل في المستقبل من لوعة و اشتياق ، لان المحب يعيش دوماً في ظلال الأمل [١٨] ، هذا الحب الصادق الذي عاناه جميل والذي اظهر حال قلبه وهو يقدم المبررات لقصة حبه الطويلة ، لكن بنفس راضية وقابله بكل حالات صعوبة نيل المراد من الصد والهجر ، فلا يستطيع ان يفر من الشكوى بقي يعاني من همومه ، تلك الهموم المتمثلة بكثرة الواشين حوله ، يقـول [١٩]: (بحر الطويل)

وأني لأرضى ، من بُثينةَ، بالّذي لوَ ابصرهَ الواشي ، لفرّتْ بلابلُهْ
بِلا و بــألاّ أستطيعَ و بــالمنُى وبالوَعدِ حتى يَسأمَ الوعدَ آمِلُـهْ
وبالنّظرةِ العَجْلى وبالحَوْلِ تنقضي أواخِـرُه لا نـلتـقي ، وأوائِلُـــهْ

أبيات جميل طغى عليها طابع الألم والحرقة ، والوعود التي بدون تحقيق اللقاء ، كلها اذًى نفسية تحملها الشاعر، وهنا يترفع جميل (عن الاتصال الجسدي إلحالات والمواجد فيرى حبيبته تتجسد في الجمال)[٢٠] ، فكانت الوشاية حاضرة في صورة شعرية التي بدت واضحة في فضاء النص العذري ،فالشاعر على صراع دائم ومستمر مع الواشين ، وهذا يرجع للسلطة الاجتماعية وما تحتويه قيمها ، فقد أصبح الواشون مصدر قلق وتوتر بالنسبة للعذريين ، فهم يتلقطون أخبارهم ، ويتربصون بهم ، ويصيدون هفواتهم، مزيدين الآمهم وقهرهم الدائم [٢١]، فالشكوى عند الشاعر تبين مدى قوة التحمل لهؤلاء العشاق، يقول الشاعر[٢٢]: (الطويل)

يقول لي الواشون ليلى قصيرةٌ فليت ذراعاً عرْضُ ليلى وطولها
وإنَّ بعينيها لَعَمــرك شَهلــةً فقلت كرامُ الطير شُهلٌ عيونها
وجاحظة فوهاءُ لا بأس إنهـــا منى كبدي بل كلُّ نفسي وسُولها
فَدَقَّ صِلَابَ الصخر رأسك سرمداً فإني إلى حــين المــمات خليلها

عدَّ بعض الباحثين الوشاية هي نزعة استسلامية يتصف بها العذري للرضوخ الإجباري أمام سلطة القيم للمجتمع العربي ، فكان الواشون مصدرا لشقاء العاشق ومعاناته على طول حياته ، فليس لديهم مكان أو زمان محددان بل هم موجودين في كل حقبه ، متلونيين ليس لديهم ما يثبتهم ، لذلك فإن قسوة المجتمع

وَلَّدَتْ حرمانا كان له دور في انفجار العواطف الحارة ، وبيان دورهم في الوقوع بينهم وبين من احبوا ، وهذه أحد ملامح الغزل العذري التي وجدت منذ العصر الجاهلي [٢٣] ، يقول شاعر اخر عانا هو الاخر من مرارة الحب [٢٤]: (بحر الطويل)

فَمَا نَقَعَتْ نَفْسِي بما أمرُوا بهِ ولا عِجْتُ مِنْ أَقْوَالِهِمْ بفَتِيلِ *

من هنا نشأ الصراع في الغزل اجتماعياً، فهو العاطفة الناعمة المختلطة بمشاعر الاخلاص والوفاء لمحبوبة واحدة ولا يحب بعدها ، وهذا صدق نفسي عكس صدقة التعبيري ، حين لم يحظى بها واليأس من الوصول لها بعد ان تتزوج او تتغرب [٢٥]، وهذا ما وجدناه في الشعر العذري ، يقول الشاعر[٢٦] : (بحر الطويل)

ألا حُجبتْ و آلى أميرهـــا عليَّ يميناً جاهلاً لا ازورها

وأوعدني فيها رجالٌ أبوهُـمُ أبي وأبوها خُشت لي صدورُها

على غيرِ شيءٍ أني أحبهـا وأن فؤادي عند ليلى أسيرها

وأني إذا حَنَّتْ إلى الإلف إلفُها هفا بفؤادي حيث حنَّتْ سَحورها

إن قارئ هذه الابيات يجد شعورا بالحالة الاجتماعية و النفسية ، وهذا نوع من الصراع الذي بقي مستمرا منذ العهود الأولى للإنسان العربي ، ودلت هذه الحالة على ظهور نتيجة أدبية بسبب العلاقات بين افراد المجتمع العربي ، بمعنى أن هذا الذي وجد في قصائدهم ليس تواصل خطي، و انما زاد من ثقافته وطور الحالة الاجتماعية فدل على انها ارث أدبي فهو شارحٌ للواقع الذي لا يتعارض مع الخيال [٢٧] ، فنحن (امام مجتمع شديد المحافظة تحتجب فيه المرأة عن الرجل وتلقي على وجهها برقعاً إذا لقيت رجلا من غير اهلها)[٢٨] ، هذا الواقع الذي منع من رؤية محبوبته ، فسار في طريق الأسى مضطراً من دون ذنب ، فتعقدت مأساته [٢٩] ، فالمحب دائما غايته ان يحظى برؤية المحبوبة وعندما يعجز يتذكرها او يصّورها في خاطره هرباً من لوم اللائمين ، يقول جميل [٣٠]: (بحر الخفيف)

لامني فيكِ ، يا بُثينةُ ، صَحبي لا تلوموا ، قد أقرحَ الحبُّ قلبي

زعمَ النــاسُ أنّ دائَي طِبّــي أنـتِ ، والله، يا بُثينةُ ، طِبّـــي

الشاعر لا يجد عذرا لهذا الحب سوى انه هائم بها ، فما شأن الأصحاب والأهل ، فجميل يقدّم كل الادلّة والبراهين على حبة العفيف فلمَ اللوم ؟ يقــول الشاعر[٣١] : (بحر الطويل)

يقولُ لِيَ الأصحابُ إذْ يَعْذلُونَني أشَوْقٌ عِراقِيٌ وأنتَ يَمانِ

وليسَ يَمانٍ للعراقيْ بِصاحبٍ عسى في صُرُوفِ الدّهْرِ يَلْتَقيانِ

ان الشاعر دخل على صراع بينه وبين مجتمعه ، أو البيئة الجديدة ، التي (اتسمت بالطهر و العفة والنقاء ، وهو شعر الحرمان والحب الطاهر ، ... وحقا أن الإسلام اضفى على هذا الحب الطاهرة والزهد والتقى ، وقد اضفت الاعراف و التقاليد والشيم العربية القبلية في الجاهلية مثل العفة التي اضفاها عليه الاسلام)[٣٢]، فيكون هاجسه الوحيد هو البعد الذي سبب ذلك الصراع ، يقول الشاعر [٣٣] : (بحر الطويل)

يقولون ودّعْ عنكَ ليلى ولا تهمْ بِقَاطِعَةِ الأقْرَانِ ذاتِ حليلِ *

فَمَا نَفَعَتْ نَفْسِي بما أمرُوا بهِ ولا عِجْتُ مِنْ أقْوَالِهِمْ بفَتِيلِ *

أن الشاعر في شكواه صراع اليم حين طلب منه الجميع ترك ليلى ، وأن لا يتوله بها ، لكنه لم ينتفع بقولهم ولن يرتوي بما يأمرون به ، لذا فالصراع الاجتماعي من أعمق التجارب الشعرية التي لها علاقة ليس بوجدان الشاعر وعواطفه فحسب بل بالآهات الحزينة التي أملاها على الشاعر العذري بشعور الجماعة التي ينتمي اليها ، و التي كانت حاضرة اولا واخراً في الحنين إلى الاستقرار [٣٤] .

مما تقدم تبين أن لوحدة الصراع أي موقف الشاعر من واقعه أثراً في عملية القول الشعري ومن ثم حصول الاستجابة الوجدانية بسبب محاورة ذات المنشئ لذلك الواقع .

ب- الصراع النفسي الفكري (الداخلي) :

إذا كان الصراع الاجتماعي ظاهراً في معاناة الشاعر مع محيطه الخارجي ، فأن هناك صراعاً نفسياً مع ذات الشاعر ، يخشى البوح بها فيبقى رهين ارهاصاته النفسية ، ويستطيع الباحث العثور عليها في طيات نصه ، إذ إن الحديث عن الصراع النفسي لدواخل الشاعر الذاتية ، حين يجابه الشخص تعارض وتطالب

بين امرين متعارضين ، نتيجة تضارب بين اوامر الواجب وميول الرغبة ، فيحدث الاصطدام عندما تظهر عوائق ارادية الغاية منها اشباع الذات [٣٥]، فالشعور بعدم اشباع النفس لما تريده وتطلبه تؤدي الى الصراع الداخلي والذي يولد بدوره توتراً لشخص تعوق جهوده للوصول إلى هدف معين رسمه لنفسه بعيداً عن السلبيات او الإيجابيات [٣٦].

الاستجابة الوجدانية أدت بالشاعر إلى أن يرسم خياله بطريقة كيفما هو يرى من أجل البقاء والوجود، لأن الواقع مرّ ومتشدد ، فجوزّ لنفسه أن يعيد سرد احداث قصة حبّه ، محاولة لتثبيت ماراد أن يوصله للمتلقي وان كانت غير مجدية ، فهو يقدم دليلاً واضحا على عفّة وطهارة عشقه وهذا نوع من الصراع المستمر الذي لازم الشاعر حتى فنائه[٣٧] ، على ان (الحب العذري لا يقوم على الزهد المطلق في المتعة الحسية ، وإنما يقوم على أساس الصراع بين روحين يغالبان مطامع الافئدة ، ومطالب الحواس)[٣٨] ، فالشاعر الذي يشكو حرمانه الدائم يبقى في صراع طويل مع ذاته كما في قول الشاعر [٣٩] : (بحر الطويل)

أَيا كَبِداً طارَت صُدوعاً نَوافِذا وَيا حَسرَتا ماذا تَغَلغَلَ في القَلبِ
فَأُقسِمُ ما عُمشُ العُيونِ شَوارِفٌ رَوائِمُ بَوٍّ حائِماتٌ عَلى سَقبِ *

يبدوا أنّ طريقة تعامل الشاعر العاطفي مع الواقع الجديد وهو يضع صورة راسخة ومعبرة عن وجودهم وكيانهم ، على الرغم بين الصراع الخفي بين الشاعر وذاته لحب البقاء والاستمرار، فالموت والحياة هما جوهر الصراع الداخلي للعذرية[٤٠] ، لأن الشاعر (في صراع كبير مع الزمن ، وسبيله إلى الإنتصار عليه هو الموت ... تلك النغمة الشعرية في تصور استطالة الحياة ، أي التبرم بانتصار الزمن)[٤١]، فالمطلع على قصائد هؤلاء الشعراء يجد فكرة الموت حاضرة ، ليس يأساً كما يعتقد بعض ، بل هي نوع من التحدي النفسي، لاثبات القوة والقبول بما هو موجود والرضوخ دون التعدي ، يقـــول الشاعر [٤٢]: (بحر الطويل)

فلو كان لي بالصَرمِ ، يا صاحِ، طاقة صرمت، ولكني عن الصرمِ اضعف
لها في سَوادِ القلب بالحبِّ متَعة هـي الموت أو كادت على الموت تُشرِف

تمنى الشاعر الا تحدث القطيعة، لأن الأبيات تطوي بين حروفها حراره الاشتياق الذي اشعله البعد، بوصف البعد محرك اساسي لنشوء الصراع المستمر في ذات الشاعر، لذا يصبح الصراع الداخلي للشاعر (حقيقة إنسانية عامة وصراعاً خفياً تقتضيه طبيعة الوجود ، لكن الإنسان يبقى ضحية هذا الصراع حين يتجرع الألم والنكبات، دون أن يمتلك قدرة على تغيير تلك الحقائق الكونية) [٤٣] ، فالصراع النفسي ضحية ذاتية حين يلوم الشاعر نفسه على ما يلقاه كما يقـــول الشاعر [٤٤] : (البحر الكامل)

يا ليتْني ألقى المنِيّة بغتــة إنْ كانَ يومُ لقائكم لـــم يُقْدرَ
أو أستطيعُ تجلّداً عن ذكركم فيُفيقَ بعضُ صبابتي و تفكّري
لو تعلمين بما أجِنّ من الهوى لعَذَرتِ ، أو لظلمتِ إن لم تَعذرِي
واللهِ ما للقلبِ ، من علمٍ بها غيرُ الظنونِ و غيرُ قولِ المُخبر
لا تحسبي أني هَجَرْتُكِ طائِعاً حَدَثٌ ، لَعَمْرُكِ ، رائعٌ أن تُهجري

أشعار المجانيين الذين اشتهروا منذ ذلك الحين بسبب الم حبهم ولوعة اشتياقهم وصفاء الضمير، رسموا لنا صورة وكأن النار لاتزال مشتعلة ، فتناقلتها الالسن كونها حركت مداخل النفس واستجابة لهم القارئ ووصلت الى عمق وجدانه على الرغم من وقت وتاريخ انتشارها ، فمن المعروف ان العرب ترفض وبشدة ان يأتي شاعرا او محب بسيرة محبوبته قبل ان يتزوج بها ، وهذا ما عمل علية العرب منذ الجاهلية ولا يزال موجودا [٤٥]، يقول الشاعر [٤٦] :

أقول وقد أطلقتها مِن وثاقها فأنت لليلى إن شكرتِ عتيـق
فعيناك عيناها وجِيدك جيدها سوى أن عظم الساق منكِ دقيق
وكادت بلادُ الله يا أم مالك بما رَحبت منكم عليّ تضيـــق

حين يصور الشاعر ملامح حبيبته فهو يعتني كثيراً في رسم ملامحها، وعندما يذهب بعيدا بخيالهِ مستمتعاً، يحيط بكل اساليب الوصف، ومن ثم يعود الى كنايتها (ام مالك) ليصور بعد ذلك كيف ضاقت بهِ البلاد، فالشاعر على الرغم من هذ الا انه يحاول فرض وجوده، بأن يبقى دائماً في وصل الحبيبة (تلك

الصورة النمطية التقليدية التي تشكلت بفعل البنية الثقافية المحيطة، والتي فرضت نفسها على الشاعر منذ العصر الجاهلي)[٤٧]، يقــول الشاعر [٤٨]: (بحر الطويل)

أمُنْصَدَعٌ قلبي مِنَ البَيْنِ كُلَّما تَرَنَّم هدّالُ الحَمامِ الهواتفِ
سَجَعْنَ بِلَحْنٍ يَصْدَعُ القلبَ شجْوُهُ على غير عِلْمٍ بافتراقِ الألايفِ *

فقد تتجلى مفارقة الحب الكبرى والتي هي جزء لا يتجزأ من حياة البيئة الاجتماعية التي يعيشها الشاعر ، تحكمها نزعة محافظة غايتها صيانة نفسها من اوضاع الترف واللهو ، فهي تنظر الى العشق وممارسته نظرة تملاها الريبة والقلق، فقد صارع الشاعر من اجل بقاءه راضياً بقيود الاخلاق والقيم الدينية ، فظهرت الشكوى واوضحت على ان لها علاقة ثابته ومستمرة مع الشاعر ، لان الاعتداد بالنفس شعور عارم وصاخب، فالعذاب النفسي الذي يقاسيه الشاعر في صراعها الدقيق واصرارها العميق ما هو الا محاولة لإقناع الشاعر بأنه صاحب حق مسلوب ، لذا فهو يظهر للمتلقي في مفهوم الحرمان وانه لن يعيش الا حياة الوهن و الاستكانة ، فكان نتاج هذا هو الاستجابة لعمق الابداع الذي نبع من الداخل للتخلص من عالمه المشلول [٤٩]، مما جعلته يعاني من كبت في نزعة الانفعال لطبيعة الحب وحرمانها من تحقيق رغباتها مما ادى به الى تطويق رغبات الشاعر ضمن اضيق نطاق[٥٠]، لذا نرى قــول الشاعـــر[٥١] : (البحر الطويل)

أضلُّ، نهاري مُستَهاماً ويلتقـــي مع الليل روحي في المنّام وروحُها
فهل ليّ ، في كتِمانِ حُبّي ، راحةٌ وهـل تنفعنّي بَوحةٌ لـــو أبوحُـها !

هذا التوجه الخطابي في شعر جميل (البوح) حين يصبح مسلوب الارادة ، ليس لديه ما يعينه على كبت هذا الشوق ، ولعل العاشق العذري وجد الكتمان افضل من البوح ، لان ذلك لا يسعفه الى التخلص مما يشعر به ، لذلك يعود الى الشعر في كل حاله يمر بها ، يقول الشاعر [٥٢]: (البحر الطويل)

وَحلّت بأعلى شاهقٍ من فؤادِهِ فلا القلبُ يسلاها ولا النَّفسُ ملّتِ
فَو اعجباً للقلبِ كيفَ اعترافُهم وللنفسِ لمّا وُطِّنت فاطمأنَّتِ

ان القسم في الابيات الشعرية دليل واضح على اخلاص الشاعر، فكثير عانى كبقية الشعراء من هجر وصد ، وبقى في صراع نفسي مستمر ، فقلبه لا يسلاها ، وهو مطمأن وقابل لما حل بقلبه من اثرها [٥٣] ، قد يكول من نتائج ذلك التوطين للنفس هو الطمأنينة التي شعر بها فتعجب قلبه لما حل به ، يشابه قوله شاعر آخر يقول [٥٤] : (بحر الطويل)

ذكرتُكِ بالغَورِ التِّهامي فأصعدتْ شجونُ الهوى حتى بلغَنَ التَّراقيا

فما زلتُ أُزجي العيسَ حتى كأنما ترى بالحصى أخفافها الجمرَ حاميا

ان الشعراء الّذين ابدعوا في قصائدهم وانفردوا عن غيرهم ، تميزوا بإداء جمالي خاص ، كونهم اتخذوا من قصصهم الحياتية عنواناً لبدء الغوص في تفاصيل التعبير الخطاب الشعري للتعويض عن الآمهم وارواحهم وهواجس انكساراتهم [٥٥]، يقول الشاعر [٥٦] : (بحر الطويل)

لا حُسنِها حُسنٌ وَلا كَدَلالِها دَلٌّ وَلا كَـوَقارِها تَوقـيــرُ

إِنَّ اللِسانَ بِذِكرِها لَمُوَكَّــلٌ وَالقَلبُ صادٍ وَالخَواطِرُ صوَرُ

وَلَئِن جَزَيتِ الوُدَّ مِنّي مِثلَهُ إِنّي بِــذَلِكَ يـا بُثَينَ جَديـرُ

الابيات احتوت على العفة الغزلية العذرية ، هذا يعني ان الشاعر لم يعمد الى وصفها المادي ، بل يعني ان ثقافة الدين الجديد اثرت على البيئة الحياتية وعملت مفعوله في توجيه الشعر اي (اختفاء التناول المادي الاباحي المكشوف للمرأة ، وظهور التعلق المعنوي بها ، الذي لا يشرح جسم المرأة ويصف كل جزء فيه)[٥٧] ، يقول الشاعر[٥٨] : (بحر الطويل)

لو أنَّ الهوى عن حبِّ ليلى أطاعني أطعت ، ولكنَّ الهوى قد عصانيا

يبقى للصراع تأثيره الاقوى في نفس الشاعر العذري ، فهو يفقد الثقة والسلام النفسي ، مما يهيئ لظهور الفجوات التي تؤدي بدورها الى الانكفاء على الذات ، فينفجر الشاعر بدوره شعراً عذبا ، يريح النفوس ويدخل الى عمق المتلقي [٥٩] ، فوحدة الصراع (يتحدد وجودها بكونها نتاج الواقع المعيش للمنشئ ، أي أن المنشئ لا يتكلم ألا حين يتعرض الى صدمة نفسية من فعل ما ، فيكون انشاؤه رد فعل لهذا الباعث ،

وهذا الفعل يستوجب من المنشئ موقفاً أما أن يكون رافضاً للمؤثر أو مستجيب له ومؤيداً اياهُ)[٦٠] ، ومهما اختلفت انواع الصراع الشعري الادبي فأن هذا الصراع سواء كان داخل الشخصية او خارجها ، عندما تغوص الى اعماق الشعراء العذريين يجد انواعا من الصراعات لا يمكن ان تتوقف او تنتهي في حقيقتها ، لان مطالب الانسان لا تكف عن الالحاح [٦١]، فالاستجابة الوجدانية تكون دائماً رد فعل على باعثٍ خارجي مؤثراً ، لأن الباعث أو المؤثر دليل القصد ومعياراً لتوازن الواقعين النفسي و الخارجي في نفس المبدع وبذلك يقضيان الى نص فني أدبي[٦٢]، كما في تصوير الشاعر يقول الشاعر [٦٣] : (بحر الطويل)

ولما تناهى الحبُّ في القلب وارداً أقامَ وسُدَّت بعدُ عنه مصادِره

فأي طبيب يبري الحبَ بعدها تشرَّ بهُ بطنُ الفؤادِ و ظاهره

اصطدام الشاعر بالوجود كشف للذات امتحاناً ، هو مدى مقدرة النفس في مواجهة الواقع والتكيف معه واتخاذ موقف منه ، فأحست الذات بضرورة تلمس أبعاد وجودها حتى تتفهم موقفها في ضوء مواجهته النفسية ، وهو يحمل عبء الرفض وما فرض عليه من معاناة ، لذا نجده الشعراء قد يتمردون على الواقع ، لكن في صمت ذاتي وهو عبث لا جدوى منه [٦٤]، فتغلغل اليأس في ذات الشاعر ومحاولة التغلب عليه أمر طبيعي لأن (الحب وسيلة للشقاء من الحزن المقيم ، تشغل الذات به نفسها حتى تترسب أحزانها في القاع ، لكن سيكون الحزن مضاعفاً إذا فُقِدَ ذلك الحب أو مات) [٦٥]، يقول الشاعر[٦٦]: (بحر الطويل)

وَمَا هَجرَتْكِ النَّفْسُ يا لَيْلَ أنَّها قَلَتْكِ وَلَكِنْ قَلَّ مِنْكِ نَصِيبُها

فَيا نَفسُ صَبراً لَستِ وَاللهِ فَاِعلَمي بِأَوَّلِ نَفسٍ غابَ عَنها حَبيبُها

هذا الخطاب الذاتي للنفس اوضح فيها الشاعر مدى القوى التي يمنحها نصه للقراء ، حين يقدم مثالاً حياً عن نفسه ، وهو يلملم شتات القارئ في تأمل ذاته العميقة وما تعرض له في فترات حياته المتعاقبة ، وما نتج عنها من الشعور بقيود الظلم و التعسف [٦٧]، فكان هذا التصوير الانفعالي في تصويره الدقيق و العميق لأن الصراع الروحي حصل بين إرادة الذات المشلولة بالرغبة وبين ما يؤمن به من قيم وأخلاقيات اسلامية فرضتها بيئة الشاعر [٦٨].

النتائـــــج:

١- إن وحدة الصراع تحدد موقف الشاعر من واقعه فهي تؤثر في عملية القول الشعري ومن ثم حصول الاستجابة الوجدانية بسبب محاورة ذات المنشئ لذلك الواقع .

٢- إن الاستجابة الوجدانية لا تحصل الا إذا تعرضت نفس المتلقي إلى باعث خارجي ، فيسبب الم داخلي ومكبوت نفسي يعبر عنها الشاعر بقصيدته ، وبذلك يحظى المجال الثقافي متمثلاً بالرد و الأخذ من قضايا البيئة.

٣- إن الشاعر وصراعه سواء كان نفسيا فكريا او اجتماعيا واقعيا فهو يحاول ان تتكون لديه قدرة على بث الاستجابة الوجدانية المتصلة بالإيحاء، ويوصلها الى السامع او القارئ ، فيدخل نفسه في تحدي كبير يصارع فيه مع خبرته وموروثه من الكلمات والمواقف التي تشجع على توصيل ما اراد ان يوصله .

٤- إن الشاعر الذي يشكو حرمانه الدائم يبقى في صراع طويل مع رغباته واحلامه، فقد صارع الشاعر من اجل بقاءه راضياً بقيود الاخلاق والقيم الدينية، فظهرت الشكوى واوضحت على ان لها علاقة ثابته ومستمرة مع الشاعر .

الهوامش:

---

١ مقابلة مع المشرف العلمي ، د. صباح عباس عنوز ، ١١/٢/ ٢٠٢٠

٢ ظ: مدامع العشاق ، زكي مبارك ، ط١ ، المكتبة العصرية للنشر و التوزيع ، بيروت – لبنان، ط١، ١٣٤٣هـ ، ص١٣

٣ ظ: فنون الادب العربي الفن الغنائي ، د. محمد سامي الدهان ، ط٣ ، دار المعارف ، القاهرة –مصر، ١٩٦٨م، ١/ ٣٢.

٤ ظ: الظاهرة العذرية بين إبداع الشاعر وخيال الراوي، دكتور عدنان أحمد وحنين بدور ، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية ، المجلد ٣٦ ، العدد ٤ ، ٢٠١٤م ، ص ٣٨٠-٣٨١.

٥ علامات في النقد ، حسن النعيمي ، مجلة النادي الادبي الثقافي ، العدد ٤٨ ، المدينة المنوره – المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٣م، ص٥

٦ ظ: لسانيات الخطاب وانساق الثقافة ، د. عبد الفتاح احمد يوسف ، ط١ ، دار العربية العلوم ، بيروت – لبنان، ٢٠١٠ م ، ص ٢٦٥

٧ حسان بن ثابت حياته وشعره، احسان النص ، ط١ ، دار الفكر الحديث للطبع والنشر ، دمشق – سوريا، ١٩٦٥ م ، ص١٧٤

٨ ظ: علم النفس المعاصر ، حلمي المليجي ، ط١ ، دار النهضة العربية ، القاهرة – مصر ، ١٩٧٢م ، ص١٥٧

٩ ظ: الغزل العذري دراسة في الحب المقموع ، يوسف اليوسف ، ط١ ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق – سوريا ، ١٩٨٧م ، ص ٢٧ .

١٠ تجليات الصراع في شعر المتنبي دراسة في الرؤية و التشكيل ، رسالة للطالب مفلح ضبعان الحويطات ، بإشراف ، أ.د. أنور أبو سويلم ، جامعة مؤتة ، ٢٠٠٨ م ، ص ٨

١١ ظ: اثر التراث الجاهلي في الشعر الاموي ، أطروحة للطالب حسين عبد الحسين ، بإشراف أ . م. د. حاكم حبيب الكريطي ، جامعة الكوفة – كلية الآداب ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م ، ص ١٢٥ .

١٢ ظ: اتجاهات الشعر في العصر الاموي ، د. صلاح الدين الهادي ، ط١ ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر ١٩٨٦ م ، ص٤٤٦

١٣ظ: الغزل العذري دراسة في الحب المقموع ، ص ٥٦

١٤ ظ: الحياة الادبية في عصر صدر الاسلام ، محمد عبد المنعم خفاجي، ط١ ، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، ١٩٨٤ م، ص ٤٢

١٥ ظ: الغزل العذري دراسة في الحب المقموع ، ص ١٢٨.

١٦ حول المسرح الاسلامي ، نجيب الكيلاني، ط٢ ، مؤسسة، الرسالة ، بيروت –لبنان ، ١٩٨٧م ،ص٤٢

١٧ ظ: الغزل العذري حتى نهاية العصر الاموي ، ص ٣٣

* جميل بن عبد الله بن معمر ، اشهر ما كتب في الشعر العذري الاسلامي ، وبثين لقب له ، وهي ابنة عمه ومعشوقته ، احبها وهو غلام صغير وهي جويرية لم تدرك ، يقول :

وأول ما قاد المودّةَ بيننا بوادي بَغيضٍ ، يا بُثينَ، سبابُ

فقلنا لها قولاً ، فجاءت بمثله لكلّ كلام ، يا بُثينَ ، جوابُ

فتعلق قلبه بها حتى اشتهر ، وعندما اشتهر ، تحدث الناس بهم كثيرا داخل القبيلة وخارجها ، فعندما تقدم لخطبتها ، ابى ابويها ان يزوجاها له ، وتزوجت من غيره ، ومن هنا بدأت معاناة حبه وقصة عشقه الى ما لا نهاية ، ظ: ديوان جميل ، ص٦ ،الاغاني ،٦٥٤

١٨ ظ: الغزل عند العرب ، ص ١٧٥

١٩ ديوان الشاعر جميل بن معمر ، تحقيق وشرح بطرس البستاني ، دار صادر للطباعة و النشر ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٢هـ –١٩٨٢م ، ص ٣٨

٢٠ الابعاد النفسية في شعر الغزل العذري عند جميل بثينة، م . م . إبراهيم حسن صالح الجبوري ، د. محمد ياس خضر الدوري ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية ، مجلد ١٦ ، العدد ٥، تكريت– العراق ، ٢٠٠٩م ، ص ١٣٨.

٢١ ظ: الوشاية في شعر العشاق في العصر الاموي دراسة في المضمون ، د. حسين عبد حسين حمزة الوطيفي ، مجلة كلية الاسلامية الجامعة ، المجلد ١٧، العدد ١٢ ، النجف الاشرف – العراق ، ٢٠١٠ م ، ص ٤٦ .

٢٢ ديوان الشاعر قيس بن الملوح ، دراسة وتعليق يسرى عبد الغني ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ،١٤٢٠هـ –١٩٩٩م ، ص ٦٥ .

٢٣ ظ: مفهوم الصراع الاجتماعي ، الف داهرندوف ، https://www.marefa.or 9

٢٤ ديوان الشاعر كثير عزة ، جمعه وشرحه د . احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، ١٣٩١هـ –١٩٧١م ، ص ١١٢

- نقعت : رويت ، يقال شربت حتى نقعت ، عجت : انتفعت

٢٥ ظ: الشعر في صدر الاسلام والاموي ، محمد مصطفى هدارة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة – مصر، ١٩٩٥م ، ص٢٦٢

٢٦ ديوان قيس بن الملوح ، ٣٠

٢٧ ظ: مفهوم العذرية بين إبداع الشاعر وخيال الراوي ، د . عدنان و حنين بدور ، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية ، مجلد ٣٦، العدد ٢٠١٤،٤م، ص٤٨.

٢٨ تاريخ الادب العربي في العصر الاسلامي ، د. شوقي ضيف ، ط٧ ، دار المعارف للنشر ، القاهرة – مصر ، ١٩٦٠م ، ص ٥٦ .

٢٩ ظ: الزهرة ، لأبي بكر محمد بن داود الأصفهاني (ت ٢٩٧هـ) ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي و د. نوري حمود القيسي ، ط٢ ، دار المنار للطباعة والنشر، الزرقاء –الأردن ، ١٤٠٦ هـ –١٩٨٥ م ، ص١٥٥

٣٠ ديوان جميل بن معمر ، ص ٨٩

٣١ ديوان الشاعر عروة بن حزام ، جمع وتحقيق وشرح انطوان محسن القول ، ط١ ، دار الجيل للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م . ص ٣٩

٣٢ الغزل العذري ، يحيى الجبوري ، ط ١ ، دار البشير للطباعة والنشر، عمان – الاردن ، ٢٠٠٥ م ، ص ٣٨.

٣٣ ديوان كثير عزة ، ص ١١٢ .

- الأقران : الأسباب يعني علائق المودة ، الحليل : الزوج
- عجت : انتفعت

٣٤ ظ : دروس في الادب الجاهلي و الاموي ، صالح مفقودة ، ج ١ ، شركة الهدى ، عين مليلة – الجزائر ، ٢٠٠٣ م، ص ٣٧/١ .

٣٥ ظ: التحليل النقدي و الجمالي للأدب ، عز الدين اسماعيل ، ط١ ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، ١٩٧٩م ، ص ٨٠-٨١

٣٦ ظ : مفهوم الصراع في الشعر العربي شعر الخوارج نموذجاً ، م.م. سعد صبار نمال ، مجلة جامعة الانبار للغات و الآداب ، العدد ١٨، ٢٠١٥م ، ص١٨٤

٣٧ العشاق الثلاثة ، ص ١٨٥

٣٨ م ن ، ص ١٧

٣٩ ديوان قيس بن ذريح ، ص ٥٨ .

- البوّ ، ولد الناقة الذكر

٤٠ ظ: صراعات الشعراء هل أثرت على مكانة الشعر وتلقيه؟ ، عبد الرحمن الخضيري ، http://www.alriyadh.com/

٤١ تحقيق الذات أوهام الرغبة والقدرة ، خيري منصور ، https://www.alquds.co.uk/

٤٢ ديوان جميل بثينة ، ص ٣٢

٤٣ الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري ، د. أحمد علي إبراهيم الفلاحي ، ط١ ، دار غيداء للنشر و التوزيع ، عمان – الاردن ، ١٤٣٤هـ– ٢٠١٣م ، ص ١٤٢.

٤٤ ديوان جميل بثينة ، ص ٢٥

٤٥ ظ: في الحب والحب العذري ، ٥

٤٦ الاغاني ، ٥/٥_٦

٤٧ الغزل الحجازي والحضري في العصر الاموي ، ص٥٠

٤٨ ديوان عروة بن حزام ، ص ٣٠

- الالايف : الاحباب

٤٩ ظ: اثر الشكوى في شعر ابي فراس الحمداني وتميم بن المعز لدين الله الفاطمي ، محمود سهيل عبد الله ، مجلة الآداب ، جامعة بغداد ، العدد ١٠٧ ، ٢٠١٤م ، ص ٢٠–٢١

٥٠ ظ: الحب والحب العذري ، ص ٣٢

٥١ ديوان جميل ، ص٦٧

٥٢ ديوان كثير عزة ، ص ٨١

٥٣ ظ: تأثر الادب الصوفي بالغزل العذري الحلاج ، أبن الفارض و البوصيري نموذجاً ، رسالة للطالبة رفيدة محمد طعمة القضاة ، بإشراف د. نجود عطا الله الحوامدة ، جامعة جرش الاهلية ، مدينة جرش – الاردن ، ٢٠١٦م ، ص ٥٠

٥٤ ديوان توبة بن الحمير ، ص ٥٣ .

٥٥ ظ: قصيدة الاداء الجمالي مأساة النرجس وملهاة الفضة نموذجاً ، ا.م رحمن غركان عبادي ، جامعة القادسية ، مجلة آداب البصرة ، العدد ٤٧ ، ٢٠٠٨م ، ص ١

٥٦ ديوان جميل بثينة ، ص٦٠

٥٧الشعر في حضرة اليمامة حتى نهاية العصر الاموي ، عبد الرحمن الدباسي ،ط١ ، كتبة الملك عبد العزيز العامة ، الرياض – المملكة العربية السعودية ،١٩٩٦م ، ص ٣٦٧– ٣٦٨

٥٨ ديوان توبة بن الحمير ، ٥٢ .

٥٩ ظ: الحجج المؤسسة لبنية الواقع في استعطاف شعراء العصر الأموي ، أ.م.د. إنصاف سلمان علوان و سجى حامد نعمة ، مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة بابل ، العدد٤١، ٢٠١٨م ، ص١٤

٦٠ أثر البواعث في تكوين الدلالة البيانية ، ص ٣٣

٦١ ظ: الدراما في الشعر –تقنيات التشكيل ومسرحة القصيدة ، د. م ريم محمد طيب الحفوظي ، ط١ ، دار الخليج للصحافة و النشر، عمان – الاردن ، ٢٠١٨م ، ص ٩٤ .

٦٢ اثر البواعث في تكوين الدلالة البيانية ، ص ٤٨ .

٦٣ ديوان يزيد بن الطثرية ، ص ٧٤ .

٦٤ ظ : الشعر العربي المعاصر ، ص ٣٤٧ .

٦٥ الاغتراب في شعر نازك الملائكة ، د. ساجدة عبد الكريم خلف التميمي ط١ ، دار غيداء للنشر و التوزيع ، عمان – الأردن ، ١٤٣٧هـ – ٢٠١٧م، ص ٥٠

٦٦ ديوان قيس بن ذريح ، ص ٤٧.

٦٧ ظ : صفوة الكتاب في اللغات و الآداب ، مجموعة بحوث جمعت بإشراف د. فوزية عساسلة ، ط١ ، دار خالد اللحياني للنشر و التوزيع ، عمان – الاردن ، ٢٠١٧م ، ص ٥٢.

٦٨ أصول الوعي الوظيفي ومستويات تحققه في الشعر العربي الحديث ، د. بتول أحمد جندية ، بدون طبع ، ٢٠١٧ م ، ص ٢٣٥.

سياسة الإمام علي "ع" واستشراف المستقبل– نظرةٌ في فكره القياديّ

أ.د. رحيم خريبط الساعدي
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

المقدمة:

إنّ استشراف الامام علي للمستقبل ونظراته الثاقبة لما سيحدث للأُمّة ، وما يحيق بها ، نابعٌ من إسلامه المبكّر وتنشئته مع رسول الله (ص) ، إذْ كان من عائلته ويرافقه دوماً ؛ ممّا أكسبه معرفة دقيقة بفكر الرسول الكريم ، وألهمه تلك الأفكار المتقدّمة في حينها إذْ تعدّ أفكار الامام علي (ع) سابقة لعصرها .فهو قد رافق النبي (ص) من أيّام دعوته السّريّة. وبعد نزول الوحي بالآية الكريمة : ((وأنذر عشيرتك الأقربين)) الشعراء / ٢١٤ . كان عليّ (ع) يقول: أنا أُواليك في الدنيا والآخرة. وكان الامام علي يهدف الى بناء شخصية الانسان ووضعه على الطريق الصحيح لينال السعادة في الدنيا والآخرة . يتضح ذلك من خلال المباشرة في توجيهه أو من خلال إيصاء الولاة والعمال بحكم ارتباطهم بالإمام من الناحية السياسية . والمتتبع لأقواله يجدْه قد أولى المستقبل الذي ينتظر الاجيال عناية خاصة.

وكان (ع) يحثّ الآباء على إيلاء الاولاد أهمية كبرى في التنشئة ويقول علموهم بحسب جيلهم لا جيلكم ، فإنهم وُلدوا لجيل غير جيلكم. وقد فرغ الامام علي إلى النظرة السامية للإنسان وانصرف – تماماً – عن أن الخلافة منصب تشريف، بل كان – من خلال سيرته – ينظر إليها على أنّها تكليف للنهوض بواقع أمة رسول الله والسير فيها بصلاح ، والمساواة بين الناس على أساس الحقوق والواجبات . والحضّ على القيم الانسانية والاخلاقية التي كان النبي (ص) قد دعا إليها وطبّقها في المسلمين .

وسلّط البحث الضوء على أنّ الامام علي (ع) كان يأمر عمّاله بالمساواة بين الناس، والنظر إلى المحسن نظرة مختلفة عن المسيء، فلكلّ معاملته الخاصة التي تتلاءم مع ما يقوم به من عمل. حتى لا يتمادى المسيء ولا ييأس المحسن من عدل الوالي. وهذه نظرة استشرافية لطريقة سياسة الملك ولكي يبقى الاصلاح والاخلاص في العمل ديدن الامة وشغلها الشاغل، فلا تكون الموالاة إلا بإحساس الرعية بالعدل

والانصاف . وهذا أمر إلهي ليس من منّة أحد وتفضّله على الناس وتجسيدا لقوله تعالى: ((إنّ اللهَ يأمرُ بالعدْلِ والإحسانِ وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلّكم تذكّرون)) النحل / ٩٠ . وكانَ يقرنَ ذلك بالتدبير بأنْ يدعو المسلمين ويأمرُ الولاة بالتفكير الدائم في شؤون المسلمين . وكان فوق هذا وذاك يطالب بحسن السيرة والالتزام بالخلُق العظيم الذي أمر الاسلام به ؛ حفظاً على نسيج المجتمع ولحمته المتماسكة . وقد أخذ الامام علي بسيرة المصطفى الكريم في الابقاء على مكارم الاخلاق إذْ نصّت الامثال العربية على أنّ السيّد لا يصلح للسيادة إلا أنْ يكون سخيّاً . فكان يقول : لا سيادة لمن لاسخاء له .وتطرّق البحث إلى أنّ مفهوم السيادة لدى الامام علي : الإدارة ، بمعنى إدارة الناس ، إذْ كان " ع " يدعو إلى استعمال الرفق مع الرعية والعدالة بين الناس وتحمّل الرعية . وألّا يحتجب الوالي عن الناس . أرجو أنْ أكونَ قد وفّقت في هذا البحث ، وأدعو الله سبحانه التوفيق والسداد للمسلمين جميعاً ، وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربّ العالمين .

سياسة الامام عليّ

السياسة في اللغة : مصدر ساس يسوس سياسة . فيقال : ساس الدابة أو الفرس : إذا قام على أمرها من العلف والسقي ، والترويض والتنظيف وغير ذلك . وقال شارح القاموس : ومن المجاز : سست الرعية سياسة : أمرتهم ونهيتهم . وساس الامر سياسة : قام به . والسياسة : القيام على الشيء بما يصلحه . ويقول ابن الطقطقي في معنى السياسة : ((هي رأس مال الملك ، وعليها التعويل في حقن الدماء وحفظ الأموال ، ومنع الشرور ، وقمع الدعّار والمفسدين والمنع من التظالم المؤدي إلى الفتنة والاضطراب))[١]

وتعرفها موسوعة العلوم السياسية الصادرة عن جامعة الكويت – نقلا عن معجم "روبير" – بأنها : فن إدارة المجتمعات الانسانية . وورد في معجم "كامل" : تتعلق السياسة بالحكم والادارة في المجتمع المدني .وتبعا لمعجم العلوم الاجتماعية تشير السياسة إلى : أفعال البشر التي تتصل بنشوب الصراع أو حسمه حول الصالح العام ، والذي يتضمن دائما : استخدام القوة ، أو النضال في سبيلها .ويذهب المعجم القانوني إلى أنها : أصول أو فن إدارة الشؤون العامة[٢] .

وهذه المفاهيم لا تبعد كثيرا عن المفهوم الشائع المتداول حالياً بأنها تعني : فنّ الممكن ، إذا ما تعلّق الامر بسياسة البلد ، فـ "السياسي" الناجح بالمفهوم الحديث هو الذي يحصل لشعبه على مكاسب اقتصادية واجتماعية وغيرها عن طريق علاقاته ومحاوراته وسفراته ويستطيع أن يجمع علاقات ايجابية من أجل اسعاد شعبه وجلب السعادة لهم .وفي كل هذا لا ينظر إلى كلمة " حقّ أو باطل " إنّما يُشرّع ذلك له ويُقبل منه . ولم ترد لفظة " سياسة " صريحة في القرآن الكريم ، إنّما وردت ألفظ مقاربة أو مشابهة لها ، كلفظة " الملك " فقد وردت على أنها ملكا محمودا يرضي الله تعالى ، بل هو الذي وهبه وأعطاه . قال تعالى : ((فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وأتيناهم ملكاً عظيماً)) [٣]

وقد وردت في مثل هذا الاستعمال عدة مرات في القرآن الكريم[٤] وقد وردت بمعنى الملك المذموم ، وأخذ فرعون المثال للطغيان والجبروت وصوّره القرآن الكريم على النحو الاتي : ((إنّ فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبّح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنّه كان من المفسدين))[٥] ويشبه عمل فرعون طغاة آخرون فهو من "المفسدين" ولفظة "التمكين" ولفظة "الاستخلاف" ولفظة "الحكم" [٦]

ومما ورد عن رسول الله (ص) أنّه قال : ((كانت بنو اسرائيل تسوسهم الانبياء))[٧]

وجاء في الموسوعة الكويتية في مادة " سياسة ": لعل أقدم نصّ وردت فيه كلمة " سياسة " بالمعنى المتعلق بالحكم هو قول عمرو بن العاص لأبي موسى الاشعري في وصف معاوية : إني وجدته ولي عثمان الخليفة المظلوم ، والطالب بدمه ، الحسن السياسة ، الحسن التدبير [٨].

ووردت بوصفها فعلا مضارعا منذ عهد عمر بن الخطاب ، إذ روى ابن أبي شيبة في مصنفه ، والحاكم في مستدركه عن المستظل بن حصين ، قال : خطبنا عمر بن الخطاب فقال : قد علمت – ورب الكعبة – متى تهلك العرب ! فقام إليه رجل من المسلمين ، فقال : متى يهلكون يا أمير المؤمنين ؟ فقال : حين يسوس أمرهم من لم يعالج أمر الجاهلية ، ولم يصحب الرسول. وكذلك رويت عن سيدنا علي رضي الله عنه : روى ابن أبي شيبة في مصنفه وابن الجعد في مسنده ، قال علي : يا أهل الكوفة ! والله لَتَجِدُنّ في

أمر الله ، ولتقاتلُنّ على طاعة الله ، أو ليسوسنّكم أقوام أنتم أقرب إلى الحق منهم ، فليعذبنّكم ثمّ ليعذبنّهم[٩]

وهذا الذي ورد – وإنْ بدا – أنّه يعطي معنى التعريف الاصطلاحي والتوجيه بأنّ القائم على السياسة يضع أمام عينه القيادة بشكلها العام الذي ينسجم ومبادئ الحق والعدالة وأنه يقوم بسياسة الامر بين المسلمين على وفق ما جاء في القرآن الكريم وسيرة الرسول الكريم (ص) .فإنّ فيه توجيها آخر يتمثّل في أمر القائم بالسياسة بأنْ يكون من المسلمين وأنْ يكونوا هم يقومون في طاعة الله ، فالرعيّة ينبغي أنْ تساعد نفسها بالورع والتقوى والهدي بالقرآن وبالرسول المصطفى " ص " لا أنْ تسير بسيرة أخرى يلجأ الحاكم لمقاتلتهم على طاعة الله – مثلما عبّر الامام علي – أو يأتي أقوام أبعد من المسلمين على طاعة الله وهديه ، وعندها يقع المحذور ويحلّ العذاب .وذهب باحث إلى أنّ قيادة الأُمّة – بعد رسول الله " ص " – بها حاجة إلى إيصاء منه " ص " ؛ ((لأنّ القيادة ضرورة اجتماعية ، والخلافة ضرورة حيويّة ، فيها يتحقّق الاستقرار والاطمئنان في المجتمع ، وبدونها يعمّ الفوضى والاضطراب . وأهمية القيادة وعظمتها تكمن في رجل القيادة وهو الخليفة))[١٠] وكان الباحث يردّ على سؤال سأله هو : هل أنّ النبي "ص" فارق الحياة ولم يعيّن خليفة لنفسه ؟ وحقيقة الأمر أنّ هذا السؤال وجوابه يندرج في الأُمور الحجاجيّة والمنطقيّة بعد الرسول الكريم "ص" ولا يندرج حول الامور التوقيفية وما يتعلّق بأمر الرسالة الخالدة ؛ إذْ لو صحّ المنطق هنا ، كيف يكون الأمر مع الخليفة الذي يلي الخليفة الأوّل الذي عيّنه رسول الله "ص"؟ هل يعيّنه الخليفة الأوّل أم يترك الأمر للمسلمين ؟ وما بال المسلمين اليوم من دون تعيين ولا خليفة أصلاً ؟! ولكنّ مناقشتنا أو اعتراضنا يزولان إذا علمنا أنّ المؤلّف لجأ إلى هذا التوجيه حين ناقش الآية الخاصة بالشورى في قوله تعالى : ((وشاورهم في الأمر)) [١١]

وذهب مع الفخر الرازي إلى أنّ الآية الكريمة لا ترتبط بالخلافة ، بل ترتبط بالأُمور التي لم يرد فيها نصّ من الله تعالى فهي عامّة للأُمور والقضايا الحيويّة ، فضلاً عن أنّ الفخر الرازي ذكر أنّ هذه الآية خاصّة

بالحرب فقط . أي أنّ الله تعالى أمر نبيّه الكريم بمشورة أصحابه في قضايا الحرب . واستدلّ الرازي بأنّ الالف واللام في " الأمر " للعهد والمعهود في هذه الآية هي الحرب ولقاء العدوّ(١٢)

فالنتيجة : إنّ هذه الاية أيضا لا ترتبط بالخلافة . ومع صرف النظر عن تفسير هاتين الآيتين فأنّ من المستحيل أنْ يأمر الله بالمشاورة في مسألة الخلافة ، لما ذكرنا من الآيات التي تؤكّد على أنّ تعيين الخليفة خاص بالله وحده ، ولما سبق من أنّ الانسان لا يصلح لذلك ؛ لأنّ المسألة فوق مستواه (١٣)

والمدقّق في كلام الإمام علي "ع" السابق في شأن السياسة يجده قد نظر الى المستقبل نظرة فاحصة ، فلا ينتظر المسلمون من يولّى عليهم إلى أجل غير مسمّى ، وبعد أنْ يطلعَ عليهم بما لا يحبّون أو يقوم بتغيير الأُمور ويضيع الحقوق وبعد ذاك يفكّرون في كيفية التخلّص منه ومن جوره ؛ لذا قال باحث في شأن الامام علي : ((وهبّ يعمل بكل ما يملك ، هبّ يعمل بقلبه ، بيده ، بالسليقة المستنيرة الملهمة ، الرأي المقنع الفصل ، والسلاح القاطع الساحق ..يدعو ليهدي ويعلم ، يقسو ليردع ويقوّم ...عالم من الجهاد مترامي الحدود والابعاد هو فيه الرقيق الحميم ، والاب الراعي ، والمعلم المرشد ، والحاكم المنصف والقدوة الطيبة الحسنة ، التي تحتذى دائماً ، يؤتسى بسيرها وسيرتها))(١٤) فضلاً عن البيعة إذْ لا يصحّ قيام الخليفة بالأمر إلّا بعد حصول البيعة ، وشدّد عليها الإمام بقوله : ((لأنّها بيعة واحدة لا يثنّى فيها النظر ولا يستأنف فيها الخيار، الخارج منها طاعن ، والمرَوِّي فيها مداهن))(١٥) قال هذا في كتاب له لمعاوية بن أبي سفيان .

المعارضة السياسية:

لا أُغالي إذا قلت إنّ الحاكم بأشكاله المختلفة سواء أكان حاكماً متسلّطاً أم " ديمقراطيّاً " وسواء أكان ملكاً أم رئيساً أو غير ذلك من أنواع الحكم ، لا يقبل المعارضة لحكمه ، بل هو " يتصور" أنّه على حقّ ومن يناوئه على باطل .وهذا الأمر لا ينطبق على زمن دون زمن أو دولة دون أُخرى ، بل هو اتجاه يسري دائماً ؛ لذلك وردت هذه الحقيقة في القرآن الكريم الذي عبّر عنه بتعبير غاية في الدقة والموضوعية بعد

أنْ وجّه الانظار إلى أنّ المُلْك يؤتى من الله إذْ قال تعالى : ((قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير))[١٦]

ومع هذا فقد وجد في البشرية القليل من الناس الذين زهدوا في الملك أو تنازلوا عنه ، ومن هؤلاء القلائل الامام علي بن أبي طالب ، فالثابت أنّه لم يطلب الخلافة نفسه ، بل جاءه المسلمون إلى بيته وطلبوا منه أنْ يكون خليفة على المسلمين ورفض وبعد أنْ ألحّوا عليه في الطلب اشترط شروطا لهذا الأمر . وحين رأى معارضين لحكمه حاورهم وسمع منه وأبى أنْ يعاقبهم ، وتجلّى هذا بوضوح مع الخوارج وقال فيهم قولته المشهورة : ((لا تقتلوا الخوارج بعدي ، فليس من طلب الحقّ فأخطأه ، كمن طلب الباطل فأدركه))[١٧]

وهذه كلمة غاية في إصابة الحقيقة ، فهدف الخوارج إحقاق الحقّ لكنّهم لم يكونوا على صواب في تصوّرهم وفي اجتهادهم .وكان "ع" يردّد في أنّ الخوارج " طلّاب حقّ ضلّوا " .وموقف الامام علي هنا ينطلق من انّه ينظر إلى الخوارج على أنّهم من الرعيّة . وموقف الامام علي منهم لا يختلف عن موقف من المسلمين الباقين ، ولهذا تراه في ردّه عليهم لم يتهمهم بالكفر – مع أنّهم اتهموه بالكفر ! – بل قال أنّهم طلبوا الحقّ . بل وصل الامر به " ع " أنّه أجاب من سأله : ((ما يكون أمر الذين يُقتلون في صفوف أعدائه منهم – إنْ كانت حرب – ؟)) بقوله : ((من قاتل وهو صادق النيّة في نصر الحق مبتغيا وجه الله ورضاه فمصيره مصير الشهداء)) وهذا الموقف والسلوك الدائم لا يُستغرب من رجل كان فدائيا للإسلام وقد نذر نفسه في سبيل الله ورسوله الامين ، فهو لايبتغي غير هذا ولايريد سواه ولا أقول ذلك – منفعلا – إنّما هي الموضوعية وقول الحقّ . وأتبع هذا النهج بنهج لايقل عنه أهمية ، وهو " الامن الفكري " ويتمثّل في أنّ الامام مان يدعو إلى القراءة من أيّ مصدر أتتْ إذْ ((لا يمكن تحقيق الامن الفكري بدون القراءة للآخر ومعرفة ما خفي على الانسان من علوم فبالعلم تبنى النفوس والامم وتنشأ الحضارات))[١٨]

ويمكن أن يكون هذا السلوك بمثابة ورقة عمل تُنتهج من أيّة حكومة تريد ابتغاء مرضاة الله والسير على الطريق القويم . ولا يعدّ موقف الامام من معارضيه بهذا الشكل فقط إنّما منحهم حقوقا كحقوق المسلمين الاخرين غير المعارضين لحكمه . فقد قال في حقّ الخوارج : ((لهم علينا ثلاث : أنْ لا نمنعهم المساجد أنْ يذكروا الله فيها ، وأنْ لا نمنعهم الفيء ما دامت أيديهم مع أيدينا ، وأنْ لا نقاتلهم حتى يقاتلونا))[١٩]

وهذه الحقوق الثلاثة كاملة غير منقوصة وليس فيها ما يضيّق عليهم ، بل هي مدعاة لهؤلاء ولغيرهم أنْ يدخلوا في صفّ المعارضة ، فلم يبق شيء يحرمون منه ! وقال باحث في توجيه صنيع الامام علي هذا : ((لقد استنفد مع جميع أخصامه جميع طرق الحوار المتكافئ ؛ لأنّه اعترف لهم بجميع حقوقهم خلاله فلم يعتد على أيّ منها)) [٢٠]

وإنّي إذْ ذكرت أشدّ المناوئين له ممّن حملوا السيف ضدّه ؛ لأُدلل على أنّه من باب أولى أنْ يمنح حقوق المعارضين له ممّن لم يحمل السيف ضدّه . وإذا كان موقفه من الخوارج بأنّهم كانوا أوّل الامر معه ثم انفصلوا عنه وعن معاوية ، فإنّه وقف الموقف نفسه من معاوية وجيشه ، فهؤلاء قد منعوا المسلمين من شرب الماء حين كانت السيطرة لهم على الماء لم يمنعهم من الماء حين آلت السيطرة له على الماء ، وفعل الامر نفسه مع أصحاب الجمل إذْ كان قادته يحظون بالمعالجة من الجروح . وكان هذا الصنيع يرافقه في كل مواقفه ، فهو قد نهى عن " بيع المضطرين " من المعارضين له تقيّدا بسنة المصطفى الكريم . وكانت أموال معارضيه تتمتّع بحماية السلطة مثل أموال من يوالونه تماما ((هذا ما حصل في موقعة الجمل وصفين وفي النهروان فكان المنتصرون من أصحابه يمرون على الذهب والفضة دون أن يكون لهم سبيل للحصول على شيء منه . وقد كان يساوي بين الذمّي والمسلم في حرمة الدم ويقول : ((دم المسلم كدم الذمي حرام)) وكان يقول لأحد ولاته : ((ولا تمسنّ مال أحد من الناس مصلٍّ أو معاهد))[٢١] إلى ما هنالك[٢٢]

وكان يقوم بكل ذلك تأسّياً واقتداء بسنّة الرسول الكريم (ص) . من دون أن يتبع ذلك بأذى أو منّة . بل هو منهج حياة وطريق عمل مستشرفاً في ذلك القابل من الايّام وكأنّه ينظر إلينا وإلى غيرنا بلحظ الغيب

وينظر إلى الاجيال القادمة بعين المستقبل ؛ لأنّه تنظر بإكبار إلى هذه الشخصيّة الفذّة التي ما انفكّت تحارب الظلم والمال الحرام . وإذا ما وجد غلظة من أحد معارضيه أو تمرّدا على سلطته لا يقابل ذلك بعنف ولا يتّخذ إجراء رادعاً في حقه ، بل يربط ذلك بانتهاك حقوق المسلمين الاخرين عنها سيطبق عليه حدّ الشريعة . وحصل مثل هذا مع ابن الكوّاء . ولا يقف الامر عند عدم الاعتداء على حقوق المناوئين ، بل يتعدّاه إلى إعطاء أتباع الاديان الاخرى من غير المسلمين إذا اعتراهم العجز أو دبّت فيهم الشيخوخة فلم يستطيعوا الكدّ والعمل لتوفير لقمة العيش . ولم يكن هذا الامر غريباً على رسول الله أو الشريعة الغرّاء ، فقد قال الله تعالى : ((وإنْ أحد من المشركين أستجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثمّ أبلغه مأمنه ذلك بأنّهم قوم لا يعلمون))[٢٣]

وهذه الآية دقيقة للغاية في مقاصدها وفي أهدافها بأنّ المشركين لا يعلمون وإذا ما سمعوا كلام الله قد يغيّروا ما كانوا عليه من عقيدة غير صحيحة ، وطلب من النبي أنْ يأمنه مأمنه وهذه قمّة الانسانية والمحافظة على كرامة الانسان . فضلا عن أنّ القرآن يعرض العلم ولا يخاف من الاخر ، بل يلقي بدلوه في خضم الافكار لقناعته بأنه الافضل وإذا ما سمعه الاخر سوف ينجرف إليه إذ يتماشى مع الفطرة السليمة مع الدعوة الدائمة لنشر الحكمة والموعظة الحسنة ؛ لذلك كان المصطفى الكريم يردّد الدعاء : ((ربي اغفر لقومي إنّهم لا يعلمون)) . وقد وردت لفظة السياسة عند الامام علي على النحو الآتي :

رأس السياسة استعمال الرفق[٢٤]

فضيلة الرياسة حسن السياسة[٢٥]

ملاك السياسة العدل[٢٦]

من حسنت سياسته دامت رئاسته [٢٧]

الاحتمال زين السياسة [٢٨]

من ساس نفسه أدرك السياسة[٢٩]

والمدقّق في كلمات الامام يجدها تصبّ في صالح الرعية ، ولم يكن في خلده " ع " أنْ يؤسّس إلى حكم أو بسط سلطان وإنّما كان معنيّاً بهموم الناس وما يكابدونه من مشقّة وعنت في سبيل كسب قوتهم أو في جهادهم ضدّ المنافقين والكفّار . ولم يشدّد على الناس بضرائب أو جبايات أو ما يرهقهم بأعباء لا يقدرون على تحمّلها ، بل كان رؤوفا برعيته ليّناً معهم ، ولطالما كان يرفق بهم ويعنى بحاجاتهم وهو الذي يدافع عنهم ويوزّع عليهم المؤونة ولاسيما الفقراء والمحتاجين منهم . والملاحظ على النقاط التي ذكرها الامام أنّها : فضائل نفسية وقيم خُلقيّة توجدها التربية الصالحة ، والرعاية الروحيّة ، فرأس السياسة هو استعمال الرفق وليس استعمال القوّة . وعندما تندمج السياسة بالفضائل تكون حصيلتها حسن السياسة . وملاك السياسة وأصلها وجذرها هو العدل . فبدون العدل تفقد السياسة معناها فتتحوّل من فن لادارة الناس إلى فن لتشريدهم وإبعادهم عمن يمارس السياسة . وكان لابد للسياسي من أن يتحمل أعباء عمله وأن يكون بمستوى المسؤولية في المشاق والصعاب ، وحتى تحمل الاذى والكلمات النابية ورشقات الشتائم والتهم ، وهذه طبيعة العمل فيهذا المضمار . ومثل هذه السياسة لا تحصل إلا عندما تكون نابعة من الأعماق الخيرة ، من مواطن الخير في الانسان من صفاته الحسنة وفضائله ومكرماته . أي بعد أن يمضي وقتا طويلا في إعداد نفسه وتمرينها وتدريبها على الاخلاق والفضائل وتهيئتها للقيام بدور كبير في الحياة العملية .فبالرفق والعفو تكون القدرة الحقيقية وبها سيسود على الآخرين وستكون له الشهرة بين الناس [٣٠] والناظر جيدا لهذه الخصال التي حدّدها الامام علي " ع " يجدها مطابقة لما يريده الناس من السياسي اليوم ، وهي تعطي مثالا واضحاً في مقدرة هذا الرجل الحصيف على استشراف المستقبل والنظر إليه بعين فاحصة . فضلا عن صلاحه لعصره ، وإذا أعطينا لأنفسنا الخيال نقول : إنّ هذا الرجل قد سبق عصره وكأنّه ادُّخر لعصره وللعصور التالية . ولا يحق لنا أنْ نقول أنّه وُجد لعصر غير عصره ، فعصره هو عصر الرسول الكريم وحاشا لله أنْ يضع الاشياء بغير نصابها الذي تستحقّه . فكثير من الامور المتعلقة باليتامى وما تقوم به الجمعيات الخيرية ودور الرعاية الاجتماعية في العالم ، كان الامام علي قد

منحها عناية بارزة وأهمية بالغة ، وكان ينظر بعين الواقع والمستقبل إلى كبار السن ويأمر بتعهدهم بالرعاية .

وكان يوصي الولاة بتخصيص الوقت له وبإعطاء المال لهم من بيت المال يقول : ((ثمّ الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم ، والمساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمنى " ذوي الاحتياجات الخاصة " فإن في هذه الطبقة قانعا ومعترا واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم ، واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلات صوافي الاسلام " الارض التي لم تؤخذ بحرب " في كل بلد ، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى ، وكلّ قد استُرعيتَ حقّه ، ولا يشغلنّك عنهم بَطَر ، فإنّك لا تعذر بتضييع التافه لإحكامك الكثير المهم .فلا تشخص همّك عنهم ، ولا تصعّر خدّك لهم ، وتفقّد أُمور من يصل إليك منهم ممّن تقتحمه العيون ، وتحقره الرجال ، ففرّغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع ، فليرفع إليك أُمورهم ، ثمّ اعمل فيهم بالإعذار إلى الله تعالى يوم تلقاه ، فإن هؤلاء من بين الرعيّة أحوج إلى الانصاف من غيرهم ، وكلّ فأعذر إلى الله في تأدية حقّه إليه))[٣١]

وهو في هذا الكتاب وغيره من الكتب التي بعث بها لولاته في مختلف الامصار الاسلامية يستقي مادته اللغوية من القرآن الكريم ، ففي هذا الكتاب أفاد من وصية لقمان الحكيم – وهو يعظ ابنه – فالموضوع واحد والطرقة مختلفة ، لقمان الحكيم يوصي ابنه وصية اجتماعية والامام علي يوصي الوالي وصية سياسية وكذلك يستقي مادته السياسية الشرعية – إن صح التعبير – من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف . وقد أوصى "ع" محمد بن أبي بكر برسالة بعثها إليه عندما ولّي مصر بـ ((واخفض لهم جناحك ، وألن له جانبك ، وأبسط لهم وجهك ، وآسِ بينهم في اللحظة والنظرة ، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم)) [٣٢]

وكان " ع " قد نهى عن الاحتجاب عن الرعية وأمر ولاته بتفقد الرعية والسؤال عنهم وحذّر من يأس الناس بالحاكم – إذا طال احتجابه عنهم – يقول : ((وأما بعد هذا ، فلا تطولنّ احتجابك عن رعيتك

...فما أسرع كفّ الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذْلك !، مع أنّ أكثر حاجات الناس إليك ما لا مؤونة فيه عليك من شكاة مظلمة ، أو طلب إنصاف في معاملة))[٣٣]

وحذّر ولاته أيضا من البطانة والخاصة المقرّبين من الوالي ، وأن لا يؤثرهم على الناس[٣٤] . وكان يريد منهم إبداء العذر للرعية – إن أحسوا جورا من الحاكم – يقول : ((وإن ظنت الرعية بك حيفا ، فأصحر لهم بعذرك ، وأعدل عنك عنك ظنونهم بإصحارك ، فإن في ذلك رياضة منك لنفسك ، ورفقا برعيتك . وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق))[٣٥]

وكان (ع) يعتمد على القرآن بقوّة ويطبّقه بشدة إذ يقول لعامله : ولا تدفعنّ صلحا دعاك إليه عدوّك لله فيه رضى ، فإن في الصلح دعة جنودك ، وراحة من همومك ، وأمنا لبلادك ، ولكن الحذر كل الحذر من عدوّك بعد صلحه ، فإن العدو ربما قارب ليتغفّل ، فخذ بالحزم ، واتهم في ذلك حسن الظن [٣٦]

وتراه يأخذ بالقرآن ونصّه الصريح بقوله تعالى: ((وإنْ جنحوا للسَّلم فاجنحْ لها وتوكّلْ على الله إنّه هو السميع العليم))[٣٧]

وبعد هذه الآية مباشرة قال تعالى: ((وإنْ يريدوا أنْ يخدعوك فإنّ حسبك الله هو الذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين)) [٣٨] فالآيتان معا تنصّان على الجنوح إلى السّلم . وإنْ غَدَر العدوّ فالله هو حسب النبيّ ؛ لذلك حذّر الإمام واليه – بعد أنْ يدخل في السلم – من كيد الخصم وأن لايكونَ مطمعاً لغدر عدوّه .فهو لايجتهد بعيدا عن القرآن وعن سنّة نبيّه الذي عقد صلح الحديبيّة في السنة السادسة من الهجرة ويومها ظنّ المسلمون أنّهم مغبونون في هذا الصلح ، ولكنّ الايّام كشفت عبقريّة الرسول الكريم "ص" واستشرافه المستقبل إذْ ارتاح المؤمنون من القتال وأُتيح لهم أنْ ينشروا الدين . ولمّا غدر المشركون الذين عقدوا الصلح معه (ص) نقض الرسول الكريم الصلح كلّه – بحسب الاتفاق بين الطرفين – . ومن الامور التي شدّد عليها الامام النهي عن سفك الدماء بغير الحق مقتفيا الاوامر الالهية التي تنكر هذا العمل وهي من كبائر الذنوب ، قال تعالى : ((من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد

في الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون))[٣٩]

وكان رسول الله (ص) لا يريد القتال ولا يحبّه وعندما نهب المشركون أموال المسلمين – بعد هجرتهم الى المدينة المنورة طالبه المسلمون بقتال المشركين واسترجاع حقوقهم ، فلم يرضَ (ص) إلّا بعد نزول الوحي بالآية التي سمحت له بالقتال وعندها حدثت معركة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة : ((أُذن للذين يقاتلون بأنّهم ظلموا وإنّ الله على نصرهم لقدير الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حقّ إلّا أنْ يقولوا ربّنا الله ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعض لَهّدّمتْ صوامعُ وبيعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يُذكر فيها اسم الله كثيرا ولَينصرنّ الله من ينصره إنّ الله لقويٌّ عزيزٌ)) [٤٠]

ولهذا جاء نهي الامام علي عن سفك الدماء ، ويردّ على الذين يقولون إنه (ع) تقاعس عن القتال حتّى أعطى لمن يعارضه الفرصة لانقضاض على المسلمين ، بل وصل الامر بهم أنْ يغدروا بالخلافة والتمكّن من قتله وهو يصلي في مسجد الكوفة . إذْ هو يُدرك حرمة الدم ، ويعلم أنّ القصاص لا يكون إلّا بعد ارتكاب الجناية . فما جاء ليحكم إنّما جاء ليقيم الحق والاصلاح في أُمة النبي الكريم "ص" وكان هذا السبيل نهجه الذي يسير عليه ويأمر ولاته بالسير في طريقه ، يقول : ((إياك والدماء وسفكها بغير حِلّها فإنّه ليس شيء أدعى لنقمة ، ولا أعظم لتبعة ، ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدّة من سفك الدماء بغير حقّها والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد ، فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة ، فلا تقوينّ سلطانك بسفك دم حرام ، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه ، بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد ؛ لأنّ فيه قَوَد البدن وإنِ ابتليت بخطأٍ وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بالعقوبة ، فإنّ في الوكزة " الضربة بجمع الكفّ " فما فوقها مقتلة ، فلا تطمحنّ بك نخوة سلطانك عن أنْ تؤدّي إلى أولياء المقتول حقّهم))[٤١]

ومع ما عُرف عن الامام بأنّه رجل حرب وبطل ميادين إلّا أنّه يوصي واليه بهذا الإيصاء فهل ((كان ذلك كاشفا عن عدم رعاية حقّ الإنسان في الحياة أم كان ناتجاً عن عقيدة راسخة بشرعيّة الجهاد؟))[٤٢]

نعم إنه يصدر عن عقيدة راسخة وما قاتل إلّا بالحقّ ورغبة منه لإظهار الحق والعدالة وجاءت معرفته بالقضاء وبالفتيا عموماً ؛ لأنّه كان ((المستشار الرئيس للقضايا والمسائل كافة التي تطرأ زمن حكم الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه ، ولمّا أصبح الامام خليفة أصبح يمارس القضاء بنفسه فضلا عن اختيار بعض الافراد الذين يرى فيهم المؤهلات الاساسية لتولي القضاء)) [٤٣]

وأنت إذْ ترى كم أنّ هذا الرجل الحكيم يضع الامور في موازينها الصحيحة . وهو ((يؤكّد وجوب أنْ يكون العقل والعلم توأمين))[٤٤] فهو إذْ يمنع السلطان من أنْ يأخذه سلطانه وغطرسته من الاستخفاف بدماء الناس وعدم دفع الديّة لأهل المقتول . ويمنعه من وكز الشخص ، فقد تقتل هذه الوكزة الطرف المقابل ! مثل الذي حدث مع النبي موسى "ع" عندما استغاثه الرجل من شيعته على عدوّه : ((ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوّه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدوّ مضلّ مبين)) فبعد إحساس النبي بأن ما قام به من عمل الشيطان ؛ لذا تعهّد في أنْ لا يكون ظهيرا للمجرمين بعد أن استغفر ربه فغفر له : ((قال ربّ إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم . قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين)) [٤٥]

فجاء تحذّير الامام من هذا العمل ابتداء حتى لا يتورّط الانسان بالأعمال الشيطانية . فكان يشدّد على مثل هذه الأعمال ويسدي النصائح للمسلمين ولولاته بالابتعاد عن أيّ عمل يودي إلى الهلاك وغضب الله تعالى ، بل ذهب الاسلام إلى أبعد من هذا حين عفا النبي الكريم "ص" عن المجرمين يوم دخل مكّة فاتحاً ومهدّماً الاصنام ؛ لمعرفته "ص" بحرمة الدم وأنّه ينبغي ألّا تبنى الدولة على الدماء ابتداء لأنّ ملكها سوف يزول ، وبذلك وضع دستوراً عظيما للأُمة ، وإذا عطّلتْه ولم تعملْ به فإنّ ملكها سوف يزول لا محالة ، ومن يتصفّح تاريخ الدول سيجد ذلك واضحاً جليّاً ، إذْ زالت دول ضخمة كان من المتوقّع لها أنْ تستمر ؛ لأنّها تمتلك مقوّمات البقاء إلّا أنّها اعتمدت ملكاً عضوضاً مبنيّاً على الدماء ، والظلم .

ومن ما مرّ يتبيّن للقارئ المتفحّص لما قاله الامام علي ، وما كتبه لعمّاله أو ولاته أو الوصايا التي تركها للأُمة أو لأبنائه ، وكان لا يترك شاردة ولا واردة إلا أعطاها حقّا من العناية فكان لا يرضى بأنْ تختلط النساء بالرجال وحين بلغه أنّ نساء المسلمين يزاحمْنَ العلوج في الاسواق وجّه بالمنع وشدّد على صون العرض(٤٦)

فإنّه كان (ع) يهدف إلى بناء الامّة بناء صحيحاً فيه سعادتها وفيه مرضات الله سبحانه وتعالى ، سواء أكان ذلك في عصره أم العصور اللاحقة ؛ لأنّه استشرف المستقبل من خلال مرافقته للرسول الكريم (ص). ومن خلال فهمه الحقيقي لما نزل من الذكر الحكيم ، فهو أعرف الناس بعد رسول الله "ص" بأسباب النزول ومقاصد الشريعة المقدّسة . والمدقّق أيضاً في كلامه يجده أبعد الناس حديثا عن نفسه إلّا إذا قصد حثّ الأُمة على القبول بنهجه وأنّه كان أرسخ الناس إيماناً وأقدمهم إسلاماً .ولم يسجّل التاريخ عنه أنّه طلب الملك لأبنائه أو أبناء عمومته أو المقرّبين منه قرابة دم . وإنّ استشراف المستقبل حاضر بين عينيه دوماً إذْ هو ينظر إلى الأُمة نظرة مستقبلية كأنّه يدّخر علمه وفضله إلى الأجيال القادمة لتحظى بفرصة مماثلة كتلك الفرصة التي حظيت بها الاجيال التي عاصرته . والحق إنّ الإنصاف والموضوعيّة تقضيان الإشادة بفضله كونه قائدا ملهماً أضحت سيرته ومنهجه مناراً للعصور جميعا ولأُولئك الطامحين الذين ينشدون العدالة والحرية وتحرّي الدقة والموضوعية في الوظائف وفي التعيينات . إنّه لا يختار إلّا من يراه كفؤا للمسؤولية وقادرا على كبح جماح نفسه وشهواته ، إذْ يقول : ((فولِّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسولك ولإمامك ، وأطهرهم جيباً ، وأفضلهم حلماً ممّن يبطئ عن الغضب ، ويستريح إلى العذر ، ويرأف بالضعفاء ، وينبو على الاقوياء ، وممّن لايثيره العنف ، ولا يقعد به الضعف))(٤٧)

وأنت ترى أنّه لا يكتفي باختيار ولاته وعمّاله ، بل يذهب إلى الامصار ، ويوصي ولاته وعمّاله باختيار الصالحين والاكفاء .وتراه لايكتفي بالإيصاء ، بل يلجأ إلى تعنيف عامله إذا عصى : ((أمّا بعد ، فقد

بلغني عنك أمرٌ ، إنْ كنت فعلته فقد أسخطت ربّك ، وعصيت إمامك ، وأخزيت أمانتك . بلغني أنك جرّدت الارض فأخذت ما تحت قدميك ، وأكلت ما تحت يديك ، فارفع إليّ حسابك))[٤٨]

فكره القيادي

ينبغي التنويه على أنّ المصطلحات الجديدة من مثل " الفكر " و " القيادة " بمفهومها الحديث " و " السياسة " وغيرها ممّا ورد في هذا البحث ، أو سيرد لا تعني بالضرورة فهم المسلمين الاوائل – زمن الامام علي نفسه – لها بالمقصود بها تماماً ، بل هي تقترب منها أو تغايرها إذ انتقلت من مفهموها اللغوي العام لها أو المقارب له . فهو (ع) يرى أنّ قيادة الأُمة تبعاً لهذا الامر يجب ألّا تخالف الشريعة الاسلامية ، ويجب أنْ يتساوى الناس في الحقوق والواجبات ، ولا فرق بين أسود وبي أبيض ، ولا فرق بين إنسان بين إنسان آخر على أساس الدين أو العرق ، وما إلى ذلك من التمييز العنصري الذي شهدته الأُمة في السابق ، والذي تشهده اليوم وتشهده أرقى الدول المدنية . وما ورد عن الامام علي في هذا الصدد قد يعني الادارة أو طريقة الادارة ، وهي ترتبط بالمجتمع وبالذي يدير المجتمع ، ولا أظنّ أنّ ما ذهب إليه باحث من أنّ الادارة تعني " الدائرة " فهذا الفهم غير دقيق ، فكل مفردة لها استعمالها الخاص . وقد ذهب الباحث الكريم إلى أنّ الادارة تنشأ بين جمع من الناس ، تربطهم روابط ، وكلما قويت هذه الروابط يسّرت على المدير إدارته وعمله . ومن دون مراعاة الروابط تلك تصبح الادارة أشبه ما تكون معادلة حسابية ؛ لذلك وجّهت انتقادات إلى المفكر الألماني " ماكس فيبر " عندما لم يهتم بالبيئة الاجتماعية التي تنشأ فيها الادارة ، فجاء نموذجه في " البيروقراطية " تنقصه الروابط الانسانية ، كذلك يؤخذ على (تيلر) اتجاهه إلى مكننة الانسان في المعمل [٤٩]

ثم ذكر هذا الباحث مفهوم الادارة عند أمير المؤمنين بشكل عام ، قد لاينطبق تماما والمفهوم الحديث السائد [٥٠] لكنه وضع يده على جملة من كلام الامام علي يمكن أنْ تدخل في موضوعنا وفي موضوع الادارة ، وهو حسن التدبير ، ومعناه : التفكير في دُبر الامور[٥١] أي النظر إلى عواقب الأُمور من سلبية وإيجابية . وهو بهذا المعنى ركيزة أساسية من ركائز الإدارة ؛ لأنّ الإدارة كمفهوم واسع هو التخطيط

لعمل ما ، وهو التحسّب من نتائجه قبل البدء به . ومن صفات المدير أنْ يضع الامور في أماكنها . وضرب أمثلة من كلام أمير المؤمنين في هذا الصدد :

- حسن التدبير ينمي قليل المال ، وسوء التدبير يُفني كثيرة [٥٢]
- لا فقر مع حسن التدبير[٥٣]
- حسن التدبير وتجنّب التبذير من حسن السياسة [٥٤]
- قوام العيش حسن التقدير وملاكه حسن التدبير[٥٥]
- ليس للّجوج تدبير[٥٦]
- سبب التدمير سوء التدبير[٥٧]

وأنت إذ ترى أنّ من هذه النصوص منها ما يدخل في شؤون العائلة ، ومنها ما يدخل في نظام الادارة ، ومنها ما يدخل في شؤون السياسة . قالها الامام في مواقف متفرّقة ، وهي بمجملها تمثّل ردّا على من يقول إنّ العرب لم يعرفوا الادارة – بحكم بيئتهم – والصحراء التي تكتنف هذه البيئه .

وكان الإمام يركّز على حسن التدبير ؛ لأنّه يعلم أنّ الأُمور بها حاجة إلى تخطيط ودراية ، ولا يكون الانفعال طريقاً لإدارة شؤون الناس والمجتمع والعائلة ؛ لذلك قال (ع): ((حسن التدبير هو أدلّ شيء على غزارة العقل))[٥٨]. والناظر في تاريخ الأُمم يجد أنّ من أفضل رجالها حكمة ونسائها ، هم الذين يدبّرون الأُمور ويشاورون الناس المحيطين بهم ؛ قال تعالى في شأن ملكة سبأ يخلّدها في مشورتها لملئها – بعد أنْ وردها كتاب النبي سليمان " ع " : ((قالت يا أيّها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون))[٥٩]

فهي تُشهد ملأها قبل أنْ تقطع في أمر ملكها ، وهذه غاية في التدبير والتأني والبعد عن الانفعال . إذا ما أبعدنا سوء الظنّ في أنّ لم تكن على الدراية والحكمة المطلوبتين للملك . كونها امرأة وقد تكون خائفة من تهديد النبي سليمان ، وهي – في حالة الخوف هذه – قد تحتاج لجمع الرأي والكلمة ، هذا لا يعوّل عليه بدليل أنّه لم تقطع أمراً إلّا بعد أنْ تُشهد ملأها . والذي يؤخذ من كلامه " ع " أنّه لايكف عن إسداء

النصيحة للمسلمين ، من أهه وأقاربه ومن بقية المسلمين ، وممّا يستوجب الوقوف عنده أنّه " ع " كان يطبّق ما يقوله أمام المسلمين تطبيقاً واضحاً جعله يختلف عن الحكّام المسلمين وغير المسلمين ، إذْ لا نعدم من هو عادل يخاف الله ، أو منْ كان عادلاً بالفطرة ويسير على مبادئ يحترمها مثل ملكة سبأ التي كانت تعبد آلهة غير الله . وليس شيء يدلّ على تطبيقه ما يقول أكثر من توجيه أبنائه بعدم الخوض في دماء المسلمين بعد أنْ ضربه الخارجي ابن ملجم فقد أوصى أنْ لايقتل ابن ملجم قبل ثبوت الجريمة التي تتحقّق بوفاته "ع": ((يابني عبد المطلب لا ألفيّنّكم تخوضون في دماء المسلمين خوضاً تقولون : قُتل أمير المؤمنين . ألا لا يقتلن بي إلا قاتلي ...انظروا إذا متّ من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ولا يمثّل بالرجل ... فإنّي سمعت رسول الله " ص " يقول : إيّاكم بالمثلة ولو بالكلب العقور[٦٠] . بعد أنْ قال لهم : إنْ أبقى حيّا فأنا وليّ دمي))[٦١]

وكان متواصلاً بفكرة أنْ لا يبدأ المسلم بقتال ، لكنّه – إنْ دُعيَ إلى مبارزة أجاب – يقول وهو يوصي ابنه الحسن "ع" : ((لا تدعونّ إلى مبارزة . وإنْ دعيت لها فأجب ، فإنّ الداعي باغٍ والباغي مصروع))[٦٢]

وتراه يوصي ابنه الحسن "ع" بالفقراء بقوله : ((واعلم أنّه لا غنى بك عن حسن الارتياد ، معبلاغك من الزاد ،فإن أصبت من أهل الفاقة من يحمل عنك زادك فيوافيك به في معادك فاغتنمه، فإنّ أمامك عقبة كؤودا لا يجاوزها إلّا أخفّ الناس حملاً ، فأجمل في الطلب ، وأحسن المكتسب، فربّ طلب جرّ إلى حرب))[٦٣]

وكان (ع) يضع الحكم أمام عينيه قبل أنْ ينفّذ من مثل قوله : أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة ..العفو زكاة الظفر ، وإذا سمحت له القوانين المعروفة بالحرب فهو يراعي كل جوانب الاخاء البشري من حنان ورقة ثمّ تجده يحزن حين ينتصر [٦٤]

والذي يتحصّل من كلامه "ع" أنّه شديد الحرص والتحرّج على تطبيق الشريعة الغرّاء والأخذ بسنّة النبي "ص" والتزامه الدقيق بأحاديث المصطفى المختار "ص" فيما يخصّ دمه هو ، فهل نتفاجأ إذا أفيناه يحرص على دماء المسلمين ويلتزم بتطبيقه ، إنّه لا يريد أكثر من إحقاق الحقّ والالتزام بالعقوبة على قدر

الجناية ، فهذه من خصال الجاهليّة التي محاها القرآن الكريم وطبّقها رسول الله " ص" مع أنّ قاتله إنّما اغتال الخلافة ولم يقتل رجلاً عاديّاً فهو رأس الدولة وحاكمها الشرعي المبايع بيعة واضحة من المسلمين .ومن كلامه أيضاً ((إشارة إلى ضرورة التحقّق من سبب الوفاة قبل إنزال العقوبة حيث يقول: ((إذا متّ من ضربته)) لأنّ الوفاة قد تحصل بسبب عامل آخر (كموت الفجاءة) وعندئذٍ يتغيّر نوع العقوبة ! ألا يذكرنا ذلك بكلّ ما يعتمده القضاء في ظلّ الانظمة "الديمقراطية" الحديثة في أيامنا هذه من أجل تقرير العقاب العادل !؟ [٦٥]

والذي يؤخذ من هذا أنّ الامام علي أراد أنْ يطبّق نظام الاسلام بشريعته الواضحة وأراد أنْ يلتزم بما سار فيه النبي "ص" في المسلمين من سيرة حسنة وأراد أنْ يعطي الانموذج الافضل لأهل البيت والتزامهم أمام المسلمين بآية التطهير ؛ كونه على رأس الأمّة المعصومين ، أراد أيضاً أنْ يعطي للأجيال دروساً وعبر تضيء طريقهم وتمهّد لهم الطريق أمام القدوة الحسنة لرسول الله "ص" ولأهل بيته الكرام الصالحين . وأراد أيضاً أنْ يعطي دروساً للحكام المسلمين الذين يأتون من بعده في الالتزام بشرعة الله سبحانه وتعالى ، فالدين كمل ونعمة الاسلام استقرّت في أذهان المسلمين ، وعرفوا الحقّ من الباطل ، وما عليهم إلّا التطبيق ، فلا يحتاجون إلى دساتير جديدة ولا يحتاجون النظر في دساتير الامم الاخرى ، فدينهم مرضي ونهج رسول الله باقٍ ، ولا حجّة لأحد بالزيغ عنه واتباع طريق الهوى أو المزاج .قال تعالى : ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً))[٦٦]

وأراد " ع " أيضاً أنْ يعطي دروساً للبشرية – بمختلف شرائعها واتجاهاتها – في الاخلاق وفي إدارة شؤون مجتمعاتها، ولو سأل سائل أنّى يتحقّق ذلك والمسلمون اليوم مغلوبون على أمرهم ؟ نعم إنّ المسلمين مأمورون بنشر الدعوة الاسلامية للمعمورة جمعاء ولا عذْر لهم في التقاعس وعلى الدعاة منهم – بوجه خاص – أنْ ينبروا لهذا العمل الجليل بالقدوة الصالحة – مثلما كان رسول الله "ص" يفعل ومثلما كان الامام علي يفعل ومثلما كان الصالحون من المسلمين يفعلون ذلك . فهو حين يوصي ولاته وعمّله بأخذ الحيطة مع الرعيّة وإنّهم يجب ألا يأخذوا الاموال وأنْ يمنعوا بطانتهم وذراريهم من التحصل غير المشروع

كان يطبّق الامر على نفسه فـ ((ذا ورد عله مال لم يبق منه شيئاً إلّا قسّمه ولم يترك في بيت المال منه إلّا ما يعجز عن قسمته في يومه ذلك ويقول : يا دنيا غرّي غيري ولم يكن يستأثر من الفيء بشيء ولا يخصّ به حميماً ولا قريباً ولا يخصّ بالولايات إلّا أهل الديانات والامانات))[٦٧]

وكان "ع" يرجع الحق إلى أصحابه والضياع إلى بيت المال إذْ يرى أنّ المسلمين أولى بها . إذْ حلّ الولاء للإسلام محلّ رابطة الدمّ والنسب ((فالتعصّب يجب أنْ يكون لما فيه صلاح الأمّة وعدم تهميش الاخر وهذه الانطلاقة تنبثق عندما يتمّ تجاوز أُطر التفاوت الطبقي وتطبيق ما وصّى به الدين الالهي))[٦٨]

ونجد من النصوص الكثيرة للإمام علي ما يعضّد هذا[٦٩]

فهو لا يرضى إلا بالقيم التى جاء بها الاسلام الحنيف وطبّقها الرسول الكريم "ص" .

الخاتمة:

يمكن إجمال النتائج التي توصّل إليها البحث بالآتي :

- إنّ الامام علي "ع " ينظر إلى السياسة على أنّها إعطاء كلّ ذي حقٍّ حقّه ، ولا ينظر إليها على أنّها فنّ الممكن .
- إنّ الامام كان يطبّق سنّة الرسول الكريم " ص " في مفاصل حياته حتّى لحظة استشهاده ، وكان ينطلق من هذه القدوة الحسنة حتّى مع أهله والمقرّبين منه .
- كان (ع) يتابع عمّاله ، ويضع المراقبين عليهم ، ولم يكتفِ بتعيينهم بعد الثقة الاوليّة بهم .
- وكان يحرص على تزويدهم بالكتب التي يدبّجها لهم ؛ من أجل تجديد العهد بهم ؛ ومن أجل وضعهم بالصورة المثلى لما يراه خدمة لمصلحة المسلمين .
- إنّه " ع " كان يتابع أُمور المسلمين ولا يفرّق بينهم ، بل يعامل أبناءه وأقاربه معاملة الرعايا من مختلف المذاهب والاديان .
- كان " ع " شديد الحرص على تطبيق الشريعة المحمديّة تطبيقاً عادلاً ، لا يقوم على الظنّ أو الحدس .

- إنّ النظرات التي أودعها في ولاته وإيصائه المسلمين عموماً تصلح أنْ تكون منهج عمل لهم مبنيٍّ على منهج القرآن الكريم والسنة النبويّة المطهّرة .
- إنّ ما قاله في إدارته لشؤون الدولة وشؤون ولاته أو عمال الدولة ، دليل عمل للأجيال اللاحقة لجيله (ع).
- إنّ تطبيقه للدين المحمّدي الحنيف ، يصلح ورقة عمل محكمة الصنعة ليومنا هذا من الممكن إفادة الحكام المسلمين والحكام من مختلف الأديان لكونها لاتتعارض مع الفطرة السليمة .
- إنّ نظراته الثاقبة في الامور كلّها ولاسيّما في إثبات الجرم بالدليل القطعي ، والتأكّد من الوفاة بسبب فعل الجاني ، من الرّقي المقرون بالذكاء الحاد ، الذي تسير عليه البشريّة اليوم أرقى الدول المتمدّنة لإعطاء الحكم الذي يتناسب وحجم الجريمة أو الضرر .
- لا يؤخذ بذنب البريء والاقتصار على الجاني فقط وبه يُقام القصاص .
- كان (ع) يدعو إلى التريّث في الامور والاخذ بحسن التدبير ، وينهى عن اللجوجة والتسرّع في كل شيء .
- كان يأمر المسلمين بعدم التبذير ، ويحذّر من الاسراف ، ويطالب بوضع الامور في مكانها الصحيح ، ولا سيّما فيمن يدير شؤون الناس أو العائلة .
- كان شديداً على ولاته بعدم التصرّف بمال المسلمين والتحرّج الشديد في هذا الامر .
- كان " ع " يحذّر ولاته من البطانة والمقرّبين على حساب الرعيّة .
-كان يأمر ولاته بالرفق بالرعيّة وينهاهم عن الغلظة والاحتجاب عن الناس .والنظر دائما بمصالحهم وشؤونهم .
-وكان "ع" يقبل بالمعارضة مادامت لاتهتضم حقوق المسلمين ، وكان لا يأخذ حقّ المعارضين ولايمنعهم من المساجد أو الفيء .

الهوامش:

(١) الفخري في الآداب السلطانية : ٢٠ .

(٢) مفهوم السياسة في القرآن والسنة . على الموقع الالكتروني : www.islamweb.net

(٣) النساء : ٥٤ .

(٤) ظ : يوسف : ١٠١ .، والبقرة : ٢٤٧ .، والبقرة : ٢٥١ . وغيرها من المواضع ، وكلها تدل على أمر الملك ، وما يشوبه من سياسة في الناس .

(٥) القصص : ٤ .

(٦) ظ في هذا : مفهوم السياسة في القرآن والسنة . على الموقع الالكتروني :www.islamweb.net

(٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري : رقم الحديث :٣٢٦٨ .

(٨) ظ :مفهوم السياسة في القرآن والسنة . على الموقع الالكتروني : www.islamweb.net.

(٩) ظ : م .ن .

(١٠) الامام علي خليفة رسول الله "ص" . محمد القزويني : ٣٣ .

(١١) آل عمران : بعض الآية : ١٥٩ .

(١٢) التفسير الكبير للرازي في تفسير الآية .

(١٣) الامام علي خليفة رسول الله :٣٢ .

(١٤) الامام علي بن أبي طالب (ع) ، عبد الفتاح عبد المقصود : المجلد الرابع ، الجزء السابع ص ١١٣ .

(١٥) نهج البلاغة : ٣٩٤ . و شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ١٤ / ٢٠ . وظ : رسائل الامام علي في نهج البلاغة دراسة حجاجية . د . رائد مجيد جبار : ١٢١ . وشرح حجاجياً ما جاء في هذا الكتاب .

(١٦) آل عمران : ٢٦ .

(١٧) نهج البلاغة : ١١٣ .

(١٨) الامن الفكري في نهج البلاغة . السيد نبيل الحسني : ١٨٨ .

(١٩) نهج البلاغة ١ / ١١٥ . وظ : الامام علي بن أبي طالب وحقوق الانسان . د.حسن الزين : ١٦ .

(٢٠) الامام علي بن أبي طالب وحقوق الانسان . د. حسن الزين : ١٧ .

(٢١) نهج البلاغة : ٤٤٨ .

(٢٢) الامام علي بن أبي طالب وحقوق الانسان . د. حسن الزين : ١٧ . وفيه : مسلم بدل : مصلّ .
(٢٣) التوبة : ٦ .
(٢٤) الغرر : ٤ / ٤٥ .
(٢٥) م .ن : ٤ / ٤٢٣ .
(٢٦) م .ن : ٦ / ١١٦ .
(٢٧) م .ن : ٥ / ٢٩٤ .
(٢٨) م .ن : ١/ ١٩٧ .
(٢٩) م .ن : ٥ / ٢٠٩.
(٣٠) الادارة و النظام الاداري عند الامام علي "ع" . د . محسن باقر الموسوي : ٢٦ – ٢٧ .
(٣١) نهج البلاغة: الكتاب : ٤٤٩ – ٤٤٦٠ . وظ : نهاية الارب : ٦ / ١٩ و أعيان الشيعة : ١ / ٥٤٥ – ٥٤٩ .
وظ : الامام علي "ع" الشخصية الاسلامية الخالدة عبد السلام كاظم الجعفري : ٨٧ .
(٣٢) نهج البلاغة : ٤٠٩ . وظ : المنطلقات الانسانية والاخلاقية في رسالة الامام علي "ع" إلى مالك الاشتر "ر" .د. خميس غربي حسين : ٢٤ .
(٣٣) نهج البلاغة : ٤٦١ .
(٣٤) م .ن : ٤٦١ .
(٣٥) م .ن : ٤٦٢ .
(٣٦) م .ن .وظ : الامام علي أمير المؤمنين الشخصية الاسلامية الخالدة : ٢٩٠ .
(٣٧) الانفال :٦١ .
(٣٨) الانفال : ٦٢ .
(٣٩) المائدة / ٣٢ .
(٤٠) الحج / ٣٩ .
(٤١) نهج البلاغة : ٤٦٣ ، وظ : الامام علي أمير المؤمنين الشخصية الاسلامية الخالدة : ٢٩٢ . وفي الكتاب الاخير أسماء الشروح التي تصدّت لعهد الامام علي لمالك الاشتر ، لأهميته ، ظ : ٢٩٥ .

(٤٢) حقوق الإنسان جدل النظرية وإشكالية الممارسة حقوق الانسان عند الامام علي "ع" انموذجا : د . محمد علي محمد رضا الحكيم : ٧١ .

(٤٣) القضاء في الاسلام . د.عطية مصطفى مشرفة : ١٠٥ – ١٠٦ . وظ : التنظيم الاجتماعي في فكر الامام علي (ع) دراسة تحليلية في ضوء نهج البلاغة : د . نضال عيسى النعيمي : ١٨٩ – ١٩٠ .

(٤٤) الارشاد في فكر الامام علي "ع" دراسة تحليلية لنهج البلاغة .د . نهاية جبر المحمداوي : ٦٤ .

(٤٥) القصص / ١٥ – ١٧ .

(٤٦) ظ : حقوق الانسان عند الامام علي بن أبي طالب . د . غسان السعد : ٢٥٠ – ٢٥١ .ونقل عن روايات كثيرة في هذا الصدد .

(٤٧) نهج البلاغة : ٤٥٤ .

(٤٨) نهج البلاغة : ٤٣٤ – ٤٣٥ .

(٤٩) الادارة والنظام الاداري عند الامام علي (ع): ٢٦ و ٥٤– ٥٥ .

(٥٠) م .ن : ٢١ ، ٦١ . وفي هذه الصفحات تكلم بأمور بعيدة عن الادارة .

(٥١) المفردات للراغب الاصفهاني : ١٦٥ .

(٥٢) الغرر : ٣ / ٣٨٧ .

(٥٣) م . ن : ٦ / ٤٣٧ .

(٥٤) م . ن : ٣ / ٣٨٥ .

(٥٥) م .ن : ٤ / ٥١٥ .

(٥٦) م .ن : ٥ / ٧٩ .

(٥٧) م .ن : ٤ / ١٢٦ .

(٥٨) م .ن : ٢ / ٤٢٩ .

(٥٩) النمل : ٣٢ .

(٦٠) نهج البلاغة : ٥١٢ .

(٦١) م .ن : ٤٥٩ .

(٦٢) نهج البلاغة : وظ :عليٌّ كما وصف نفسه . السيد طاهر عيسى درويش : ٢٩٤ .

(٦٣) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة . الشيخ محمد باقر المحمودي :٥ / ٥ .

(٦٤) ظ : الامام علي "ع" صوت العدالة الانسانية . جورج جرداق: ١٥١. وظ : موسوعة الامام علي"ع" . محمد جواد مغنية : ٢٤٨.

(٦٥) الإمام علي بن أبي طالب وحقوق الانسان : ١٤ .

(٦٦) المائدة ، بعض من الآية : ٣ .

(٦٧) الامام علي "ع" والقيم الانسانية . كوثر شاهين : ٢٨٦ . وأشارت إلى الآيات التي يتلوها إذا رأى خيانة من أحد عماله أو ولاته

(٦٨) الحاكمية في فكر الامام علي "ع" دراسة في ضوء الانساق الثقافية . عبد الامير دلّي عباس : ٥٨ – ٥٩ .

(٦٩) ظ : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ٧ / ١٠٩ – ١١٠ . وغير هذا الموضع مواضع كثيرة .

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم .

- الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي "ع" . د . محسن باقر الموسوي.مركز الغدير للدراسات الاسلامية .بيروت– لبنان . ط١ ١٩٩٨م .

- الإرشاد في فكر الإمام علي "ع" دراسة تحليلية لنهج البلاغة.د . نهاية جبر المحمداوي.مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية المقدّسة.كربلاء.ط١ ٢٠١٧م

- أعيان الشيعة . محسن الأمين العاملي.تحقيق وتخريج.حسن الأمين.دار التعارف.بيروت – لبنان.١٩٨٣م.

- الإمام علي بن أبي طالب.عبد الفتّاح عبد المقصود.الناشر.العتبة العلوية المقدّسة.دار الصفوة.بيروت.ط٢ ٢٠١٢م .

- الإمام علي بن أبي طالب "ع" وحقوق الانسان .د .حسن الزين .دار الفكر الحديث للطباعة والنشر .بيروت – لبنان . ط١ ٢٠١٣م .

- الإمام علي "ع" أمير المؤمنين الشخصية الاسلامية الخالدة .عبد السلام كاظم الجعفري . دار الغدير .قم المقدسة .ط١ ١٤٣٤ هـ .

- الإمام علي "ع" خليفة رسول الله "ص" .محمّد إبراهيم الموحّد القزويني .دار الثقلين .بيروت (د .ت) .

- الإمام علي "ع" صوت العدالة الانسانية .جورج جرداق.اختصره وحققه . حميد السنيد . مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت "ع" ط١ ١٤٢٤ هـ .

- الإمام علي "ع" في رؤية (النهج) و (رواية) التاريخ .د .ابراهيم بيضون . العتبة العلوية المقدسة . ط١ ٢٠١٢م
.الإمام علي "ع" والقيم الانسانية . كوثر شاهين . دار التعارف للمطبوعات . بيروت – لبنان . ٢٠٠٤م .
- الأمن الفكري في نهج البلاغة . السيد نبيل الحسني . إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة . العتبة الحسينية المقدسة . كربلاء . ط١ ٢٠١٥م .
- التفسير الكبيرأو مفاتيح الغيب . الفخر الرازي . دار الكتب العلمية . بيروت . ٢٠٠٤م
- التنظيم الإجتماعي في فكر الإمام علي "ع" دراسة تحليلية في ضوء نهج البلاغة . د .نضال عيسى النعيمي . إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة . العتبة الحسينية المقدسة. كربلاء.ط١ ٢٠١٧م .
- الحاكميّة في فكر الإمام علي "ع" دراسة في ضوء الانساق الثقافية . عبد الامير دلي مجباس . . إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة . العتبة الحسينية المقدسة . كربلاء . ط١ ٢٠١٦م .
- حقوق الانسان عند الإمام علي بن أبي طالب "ع" .د .غسان السعد. بغداد.ط٢ ٢٠٠٨م.
- رسائل الإمام علي "ع" في نهج البلاغة – دراسة جمالية . د. رائد مجيد جبار. . إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة . العتبة الحسينية المقدسة . كربلاء . ٢٠١٧م.
- علي "ع" كما وصف نفسه . السيد طاهر عيسى درويش . دار ومكتبة الهلال – دار البحار .بيروت . ط١ ٢٠٠٤م .
- الغرر وأثره في العقود في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة .محمد الامين الضرير .دار الجيل .بيروت – لبنان . ١٩٩٠م .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري . ابن حجر العسقلاني .دار الريان للتراث .١٩٨٦م .
- الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية . ابن الطقطقا . تحقيق عبد القادر محمد مايو . دار القلم العربي . بيروت . ط١ ١٩٩٧ م.
- حقوق الإنسان جدل النظرية وإشكالية الممارسة حقوق الانسان عند الامام علي "ع" انموذجا : د . محمد علي محمد رضا الحكيم . . إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة . العتبة الحسينية المقدسة . كربلاء .ط١ ٢٠١٧م.
- المكتبة الالكترونية .الموقع : www.islamweb.net
- المفردات في غريب القرآن . الراغب الاصفهاني . تحقيق صفوان عدنان الداودي . دار القلم . دمشق – بيروت . ط١ ١٤١٢هـ .
- المنطلقات الانسانية والاخلاقية في رسالة الامام علي "ع" إلى مالك الاشتر "رض" .أ.م.د. خميس غربي حسين . إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة . العتبة الحسينية المقدسة . كربلاء .ط١ ٢٠١٧م.

- موسوعة الإمام علي "ع" .محمد جواد مغنية . دار الجواد – دار التيار الجديد . بيروت – لبنان . ط١ ١٤١٤هـ .
- نهاية الأرب في فنون الأدب . شهاب الدين النويري . تحقيق مفيد قميحة وآخرين . دار الكتب العلمية .ط١ ٢٠٠٤م .
- نهج البلاغة . المختار من كلام أمير المؤمنين "ع" لجامعه الشريف الرضي .تحقيق السيد هاشم الميلاني . العتبة العلوية المقدسة . مكتبة الروضة الحيدرية . ٢٠١٠م .
- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة . الشيخ محمد باقر المحمودي . دار التعارف للمطبوعات . بيروت – لبنان . ط١ ١٩٧م .

التقابل والتضاد في خطاب الإمام الكاظم (ع)

أ.د. عبد الإله عبد الوهاب العرداوي

الباحث نور هاشم محمد

كلية التربية الأساسية/ جامعة الكوفة

المقدمة:

تعدُّ المقدرة الكلامية من السمات الأساسية التي يتمتع بها الكاتب ضمن الأطر التي تُتّخذ في عملية تحليل النصوص، و مما لا شك فيه إن عملية دراسة النصوص لا يمكن أن تتمَّ إلا من خلال توفر شروط الإبداع النصّي، و بحيث يطلق على النص أنه يمتلك زمام النجاح الأسلوبي، و إذا ما نظرنا إلى الخطاب الكاظمي (ع) نجده تتوفر فيه السمات الأسلوبية من التأثير الصوتي، و التناسق بين الدال و المدلول و من ثم المحتوى الدلالي، و نحن في بحثنا هذا نقتصر على جزء من المستوى الدلالي و هو (التضاد و التقابل) و بيان مكامن الجمالية النصّية التي من خلالها أبدع الإمام (ع) في عملية كتابة النصوص و حسن اختيار الألفاظ بما تحقق الدلالة المرجوة و المرسوم لها.

إن عملية بناء النصوص لا تتم إلا من خلال اتخاذ طريق الفن الصياغي، و لا يمكن لأي كاتب أن يسلك طريق التكوين الكلامي إلا أن حاكماً في الكلام، معطاء في رسم الصّور و طرق ذهن المتلقي بمفاتيح لا يمتلكها صاحب الخطاب العادي.

التناسب الدلالي القائم بين الدال والمدلول قائم على الترتيب اللفظي الأمثل و بما يحقق طرق الذهن عند المتلقي، بحيث تجعل هذه الألفاظ عمل التصور الذهني لدى المتلقي مستمرة و دائمة فضلاً عن المستويات الصوتية و ما تحققه في عملية الترديد الصوتي ما بين لفظة و ما تقابلها، بالتالي تصبح عملية تكوين الألفاظ و استعمالها ضمن الأطر التي تطلق عليها سمة الأسلوبية في مدى تحقيقها للنتائج المرسومة في الصياغة النصّية.

- التضاد و المقابلة:

يعد نسج العلاقات ضمن العمل الأدبي له القابلية في التأثير بشكل مميز و فاعل في بيان الدلالة و فاعليتها، ثم انتاجها بما يضمن خلق الصورة الأدبية للخطاب، ثم تعمل على تقريبه إلى فهم المتلقي و تجعله بارزاً في إطار صورة جميلة مشحونة بإيقاع صوتي له تأثير فاعل في السامع، ويعود هذا التأثير إلى حجم الدلالة المنتجة التي تعددت فيها الوحدات التعبيرية ضمن النسيج الشبكي للعلاقات داخل النص، و هذا كله يحصل ضمن إطار البنية السطحية ثم يكتشف بعد ذلك بالوصول إلى البنية العميقة للنص[١].

يمكن لهذه المعادلة الآنفة الذكر أن توجد في التضاد و المقابلة، و ذلك كون الضدّية تعمل على إضفاء عنصر التوتر الوجداني و فاعلية التأثير في النص الأدبي من خلال خلق شبكة مترابطة في العمل الأدبي و في النص الأدبي، بما يجعل من النص وحدة متكاملة متراصّة كالجسد الواحد، حيث تقوم التضادية النصية في خلق عنصر الإثارة بما يحرك النص بشكل كبير و فاعل .

مما لا شك فيه أن الميزة الإبداعية و الأسلوبية لهذين الفنّين هو الترابط الشديد بينهما من خلال رسم الأسلوبية المتبعة في كتابة النصوص و هذا ما دعته دراسة البلاغة ضمن المنهج الحداثوي حيث إنها ((علاقة تداعي المعاني))[٢]، و قد عدّها المنهج الحديث ((هو حدوث علاقة بين مدركين لاقترانهما في الذهن بحيث يستدعي تيار الشعور حضور كل منهما عند حضور الآخر))[٣].

فيمكن القول أن العلاقات التضادّية أو التقابلية تعطي النص القوة و التراص من خلال استناد الألفاظ بعضها إلى البعض الآخر؛ و ذلك من خلال خلق التأثر من هذا التضاد و التقابل[٤].

إن البنية التضادية و التقابلية تعطي الكاتب شحنة من الإمكانات الواسعة في خلق الدلالات، و هذا ما يمنح المعنى قوة و عمق، و قد لعبا هذان الفنان دوراً مهماً في الصياغة الأسلوبية ضمن النص الكاظمي (ع)، عملية كشف الدلالات التي يؤديها هذان الفنان بما يحقق العمل الأدبي الأمثل، فالإمام (ع) قدّم

نصوص رائعة يطغى فيها عنصر الإبداع و الحداثة الأسلوبية و إن كانت قديمة القول، لكنها تصلح لكل الأوقات و تحقق المطلوب في كل الأزمان.

أولا: التّضاد:

يعد التضاد من الفنون البلاغية المعتبرة، حيث تعددت تسمياته منها الطباق و منها التطبيق و منها التضاد[٥]، و يراد منه الجمع بين الشيء و ضده أي تقابل في المعنى المضاد[٦]، أو ايراد لفظين فيهما دلالة التضاد و الضدية في المعنى[٧] .

يحقق التضاد في العمل الأدبي دلالة فيها معنى واضح و ذلك كون التضاد له القابلية في اظهار المشاعر التي تطغى على النص مع شحنه، تحصل ضمن حركات ضدية لها علاقة بالموقف و الفكرة مع الوجدان الذي يدعو فيه منشئ النص و يؤكده بشكل أدبي[٨].

إن الألفاظ المتضادة لها الفاعلية في قوية النص و فاعليته و هذا متأتٍ من خلال الاختلاف المعنوي في البنيات التركيبية و هذا يعطي النص ايقاعاً فاعلاً و مؤثراً في البنية العامة للنص، كما له الأهمية الكبرى في تعظيم المعنى و تعضيده في ذهن السامع، و هذا مدعى في خلق التمتع و الجمالية الروحية في البنية التضادّية، و يمكن القول أن ((قيمة التضاد الأسلوبية تكمن في نظام العلاقات الذي يقيمه بين العنصرين المتقابلين، و على هذا قلن يكون له أي تأثير ما لم يتداع في توال لغوي، و بعبارة أخرى: فإن عمليات التضاد الأسلوبية تخلق بنية مثلها في ذلك بنية التقابلات المثمرة في اللغة))[٩].

إن بنية الأسلوب في التضاد قائمة على كسر المألوف و السائد، و ذلك كونه من الوسائل التي تعطي ميزة للعمل الأدبي عن العمل العادي، و كثرة الثنائيات في النص الذي يحمل صفة أدبية دليل على سمة الانسجام بين بنياته التركيبية مما يخلق عنصر الإيقاع و الفاعلية، و هذا يعطي للعمل الادبي الانفتاح الواسع و زيادة الفاعلية و الحركة الدلالية، و يمكن أن هذا النسق المتضاد له اسهامات في تكوين البنية الإبداعية، و علاوةً على ذلك لها القابلية في عملية تفكيك البنيات التركيبية ؛ للتفتيش في بنيتها العميقة، و إظهار مكامنها الجمالية[١٠].

إن الظاهرة التضادية قائمة على ولادة معنى يقابله معنى آخر مضاد له، و بنية ظاهرة تتستر وراءها بنية عميقة، و هذه الثنائية التضادّية تعد من الإركان المهمة في العمل البديعي، و لها تأثير واسع في البنية اللغوية المكونة للنص ، مما يجعل النص ضمن رؤية تحمل صفة الواقعية و الحتمية[١١].

و خلاصة القول هو ((تتبع الثنائيات الضدية من تمايز ظواهر في جسد النص، و من ثمّ تكرارها عدداً من المرّات، ثم انحلال هذه الظواهر و اختفائها بهذه الصفة يكتسب النص طبيعته الجدلية))[١٢].

و قد أدّى التضاد في نص الإمام (ع) الأبعاد الدلالية و اسهم في تكوين الملامح الأسلوبية بما يحقق وحدة المضمون و استقرار الهداف، فقد ورد عنه (ع) في فن التضاد قوله:

((اللهم و أقرّ بأوصيائه من أبناءه أئمة و حججاً و أدلة و سرجاً و أعلاماً و مناراً و أبراراً، و أدين بسرهم و جهرهم و ظاهرهم و باطنهم و حيّهم و ميتهم و شاهدهم و غائبهم لا شكّ في ذلك و لا ارتياب، و لا تحوّل عنهم و لا انقلاب))[١٣]

النص الكاظمي (ع) يضج بالألفاظ المتضادة في إضفاء عنصر الحيوية و النشاط الفكري للمتلقي، قد جاءت اللفاظ المتضادة في النص و هي (سرهم و جهرهم، ظاهرهم و باطنهم، حيهم و ميتهم، شاهدهم و غائبهم)، حيث قامت هذه الألفاظ التي تحمل الضدّية بإعطاء شحنة تفاعلية في النص و حيوية قوية؛ كي تجعل المتلقي في عملية كدٍّ ذهني و تواصل فكري مستمر بدون انقطاع، و أعطت الزخم الدلالي و الصور المتزاحمة المعبّرة عن كينونة الأئمة (ع) و ما يحملون من صفات متضادة و ليست متناقضة، و هذا ما يؤدي إلى الانتشار الموسيقي لمحور النص، ثم إن هذا التلاحم اللفظي من خلال الصورة المتضادة أضفى عنصر النغم الموسيقي الذي انتجته العبارات المتضادة و عملت على تكثيف المعاني و وضوح الدلالات حيث أنها ((تعد الصورة للكلمات من بين أكثر الأحداث الذهنية وضوحاً))[١٤].

و مما لا شك فيه أن الإمام (ع) أراد توصيل فكرة للمتلقي في كيفية المعرفة التي يتمتع بها الأئمة (عليهم السلام) و مما لا شك فيه أنه جزء منهم (ع) و هذه صورة رائعة و ابداعية يرسمها للمتلقي كون كلامه (ع) عن آبائه و اجداده و هو امتداد لهم و جزء منهم و صاحب الولاية للسامع في وقته، و هذا ينم عن

اسلوب رائع ينتهجه في الخطاب و ايصال الفكرة للمتلقي، و قد أعطى فن التضاد النظرة الشمولية في النص من خلال اظهار الشيء و ضده في التفاتة رائعة في تقديم المعنى ثم يدركه بالضدّية[١٥].

و قد كان الإمام (ع) مهتماً في ايراد الألفاظ المتضادة ضمن السياقات المطروحة و كون التضاد ((يقوي تصوير الحركة ، و التوتر فيه و يزيد جوانبها تدقيقاً))[١٦].

و في نص آخر يرسم الامام (ع) صورة تحمل الصفات المتضادة :

((اللهم فهم معولجي في شدّتي و رخائي و عافيتي و بلائي و نومي و يقظتي و ظعني و إقامتي و عسري و يسري و صباحي و مسائي و منقلبي و مثواي، اللهم فلا تخلني بهم من نعمتك و لا تقطع رجائي من رحمتك، و لا تفتنّي بإغلاق أبواب الأرزاق، و انسداد مسالكها، و افتح لي من لدنك فتحاً يسيراً، و اجعل لي من كل ضنك مخرجاً، و إلى كل سعة منجاً برحمتك يا أرحم الراحمين))[١٧]

النص الكاظمي (ع) يضج بالمتضادات التي تجعل من المتلقي في ديمومة نصّية و تكثيف دلالي، و تراكم الصور بشكل مستمر، فقد وردت اللفاظ المتضادة و هي (عافيتي و بلائي، نومي و يقظتي، ظعني و اقامتي، عسري و يسري، صباحي و مسائي، منقلبي و مثواي) و فقد جاءت متراصة مترادفة في تشكيل صوري رائع لترسم التقلب الذي يمر به المرء في كل الحالات و الصور، و لعل التوازي جعل من النص صورة متلاحمة مع تعدد الصور في أمر واحد، و إحداث النغم الموسيقى الحاصل من توارد هذه المتضادات، وإضفاء الحركة الدائمة و التي تجعل من المتلقي في شدٍ ذهني مستمر بمجرد أن يخرج من دائرة دلالية في لفظة حتى يدخل ضمن دائرة دلالية أخرى، و هذا كله أعطى النص العمق الدلالي الواضح و البعد الاستراتيجي في إصابة الهدف من حيث النتائج المرجوة من استعمال المتضادات النصية، ومن ثم أدخل المتلقي في العالم الخاص للنص حيث يعد هذا من الإبداعية النصية للمنشئ[١٨]، و هذا ما عمله الإمام (ع) في شحذ الطاقة الإيحائية للألفاظ المتضادة و صياغتها بشكل أمثل ضمن معطيات النص و رسمها بشكل متقن و سليم.

و في نص آخر حيث قال (ع):

((أنت الله لا إله إلا أنت قبل القبل و خالق القبل، أنت الله لا إله أنت بعد البعد و خالق البعد، أنت الله لا إله إلا أنت تمحو ما تشاء و تثبت و عنده أم الكتاب، أنت الله لا إله إلا أنت تمحو ما تشاء و تثبت و عنده أم الكتاب، أنت الله لا إله إلا أنت غاية كل شيء و وراثه، أنت الله لا إله إلا أنت لا يعزب عنك الدقيق و لا الجليل))[١٩]

النص الكاظمي (ع) فيه صورة جميلة للتضاد و رسم القدرة الإلهية للباري عز و جلّ في كيفية التحكم بالأعمال، و له الولاية سبحانه و تعالى في إثبات ما يريد أو يمحو ما يريد، فالألفاظ المتضادّة هي (قبل و بعد، تمحو و تثبت)، حيث أدّى هذا التوازي في المتضادات إلى خلق الإيقاع المنتظم بالإضافة إلى المعاني المتضادة تعمل على شد و جذب ذهن المتلقي في عملية تنبيه مستمر، مع الإيقاعية التي توفر الجمالية النصية و ذلك من خلال التكرار الذي حصل في النص، و هذا يعطي انطباعاً رائعاً في تنوع الدلالات و تقوية العلاقات الداخلية للنص مع إظهار القدرة الابداعية لمنشئ النص، و هذه السمة الدلالية في النص تصاحبها سمة صوتية و هذا ما يمكن أن نسميه التفاعلات الصوتية و الدلالية التي شغلت القدماء من البلاغيين و الذين وقفوا عندها تحت مسمى (الموازنات البلاغية)[٢٠].

و الناظر للنص بشكل متقن يرى أن الإمام (ع) أحكم الألفاظ المتضادة بالشكل السليم و الإبداعي، و رص المتضادات اللفظية بشكل يعطي انطباعاً لدى المتلقي على قدرة الكاتب في التحكم بالألفاظ بالشكل الذي يحبه و الذي تؤديه من المهام التي تُرسم لها، و لها انعكاسات صحيحة و ايجابية في نفسية السامع ، و التأثر واضح في سياقات النص بما يحقق الانسجام الواضح بين الأنساق اللفظية في النص.

و في نص آخر يقول (ع):

((اللهم ما فتحت لي من باب طاعةٍ فلا تغلقهُ عني أبداً و ما أغلقت عنّي من باب معصية فلا تفتحه عليّ أبداً اللهم ارزقني حلاوة الإيمان و طعم المغفرة و لذة الإسلام و برد العيش بعد الموت إنه لا يملك ذلك غيرك))[٢١]

النص الإبداعي للإمام (ع) توفرت فيه الملامح الأسلوبية من الألفاظ المتضادة و استعمالها بالشكل الذي يجعل من المتلقي في ثورة فكرية ما بين الفكر اللغوي و الفكر التوحيدي، و لعب التضاد الدور المهم في توسيع الدلالة و خلق العنصر الموسيقى الذي يعطى النص ايقاعاً مميزاً و رونقاً جميلاً ينعكس على الوحدة الموضوعية العامة للدلالة.

حيث وردت المتضادّات في النص في العبارات (فتحت و أغلقت)، و قد وظّفت الألفاظ المتضادة الدلالة المهمة التي تصب في القدرة الإلهية و تجليات الهيمنة الربانية في رسم و توضيح التجليات الحقة للباري عز و جل، و الملاحظ أن اسم الموصول (ما) قد أدى الدور الشمولي في النص و لم ينحصر ضمن دلالة عطاء واحد، و توظيف الدلالة الصحيحة في شمول العطاءات العامة للطالب من الباري عز و جل و بدون توقف من الزمان و المكان.

إن الدلالة التي رسمها الإمام (ع) في توظيف الدعاء بما يحقق النتائج المرجوة و المردود الإيجابي على كافة الصعد التي ترد في رسم المنهج السليم للمرء، و مهما يكن الإنسان لا يمكن له ديمومة الحاجات المادية و المعنوية دون رعاية الله سبحانه تعالى، فالتضاد أعطى الدلالة الواسعة في ادراك التزايد الدعائي و انصبابه في المردود الإيجابي للفرد الداعي[٢٢]، حيث أدى هذا الدور الإبداعي الذي رسمه الإمام (ع) في زيادة التلاحم الدلالي و توظيف الألفاظ بالشكل المثل مما لها من انعكاسات ايجابية في نفسية المؤمن الطالب للطاعة الصحيحة و الاتجاه السليم في رسم الحياة و تحقيق المكاسب في الآخرة.

و في نص آخر للإمام (ع) :

((من يكن ذا حيلة في نفسه أو حول يتقلّبه أو قوة في أمره بشيء سوى الله فإن حولي و قوّتي و كلّ حيلتي بالله الواحد الأحد الصّمد، الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد ، و كل ذي ملك فمملوك لله و كل قوي ضعيف عند قوة الله، و كل ذي عزّ فغالبه الله و كل ذي ملك فمملوك لله، ذلّ كلُّ عزيز لبطش الله، صغر كلُّ عظيم عند عظمة الله، خضع كلُّ جبّار عند سلطان الله و استظهرت و استطلت على كل عدوّ لي بتولّي الله، درأت في نحر كلّ عاد على الله))[٢٣]

ترد أحياناً الألفاظ المتضادة مختلفة بصفة اشتقاقية على نحو التبادل الموقعي مع اختلافها في الاشتقاق اللغوي، كما ورد في النص الكاظمي (ع) فقد وردت الألفاظ المتضادة و هي (قوي و ضعيف، ذلّ و عزيز، صغر و عظيم)، و قد أثار التضاد في النص عنصر الإثارة في نفسية المتلقي عبر استخدامه لمعانٍ مختلفة متعاكسة ؛ و ذلك من أجل تعميق المعنى ، ذلك كون ايراد المتضادات ضمن سياق واحد يعطي قوة في تصوير الحركة ، مع زيادة في التوتر يعطي الدقة في جميع جوانب النص[٢٤].

إن الاختلاف في المعنى أدّى إلى الحرز الدلالي مما أعطى المتلقي صور تطغى عليها البؤر النغمية و الإيقاعية و هذا ما جعل التضاد واضحاً و جلياً للسامع، و هذا ما دفع التناغم الصوتي و الدلالي في اضفاء عنصر التأكيد على قدرة الباري عز و جل في تسيير المقاصد وفق ما يريده عز و جل، و مما يبدو أن التضاد لا يحمل الصفة الخلافية، و انما ((هي آلية متنوعة في داخل النسق الواحد.... و من ثم يقع الجمال في التفاوت و الخلاف....اسلوباً يعبر عن حالات نفسية و موضوعية و متقابلة في تداعياتها الضدّية))[٢٥] مما يعطينا صورة واضحة من خلال زيادة العمق في ثنائياتها التضادّية[٢٦].

وردت صور أخرى رسمها الإمام (ع) في الثنائيات التضادية حيث قال:

((اللهم ان كل شيء لك و كل شيء بيدك و كل شيء اليك يصير و أنت على كل شيء قدير لا مانع لما أعطيت و لا معطي لما منعت و لا ميسر لما عسّرت و لا معقّب لما حكمت و لا ينفع ذا الجد و لا قوة إلا بك ما شئت كان و ما لم تشأ لم يكن))[٢٧]

النص الكاظمي (ع) يزخر بالمعادلة التضادّية بصفة واضحة و صريحة و كذلك بصفة اشتقاقية ، حيث وقع التضاد في (مانع و معطي، منعت و اعطيت) بصفة واضحة و متوازنة و كذلك بين (ميسّر و عسّرت) بصفة الاشتقاق بعدم الاتفاق في الوزن حيث يهدف هكذا نوع من التضاد إلى تعضيد و تعميق الدلالة بما يعطي النص رصانة لغوية و دلالية، وتحويل النص إلى مجموعة من الشبكات الثنائية التي تعطي للنص قوته، و هذه الشبكات المتنوعة في الدلالة النصية تحدث جدلاً ضمن العلاقات التي تعطي انطباعاً أكبر و اعمق من دلالاتها الضيقة ، ومن هذا المنطلق يمكن تشكيل الدلالات بكل اشكالها و

اختلافاتها، و بعد ذلك تؤدي هذه العلاقات إلى التظافر فيما بينها مشكلة وحدة دلالية مع رؤية واضحة في مدّ العلاقات التي تنبض بالحيوية و الانفعال[٢٨].

كذلك لعب التضاد في تعزيز الدور الايقاعي المقترن بالأحداث؛ و ذلك من خلال المتضادات الثنائية التي لعبتها في النص بشكل سليم، فعملية ولادة المعنى و فهمه لا يمكن اتمامه إلا من خلال التنوع في الألفاظ و اختلافها و لا يمكن أن يحدث ضمن المستويات العادية للكلام[٢٩].

و يمكن خلاصة القول أن الإمام (ع) حقق الملامح الأسلوبية من خلال استعمال التضاد ضمن نطاق لغوي محكم و بناء نسيج دلالي معمق، من خلال انتقال الألفاظ من الدلالات الواضحة ضمن البنية السطحية إلى الدلالات العميقة ضمن البنية العميقة، فنتج لنا خطاب يحمل الصفات العالية للمنهج الأسلوبي بكل المقاييس.

ثانيا: المقابلة:

يعد فن المقابلة من الفنون البلاغية التي تثري النص من الناحيتين اللغوية و الدلالية، حيث عدّها البلاغيون في تعريفهم ((هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب))[٣٠].

حيث لها القدرة في عملية تأدية المعاني من مختلف الجوانب، فتتقابل اللفاظ و اجمل بأخرى نظيرتها، بما يتحكم المثلية أو الضدّية، و يمكن عد المقابلة ضمن هذا النوع لها القدرة أن تكون مستوفاة للمعنى، و يمكن القول أن اللفاظ أو التراكيب المتقابلة هي التي لا يمكن لها أن تجتمع ضمن وجه واحد أو جهة واحدة[٣١]، حيث أنها متوافقين أو أكثر بما يقابلها من الضدّية[٣٢] ، فالأضداد لها القوة في تكوينها و كذلك بغير الأضداد[٣٣]، و مما تعدّدُ الأضداد لها الرتبة العليا و الموقع الأسمى[٣٤].

إن النظرة السائدة لدى علماء البلاغة و البديع هو أن بلاغة التقابل قائمة على كثرة المتقابلات، فكلما كانت الألفاظ المتقابلة كثيرة كانت صفتها البلاغية أعمق و أفضل[٣٥]، و لعل الباحثون في توافق حول النص الذي فيه تقابل و كيفية النظرة الحديثة التي تنظر إلى المقابلة ليس من باب الكثرة و إنما ما

جاءت من السليق و الطبعية و ليس من باب التصنع، فإذا جاءت من باب التكلف و التصنع كانت محل اضطراب و اشكال في النص الأسلوبي[٣٦] .

أعطى الإمام (ع) الأسلوب التقابلي الاهتمام الواضح من خلال ايراده في نصوصه ، حيث كانت النصوص الكاظمية (ع) تضج بلون التقابل البديعي، مما حدى بنا أن نقف ‘لى هذه النصوص وقفة باحث متأمل في الصياغة و التركيب.

فقد ورد عنه (ع) حيث قال:

((اللهم اني فقير اليك فارزقني بغير حساب انك ترزق من تشاء بغير حساب اللهم اني اسألك الطيبات من الرزق و ترك المنكرات و حبَّ المساكين و ان تتوب عليَّ اللهم اني اسألك بكرامتك التي انت اهلها ان تجاوز عن سوء ما عندي بحسن ما عندك يا الله وان تعطيني من جزيل عطائك افضل ما اعطيته احداً من عبادك))[٣٧]

لوحة فنية يرسمها الخطاب الكاظمي (ع) و توازن تركيبي ضمن التوزيع الأمثل و الصحيح للدوال اللغوية، فالنسيج اللغوي رسمه الأسلوب البلاغي الذي انتهجه منشيء النص مع الإبداع الواضح في كيفية الصياغة ، فقد جاءت التراكيب اللغوية المتقابلة (اني أسالك الطيبات من الرزق) ثم قابلتها عبارة (ترك المنكرات)،

(تجاوز عن سوء ما عندي) و قابلتها عبارة (بحسن ما عندك)، حيث أدت هذه التقابلات بين الألفاظ بحسن انسجامها و ذوبانها فيما بينها، ثم خلقت الدلالات المطلوبة و مقتضيات المقصد الذي أراده منشيء النص، فانتقال الدلالة من طرف إلى آخر عكسه تماماً يحدث طفرة فكرية لدى المتلقي و يجعله في كدٍّ ذهني لكي يتدارك حجم الدلالات التي أورها التقابل الحاصل في النص، فالقصدية التي انتهجها الإمام (ع) في كتابة خطابه يريد منه الزيادة في المعاني مع توفر عنصر الوضوح في الفكرة، و اعطاء النص فسحة من الرسوخ الروحي، حيث أن التقابل في المعنى يعطي تأكيداً له مع التصوير الأمثل مما يزيدها عمقاً في القصدية و الفهم[٣٨].

أعطى الفن التقابلي للنص النسج الإيقاعي الواضح و زاد جمالية التقابل السجع الوارد (طيبات ، منكرات) ، حيث أدى هذا النسج الشبكي إلى عملية التلاحم بالشكل الفني و الموضوعي بين معطياته التركيبية، مما اعطى النص تدرجاً موسيقياً يظهر في النص بشكل جلي، و هذا كله يصب في الدلالة و قوتها، بحيث الناظر للنص يراه وحدة موضوعية منسجمة بشكل رائع، كون هذا الانسجام النصي في أطر بلاغية و تركيبية ابداعية جعلت من النص :انه بارة واحدة في النسق و الاتساق، و هذه كله عن طريق المتضادات التركيبية، و ذلك كون الدلالات هي من صنعت هذا التأقلم اللغوي من خلال استدعائها للكلمات على صفة التشابه مرةً و على صفة التقابل مرةً أخرى، مما يعكس هذا الإيضاح التوارد الحاصل بين التراكيب ضمن الرسم المعنوي الواحد، حيث استطاعت الألفاظ في بسط سيطرتها و مقدرتها غلى روح المتلقي، و كان لهذا البسط الأثر الجمالي و اروحي البائن.

و في نص آخر وارد عنه (ع) حيث قال:

((اللهم اجعل اول هذا النهار صلاحاً و اوسطه نجاحاً و اخره فلاحاً و أسألك خير الدنيا و الآخرة اللهم لا تدع لي ذنباً الا غفرته و لا هماً الا فرّجته و لا ديناً الا قضيته و لا غائباً الا حفظته و اديته و لا مريضاً الا شفيته و عافيته و لا حاجة من حوائج الدنيا و الآخرة لك فيها رضى و لي فيها صلاح الا قضيتها.))[٣٩]

قام التقابل في رسم متوالي و هندسي رائع و مبدع ينم عن الفن الذي ينتهجه الكاتب في انشاء النص، حيث ورد التقابل في (اول هذا النهار صلاحاً) و (اوسطه نجاحا) و (آخره فلاحاً) و (أسألك خير الدنيا) و (خير الآخرة)، فهذه الصور أعطت النص الروعة التقنية و الفنية، مع الدلالة الواضحة التي تقرب الصور بشكل أمثل للتلقي، فهذا التقلب اللفظي في انتقال الألفاظ و دلالتها من أول النهار ثم أوسطه ثم آخره، يعطي انطباعاً لدى السامع على مدى التمكن الفني الذي يقصده المبدع، و كذلك دلالة المؤمن في ادراك الدنيا و الآخرة بالعمل الصالح الذي تكون عواقب أمور المؤمنين الصالحين بها سليمة، و مما لا شك فيه أن الإمام (ع) يتمتع بالولاية التكوينية في عصره و له العصمة الكاملة، و هذا لا يمنع من السير

في الحياة ضمن الطبيعة، فقد قصد الإمام (ع) من ايراد الدعاء أن يكون مؤثراً لدى السامع في طرق استعمال الدعاء، و من خلال استعمال الألفاظ التي لها الوقع المؤثر، فالتقابل الذي وقع في النص أعطى الدلالة الواضحة في ترابط دلالي واضح عبر التقلب الذي يكون فيه المؤمن في حياته اليومية، حيث أن التقابل يعطي تأكيداً واضحاً للمعنى مع التصوير الذهني الصحيح حتى تكون عميقة في الوقع الذهني و الفكري[٤٠]، علاوة على ذلك الفن السجعي و ما لعبه من دور في رسم الصورة الموسيقية و الخط الإيقاعي المبدع الذي خلقه النص، مما يعطي انطباع لدى المتلقي في كيفية رسم الألفاظ بالشكل المتقن و السليم من قبل الكاتب و على أتم وجه ضمن الأطر الأسلوبية الصحيحة.

كذلك ورد عن الإمام (ع) نصاً يحمل لون التقابل حيث قال:

((اللهم تم نورك فهديت و عظم حلمك فعفوت و بسطت يدك فأعطيت فلك الحمد وجهك خير الوجوه و عطيتك انفع العطيّة فلك الحمد مطاع ربّنا فتشكر و تعصى ربّنا فتغفر تجيب المضطر و تكشف الضر و تشفي السّقم و تنجي من الكرب العظيم لا تجزي بآلائك و لا يحصي نعمائك أحدٌ رحمتك وسعت كلّ شيء فارحمني و من الخيرات فارزقني))[٤١]

الخطاب الكاظمي (ع) ابداع في تكوينه و رسم صورة تقابلية رائدة في التركيب اللغوي و التآصر الدلالي، فقد ورد التقابل في (مطاع فتشكر) و (تعصى ربّنا فتغفر)، حيث أن هاتين العبارتين أعطتا النص الدلالة التقابلية القوية بما تحملاه معانٍ جليلة، و السياق التضادّي قد أعطى النص تعاضداً دلالياً أسهم في انتاج صورة متكاملة ضمن الملامح الأسلوبية، فقد أعطت الدلالة في بيان القدرة الإلهية في الإشفاق على بني البشر في حلمه سبحانه و تعالى، و صبره على العصيان الذي يرتكبه المرء، فالله سبحانه و تعالى صاحب المغفرة و القدرة و إليه تصير الأمور في السراء و الضراء، فقد أعطى النص الكاظمي (ع) الصورة الكاملة عن التعاضد الدلالي في بيان الحمد لله سبحانه و تعالى في كل الأحوال، فالله جل و علا ليس كما تصوره عقولنا عند رضانا نغفر و عند سخطنا ننتقم، و انما تجلت القدرة الربانية و العطف الرباني في غفران ذنوب الناس في أحنك المواقف التي يُعصى بها سبحانه و تعالى، فالأسلوب التقابلي

الذي صنعه النص لم ينم إلا عن صنعة حرفية في كيفية صياغة التراكيب الكلامية، و مقصدية واضحة في حصر المغفرة والعطاء بيده سبحانه و تعالى، و كذلك بيان القدرة المتجلية للذات الإلهية في التعامل مع بني البشر قاطبة من حيث رحمته و رأفته، لا من حيث محدودية عقولنا و ادراكنا، فالنص يمتلك الملامح الأسلوبية المتمثلة باللون التقابلي فكان كامل الصياغة، مفعم الدلالة، محط ذهن المتلقي، و عين بصيرة المنتقي للنصوص الرائعة من النصوص العادية.

و من نص له (ع) فيه اللون التقابلي:

((اللهم رضّني بقضائك حتى لا أحب تعجيل ما أخرت و لا اخير ما عجلت عليّ اللهم اعطني ما احببت و اجعله خيراً لي اللهم ما انسيتني فلا تنسني ذكرك و ما احببت فلا أحب معصيتك اللهم امكر لي و لا تمكر عليّ و أعني و لا تعن عليّ و انصرني و لا تنصر عليّ و اهدني و يسر لي الهدى على من ظلمني حتى أبلغ فيه ثأري))[٤٢]

أتقن الإمام موسى الكاظم (ع) الصنعة الكلامية و التركيبة اللفظية في دوال ذات معانٍ متجلية في عباراتها في تساوٍ بين اللفظ و المعنى، فقد ورد التقابل في تركيبات لغوية متعددة فضج النص بالتقابل اللفظي، فقد وردت التراكيب المتقابلة (تعجيل ما أخرت و لا تأخير ما عجلت) و (امكر لي و لا تمكر علي) و (أعنّي و لا تعن عليّ) و (انصرني و لا تنصر عليّ) ، حيث رسمت هذه المتقابلات اللفظية صورة في كيفية استعمال الدعاء بالشكل الذي يحقق المردود الإيجابي على الصعيدين الدنيوي و الأخروي، مما يعكس نصاً تضج فيه الدلالات المتنوعة التي لها الأثر في نفسية المتلقي، و هذا ما عكس حجم الجنس البلاغي في مدى قيمته الجمالية ((سواء في نظرية النص أو نظرية الأسلوب القائمة على النظرية الاتصالية، و لا يعني هنا بما تحدثه من أثر جمالي فحسب بل بما تسهم في تشكيل مضمون النص، و دلالته المتنوعة و التداعيات في أذهان المتلقي))[٤٣].

إن النص الكاظمي (ع) حقق المكاسب اللغوية و المردودات الإيجابية التي لها اثر في نفسية المتلقي، و اكتسب العلامات الإيجابية الحقّة التي تحكمه أن يطلق عليه نصاً أسلوبياً و ينتهج الفن الأسلوبي الذي

يعطي الدلالات الواضحة و المعاني الجليلة، و هذا كله من أجل إتقان النص بما يحقق المكاسب اللغوية المتناسبة ما بين اللفظ و المعنى حتى نطلق عليه نصاً متكاملاً من جميع النواحي و الصعد.

و في نص آخر من النصوص التي يتجلى فيها التقابل اللفظي ، حيث قال الإمام (ع):

((اللهم استر عوراتي و اجب دعواتي و احفظني من بين يدي و من خلفي و عن يميني و عن شمالي اللهم إن رفعتني فمن ذا الذي يضعني و إن تضعني فمن ذا الذي يرفعني اللهم لا تجعلني للبلاء عرضاً و لا للفتنة نصباً و لا تتبعني ببلاءٍ على إثر بلاء فقد ثرى ضعفي و قلّة حيلتي و تضرعي أعوذ بك من جميع غضبك فاعذني و استجير بك من جميع عذابك فاجرني و استنصرك على عدوي فانصرني و استعين بك فاعني و اتوكّل عليك فاكفني و استهديك فاهدني و استعصمك فاعصمني و استغفرك فاغفر لي و استرحمك فارحمني و استرزقك فارزقني سبحانك من ذا يعلم ما انت و لا يخافك و من يعرف قدرتك لا يهابك سبحانك ربنا))[٤٤]

أفعمت الدلالة في تأجيج النص و إظهار القدرات التكوينية النصية في خطاب الإمام الكاظم (ع)، فأسهم الإبداعي التركيبي في تكوين صورة موضوعية رائعة في كيفية نهج الدعاء و إظهار المكنونات البلاغية العالية، و التي لها انعكاس على ذهنية المتلقي، فالثنائيات التقابلية لها القابلية في تركيز الدلالات من خلال السياقات التركيبية التي تعطي النهج الواضح للمتلقي، و من ثم ادراك الفحوى الرسالي و التوسع في المفاهيم العامة للنص، و هكذا يمكن القول أنها ((تعتمد الكيفية التي يخرج بها النسق التركيبي في كشف العلاقات الدلالية و الانفتاح على المعاني المضيئة)) حيث عملت هذه التقابلات الثنائية على تأكيد المعنى و اقراره في النفوس.

فالنص وردت فيه المتقابلات اللفظية (إن رفعتني فمن ذا الذي يضعني) و (إن تضعني فمن ذا الذي يرفعني) في قضية الرفعة و الضعة فكلها بيد الباري عز و جل، فالله سبحانه و تعالى هو وحده له الشأن في رفعة اي كان و ضعة أيٍ كان، و هذه الصورة التقابلية أضفت دلالة تركيبية رائعة في صياغة نص

محكوم علية بالروعة و الرفعة، مع توفر التركيب التقابلي الثنائي يمتلك النص المساحة الجمالية، في توظيف أمثل لتصبح لغة مثالية.

في نهاية المطاف يمكن القول أن الخطاب الكاظمي (ع) قد أدرك الملامح الأسلوبية بشكل متقن و رصين، و وظّف الألفاظ ضمن الدلالة، بما يقتضي مقتضى الحال، و نسج الدوال بالشكل الذي يريده الدال، فانتج لنا بنيات تركيبية لها وجه ظاهرة لبنية سطحية و بنية عميقة يمكن ادراكها و الوصول إلى كنه دلالتها من خلال السياق و القرينة المتاحة في طيّات الخطاب، فكان حقّاً أن يقال عنه بأنه نصٌّ كامل من جميع الجوانب و النواحي اللغوية و الفنية و التصويرية و الدلالية.

النتائج:

بحمد الله سبحانه و تعالى أتممنا بحثنا في عرض المميزات الأسلوبية التي يتمتع بها النص الكاظمي (ع) و خلصنا إلى النتائج التالية:

١- شكّل الفن التضادّي العنصر الأساس في الخطاب الكاظمي (ع) من خلال بناء التراكيب بصورة فنية و نقل المتلقي إلى عالم التصور الفني مع الطرق المتكرر لذهنه من خلال التنقل بين الألفاظ المتضادّة دلالياً، و هذا يعطي انطباعاً لدى القارئ في مدى امكانية كاتب النص في التنقل الحر بين اللفظة و ضدّها و هذا ما يجعل المتلقي في ديمومة نصّية و استمرار دلالي يبين براعة الكاتب.

٢- أعطى فن التقابل بما تناولناه في النصوص المقتضبة من خطاب الإمام (ع) المميزات الأساسية في تكوين النصوص بالشكل الإبداعي الصحيح و بما يُطلق على النص السمة الإبداعية، و هذا لا يتأتّى من فراغ فكري، و إنما بما يحمله الكاتب من عناصر الإبداع بحيث يجعل من المتلقي في تواصل فكري و نصّي، و بالتالي تزداد المتعة في القراءة و الاستماع بشكل أكثر كلما كان المتلقي في وضعية الاستماع و المطاوعة للنص، و بالتالي تحقق الفنون البلاغية بصورها الدلالية النتائج المرجوة في نفسية المتلقي على الصعيد الدنيوي و الأخروي.

الهوامش:

(١) ينظر: بناء الأسلوب في شعر الحداثة، د. محمد عبد المطلب، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٥: ١٥١

(٢) تكوين البلاغة قراءة جديدة و منهج مقترح ، علي الفرج، دار المصطفى لإحياء التراث، قم المقدسة، مطبعة أمين، ط١: ٣٠٨

(٣) م.ن : ٣٠٩

(٤) ينظر: البلاغة الاصطلاحية، د. عبدة عبد العزيز قليقلة، دار الفكر العربي، القاهرة ، ١٩٩٢، ط٣: ٢٩٩

(٥) ينظر: (فنون بلاغية (البيانو البديع) ، أحمد مطلوب، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٧٥: ٢٦٩

(٦) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن احمد بن محمد الخطيب القزويني، وضع حواشيه، ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ٢٠٠٣، ط١: ٢٥٥

(٧) ينظر: كتاب البديع، ابن المعتز (٢٩١) ، ت عرفان مطرجي: ٤٨

(٨) ينظر: المقامات اللزومية ، دراسة أسلوبية- (رسالة ماجستير): ٢٢٢

(٩) علم الأسلوب مبادئه و اجراءاته، د. صلاح فضل ، دار الآفاق الجديدة ، ١٩٨٥، ط١ ، بيروت لبنان: ٢٥٦

(١٠) ينظر: الثنائيات الضدية، دراسات في الشعر العربي القديم، سمر الديوب، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، (د-ط)، ٢٠٠٩ : ٧

(١١) ينظر: أسلوبية الحجاج في نثر الإمام الحسين (ع) : ١٤٣

(١٢) جدلية الخفاء و التجلي (دراسات بنيوية للشعر)، كمال أبو ديب ، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٩، ط١: ١٠٩

(١٣) بلاغة الإمام الكاظم (ع) : ٢٤٧

(١٤) تشريح النقد، نورثروب فراي، ت . محمد عصفور، منشورات الجمعة الأردنية ،١٩٩١: ١١٧

(١٥) ينظر : نظرية علم النص (رؤية منهجية في بناء النص النثري) ، د. حسام أحمد فرج، الناشر مكتبة الآداب، القاهرة ، ٢٠٠٧: ١٤٣

(١٦) خصائص الأسلوب في الشوقيات ، محمد الهادي الطرابلسي، منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية التونسية، (د-ط)، ١٩٨١ : ١١٣

(١٧) بلاغة الإمام الكاظم (ع): ٢٤٨

(١٨) ينظر: المناجيات و أدعية الأيام (دراسة أسلوبية): ٦٠

(١٩) بلاغة الإمام الكاظم (ع): ٢٤٢

(٢٠) ينظر: تحليل الخطاب الشعري ، البنية الصوتية في الشعر، محمد العمري، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، الدار العالمية للكتاب، ١٩٩٠، ط١ :٢٢٧

(٢١) بلاغة الإمام الكاظم (ع): ٢٣٣

(٢٢) ينظر: البناء الأسلوبي في أدعية الأئمة المعصومين (عليهم السلام) في كتابي (مفاتيح الجنان) و (الباقيات الصالحات) للشيخ عباس القمي– دراسة نظرية و تطبيقية– احمد محمود احمد ، رسالة ماجستير، كلية الآداب ، جامعة البصرة، ٢٠١٠: ٣٣٨

(٢٣) بلاغة الإمام الكاظم (ع) :٢١٤

(٢٤) ينظر: خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي: ١١٣

(٢٥) التقابل الجمالي في النص القرآني (دراسة جمالية فكرية أسلوبية). د. حسين جمعة، دار الخير للطباعة و النشر و التوزيع، ٢٠٠٥ ، دمشق، سوريا، ط١: ١٦٣

(٢٦) ينظر: الاسلام و الادب ، محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢ : ١٥٨

(٢٧) بلاغة الإمام الكاظم (ع): ٢٣٢

(٢٨) ينظر: ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل ، عصام شرتح، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥ : ٦٤

(٢٩) ينظر: الخصائص الأسلوبية في أدعية الإمام علي (ع) في الصحيفة العلوية –اطروحة دكتوراه: ١٨٣

(٣٠) جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي: ٣٩٣

(٣١) ينظر: التعريفات ، الشريف الجرجاني: ١٩٨

(٣٢) ينظر: مفتاح العلوم : ٤٢٤

(٣٣) ينظر: بديع القرآن أو البرهان في إعجاز القرآن ، ابن أبي الأصبع المصري (٦٥٤) ت : د. احمد مطلوب و د. خديجة الحديثي ، مطبعة المجمع العلمي ، بغداد ، ١٤٢٦: ٥٦

(٣٤) ينظر، فن البديع ، د. عبد القادر حسين: ٤٩

(٣٥) ينظر: خزانة الأدب و غاية الإرب ، ابن حجة الحموي ، ت ، كوكب دياب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠١، ط٢:١/٢٩

(٣٦) ينظر: البديع في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (د-ط)، ١٩٩٩ :٣٧

(٣٧) مسند الإمام الكاظم (ع) ج٢: ٧٨

(٣٨) ينظر: وشى الربيع بألوان البديع ، د. عائشة حسين فريد ، دار قباء للنشر ، القاهرة ، مصر، ٢٠٠٠، ط١: ٣٣

(٣٩) مسند الإمام الكاظم (ع) ج٢ : ٧٩

(٤٠) ينظر: وشى الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية: ٣٥

(٤١) مسند الإمام الكاظم (ع) ج٢: ٧٩

(٤٢)مسند الإمام الكاظم (ع): ج٢/ ٨٠

(٤٣) علم لغة النص: المفاهيم و الاتجاهات، د. سعيد حسن البحيري، مؤسسة المختار للنشر ، ط١، ٢٠٠٤ : ٢٥

(٤٤) بلاغة الإمام الكاظم (ع): ٢٣١

المصادر والمراجع:

١. الاسلام و الادب ، محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢.

٢. أسلوبية الحجاج في نثر الإمام الحسين (ع) دراسة أسلوبية (رسالة ماجستير)، أحمد سميسم علاوي، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٦ .

٣. الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن احمد بن محمد الخطيب القزويني، وضع حواشيه، ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ٢٠٠٣، ط١ .

٤. بديع القرآن أو البرهان في إعجاز القرآن ، ابن أبي الأصبع المصري (٦٥٤) ت : د. احمد مطلوب و د. خديجة الحديثي ، مطبعة المجمع العلمي ، بغداد ، ١٤٢٦ .

٥. البديع في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (د-ط)، ١٩٩٩ .

٦. البلاغة الاصطلاحية، د. عبدة عبد العزيز قليقلة، دار الفكر العربي، القاهرة ، ١٩٩٢، ط٣ .

٧. بلاغة الإمام الكاظم (ع) ابو جعفر الكعبي ،دار الصفوة، بيروت ، لبنان .

٨. بناء الأسلوب في شعر الحداثة، د. محمد عبد المطلب، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٥

٩. البناء الأسلوبي في أدعية الأئمة المعصومين (عليهم السلام) في كتابي (مفاتيح الجنان) و (الباقيات الصالحات) للشيخ عباس القمي- دراسة نظرية و تطبيقية- احمد محمود احمد ، رسالة ماجستير، كلية الآداب ، جامعة البصرة، ٢٠١٠ .

١٠. تحليل الخطاب الشعري ، البنية الصوتية في الشعر، محمد العمري، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، الدار العالمية للكتاب، ١٩٩٠، ط١

١١. تشريح النقد، نورثروب فراي، ت . محمد عصفور، منشورات الجمعة الأردنية ،١٩٩١.

١٢. التعريفات ، الشريف الجرجاني علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (٨١٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣ .

١٣. التقابل الجمالي في النص القرآني (دراسة جمالية فكرية أسلوبية). د. حسين جمعة، دار الخير للطباعة و النشر و التوزيع، ٢٠٠٥ ، دمشق، سوريا، ط١: ١٦٣

١٤. تكوين البلاغة قراءة جديدة و منهج مقترح ، علي الفرج، دار المصطفى لإحياء التراث، قم المقدسة، مطبعة أمين، ط١

١٥. الثنائيات الضدية، دراسات في الشعر العربي القديم، سمر الديوب، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، (د–ط)، ٢٠٠٩

١٦. جدلية الخفاء و التجلي (دراسات بنيوية للشعر)، كمال أبو ديب ، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٩، ط١

١٧. جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي. احمد الهاشمي، ت احمد التونجي، مؤسسة المعارف للطباعة و النشر ، بيروت لبنان ، ٢٠٠٨، ط٤.

١٨. خزانة الأدب و غاية الإرب ، ابن حجة الحموي ، ت ، كوكب دياب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠١، ط٢

١٩. خصائص الأسلوب في الشوقيات ، محمد الهادي الطرابلسي، منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية التونسية، (د–ط)، ١٩٨١

٢٠. خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي ، منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية التونسية، (د–ط)، ١٩٨١ .

٢١. الخصائص الأسلوبية في أدعية الإمام علي (ع) في الصحيفة العلوية – (اطروحة دكتوراه)، محمد الجوراني، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١١.

٢٢. ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل ، عصام شرتح، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥ .

٢٣. علم الأسلوب مبادئه و اجراءاته، د. صلاح فضل ، دار الآفاق الجديدة ، ١٩٨٥، ط١ ، بيروت لبنان .

٢٤. علم لغة النص: المفاهيم و الاتجاهات، د. سعيد حسن البحيري، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، ط١، ٢٠٠٤ .

٢٥. فن البديع ، د. عبد القادر حسين دار الشروق، ط١، ١٩٨٣.
٢٦. فنون بلاغية (البيانو البديع) ، أحمد مطلوب، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٧٥ .
٢٧. كتاب البديع، ابن المعتز (٢٩١) ، ت عرفان مطرجي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت، لبنان،ط١، ٢٠١٢.
٢٨. مسند الإمام الكاظم (ع) ج٢ عزيز الله العطاردي، مطبعة دار الصفوة ، بيروت، لبنان، ٢٠١٢، نشر العتبة الكاظمية المقدسة.
٢٩. مفتاح العلوم . يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (٦٢٦هـ) ، ط١ ، اكرم عثمان عمر، مطبعة دار الرسالة بغداد ١٩٨٢.
٣٠. المقامات اللزومية ، لأبي طاهر محمد بن يوسف السرقسطي (ت٥٣٨) دراسة أسلوبية (رسالة ماجستير)، مي محسن عناد، كلية التربية بنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٥.
٣١. المناجيات و أدعية الأيام عند الإمام زين العابدين (عليه السلام) ، دراسة أسلوبية، ادريس طارق حسين (رسالة ماجستير) كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، ٢٠٠٦.
٣٢. نظرية علم النص (رؤية منهجية في بناء النص النثري) ، د. حسام أحمد فرج، الناشر مكتبة الآداب، القاهرة ، ٢٠٠٧.
٣٣. وشى الربيع بألوان البديع ، د. عائشة حسين فريد ، دار قباء للنشر و التوزيع، القاهرة ، مصر، ٢٠٠٠، ط١

الجموع في تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب للمشهدي (تـ ١١٢٥هـ)

أ.د. حيدر كريم الجمالي
الباحثة طيف فاضل صاحب
كلية التربية الأساسية/ جامعة الكوفة

المقدمة:

نتناول في هذا البحث الجموع في كتاب (كنز الدقائق وبحر الغرائب) للمشهدي تـ١١٢٥هـ ، حيث نتوقف عند تعريف الجموع لغة واصطلاحا ، ثم أهم أنواع الجموع ونتوقف عند رأي المشهدي في الآيات التي وردت بها الجموع وكيف كانت القراءة عنده وعند غيره ممن اتفق معهم أو اختلف من العلماء، فالمشهدي هو محمد بن محمد رضا إسماعيل بن جمال الدين القمي، سمي بذلك لأنه مشهدي المولد والمسكن، ولا يعلم له تاريخ مولد، أما وفاته فقد ذكرت له وفاتان: الأولى في منتصف القرن الحادي عشر، والثانية توفى بعد سنة (١١٠٧هـ) ، وذكر المحقق مجتبى العراقي، أنه توفى في حدود سنة (١١٢٥هـ)، وتتلمذ على يد طائفة من العلماء منهم المولى عبد عل بن جمعة الحويزي (ت١٠٥٣هـ)، والمولى محمد المحسن الفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ) ، والعلامة المولى محمد باقر بن محمد بن مقصود علي المجلسي (ت١١١١هـ). وقد أثنى عليه بعض العلماء منهم العلامة المجلسي (رحمة الله عليه)، والعالم الخوانساري حيث وصفه بالعالم الجليل، وهذا يدل على أن المشهدي احتل مكانة سامية بين العلماء ورفعة مشرفة بينهم بسبب تبحره بالعلوم والمعارف كافة.

واعتمد تفسير المشهدي أمهات التفاسير التي سبقته منها (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للسبزواري البيضاوي (ت٧٩١هـ)، وقد انتخب من أسلوب الطبري (ت٥٤٨هـ) في المجمع ترتيبه وتبويبه فضلا عن تفسير الكشَّاف للزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، وحواشي العلامة الشيخ البهائي. وجمع بين التفسير بالمأثور و التفسير بالرأي ،واعتنى المفسر بالأحكام الفقهية والشرعية، وذلك عن طريق عرضه للآيات القرآنية، ومن أهم السمات المميزة في التفسير هي تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة النبوية الشريفة وبأقوال الأئمة

المعصومين (عليهم السلام) وبالأبيات الشعرية، واهتم أيضا بالفنون البلاغية، لاسيما الاستعارة والتشبيه والكناية وغيرها، فضلا عن اهتمامه بالمباحث اللغوية: (الصوت والصرف والتركيب والدلالة)، واعتمد المشهدي مصادر متنوعة في تفسيره، وكان يُكثر النقل من علماء النحو، مُنهم: سيبويه والفراء والزجاج وغيرهم، فضلا عن نقله من بعض الكتب النحوية وكتب التفسير .

أ- الجمع لغة واصطلاحا:

الجمع لغة : ((الجمع مصدر جمعت الشيء جمعا ، والجمع أيضا: اسم لجماعة الناس))[١]، وقال ابن منظور: ((الجَمْع: اسم لجماعة الناس، والجَمْعُ: مصدر قولك جمَعْتُ الشَّيء. والجمْعُ: المجتمِعون، وجَمْعُه جُموع، والجَماعةُ والجَمِيع والمَجْمع والمَجْمَعةُ كلها كالجَمْع))[٢]

وعرفه أبو البقاء العكبري :((هو ضم الشيء إلى الشيء))[٣] ،أما الزبيدي فقال :((وهو ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض، يقال: جمعته فاجتمع))[٤].

أما اصطلاحا : ((هو مادل على أكثر من اثنين أو اثنتين بزيادة في آخره، أوبتغيير في بناء مفرده))[٥] فهو ((الاسم المرفوع للآحاد والمجمعة دالاً عليها دلالة تكرار الواحد بالعطف)) [٦]وهو قسمان سالم ومكسر.

ب- أنواع الجموع:

١- الجمع السالم أو مايسمى (بجمع التصحيح) : ((وهو الذي يسلم فيه بناء الواحد، وتزيد عليه واوًا ونونًا أوياء ونونًا ،نحو: مسلمين، ومسلمون، فسلمت في بناء مسلم، فلم تغير شيئًا من نضده وألحقته واوًا ونونا أو ياء ونونًا))[٧]، وهو قسمان :

أ- جمع المذكر السالم :هو ما ألحق بآخره واو مضموم ما قبلها ونون مفتوحة في حالة الرفع ، أو ياء مكسور ما قبلها ، ونون مفتوحة في حالتي النصب والجر ، مثل: (مُسْلِمُوْنَ) و (مُسْلِمِيْنَ).[٨]

ولا يجمع هذا الجمع إلا شيئان :

الأول: العلم لمذكرٍ عاقلٍ، بشرطِ خلوه من التاء ومن التركيب، مثل (أحمدَ) .

والثاني : الصفة لمذكرٍ عاقلٍ، بشرط أن تكون خالية من التاء، صالحة لدخولها، أو للدلالة على التفضيل، مثل (عالمٍ وكاتبٍ وأفضلَ وأكملَ).

ويُلحق بجمع المذكر السالم في إعرابه، ما وَرَد عن العرب مجموعاً هذا الجمع، غير مستوف للشروط وذلك مثلُ (أُولي، وأهلينَ، وعالَمينَ، ووابِلينَ ، وأرضين ، وبَنينَ، وعِشْرين إلى التسعين)، وكذلك (سِنين ، وعِضين ،وعِزين ،وثُبين، ومِئين، وكُرين ، وظُبين) ونحوهما[٩].

ب- جمعُ المؤنثِ السالم : ((هو هو ما جمع بألف وتاء، حال كونهما مزيدتين على مفرده، ليدلان على الجمع والتأنيث معا كالمسلمات العاقلات))[١٠]

وطُرد هذا الجمع في عشرة أشياء:

١-علم المؤنث كمريم ، ٢- ما ختم بتاء التأنيث كشجرةٍ، ٣- صفة المؤنث، مقرونة بالتاءِ كمرضعة ، ٤- صفة المذكر غير العاقل كجبل شاهقٍ ، ٥- المصدر المجاوز ثلاثة أحرف، غير المؤكد لفعله، ٦- مصغر مذكر ما لا يعقل ،٧- ما ختم بألف التأنيث الممدودة كصحراء ،٨- ما ختمَ بألف التأنيث المقصورة كذكرى ،٩- الاسم لغير العاقلِ، المصدر بابن أو ذي كابن آوى وبنات أوى، ١٠-كل اسمٍ أعجمي لم يعهد له جمع آخر كالتلغراف والتلفون وما عدا ما ذكر لا يجمع بالألف والتاء إلا سماعاً، و يلحق بهذا الجمع في إعرابه شيئانِ، الأول (أولاتٍ) ، بمعنى صاحباتٍ، والثاني ما سمي به من هذا الجمع، مثلُ (عَرفاتٍ وأذرعاتٍ)[١١] .

٢- الجمع المكسر أو ما يسمى (بجمع التكسير): فهو ما دل على أكثر من اثنين بتغيير صورة مفرده، تغييرا مقدرًا كفلك، بضم فسكون، للمفرد والجمْع، أو تغييرًا ظاهرًا، إما بالشكل فقط، كأسد جمع أَسد، وإما بالزيادة فقط، كصنوان في جمع صنو، وإما بالنقص فقط، كتخم في جمع تخمة، وإما بالشكل والزيادة، كرِجال في جمع رَجل ، وإما بالشكل والنقص، ككتب في جمع كتاب ، وإما بالثلاثة، كغلمان في جمع غلام [١٢].

وهذا الجمع عام في العقلاء وغيرهم، ذكورًا كانوا أو إناثًا، وأبنيته سبعة وعشرون، وينقسم على قسمين :

أ- جمع قلة : هو ما يطلق على ثلاثة فما فوقها إلى العشرة وأبنيته أربعة:

١ - أَفْعُلٌ، مثل: (أَكْلُبٌ)، ٢- وأَفْعَالٌ، مثل: (أَقْوَالٌ)، ٣- وأَفْعِلَةٌ، مثل: (أَعْوِنَةٌ)،٤ - وفِعْلَةٌ، مثل: (غِلْمَةٌ).[١٣]

ب-جمع الكثرة : ((هو ما يطلق على ما فوق العشرة إلى غير نهاية ، ويستعمل كل منهما في موضع الآخر مجازا))[١٤] وأبنيته أربعة وعشرون هي :

(فُعْل، فُعُل، فُعَل، فِعَل، فُعَلَة، فَعَلة، فَعْلَى، فِعَلَة، فُعَّل، فُعَّال، فِعَال، فُعُول، فِعْلان، فُعْلان فُعَلاء، أفْعِلاء، فوَاعِل، فعَائِل، فَعَالِي فَعَالَى،[١٥] والحادي والثاني والثالث والعشرون من أبنية الجموع، وهما: (فعالل وشبهه) والمقصود بشبهه ما كان من الجموع ثالثه ألف بعدها حرفان)[١٦].

والفرق بين الجمعين السالم والمكسر أربعة أشياء:

أحدها: أن جمع السلامة مختص بالعقلاء والتكسير لا يختص، والثاني: أنه يسلم فيه بناء المفرد ولا يسلم في التكسير، والثالث: أنه يعرب بالحروف وجمع التكسير بالحركات، والرابع: أن الفعل المسند إلى جمع السلامة لا يؤنث مع التكسير.[١٧]

وقد ورد عند المشهدي ما قرئ بالأفراد والجمع:

* في قوله تعالى : {كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ }[١٨]

قال المشهدي: ((﴿كَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾؛أي: كما حقت الربوبية لله أو إن الحق بعده الضلال، أو أنهم مصروفون عن الحق كذلك حقت كلمة الله وحكمه، وقرأ نافع وابن عامر(كلمات) هنا وفي آخر السورة)).[١٩]

- قَرأَ عاصم وحمزة والكسائي (كَلِمَةُ) بالإفْرَاد[٢٠]، وحجتهم إجماع الجمِيع على التوحيد فِي قوله تعالى :﴿ وتمت كلمة رَبك الْحسنى على بني إِسْرَائِيل﴾ [٢١]وقوله تعالى :﴿ وتمت كلمة رَبك لأملأن جَهَنَّم﴾[٢٢] فردوا ما اختلفوا فيه إلى ما أَجمعوا عليه[٢٣]، ووجه الإفراد: إرادة الجِنس؛ أي: الإفراد الذي يراد به الجمع وهو نظير: رسالته ورسالاته، وقولهم: قال زهير في كلمته؛ أي: قصيدته، وقال قس في كلمته ؛أي:

خطبته، فكذا مجموع القُرآن العظيم[٢٤]، ومعلوم انه أَراد بالكلمة الجملة المفيدة، واذا وقعت الكلمة على المفرد جاز ان يَقع الكلام على المفرد[٢٥] وإنما كتبت بالتاء ؛لأنها كتبت على اللفظ، بمنزلة قوله تعالى :﴿ وَمَعْصِيَتِ الرسول﴾[٢٦]، وقوله تعالى : ﴿فِطْرَتَ الله﴾ [٢٧] وشبهه ، والمعنى: أن الله سمى القرآن (كَلِمَةُ)، كما تقول العرب للقصيدة من الشعر يقولها الشاعر(هذه كلمة فلان) [٢٨]، وقيل : ((معنى كلمة ربك: حكمه ربك))[٢٩]، وقضاؤه[٣٠]، ووعيدة[٣١].

– وقرئ (كَلِمَاتُ) بالجمع[٣٢] وحجتهم في ذلك أنها مكتوبة في المصاحف بالتاء فدل ذلك على الجمع وعلى أن الألف التي قبل التاء اختصرت في المصحف، وأخرى أن الكلمات جاءت بعدها بلفظ الجمع، فقال (لَا يؤمنون) وفيها إجماع فكان الجمع في الأول أشبه بالصواب للتوفيق بينهما إذ كانا بمعنى واحد[٣٣] وقراءة الجمع ظاهرة؛ لأن كلماته تعالى متنوعة وكثيرة بالنسبة إلى الأمر، والنهي، والوعد، والوعيد وأراد بالكَلِمَاتُ: أمره ونهيه ووعده ووعيده، في الأمر والنهي[٣٤].

قال أبو علي الفارسي: ((من قرأ (كَلِمَةُ ربك) على الإفراد احتمل وجهين: يجوز أن يكون جعل ما أوعد به الفاسقون كلمة، وإن كانت في الحقيقة كلمات، لأنهم قد يسمون القصيدة والخطبة كلمة... ويجوز أن يكون كَلِمَةُ ربك التي يراد به الجنس، وقد أوقعت على بعض الجنس، كما أوقع الجنس على بعضه في قوله سبحانه تعالى: ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل﴾[٣٥] ، فأما من جمع فقال: (كَلِمَاتُ ربك)على الذين فسقوا فإنه جعل الكلم التي توعدوا بها كل كلمة منها كلمة، ثم جمع فقال: كلمات، وكلاهما وجه)).[٣٦]

أما ابن عاشور فقد قال : ((وقوله (كَلِمَة رَبِّكَ) قرأَه الجمهور – بصيغة الجمع– وقرَأَه ...(كَلِمَةُ)– بالإفراد– فقيل: المراد بِالكَلِمَاتِ أَوِ الكَلِمَةِ القرآن، وهو قول جمهور المفسرين، ونقل عن قتادة، وهو الأَظهر، المناسب لجعل الجملة معطوفة على جملة ما قبلها ، فأَما على قراءة الإفراد فإطلاق الكَلِمَةِ على القرآن بِاعتبار أَنّه كتاب من عند الله، فهو من كلامه وقوله، وَالْكَلِمَةُ وَالْكَلَامُ يترادفان، ويقول العرب: كَلِمَةُ زُهَيْرٍ، يعنون قصيدته، وقد أُطلق في القرآن (الْكَلِمَاتُ) على الكتب السماوية في قوله تعالى: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ

وَرَسُولِهِ النَّبِيءِ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِماتِهِ﴾[٣٧] ؛ أَي : كتبه، وأَما على قراءة الكَلِمَاتِ بالجمع فإطلاقها على القرآن باعتبار ما يشتمل عليه من الجمل والآيات، أَو باعتبار أَنواع أَغراضه من أَمر، ونهيٍ، وتبشير، وإنذار، ومواعظ، وإخبار، واحتجاج، وإرشاد، وغير ذلك، ومعنى تمامها أَن كل غرض جاء في القرآن فقد جاء وافيا بما يتطلبه القاصد منه، واستبعد ابن عطية أَن يكون الماد من (كَلِمَاتِ رَبِّكَ)- بِالْجَمْعِ أَوِ الْإِفْرَادِ- القرآن، واستظهر أَن المراد منها: قول اللَّه؛ أَي: نفذ قَوله وحكمه، وقريب منه ما أُثر عن ابن عباس أَنه قال: (كَلِمَاتُ اللَّهِ) وعده، وقيل: (كَلِمَاتُ اللَّهِ): أَمره ونهيه، ووعده، ووعيده، وفسر به في الكشاف ، وهو قريب من كلام ابن عطية، لكنَ السياق يشهد بأَن تفسير الكَلِمَاتِ بالقرآن أَظهر)).[٣٨]

وقال أيضا: ((المعنى واحد – في القراءتين – لأن كَلِمَةُ تطلق على مجموع الكلام كقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها﴾ [٣٩]، ولأن الجمع يكون باعتبار تعدد الكلمات أَو باعتبار تكرر الكلمة الواحدة بالنسبة لأناسٍ كثيرين))[٤٠] ، وهذاما ذهب إليه المشهدي إذ إنه ذكر القراءتين، ولم يرجح أحداهما على الأخرى.

*وفي قوله تعالى: {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ }[٤١]

قال المشهدي : ((﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ﴾: قيل : حوامل، شبه الريح التي جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر بالحامل، كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم، أو ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائح ، بمعنى المطيحات، في قوله: وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تطيح الطوائح ،وقرئ (وأرسلنا الرِّيحَ) على تأويل الجنس)).[٤٢]

– قرأ الجمهور(الرِّيَاحَ) على الجمع، وهو ملائم لما بعده لفظًا ومعنى[٤٣]؛ لأنها موصوفة بالجمع وهو قوله: لواقح، فقال عز وجل (لَوَاقِح) وَلم يقل لاقحا[٤٤] ، ووجه القراءة هاهنا ؛نظرا لاختلاف أنواع الرياح في هبوبها: جنوبا، وشمالا، وصبا، ودبورا، وفي أوصافها: حارة، وباردة. [٤٥]

– وقُرئ (الرِّيحَ) على الأفراد، وهو اسم جنس يصدق على القليل والكثير[٤٦]، فهي في معنى الجمع أيضًا وأن كان لفظها لفظ الواحد؛ لأنه يقال: جاءت الريح من كل جانب، كما يقال: أرض سباسب، وثوب أخلاق، وكذلك تفعل العرب في كل شيء إتسع[٤٧]، ومنه قول الشاعر :

جاء الشتاءُ وقمِيصِي أخلاقْ شراذمٌ يضحكُ مِنْه التَّواقْ [٤٨]

وقال الفراء : ((فمن قَالَ (الرِّيحَ لَوَاقِحَ) فجمع اللواقحَ والريحُ واحدة ؛ لأن الرِّيحَ في معنى جَمع ألا ترى أنك تَقُولُ: جاءت الريح من كل مكان، فقيل: لواقح لذلك، كما قيل: تركته فِي أرض أغفال وسَبَاسب ، ...وثوب أخلاق...وأمّا من قال (الرِّيَاحَ لواقح) فهو بَيّن، ولكن يُقال: إنَّما الرِّيحَ مُلَقِحة تُلْقِح الشجر))[٤٩].

أما النحاس فرد على ذلك وقال :((وهذا عند أبي حاتم لحن؛ لأن الرِّيحَ واحدة فلا تنعت بجمع ،قال أبو حاتم: يقبح أن يقال: الرِّيحَ لواقح، قال وأما قولهم: اليمين الفاجرة تدع الدار بلاقع، فإنّما يعنون بالدار البلد كما قال عزّ وتعالى: ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ ﴾[٥٠] وقال أيضا : هذا الذي قاله أبو حاتم في قبح هذا غلط بين، وقد قال الله جل وعز: ﴿وَالْمَلَكُ عَلى أَرْجائِها﴾[٥١] يعني الملائكة لا اختلاف بين أهل العلم في ذلك، وكذا الريح بمعنى الرياح، وقال سيبويه: وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وحكى الفراء في مثل هذا جاءت الريح من كلّ مكان يعني الرياح)).[٥٢]

وقال أبو عبيد :((لاأعرف لذلك وجها ،إلا ان يريد أن الريح تأتي مختلفة من كل وجه ،فكانت بمنزلة الرِّيَاحَ ، وحكى الكسائي أرض اغفال وأرض سباسب ، قال المبرد: يجوز ذلك على بعد، أن يجعل الريح جنساً، وليس بجيد ؛لأن الرياح ينفصل بعضها عن بعض بمعرفة كل واحدة ،وليست كذلك الأرض لأنها بساط واحد)).[٥٣]

وهناك من وجه القراءتين دلاليا، فالرياح بصيغة الجمع هي دلالة عن خير، فهي تأتي في الرحمة والنعم ، مثل قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الذي يُرْسِلُ الرياح بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾[٥٤] أما إذا أفرد وجاء بكلمة (رِّيحَ) فهي أكثر ما تقع للعذاب والعقوبات [٥٥]، مثل قوله سبحانه: ﴿ وَأَمَا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾.[٥٦]

وعلل ابن عاشور القراءتين وقال :((وجمع الرِّيَاحَ لما شاع في استعمالهم من إطلاقها بصيغة الجمع على ريح البشارة بالمطر؛ لأن الرياح التي تثير السحاب هي الرياح المختلفة جهات هبوبها بين: جنوب وشمال وصبا ودبور، بخلاف اسم الرِّيحِ المفردة فإنه غلب في الاستعمال إطلاقه على ريح القوة والشدة ؛لأنها تتصل واردة من صوب واحد فلا تزال تشتد))[٥٧].

ذكر المشهدي القراءتين ، ولكنه فضل قراءة الجمع على الأفراد ؛ لأنها أكثر تناسبا مع معنى الآية ؛ لأن غالبا ما تأتي ب الرِّيَاحَ صيغة الجمع للدلالة على الخير والرحمة ، و الرِّيحَ بالأفراد يدل على العذاب وسوء المنقلب، وفي هذه الآية دلالة على الخير والنعم لذلك فضل قراءة الجمع ، وذهب الطوسي إلى أن الأفراد يُراد منه الجمع، وهذا وجه قراءة ابن كثير؛لأنه أفرد (الرِّيحَ) ووصفه بالجمع ،فلا يكون (الرِّيحَ)على هذا اسم جنس وقول من جمع الريح إذ وصفها بالجمع أحسن إذ الحمل على المعنى أقل من الحمل على اللفظ ،ويؤكد ذلك (الرياح مبشرات) فلما وصفت بالجمع جمع الموصوف أيضا[٥٨]، وقال أغلب المفسرين –كما تقدم– ان لا فرق بين القراءتين، وكلتاهما ورد للدلالة على الجمع ومنهم أبو منصور الأزهري حيث قال : ((... و الرِّيحَ يقوم مقام الرِّيَاحَ... فمن قرأ الرِّيَاحَ فهو جمع الرِّيحَ ، ومن قرأَ الرِّيحَ أراد بها: الرِّيَاحَ ولذلك أنثت، لأن معناها الجماعة))[٥٩] وما جاء بعدها من وصف جمع دلالة عليها أيضا.

* وفي قوله تعالى : { وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ }[٦٠]

قال المشهدي : ((﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً﴾ قطعاً متفرقة ، وقيل :متراكبا بعضه على بعض حتى يغلظ ، وقيل :قطعا ، يغطي ضوء الشمس، وقراءة ابن عامر بالسكون على أنه مخفف، أو جمع كسفة ، أو مصدر وصف به))[٦١].

– وقرأ جمهور القراء (كِسَفاً) بفتح السين على وزن (فِعَلا)،[٦٢]ومعناه قطعاً متفرقة، وهو جمع كِسْفَة، فهو جمع قلة مثل: قِطْعَة وقطع وسدرة وسدر[٦٣]، وقال الماروردي :((ويجعله كِسَفا) فيه ثلاثة تأويلات: أحدها: قطعا قاله قتادة،الثاني: متراكماً بعضه على بعض قاله يحيى بن سلام، الثالث: في سماء دون سماء قاله الضحاك))[٦٤]

– وقرئ (كِسْفَا) بسكون السين على وزن (فِعْلا)[٦٥]، فمعناه: أنه يجعل السحاب قطعة واحدة ملتئمة، ويجوز أن يكون معناه كالأول على التخفيف وهذا ما ذهب إليه مكي بن أبي طالب [٦٦]، ومن قرأ بهذه القراءة (سُكُونِ السِّينِ) احتمل قوله ثلاثة وجوه، أحدها: أن يكون جمع كِسْفَة على وزن (فِعْلَة) وهو جمع للكثرة مثل: دِمْنَة ودِمْن وسِدْرَة وسِدْر[٦٧]. والثاني: إن يكون مصدرا ؛ اي: ذا كسف، فالكسف الشيء المقطوع كما تقول في الطحن والطبخ السقي، ويؤكد هذا قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا ﴾[٦٨] والثالث: ذهب إليه الزجاج: فمن قرأ: كِسَفاً كأنه قال أَو يسقطها طبقا علينا واشتقاقه على ما قال أبو زيد من كسَفْت الثوب كِسَفا إذا قطعته[٦٩] وبه قال الزجاج حيث ذهب إلى أنه من كسَفْت الشيء إذا غطيته.[٧٠]

قال النحاس :((على هذه القراءة (بإسكان السين) يكون المضمر الذي بعده عائدا عليه أي فترى الودق يخرج من خلال الكسف ؛لأن كلّ جمع بينه وبين واحده (الهاء) لا غير، التذكير فيه حسن، ومن قرأ كِسَفا(بفتح السين) فالمضمر عنده عائد على الحساب))[٧١].

والحجة في القراءتين قد ذكرها ابن خالويه فقد قال: ((كِسَفاً: يقرأ بفتح السين وإسكانها، فالحجة لمن فتح: أنه أراد به جمع (كِسْفَة) كقولك: قِطْعَة وقِطَع، والحجة لمن أسكن: أنه شبّهه بالمصدر في قولهم (علم) و (حلم)).[٧٢]

أما أبو علي الفارسي والزمخشري فقد جعلا معنى القراءتين واحدًا حيث قال الأول :((الكِسْفَ القطع، الواحدة كِسْفَة ، مثل: سِدْرَة وسِدْر ، ومن قرأ (كِسَفا) أمكن أن يجعله مثل سِدْرَة وسِدْر ، فيكون معنى القراءتين واحدا)).[٧٣]

أما الثاني فقد قال : ((قرئ: كِسَفا بالسكون والحركة، وكلاهما جمع كِسْفَة، نحو: قِطْع وسِدْر، وقيل: الكِسَف والكِسْفَة، كالرِيع والرِيْعَة، وهي القِطعة، وكِسَفه: قطعه، والسماء: السحاب، أو المظلة))، [٧٤]، وجعل العكبري[٧٥] والألوسي سكون كِسْفا على التخفيف فقال الأخير:((وقرأ بسكون السين على أنه

مخفف من المفتوح، أو جمع كِسْفَة ؛أي: قطعة أو مصدر كعلم وصف به مبالغة،أو بتأويله بالمفعول،أو بتقدير ذا كسف، فترى يا من يصح منه الرؤية الودق ؛أي: المطر يخرج من خلاله)).[٧٦]

والى هذا ذهب المشهدي فهو ذكر القراءات جميعها ، ولم يرجح أحداهما على الأخرى، ووافق بذلك المفسرين حيث ذهب الفراء إلى أن الكِسْف والكِسَف : وجهان، والكسَف :جماع كِسْفَة[٧٧]،فكلتا القراءتين بمعنى واحد ، وكلتاهما يناسب معنى الآية .

* وفي قوله تعالى : {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ }[٧٨]

قال المشهدي : ((﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكافٍ عَبْدَهُ﴾: استفهام إنكار للنفي ، مبالغة في الإثبات، والعبد رسول الله (ص) ويحتمل الجنس، ويؤيده قراءة حمزة والكسائي (عِبَادَهُ) ، وفسر بالأنبياء)).(٧٩)

– وقد قُرأت (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكافٍ عَبْدَهُ) [٨٠]؛ أي: شر من يريده بشر، والهمزة الداخلة على النفي فأفيد معنى إثبات الكفاية وتقريرها[٨١]؛أَي: هو كافٍ عَبْدَهُ ، وفي إضافته إليه تشريف عظيم لنبيه[٨٢]، والمراد ب(عَبْدَهُ) هو النبي (ص) ودليله قوله تعالى مخاطبا له: ويخوفونك بالذين من دونه[٨٣]، فكأن المعنى: أليس الله بكافيك وهم يخوفونك[٨٤]، ويقوي الإفراد أيضا قوله تعالى:﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾[٨٥]، ويحتمل أن يكون العبد لفظ الجنس[٨٦]، ويدخل فيه رسول الله (ص) دخولا أوليا[٨٧]، كقوله سبحانه وتعالى :﴿ إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [٨٨]، وهذه قراءة الافراد هي قراءة الجمهور. وقد اختارها أبو عبيد لقوله عقيبه: ويخوفونك بالذين من دونه[٨٩].

قال الزجاج : ((يقرأ (عِبَادَهُ)، ولو قُرئت (كافي عَبْدِه) و (كافي عِبَادِه) لجازت، ولكن القراءة سنة لا تخالف))[٩٠].

وقال النحاس : ((حذفت الياء لسكونها وسكون التنوين بعدها، وكان الأصل إلاّ تحذف في الوقف لزوال التنوين إلا أنها حذفت ؛ليعلم أنها كذلك في الوصل)).[٩١]

– وقرأَ حمزة، والكسائي (عِبَادَهُ) بالجمعِ[٩٢]؛ أَي: الأنبياء والمطيعين من المؤمنين [٩٣]؛أي : إنه أراد بذلك: كفاية الله لجميع أنبيائه، لأن كل أمة قد كادت نبيها، كما كيد محمد (ص)، فدخل في الجملة

معهم[٩٤]، ودليله قوله تعالى: حكاية عن قوم هود﴿ إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوءٍ﴾ فالمعنى: أليس بكاف عِبَادَهُ الأنبياء قبل، كما كفى إبراهيم النّار، ونوحا الغرق، ويونس ما دفع إليه، وهو سبحانه كافيك كما كفى هؤلاء الرسل قبلك.[٩٥]

قال الطوسي :((قوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكافٍ عِبَادَهُ﴾ لفظه لفظ الاستفهام والمراد به التقرير، يقرر عباده فيقول: أليس الله الذي يكفي عبده كيد اعدائه ويصرف عنه شرهم ،فمن وحد أراد النبي محمد (ص)...ومن جمع أراد النبي وسائر الانبياء)).[٩٦]

وقال الفراء : ((قوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكافٍ عِبَادَهُ﴾ قرأها يحيَى ... (أليس الله بكافٍ عِبَادَه) على الجمع، وقرأها الناس (عَبْدَهُ)؛ وذلك أن قريشًا قالت للنبي (ص) أما تخاف أن تخبلك آلهتنا لعيبكَ إيّاها! فأنزلَ الله (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكافٍ عَبْدَهُ) محمدا (ص) ، فكيف يخوِّفونك بِمن دونه، والذين قالوا (عِبَادَهُ) قالوا: قد همّت أمم الأنبياء بهم، ووعدوهم مثل هذا، فقالوا لشعيب (إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) فقال الله (أليس الله بكافٍ عِبَادَهُ) ؛أي: محمدا عليه السلام والأنبياء قبله، وكلٌّ صواب))[٩٧] يقصد (عَبْدَهُ) و(عِبَادَهُ) .

وقيل:((المراد بالعبد والعباد ما يعم المسلم والكافر قال الجرجاني: إن الله كاف عبده المؤمن وعبده الكافر، هذا بالثواب وهذا بالعقاب)) [٩٨]، ذكر المشهدي القراءتين في هذه الآية، ولم يرجح أحداهما على الاخرى وكلتاهما مناسب لمعنى الآية ووافق في ذلك الطبري في أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لصحة معنييهما واستفاضة القراءة بهما في قرأة الأمصار (٩٩)،فعبده يقصد به النبي (ص) فقط، وعباده يقصد به النبي (ص) وباقي الأنبياء، وكلاهما مناسب مع سياق الآية ومطابق للقواعد النحوية، و لم يُفضل كما نرى المشهدي قراءة على غيرها .

الخاتمة:

الجمع في اللغة مصدر جمعت الشيء جمعا، والجمع أيضا: اسم لجماعة الناس، وفي الاصطلاح هو مادل على أكثرمن اثنين أو اثنتين بزيادة في آخره، أوبتغيير في بناء مفرده ، وأهم أنواعه :

اولا : الجمع السالم أو مايسمى (بجمع التصحيح) : ((وهو الذي يسلم فيه بناء الواحد، وتزيد عليه واوًا ونونًا أوياء ونونًا

ثانيا : الجمع المكسر أو ما يسمى (بجمع التكسير): فهو ما دل على أكثر من اثنين بتغيير صورة مفرده، تغييرا مقدرًا كفلك، بضم فسكون، للمفرد والجمْع، أو تغييرًا ظاهرًا، إما بالشكل فقط، كأسد ، جمع أَسد وله نوعين : جمع القلة وجمع الكثرة ..

وقد أورد المشهدي قراءة من هذا النوع من قبيل القراءة في الآية القرآنية ((في قوله تعالى: {كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ } سورة يونس :٣٣

قال المشهدي: ((﴿كَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾؛ أي: كما حقت الربوبية لله أو إن الحق بعده الضلال، أو أنهم مصروفون عن الحق كذلك حقت كلمة الله وحكمه.

الهوامش:

(١) العين :١/ ٢٣٩ (جمع).

(٢) لسان العرب :٨/ ٥٣(جمع)، وينظر الصحاح : ٣/ ١١٩٨(جمع).

(٣) الكليات :٣٣٢.

(٤) تاج العروس :٢٠/ ٤٥١ (جمع).

(٥) ينظر مبادئ قواعد اللغة العربية: ١٤، جموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية:٧، المعجم المفضل في النحو العربي: ٤١٦/١ ، أبنية الصرف في كتاب سيبويه :٢٩٢، كشاف اصطلاحات الفنون :٥٧٣/١.

(٦) شرح الحدود النحوية : ٦٥٥، وينظر المعجم المفضل في النحو العربي: ٤١٧/١.

(٧) الأصول في النحو :١/ ٤٦، وينظر شرح المفصل :٣/ ٢١٣، توجيه اللمع:١/ ٩٢.

(٨) ينظر المرتجل في شرح الجمل: ٦٢/١-٦٥، التعريفات : ٧٧، النحو الوافي : ١٣٧/١، ضياء السالك إلى أوضح المسالك: ١٧٥/٤، المعجم المفضل في النحو العربي: ٤١٦/١.

(٩) ينظر شرح التسهيل : ٧٦/١، تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد :١/ ٣٦٤.

(١٠) شرح كتاب الحدود في النحو: ١١٥، وينظر الكافية في علم النحو: ٤٠/١، شرح التسهيل : ٤٢/١، التعريفات :٧٧، ضياء السالك : ١٧٦/٤.

(١١) ينظر اللمحة في شرح الملحة:١/ ٢٠٢، ارتشاف الضرب :٢/ ٥٨٦-٥٨٨، شرح التصريح على التوضيح :٢/ ٥١٣، النحو الوافي :١/ ١٦٦-١٧٠، ضياء السالك :١/ ٧٨.

(١٢) ينظر الأصول في النحو :١/ ٤٧، شرح شافية ابن حاجب، الرضي الإستراباذي : ٢٥٣/١-٢٥٤، الكناش في فني النحو والصرف: ١/ ٣١٨-٣١٩، إرشاد السالك إلى الفية بن مالك: ٨٩٣/٢، شرح كتاب الحدود في النحو: ١١٦-١١٧، شذا العرف في فن الصرف: ٨٥.

(١٣) ينظر الإيضاح في علل النحو: ١٢٢/١، شرح المفصل : ٢٢٤/٣، شرح ابن عقيل : ١١٤/٤،المهذب في علم التصريف :١٨٧-٢٠٣، مبادئ قواعد اللغة العربية: ١٤.

(١٤) شرح ابن عقيل : ١١٤/٤ وينظر ارشاد السالك : ٨٩٤/٢، شرح المكودي على الالفية في علمي النحو والصرف :١/ ٣٢٨-٣٣٠.

(١٥) ينظر شرح الفية بن مالك (تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة: ٢/٦٨٨-٧٠٠، شذا العرف في فن الصرف: ٨٧-٩٣.

(١٦) ينظر أبنية الأسماء والأفعال والمصادر : ١/١٩٩-٢٠٠، إرشاد السالك : ٢/ ٩١٨- ٩٢٠.

(١٧) ينظر شرح التصريح على التوضيح : ٢/ ٥١٩.

(١٨) سورة يونس،الآية : ٣٣من قوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

(١٩) كنز الدقائق: ٦/٤٠.

(٢٠) ينظر السبعة في القراءات: ٣٢٦، جامع البيان في القراءات السبع : ٣/١٠٦٠، الشمعة المضيئة : ١/٥٧٠.

(٢١) سورة الأعراف،الآية : ١٣٧.

(٢٢) سورة هود،الآية :١١٩.

(٢٣) ينظر الحجة في القراءات السبع،ابن خالوية : ١٤٨، حجة القراءات: ٣٣١.

(٢٤) ينظر شمس العلوم :٩/٥٨٧(كلا)، الكتاب الفريد في إعراب القران : ٣/٣٨٠، الدر المصون:٥/ ١٢٥، اللباب في علوم الكتاب :٨/ ٣٩٥.

(٢٥) ينظر مسائل خلافية في النحو: ٤٠، التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيون: ١١٨.

(٢٦) سورة المجادلة،الآيتان: ٨، ٩.

(٢٧) سورة الروم، الآية : ٣٠

(٢٨) ينظر الهداية الى بلوغ النهاية : ٣/٢١٦١.

(٢٩) تفسير السمعاني :٢/٣٨٢.

(٣٠) ينظر تذكرة الأريب في تفسير الغريب: ١٥٣، تفسير القرطبي : ٨/ ٣٤٠.

(٣١) ينظر ايجاز البيان عن معاني القرآن :١/٣٩٩.

(٣٢) ينظر السبعة في القراءات: ٣٢٦، المكرر:١٢٠، الوافي في شرح الشاطبيه :٢٦٤، الهادي شرح طيبة النشر :١/٣٧٩.

(٣٣) ينظر الحجة في القراءات السبع، ابن خالوية : ١٤٨،حجة القراءات: ٢٦٨.

(٣٤) ينظر الدر المصون :٥/ ١٢٥، اللباب في علوم الكتاب :٨/ ٣٩٥، القراءات وأثرها في علوم العربية: ١/٢٨٤.

(٣٥) سورة الصافات، الآيات :١٣٧، ١٣٨.

(٣٦) الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي :٤/ ٢٧٣-٢٧٤، وينظر التبيان، الطوسي: ٣٧٣/٥، مجمع البيان :١٤٠/٥.

(٣٧) سورة الاعراف ، الآية :١٥٨.

(٣٨) التحرير والتنوير: ٨/ ١٨، وينظر الكشاف : ٢/ ٦٠، المحرر الوجيز :٢/ ٣٣٧.

(٣٩) سورة المؤمنون، الآية : ١٠٠.

(٤٠) التحرير والتنوير :١١/ ١٥٩-١٦٠.

(٤١) سورة الحجر، الآية : ٢٢ من قوله تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾

(٤٢) كنز الدقائق : ١٠٢/٧.

(٤٣) ينظر التبيان،العكبري: ٧٨٠/٢، الوافي في شرح الشاطبية : ٢١٢، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر:٦٢/٢.

(٤٤) ينظر حجة القراءات : ٣٨٢، تفسير البغوي : ٥٥/٣.

(٤٥) ينظر الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي: ٢٥٠/٢، شرح الكافية الشافية :١٥١/١، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر :٢/ ٦٢.

(٤٦) ينظر الكتاب الفريد في أعراب القرآن: ٦٨/٤، الوافي في شرح الشاطبية : ٢١٢، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر :٢/ ٦٢.

(٤٧) ينظر معاني القرآن ،الفراء: ٨٧/٢، جامع البيان :١٧/ ٨٤، تفسير الثعلبي : ٤٤٨/١٥ تفسير القرطبي : ١٥/١٠

(٤٨) البيت من الرجز لأبي الجراح العقيليّ في معاني القرآن :٤٢٧/١،تفسير المارودي :٥/٧ والمحرر الوجيز:١٣٤/٥، والدر المصون :٤٥٧/١، خزانة الأدب : ٢٣٤/١.

(٤٩) معاني القرآن ،الفراء :٢/ ٨٧.

(٥٠) سورة الأعراف، الآية : ٧٨.

(٥١) سورة الحاقة، الآية : ١٧.

(٥٢) إعراب القرآن، النحاس :٢/ ٢٣٩، وينظر معاني القرآن ، الفراء: ٨٧/٢، الهداية الى بلوغ النهاية : ٣٨٧٨/٦.

(٥٣) التبيان ، الطوسي: ٣٢٨/٦، وينظر تفسير القرطبي : ١٩٨/٢، مجمع البيان :٨٢/٦.

(٥٤) سورة الأعراف، الآية : ٥٧.

(٥٥) ينظر المجموع المغيث في غريبي القران والحديث:٨٣٣/١، الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي :٧٦٤/٣، روح المعاني : ٧/ ٢٧٦، تفسير الشعراوي(الخواطر):١٢/ ٧٦٧٦.

(٥٦) سورة الحاقة ،الآية : ٦.

(٥٧) التحرير والتنوير :٢١/ ١٢١، وينظر البرهان في علوم القرآن : ١٠/٤.

(٥٨) ينظر التبيان ،الطوسي: ٤٢٨/٤.

(٥٩) معاني القراءات : ١٨٥/١-١٨٦.

(٦٠) سورة الروم،الآية : ٤٨من قوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

(٦١) كنز الدقائق : ٢١٧/١٠.

(٦٢) ينظر السبعة في القراءات : ٥٠٨، التيسيرفي القراءات : ١٧٥، النشر: ٣٠٩/٢، البدور الزاهرة : ٢٤٩.

(٦٣) ينظر غريب القرآن ، ابن قتيبة: ٣٢٠ ، فتح القدير: ٢٦٦/٤.

(٦٤)تفسير الماوردي:٤/ ٣٢١.

(٦٥) ينظر الإقناع في القراءات : ٣٦١، الكنز في القراءات العشر : ٥٤٠/٢، الإتحاف : ٤٤٥.

(٦٦) ينظر معاني القرآن ، الفراء: ١٣١/٢، غريب القرآن ، السجستاني : ٣٩٧، معجم متن اللغة:٦٦/٥.

(٦٧)ينظر معاني القرآن ، الفراء: ١٣١/٢، تهذيب اللغة: ٤٥/١٠(كسف).

(٦٨) سورة الطور، الآية : ٤٤.

(٦٩) ينظر معاني القرآن وأعرابه ،الزجاج: ١٨٩/٤، تهذيب اللغة :١٠/ ٤٦ (كسف) ، الصحاح (كسا): ١٤٢١/٤، لسان العرب: ٢٩٩/٩(كسا).

(٧٠) ينظر معاني القرآن وأعرابه ، الزجاج: ١٨٩/٤، معاني القراءات :١٠١/٢، المفردات في غريب القرآن : ٧١١، مفاتيح الغيب : ٢١/ ٤٠٨ .

(٧١) أعراب القرآن ،النحاس : ١٨٨/٣، وينظر تفسير القرطبي : ٤٤/١٤.

(٧٢) الحجة في القراءات السبع،ابن خالوية: ٢٢٠، وينظر حجة القراءات : ٥٦٠.

(٧٣) الحجة للقراء السبعة ، أبو علي الفارسي:٥/ ٤٤٨، وينظر زاد المسير : ٤٢٧/٣.

(٧٤) الكشاف:٣/ ٣٣٣، وينظر البحر المحيط : ١٨٧/٨ .

(٧٥) ينظر التبيان ، العكبري : ١٠٤٢/٢.

(٧٦) روح المعاني :١١/ ٥٢، وينظر شرح شافية ابن حاجب ، الرضي الإستراباذي : ٣٣/٤، كتاب الأفعال : ١٤٢/٢ .

(٧٧) ينظر معاني القرآن ، الفراء:١٣١/٢، تهذيب اللغة :٤٥/١٠(كسا).

(٧٨) سورة الزمر، الآية : ٣٦من قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ .

(٧٩) كنز الدقائق : ٢٩٠/١١.

(٨٠) ينظر السبعة في القراءات :٥٦٢، الوجيز في شرح القراءات : ٣١٤، النشر: ٣٦٣/٢.

(٨١) ينظر التعليقة على كتاب سيبويه :٢/ ٢٠٤، مدارك التنزيل وحقائق التأويل:٣/ ١٨٠،حاشية الصبان:١/ ٦٥، اللغة العربية معناها ومبناها :٣٧١.

(٨٢) ينظرسر صناعة الإعراب :١/ ١٤٣، البحرالمحيط :٢٠٥/٩ .

(٨٣) ينظر الحجة في القراءات السبع، ابن خالوية: ٣٠٩- ٣١٠، حجة القراءات: ٦٢٢، مجمع البيان : ٨/ ٣٠٤.

(٨٤) ينظر الحجة للقراء السبعة ، أبو علي الفارسي :٦/ ٩٦.

(٨٥) سورة الحجر،الآية : ٩٥.

(٨٦) ينظر إبراز المعاني من حرز الأماني: ٦٦٩، تفسير القرطبي :١٥/ ٢٥٧.

(٨٧) ينظر فتح القدير :٤/ ٥٣٣.

(٨٨) سورة العصر،الآية : ٢.

(٨٩) ينظر فتح القدير:٤/ ٥٣٣.

(٩٠) معاني القرآن وإعرابه ،الزجاج :٤/ ٣٥٤.

(٩١) أعراب القرآن ، النحاس : ١٠/٤.

(٩٢) ينظر المكرر:٣٥٨، الاتحاف : ٤٨١، الوافي في شرح الشاطبية :٣٥٣ .

(٩٣) ينظر الكشاف: ١٢٩/٤، مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني: ٣٥٧، البحرالمحيط :٢٠٥/٩، الدر المصون : ٢٠٥/٩.

(٩٤) ينظر الحجة في القراءات السبع، ابن خالوية: ٣٠٩- ٣١٠، حجة القراءات: ٦٢٢.

(٩٥) ينظر الحجة للقراء السبعة، أبو علي القارسي :٦/ ٩٦ ، زاد المسير :١٩/٤، مجمع البيان: ٣٠٤/٨.

(٩٦) التبيان ، الطوسي: ٢٨/٩.

(٩٧) معاني القرآن، الفراء :٢/ ٤١٩-٤٢٠.

(٩٨) تفسير القرطبي :١٥/ ٢٥٧، وينظر فتح القدير:٤/ ٥٣٣.

(٩٩) ينظر جامع البيان:٢١/ ٢٩٤.

المراجع:

-القرآن الكريم.

١. إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، عبد الرحمن ابن إسماعيل بن إبراهيم المعروف (بإبي شامة)، تح: إبراهيم عطوة عوض، دار الكتب العلمية(د.ط)،(د. ت).

٢. أبنية الاسماء والافعال والمصادر، ابن القطاع الصقلي، تح: أحمد محمد عبد الدايم، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٩٩٩م،(د. ط).

٣. أبنية الصرف في كتاب سيبويه: خديجة الحديثي ، مكتبة النهضة، ط١، بغداد، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.

٤. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد بن أحمد الدمياطيّ، البنا، تح: أنس مهرة ، دار الكتب العلمية، ط٣، لبنان، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .

٥. ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي ، تح: رجب عثمان محمد، مراجعة رمضان عبد التواب ،مكتبة الخانجي ، ط١،القاهرة، ١٤١٨ هـ-١٩٩٨م .

٦. إرشاد السالك إلى الفية بن مالك، إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تح: محمد عوض محمد السهلي، أضواء السلف ، ط١، الرياض، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤ م .

٧. الأصول في النحو ، محمد بن السري بن سهل، ابن السراج ، تح: عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، لبنان - بيروت (د. ط)، (د.ت).

٨. الإقناع في القراءات السبع ، أحمد بن علي بن الباذش ، دار الصحابة للتراث(د.ط)،(د. ت).

٩. إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد ابن إسماعيل النحاس ، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، ط١، بيروت،١٤٢١هـ .

١٠. إيجاز البيان عن معاني القرآن، محمود بن ابي الحسن النيسابوري ، تح: د. حنيف بن حسن القاسمي ، دار الغرب الإسلامي ، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ.

١١. الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي، تح: مازن مبارك ، دار النفائش، ط٥، بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .

١٢. البحر المحيط ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي ، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت - ١٤٢٠هـ(د. ط) .

١٣. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة (القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب)،عبد الفتاح عبد الغني بن محمد القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان(د.ط)،(د.ت).

١٤. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله، بدرالدين محمد بن عبد الله الزركشي، تح: محمد أبو الفضل أبراهيم، دار المعرفة، ط١، بيروت– لبنان، ١٣٧٦هـ–١٩٥٧م.

١٥. تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي ، تح : مجموعة من المحققين، دار الهداية،(د.ط)،(د. ت) .

١٦. التبيان في إعراب القرآن ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تح: محمد علي البجاوي ،عيسى البابي الحلبي وشركاه،(د.ط)،(د.ت).

١٧. التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تح: أغا برزك الطهراني ، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان،(د.ط)،(د.ت).

١٨. التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيون، أبو البقاء العكبري، تح: عبد الرحمن بن سليمان ، دار الغرب الإسلامي ، ط١، لبنان ،١٩٨٦م.

١٩. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي ،الدار التونسية، تونس،١٩٨٤م(د. ط).

٢٠. تذكرة الأريب في تفسير الغريب، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تح: طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت – لبنان ، ١٤٢٥هـ –٢٠٠٤م.

٢١. التعريفات ، علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني ،ضبطه وحققه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت – لبنان ،١٤٠٣هـ–١٩٨٣م.

٢٢. التعليقة على كتاب سيبويه ،الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو علي الفارسي، تح:عوض حمد القوزي، ط١،١٤١٠هـ–١٩٩٠م.

٢٣. تفسير الرازي (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب) ، محمد بن عمر فخر الدين الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، ط٣، بيروت،١٤٢٠هـ.

٢٤. تفسير الشعراوي(الخواطر)، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم١٩٩٧م(د.ط) .

٢٥. تفسير القرآن، منصور بن محمد أبو المظفر السمعاني، تح: ياسر بن ابراهيم وغنين بن عباس بن غنيم، دار الوطن ، الرياض –السعودية ،١٩٩٧م(د.ط) .

٢٦. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القران)، أبو عبد الله ابن أحمد الأنصاري القرطبي، تح: أحمد عبد العليم البردوني- إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط٢،القاهرة ، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

٢٧. تفسير الماوردي (النكت والعيون) علي بن محمد بن حبيب البغدادي المشهور بالمارودي ، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان(د.ط)،(د. ت).

٢٨. تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، محمد بن يوسف بن أحمد المعروف ببناظر الجيش، تح: علي محمد فاخر وآخرون ، دار السلام ، ط١،القاهرة ، ١٤٢٨هـ .

٢٩. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري ، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت،٢٠٠١م.

٣٠. -توجيه اللمع، أحمد بن الحسين بن الخباز، تح: فايز زكي محمد، دار السلام، ط٢، جمهورية مصر العربية، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٣١. التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عمرو الداني ، تح: اوتوتريزل ، دار الكتاب العربي ، ط٢، بيروت ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٣٢. جامع البيان في القراءات السبع، عثمان بن سعيد ين عثمان أبو عمرو الداني، جامعة الشارقة، ط١، الأمارات، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٣٣. جامع البيان في تأويل القران ،محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري، تح: أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة، ط١،١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٣٤. -جموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية ، عبد العال عبد المنعم سيد، مكتبة الخانجي ،١٩٧٧م،(د.ط).

٣٥. -حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، محمد بن علي الصبان الشافعي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت-لبنان، ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م.

٣٦. حجة القراءات، أبو زراعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، تح: سعيد الأفغاني، دار الرسالة (د.ط)، (د.ت).

٣٧. الحجة في القراءات السبع ، الحسين بن أحمد بن خالوية ، تح: عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق ، ط٤، بيروت ، ١٤٠١هـ.

٣٨. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ، ط٤، القاهرة ، ١٤١٨-١٩٩٧م .

٣٩. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تح : أحمد محمد الخّراط ، دار القلم، دمشق،(د.ط)،(د. ت).

٤٠. الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي، يوسف بن حسن الحنبلي المعروف بـ (ابن المبرد)، تح: رضوان مختار بن غربية، دار المجتمع ، جدة – المملكة العربية السعودية، ط١،١٤١١هـ –١٩٩١م.

٤١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ، تح: علي عبد الباري عطية دار الكتب العلمية – بيروت–ط١–١٤١٥هـ.

٤٢. –السبعة في القراءات، أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد التميمي البغدادي ، تح: شوقي ضيف دار المعارف، ط٢، مصر، ١٤٠٠هـ.

٤٣. سر صناعة الأعراب ، أبو الفتح عثمان ابن جني، تح: حسن الهنداوي ، دار القلم، دمشق ١٩٨٥م(د. ط).

٤٤. شذا العرف في فن الصرف ،أحمد بن محمد الحملاوي، تح: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد، الرياض(د.ط)،(د. ت).

٤٥. شرح ابن عقيل ، بهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمداني ، تح: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار التراث ، ط٢٠، القاهرة، ١٩٨٠م.

٤٦. شرح التسهيل الفوائد ،محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي، تح: عبد الرحمن السيد ،محمد بدوي المختون ،هجر للطباعة، ط١٤١٠،١هـ–١٩٩٠م .

٤٧. شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد بن عبد الله زين الدين المصري الوقاد ، دار الكتب العلمية،ط١، بيروت –لبنان، ٢٠٠٠م.

٤٨. –شرح الحدود النحوية ، عبد الله بن أحمد بن أحمد بن علي الفاكهي ، تح: زكي فهمي الآلوسي ، الموصل ،١٩٨٨ م(د.ط).

٤٩. شرح الفية بن مالك (تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة)، زين الدين عمر بن مظفر بن الوردي، تح: عبد الله بن علي الشلال، مكتبة الرشد،ط١، الرياض– المملكة العربية السعودية، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

٥٠. شرح الكافية الشافية، محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي، تح: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، ط١، مكة المكرمة ،(د.ت).

٥١. شرح المفصل ، يعيش بن علي بن يعيش ، قدم له :أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية ، ط١، بيروت– لبنان،١٤٢٢هـ–٢٠٠١م.

٥٢. شرح المكودي على الالفية في علمي النحو والصرف،عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي، تح:عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية ، بيروت–لبنان،١٤٢٥هـ–٢٠٠٥م(د.ط).

٥٣. شرح شافية ابن الحاجب ، رضي الدين محمد بن الحسن الإستراباذي ، تح: محمد نور الحسين ، محمد الزفزات ، محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان،١٣٩٥هـ–١٩٧٥م(د. ط).

٥٤. –شرح كتاب الحدود في النحو،عبد الله بن أحمد الفاكهي ، تح:المتولي رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة، ط٢، القاهرة، ١٤١٤هـ–١٩٩٣م.

٥٥. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، نشوان بن سعيد الجميري اليمني ، تح: حسين عبد الله العمري–مطهر علي الإرياني –يوسف محمد عبد الله، دار الفكر، ط١، بيروت–لبنان، ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م

٥٦. الشمعة المضيئة بنشر القراءات السبعة المرضية ، أبو سعد زين الدين الطبلاوي ، تح: علي سيد أحمد جعفر ، مكتبة الرشيد ، ط١،السعودية – الرياض ،٢٠٠٣م.

٥٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر اسماعيل الجوهري ، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، ط٤، بيروت، ١٩٨٧م.

٥٨. –ضياء السالك إلى أوضح المسالك، محمد عبد العزيزالنجار، مؤسسة الرسالة، ط١،١٤٢٢هـ–٢٠٠١م – العين، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال (د.ط)، (د. ت).

٥٩. غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب ، محمد بن عزيز السجستاني ، تح: محمد أديب عبد الواحد جمران ، دار قتيبة، ط١، سوريا ،١٩٩٥م .

٦٠. غريب القرآن ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تح: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ–١٩٧٨م(د. ط) .

٦١. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الكلم الطيب، ط١، دمشق–بيروت، ١٤١٤هـ.

٦٢. القراءات وأثرها في علوم العربية ، محمد محمد سالم محيصن ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ط١، القاهرة، ١٩٨٤م.

٦٣. الكافية في علم النحو، جمال الدين بن عثمان بن عمر ، تح: صالح عبد العظيم، مكتبة الآداب ، ط١، القاهرة، ٢٠١٠م .

٦٤. –كتاب الأفعال، ابن القوطية ، تح: علي فوده، مكتبة الخانجي ، ط٢، القاهرة ، ١٩٩٣م .

٦٥. الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد،المنتجب الهمذاني، تح: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان ، ط١، المدينة المنورة –الملكة العربية السعودية ، ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م.

٦٦. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي الفاروقي ، تقديم ومراجعة: رفيق العجم، تح: علي دحروج ، ط١، لبنان –بيروت، ١٩٩٦م .

٦٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، دار الكتاب العربي ، ط٣، بيروت ،١٤٠٧هـ.

٦٨. الكشف والبيان في تفسير القران (تفسير الثعلبي) ، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، أشرف على إخراجه :صلاح عثمان ،حسن الغزالي، زيد مهارش، أمين باشه تح: عدد من الباحثين ، دار التفسير،ط١، جدة– المملكة العربية السعودية ،١٤٣٦هـ–٢٠١٥م.

٦٩. –الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء الحنفي ، تح: عدنان درويش –محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ط)،(د.ت).

٧٠. الكناش في فني النحو والصرف،أبو الفداء إسماعيل بن علي بن محمود، تح: رياض حسن الخوام، المكتبة العصرية، بيروت–لبنان–٢٠٠٠م (د.ط).

٧١. كنز الدقائق وبحر الغرائب ، محمد بن محمد رضا القمي المشهدي ،تح:حسين دركاهي، مؤسسة شمس الضحى ، ط١، طهران، ١٣٨٧هـ.

٧٢. الكنز في القراءات العشر، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن مبارك المقرئ تاج الدين ، تح :خالد المشهداني ، المكتبة الثقافية الدينية ،القاهرة،١٤٢٥ هـ(د.ط).

٧٣. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الحنبلي ، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ،ط١، بيروت –لبنان، ١٩٩٨م.

٧٤. لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي ،جمال الدين ابن منظور الأنصاري ، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٤١٤هـ .

٧٥. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان عمر، عالم الكتب، ط٥، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.

٧٦. اللمحة في شرح الملحة، محمدبن حسن بن سباع المعروف بابن الصائغ، تح:إبراهيم سالم الصاعدي، ط١،المدينة المنورة –السعودية، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٤م .

٧٧. مجمع البيان في تفسير القران، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار العلوم ،ط١، بيروت–لبنان، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.

٧٨. المجموع المغيث في غريبي القران والحديث، محمد بن عمر الأصبهاني المديني، تح: عبد الكريم العزباوي، دار المدني، ط١، جدة – المملكة العربيةالسعودية، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٧٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية، ط١ ، بيروت –لبنان،١٤٢٢هـ-٢٠٠١ م.

٨٠. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد بن الدين محمود النسفي، تح: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب، دار الكلم الطيب، ط١، بيروت، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٨١. المرتجل في شرح الجمل، عبد الله بن أحمد ابن الخشاب ، تح:علي حيدر ، دمشق،١٣٩٢-١٩٧٢م(د.ط).

٨٢. مسائل خلافية في النحو، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تح: محمد خير الحلواني، دار الشرق العربي ، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٨٣. معاني القرآن، يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي الفراء، تح: أحمد يوسف النجاتي ، ومحمد علي النجار، و عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية ، ط١، مصر، (د.ت).

٨٤. معاني القرآن و إعرابه ، إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج ، تح :عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٨٥. معجم الأفعال المتداولة ومواطن استعمالها ،السيد محمد الحيدري ، مركز العالمي للدراسات الاسلامية ، قم،١٤٢٣هـ،(د.ط).

٨٦. مفاتيح الأغاني في القراءات و المعاني ، أبو العلاء الحنفي ، تح: عبد الكريم مصطفى مدلج تقديم د. محسن عبد الحميد ، دار ابن حزم، ط١، بيروت – لبنان ، ٢٠٠١م .

٨٧. المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تح: صفوان عدنان الداودي ، دار القلم ، ط١، دمشق –بيروت، ١٤١٢هـ .

٨٨. المكرر في ما تواتر من القراءات السبع و تحرر ، سراج الدين النشار الشافعي، تح : أحمد محمود عبد السميع الخفيان ، دار الكتب العلمية ،ط١، بيروت ،٢٠٠١م.

٨٩. المهذب في علم التصريف، هاشم طه شلش ، صلاح مهدي الفرطوسي، عبد الجليل عبيد حسين ، بيت الحكمة ،(د.ط)،(د.ت).

٩٠. النحو الوافي ، عباس حسن ، دار المعارف، ط،١٥، (د.ت).

٩١. –النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن يوسف بن الجزري ،تح: علي محمد الضباع ،المطبعة التجارية الكبرى،(د.ط)،(د.ت) .

٩٢. –مبادئ قواعد اللغة العربية، علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني، تعريب: حامد حسين، وضع الحواشي: عبد القادر أحمد عبد القادر، ضبطها: مجاهد صغير أحمد صودهوري، مكتبة الفيصل، ط١– ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م.

٩٣. –معاني القراءات، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري ، مركز البحوث في كلية الآداب ،جامعة الملك سعود ، ط١، المملكة العربية السعودية، ١٤١٢هـ–١٩٩١م .

٩٤. –المعجم المفصل في النحو العربي، د.عزيزة موال، دار الكتب العلمية ، ط٢، لبنان،٢٠٠٤م.

٩٥. –معجم متن اللغة، أحمد رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٣٨٠هـ : ٥/٦٦.

٩٦. –الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن سالم بن محيسن ، دار الجيل ، ط١، بيروت، ١٤١٧هـ–١٩٩٧م .

٩٧. الهداية الى بلوغ النهاية في معاني القران وتفسيره ، لمكي القيسي ، جامعة الشارقة ، ط١–٢٠٠٨م.

٩٨. الوافي في شرح الشاطبية ، عبد الفتاح عبد الغني القاضي ، مكتبة السوادي ، ط٤ ،١٩٩٢م.

٩٩. الوجيز في شرح قراءات القراء الثمانية أئمة الأمصار الخمسة ، الحسن بن علي بن إبراهيم الأهوازي، تح: دريد حسن أحمد، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت–، ٢٠٠٢م.

شعر كعب بن زهير – قراءة نقدية

أ.د. عقيل جاسم دهش

مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

مدخل: أطراف من حياته وشعره:

هو كعب بن زهير بن ربيعة بن رياح المزني، من قبيلة مضر، كان جده ربيعة يعيش في كنف أخواله بني غطفان من بني مرة الذبيانيين، وولد له زهيرٌ في ديارهم، لذا اضطرب الرواة في نسبته، فنسبه بعضهم الى غطفان، وصرح بذلك محمد بن سلام الجمحي وتابعه ابن قتيبة الدِّينَوري وأبو حاتم السجستاني.

ويمثّلُ الشاعر كعب بن زهير مرحلة مهمة من مراحل القصيدة العربية، إذ إنّه عاش أيام التحوّل من الجاهلية إلى الإسلام، وما رافقها من تغيّر في القيم الاجتماعية والدينية.

وقد وصفه العلماء بالفحولة والجودة والتقدم، فجعله محمد بن سلام الجمحي (٢٣١هـ) في الطبقة الثانية، في كتابه (طبقات فحول الشعراء) مع أوس بن حجر والحطيئة وبشر بن أبي خازم[١]. وكذلك عدَّهُ عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوري (٢٧٦هـ) في (الشعر والشعراء) من الفحول المجودين في قوله ((وكان كعب فحلا مجيدا))، وتابعه أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني القرشي (٣٥٦هـ) في كتابه (الأغاني) في قوله ((وهو من المخضرمين ومن فحول الشعراء))، وكذلك فعل أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (٣٨٤هـ) في (معجم الشعراء) فاختصَّه بالفحولة والسبق والتجويد، وهو قوله ((كان شاعرا فحلا مجودا ومقدما في طبقته)). غير أن أبا سعيد الأصمعي (٢١٦هـ) في كتابه (فحولة الشعراء) الذي صنعه أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (٢٤٨هـ) أخرجه من حلبة الفحول من دون مسوغ ما عدا الذوقيةَ والأحكامَ الفرديةَ والانطباعاتِ الجزئيةَ، ولعلهُ يكون قد استهجن كثرة المقطوعات في شعره.

ومهما يكن من أمر فالرجلُ يعدُّ من كبار الشعراء، وكان مقدما في الجاهلية والإسلام حتى قيل لخلف الأحمر: زهيرٌ أشعرُ أم ابنه كعب؟ فقال: لولا أبياتٌ لزهير أكبرها الناس لقلتُ: إنَّ كعباً أشعرُ منه، يريد قوله في هرم بن سنان[٢]:

لمنِ الديارُ بقنّةِ الحِجْرِ أقوينَ من حِججٍ ومن دهرِ
ولنعمَ حشوُ الدرعِ أنتَ إذا دُعِيَتْ نزالِ ولُجَّ في الذعرِ
فلأنتَ تفري ما خلقتَ وبعـ ضُ القوم يخلقٌ ثم لا يفري
والسترُ دون الفاحشات وما يلقاكَ دون الخير من سِترِ
كنتَ المنّورَ ليلةَ البدر لو كنتَ من شيء سوى بشرِ

وكان زهير راوية لأوس بن حجر التميمي، وكان كعب رواية لأبيه زهير، وكذلك الحطئية جَرول بن أوس، إذ كان زهيرٌ أستاذه.

وكان الحطيئة متين الشعر محكم القوافي متصرفا في جميع فنون الشعر، وكان معجبا بأستاذه زهير غاية الإعجاب لتمكنه من قوافيه وتنوع معانيه، وقد سئل عنه، فقال: ((ما رأيت مثله في تكفيه على أكناف القوافي وأخذه بأعنتها حيث شاء من اختلاف معانيها امتداحاً وذماً)) [٣]، وقال يوماً لكعب بن زهير: ((قد علمت روايتي لكم أهل البيت وانقطاعي إليكم، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً، فإن الناس لأشعاركم أروى واليها أسرع))، فقال كعب[٤]:

فمن للقوافي؟ شأنها من يحوكها إذا ما ثوى كعبٌ وفَّوّز جَرولُ
يقولُ فلا يعيا بشيء يقوله ومن قائلِيها منْ يُسيء ويعملُ
يقوِّمُها حتىَ تقومَ متونُها فيقصرُ عنها كلُّ ما يُتمثّلُ
كفيتك لا تلقى من الناس شاعرا تنخّلَ منها مثل ما أتنخّلُ

وكان إسلام كعب في السنة التاسعة من الهجرة بعد رجوع النبي (ص) من الطائف وغزوة تبوك، وتشير الروايات الى أن كعبا كان قد أرسل الى أخيه بجير أبياتاً ينهاه عن الإسلام، وذكر بجير ذلك للنبي (ص) فتوعده، فأرسل بجير إليه: ويلك! إنَّ النبي أوعدك، وقد أوعد رجالاً بمكة فقتلهم، وهو واللهَ قاتلك أو تأتيه فتسلم، فلما وصله الخبر، قدِمَ كعبٌ متنكراً، وتوجه نحو رسول الله معلنا إسلامه، فبسط النبي يده، فحسر كعب عن وجهه، وقال: "هذا مقام العائذ بك يا رسول الله، أنا كعب بن زهير"، فتجهَّمتهُ الانصار وغلَّظت

له، لنيله قبل ذلك من رسول الله (ص)، وأحبّ المهاجرون أن يسلم ويؤمنه النبي، فأنشد بين يدي رسول الله قصيدته المشهورة ((بانت سعاد)) ° التي استهلها بقوله:

بانتْ سعادُ فقلبِي اليومَ متبولُ متيمٌ إثرها لم يُجزَ مكبولُ
وما سعادُ غداةَ البينِ إذ رحلوا إلا أغنُّ غضيضُ الطرفِ مكحولُ
تجلو عوارضَ ذي ظلمٍ إذا ابتسمتْ كأنه مُنهلٌ بالراحِ معلولُ
فما تدومُ على حالٍ تكونُ بها كما تلونُ في أثوابها الغُولُ
كانت مواعيدُ عرقوبٍ لها مثلاً وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ

ثم أتبع قوله معتذراً من رسول الله (ص):

أنبئتُ أنَّ رسولَ اللهِ أوعدنِي والعفوُ عندَ رسولِ اللهِ مأمولُ
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ القرآنِ فيها مواعيظٌ وتفصيلُ
لا تأخذني بأقوال الوشاة، ولم أُذنبْ ولو كثرت عني الأقاويلُ

ثم استرسل في مدح النبي وأصحابه من المهاجرين:

إنَّ الرسولَ لسيفٌ يستضاءُ به مهندٌ من سيوفِ اللهِ مسلولُ
في عصبةٍ من قريشٍ قالَ قائلهمْ ببطنِ مكةَ لمَّا أسلمُوا زولُوا
زالوا فما زالَ أنكاسٌ ولا كشفٌ عندَ اللقاءِ ولا مِيلٌ معازيلُ
شُمُّ العرانينِ أبطالٌ لبوسُهمُ من نسجِ داوودَ في الهَيجا سرابيلُ
يمشون مشيَ الجمال الزهرِ يعصمُهم ضربٌ إذا عرَّد السودُ التنابيلُ
لا يقعُ الطعنُ إلا في نحورهمُ ما إنْ لهم عن حياض الموت تهليلُ

فلما انتهى من قصيدته كساه النبيُّ (ص) بردته، فسميت قصيدته بالبردة، فطار صيتها وعمّت شهرتها في الآفاق، وتناولها العلماء بالشرح والتخميس والتشطير والمعارضة، وقد شرحها كثيرون منهم أبو بكر محمد

بن الحسن بن دريد الأزدي (٣٢١هـ) وأبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي (٥٠٢هـ) وأبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام (٧٦١هـ)، وطبعت طبعاتٍ عديدة.

وإذا أردنا أن نتحدث عن كعب بن زهير فإننا نتحدث عن مدرسة شعرية أرسى دعائمها ووضع لها سماتها الفنية الشاعر أوس بن حجر التميمي ثم تابعها ونماها ونضجها أسلوبا ومنهجا وتقاليدَ فنيةً الشاعرُ الكبير زهير بن أبي سلمى ليأخذ بعد ذلك بأطرافها ويمنحانها هويتها وبصمتها وبريقها راويتاه كعب والحطيئة.

نحن إذن بأزاء مدرسة شعرية تميزت بسمات فنية عديدة، وكان لها طابعها المميز في نظم الشعر، أسماها طه حسين (مدرسة أوس في الوصف والتصوير)، وهي مدرسة التنقيح والتجويد في الشعر أو ما يمكن أن نصطلح عليه ،،مدرسة صناعة الشعر،، في قبال ،،مدرسة قول الشعر،، وهي مدرسة الشعراء المطبوعين.

قال الأصمعي "زهير والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين"[٦]، ونقل عن الحطيئة قوله "خيرُ الشعر الحوليُّ المحكك"، وكان الجاحظ يقول "وكان زهير يسمي كبار قصائده الحوليات"[٧]، ولقد عدَّ العلماءُ –كما ينقل ابن رشيق القيرواني (٤٦٣هـ) في كتابه (العمدة)– من فضل صنعة الحطيئة حسنَ نسقه الكلام بعضه على بعض[٨]، كما ذكر عبد القادر البغدادي في (خزانة الأدب) أن زهيرا كان ينظم القصيدة في شهر وينقِّحُها ويهذِّبُها في سنة وكانت تسمى قصائده الحوليات.

وأبرز سمات مدرسة صناعة الشعر:

- اختيار الألفاظ والابتعاد عن الغريب أو الوحشي أو المتوعر
- الوضوح في الصياغة والابتعاد عن التعقيد أو الغموض أو التداخل اللفظي
- التروي والتهذيب والصقل والتجويد
- الواقعية في التعبير عن الموضوع وعدم الجنوح الى الخيال المفرط أو الغلو
- التنقيب والغوص لالتقاط المعاني الدقيقة
- الإكثار من الحكم والأمثال السائرة
- الوقار والتعفف والابتعاد عن الفحش والإسفاف والدعوة الى مكارم الأخلاق

- التفنن في وصف الفرس والناقة والظعن والثور وحمار الوحش وسرد التفاصيل وتصوير أدق الجزئيات والتفتيش عن المعاني الطريفة والمبتكرة للتعبير عنها في صور مفعمة بالحركة نابضة بالحياة.

ولقد بين ابن سلام في حديثه عن زهير بأيِّ شيء تقدم زهيرٌ على غيره من شعراء العصر الجاهلي، وذلك قوله "من قدم زهيرا احتج بأنه كان أحسنهم شعرا وأبعدهم من سخف وأجمعهم لكثير من المعاني في قليل من الألفاظ وأشدَّهم مبالغةً في المدح وأكثرهم أمثالا في شعره"[٩].

وذكر ابن قتيبة بعضا من ملامح هذه المدرسة الشعرية في حديثه عن أوس، وهو قوله "وكان أوس عاقلا في شعره كثير الوصف لمكارم الأخلاق وهو من أوصفهم للحمر والسلاح، وسبق الى دقيق المعاني والى أمثال كثيرة"[١٠].

ويعلن كعب عن ذلك صراحة في شعره، فهو ابن ذلك السيد الشريف المنيع والشاعر العالم الحكيم وأنه لم يزل يقفو أثره في الشعر ونظم القصيد، وإذ هو يفخر بقومه وانتسابهم الى معد بن عدنان، وبأبيه زهير وما حضي به في قومه من جاه وشرف وسيادة وما شاع عنه من عفة ودراية وحكمة وبصيرة وما سابق به غيره من رجاحة العقل وحسن التدبير وقوة المنطق والحجة، يصرِّحُ بما لا يقبل الشك أو التأويل أن شعره امتدادٌ لشعر أبيه وعلى طريقته ونهجه، ويبرِّزُ أثر هذه المدرسة في شعره إذ جعلت قصائده أشبه بقصائد أستاذه زهير من حيث التجويد والتهذيب ودقة الصياغة وإحكام النسج أو النسق وجزالة العبارة ومتانتها وأنه لم يزل يحاكيه في أسلوبه ونظمه، وهو أعلمُ بشعره من غيره، يقول[١١]:

فإنْ تسأل الأقوامَ عني فإنني ... أنا ابنُ أبي سلمى على رغم من رغِمْ
أنا ابن البذي قد عاش تسعين حجَّة ... فلم يَخْزَ يوما في معدٍّ ولم يُلمْ
أتى العجمَ والآفاق منه قصائدٌ ... بقِينَ بقاء الوحيِ في الحجَرِ الأصمْ
فأُعطِيَ حتى مات مالا وهمَّة ... وورَّثني إذ ودَّعَ المجد والكرمْ
وكان يُحامي حين تنزلُ لزْبةٌ ... من الدهر في ذبيانَ إنْ حوضُها انهدمْ
أقولُ شبيهاتٍ بما قال عالما ... بهنَّ ومن يُشْبهْ أباهُ فما ظلمْ

وعند تشريح شخصيته المثيرة للجدل نجدها قد تنازعها حبلان، حبل الجاهلية وحبل الإسلام، فالحبل الجاهلي كانت له أيقونته الخاصة، وهي ،،انحراف البوصلة،، أو ،،ضياع الهدف،، وقد طبعت شخصيته بسمات التذمر والتمرد والتشاؤم، أما الحبل الإسلامي فكانت له أيقونة مغايرة أو مضادة تماما، وهي ،،الرضا والاستدراك،، التي طبعت شخصيته بسمات السكينة والقناعة والصلاح، وقد لعب عاملان، وهما الفطرة السليمة ونقاء السريرة في حسم نتيجة هذا الصراع في إطار البحث عن الذات لصالح الطور الآخر من حياته، وهو "الشخصية المسلمة"...

نعم كان لكعب نفسان يتنازعهما جسدٌ واحد ولكن في طورين مختلفين وموقفين من الحياة متباينين، نفسٌ جاهليةٌ قوامها الغلظة والاضطراب والتذمر والشعور المتنامي باليأس والسخط على الدهر، وأخرى إسلامية قوامها صفاء الروح والسكينة ورقة الطبع وتعزيز التفاؤل والأمل.

وإنَّ ثمة مُحدداتٍ ثلاثا كان لها أثر كبير في بلورة فلسفته أو رؤيته في الحياة وتأطير مواقفه وسلوكياته، وهي:

- أنفتهُ وكبرياؤهُ وحدَّةُ طبعه.
- حسبه وشرف قومه.
- أثر زهير في شخصيته بما شاع عنه من كرم وضيافة وكياسة.

لقد كان كعب يحيا حياة فقر وحرمان واضطراب قوامها التذمر والتشكي واليأس، وكان كما يقول ابن قتيبة ((محارفا لا ينمى له مال))، والمحارفُ هو المحروم الذي ضاقت به السبل أينما توجَّه لم يُصبْ خيرا.

وإذن لقد عاش كعب محارفا ضريكا متبرما من يومه حانقا على دهره ساخطا على قدره غير مكترث بأجله، لم يزل يفلت من المنون إذ تمرُّ به ولا تصرعه، وما أشبههُ بصياد حاذق طاش سهمه ففرَّ الصيدُ تاركا وراءه الغبار الكثيف، استمع اليه وهو يقول[١٢]:

فأرسلَ سهما على فُقرةٍ وهُنَّ شوارعُ ما يتقينا
فمرَّ على نحره والذراع ولم يكُ ذاكَ له الفعلُ دينا

فلَهَّفَ من حسرةٍ أمّهُ ووَلَّينَ من رهج يكتسينا

ويدور في فلك هذا المعنى في غير موضع أو مناسبة فلربما يعصمُ الإنسان من حتفه عاصمٌ وكأن الموت يحُلُّ بأرضه مختبرا من دون أن يُهلكه، والصياد الماهر الحريص المتمرس الذي خبُرَ الصيد واحترفه وعرف فنونه وطرقه وأساليبه إذا ما طاش سهمه وأخطأ هدفه ركبه الهمُّ واحتنقهُ الأسى وصار كأنه غارمٌ، أي مطالبٌ بدين ثقيل ألحَّ صاحبه بالطلب، يقول[١٣]:

أخو قُتُراتٍ لا يزالُ كأنهُ إذا لم يُصبْ صيدا من الوحش غارمُ

ومرَّ بأكناف اليدين نضِيَّهُ وللحتفِ أحيانا عن النفس عاجمُ

يعَضُّ بإبهام اليدينِ تندُّما ولهَّف سرا أمهُ وهو نادمُ

وطبيعيٌ جدا أن يتشكّى رجلٌ أتت عليه الدنيا فأسلبته وأفنت كل ما عنده غير حمية وكرم ألفتهما نفسه ورنت إليهما أنفته وحسب قومه، أليس يقول[١٤]:

كسوبٌ الى أن شبَّ من كسب واحد محالفُه الإقتارُ لا يتموَّلُ

إذا حضراني قلتُ لو تعلمانه أم تعلما أني من الزاد مرمِلُ

والتذمر وشؤم الطالع عاملان كان لهما أثر كبير في شخصيته وطباعه، وهذا الطالع النحس لا شك أقام عنده ولأجله، ولم يقنع بذلك فأخذ يرافقه في حله وسفره، وصار كأنه عضو من أعضاء جسد أو سجية من سجايا نفسه، فهو يصدُّ ويبدي عن هذا ويقول[١٥]:

لعمرُكَ لولا رحمة الله إنني لأمطو بجَدٍّ ما يريد ليرفعا

إذا ما نتجنا أربعا عام كُفأة بغاها خناسيرٌ فأهلك أربعا

إذا قلت إني في بلاد مَظلَّة أبى أنَّ مُمسانا ومُصبَحنا معا

ومن متبنياته الخطيرة في عهده الجاهلي التحريضُ على العصبية القبلية، والذي يؤجج هذا النفس القبلي لديه موجهاتٌ ثلاثٌ، هي شرف قومه واعتداده بنفسه وحدة طباعه، فمضى يحرض قومه ويحثهم على الثأر لكرامتهم واستعادة هيبتهم ولا بد من النصفة لأنفسهم منها بعد أن سلبهم غريمهم غرورهم وعزتهم وغنم منهم

فرسا أصيلا، ومن مثلهم في الشدة والبأس لا يخنعون لضيم ولا يبيتون على ذحل، ولا بأس بتذكيرهم واستثارة هممهم وعزائمهم بما ورثوه عن أسلافهم من السؤدد والسيادة والشرف العظيم، وأنه لم يكن يعهدهم لقمة سائغة لمن يشاء ابتلاعها، بل عهده بهم أنهم كرام يذودون عن تراثهم وأحسابهم ويسارعون لا ريب لنجدته وحفظ حقِّه وحرمته وذمامه، يقول[١٦]:

فما خِلتكُم يا قومِ كنتمْ أذلَّةً وما خِلتكمْ كنتمْ لمُختلسٍ جنى
لقد كنتمُ في السهل والحَزْنِ حيَّةً إذا لدغتْ لم تشفِ لدغتَها الرقى
فإنْ تغضبوا أو تدركوا لي بذمة لعمركمُ لَمِثلُ سعيِكمُ كفى
لقد نال زيدُ الخيل مال أخيكمُ وأصبح زيدٌ بعد فقر قد اغتنى

ومما يحسبُ له في ذلك الطور من حياته:

- دعوته لقومه الى الوحدة والتكاتف والوفاء بالعهود والمواثيق، ولم يكن شيءٌ عنده في الحياة أعظم وأجلَّ من الدعوة الى التكاتف والوفاء بالعهد والذود عن الأحساب والتسابق نحو المجد والمكارم:

فكونوا جميعا ما استطعتمْ فإنه سيلبسُكمْ ثوبٌ من الله واسعُ
وقوموا فآسوا قومكم فاجمعوهمُ وكونوا يدا تبني العلا وتدافعُ
فإنْ أنتمُ لم تفعلوا ما أمرتكُمْ فأوفوا بها إنَّ العهود ودائعُ[١٧]

- رسالته الإصلاحية وسعيه لتطييب النفوس والتقريب بين وجهات النظر، فكان بحق سفير النوايا الحسنة ورسول إصلاح ذات البين في قومه، يجبر الكسر ويربأ الصدع وينزل من قومه منزل لقمان في أهله، فحق له أن يفخر بهذا ويقول[١٨]:

رحلتُ الى قومي لأدعوَ جُلَّهمْ الى أمر حزمٍ أحكمتهُ الجوامعُ
سأدعوهمُ جُهدي الى البر والتقى وأمر العلا ما شايعتني الأصابعُ

وما أنْ دخل في ربقة الإسلام حتى سكنت لجتُه وبانت حجتُه وحلا مُجُّه وصفا رهَجُه، فإذا به شيءٌ آخرُ مختلفٌ ونفسٌ جديدةٌ عارفةٌ مطمئنةٌ واعظةٌ، تتفجر الحكم من بين جوانحها، ويجود بها شعرُه ولسانُه:

بينا الفتى معجبٌ بالعيش مغتبطٌ إذا الفتى للمنايا مُسْلمٌ غلقُ
كذلكَ المرءُ إنْ يُنسأ له أجلٌ يُركبْ به طبقٌ من بعده طبقُ[١٩]

وقد تمكن الإسلام من ترويض هذه النفس وإجلاء الأدران عنها فأخذت تنقى شيئا فشيئا حتى زكت وتوشحت أو كادت برداء الطهر والعفاف والزهادة، فاسمع قوله[٢٠]:

فلا تخافي علينا الفقرَ وانتظري فضلَ الذي بالغنى من عنده نثقُ

وقد وصفه شوقي ضيف بأنه يقرب من زهاد المسلمين الذين كانوا يرون أن مجرّد التفكير في الرزق لما هو قادم من الأيام هو خطيئة لا تغتفر[٢١]، وعدّهُ السيد محسن الأمين العاملي (١٣٧١هـ) من أعيان الشيعة ومحبّي آل البيت (ع)، وروى له شعرا عن إبراهيم بن محمد البيهقي (٣٢٠هـ) في (المحاسن والمساوئ) يمدح فيه الحسين بن علي (ع)، وهو قوله[٢٢]:

مسحَ النبيُّ جبينهُ فلهُ بياضٌ في الخدودْ
وبوجههِ ديباجةٌ كرمُ النبوةِ والجُدودْ

وإذن لقد كساه الإسلام حلَّة جديدة من الورع والزهادة والرضا والتوكل، وقد آلى أن يلبس على دينه ثوبا خلقا، وهي كناية عن حسن إسلامه، وما أروعها من كناية، تفصح عن سريرة رجل آنس الكفاف والتقشف والحياة البسيطة وآثر الغنم بالقناعة والتقوى والعمل الصالح ولجَّ نهما بافتراع الحكمة واجتنائها من مظانها ومستودعها، يقول[٢٣]:

فأقسمتُ بالرحمن لا شيءَ غيرهُ يمينَ امرئ برٍّ ولا أتحلَّلُ
لأستشعرنْ أعلى دريسَيَّ مسلما لوجه الذي يُحيي الأنامَ ويقتلُ

فأين ذاك التذمر والتشكي والجحود من هذا التزود من القناعة والتلبُّس بالزهد والرضا، وأين تلك النفس الجامحة النفور المفاخرة المتوعدة من هذه النفس الهادئة المطمئنة المسالمة المتأدبة بأدب القرآن والخلق الرسول (ص)؟.

وموقفه الجديد هذا ينمُّ عن حدْسِ مبيطر حكيم خبر الأمور وجرَّبها وشهد المواقف وراشها بعين ثاقبة بصيرة ولبٍّ نيِّر حصيف وفطنة وحذق ومهارة وصناع، وإذن فاسمع قولته وتنسَّم حكمته:

وليس لمنْ لم يركبِ الهولَ بُغيةٌ وليس لرحلٍ حطَّه اللهُ حاملُ

إذا أنتَ لم تُقْصرْ عن الجهل والخنا أصبتَ حليما أو أصابكَ جاهلُ[٢٤]

ومن المعاني الإسلامية الجديدة التي دبَّج فيها شعره الإيمان بالمعاد والحشر والتذكير بالأجل للتخفيف من أعباء الحياة وكاهل العوَز والكفاف وتكاليف الشيخوخة والهرم، وحسبك بالأمم الغابرة والأقوام السالفة دليلا ومعتبرا، فكلٌّ يموت طال المقام به أم قصُر!، ومن طال مكثه برى الزمان جسده وأبلى المشيب حيويته ونشاطه، وصار يدبُّ دبيبا، وهو كلٌّ على مولاهُ لا يرجى خيره ولا يخشى خطره ولا يستساغُ حُلوهُ ولا مُرُّه! ثم يُسلمهُ الى المنون أجلهُ ولو بعد حين!! في إشارة الى قوله تعالى (ومن نعمره ننكسه في الخلق) [٢٥] وقوله (وكلٌّ أتوه داخرين)، يقول[٢٦]:

وإنْ يُدركْكَ موتٌ أو مشيبٌ فقبلكَ ماتَ أقوامٌ وشابوا

تلبَّثنا وفرطنا رجالا دُعوا وإذا الأنامُ دُعوا أجابوا

ويصنفُ ديوانهُ الى أربعة أصناف، هي:

- المطولات، وهي التي تجاوز عدد أبياتها خمسين بيتا، وعددها ثلاث قصائد من أصل تسع وأربعين قصيدة (بضمنها المقطوعات والخواطر)، أي بنسبة ٦% من مجموع الديوان، وينحصر عدد أبياتها بين (٥٢- ٧٥) بيتا، وبمعدل (٥٤) بيتا.
- القصائد المتوسطة، وهي التي يتراوح عدد أبياتها بين (٢٢- ٤٣) وعددها إحدى عشرة قصيدة، أي بنسبة ٢٢% وبمعدل ٧٢,٢٩ بيتا.
- القصائد القصيرة، وهي التي يتراوح عدد أبياتها بين (١٠-١٦)، وعددها ثمان قصائد، أي بنسبة ١٦% وبمعدل ٢٥ .١٣ بيتا.

- المقطوعات، وهي التي يتراوح عدد أبياتها بين (٢- ٩)، وعددها تسع عشرة مقطوعة، أي بنسبة ٣٨% وبمعدل ٤.٦٣ بيتا.
- الخواطر، وهي التي تتكون من بيت واحد، وعددها ثمان خواطر، أي بنسبة ١٦%.

فإذا أضفنا الخواطرَ الى المقطوعات بلغ عددها سبع وعشرين مقطوعة، أي بنسبة ٥٥% من قصائد الديوان، أي ما يربو على النصف بقليل، ولعلَّ هذا يفسر لنا موقف الأصمعي من كعب بن زهير إذ لم يعده من الفحول في تصنيفه للشعراء في كتابه (فحولة الشعراء).

وإذن وبحسب التصنيف أعلاه نسجل ملاحظتين اثنتين:

- قلة شعره قياسا بما حظي به من شهرة ومكانة بين الفحول عظيمتين.
- كثرة المقطوعات في شعره.

ولعلَّ هذا يشي بأمور ثلاثة هي:

- إنَّ كعبا أحجم أو كادَ عن الشعر بعد إسلامه، واقتصر على ومضات تجول في خاطره بين الحين والحين فيلفظها دررا منظومة، وربما يكون ذلك انعكاسا لأثر الإسلام في شخصيته وطباعه، وتفرغه لدينه وتعلقه بالقرآن الكريم وانشغاله بحفظه وتلاوته وتعلم أحكامه وعلومه، لذا خفف من قول الشعر واكتفى بمقطوعات يسيرة استلهم معانيها من مبادئ الدين الجديد وقيمه وتعاليمه.
- لقد بلغ الشاعر مبلغا من العناية والتهذيب لشعره ما جعله يسقط كثيرا من شعره ويستغني عنه لركة أو عدم إحكام يظنها فيه، لينتقي منه ما يشبه المختارات الشعرية وفقا لمعايير الجزالة والمتانة والجودة.
- ربما تكون هذه المقطوعات أجزاءً من قصائدَ متوسطةٍ أو مطولة تعرضت للضياع شأنها شأن كثير من الشعر الجاهلي والإسلامي الذي أتت عليه عوادي الزمان فذوى في مقابر النسيان. نعم لقد ضاع من الشعر أكثره لعزوف الرواة في الإسلام عن الشعر وروايته حينا من الزمان، وقد أشار الى هذا العلماء فقال أبو عمرو بن العلاء ((ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقلُّهُ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير))، وأرجع محمد بن سلام الجمحي ذلك الى انشغال العرب بالغزو والجهاد، وكان الشعر في الأغلب يروى

شفاها ويحفظ في الصدور، ولم يكن مدونا في كتاب أو صحيفة فلما راجعوا روايته كان من الرواة والعلماء من مات أو قتل فحفظوا من الشعر أقلَّهُ وضاع منهم شعر كثير، يقول ((فجاء الإسلام، فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم، ولهت عن الشعر وروايته، فلما كثر الإسلام، وجاءت الفتوح، واطمأنت العرب بالأمصار، راجعو رواية الشعر، فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك، وذهب عليهم منه كثير... ومما يدل على ذهاب الشعر وسقوطه، قلة ما بقي منه بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد، اللذين صح لهما قصائد بقدر عشر، وإن لم يكن لهما غيرهُنَّ، فليس موضعُهما حيثُ وضعا من الشهرة والتقدمة)).

أولا: شعر الوصف:

الوصفُ هو الموضوع الأبرز الذي يحتلُّ مساحة واسعة من الديوان، والذي يستهوي القارئ ويجره الى منطقة الفضول لمتابعة الأحداث والتفاصيل والتأثر بها، أعني وصف الظعن والناقة والبعير والفرس والنعام والظليم وحمار الوحش والطرد وسرد التفاصيل والجزئيات من رحلة الظعن وحله وترحاله والهوادج وحركتها ووشيها وزخرفها والمواضع التي يمرُّ بها والأماكن التي يقيم فيها وما يصادفه في سيره من مواقف وأحداث، وكذلك الناقة أو البعير وصفاتها ومعاناتها وشكواها وأحاسيسها وما يعترضها من المشاق والمكابدات في أثناء رحلتها، وأتن الوحش وصدورها وورودها ومنابع المياه ووعوثة الطرق ومسالكها وقصة الصياد بأجوائها المثيرة وأحداثها الدراماتيكية وجزئياتها الدقيقة وتداعياتها النفسية وكل ما يتصل بها من مواقف حياتية ومشاعر وجدانية، ويخيَّلُ إليَّ أن الشاعر قد لامس هذه الجزئيات عن كثب وعاش صراعاتها النفسية ومكنوناتها الداخلية وتأثر بها أشد التأثير، وهنا يكمنُ سرُّ عنايته بسرد تفاصيل المشهد وفسح المجال لمخيلته وأحاسيسه وانطباعاته للتدخل ليس فقط في تحديد الإطار الخارجي للمشهد بل في توزيع مساحاته وملء فراغاته وتنسيق ألوانه ورسم خطوطه وزواياه وانعكاساته وتدرُّج ظلاله والغوص وبعمق في بواطنه واقتناص لا مرئياته أو ما يسمى بـ ،،ملامسة أسراره وخفاياه،،.

وأما الناقةُ فالحديثُ عنها طويلٌ ومتشعبٌ، وأبرز ما يشدُّكَ إليه ويستدعي انتباهك وإصغاءك ثلاثُ سماتٍ أو مؤهلاتٍ ما فتأتْ تتسمُ بها رفيقة سفره، تمكنها من قطع الفيافي ومكابدة الأهوال لتحقيق الغاية وبلوغ الهدف، وهذه السمات هي (القوة والسرعة والضمور)، ولعلها أيقوناتٌ يرمزُ بها الى سمات ثلاث أخرى هي (النشاط والصبر والتحدي) لا بد من توفرها فيه لتحقيق ما يبتغيه ويصبو إليه، وهي سمات عامة لا تقترن بشخص أو زمان أو مكان، بل تعد أهمَّ أدوات الإنسان في صراعه مع الحياة.

ويذهب في وصفه بعيدا حتى يختلج أغوار النفس وخفايا الوجدان، وهو يجيد التعامل مع أدق الحالات النفسية وأعمق المشاعر الوجدانية، فاستمع إليه وهو يصف ناقته الضخمة القوية وقد برى السفرُ جسمها ورمى فؤادها بالجنون، وهي إذ تبثُّ شكواها إليه تصكُّ أسنانها تارة وتصرخ بصوت عال تارة أخرى من شدة الإعياء والتململ، يقول[٢٧]:

حرفٍ توارثها السِّفارُ فجسمُها عارٍ تساوكُ والفؤادُ خطيفُ
وتكونُ شكواها إذا هي أنجدتْ بعد الكلالِ تملُّكٌ وصريفُ

ولعلَّ أروعَ ما وصف به الناقة قولُه[٢٨]:

وتديرُ للخرق البعيد نياطُه بعدَ الكلال وبعدَ نوم الساري
عينا كمرآة الصناع تديرُها بأناملِ الكفين كلَّ مدار
تنجو بها عُنْقٌ كنازٌ لحمُها خفرتْ فقارا لاحقا بفقار

إنَّ هذه السرعة الفائقة المتخيلة التي تتخطى مديات الزمن وتفوق حدود التصور، وكأنها طائر أسطوري تشتدُّ سرعته كلما تقدم في السير، وكأنَّ مؤخرة جسمه تطارد مقدمته.

صورةٌ إيحائيةٌ فلسفيةٌ متخيلةٌ نادرةٌ فيها من الغرابة والعمق بقدر ما فيها من المهارة والحذق، ولعلها تشبه الانطلاقة الجديدة لكعب، تلك التي غيَّرت مسار حياته بعد أن طوى مرحلة الشك والغفلة، فإذا كان الكلال ونوم الساري يرمزان الى مرحلة الشك والغفلة كانت (خفرتْ فقارا لاحقا بفقار) ترمز الى أن الشاعر يتطلعُ أو تتوقُ نفسه الى تلك الحياة الأبدية في حضرة الملكوت الإلهي بعدما تشرَّبَ من معاني الزهد وقيمه

السامية. وإذا ذهبنا أبعد من هذا أمكننا أن نقول: إنَّ الخلافة سلسلةٌ يتصل آخرها بأولها، وهي باقيةٌ في أهل البيت ما بقيت الحياة، في إشارة الى دولة الإمام المهدي (ع)، فهو قد يكون أثبت أحقية الخلافة لعلي (ع) في رائيته المضمومة ثم أردفها برائية مكسورة للإعلان عن دولة الحق والتبشير بها وتأكيدها!.

وأيُّ وصفٍ دقيق وبديع هذا الذي ينساب انسيابا بواقعية وحرفية عالية ليتتبع كل ما جال فيه النظرُ من حركة أو سكون أو انفعال أو شعور، ويلحظُ كل ما خفي على غيره من دقائق الأشياء وخفايا الأمور وأسرارها، وإذن فاسمع قوله في صفة النعام، ولعلهُ أروعُ ما قيل فيه، وهو يسير سيرا حثيثا مسرعا بلا انعطاف ولا انحراف مثل عبدين هربا من سيدهما بعد الأغلال، وقد شمَّرت بهمة عالية وبمشقة وتكلف، وبساقين كغصنين من البان يابسينِ وجناحين كأنهما متصلان من شدة التقارب حتى تبلغ غايتها ومقصدها:

راحا يطيرانِ مُعوجَّينِ في سرعٍ ولا يريعانِ حتى يهبطا أُنُفا
كالحبشيينِ خافا من مليكِهما بعض العذاب فجالا بعد ما كُتفا
فشمَّرتْ عن عمودَيْ بانةٍ ذبلا كأنَّ ضاحيَ قشرٍ عنهما انقرفا[٢٩]

وليس من شك في أن هذا الاستقصاء والتدقيق في الوصف هو أثر من آثار شعر زهير على شخصيته وفنِّه الذي طبع بطابعه حتى صار كأنه عضوٌ من أعضاء جسده لا يكاد ينفكُّ عنه.

ثانيا: شعر الغزل:

يبدو كعبٌ قصير النفس في غزله ولم يكُ ذاك سرا ليخفى، فالرجل لم يكن يعرف الحب ولا أحسَّ بإحساسه ولا اكتوى بناره، فلم ينشغل بذكرى كاذبة، ولا أحاديث واهية خاوية، وما كان ليسترخص الدموع على علاقة عابرة أو ديار غابرة، وقد يصرح بهذا غير آبه ولا مستعظم:

فلما رأيتُ بأنَّ البكاءَ سفاهٌ لدى دمنٍ قد بُلينا
زجرتُ على ما لدي القلو صَ من حُزنٍ وعصيتُ الشؤونا[٣٠]

نعم لقد كان قصير النفس ضيق المشاعر لجوجا في الصبر والتجلد مولعا بالعزوف والنسيان لا يعرف شيئا عن التوادد أو التهالك أو التصابي، وهو مقتصدٌ جدا في التشبيب والتلطف والملاينة والمسايرة وغيرِ ذلك

مما ينبغي أن يُبذلَ ويُرخَّصَ دون الحبيبة والغُنمِ بمودتها ووصالها، والصبرِ على ما تبديه المرأةُ من دَلٍّ وتمنُّعٍ ومجافاة، والعطفِ على تصوير جسدها وإبراز مفاتنها، وغزله وإن كان مؤدبا ليس فيه فحشٌ ولا تهتكٌ ولا ما يخدشُ الحياء لكنه كان مشحونا بالأنفة والكبرياء والتعالي. لقد جرد غزله مما ينبغي أن يكون في الغزل من إحساس مرهف وعاطفة جياشة ومشاعر صادقة وعذوبة في الكلام، وضمنه ما لا ينبغي أن يكون فيه من النفور والمماحكة والعتاب واللوم، يقول الدكتور فؤاد قُميحة ((حتى في شعره الغزلي الذي يستوجب رقة في العواطف ولينا في الطباع وعذوبة في الكلمات فإنه لن تجد فيه إلا حديثا عن المشاكسة والنفور وحديثا عن الوعود التي لا تصدق والأماني التي لا تتحقق وعتابا يتجاوز اللوم الى حد القطيعة والهجران)).

ومثل هذا كثيرٌ في غزله، على شاكلة قوله[٣١]:

أرى أمَّ شدادٍ بها شبهَ ظبية تُطيفُ بمكحول المدامع خاذلِ
وتفترُ عن غُرِّ الثنايا كأنها أقاحٍ تَروّى من عروق غلاغلِ
لياليَ نحتلُّ المِراضَ وعيشُنا غريرٌ ولا نُرعى الى عذل عاذلِ
فأصبحتُ قد أنكرتُ منها شمائلا فما شئتَ من بخلٍ ومن منع نائلِ
إذا ما خليلٌ لم يصلكَ فلا تُقِمْ بتلعته واعمدْ لآخرَ واصلِ

وقوله[٣٢]:

صفراء آنسة الحديث بمثلها يشفي غليلَ فؤاده الملهوفُ
دعها وسلِّ طلابها بجُلالة إذ حان منك ترحُّلٌ وخُفوفُ

وكذلك قوله[٣٣]:

ألا أسماءُ صرَّمْتِ الحبالا فأصبح غاديا عزم ارتحالا
تعاورها الوشاةُ فغيَّروها عن الحال التي في الدهر حالا
فسلِّ طلابها وتعزَّ عنها بناجية كأنَّ بها خيالا

فما أن قطعتْ أسماءُ مودتَها حتى عزم على الرحيل، وتصبَّر عنها بناجية، أي ناقةٌ سريعةٌ، تتبخترُ من خيلاءَ ومرحٍ. وكثيرٌ من هذا أنت لاقيه متى ما تصفحتَ ديوانه وتأملتَ شعره ونظرتَ فيه.

وإذن لم يكن كعب مُحبا ولا شغوفا بالحب واستمالة النساء، وليس يصبرُ على ما يلاقيه العاشقُ من الصرم والقطيعة والصد والإخلاف بل يقابلُ الصد بالصد والنقض بالعزوف والهجْرَ بالهِجران...

ألم تعلمي أني إذا وصلُ خُلَّةٍ كذاكِ تولى كنتُ بالصبر أجدرا[٣٤]

وقد تكون له مغامرةٌ أو مغامرتانِ يعارضُ فيهما النساء في الهوادج ويركبُ مراكبَهُنَّ، دعاهُ الى ذلك شبابٌ جامحٌ وهزةُ أظعانٍ ذوات أريحية ونشاط موصوفات بالحسن والجمال والمرح، على شاكلة قوله[٣٥]:

وهزَّةِ أظعانٍ عليهنَّ بهجةٌ طلبتُ وريعانُ الصبا بيَ جامحُ

وقد يطلبه الزوج او بعض أقاربه وهم له كاشحون، قد حدُّوا الشفار للإيقاع به وقتله لو كانوا يجرؤون على ذلك، من مثل قوله[٣٦]:

وقالت تعلَّمْ أنَّ بعض حُموَّتي وبعلي غضابٌ كلُّهمْ لك كاشحُ

يحدُّونَ بالأيدي الشفارَ وكلُّهم لحلقكَ لو يسطيعُ حلقَكَ ذابحُ

وقد يبدو وكأنه لا يتحرجُ من مجون ولا سفه، وهو يركب جهله ويباشر لهوه مع ثلاث أو أربعٍ فاتناتٍ نواشز يوافقن هجان الإبل، أي كرائمها، في البياض وسعة الأعين، إذن فاسمعه وهو يقول مغترا مفاخرا:

وقد ينبري ليَ الجهلُ يوما وأنبري لسربٍ كحُرات الهجان توافقُه

ثلاثٌ غريراتُ الكلام وناشصٌ على البعل لا يخلو ولا هي عاشقه[٣٧]

وقد يرقُّ أحيانا أيَّما رقةٍ إذا ما ملك إحساسا صادقا وتمكن منه الوجد فأرهف حسَّه وخفف من جفاء طبعه وغلظته، فصفا مزاجه ورقَّ لفظه ولطف ذوقه، على شاكلة قوله[٣٨]:

أخو الجمر هاجتْ شوقهُ فتذكرا

وقوله:

أبتْ ذِكرةٌ من حُبِّ ليلى تعودني عيادَ أخي الحمى إذا قلتُ أقصرا[٣٩]

إذ تراجعه وتعاوده ذكرى ليلى كما تعاود ذا الحمى سخونته من حين الى حين من بعد انقطاع وأمل في الشفاء، وفي حال يظنُّ فيها أنها مفارقةٌ له فراق حائن أو كاشح، فيذوي لها الجسد وتفتر عظامه، وكأنه عودُ البانِ عصفت به رياحُ الهَيفِ العاتية، فذوى كالشَّنان... ومثل هذا قليلُ بل نادرٌ في شعره...

وقد يبدو أحيانا كأنه عاشقٌ متيمٌ ولكنني لا أراه عاشقا ولا متيما، وقد يبدو كأننا نتعاطفُ معه كعاشق أضرَّ به المطلُ والبعدُ والتسويفُ، كقوله[٤٠]:

وما زلتَ ترجو نفع سُعدى وودَّها وتبعدُ حتى ابيضَّ منك المسائحُ

ولكن سرعان ما تختفي آثار ذلك العشق المزيف أو المتقمص ويعود الى طبعه القديم فيجفو ويتصبَّر وينافح...

ثالثا: شعر الخمر:

ولا ريب خرج كعب بعض الشيء عن تقاليد المدرسة الأوسية التي لا تجاهرُ بالفحش ولا تسُفُّ ولا تعاقر، يمنعانها من ذلك ذوقٌ ملتزمٌ وشيءٌ من روية وتعقُّل، مغايران لذوق الجاهلية وسفه أحلامهم، كان ذلك في خمرياته، أعني وصفه للخمر والتبجح بمعاقرتها، مع جريان المشيب في رأسه مجرى السيل في الصرماء، ينهلُ تارة ويُعلُّ أخرى في معية ندمان يتجاذبهم السكر والملذات قد اعتادوا الشراب وحذقوا آدابه وقواعده، وهو يعمد الى لحن غريب أو مفارقة عجيبة بجعله الكرم وحسن الخلق معقودين بزمام الخمرة، وما معاقرتها إلا حثٌّ وتحريضٌ على هاتين الخصلتين، إذن فاسمع قوله[٤١]:

كلانا علتهُ كبرةٌ فكأنما رمتهُ سهامٌ في المفارق نُصَّلُ
وقد أشهدُ الكأس الرويَّة لاهيا أُعلُّ قبيل الصبح منها وأنهلُ
يُنازعنيها ليِّنٌ غيرُ فاحش مبادرُ غايات التجار مُعذَّلُ
إذا غلبتهُ الكأسُ لا مُتعبِّسٌ حَصورٌ ولا من دونها يتبسَّلُ

وغاياتُ التجار يريد رايات تجار الخمور، قال الأصمعي: كان أصحاب الخمر إذا نزلوا ضربوا راية ليعرفوا بها، والمعذل الملوم والحصور البخيل والمتبسل الكريه المنظر، والمعنى أن نديمه ليس ممن يعبِّسُ أو يبخل أو يعربد، بل هو ليِّنٌ سخيٌّ مبادرٌ الى اللذة والشراب.

ويصرِّحُ غيرَ مرة بتعاطيه الخمر ومراودته للشراب مع ندمان إذا ما عاقروا الخمرة سما فيهم نارها ودبيبها وكأنها مجاجاتُ الأفاعي، وهو قوله[٤٢]:

تَساقَوا بماءٍ من بلاد كأنهُ دماءُ الأفاعي لا يُبلُّ سليمُها

مُجاجاتِ حياتٍ إذا شربوا بها سما فيهمُ سُوّارها وهميمُها

رابعا: شعر الفخر:

وفي الفخر لا يحيدُ كعب عن المعاني التي يفخر بها الشاعر الجاهلي المستمدة من الصفات والقيم الأصيلة المتجذرة في نفس الإنسان العربي، وأبرز معاني الفخر الجاهلي في شعره هي:

- الشجاعة
- الزعامة
- الكرم
- الحسب الكريم
- الفضائل والقيم الأصيلة
- الابتعاد عن الفحش والرذيلة.

لقد عاش كعب ما عاش يلهج بقومه ويفخر بمآثرهم ومفاخرهم، فهم موسومون بالشجاعة والكرم ولهم شرف ثابت في الآباء والأجداد، أليس يقول[٤٣]:

فنحنُ بنو الأشياخِ قد تعلمونه نُذبِّبُ عن أحسابنا وندافعُ

ونحبُسُ بالثغر المخوف محلُّهُ ليُكشفَ كربٌ أو ليُطعم جائعُ

ومن مآثره في الحرب أنه من ذوي المشاهد التي لا تنكر، وقد اعتنق خصمه، أي أسَره في موقعة مشهودة، كما أنه يقارع الأبطال في الميدان ولا يفتدي بهم غيرهم، وهو قوله[٤٤]:

وعن اعتناقي ثابتا في مشهدٍ مُتنافسٍ فيه الشجاعةُ للفتى
ما إنْ وجدتُ له فداءً غيرهُ وكذلك كان فداؤُهمْ فيما مضى

ومما يحقُّ له أن يفخر به حميَّته ونخوته وإغاثته للمستصرخ وقد غصَّ بريقه من الخوف وأحاط به الشرُّ من كل جانب، وهو قوله[٤٥]:

ومُرهَقٍ قد دعاني فاستجبتُ له أجزتُ غصَّتهُ من بعد ما شرِقا

وشجاعته وبأسُ قومه كانا قد أغرياه بالشدة والعداوة والانتقام، فلا مناص يشددُ على عدوه ويصعد ويهزأُ به ويسخر منه سخرية لاذعة، وقد خبره ليس أهلا للوعيد، وما وعيدُه سوى حشرجة أو ظاهرة صوتية ليس وراءها مصاولة ولا انقضاض، هذا الذي عناه بقوله[٤٦]:

أمُودٍ خلْفُكمْ هرما ولما تذوقوا من عداوتنا وبالا
ولمّا تفعلوا إلا وعيدا كفى بوعيدِكُمْ لهمُ قتالا
وعيدٌ تُخدجُ الأرحام منه وينقلُ من أماكنها الجبالا
خفيفُ الغيث تُعجبُ من رآه مَخِيلتهُ ولم تقطرْ بَلالا

والكرمُ سمةٌ أصيلةٌ متجذرةٌ من سمات شخصيته، ورثها عن عشيرته وقومه، هو عاش وترعرع بل ويموت أيضا على الإيثار والكرم والذكر الجميل، ولا يحيد عن ذلك ما جدَّ الجديدان، أليس يقول[٤٧]:

فتىً لم يدعْ رشدا ولم يأتِ منكرا ولم يدرِ من فضل السماحة ما البخلُ
إذا كان نجلُ الفحل بين نجيبة وبين هِجان مُنجبٍ كرُم النجلُ

ومثلُ ذلك قوله[٤٨]:

ونارٍ قُبيلَ الصبحِ بادرتُ قدحها حيا النارِ قد أوقدتُها لمُسافرِ

وكلُّ من يعذله ويلحاهُ على إسرافه في الكرم فهو جاهل ضيِّق الفكر طائش اللسان، يقول[٤٩]:

بكرتْ عليَّ بسَحرة تلحاني وكفى بها جهلا وطيشَ لسانِ

وفخره الإسلامي لا شك مغايرٌ عن فخر الجاهلية ونزقها وبغيها وعتوها، فقد اصطبغت معانيه بروح الإسلام وقيمه النبيلة ومبادئه الحقة وتوشحت بالواقعية والاعتدال، يقول الدكتور شوقي ضيف ((ونراه دائما في شعره الجاهلي مفاخرا متوعدا مهددا حتى إذا أسلم أخذت نفسه تصفو وأخذ يستشعر معاني الإسلام الروحية وما دعا إليه من الخلق الفاضل، ولعل في ذلك ما يدل دلالة واضحة على تأثير الإسلام في نفسه وفي شعه)).

وأولُ ما يلقانا من تلك المعاني الجديدة الفخر بالإيمان والتقوى، والوفاء بما عاهدوا عليه الرسول (ص)، والتوكل على الله سبحانه، والذود عن دينهم والإخلاص له، وإثبات حسن السيرة والسلوك، والعزة والمنعة وكثرة العدد والسلاح في رحاب الإسلام، ومشايعة الظفر وتحقيق الانتصارات، فضلا عن القيم الأصيلة المعتادة، كالشجاعة والإقدام والاستبسال في الوغى وقوة الإرادة وصلابة الهمم وغيرها، خذ قوله مثلا[٥]:

صبَحناهمْ بألفٍ من سُليمٍ وألفٍ من بني عثمانَ وافِ

حدوا أكتافهم ضربا وطعنا ورميا بالمُريَّشة اللِّطافِ

وأعطينا رسول الله منا مواثيقا على حسن التصافي

فجُزنا بطن مكة وامتنعنا بتقوى الله والبيض الخفافِ

ورُحنا غانمين بما أردنا وراحوا نادمين على الخلافِ

خامسا: شعر الحكمة:

لقد عرف عن كعب أنه يجيد توظيف المثل والحكمة في شعره، ولعلَّ هذا يشي بأمرين:

- تجاربُه الكثيرةُ في الحياة مكَّنته أن يختطَّ لنفسه خطا يظهر فيه بمظهر العارف الخبير والحكيم المجرب، كما مكَّنته أن يصوغها شعرا ويسوقها دليلا ومعتبرا على رجاحة عقله وتمرسه بأفانين الحياة ومواقفها وأحداثها.

- تأثرُه الكبيرُ بأصول مدرسة أوس الشعرية وسَننها بوصفها مدرسة فنية تعليمية تحوكُ الشعر وتوجههُ وجهةً تربويةً أخلاقيةً من خلال استخلاص التجارب والعبر من الحياة وتوظيفها في إدارة المواقف واتخاذ

القرارات بحنكة ودراية ورويَّة سعيا لبناء الشخصية السوية وصقلها وتوجيهها نحو الخير والصلاح على الصعيدين الفردي والاجتماعي.

- وجاء توظيف المثل في قوله: (وأقربْ بأحلام النساء من الردى) أخذه من قولهم في المثل "لبُّ المرأة الى حُمْق" أي عقول النساء تصير الى فساد، يضرب عُذْراً للمرأة عند الغيرة، ومما قالت العرب في أمثالها: (إياك ومشورة النساء فإن رأيهن إلى الإفن وعزمهن إلى الوهن).

- ومن معانيه الحكمية أو مواقفه الفلسفية أن الحياة فانيةٌ والموت كأسٌ دائرةٌ على الجميع، وحسبنا بمن مضى من أسلافنا واعظا، ولسوف نغيبُ بعدما شهدنا غيابهم وسيشهدُ غيرُنا غيابنا، يقول[٥١]:

وإنَّ سبيلنا لسبيلُ قومٍ شهدنا الأمرَ بعدهمُ وغابوا

- والدهرُ لا يفتأُ يطلبك، وقد يأتيك من حيث احتسبتَ أو لم تحتسب، وكثيرا ما يأتيك الشر من حيث تجهله، وكم أمرٍ رجوتَ به خيرا غدا عليك شرا، ولعلَّ حاطبَ الأعواد يغفو فتنهشهُ السباعُ...

طافَ الرماةُ بصيدٍ راعهمْ فإذا بعضُ الرماة بنبل الصيد مقتولُ[٥٢]

- وإذا قصدك سهمُ المصيبة فلا تنفعُ معه تمائمُ النعم، أي أن المصائب الشديدة تُنسي الإنسانَ كلَّ عيش رغيد، يقول[٥٣]:

كأنَّ امرأ لم يلقَ عيشا بنعمةٍ إذا نزلتْ بالمرءِ قاصمةُ الظهرِ

وقد قيل في ذلك:

إذا أقبلت المصائبُ أدبرت النعم

وهذا أبو الحسن النقيب يقول: غرضُ النوائب منْ أُعيرَ كمالا[٥٤]

- وإن وجود الأمل في حياة الإنسان أمر ممدوح وحالة صحية تدفع الى العمل وتعزز الطاقة الإيجابية لديه، ولكن بالحد الطبيعي ومن دون إفراط أو تفريط، وبعكسه يتحول الى حالة مرضية وأمر مذموم ومورد من موارد الهلاك، لذا يعجب من غفلة الإنسان وقدره مخبوء له ويحذره من طول الأمل الذي يلفه بحبله الممدود حتى يجره الى حتفه[٥٥]:

لو كنتُ أعجبُ من شيءٍ لأعجبني سعيُ الفتى وهْوَ مخبوءٌ له القدرُ
والمرءُ ما عاش ممدودٌ له أملٌ لا تنتهي العينُ حتى ينتهي الأثرُ

وقد قيل في ذلك:

(الآمال مصائد الرجال) و(مطية الأمل لجامها الهلاك)، وجاء في لباب الآداب لأسامة بن منقذ: قال سقراط: طول الأمل ينسي الأجل واتباع الهوى يصد عن التقوى[٥٦].

- وفكرة الانتباه بعد الغفلة أو الانطلاق بعد العثرة لم تزل تدورُ في فكره ومخيلته فينطقُ بها لسانه بعد أن يكسوها كعادته حُلَّةً بهيةً من درر نسجه المنيعة ومن أفانينَ تصاويره البديعة، يقول[٥٧]:

ومريضةٍ مرضَ النعاس ذعرتُها بادرتُ علَّةَ نومها بغرارِ

- وكثيرا ما يشكو من الشيب وذهاب الشباب، وكأنه يضمنُ شكواه رسالةً مفادها أنه يتطلع الى عالم آخرَ لا يُشبه هذا العالم وحياة جديدة سرمدية يحظى فيها بالنعيم الدائم والعيش الرغيد، وبقدر ما هو متذمر من الكبر وآلام الحياة التي ملؤها الضعف والهم والحسرة فهو متطلعٌ الى تلك الحياة الأبدية الهانئة التي ملؤها النشاط والرضا والسعادة، وهو يشكو الدهر كما شكا زهيرٌ قبله ويدرك منه ما أدرك والده، فالجسدُ لا محالة يفنى والذي يخلِّد امرأً كلامُه ونواطقُه[٥٨]:

وأفنى شبابي صبحُ يوم وليلةٌ وما الدهرُ إلا مُسيهُ ومشارقُه
وأدركتُ ما قد قال قبلي لدهره زهيرٌ وإنْ يهلكْ تخلَّد نواطقُه

ولا شك أن هذا الأسلوب الحكمي الذي يتسم بالعقلانية والهدوء والإقناع هو من إفاضات شعر أستاذه زهير عليه بعد أن سكنت نفسه وراضت بلجام هذا الدين الجديد وما أملته عليها تجارب السنين وتقادم الدهور.

نتائج البحث:

بعد قراءة فاحصة متأملة لشعر كعب بن زهير يظهر لنا ما يأتي:

١.كان كعب في غزله قصير النفس ضيق المشاعر لجوجا في الصبر والتجلد مولعا بالعزوف والنسيان لا يعرف شيئا عن التوادد أو التهالك أو التصابي، وهو مقتصدٌ جدا في التشبيب والتلطف والملاينة، والعطفِ

على تصوير جسد المرأة وإبراز مفاتنها، وغزله وإن كان مؤدبا ليس فيه فحشٌ ولا تهتكٌ ولا ما يخدشُ الحياء لكنه كان مشحونا بالأنفة والكبرياء والتعالي.

٢. خرج كعب في شعره الخمري عن تقاليد المدرسة الأوسية التي لا تجاهرُ بالفحش ولا تسُفُّ ولا تعاقر، يمنعانها من ذلك ذوقٌ ملتزمٌ وشيءٌ من روية وتعقُّل، مغايران لذوق الجاهلية وسفه أحلامهم.

٣. إن كعبا في فخره الجاهلي لم يكن ليحيد عن المعاني التي يفخر بها الشاعر الجاهلي المستمدة من الصفات والقيم الأصيلة المتجذرة في نفس الإنسان العربي، أما فخره الإسلامي فهو لا شك مغايرٌ عن فخر الجاهلية ونزقها وبغيها وعتوها، فقد اصطبغت معانيه بروح الإسلام وقيمه النبيلة ومبادئه الحقة وتوشحت بالواقعية والاعتدال.

٤. كان الوصف الموضوع الأبرز الذي يحتلُّ مساحة واسعة من الديوان، ويستهوي القارئ ويجره الى منطقة الفضول لمتابعة الأحداث والتفاصيل والتأثر بها، ويبدو لي أن الشاعر قد لامس كل تلك الجزئيات التي وصفها في شعره عن كثب وعاش صراعاتها النفسية ومكنوناتها الداخلية وتأثر بها أشد التأثير، وهنا يكمنُ سرُّ عنايته بسرد تفاصيل المشهد وفسح المجال لمخيلته وأحاسيسه وانطباعاته للتدخل ليس فقط في تحديد الإطار الخارجي للمشهد بل في توزيع مساحاته وملء فراغاته وتنسيق ألوانه ورسم خطوطه وزواياه وانعكاساته وتدرُّج ظلاله والغوص وبعمق في بواطنه واقتناص لامرئياته. وأما وصف الناقة فأبرز ما يشدُّكَ إليه ويستدعي انتباهك ثلاثُ سماتٍ ما فتأتْ تتسمُ بها رفيقة سفره، وهذه السمات هي (القوة والسرعة والضمور)، ولعلها أيقوناتٌ يرمزُ بها الى سمات ثلاث أخرى هي (النشاط والصبر والتحدي) لا بد من توفرها فيه لتحقيق ما يبتغيه ويصبو إليه، وهي سمات عامة لا تقترن بشخص أو زمان أو مكان، بل تعد أهمَّ أدوات الإنسان في صراعه مع الحياة.

٥. أجاد كعب توظيف المثل والحكمة في شعره، ويرجع ذلك الى تجاربه الكثيرة في الحياة التي مكَّنته أن يختطَّ لنفسه خطا يظهر فيه بمظهر العارف الخبير والحكيم المجرب، فضلا عن تأثره الكبير بأصول مدرسة أوس الشعرية وسَننها بوصفها مدرسة فنية تعليمية تحوكُ الشعر وتوجههُ وجهةً تربويةً أخلاقيةً من خلال

استخلاص التجارب والعبر من الحياة وتوظيفها في إدارة المواقف لبناء الشخصية السوية وتوجيهها نحو الخير والصلاح على الصعيدين الفردي والاجتماعي.

الهوامش:

١ ظ: طبقات فحول الشعراء: ٩٧/١

٢ ظ: الأغاني: ١٧٦/٣

٣ الشعر والشعراء: ٢١/١

٤ ظ: طبقات فحول الشعراء: ١٠٤/١

٥ ديوان كعب بن زهير: ١٠٦

٦ الشعر والشعراء:٥/١

٧ البيان والتبيين:١١٧/١

٨ ظ: العمدة:٤٠/١.

٩ طبقات فحول الشعراء:٦٤/١

١٠ الشعر والشعراء:٣٥/١

١١ ديوان كعب بن زهير: ١٣٧

١٢ نفسه: ١٥٤-١٥٥

١٣ نفسه: ١٤٤-١٤٥

١٤ نفسه: ١١٩-١٢٠

١٥ نفسه: ٨٦

١٦ نفسه: ٤٤-٤٥

١٧ نفسه: ٨٥

١٨ نفسه: ٨٤

١٩ نفسه: ١٠٣

٢٠ نفسه: ١٠٤

٢١ العصر الجاهلي، د.شوقي ضيف:٨٧.

٢٢ المحاسن والمساوئ، ابراهيم البيهقي:٩٧، أعيان الشيعة، الأمين:٢١١/١٣.

٢٣ ديوان كعب بن زهير: ١٢٢

٢٤ نفسه: ١٣٤

٢٥ سورة يس /٦٨

٢٦ ديوان كعب بن زهير: ٤٩

٢٧ نفسه: ٩٥

٢٨ نفسه: ٦٢

٢٩ نفسه: ٩٢

٣٠ نفسه: ١٥٠

٣١ نفسه: ١٢٦

٣٢ نفسه: ٩٤-٩٥

٣٣ نفسه: ١٣٠-١٣١

٣٤ نفسه: ٦٣

٣٥ نفسه: ٥٢

٣٦ نفسه: ٥٢

٣٧ نفسه: ١٠٢

٣٨ نفسه: ٦٣

٣٩ نفسه: ٦٣

٤٠ نفسه: ٥١

٤١ نفسه: ١١٧

٤٢ نفسه: ١٤٩

٤٣ نفسه: ٨٥

٤٤ نفسه: ٤١

٤٥ نفسه: ١٠٨

٤٦ نفسه: ١٣٢

٤٧ نفسه: ١٣٣

٤٨ نفسه: ٧٥

٤٩ نفسه: ١٥٧

٥٠ نفسه: ٩٨-٩٩

٥١ نفسه: ٤٩

٥٢ نفسه: ١٣٤

٥٣ نفسه: ٧٧

٥٤ يتيمة الدهر: ١/٤١٥

٥٥ ديوان كعب بن زهير: ٧٧

٥٦ لباب الآداب: ١/ ١١٩

٥٧ ديوان كعب بن زهير: ٦١

٥٨ نفسه: ١٠٠

الأدوات عند الكوفيين

أ.د. ناصر عبد الإله دوش

الباحثة حنين حمزة عبد الحسين

المقدمة:

الادوات هي ما تؤدي العمل في غيرها فهي اداة لذلك الشيء، فحروف الجر ادوات لأنها تجر الاسم ، وقال فيها الجرجاني :بانها تدل على معنى في غيرها، وقد اختلف النحويون في مسميات حروف الجر منهم من قال : جر ، وحرف خفض ، وحرف اضافة وحروف العطف ادوات فهي تعمل في الاسم العطف .

أولا:-حروف الجر (الخفض)

الحرف لغةً:

"حرف كل شيء: طرفه وَشفيُرهُ وَحدُّهُ. ومنه حرف الجبل، وهو أعلاه المُحَدَّدُ والحرفُ: واحد حُروف التهجّي، وقوله تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حَرف﴾، قالوا: على وجه واحد، وهو أن يعبده على السَرّاَء دون الضّراء، والحَرْفُ الناقة الضامرة الصلبة، شُبهت بحرف الجبل" [١].

الجر لغةً:

قال ابن منظور:" الجَرُّ: الجَذْبُ، جَرَّهُ، يجُرّه جَرّاً، وَجَررْتُ الحَبْلَ وَغيْرَهُ أَجْرّه جَرّاً، وأنجرّ الشيء: أنْجَذَب"[٢].

حروف الجر اصطلاحاً:

قال الجرجاني:" ما دلَّ على معنى في غيره"[٣]، وخص حروف الجر بقوله:" :" حرف الجر: ما وضع لإفضاء الفعل أو معناه إلى ما يليه ، نحو: مررت بزيد، وأنا مار بزيد".[٤]

اختلف النحويون في مسميات الجر وأطلقوا عليه مسميات متعددة منها: (حرف الجر- حرف الخفض- حرف الإضافة).

فقد سماها ابن السراج بحروف الجر[٥]، وأما الزجاجي فقد أطلق عليها حروف الخفض[٦]، وأطلق عليها ابن يعيش بحروف الإضافة إلى جانب حروف الجر.[٧] والمتعارف على تسميتها في أغلب كتب النحاة بحروف الجر.

وقد وضح ابن السراج أن حروف الجر تدخل على الاسماء فتجرها وذلك بقوله:" حروف الجر تصل ما قبلها بما بعدها فتوصل الاسم بالاسم والفعل بالاسم ولا يدخل حرف الجر إلا على الاسماء".[٨]

أقسام حروف الجر:

تنقسم حروف الجر على قسمين:

فأحد القسمين :" ما استعملته العرب حرفاً فقط ولم يشترك في لفظه الاسم ولا الفعل مع الحرف ، ولم تجره في موضع من المواضع مجرى الاسماء ولا الأفعال.

القسم الآخر : ما استعملته العرب حرفاً وغير حرف.

القسم الأول على ضربين: الأول منها: ألزم عمل الجر، والضرب الثاني: غير ملازم لعمل الجر. فأما الحروف الملازمة لعمل الجر: من، وإلى ، وفي ، والباء، واللام ، ورب، والضرب الثاني: من حروف الجر وهو ما كان غير ملازم للجر وذلك حتى ، والواو، والباء، والتاء".[٩]

أما المرادي فقسم الحرف على ثلاثة :" وأما أقسام الحرف فثلاثة : مختص بالاسم ، ومختص بالفعل، ومشترك بين الاسم والفعل ".[١٠]

في دليل السالك قسمت حروف الجر قسمين:

الأول: مشترك بين الاسم الظاهر والمضمر وهو سبعة (من، إلى ، عن، على، في، اللام، الباء).

الثاني: مختص بالاسم الظاهر ، وهو سبعة أيضاً ذكرها ابن مالك وهي أربعة أقسام:

الأول: ما يختص بالزمان وهو (مذ، منذ) تقول: ما رأيته مذ يوم الجمعة. وما رأيته منذ يومنا ، والأول بمعنى: من. والثاني بمعنى : في.

الثاني: ما لا يختص بظاهر بعينه وهو ثلاثة : في، الكاف، الواو.

الثالث: ما يختص بجر النكرة . وهو (رُبَّ) . وهو حرف جر شبيه بالزائد موضوع للتكثير أو التقليل حسب القرينة ، والأول أكثر نحو: رُبَّ رجلٍ عالمٍ لقيت[١١].

الرابع: ما يختص بلفظ الجلالة . وهو (التاء) كقوله تعالى :﴿وَتَاللهِ لَلأَكِيدَنّ أَصْنَمُكم﴾[١٢].

فهذه السبعة المذكورة ، لا تجر الا الاسم الظاهر، وما ورد من جر بعضها للضمير فهو شاذ يحفظ ولا يقاس عليه.[١٣]

وجاء فيه أيضاً إن (كي، ولعل، ومتى)، حروف جر وقلَّ من يذكرهن من حروف الجر، وذلك لغرابة بهن.

فأما (كي) فهي حرف جر للتعليل، في ثلاثة مواضع هي:

١- إذا دخلت على ما الاستفهامية ، كما في قولهم عند الاستفهام عن علة الشيء : كيمه؟ بمعنى : لمه؟ فكي هنا حرف جر و ما (ما) استفهامية مجرورة بـ(كي) ، فحذفت ألفها لدخول حرف الجر عليها.

٢- إذا دخلت على (أن) المصدرية مع صلتها والغالب أن تكون مضمرة نحو: جئت كي أَستفيد، فالفعل المضارع نُصب بـ(أن) مضمرة بعد حرف الجر (كي) ، و(أن) وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بكي.

٣- (ما) المصدرية مع صلتها .نحو: أحسن معاملة الناس كي ما تسلمُ من أذاهم ، فما دخلت على الفعل المضارع في تأويل مصدر مجرور ب (كي).

أما لعل فذكرها على أنها حرف شبيه بالزائد وتفيد الترجي والتوقع والجر بها مقصور على بعض العرب، نحو : لعل المسافر قادمٌ غداً .

فـ لعل حرف جر شبيه بالزائد للترجي (المسافر) مجرور بها لفظاً في محل رفع مبتدأ، والخبر (قادم) على لغة بني عُقيل.

وأما متى مستعملة في لغة (هذيل) على أنها حرف جر أصلي، ومعناها الابتداء عندهم ن نحو قولهم: أخرجها متى كمّه، بمعنى من كمه.[١٤]

وبين المرادي أن الحرف من حيث العمل على قسمين هما:" عامل ، وغير عامل ، فالعامل هو ما أثر فيما دخل عليه رفعاً، أو نصباً ، أو جراً، أو جزماً، وغير العامل بخلافه، ويسمى المهمل".[١٥]

معاني الحروف: أغلب المعاني الشائعة في استعمالها وذكرت في كتب النحاة للحروف الشائعة الاستعمال هي:

١- من: معناها ابتداء الغاية في الأماكن ، نقول: سرت من موضع كذا إلى موضع كذا.[١٦]

٢- إلى: فهي لمنتهى الغاية، تقول : سرت إلى موضع كذا ، فهي منتهى سيرك.[١٧]

٣- في: في معناها الوعاء والاحتواء ، فإذا قلت : فلان في البيت ، فإنما تريد : أن البيت قد حواه.[١٨]

٤- الباء: معناها الإلصاق، فجائز أن يكون معه استعانة ، وجائز لا يكون فأما الذي معه استعانة فقولك: كتبت بالقلم ، والذي لا استعانة معه فقولك: مررت بزيدٍ ونزلت بعبدالله.[١٩]

٥- من : وذكر لها الناظم خمسة معاني هي:

أ- التبعيض: أي للدلالة على البعضية . وعلامتها أن يصح حذفها ووقوع كلمة (بعض موقعها وأن يعم ما قبلها ما بعدها إذا حذفت ، نحو: أخذت من الدراهم.

ب- بيان الجنس: ويكثر وقوعها بعد (ما) و(مهما) للإفراط ، أبهامهما، كقوله تعالى:﴿مَهَما تأتنا به من أيَةٍ﴾[٢٠]، وقد تقع بعد غيرهما كقوله تعالى:﴿فَأَجْتَنِبُوا الرِجْسَ مِنَ الأَوْثَنِ﴾[٢١].

ت- ابتداء الغاية: في الأمكنة كثيرا . وفي الأزمنة أحياناً ، وهذا المعنى الغالب عليها.

ث- التوكيد: وذلك إذا كانت زائدة بشرطين:

الأول: أن يكون المجرور بها نكرة.

الثاني: أن يسبقها نفي أو نهي أو استفهام ، نحو: ما حضر من أحد.

ج- أن تكون بمعنى (بدل) ، بحيث يصح أن تحل هذه الكلمة بدلها أو محلها كقوله تعالى:﴿أَرضيتم بالحياة الدنيا مِنَ الآخرةِ﴾[٢٢].

٦- حتى : وهي حرف جر أصلي وتكون ضربين:

أ- جارة للمفرد الصريح ، وهذه معناها الدلالة على انتهاء الغاية وتسمى (حتى الغائية) وهي لا تجر إلا الآخر ، أو المتصل بالآخر، فمثال المتصل بالآخر، قوله تعالى:﴿سَلَمٌ هي حَتّى مَطْلِعِ الفَجْرِ﴾[٢٣] ومثال الآخر: أكلت السمكة حتى رأَسها.

ب- جارة لـ(أن) المصدرية ومد قولها، وهذه تكون غائية.[٢٤]

٧- اللام: وهي حرف جر اصلي وقد يكون زائدا ومعانيه هي :

١- انتهاء الغاية، فتكون مثل (إلى) وهذا المعنى قليل ، كقوله تعالى:﴿كُلٌ يجري لأَجلٍ مُسَمىّ﴾[٢٥].

٢- الملك، وتقع غالباً بين ذاتين الثانية منهما تملك، وهو أكثر معانيها، قال تعالى:﴿ لِلهِ مُلكُ السَّموات والأرض﴾[٢٦].

٣- شبه الملك، ويعبر عنه بالاختصاص ، وهو أن يكون مد قول اللام لا يملك نحو: الباب للدار.

٤- التعدية إلى المفعول به.

٥- التعليل: إذا كان ما بعدها علة لما قبلها.

٦- التوكيد لمعنى الجملة.

٧- تقوية العامل الذي ضعف عن العمل بأحد سببين : أحدهما: أن يقع العامل متأخراً، والثاني : أن يكون العامل فرعاً في العمل.[٢٧]

٧_على: وهو حرف جر أصلي وله معاني منها:

أ- الاستعلاء: وهو أكثر معانيها.

ب- معنى (في) وهو الظرفية.

ت- معنى (عن) وهو المجاوزة نحو: إذا رضي عليّ الأبرار غضب عليّ الأشرار، أي: رضي عني.[٢٨]

٨- عن: وهو حرف جر أصلي، وله معان منها:

أ- المجاورة:

ب- بمعنى (بعد)، كقوله تعالى:﴿ قال عمّا قليل ليصبحن ندامين﴾[٢٩].

ت- بمعنى (على) وهو الاستعلاء.[٣٠]

٩- الكاف: وهو حرف جر يقع أصلي وزائد، وله معان منها:

أ- التشبيه.

ب- التعليل.

ت- التوكيد ويختص بالزائدة[٣١]

وذكر حروف الجر التي تشترك بين الحرفية والاسمية وذكرها خمسة وتحدث عن ثلاثة منها وهي:

١- الكاف

٢- عن

٣- على

٤- منذ

٥- مذ[٣٢].

حاشا: تفيد الاستثناء ومعناها التنزيه نحو: (قامَ القومُ حاشا زيدٍ)، ويرى سيبويه وأكثر البصريين أنها حرف خافض دال على الاستثناء كـ(إلا)، كما يرى غير سيبويه انها تكون حرفاً " فتجر، وفعلا " فتنصب بمنزلة (خلا، وعدا) وهذا مذهب الجرمي والمازني والمبرد والزجاج، غير أن الجرمي والمازني والمبرد والزجاج والأخفش والفراء وأبا عمرو الشيباني ذهبوا إلى أنها تستعمل كثيراً "حرفاً" جاراً ، "وقليلاً"،" فعلا، " متعدياً".[٣٣]

خلا: " وتدل على الاستثناء فتجر المستثنى نحو: قامَ القوم خلا زيدٍ".[٣٤]

رب: وتفيد التقليل، وهو مذهب أكثر النحاة، ويرى بعضهم أنها للتكثير كقولهم: (رب مالٍ وهبت).[٣٥]

عدا: وهي مثل حاشا وخلا في دلالتها على الاستثناء نحو:(جاء القوم عدا زيدٍ).[٣٦]

لولا: وهي لولا الامتناعية وتكون حرف جر إذا وليها الضمير المتصل الموضوع للنصب والجر كالياء والكاف والهاء.[٣٧]

مذ ومنذ: لابتداء الغاية في الزمان نحو:(مذ اليوم، ومذ الساعة) ، وهي بمنزلة (من) في الأيام كما يقول سيبويه: ومذ لفظ مشترك يكون حرفاً ويكون اسماً، وكذلك منذ والمشهور انهما حرفان إذا انجر ما بعدهما ، واسمان إذا ارتفع ما بعدهما، وقيل : هما (اسمان مطلقان).[٣٨]

واو القسم: ويجر بها المقسم به، ولا يجر بها غير الاسم الظاهر وهي بدل عن الباء. [٣٩]

على بمعنى عن:

أما ما ذكر من مسألة في الحروف عند الكوفيين وذكرها ابن جني ، عندما قال ومما جاء من الحروف في موضع غيره على نحو مما ذكرنا قوله:[٤٠]

إذا رضيت عليّ بنو قُشَيرٍ لعمر الله أعجبني رضاها[٤١]

أراد عني . ووجهه : أنها إذا رضيت عنه أحبته وأقبلت عليه ، فلذلك استعمل (على) بمعنى (عن) ، وكان ابو علي يستحسن قول الكسائي في هذا ؛ لأنه قال: لما كان (رضيت) ضدّ (سخطت) عدّى رضيت بعلى حملا للشيء على نقيضه؛ كما يحمل على نظيره". فهنا أناب الحرف (على) ، عن معنى الحرف (عن).

الأصل في حروف الجر أن يكون لكل حرف منها مكانٌ يحلهُ ويؤدي عمله ومعناه، ولكن العرب قد تتسع فيها فتقيم بعضها مقام بعض إذا تقاربت المعاني.[٤٢]

وما نسب من قول الكسائي هذا إنابة حروف الحروف بعضها مكان بعض عند الكوفيين، لم أجدهُ في أغلب الكتب والمصادر الكوفية المعتمدة ، فنجد عند الفراء بأنه يجيز التضمين في مواضع كثيرة من كتابه معاني القرآن ، ففي الحديث عن قوله تعالى:﴿ مَنْ أنصاري إلى الله﴾[٤٣]، قال: "والمفسرون يقولون: مَنْ أنصاري مع الله ، وهو وجه حسن ، وانما يجوز أن تجعل (إلى) موضع مع إذا ضممت الشيء إلى الشيء مما لم يكن معه كقول العرب : ان الذود مع الذود ابل ، اي اذا ضممت الذود إلى الذود صارت ابلا فاذا كان الشيء مع الشيء لم تصلح مكان (مع) (إلى) الا ترى انك تقول : قدم فلان إلى أهله ،ولا

تقول : مع اهله"[٤٤]، فنجد الفراء من خلال هذا القول إنه يجيز التضمين ، فـ(إلى) عنده لا يمكن أن تكون بمعنى (مع) إلا إذا كان هناك معنى الانضمام.

والتضمين معناه:" عند أهل العربية يطلق على معان،منها إعطاء الشيء معنى الشيء، وبعبارة أخرى إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه، ويكون في الحروف والأفعال".[٤٥]

وما جرى عنده مجرى التضمين أيضاً حديثه عن قوله تعالى:﴿الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون﴾[٤٦]، إذ قال: " لا يريد اكتالوا من الناس، وهما تعتقبان (على ومن) في هذا الموضع ؛ لأنه حق عليه، فإذا قال: اكتلت عليك؛ فكأنه قال: أخذت ما عليك ، وإذا قال : اكتلت منك ، فهو كقولك :استوفيت منك".[٤٧]

وعند قوله تعالى:﴿ خُلِقَ الإنسانُ مِنْ عَجَلٍ﴾[٤٨]، قال:" وعلى عجل ، كأنك قلت: بنيه، وخلقته من العجلة ، وعلى العجلة"[٤٩]، إذا هو يجيز النيابة إذا تقاربت المعاني ، وعاد المعنى إلى شيء واحد.

والفراء عند إجازته النيابة يشترط عدم اللبس في المعنى فيقول:" وقد تضع العرب الحرف في غير موضعهِ إذا كان المعنى معروفاً"[٥٠].

أما عند البصريين ، فقد اختلط الأمر عند أكثر الباحثين قدامى ومحدثين ، فنسبوا إلى البصريين أنهم يمنعون نيابة حروف الجر بعضها عن بعض ، ونسبوا إلى الكوفيين إجازة ذلك، يقول ابن هشام:" مذهب البصريين أن أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس ، كما أن أحرف الجزم وأحرف النصب كذلك ، وما أوهم ذلك فهو عندهم إما مؤول تأويلاً يقبله اللفظ ، كما قيل في قوله تعالى:﴿ ولأصلبّنكم في جذوع النخل﴾[٥١]، إن (في) ليست بمعنى (على) ، ولكن شبه المصلوب لتمكنه من الجذع بالحال في الشيء، وأما على تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف... وأما الأخير هو محَمل الباب كله عند أكثر الكوفيين، وبعض المتأخرين ، ولا يجعلون ذلك شاذاَ ومذهبهم أقل تعسفاً".[٥٢]

وإذا رجعنا إلى سيبويه وهو شيخ البصريين ، لوجدنا أن هذا القول ليس دقيقاً ولا يمكن أن نسلم به، فعنده أن لكل حرف من حروف الجر معنى خاص به ، ولكن قد يتسع فيه، مع المحافظة على هذا المعنى ،

يقول:" وباء الجر إنما هي للالزاق والاختلاط، وذلك قولك: خرجت بزيد، ودخلت به، وضربته بالسوط، ألزقت ضربك إياه بالسوط فما اتسع من هذا الكلام فهذا أصله".(٥٣)

ويقول (سيبويه) : وأَما إلى " فمنتهى لابتداء الغاية ، تقول: من كذا إلى كذا...ويقول الرجل: إنما أنا أليك ، أي إنما أنت غايتي... فهذا أمر إلى وأصله وإن اتسعت".(٥٤)

فالواضح إن سيبويه يجعل لكل حرف معنى خاصاً بهِ ولكن قد يتسع به، فيظن إنه خرج عن المعنى المطلوب ، فيرده سيبويه بالتأويل إلى معناه الأصلي ، كما في إنما أنا إليك ، أي إنما أنت غايتي ، فرجع به إلى الأصل وهو انتهاء الغاية، إذا مذهب سيبويه هو لكل حرف معنى خاص به، لكنه قد يخرج عن المعنى الأصلي اتساعا ، ويرده إلى معناه الأول عن طريق التأويل .

ونجده أيضاً يذهب في إبانة الحروف بعضها مكان بعض بأنه من اللهجات ففي قوله: عن (عن) قال: قال: ابو عمرو: سمعت ابا زيد يقول : رميت عن القوس ،وناس يقولون: "رميت عليها".(٥٥)

ونلحظ إن سيبويه يذهب إلى أن كل حرف له معنى مستقل لا يفارقه ، لكنه قد ينوب حرف عن حرف في بعض الأحيان عن طريق الاتساع واللهجات ، كما في إنابة (على) عن (عن).

أما المبرد ، فيرى أن لكل حرف معنى أَصيلاً ، ثم يتسع فيما يشابهه، ويقارب معناه يقول:" ومن هذه الحروف (في) ومعناها: ما استوعاه الوعاء، نحو قولك: الناس في مكان كذا ، وفلان في الدار ، فأما قولهم : فيه عيبان فمشتق من ذا، لأنه جعله كالوعاء للعيبين ، والكلام يكون له أصل ، ثم يتسع فيه فيما شاكل أصله، فمن ذلك قولهم : زيد على الجبل، وتقول : عليه دين ، فإنما أرادوا أن الدين قد ركبه ، وقد قهره".(٥٦)

وبعد أن ذكر لكل حرف معنى واحداً نجده في موضع آخر يقول:" فهذا أصله ، وقد يتسع القول في هذه الحروف ، وإن كان ما بدأنا به الأصل "(٥٧)، فنجده يوافق سيبويه في الأصل الذي انطلق منه بإن لكل حرف معنى أصلي ولكنه قد يتسع فيما يشابهه.

أما ابن السراج فنجده أكثر تفصيلاً من سيبويه والمبرد، فجعل التقارب بين معاني حروف الجر، السبب في نيابة بعضها مكان بعض ، وتباعد المعاني يمنع الإنابة ، إذ يقول:" واعلم أن العرب قد تتسع فيها فتقيم بعضها مقام بعض ، إذا تقاربت المعاني، فمن ذلك الباء ، تقول: فلان بمكة وفي مكة، وإنما جازا معاً، لأنك إذا قلت : فلان بموضع كذا وكذا، فقد خبرت عن اتصاله، والتصاقه بذلك الموضع ، وإذا قلت في وضع كذا فقد خبرت بـ(في) عن احتوائهِ إياه، وإحاطتهِ به، فإذا تقارب الحرفان ، فإن هذا التقارب يصلح للمعاقبة ، وإذا تباين معناهما لم يجز، ألا ترى أن رجلا لو قال: مررت في زيد ، أو كتبت إلى القلم، لم يكن هذا يلتبس به فهذا حقيقة تعاقب حروف الخفض ، فمتى لم يتقارب المعنى لم يجز".[٥٨]

نلخص من هذه الأقوال السابقة إن البصريين الأوائل يرون أن لكل حرف جر معنى خاص به، إلا أنهم يجيزون نيابة حروف الجر بعضها عن بعض إذا تقاربت المعاني، ويتضح أن الكوفيين لم يذهبوا إلى النيابة المطلقة بل جنحوا إلى التأويل والتضمين كالبصريين ، إلا أنّ البصريين غلب عليهم القول بالتأويل والتضمين أكثر من الكوفيين.

ثانيا– زيادة الواو العاطفة

زيادة الواو العاطفة:

حروف العطف عددها:

قال ابن يعيش:" وحروف العطف عشرة على ما ذكروه هي الواو والفاء وثم وحتى وأو وأم وإما مكسورة مكررة وبل ولكن ولا".[٥٩]

وموضع البحث هنا [الواو]، وقد ذكر ابن يعيش على أنها أصل حروف العطف ، إذ قال :" والدليل على ذلك انها لا توجب إلا الاشتراك بين شيئين فقط في حكم واحد ، وسائر حروف العطف توجب زيادة حكم على ما توجبه الواو ألا ترى أن الفاء توجب الترتيب وأو الشك وغيره وبل الأضراب فلما كانت هذه الحروف فيها زيادة معنى على حكم الواو صارت الواو بمنزلة الشيء المفرد وباقي حروف العطف بمنزلة المركب مع المفرد فلهذا صارت الواو أصل حروف العطف".[٦٠]

معنى الواو ودلالتها:

١- الجمع مطلق:" فهي تدل على الجمع المطلق إلا أن دلالتها على الجمع اعم من دلالتها على العطف، والذي يدل على ذلك انا لا نجدها تعرى من معنى الجمع وقد تعرى من معنى العطف".(٦١)

٢- الترتيب مطلقًا:" سواء كانت عاطفة في المفردات أو الجمل . وهو قول* بعض الكوفيين منهم ثعلب، وابن درستويه ، حكاه عنهم جماعة من النحاة "(٦٢).

٣- إن الواو للجمع بقيد المعية، فإذا استعملت في غير ذلك يكون مجازاً.(٦٣)

٤- إن الواو للترتيب إذ يستحيل الجمع ، كقوله تعالى:﴿اركعوا واسجدوا﴾(٦٤)".

وللتوضيح نذكر المقصود بمطلق الجمع:" الاجتماع في الفعل من غير تقييد بحصوله من كليهما في زمان أو سبق أحدهما".(٦٥)

وما ذكره ابن جني في الخصائص حول هذه المسألة (زيادة الواو العاطفة)، إذ قال:" ومن ذلك ما يدّعيه الكوفيون من زيادة واو العطف ، نحو قول الله عز وجل :﴿حتى اذا جَاءُواهَا فُتِحَتْ أبَوابُهَا﴾(٦٦) (قالوا: الواو هنا زائدة مخرجة عن العطف ، والتقدير عندهم فيها: حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها)، زيادة الواو أمر لا يثبته البصريون".(٦٧)

أجاز الكوفيون زيادة واو العطف في بعض المواضع، واستشهدوا على زيادتها بشواهد قرآنية وشعرية ، قال الفراء :" ولكن العرب إذا تطاولت الصفة جعلوا الكلام في الناقص وفي التام كالوحد ؛ ألا ترى أنهم قالوا في الشعر:

حتى إذا قَمِلتْ بطوُنُكُمُ و رأَيتُمُ أبنـاءكُـم(٦٨)

وقلبتُمُ ظهر المِجَنَّ لنا إن اللئيمَ العاجز الخِبُّ

فجعل جواب (حتى إذا) بالواو ، وكان ينبغي ألا يكون فيه واو ... ومثلهُ قوله :﴿ حتى إذا جاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابِها وقال لهم خَزَنتُها﴾(٦٩)، ومثله قوله :﴿فلمّا أَسْلَماَ وَتَلّهْ للِجبين، وَندينه أَن يا ابراهيم﴾(٧٠)،

جعل بالواو ، وفي قراءة عبدالله ":﴿فلمّا جهزهُم بِجَهازِهم وجَعَل السِّقاية﴾[٧١]، وفي قراءتنا بغير الواو، وكل عربي حَسِن".[٧٢]

وقال الفراء في قوله تعالى:﴿ فَلَمّا ذَهبوا بهِ وأَجمَعُوا أن يَجْعَلُوهُ في غيب الجُبّ وأوحينا إليه﴾[٧٣]: "والمعنى والله اعلم أوحينا إليه "[٧٤]، قال الكسائي:" جواب (لما): (ناديناه)، والواو زائدة"[٧٥]

وقال أيضًا : " وقال امرؤ القيس من الطويل:

فلمّا أَجزنا ساحة الحيّ وانتحى بِنا بطنُ خبتٍ ذي قِفافٍ عَقَنْقِل[٧٦]

يريد: انتحى"[٧٧].

وذهب ثعلب مذهب الفراء في زيادة الواو في قوله:

وقلبتم ظهر المِجن لنا إن اللئيم العاجزُ الخِبُّ[٧٨]

إذ قال: وأُدخل الواو في (قلبتم) ، قال بعضهم : هي مفخمة ، يريد قلبتم لنا".[٧٩]

ونحا منحاهم ابو بكر الأنباري، إذ قال في قول الشاعر لبيد من الكامل:

حتى إذا يئس الرّماة وارسلوا عُضْفًا دَواجن قافلاً أَعصامُها[٨٠]

: " وجواب حتى إذا (أرسلوا)، والواو مقحمة ، كما قال تعلى:﴿حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها﴾، أراد: فُتِحت أبوابها : فأقحم الواو".[٨١]

وقال الفراء في قوله تعالى :﴿حَتّى إذا فَشِلْتُمْ وتَنَزَعْتم في الأَمر﴾[٨٢]، "ويقال: إنه مقدم ومؤخر ، معناه (حتى إذا تنازعتم في الإمر فشلتم) فهذه الواو معناها السقوط: و يقال:﴿فلما أَسلما وَتّله للجبين وناديناه﴾ معناه : ناديناه، وهو في (حتى إذا)، (فلما أن) مقول، ولم يأت في غير هذين".[٨٣]

وقال الفراء في قوله تعالى:﴿إذا السماء انشقت، وأَذنت لربها وحقت﴾[٨٤]، وقد قال بعض من روى عن قتادة من البصريين (إذا السماءُ انشقت أذنت لربها وحقت) ولست أشتهي ذلك".[٨٥]

وقال ابو بكر :" قال بعض المفسرين: جواب (إذا السماء انشقت) (أَذنت لِرّبها وحُقت) وزعم أن الواو مقحمة ، وهذا غلط لأن العرب لا تقحم الواو إلا مع (حتى إذا) ، كقوله :(حتى إذا جاءوها وفتحت

أبوابها) ومع (لما) كقوله :(فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه) معناه (ناديناه) والواو لا تقحم مع غير هذين".[٨٦]

ومما يتقدم يتضح أن الكوفيين يجيزون زيادة الواو وقيدوها بـ(حتى ، إذا ، وفلمّا)، ولم يجيزوها مع غير هذين الموضعين.

أما البصريون فمنعوا زيادة الواو العاطفة ، والجواب في ذلك عندهم محذوف للعلم به.[٨٧]

وقال سيبويه:" وسألت الخليل عن قوله تعالى:﴿حتى إذا جاءوها وفتحت ابوابها ﴾، أين جوابها؟... فقال: إن العرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجواب في كلامهم ، لعلم المخبر لأي شيء وضُع هذا الكلام".[٨٨]

أما المبرد فبعد إن ذكر كل ما مر من الآيات القرآنية والأبيات الشعرية نجده يقول:" وزيادة الواو غير جائزة عند البصريين ، والله أعلم بالتأويل، فأما حذف الخبر فمعروف جيد".[٨٩]

فنجد البصريون من خلال ما تقدم من أقوالهم بأنهم لا يجيزون زيادة الواو ؛ لأن زيادة الواو يترتب عليها وجود جواب ، والجواب كان موجودا في ما مر من الشواهد القرآنية والأبيات الشعرية ، في حين الجواب عندهم محذوف ، ونج الفراء يختلف معهم في زيادة الواو، وبهذه الزيادة يكون الجواب معلوماً في قوله تعالى :﴿حتى إذا جاءوها﴾، وهو ﴿فتحت أبوابها﴾، وفي غيره ما مر لذا تراه يقول: ألا ترى أنهم قالوا في الشعر:

حتى إذا قملت بطونكم ....الخ البيت

فجعل جواب (حتى إذا) بالواو، وكأن ينبغي ألا يكون فيه واو ، فاجتزى بالاتباع ولا خبر بعد ذلك ، وهذا أشد مما وصفت لك".[٩٠]

أما عند المحدثين فنجد هذه المسألة (زيادة الواو العاطفة)، إذ قال محدث: اختلفوا في جواز زيادة الواو العاطفة لغير معنى ، فجوز الكوفيون احتجاجًا بالآيات القرآنية والأبيات الشعرية السابقة، وذهب البصريون إلى أنها ليست زائدة في شيء من ذلك ، وزيادتها غير جائزة ، لأن الحروف وضعت للمعاني، فذكرها بدون معناها يورث اللبس، فالواو في قوله :(وفتحت أبوابها) الأقوى أن تكون حالية عندهم.[٩١]

أما ابن جني فيقول:" لكنه عندنا على حذف الجواب، أي حتى إذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها كذا وكذا صُدِقوا وعدهم ، وطابت نفوسهم، ونحو ذلك مما يقال في مثل هذا".[٩٢] فهو بهذا يوافق ما يوافق ما قاله أصحابه من مدرسته البصرية.

الخاتمة:

_نجد هناك اختلاف في زيادة الواو العاطفة عند الفريقيين البصريين الذين ينكرون زيادتها والكوفيين الذين عملوا بزيادتها .

_يتفق العلماء على ان حروف العطف عشرة هي :(الواو_الفاء_ثم_حتى_او_ام_اما_بل_لكن_لا).

_ان علماء البصرة الاوائل يرون ان لكل حرف معنى خاص به ، الا انهم يجيزون نيابة حروف الجر بعضها عن بعض اذا تقاربت المعاني .

_الكوفيون جنحوا الى التأويل والتضمين ولم يذهبوا الى النيابة المطلقة.

الهوامش:

---

(١) الصحاح:١٣٤٢/٤.(حرف)

(٢) لسان العرب: ١٢٥/٤.(جرر).

(٣) التعريفات: ٩٠.

(٤) المصدر نفسه: ٨٦.

(٥) ينظر: الاصول في النحو: ٤٠٨/١

(٦) ينظر:شرح جمل الزجاجي: ٦٠.

(٧) ينظر: شرح المفصل: ٧/٨.

(٨) الاصول في النحو:٤٠٨/١.

(٩) الأصول في النحو: ٤٠٨،٤٢١/١.

(١٠) الجنى الداني في حروف المعاني:٢٥.

(١١) دليل السالك إلى الفية ابن مالك: عبدالله صالح الفوزان:٧/٢

(١٢) الانبياء:٥٧.

(١٣) دليل السالك إلى ألفية ابن مالك: عبدالله بن صالح الفوزان، ٢/٨،٧.

(١٤)ينظر: المصدر نفسه:٢/٤،٣

(١٥)الجنى الداني : ٢٦.

(١٦) الأصول في النحو: ٤٠٩.

(١٧) المصدر نفسه: ٤١١.

(١٨)المصدر نفسه: ٤١٢.

(١٩) المصدر نفسه: ٤١٣.

(٢٠) الاعراف: ١٣٢.

(٢١) الحج: ٣٠.

(٢٢) التوبة: ٣٨.

(٢٣) القدر: ٥.

(٢٤) دليل السالك : ٢/١٤،١٣.

(٢٥) الرعد:٢.

(٢٦)الشورى :٤٩.

(٢٧) دليل السالك: ٢/١٥، ١٦ ، ١٧.

(٢٨) المصدر نفسه: ٢/٢١.

(٢٩) المؤمنون: ٤٠.

(٣٠) دليل السالك: ٢/٢٢.

(٣١) دليل السالك: ٢/٢٣، ٢٤.

(٣٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٢٤، ٢٥،

(٣٣) حروف الجر ومذاهب النحاة في استعمالها : د. عبدالحسين المبارك ، ١٤٥.

(٣٤) الكتاب: ٢/٣٤٨.

(٣٥) المقتضب: ٣/١٥.

(٣٦) شرح المفصل: ٨/ ٤٩.

(٣٧) حروف الجر ومذهب النحاة في استعمالها: ١٤٧.

(٣٨) حروف الجر ومذاهب النحاة في استعمالها: ١٤٧.

(٣٩) المرجع نفسه: ١٤٨.

(٤٠) الخصائص: ٣١٣/٢.

(٤١) البيت من الوافرللشاعر :القحيف العقيلي ورد في شعره: ٢٥٣.

(٤٢) ينظر: الأصول في النحو: ٤١٤/١.

(٤٣) آل عمران: ٥٢.

(٤٤) معاني القرآن: ١/ ٢١٨.

(٤٥) كشاف اصطلاحات الفنون:٤٦٩/١.

(٤٦) المطففين: ٢.

(٤٧) معاني القرآن: ٤٢٦/٣.

(٤٨) الانبياء: ٤٧.

(٤٩) معاني القرآن: ٣٩٥/٢.

(٥٠) المصدر نفسه: ٢/ ٩.

(٥١) طه:٧١.

(٥٢) مغني اللبيب: ١/ ١١٨، ١١٩.

(٥٣) الكتاب: ٤/ ٢١٧.

(٥٤) المصدر نفسه: ٢٣١/٤.

(٥٥)ينظر: المصدر نفسه: ٤/ ٢٢٦.

(٥٦) المقتضب: ١/ ٤٥.

(٥٧) المقتضب: ١٣٩/٤.

(٥٨) الاصول في النحو: ٤١٤/١.

(٥٩)شرح المفصل: ٨٩/٨.

(٦٠) شرح المقتضب: ٩٠/٨.

(٦١)المصدر نفسه:٩٠/٨.

* ينظر: الجنى الداني ١٨٨، همه الهوامع٢٢٤/٥.

(٦٢) الفصول المفيدة في الواو المزيدة، صلاح الدين بن ككلدي العلائي ، ٦٨.

(٦٣) المصدر نفسه: ٧٠.

(٦٤) الحج: ٧٧، الفصول المفيدة: ٧٢.

(٦٥) همع الهوامع : ١٢٩/١.

(٦٦) الزمر:٧٣.

(٦٧) الخصائص:٢/ ٤٦٤.

(٦٨) البيتان من بحر الكامل للشاعر الأسود بن يعفر وردا في ديوانه: ١٩.

(٦٩) الزمر: ٧٣.

(٧٠) الصافات: ١٠٣-١٠٤.

(٧١) ينظر: قراءة عبدالله في المحيط: ٣٠٢/٦، والنص القرآني (جعل السقاية) بدون واو، يوسف: ٧٠.

(٧٢) معاني القرآن: ١٠٧/١-١٠٨، ٢١١/٢.

(٧٣) يوسف :١٥.

(٧٤) معاني القرآن: ٥٠/٢.

(٧٥) معاني القرآن: الكسائي: ٢٢٠.

(٧٦) ديوان امرؤ القيس:١٧٠، شرح المعلقات العشر للشقيطي، ٢٣.

(٧٧) معاني القرآن: ٢١١/٢.

(٧٨) ديوان الاسود بن يعفر :١٩.

(٧٩) مجالس ثعلب: ٥٩/١.

(٨٠) ديوان لبيد بن ربيعة: ١٧٤.

(٨١) شرح القصائد السبع: ٥٦٨.

(٨٢) آل عمران: ١٥٢.

(٨٣) معاني القرآن: ٢٣٨/١.

(٨٤) الانشقاق:١،٢.

(٨٥) معاني القرآن: ٢٣٨/١.

(٨٦) ايضاح الوقف والابتداء: ٩٧١/٢.

(٨٧) ينظر: الخصائص:٤٦٤/٢، والانصاف:٤٥٦/٢، وشرح المفصل: ٩٤/٨.

(٨٨) الكتاب: ١٠٣/٣.

(٨٩) المقتضب: ٧٨/٢.

(٩٠) معاني القرآن: ١٠٧/١.

(٩١) ينظر: الفصول المفيدة في الواو المزيدة: ١٤٦.

(٩٢) الخصائص: ٤٦٤/٢.

المصادر والمراجع:

١. الخصائص : ابو الفتح عثمان بن جني ت(٣٩٢هـ)، تح : محمد علي النجار ، المكتبة العلمية بمصر.

٢. معاني القرآن : أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ، (ت ٢٠٧ هـ) ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٠ م .

٣. معاني القرآن وإعرابه : أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجّاج ، (ت ٣١١ هـ) ، شرح وتحقيق : عبدالجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٤. معاني القرآن: ابو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي الفراء(٢٠٧هـ)، تح: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، عبدالفتاح اسماعيل شلبي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د.ط) ،(د.ت).

٥. معاني القرآن: علي بن حمزة الكسائي(١٨٩هـ)، اعاد بنائه وقدم له، د. عيسى شحاته عيسى ، الناشر، دار قباء– القاهرة،(د.ط)، ١٩٩٨م.

٦. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: الامام جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية ، ط١، بيروت–لبنان، ،(١٤١٨هـ، ١٩٩٨م).

٧. شرح المفصّل : موفّق الدين ابن يعيش النحوي ، (ت٦٤٣هـ) ،إدارة الطباعة المنيرية، صحح وعلق علقيه حواشي نفيسة بعد مراجعته على أصول خطية بمعرفة مشيخة الأزهر المعمور، حقوق الطبع على هذا الشكل والتصحيح محفوظة إلى إدارة الطباعة المنيرية بمصر بشارع السحكتين ١، (د.ط)، (د.ت).

٨. شرح جمل الزجاجي: أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن عصفور الإشبيلي (ت٦٦٩هـ)، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: فواز الشعّار، إشراف: د. اميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، (د.ط)، (د.ت).

٩. الاصول في النحو : لأبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي (ت ٣١٦هـ)، تحق: د . عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ ، (د.ت).

١٠. الكتاب : سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، تحق : عبدالسلام محمد هارون ، ط٣، مكتبة الخانجي –القاهرة، ١٩٨٨.

١١. ديوان لبيد بن ربيعة العامري (٤١هـ)، : لبيد بن ربيعة بن مالك، ابو عقيل العامري، اعتنى به حمدو طمّاس: الناشر : دار المعرفة ، ط١،(١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م).

١٢. .لسان العرب : محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر ، ط٣، بيروت ، ١٤١٤هـ.

١٣. المقتضب: ابو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ) ، تح: محمد عبدالخالق عضيمة، ط٣، القاهرة،(١٤١٥هـ،١٩٩٤) .

١٤. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: لأبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (٢٧١هـ، ٣٢٨هـ)، تح: عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، ط٥،(د.ت).

١٥. ايضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل تأليف: أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري النحوي (٢٧١هـ ٣٢٨هـ)، تح: محي الدين عبدالرحمن رمضان ، دمشق، (د.ط) ١٣٩٠هـ، ١٩٧١م.

١٦. الأنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين: لأبو البركات بن الأنباري (٥٧٧هـ)، تح ودراسة: الدكتور جودة مبروك محمد مبروك، راجعه الدكتور رمضان عبد التواب، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، (د.ت).

١٧. مجالس ثعلب : أبو العباس احمد بن يحيى ثعلب (٢٠٠هـ، ٢٩١هـ)، شرح وتحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، ط٢، (د.ت). ديوان الأسود بن يعفر: صنعه د. نوري حمودي القيسي، وزارة الثقافة والاعلام ، سلسلة كتب التراث ، (د.ط) ،(د.ت).

١٨. المحكم والمحيط الأعظم: ابو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده المرسي (ت٤٥٨هـ)، تح: عبدالحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية ، ط١، بيروت –لبنان، ١٤٢١هـ،٢٠٠٠م.

١٩. الفصول المفيدة في الواو المزيدة : تصنيف الإمام الحافظ صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي(٦٩٤هـ–٧٦١هـ)، تح: د. حسن موسى الشاعر، دار البشير للنشر والتوزيع، رَفْعُ : عبدالرحمن النجدي، ط١،عمان–الأردن، (١٤١٠هـ، ١٩٩٠م).

٢٠. الجنى الداني في حروف المعاني :صنعة الحسن بن قاسم المرادي ، تح: د. فخر الدين قباوة، أ. محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت–لبنان(١٤١٣هـ،١٩٩٢م).

٢١. مغني اللبيب عن كتب الأَعاريب: الإمام جمال الدين عبدالله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ)، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه: حسن حمد، أشرف عليه وراجعه: د. أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان،(د.ط) ، ١٩٧١م.

٢٢. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي(١١٥٨هـ) ، تقديم واشراف ومراجعة، د. رفيق العجم، تح: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية، د. عبدالله الخالدي، ترجمة الاجنبية، د. جورج زيناتي، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون، ط١، بيروت–١٩٩٦م.

٢٣. حروف الجر ومذاهب النحاة في استعمالها: د. عبدالحسين المبارك، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد الحادي عشر، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م.

٢٤. دليل السالك إلى ألفية ابن مالك: عبدالله بن صالح الفوزان ، د.تح الناشر دار المسلم، ط١، ١٩٩٨م.

٢٥. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبدالغفور عطار، الناشر دار العلم للملايين، ط٤، بيروت،(١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م).

٢٦. التعريفات : أبو الحسن علي بن محمد بن علي المعروف بـ الشريف الجرجاني، (ت ٨١٦ هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت–لبنان ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣ م .

٢٧. شرح المعلقات العشر واخبار علمائها : الشيخ أحمد الأمين الشنقيطي ، د:تح ، دار احياء التراث العربي ،بيروت _لبنان ، (د،ط)، (د،ت).

٢٨. شعر قحيف العقيلي :صنعه د.حاتم صالح الضامن ، مكتبة الشعر العربي (د.ط) ، ١٩٨٦م.

٢٩. ديوان امرئ القيس :امرئ القيس ، تح: محمد ابو الفضل ،دار المعارف ، ط ٤ ، ١٩٨٤م.

المصرف العقاري العراقي بنيته الإدارية والتنظيمية ١٩٦٨-١٩٧٦

أ.د. فؤاد طارق كاظم

الباحث صالح عبد الحسين علوان

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة بابل

المقدمة:

تؤدي المصارف دوراً بارزاً في حياة العراقيين، واتسم نشاطها بالتأثير المباشر على مختلف النشاطات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بعدّها الأداة الفاعلة لحركة الإعمار والتجارة والاقتصاد ، ومن هنا تم تسليط الضوء على أعمال ونشاطات المصرف العقاري ببحثنا الموسوم ((المصرف العقاري العراقي بنيته الإدارية والتنظيمية ١٩٦٨-١٩٧٦))، إذ عمل هذا المصرف منذُ الوهلة الأولى على معالجة مشكلة العجز السكني والحاجة السكنية المتراكمة ، التي من أهم أسبابها هو ضعف وعجز المؤسسات الأخرى والقطاع الخاص في معالجتها ، ولذا شرع ببناء الدور وتنفيذ المشاريع لذوي الدخول المحدودة ،وإقراض المواطنين وفقاً لقوانينه وأنظمته المخولة له في منح القروض وإنجاز أعماله المتعددة.

احتوى البحث على مقدمة ومحورين وخاتمة وقائمة بالهوامش والمصادر، إذ تضمن المحور الأول البنية الإدارية للمصرف العقاري ١٩٦٨-١٩٧٦، وضحنا فيه تفاصيل الهيكل الإداري والوظيفي للمصرف ، أما المحور الثاني فتناول المهام التنظيمية للمصرف العقاري ١٩٦٨-١٩٧٦ والمتعلقة بالإقراض والإنجازت التي حققها خلال تلك المدة، وقد اعتمدنا على العديد من المصادر التاريخية وأهمها التقارير السنوية الصادرة عن المصرف العقاري والتي أثرت البحث بالمعلومات والأرقام الدقيقة والتفصيلية عن أعماله، فضلاً عن اعتمادنا على المعلومات المتوفرة في الكتب مثل كتاب

خليل محمد حسن الشماع، إدراة المصارف، ومحمود عباس، المصارف العقارية تنظيمها وتطويرها وغيرهم، وكذلك بحوث الدبلوم العالي والتي أوردت لنا تفاصيل مهمة عن فعاليات المصرف ،كما استفدنا من المجلات وكذلك الصحف أمثال صحيفة الوقائع العراقية .

المحور الأول: البنية الإدارية للمصرف العقاري العراقي ١٩٦٨-١٩٧٦:

تعود نشأة المصارف المتخصصة [١] في العراق الى تردد المصارف التجارية في تمويل القطاعات الزراعية والصناعية ، وابتعادها عن منح الائتمان للأغراض السكنية ذلك بسبب ما تحتاجه هذه القطاعات من ائتمان متوسط أو طويل الأجل وهذا لا يتناسب وأهداف المصارف التجارية الأجنبية التي كانت تحتكر الصيرفة التجارية ولغاية ١٩٤١، وحتى بعد قيام المصارف الوطنية فإنها أخذت تتبع نفس الأساليب التي انتهجتها المصارف الأجنبية [٢] ، ولهذه الأسباب أُنشئت ثلاث مصارف متخصصة في العراق لتتولى تمويل تلك القطاعات المذكورة وهذه المصارف هي المصرف الزراعي والمصرف الصناعي والمصرف العقاري [٣].

وإن فكرة إنشاء المصرف العقاري في العراق كانت تراود أذهان المسؤولين منذُ منتصف العقد الثالث للقرن العشرين ، إلا أنه بسبب عدم وجود رؤوس الأموال اللازمة من جهة ، وتشابك نظام التصرف في الأراضي من جهة أخرى عملا على تأخير ظهوره الى سنة ١٩٤٨ ، فبعد سنوات الحرب العالمية الثانية قد تهيأت الظروف لدراسة فكرته ، وخصوصاً مع الحاجة الماسة للقروض العقارية [٤] والإقبال على العمران بعد أزمة السكن التي واجهها العراق حينما انسحب اليهود من أسواق الائتمان على أثر قرار التقسيم الصادر من الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ وإنشاء الكيان الصهيوني في فلسطين عام ١٩٤٨ ، والذي ترتب عليه هجرة اليهود ومنهم العراقيين فضلاً عن افتقار الأسواق العقارية الى رؤوس الأموال وارتفاع الإيجارات ارتفاعا كبيراً ، وبعدما توفر المال الكافي تم التعجيل بتكوينه ليكون ركناً من أركان البناء الاقتصادي العراقي [٥].

ولغرض إيجاد مصرف يمكن أصحاب الدخل الثابت من امتلاك الدور فقد شُرع قانون المصرف العقاري رقم ١٨ لسنة ١٩٤٨ ، والذي بين على أن للحكومة أن تؤسس مصرفاً عقارياً ، ويكون مركزه في بغداد ، ومهمته إقراض العراقيين من الأفراد والأشخاص الحكمية مبالغ موثقة بأموال غير منقولة أو بالحقوق القانونية المستقرة عليها ، ويجوز فتح فروع للمصرف داخل العراق ، ويسلف رأس مال المصرف من وزير

المالية ، ويكون المصرف مؤسسة ذات شخصية حكمية لها حق التملك والتصرف بالأموال غير المنقولة ، ويديره مجلس إدارة مستقل في شؤونه الإدارية والمالية ، ويتألف من المدير العام وأربعة أعضاء [٦].

ويتولى المصرف أعمال الإقراض ، والأعمال الصيرفية التي يُعينها نظامه الداخلي ، وللمصرف تأسيس شركة تأمين أو المساهمة في شركات تأمين ، وله إصدار سندات قرض ، ولا يحل المصرف إلا بقانون وعندئذ تكون الحكومة قائمة مقامه في الحقوق والواجبات الناشئة عن العقود والمقاولات والسندات ، ونص القانون على أن يكون تنفيذه بقرار يصدر عن وزير المالية ، وبموجب بيان وزير المالية رقم ١٥ في ١٦ تشرين الثاني ١٩٤٨ نُفذ هذا القانون وتم تشكيل أول مجلس للإدارة سنة ١٩٤٨ [٧].

بدأ المصرف العقاري فعالياته في العراق كمصرف حكومي يمارس الاعمال المحددة له والتي تتلخص بإقراض العراقيين لغرض البناء وشراء الدور الجاهزة مبالغ موثقة بعقارات أو بحقوق مستقرة عليها ، وإقراض القطاع الخاص لأغراض المنشآت السياحية وفقاً لقواعد وشروط يقرها مجلس إدارة المصرف ، وكذلك إقراض أعضاء الجمعيات التعاونية [٨]لبناء المساكن بقصد توفير السكن لهم ، وإقراض مالكي الوحدات السكنية التي تقوم بتشييدها المؤسسة العامة للإسكان ، وتملك الأراضي اللازمة لأغراضه ببدل أو بدونه ، وقبول الودائع الثابتة والحسابات الجارية والتوفير وغيرها من الأعمال المصرفية [٩].

خلال المدة التي كان فيها المصرف العقاري مرتبطاً بوزارة المالية طرأت عليه العديد من التغيرات من ضمنها إنه حل محل المصرف التعاوني [١٠] وذلك بموجب القانون رقم ٧٩ لسنة ١٩٧٠ الذي نص في المادة الثانية منه على((يلغى المصرف التعاوني ويحل محله المصرف العقاري في كل ما له من حقوق وما عليه من التزامات وتؤول إليه ملكية جميع أموال المصرف التعاوني المنقولة وعقاراته والمنافع والعقود الناشئة عن معاملات تمت قبل تاريخ نفاذ هذا القانون وتعدل قيود دوائر الطابو والسجلات الاخرى المثبتة لهذه الحقوق والالتزامات والمنافع والعقود بإشعار من المصرف العقاري بدون دفع رسم تسجيل أو رسم طابع أو أية رسوم أخرى))، كما ضم القانون صافي موجودات المصرف التعاوني الى رأس مال المصرف العقاري ، وأعد مساهمات الجمعيات التعاونية في رأس مال المصرف التعاوني المنقولة الى المصرف

العقاري ودائع لديه ، وعد هذا القانون جميع موظفي ومستخدمي المصرف التعاوني منقولين الى المصرف العقاري ، ويوحد ملاكه وميزانيته التخمينية مع ملاك وميزانية المصرف العقاري ، ونص القانون على ألغاء قانون المصرف التعاوني رقم ١٦٣ لسنة ١٩٥٩[١١].

وعلى ذلك فقد ضمت تشكيلات المصرف سنة ١٩٧٢ كلاً من مجلس الإدارة، والمدير العام ، ومعاون المدير العام ، وأقسام الإدارة والذاتية ، والإحصاء والبحوث، والتسليف والتدقيق ، والجباية والتحصيل ، والتفتيش ، والحسابات ، والأمور المالية ، والمباني ، ومديريات الفروع في الرصافة ، والكرخ ، والموصل ، والبصرة، وكركوك، ودهوك، والمثنى، والسليمانية، وأربيل، والديوانية، والناصرية والعمارة، وبعقوبة، والرمادي ، والكوت ، والنجف ، وكربلاء ، والحلة ، وقسم قروض الجمعيات في فرع الكرخ [١٢].

وقبل الخوض في تشكيلات المصرف الإدارية ومهامه التنظيمية لا بد من الإشارة الى أن المصرف العقاري وبسبب التوسع العمراني ولكونه يختص بمجالات القروض وتوافق معظم أعماله مع اختصاصات وزارة الأشغال والإسكان قد تم فك ارتباطه من وزارة المالية وربطه بالمؤسسة العامة للإسكان التابعة لوزارة الأشغال والإسكان وذلك بموجب قرار مجلس قيادة الثورة (المنحل) المرقم ٧٠٣ والمؤرخ ٢٨ حزيران ١٩٧٦[١٣] ، وفيما يأتي عرض لتشكيلات المصرف الإدارية وعلى النحو الآتي :

أولاً : مجلس الإدارة : يتألف مجلس إدارة المصرف من خمسة أعضاء أصليين يعينهم وزير المالية بأمر وزاري استنادا للفقرة (أ) من المادة الرابعة من قانون المصرف العقاري رقم ٧٣ لسنة ١٩٥٥ بضمنهم مدير عام المصرف ومن أربعة أعضاء احتياط[١٤] ، وتكون مهام المجلس إدارة شؤون المصرف بصورة عامة ، وتقرير تشكيلاته ودوائره وشعبه ، وتخويل الصلاحيات للمدير العام ومعاونه ومدراء الأقسام ورؤساء الدوائر والوكلاء ، وتطبيق كافة الأنظمة والقوانين المتعلقة بأعمال المصرف، أما سكرتير مجلس الإدراة فيقوم بكافة الأعمال المناطة به من المجلس فضلاً عن قيامه بأية أعمال ينسبها المدير العام من تنظيم المواعيد ، وحفظ المراسلات، والكتب الخاصة [١٥].

ثانياً : المدير العام : وترتبط به جميع أقسام المصرف ، ومن مهماته تنفيذ قرارات مجلس الإدارة ، وتمثيل المصرف أمام السلطات القضائية والإدارية ، وتطبيق مناشير وزارة المالية ، ممارسة كافة الأعمال الإدارية المناطة به وفقاً لقوانيين وأحكام المصرف.

ثالثاً : معاون المدير العام : يساعد المدير العام في الأشراف على أعمال الشعب والأقسام والفروع ، وفقاً للصلاحيات الممنوحة له من مجلس إدارة المصرف.

رابعاً : تقسيمات مركز المصرف وتضم مايأتي :

١- قسم التسليف والتدقيق : وينظر في طلبات التسليف على ضوء التعليمات والصلاحيات ، ويحدد المبالغ المفروض صرفها ،ويدقق وينظم جميع معاملات الفروع .

٢- قسم الإدارة والذاتية : ويقوم بإعداد وتنظيم ملاك المصرف ، وتنظيم أضابير الموظفين والمستخدمين والعمال حسب التعليمات ، وكذلك يقوم بكل ما يتعلق بذاتية الموظفين والمستخدمين والعمال ، وتنظيم الأوامر الإدارية بهم[١٦].

٣- قسم الحقوق : ويتولى متابعة القضايا الحقوقية والقانونية ، وتقديم المطالعات والاستشارات القانونية في الأمور التي تُحال إليه من قبل مجلس إدارة المصرف والمدير العام وتنظيم العقود [١٧].

٤- قسم التفتيش : ويعمل على التحقق من أحوال الموظفين وسلوكهم الوظيفي بصورة عامة ، ومعالجة الأخطاء وتصحيحها ، واستجواب الموظفين عند حصول أخطاء، وتنفيذ أية مهمة تُعهد إليه من قبل المدير العام .

٥- قسم الحسابات الإدارية :ينجز جميع المعاملات المحاسبية، وينظم الموازنات الشهرية والنصف السنوي والسنوية الخاصة بالمصرف لأغراض البنك المركزي، ويدقق حسابات الفروع ، ويقوم بكل ما يتعلق بحسابات المشاريع ورواتب الموظفين والاستقطاعات للمصرف ولجميع فروعه[١٨].

٦- قسم الأمور المالية : ومهمته البحث عن مصادر خارجية لتمويل المصرف ، ومراقبة الوضع المالي لفروعه ، وإجراء التسويات القيدية للقروض الممنوحة للمصرف من المؤسسات المالية [١٩].

٧- قسم المباني : ويشرف على المشاريع العمرانية للمصرف ، وإعداد التصاميم والمواصفات الفنية والهندسية ، للأبنية التي يتولى المصرف إنشائها لإشغالها من قبل فروع المصرف ، وصيانة دور مدرائه في كافة المحافظات مع إفراز وبيع أراضيه[٢٠] وحسب ما تتضمنه قرارات مجلس الإدارة [٢١].

٨- قسم الجباية والتحصيل : يراقب أعمال الجباية والتحصيل لجميع فروع المصرف ، ويصدر التعليمات والتوجيهات بكل ما يتعلق بها وبتنفيذها ، وتمثل الجباية لأقساط وفوائد القروض المستحقة أهم المصادر في التمويل الداخلي للمصرف وهي النقطة المركزية التي ترتسم حولها السياسة العامة للمصرف ، فبمقدار النشاط الذي تمارسه أجهزة الجباية وبمقدار الجهد الذي تنفقه تتحدد نسبة السيولة النقدية في نشاط المصرف الإقراضي ، ولهذا فإن المصرف بذل جهوداً كبيرة في تطوير هذه الأجهزة واستحدث إطارات جديدة أسهمت في تحقيق فيض من المقبوضات وتوجيهها نحو تغطية طلبات الإقراض [٢٢].

٩- قسم الأوراق : يعمل على حفظ الأضابير والمعاملات الخاصة بأعمال المصرف ، وتهيئة الأوليات المتعلقة بجميع أعمال الأقسام وتقديمها عند الطلب ، وإنجاز المراسلات المتعلقة بأعماله.

١٠- قسم الإحصاء والبحوث : ومهمته جمع المعلومات والإحصائيات الشهرية والدورية والسنوية ، وتقديم الدراسات التي تعمل من أجل تطوير عمل المصرف في مختلف المجالات [٢٣].

١١- فروع المصرف[٢٤]: وتشمل المقر العام وفروع المصرف في بغداد (فرع الرصافة ، فرع الكرخ ، فرع الكرادة الشرقية) ويمثل نشاط هذه الفروع القسط الأكبر من نشاط المصرف بالنسبة لفروعه كلها في المحافظات العراقية المختلفة ، وتقوم هذه الفروع بأعمالها وفقاً لقوانين وأنظمة المصرف [٢٥] ، والمخطط رقم (١) يبين الهيكل الإداري للمصرف العقاري لسنة ١٩٧٦.

مخطط رقم (١) يبين الهيكل الإداري للمصرف العقاري لسنة١٩٧٦[٢٦].

مجلس إدارة المصرف
سكرتير مجلس الإدارة
المدير العام
معاون المدير العام
قسم التسليف والتدقيق
قسم الإدارة والذاتية
قسم الحقوق
قسم التفتيش
قسم الحسابات الإدارية
قسم الأمور المالية
قسم المباني
قسم الجباية والتحصيل
قسم الأوراق
قسم الإحصاء والبحوث
فروع المصرف
الرصافة
الكرخ
الكرادة
الحلة
كربلاء
النجف
بعقوبة
الرمادي
صلاح الدين
الكوت
الديوانية
المثنى
العمارة
الناصرية
البصرة
الموصل
أربيل
دهوك
السليمانية
كركوك

المحور الثاني: المهام التنظيمية للمصرف العقاري ١٩٦٨-١٩٧٦:

لقد تأسس المصرف العقاري برأس مال قدره مليون دينار لم تدفع الحكومة منه آنذاك سوى ١٥٠٠ ديناراً ، وظلت سياسة الإقراض متعثرة ؛ بسبب ضآلة الموارد المالية للمصرف والتي لا تتناسب وحجم الطلب على القروض العقارية إلا أن تطور رأس مال المصرف قد شهد تطورات إذ رفعته الحكومة في عام ١٩٦٨ الى ٢٥ مليون دينار ليتناسب مع تلبية الطلبات التي بدأت تزداد بصورة مطردة ، ولغرض تحقيق نهضة عمرانية أوسع أصدرت له التشريع رقم ١١٤ لسنة ١٩٧٢ والمتضمن زيادة رأس مال المصرف الى ٣٥ مليون دينار مع إمكانية الاقتراض من مصادر التمويل الخارجية بما يعادل ضعفي رأس المال الإسمي [٢٧].

وقد جرت عدة تعديلات على رأس مال المصرف الى حين صدور قانون المصرف الجديد رقم ١٦١ لسنة ١٩٧٦ والذي حدد فيه رأس مال المصرف الى ١٠٠ مليون دينار، ثم جرت بعد ذلك عدة زيادات في السنوت الأخرى [٢٨].

وبالزيادات الحاصلة على رأس مال المصرف العقاري أصبحت لديه القدرة على تحقيق أهدافه التالية:

١- توسيع مجالات الإقراض بما يحقق للمواطنين إمكانية بناء دور سكن لائقة، وكانت فعاليات المصرف تغطي كافة المحافظات والأقضية والنواحي التابعة لها لأن زيادة رأس المال مكنته من شمول المناطق المحرومة من نشاطه الإقراضي، وأوجدت الفرص للمواطنين في المدن الصغيرة والقصبات بالحصول على دار سكن لائقة .

٢- تحقيق نسبة عالية من السيولة النقدية، وقدرته على الوفاء بالتزاماته إزاء طلبات المواطنين ووفاء التزاماته إزاء المؤسسات المالية التي اقترض منها[٢٩].

٣- إمكانيته بالاقتراض من المؤسسات الأخرى بما يعادل ضعف رأس المال جعلت المصرف قادر على تهيئة الموارد التي تناسب حجم الطلبات على قروضه .

٤- إمكانية المصرف من زيادة مبالغ الحد الأعلى للإقراض في المناطق المشمولة بفعاليات المصرف والمحدد إقراضها بمبالغ دون الحد الأعلى [٣٠].

٥- تمكن المصرف من فتح أفآق جديدة للإقراض وتنفيذ أساليب جديدة كالإقراض لأغراض الإسكان العمودي .

٦- تمكن المصرف من وضع خطة وسياسة إقراضية جديدة توفر المزيد من التسهيلات للمواطنين [٣١].

ويشكل رأس المال المدفوع الجزء الأكبر من مصادر أموال المصرف فيما تشكل الاحتياطات العامة الجزء الأصغر منه ، وتجدر الإشارة الى أن رأس مال المصرف الاسمي (المقرر) هو غير رأس ماله المدفوع إلا أن أهميته تبرز في ناحيتين أساسيتين الأولى إن رأس المال الاسمي هو الحد الأعلى لما يمكن أن يصله رأس المال المدفوع وزيادته تعني إمكانية زيادة رأس المال المدفوع وبالتالي زيادة أهم مصدر ذاتي عديم الكلفة ، والناحية الثانية إن رأس المال الاسمي يتيح للمصرف الاقتراض بحدود ضعيفة [٣٢].

إن توفر السيولة النقدية قياساً الى رأس المال الاسمي يعد من العوامل المهمة في استمرارية نشاط المصرف والمساهمة في تمويل قطاع السكن ، ويشكل رأس مال المصرف المُعين الأساسي في تمويل عمليات الإقراض وبمقدار الزيادة في حجم رأس المال تزداد إمكانية التوسع في النشاط المصرف في إطار الإقراض العقاري ذلك أن قانون المصرف يسمح للمصرف بالاقتراض من المؤسسات المالية الأخرى بما يعادل ضعفي رأس المال الاسمي ، ولهذا فأن الزيادة في رأس المال الاسمي لا تعني فقط الزيادة في المبالغ المدفوعة لحساب رأس المال وإنما هي إضافة لذلك تعني زيادة إمكانية المصرف في الاقتراض من المؤسسات الأخرى [٣٣] ، والجدول رقم (١) يبين تطور رأس المال المقرر والمدفوع للمصرف العقاري ١٩٦٨ – ١٩٧٦.

جدول رقم (١) يبين تطور رأس المال المقرر والمدفوع للمصرف العقاري ١٩٦٨ – ١٩٧٦[٣٤].

السنة	رأس المال المقرر (بملايين الدنانير)	رأس المال المدفوع (بملايين الدنانير)
١٩٦٨ –١٩٦٩	٢٠,٠٠٠,٠٠٠	١٩,٤٩٧
١٩٦٩ –١٩٧٠	٢٠,٠٠٠,٠٠٠	١٩,٩٩٩
١٩٧٠ –١٩٧١	٢٥,٠٠٠,٠٠٠	٢١,٣٠١
١٩٧١ –١٩٧٢	٢٥,٠٠٠,٠٠٠	٢٣,٩٨٠
١٩٧٢ –١٩٧٣	٣٥,٠٠٠,٠٠٠	٢٤,٢٧٥
١٩٧٣ –١٩٧٤	٣٥,٠٠٠,٠٠٠	٢٦,٣٤٦
١٩٧٤ –١٩٧٥	٣٥,٠٠٠,٠٠٠	٣٤,٣٤٦
١٩٧٥	٥٠,٠٠٠,٠٠٠	٣٥,٥١٠
١٩٧٦	٥٠,٠٠٠,٠٠٠	٤٣,٣٧٠

كما يعُد الاقتراض من المصارف والجهات الأخرى من مصادر أموال المصرف العقاري، إذ أجازت القوانين والأنظمة للمصرف الاقتراض من المصارف والمؤسسات المالية والجهات الأخرى بحدود ضعف رأس ماله، وتتراوح الفوائد على القروض التي حصل عليها المصرف من هذه الجهات بنسب مختلفة قياساً الى إجمالي أموال المصرف في تلك المدة ، وكانت فقرة الاقتراض في بداياتها قد شهد نوع من التذبذبات إلا أنها ارتفعت فيما بعد بشكل ملحوظ لتوسع نشاطات المصرف في الإقراض [٣٥].

وتبرز أهمية المصادر غير الذاتية للأموال ومساهماتها في مجمل مصادر أموال المصرف العقاري، خلافاً للمصارف المتخصصة الأخرى (المصرف الزراعي والمصرف الصناعي) وتشمل القروض التي

يحصل عليها المصرف من جهات متعددة (في إطار النظام المصرفي وخارجه) ، وثانياً الودائع وتشمل ودائع مؤسسات ومنشآت القطاع الاشتراكي ، فضلاً عن مبالغ محدودة جداً من ودائع الأفراد [٣٦].

وتجاه مجمل نشاط المصرف في عمليات البناء والإسكان فأن المصادر الداخلية لا تكفي بأي حال لتغطية الطلب الواقع على القروض العقارية الأمر الذي يستلزم البحث الدائم عن قروض وسلف من مصادر خارجية ، والمصرف بدوره يقوم بإعادة إقراض هذه المبالغ واستثمارها في قطاع السكن ، كما وأن المصرف ملزم بالوفاء بالتزاماته أزاء المؤسسات المالية الأخرى والمتمثلة بتسديد الأقساط المستحقة عليه سواء لحساب القروض الخارجية أو لحساب الودائع الثابتة [٣٧] ، إذ بلغت أرصدت الودائع والقروض لدية أرقاماً مختلفة للمدة ١٩٦٨ – ١٩٧٦ [٣٨] ، والجدول رقم (٢) يبين مصادر التمويل للمصرف العقاري للسنوات ١٩٦٨– ١٩٧٦.

جدول رقم (٢) يبين مصادر التمويل للمصرف العقاري للسنوات ١٩٦٨– ١٩٧٦[٣٩].

السنة	القروض (بملايين الدنانير)	أرصدة الودائع (بملايين الدنانير)	مجموع المصادر التمويلية
١٩٦٨– ١٩٦٩	٩,٤	١٤,٨	٢٤,٢
١٩٦٩– ١٩٧٠	١٠,٦	١٦,٤	٢٧,٠
١٩٧٠– ١٩٧١	١٢,٩	٢٣,٤	٣٦,٣
١٩٧١– ١٩٧٢	١٠,٥	٢٨,٧	٣٩,٢
١٩٧٢– ١٩٧٣	١٢,٢	٣١,٠	٤٣,٢
١٩٧٣– ١٩٧٤	١٠,٨	٣٩,٧	٥٠,٥
١٩٧٤– ١٩٧٥	١٩,١	٤٥,١	٦٤,٢
١٩٧٥	٢٣,٩	٥٤,٣	٧٨,٢
١٩٧٦	٢٨,٨	٦٤,٦	٩٣,٤

يلحظ من الجدول ارتفاع أرصدة القروض والودائع لدى المصرف العقاري بمرور السنوات الأربع الأخيرة ، وهذا يدل على أن المصرف يلجأ إليها لتلافي العجز بين موارده وإمكاناته المالية وقروضه المسلفة للمواطنين ، بل تتعداه الى الالتزامات المالية المترتبة عليه والمتعلقة بإقساط القروض والودائع الثابتة وفوائدها.

إن من جملة الوسائل التي يلجأ إليها المصرف لتحقيق أهدافه قبول الودائع الثابتة والحسابات الجارية والتوفير وغيرها من الأموال الصيرفية ، إذ إن الودائع كانت ولا زالت تشكل عنصراً هاماً في توفير الأموال للمصرف ، وكذلك من العناصر الأخرى المؤثرة في كفاية رأس مال المصرف هو القرض أو التسهيلات الائتمانية وتكون تلك القروض وهي على أنواع فمنها القروض قصيرة الأجل ومدتها أقل من سنة وتستخدم في تمويل النشاط التجاري للمنشآت ، ومنها القروض متوسطة الأجل ومدتها الى ما يقارب الخمس سنوات وتمول بعض العمليات الرأسمالية ، والقروض طويلة الأجل والتي تزيد مدتها عن ست أو سبع سنوات وتُمنح لغرض تمويل مشروعات الإسكان والمشروعات العقارية وبناء المصانع ، وشراء الآلات ، وهذه القروض من اختصاص المصارف المتخصصة [٤٠].

وتقوم بعض المصارف العقارية بتقديم القروض لغرض استصلاح الأراضي الزراعية البور أو تحسين استغلال الأراضي الزراعية، وما يلزمها من إنشاء المباني والمنشآت الأخرى ، كما تقوم بتقديم خدمات مصرفية متصلة بمجالات نشاطاتها ومرتبطة بمصلحة عملائها مثل قيام المصرف بتقدير الأراضي والعقارات للعملاء ، أو بيعها بالمزاد العلني لحسابهم ، أو إدارة أملاك عملائه وتحصيل القيمة الإيجارية أو تقديم المشورات القانونية والهندسية المرتبطة بالعقارات والى غير ذلك من الأعمال[٤١].

وتمتاز القروض العقارية بطول مدة القرض وارتباطها بالمدة التي يستطيع فيها المقترض سداد القرض، إذ إن سداد القرض العقاري يعتمد على دخل المقترض في المستقبل أو على إيراد العقار، وتصفية القرض بهذه الوسيلة يحتاج الى مدة طويلة إذ إن المقترض ليس بتاجر يشتري سلعة ثم يقوم ببيعها في الأجل القصير ويستطيع الوفاء بالدفع مما يقبضه [٤٢].

كما أن تسديد القرض العقاري بأقساط دورية تعد ميزة أخرى لقروض المصارف العقارية ، طالما أن المبلغ كبير وأن المقترض لا يستطيع تسديده بدفعة واحدة ؛ لذلك يتم التسديد بأقساط دورية أو سنوية [٤٣] مما يشجع المقترضين على ادخار مبالغ صغيرة وبصورة دورية بحيث لا تشعره بوطأة الاقتراض في نهاية المدة ، وأهم مزايا القروض العقارية إنها توثق برهن تأميني على العقار [٤٤] الذي يراد بناؤه أو إصلاحه أو شراؤه ، إذ إن المصارف العقارية تقوم بتقديم قروض طويلة الأجل وهذا يستلزم منها أن توثق تلك القروض ، لأن زيادة الأمد تزيد من احتمال المخاطر التي قد تعيق المقترضين عن التسديد مثل الوفاة أو تقلب المدخولات وغيرها [٤٥].

إن إجراءات توثيق القروض تكاد تكون متشابهة في المصارف العقارية ، وتبدأ بتقديم العميل لطلب القرض مبيناً فيه الغرض من القرض ومقداره ومدته ومصادر سداده والتأمينات التي يقدمها المقترض لتوثيق القرض ، كما يرفق معه المستندات التي تبين حالة العقار وملكيته كتقديم إجازة وخرائط البناء وسندات الملكية ، ثم يحال الطلب الى دائرة القرض لبحث مدى سلامة مستندات الملكية وتوفر شروط الأهلية ، ثم يُطالب العميل بسداد مصاريف الكشف المحددة وفقاً لمبلغ القرض ، وتقوم لجنة مختصة من الخبراء بمعاينة العقار وتحديد موقعه وطبيعته وقيمته السوقية ، والتي تحدد على أساس الثمن الذي يأتي به العقار حين بيعه أو رهنه ، ويقوم الخبراء بمقارنة العقار بغيره من العقارات المماثلة مع إجراء بعض التعديلات بالزيادة أو النقصان تبعاً للفروقات من حيث الموقع أو غير ذلك [٤٦].

لقد أدى المصرف العقاري دوراً أساسياً منذ نشأته في دعم الحركة العمرانية في البلاد وخلال مسيرته واجه المصرف صعوبات كبيرة تمثلت في أغلب الأحيان بعدم توازن الطلب على قروضه مع العرض الموجود لديه من القدرات المالية أو ما يُعبر عنه بالسيولة النقدية لديه، ولكن المصرف استطاع بعد مدة وجيزة أن يكون أحد أهم المؤسسات الاقتصادية العاملة في البلاد، وأخذ هذه الأهمية من ناحيتين أساسيتين:

الأولى : دوره الهام في تنشيط حركة الاقتصاد الوطني في الأمد القصير من خلال ما يضخه من قوة شرائية في السوق العقارية وسوق المواد الإنشائية والعمل الأمر الذي يؤدي الى زيادة الطلب على قطاعات كثيرة ، فضلاً عن آثار نشاطاته البعيدة المدى أو غير المباشرة .

الثانية : دوره الأساسي في المساهمة بتصعيد وتأثر التقدم الاجتماعي والحضاري من خلال مساهمته بحل أزمة السكن ومساعدة المواطنين في بناء دور سكن لائقة تتوفر فيها مستلزمات الحياة الإنسانية المتحضرة يكون قد أسهم في التطور الاجتماعي والحضاري للعراق [٤٧].

وكان للقرار رقم ٧١٥ الذي أصدرته السلطة في ١٦ آب ١٩٧٣ الأثر الواضح في رسم الأسس العملية للإقراض ورسم سياسة المصرف بما يتوافق مع المرحلة إذ ركز القرار على مراعاة التصاعد الملموس في أسعار المواد الإنشائية ، وارتفاع معدلات الأجور الأمر الذي ينعكس على تكاليف الدور المشيدة ، وبالتالي يشكل ضغطاً مالياً على المواطن الأمر الذي تضمنه القرار والمتمثل بزيادة الحد الأعلى لمباغ القرض ، وتمت مراعاة الحدود الدنيا لمبلغ القرض فنص القرار على أن لا يقل مبلغ القرض عن ١٠٠٠ دينار مراعياً بذلك كلفة بناء دار بسيطة لعائلة بسيطة تتوفر فيها شروط الإسكان الصحي ، كما اشترط القرار أن لا يزيد مبلغ القرض على ٥٠ راتباً إسمياً وأن لا تتجاوز مجموع الاستقطاعات على المقترض ٥٠% من راتبه الشهري ، وقدم القرار الكثير من التسهيلات للمواطنين الذين دفعتهم ظروفهم المالية الى بيع دورهم وذلك بالسماح لهم بالاقتراض من المصرف العقاري مرة أخرى [٤٨].

أما القرار رقم (١) والذي أقره مجلس قيادة الثورة بتاريخ ٧ كانون الثاني ١٩٧٤ فأجاز للمصرف العقاري أن يقرض الموظف المتزوج من موظفة أو العكس أو كليهما، على أساس الراتب الإسمي لأحدهما أو لكليهما وفي حدود الحد الأعلى لمبلغ القرض، ويتم الاستقطاع الشهري من راتب أحدهما على أن لا تتجاوز الاستقطاعات الشهرية من مجموع راتبهما النسبة المحددة في القرار المذكور ، كما استثنى القرار الموظفون ممن لديهم خدمة تقل عن خمس سنوات الذين شرعوا في البناء قبل تأريخ القرار رقم ٧١٥ المؤرخ في ١٦ آب ١٩٧٣ [٤٩].

ومع ذلك فأن مجلس قيادة الثورة على ضوء المطالب الأساسية لشروط السكن أصدر القرار رقم ٢٠٠ بتاريخ ٤ أذار ١٩٧٤ والذي جعل الحد الأعلى لمبلغ القرض ٣٠٠٠ دينار والحد الأدنى ١٥٠٠ دينار مع الإبقاء على الأسس الأخرى على حالتها، ثم أصدر المصرف العقاري في إطار السياسة العامة وقرارات مجلس قيادة الثورة التعليمات الخاصة بشراء الدور بالنسبة للعاملين في مؤسسات الدولة والمتقاعدين ، كما فسح المجال أمام المواطنين مقدماً لهم كل ما يمكن من التسهيلات الإدارية وتخفيف شروط الاستقراض [٥٠].

ولغرض التخفيف مالياً على المواطنين وتشجيعهم في بناء دور سكن لهم عمل المصرف العقاري على تخفيض سعر الفائدة على القروض العقارية، مستنداً في ذلك على القرار رقم ١٠١ الذي أصدره مجلس قيادة الثورة (المنحل) بتاريخ ٧ شباط ١٩٧٤ إذ خفض سعر الفائدة المستوفاة على القروض التي يتعاقد المصرف العقاري عليها مع المواطنين بدءاً من ١ نيسان ١٩٧٤ وعلى النحو التالي :

١- للقروض لحد ٥٠٠ دينار من ٤,٥% الى ٣% سنوياً في حدود أمانة العاصمة، والى ٢% لبقية أنحاء العراق .

٢- للقروض لحد ١٠٠٠ دينار من ٥,٥% الى ٤% سنوياً في حدود أمانة العاصمة، والى ٣% سنوياً لبقية أنحاء العراق .

٣- للقروض لحد ٢٥٠٠ دينار من ٦% الى ٥% سنوياً في حدود أمانة العاصمة ، والى ٤% سنوياً لبقية أنحاء العراق [٥١].

ولهذا التخفيض أهمية كبيرة وفق معيارين أساسيين الأول بما يتعلق في التمييز بين أسعار الفائدة على القروض التي تسلف للدور المشيدة في حدود أمانة العاصمة وبين أسعار الفائدة للدور المشيدة في بقية أنحاء القطر ، والثاني بما يتعلق في التمييز بين أسعار الفائدة وفق المراتب الاجتماعية أي وفق مقدار القرض ، فبالنسبة للمعيار الأول أستهدف قرار التخفيض تشجيع البناء لدور السكن في المحافظات ، والأقضية والنواحي ، والقصبات بهدف وضع حد لتصاعد أزمة السكن ولحلها بصورة حاسمة وجدية فضلاً

عن إشاعة القيم والمظاهر الحضارية، أما المعيار الثاني فقد استهدف مساعدة ذوي الدخول الواطئة من الطبقات الفقيرة سواء في بغداد أو بقية المحافظات، إذ أعد مبلغ القرض هو الأساس في تحديد أسعار الفائدة علاوة على المعيار الأول(٥٢).

ومن خلال متابعة فعاليات المصرف في مجال القروض فأنه بذل جهوداً كبيرة في توفير السيولة النقدية لتغطية الطلب على قروضه، وقد اتسع مجال الإقراض وخاصة في مقدار المبالغ المدفوعة الى المواطنين ، ويعود سبب الزيادة في حجم القروض المدفوعة الى زيادة الحد الأعلى لمبلغ القرض من ١٢٥٠ دينار الى ١٨٠٠ دينار بالنسبة للمقترضين من أعضاء جمعيات بناء المساكن التعاونية فبعد إلغاء المصرف التعاوني ودمجه بالمصرف العقاري وتقديراً من المصرف لأهمية الحركة التعاونية وضرورة دعمها وترسيخها وتطويرها ، فقد اتخذ المصرف قراراً برفع الحد الأعلى لأعضاء هذه الجمعيات تعويضاً لهم عن القروض التي كان المصرف التعاوني يقدمها لهم، إذ في عام ١٩٧١ –١٩٧٢ بلغ عدد المعاملات المقبولة ١٠٣٣٠ وبلغت القروض المدفوعة لها ١٤٥٤٢٧٣٩ دينار أي بزيادة مقدارها ٣٢٤٦٤٠٣ عن العام السابق ١٩٧٠ – ١٩٧١ (٥٣).

أما في العام ١٩٧٢– ١٩٧٣ فقد بلغ عدد القروض ١٠٨٤٤ أي بزيادة ٥١٤ قرضاً، وهذه الزيادة في عدد المعاملات المنظمة تعود الى عوامل الضغط في طلبات المواطنين على القروض وهي تعكس بهذه الصورة أو تلك مديات التطور الاجتماعي في العراق، ومحاولة المواطن في تحسين ظروف حياته الإنسانية، والتي يعد السكن من أهم مستلزماتها، ولهذا فإن الدولة من خلال المصرف العقاري تقدم ما أمكنها من التسهيلات في مساعدة المواطنين لبناء دور سكن لهم (٥٤).

كان مجمل حركة الإقراض في سنة ١٩٧٤ يمثل نشاطاً واسعاً زاد على النشاطات في السنوات السابقة ، وقد تضافرت جملة عوامل حركت زيادة الطلب على قروضه منها صدور قانون ٧١٥ المذكور سابقاً ، والدعم المالي الذي تهيأ للمصرف ، وتشير الإحصائيات الى أن عدد معاملات الإقراض المنظمة خلال هذه السنه بلغ ١١٦٤٨ اي بزيادة عن السنة السابقة لها بمقدار ٨٠٤ معاملة ، وبلغت القروض

المصروفة ١٨٢١٣١٩٥ دينار أي بزيادة عن السنة السابقة بمقدار ٣,٤٠٩,٦٤٣ دينار وأن الزيادة في القروض المصروفة بهذا القدر كانت نتيجة زيادة الحد الأعلى لقروض المواطنين ، وزيادة قروض المستفيدين ، وقد عُدت سنة ١٩٧٤ سنة التحول بالنسبة للمصرف العقاري إذ مارس المصرف الإقراض لغرض شراء دور جاهزة وساعدته بذلك قوانينه ونظامه الذي يجوز له ذلك ، فضلاً عن أزمة المواد البنائية وارتفاع أسعارها المفاجئ آخذين بنظر الاعتبار عدد سكان العراق والعرصات الفارغة وغير المشغولة، وإيقاف إفراز الأراضي ومنع إجازات البناء في مناطق كثيرة من العراق وبالتالي عمل المصرف على مساعدة المواطن بالحصول على دار سكن عن طريق الشراء [٥٥].

بالرغم من توقعات المصرف على ضوء حركة الإقراض لعام ١٩٧٤ فقد سجلت المؤشرات انخفاضا في إعداد المعاملات المنظمة خلال سنة ١٩٧٥ وبالذات لشهر نيسان ، ولعل السبب الرئيسي وراء ذلك هو الارتفاع المستمر في أسعار كلف البناء ، وقد كان مجموع عدد المعاملات التي تم قبولها هو ١٢٢٦٤ معاملة قرض وتمثل مدة عمل أمده تسعة أشهر فقط بالنظر لانتهاء السنة المالية في ٣١ كانون الأول ١٩٧٥ ، ساهم المصرف في تمويلها وفق أسس ومعايير الإقراض التي جاءت بها قرارات مجلس قيادة الثورة ، وبلغت القروض المصروفة خلال هذه المدة ٢٦٤٤١١٣٨ دينار، وبلغت مساهماته في حركة البناء بنسبة ٨٣ % من المجموع العام لعدد المعاملات المنظمة إذ ساهم المصرف في تمويل (١٠١٧٧)معاملة جديدة لغرض البناء ، وبلغ عدد المعاملات المنظمة لغرض الشراء ١٩٥٧ معاملة ، أي بنسبة ١٦% والباقي وهو ١% يمثل معاملات الإقراض لغرض فك الرهن للدور المرهونة خارجياً [٥٦].

شهد عام ١٩٧٦ تطوراً كبيراً في مجال الإقراض لأغراض السكن إذ بلغت المعاملات المنظمة خلاله ١٨٦٧٥ معاملة ، وبلغت القروض المصرفة عنها ٣٩٤٤٢٨٥٧ دينار وشملت فعاليات المصرف الإقراضية البناء والشراء وفك الرهن، وبالرغم من تنوع الإقراض أن قروضه الموجهة لدعم البناء حضت بالأهمية الأولى من بين أعماله ، وبذلك يبلغ عدد المعاملات المنظمة في المصرف منذ عام ١٩٦٨ ولنهاية عام ١٩٧٦ (١١٢٠٣١) معاملة وبلغت القروض المصروفة عنها (١٨١٢٤٧٧٥٦) دينار ، وهذا

أن دل على شيء فإنما يدل على مدى مساهمة المصرف في مواجهة أزمة السكن التي اشتدت ظاهرتها نتيجة جملة عوامل وانعكست هذه الظاهرة على زيادة حجم العمل ، ومن أسباب هذه الزيادة التطور الذي شهده القطر ، وزيادة الحد الأعلى لقروض المصرف مما شجع المواطنين على التشييد والبناء ، وإنذار أصحاب قطع أراضي الجمعيات لتشييد القطع الموزعة عليهم ، وتسهيل التعليمات المعمول بها في المصرف ورفع الكثير من الضوابط إمام اقتراض المواطنين [٥٧] ، والجدول رقم (٣) يبين تطور حجم عمل المصرف العقاري للمدة ١٩٦٨ – ١٩٧٦.

جدول رقم (٣) يبين تطور حجم عمل المصرف العقاري للمدة ١٩٦٨ – ١٩٧٦[٥٨].

السنة	عدد المعاملات	القروض المصروفة (بملايين الدنانير)
١٩٦٨ –١٩٦٩	٨٩٧٣	٨٧٤٥٢٩٠
١٩٦٩ –١٩٧٠	١٠٢٥٩	١٠٥٩٩٨١٥
١٩٧٠ –١٩٧١	١٠٣٤٩	١١٢٣٦٣٣٦
١٩٧١ –١٩٧٢	١٠٣٣٠	١٤٥٤٢٧٣٩
١٩٧٢ –١٩٧٣	١٠٨٤٤	١٤٨٠٣٥٥٢
١٩٧٣ –١٩٧٤	١١٦٤٨	١٨٢١٣١٩٥
١٩٧٤ –١٩٧٥	١٨٦٨٩	٣٧٢٢٢٨٣٤
١٩٧٥	١٢٢٦٤	٢٦٤٤١١٣٨
١٩٧٦	١٨٦٧٥	٣٩٤٤٢٨٥٧
المجموع	١١٢٠٣١	١٨١٢٤٧٧٥٦

يلحظ من خلال الجدول أعلاه تزايد عدد المعاملات المنظمة في السنوات الثلاثة الاخيرة ، وهذه إنما جاءت نتيجة التسهيلات التي قدمها المصرف الى المواطنين والضغوط التي فرضتها التطورات الحضارية والتي تتطلب تهيئة دور سكن للمواطنين الأمر الذي تصاعد معه الطلب على القروض العقارية ، كما أن موارد المصرف المالية تطورت في السنوات الأخيرة بحيث أصبح للمصرف العقاري مركز مهم في تمويل قطاع السكن ، وقد انعكست زيادة الموارد على مبالغ القروض الممنوحة من المصرف وعدد معاملاتها.

أما في مجال الجباية والتحصيل فقد عمل المصرف العقاري بجدية في تحصيل قروضه إذ تحصل نسبة مرتفعة عندما يلجأ المصرف بالضغط على مدينيه بغية حملهم على تسديد ديونه ، وتنخفض عندما يبغي المصرف تساهلاً في هذا المجال ، ويلاحظ أن نسبة القروض المقبوضة الى المستحقة في ١٩٦٨ بلغت نسبتها في ٨٥ % وكان مبلغها ٥٨٢٨٥٧٩ ديناراً في حين كانت القروض المستحقة ٦٨٥٣٩٤٣ ديناراً [٥٩] ، ثم تطورت تلك النسب في السنوات اللاحقة فوصلت في عام ١٩٦٩ الى ما نسبته ٨٠,٨ % ، ولكنها انخفضت في عام ١٩٧٠ الى ٨٠,٣ % [٦٠].

تصاعدت أرقام المبالغ المقبوضة عن أرقام السنة الماضية فقد بلغ مجموعها في سنة ١٩٧٢ ما يعادل ٨٨٠٥١٦١ دينار في حين كانت عام ١٩٧١ ما يعادل ٦٥٨٥٨٢٦ دينار أي بزيادة مقدارها ٢٢١٩٣٣٥ دينار وكانت نسبة القروض المقبوضة الى القروض المستحقة هي ٨٩% ، ويلاحظ أن ثمة تفاوت بين القروض التي يدفعها المصرف الى المواطنين وبين ما يقبضه عن الأقساط والفوائد المستحقة إذ تمثل القروض المقبوضة نسبة ٦٠,٥٥% من القروض المدفوعة ، وهذا الفرق يغطيه المصرف عِبر اقتراضه من المؤسسات المالية الأخرى أو بقبوله لودائعها وكان مجموع القروض التي عقدها المصرف مع تلك المؤسسات في تلك السنة ما يعادل ٢١٧١٠٩٨ دينار، أما الودائع التي قبلها في نفس السنة فقد كان مجموعها ٥٤١٢٠٠٠ دينار [٦١].

لقد نشطت الأجهزة والأطر العاملة في هذا المجال سواءً في مجالات الاستقطاع الشهري وإنجاز المذكرات والصكوك في مواعيدها المقررة أو في مجال متابعة استحصال ديون المصرف من المواطنين غير

الخاضعين للاستقطاع الشهري ، ومع أهمية التصاعد في معدلات الجباية فإن المصرف قد إهتم بقضية الديون المتراكمة على بعض المواطنين الذين عجزوا عن تسديدها بسبب ظروفهم المعاشية فأصدر التعديل التاسع لنظامه برقم ٣٢ لسنة ١٩٧٢ وتضمن إمكانية المقترض في إجراء تسوية حسابية بعد دفع ٥% من مجموع الأقساط والفوائد المستحقة عليه ، وقد تمت تسوية ١٢٧١ من مجموع ١٩٧٢ معاملة في خلال المدة المقررة للتشريع وهي ستة أشهر أي بنسبة ٦٤,٥% [٦٢].

كما تطورت أعمال الجباية والتحصيل لقروض المصرف المستحقة على المواطنين تطوراً ينسجم مع التطور في أعمال المصرف الأخرى ، فلقد بلغت في عام ١٩٧٣ مبلغ ٩٩٣٨٨٦٨ دينار وبلغت القروض المقبوضة أي المسددة الى المصرف ٩٩٠٣٥٥١ دينار ، وتمثل نسبة القروض المسددة الى المستحقة ٩٩% ، وهذا يعكس مدى المثابرة في متابعة استيفاء الديون المستحقة ومدى عناية المصرف في تطوير الجباية والتحصيل ، إذ إن الموارد المهمة التي يعتمدها المصرف في تمويل عملياته الإقراضية هي مقدار المبالغ المستردة من الأقساط المستحقة ويغطي العجز الناتج بين مقدار المبالغ المقبوضة والمبالغ المصروفة لعمليات الإقراض الجديدة عن طريق القروض الخارجية [٦٣].

لقد عمد المصرف الى وضع أسلوب الاستقطاع الشهري وفق القسط الثابت بدلاً من أسلوب القسط التناقصي ؛ وذلك للتخفيف عن كاهل المقترض إذ سيواجه بموجب الأسلوب الثاني استقطاع أقساط كبيرة وعليه فقد استحدثت طريقة علمية وفق القوانين الرياضية من شأنها جعل جميع الأقساط السنوية والفوائد وأجور التأمين بنفس المقدار وطيلة مدة القرض ، وعلى أثرها انخفض مقدار القسط الشهري بمبلغ لا يستهان به خاصة بالنسبة للموظفين ذوي الرواتب القليلة ، كذلك عمل المصرف على تبديل سياسة أسلوب استيفاء فائدة القرض لمدة سنة واحدة بعد إنهاء السنة الأولى دون المباشرة باستيفاء القسط والفائدة والمصاريف السنوية على أن يبتدأ استقطاع القسط والفائدة والمصاريف الأخرى بعد ستة أشهر من استلام الدفعة الأولى من القرض، وحيث إن استيفاء الفائدة المذكورة لا يؤثر على رصيد القرض فإن مبلغ القرض سيبقى على حاله، وجعل استيفاء القسط الاول بدءاً من الشهر التالي لاستلام الدفعة الأولى مما

يؤدي الى بدءاً قسم من المبالغ المستقطعة مسددة من أصل القرض ، وترك للمقترض الخيار بين الطريقتين لحسم المبالغ منه [٦٤].

حققت أجهزت المصرف خلال السنة ١٩٧٤– ١٩٧٥ تشاطاً ملموساً في هذا الحقل وبلغت القروض المقبوضة ١٢,٤٨٦,١٩٦ دينار ، هذا وإذا قارنا الرقم بمبلغ القروض المستحقة البالغة ١٠,٨٢١,٨٦١ دينار نجد إن نسبة القروض المقبوضة الى المستحقة بلغت ١١٥% ، وهي نسبة عالية جداً قياساً الى السنوات السابقة ، وذلك بفضل متابعة أعمال الجباية وتنظيم الاستقطاع الشهري وفق الطرق الحديثة ، وصدور قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ٧١٥ والمؤرخ ١٦ آب ١٩٧٣ بتنظيم الإقراض ، ومع ارتفاع نسبة القروض المقبوضة فلا يمكن للمصرف أن يكون قادر على تغطية الطلب الواقع على قروضه عن طريق التمويل الذاتي والداخلي بالنظر للتوسع الهائل في عمله وامتداد فعالياته [٦٥].

إن القروض التي منحها المصرف خلال السنة ١٩٧٥ كانت نسبة المعاملات الخاضعة للاستقطاع الشهري منها ٦٩ % ونسبة المعاملات الغير خاضعة للاستقطاع الشهري ٣١% ومن الطبيعي إن ارتفاع عدد المعاملات الخاضعة للاستقطاع الشهري يدعم وضع المصرف في استحصال ديونه المستحقة في أوقاتها ويعمل على سبيل إرساء جباية ديونه على أسس متطورة ، وقد سجلت الأقساط والفوائد المقبوضة رقماً مقارباً للرقم المؤشر في السنة الماضية فكانت القروض المقبوضة ١٢٤٠٠٩٠٨ دينار أما القروض المستحقة فمبلغها ١١٠٩٨٤٧٥ وكانت نسبة المقبوضة الى المستحقة هي ١١٢% [٦٦].

بعد التوسع الهائل في عمل المصرف العقاري أخذ بتطوير أجهزة الجباية وجعلها أكثر فاعلية بعدها ركناً من أركان تمويل المصرف المهمة ، لذا ركز على عمليات الاستقطاع الشهري ومتابعة جبايته ، وقد استحدث أسلوبا حديثاً للعمل هو بطاقات الاستقطاع الشهري وبوشر بتعميم استعمالها على فروع خارج بغداد بعد أن ثبت نجاح تجربتها في بغداد ، كما عمد الى متابعة استحقاق أقساط القروض السنوية للمعاملات غير المشمولة بالاستقطاع الشهري عن طريق المحفزات المادية والمعنوية للقائمين في متابعة استحصال هذه الديون وبذلك فقد حقق المصرف انخفاضا ملحوظاً في عدد المتخلفين عن الدفع وإشعار

المواطنين بأن المصرف جاد في استحصال ديونه المستحقة ، وقد بلغت القروض المقبوضة لعام ١٩٧٦ مبلغ ٢١٥٤٣٣٧٥ دينار في حين بلغت القروض المستحقة ١٢٠٧٥٠٥٥ دينار وبالتالي حققت القروض المقبوضة الى المستحقة نسبة ١٧٨% [٦٧] ، والجدول رقم (٤) يبين نسبة القروض المقبوضة الى المستحقة للمدة ١٩٦٨ – ١٩٧٦.

جدول رقم (٤) يبين نسبة القروض المقبوضة الى المستحقة للمدة ١٩٦٨ – ١٩٧٦[٦٨].

السنة	القروض المستحقة	القروض المقبوضة	نسبة القروض المقبوضة الى القروض المستحقة
١٩٦٨	٦٨٥٤	٥٨٢٨	% ٨٥,٠
١٩٦٩	٧١٧٩	٥٧٩٨	% ٨٠,٨
١٩٧٠	٧٨١٨	٦٢٨١	% ٨٠,٣
١٩٧١	٧٩١٣	٦٥٨٦	% ٨٣,٢
١٩٧٢	٩٩٢٠٩	٨٨٠٥١	% ٨٩,٠
١٩٧٣	٩٩٣٨٨	٩٩٠٣٥	% ٩٩,٠
١٩٧٤	١٠٨٢١	١٢٤٨٦	% ١١٥
١٩٧٥	١١٠٩٨٤	١٢٤٠٠٩	% ١١٢
١٩٧٦	١٢٠٧٥٠	٢١٥٤٣٣	%١٧٨

من خلال الجدول أعلاه يلحظ ارتفاع نسبة القروض المقبوضة الى المستحقة وخصوصاً في السنوات الثلاثة الأخيرة ، ويعود ذلك الى أن المصرف العقاري قد عمل جاهداً لتطوير هذه الناحية من نشاطاته ومواكبة الأساليب الحديثة التي تكفل جباية المصرف لديونه مع إبداء جميع التخفيضات الممكنة للمقترضين.

الخاتمة:

يتضح لنا مما سبق بأن المصرف العقاري هو مؤسسة حكومية تخصصية لا تهدف الى الربح أساساً في أعمالها بقدر ما تهدف الى مساعدة المواطنين للحصول على سكن مناسب لهم، لذلك سعى المصرف الى وضع كافة التسهيلات للحصول على الإقراض العقاري دونما عناء، مستخدماً العديد من الوسائل اللازمة في تطوير أعماله وفروعه وكان مستعداً لاستيعاب أي تطور وزيادة في نشاطاته وفق ما يرسمه قانونه ونظامه.

الهوامش والمراجع:

---

(١) المصارف المتخصصة (Specialized Banks) : وتُعرف بانها وحدات مصرفية تقوم بتجميع الموارد الادخارية من الأفراد والمشروعات الحكومية وتضعها تحت تصرفها إذا احتاجتها لغرض التوظيف الاستثماري أو حين تعاني من عجز في الموارد المالية وهذا الأمر ناجم عن كون النشاط الاقتصادي يترتب عليه فائض عند البعض وعجز عند الأخر ، وهي تتميز عن المصارف التجارية بأنها ذات اختصاص ضيق ومحدود لأن الأمر هنا يقتصر على جمع فئة معينة من رؤوس الأموال وفتح اعتمادات الى جماعة معينة من المقترضين ، فهي لا تزاحم المصارف التجارية على الرغم من إنها قد تنجح في ذلك وتتجاوز النطاق الذي تعمل فيه وتجذب المقترضين الذين لو لا وجودها لاتجهوا الى المصارف التجارية ، والمصارف المتخصصة أنواع وهي المصارف الزراعية ، والمصارف الصناعية ، والمصارف العقارية ، والمصارف التعاونية ، والمصارف الإسلامية ، ومصارف الادخار ، وكلها تعمل وفقاً للقرارات الصادرة بتأسيسها والتي لا يكون قبول الودائع تحت الطلب من بين أوجه نشاطاتها الرئيسة : عبد العزيز الغزالي وآخرون ، النقود والبنوك ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، (د.ت) ، ص ص ١٥٦-١٦٥؛ محمد عبد العزيز عجمية و مصطفى رشدي شحيه، النقود والبنوك والعلاقات الاقتصادية الدولية ، الدار الجامعية ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص٢٣٢ ؛ رضا صاحب و فائق مشعل قدوري ، إدارة المصارف ، دار إبن الأثير للطباعة والنشر ، مطابع جامعة الموصل ، بغداد ، ٢٠٠٥ ، ص٤٨.

(٢) خليل محمد حسن الشماع ، إدارة المصارف ، ط٢ ، مطبعة الزهراء ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ص ١٠٣-١٠٤.

(٣) أعدت الحكومة العراقية لائحة لتأسيس مصرف زراعي صناعي وقد شرعت وأصدرت بالقانون رقم ١٥ لسنة ١٩٣٥ ونشرته في الجريدة الرسمية الوقائع العراقية بتاريخ ١٧ شباط ١٩٣٦ ، وقد باشر أعماله على الرغم من ضآلة رأس ماله في ممارسة أعماله المزدوجة ، وبالنظر لوجود اختلافات أساسية بين الائتمان الزراعي والائتمان الصناعي فقد ارتأت الحكومة

أن توزع أعمال هذا المصرف على مصرفين أحدهما خاص بالخدمات الزراعية وهو (المصرف الزراعي) الذي تأسس بموجب القانون رقم ١٨ لسنة ١٩٤٠ ، وثانيهما خاص بالشؤون الصناعية وهو (المصرف الصناعي) الذي تأسس بموجب القانون رقم ١٢ لسنة ١٩٤٠، ولكن المصرف الزراعي الصناعي ظل يمارس أعماله الى أن تم فصل المصرفين بصورة نهائية في الأول من شهر نيسان سنة ١٩٤٦: الوقائع العراقية ، العدد ١٧٨٣ ، بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٤٠ ؛ عبد علي حسين كاظم ، علاقة المصرف الزراعي التعاوني بالجمعيات التعاونية الفلاحية وتحديد أبعادها ،بحث دبلوم عالي بإدارة المصارف ، كلية الإدارة والاقتصاد ، جامعة بغداد ، ١٩٧٩ ، ص ص ١-٢.

(٤)يختص المصرف العقاري بالائتمان العقاري إذ يمنح قروضاً طويلة الأجل بضمانات عقارية وهي عبارة عن حق عيني يرتبه المدين على عقاره لصالح الدائن ضماناً لوفاء مبلغ الدين ، ويكون اعتماد المصرف عند قيامه بأعماله على ضخامة رأس المال المدفوع له سواء بشكل مؤسسة عامة أو شركة مساهمة وتصل مدة قروضها الى أكثر من عشر سنوات في أغلب الأحيان وتهدف من خلالها الى تحقيق أغراض منها شراء العقارات والقيام بتشييدها على اختلاف أنواعها ، وإجراء الإصلاحات والتحسينات على عقارات مشيدة في زمن سابق : عبد الملك العاني ، مبادئ الاقتصاد ، ط٤ ، مطبعة دار السلام ، بغداد ، ١٩٧٢، ص ص ٢٩٤-٢٩٥.

(٥)علي رياض كوير الفتلاوي ، وزارة المالية العراقية بنيتها الإدارية والتنظيمية ١٩٥٨-١٩٦٨، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة القادسية ،٢٠١٧، ص ٦٤؛ ناظم محمد نوري الشمري، النقود والمصارف، دار الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الموصل، ١٩٨٨، ص ٣٥٠.

(٦)الجمهورية العراقية،مجلس قيادة الثورة (المنحل) ،تقسيمات وواجبات الهيكل التنظيمي،التصنيف ا لنوعي،المجلد (٢٠-أ) ،وزارة المالية،بغداد، ١٩٧٢، المقدمة ، ج ط.(مطبوع بالآلة الكاتبة)

(٧)المصدر نفسه ، المقدمة ،ج ي.

(٨)الجمعيات التعاونية : وهي منظمات اقتصادية تتسع لتشمل عدداً من النشاطات الاقتصادية ، وفي الوقت الذي تضم فيه العاملين في القطاع الزراعي يمكنها أيضاً الإنتاج السلعي الصناعي الصغير أو أن تشتمل صغار البائعين او غيرهم فهي مسألة مرتبطة بطبيعة المرحلة التاريخية التي يمر بها المجتمع ومستوى الوعي السياسي والاقتصادي ومدى استيعاب المزيد من النشاطات الاقتصادية في إطار الحركة التعاونية ، وكان أول قانون شُرع في العراق هو القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩٤٤ وهو قانون الجمعيات التعاونية الذي ركز على تسجيل وتنظيم التعاونيات وخاصة التعاونيات الاستهلاكية وبناء المساكن في المدن عن طريق دائرة خاصة في وزارة الاقتصاد تم تحولت هذه الدائرة الى مديرية التعاون ثم ربطها بوزارة

الشؤون الاجتماعية ، وقد عملت تلك الجمعيات على حماية مصالح أفرادها وتقديم الخدمات العامة لهم: عبد علي حسين كاظم ، المصدر السابق ، ص ص ٢٦- ٢٨.

(٩) الوقائع العراقية ، العدد ٢٥٦٥ ، بتاريخ ٣ كانون الثاني ١٩٧٧.

(١٠) المصرف التعاوني : تأسس سنة ١٩٥٦ تحت أسم بنك التسليف التعاوني بموجب القانون رقم ٦٥ لسنة ١٩٥٦ ، وكان مركزه في بغداد ، وله شخصية حكمية تؤهله حق تملك العقار والأموال المنقولة، ويمثله المدير العام ، وله فروع عديدة في أنحاء العراق ، ويرتبط بوزارة الاقتصاد ، ويكون رأس مال البنك مساهمة بين الحكومة والجمعيات التعاونية ، ويتولى تقديم القروض والسلف للجمعيات التعاونية ، وقبول الودائع الجارية والثابتة ، والأعمال الصيرفية الأخرى ذات العلاقة بالجمعيات التعاونية ، ولا يجوز له ممارسة أعمال تجارية أو تكوين مصلحة تجارية ، ويدار من قبل مجلس إدارة وله استقلال في الشؤون الإدارية والمالية ، ويتألف من خمسة أعضاء من ذوي الخبرة والاختصاص يعينهم الوزير اثنان منهم بترشيح من الجمعيات التعاونية المساهمة في رأس ماله ويكون له خمسة أعضاء احتياط يحلون محل الأعضاء الأصليين عند غيابهم ، ولمجلس الإدارة بموافقة مجلس الوزراء تحويل البنك الى شركة ذات أسهم ، وبعد إلغاء وزارة الاقتصاد في ٢ كانون الأول ١٩٧٦ تم ربطه بوزارة الشؤون الاجتماعية ، وقد ألغي قانون بنك التسليف رقم ٦٥ لسنة ١٩٥٦ بصدور قانون المصرف التعاوني رقم ٦٣ لسنة ١٩٥٩ الذي نص على أن يحل المصرف التعاوني محل بنك التسليف التعاوني وتكون غايته تشجيع الحركة التعاونية ، وإنهاض الجمعيات التعاونية ، وأعمال القرض والتسليف ، والتوسط في شراء واستيرادا أو تصدير المنتجات والمعدات لحساب الجمعيات والقيام بأعمال الصيرفة وقبول الودائع وغيرها ، وقد ألغي بالقانون رقم ٧٩ لسنة ١٩٧٠ ليحل محله المصرف العقاري في جميع أعماله : مجلس قيادة الثورة (المنحل) ، تقسيمات الهيكل التنظيمي ،المقدمة ، ج ص.

(١١) الوقائع العراقية ، العدد ١٨٦٨ ، بتاريخ ١٨ نيسان ١٩٧٠.

(١٢) مجلس قيادة الثورة (المنحل)، تقسيمات الهيكل التنظيمي ، المقدمة ، ج ت .

(١٣) الجمهورية العراقية، القرارات العامة لمجلس قيادة الثورة ١٩٦٨ – ١٩٧٧ ،المجلد الثاني،تسلسل ١٢٥٩٩ ، رقم التصنيف ١، تخصيص ٥ ، ص٥٨٠.

(١٤) تكون مجلس إدارة المصرف من: الأعضاء الأصليون وهم كل من ١- السيد حنا رزوقي عضو- ممثلاً لوزارة المالية ، ٢- السيد خيري سعيد عضو- خبيراً في الشؤون العمرانية وتجارة العقار ، ٣- السيد لبيد عبد القادر القره غولي عضو- المدير العام ، ٤- السيد علي كاظم العاني عضو- ممثلاً لوزارة الأشغال والإسكان ، ٥- السيد عدنان أحمد عزت

عضو- خبيراً في الشؤون العمرانية وتجارة العقار ، أما الأعضاء الاحتياط فهم : ١- السيد هشام منير عضو- خبيراً في الشؤون العمرانية وتجارة العقار ، ٢- السيد جميل محمد علي عضو- ممثلاً لوزارة الأشغال والإسكان، ٣- السيد مؤيد السويدي عضو- خبيراً في الشؤون العمرانية وتجارة العقار ، وقد طرأت العديد من التغيرات على أعضاء مجلس الإدارة وخصوصاً في الأعضاء الاحتياط نذكر منها في عام ١٩٧٦ تم إبدال السيد هاني أمين ليحل محل السيد جميل محمد علي ، وإضافة السيد حكمت الحارس عضو ممثل لوزارة المالية ، وقد أُنهيت مهام السادة أعضاء المجلس المذكورين بتاريخ ٢٦ أيار ١٩٧٦ وأُعيد تشكيله بموجب أمر وزارة المالية المرقم ١١٢ الصادر بتاريخ ٢٦ أيار ١٩٧٦على الوجه الاتي : الأعضاء الأصليون ١- السيد راغب فهمي عضو- ممثل وزارة المالية ، ٢- السيد لبيد عبد القادر عباس عضو- المدير العام للمصرف ، ٣- السيد طارق أحمد حالت عضو- خبير في الشؤون العمرانية وتجارة العقار ، ٤- السيد منذر حسين عضو- خبير في الشؤون العمرانية وتجارة العقار ، ٥- السيد هاني أمين عضو- ممثلاً لوزارة الأشغال والإسكان ، ونظراً لنقل السيد هاني أمين الى وزارة التخطيط فقد تم تعيين السيد علاء جليل إبراهيم عضو- ممثل وزارة الأشغال والإسكان ، والسيد عبد المطلب أحمد تقي عضو- ممثل وزارة الأشغال والإسكان احتياط ، وبصدور القانون رقم١٦١ لسنة ١٩٧٦ الجديد فقد أُعد المجلس منحلاً ويمارس الوزير صلاحية المجلس لحين تشكيل المجلس الجديد: المصرف العقاري ، تقرير إحصائي ١٩٧٣-١٩٧٤ ، مطبعة المصرف ، بغداد،(د.ت)،ص ٨ ؛ الجمهورية العراقية ، وزارة الإسكان والتعمير ، المصرف العقاري ، التقرير السنوي لعام ١٩٧٦ ، مطبعة المصرف العقاري ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص١٧ ، ص١٩.

(١٥) مجلس قيادة الثورة (المنحل) ، تقسيمات الهيكل التنظيمي ، ص ٥١٧ ، ص ٥٢١.

(١٦)المصدر نفسه ، ص ص٥١٩ – ٥٢٤.

(١٧) المصرف العقاري، تقرير إحصائي ١٩٧٤-١٩٧٥، ص١٤.

(١٨)مجلس قيادة الثورة (المنحل)، تقسيمات الهيكل التنظيمي ، ص ٥١٩.

(١٩)المصدر نفسه، ص ٥١٩ – ٥٢٧.

(٢٠) خلال مدة الدراسة واصل قسم المباني جهوده سواء في مجالات إفراز وبيع الأراضي العائدة ملكيتها الى المصرف أو في إعداد الخرائط والتصاميم ومباشرة التنفيذ لبنايات المصرف وفروعه الى جانب جهود الصيانة للأبنية والمعدات والأجهزة ، ففي محال الأراضي استمر في بيع الأراضي التي تتراوح مساحتها بين ٣٠٠ م٢ – ٧٠٠ م٢ الى جانب مساحات صغيرة حدود ١٥٠ م٢ من القطعة كرود خليل باشا ٦٨ مقاطعة راغبة خاتون وقد وفرت بدلات شراءها للمصرف سيولة نقدية بلغت أكثر من ٣٠ ألف دينار إضافة الى متابعة القسم في تسعير وتأجير بقية الأراضي كما أعلن القسم عن مناقصات

مكائن تكييف الهواء الاحتياطية في بناية المديرية العامة ، أيضاً أعلن مناقصة بناية فرع الموصل وتمت إحالتها الى المقاولين بكلفة ٧١٣٥٥ دينار للعام ١٩٧١-١٩٧٢، كذلك نشط القسم في عام ١٩٧٢-١٩٧٣ بإنشاء دور الى مدراء فروع المصرف في محافظات نينوى ، والسليمانية ، ودهوك ، فضلاً عن شراء قطعة أرض لتشييد فرع المصرف في الكرخ ، ، كما باشر بصيانة وإدامة بنايات المصرف والمعدات والأجهزة التابعة لها في بنايات مصارف العمارة والسليمانية وبعقوبة والرمادي ،وفي عام ١٩٧٤- ١٩٧٥ قام بإعداد مناقصة بناية المصرف العقاري لفرع الكرخ ، وإعلان مناقصة بناية فرع المصرف في البصرة ، والمباشرة بتشييد مخزن للمديرية العامة للمصرف في بزايز الصليخ ، وترميم وصيانة بنايات المصرف في محافظة الناصرية ، والكوت ، وكربلاء ، وبعقوبة ، وترميم وصيانة دور مدراء المصرف في كربلاء وبعقوبة ، وفي عام ١٩٧٦ قام القسم بأعمال الصيانة والترميم بناية المركز العام وفرع محافظة واسط وفرع صلاح الدين ، كذلك قام ببيع الأراضي في مزرعة حمدي الباجه جي وعدد القطع كان ٤٥ قطعة كما خصصت ٤٤ قطعه لموظفي المصرف من نفس المزرعة المذكورة ، وقد قام القسم باحتساب كلفة الأراضي المباعة واستلام أقيامها وبلغ ما ورد للمصرف منها مبلغاً قدره ٤٨٣٧٥٧٨٩١ دينار وحقق منها ربحاً قدره ٤٦٧,٤٧٥,٩٧٧ دينار بالإضافة الى أرباح أخرى من أراضي أخرى بلغت أرباحها ٥٤٥٤٦٧٧٥ دينار ، للمزيد من التفاصيل ينظر : المصرف العقاري، التقرير الإحصائي السنوي لسنة ١٩٧١ – ١٩٧٢ ، ص١٧ ؛ المصرف العقاري، تقرير إحصائي ١٩٧٤- ١٩٧٥ ،مطبعة المصرف،بغداد، (د.ت) ، ص٢٨ ؛ المصرف العقاري، التقرير السنوي لعام ١٩٧٦، ص ص ٦٧ – ٦٨.

(٢١) المصرف العقاري ، التقرير السنوي لعام ١٩٧٦، ص٥٧، ص ٦٧.

(٢٢)المصرف العقاري، التقرير الإحصائي السنوي لسنة ١٩٧١ – ١٩٧٢ ،مطبعة المصرف،بغداد، (د.ت)، ص١٤،

(٢٣)مجلس قيادة الثورة (المنحل)، تقسيمات الهيكل التنظيمي ، ص ٥٢٨ ، ص ٥٣٠.

(٢٤) كانت فروع المصرف العقاري تضم في عام ١٩٦٨ كل من فرع الرصافة ، الكرخ ، الموصل، كركوك ، بصرة ، الحلة ، كربلاء ، النجف ، السليمانية ، أربيل ، بعقوبة ، الرمادي ، الكوت ، العمارة ، الديوانية ، الناصرية ، وكان مجموع ملاكها ومستخدميها مع المقر العام ٣٥٥ موظفاً ومستخدماً كانت حصة المقر العام ٧٣ موظفاً، وحصة فرع الرصافة منها ٧٢ موظفاً وفرع الكرخ ٦٢ موظفاً وفرع الموصل ١٩ موظفاً في حين توزعت النسب الأخرى بشكل متقارب على بقية الفروع ، أما في عام ١٩٧١ – ١٩٧٢، أصبح عدد العاملين فيها ٥٢٦ موظف وعامل بواقع ١١٣ موظفاً في المقر العام (بغداد) و١١٤ في فرع الكرخ و١٠٥ في فرع الرصافة ، و٢٢ في فرع الحلة، وفي دهوك ٣ موظفين فقط (أُفتتح في ١١ آذار ١٩٧٢) أما بقية الفروع فتقاربت أعداد موظفيها نوعاً ما ، وكانت الرواتب والأجور المصروفة لهم ٣١٣٣٢٦ ديناراً ،

أما في عام١٩٧٢– ١٩٧٣ فبلغ ملاك الفروع مع المقر العام ٥٦٦ منهم ١١١ في المقر العام و ١١٣ في فرع الرصافة و١٠٩ في فرع الكرخ ، وبلغت الرواتب المصروفة لهم ٣٥٧٢٧٠ دينار ، ثم ازداد عددها بعد افتتاح فروع الكرادة ، والتأميم ، وصلاح الدين ، والمثنى ، وفي نهاية ١٩٧٦ بلغ عدد فروع المصرف العقاري ٢١ فرعاً مع المقر العام ، وبلغ عدد ملاكها ٨٣٣ موظفاً أعلاها عدداً من حيث الموظفين هو المقر العام إذ بلغ ١٦٢ موظفاً ويليه فرع الكرخ ١٢٤ موظفاً ، ويليه فرع الرصافة ١٢٠ والكرادة ٥٥ موظفاً ، وبلغت كلف الرواتب السنوية لهم ٨٢١٣٢٣ ديناراً للمزيد من التفاصيل ينظر : المصرف العقاري ،التقرير السنوي للسنة ١٩٦٧–١٩٦٨ المالية ، مديرية مطبعة الإدارة المحلية ، بغداد ، ١٩٦٩ ، ص٦ ؛ المصرف العقاري، التقرير الإحصائي السنوي لسنة ١٩٧١ – ١٩٧٢ ، ص٩ ؛ المصرف العقاري، التقرير الإحصائي السنوي لسنة ١٩٧٢ – ١٩٧٣ ،مطبعة المصرف،بغداد، (د.ت) ، ص ٤٥؛ المصرف العقاري، التقرير السنوي لعام ١٩٧٦ ،ص٢١.

(٢٥) المصرف العقاري ، التقرير السنوي لعام ١٩٧٦ ، ص٢١ ، ص ٣٣.

(٢٦)المخطط بالاعتماد على : المصرف العقاري،تقرير إحصائي ١٩٧٤– ١٩٧٥ ، ص١٤؛ التقرير السنوي لمصرف الرافدين ل عام ١٩٧٦ ، ص ٢٠ ؛ مجلس قيادة الثورة (المنحل) ، الهيكل التنظيمي ، ص ص ٥١٧ –٥٣٠.

(٢٧) المصرف العقاري ، التقرير الإحصائي السنوي لسنة ١٩٧٢ – ١٩٧٣ ، مطبعة المصرف ، بغداد ، (د.ت) ، ص٤٦.

(٢٨)هيفاء بطرس روفائيل ،دراسة انتقادية لرؤساء اموال واحتياطات وتخصيصات المصارف في العراق،بحث دبلوم عالي في مراقبة الحسابات، كلية الإدارة والاقتصاد جامعة بغداد، ١٩٨٣، ص ٣٩ .

(٢٩) عندما يبدأ المصرف أعماله بوجود رأس المال وأول استخداماته هو إيجاد البنايات والمعدات الضرورية للعمل ثم يمارس نشاطه وحسب طبيعة عمله ، ويساعد مقدار رأس مال المصرف في تدعيم ثقة المودعين والسلطات الرقابية الحكومية في قدرة المصرف على الصمود أمام الصعوبات التي تعترض عمله لأنهم يعتقدون بأن قوة المصرف تعتمد على متانة رأس ماله ، فالمصرف ذو رأس المال الكبير والذي قد يواجه خسائر فأنه يستطيع البقاء والوفاء بالتزاماته ، وقد أدى هذا الانطباع الى قيام المصارف بنشر معلومات دورية عن رؤوس أموالها والفعاليات المستمرة لديها : خليل محمد حسن الشماع ، المصدر السابق ، ص٢٧٤ ؛هيفاء بطرس روفائيل،المصدر نفسه ، ص ٥٠.

(٣٠) المصرف العقاري، التقرير الإحصائي السنوي لسنة ١٩٧٢ – ١٩٧٣ ،ص ٤٦

(٣١) المصرف العقاري ، التقرير الإحصائي السنوي لسنة ١٩٧٢ – ١٩٧٣ ، ص ص ٤٦ – ٤٧.

(٣٢) نزار عزيز محمود ، الائتمان العقاري في مرحلة التحول الاشتراكي في العراق ، بحث دبلوم عالي في إدارة المصارف ، كلية الإدارة والاقتصاد ، جامعة بغداد ، ١٩٧٩ ، ص ٥٨.

(٣٣)المصرف العقاري، التقرير الإحصائي السنوي لسنة ١٩٧١ – ١٩٧٢ ، ص١٠.

(٣٤) الجدول من إعداد الباحث بالاعتماد على : المصرف العقاري، التقرير الإحصائي السنوي لسنة ١٩٧٢ – ١٩٧٣ ، ص ٤١ ؛ المصرف العقاري ،التقرير السنوي لعام ١٩٧٦ ،ص ٧ ؛ هيفاء بطرس روفائيل ، المصدر السابق ، ص ٤٠.

(٣٥) نزار عزيز محمود ، المصدر السابق ، ص ص٨٦ –٨٧.

(٣٦) وداد يونس يحيى ،تخطيط ورقابة الائتمان المصرفي في العراق، إطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية الإدارة والاقتصاد جامعة بغداد، ١٩٨٠، ص ٤٥٢.

(٣٧) تشتمل الودائع الثابتة على أنواع ثلاثة هي : ١- الودائع الثابتة الحكومية : وهي الودائع الثابتة التي يحصل عليها المصرف من المصارف والمؤسسات المالية والدوائر الرسمية وشبه الرسمية وتتراوح الفائدة على هذه الفوائد بين ٣ % و ٥ % وتشكل هذه الودائع أهم مصدر من مصادر تمويل المصرف وشكلت نسبة ٣١ % سنة ١٩٦٩ و ٤٦ % سنة ١٩٧٣ ، وأهم الجهات التي حصل منها المصرف على الودائع الحكومية هي صندوق التقاعد (مديرية المحاسبات العامة) ، مؤسسة التقاعد والضمان الاجتماعي ، المديرية العامة لهيئة البريد والبرق ، مصرف الرافدين ، شركات التأمين ، المؤسسة العامة لتصفية النفط وصناعة الغاز ، المؤسسة العامة لتوزيع المنتجات النفطية ، الأمانة العامة للأموال المجمدة ، المؤسسة العامة للكهرباء ، المكتب المالي القطري لحزب البعث العربي الاشتراكي ، المنشأة العامة لنقل البضائع الاعتيادية ، البنك المركزي العراقي ، ، المؤسسة العامة للنقل المائي العراقية ، المصرف الصناعي ، نقابة المحاسبين والمدققين ، المؤسسة العامة للإسكان ، مجلس إدارة صندوق تقاعد المهندسين ، المؤسسة العامة للسكك ، المديرية العامة لإدارة أموال القاصرين ، الشركة الوطنية للاستثمارات السياحية العامة لتربية الماعز والأبقار ، ٢- الودائع الثابتة الأهلية : وهي الودائع التي يحصل عليها المصرف من الأهلين وتتراوح أسعار الفائدة على هذه الودائع بين ٣ – ٥ % ولا تشكل هذه الفقرة نسبة مهمة من مصادر تمويل المصرف لأفضلية شروط المصارف الأخرى من حيث سعر الفائدة وأسلوب السحب ، وقد أُدمجت هذه الفقرة مع الودائع الحكومية لضآلتها النسبية ، ٣- ودائع الجمعيات عن المساهمة برأسمال المصرف التعاوني الملغي وحصل عليها المصرف عند إلغاء المصرف التعاوني ودمجه بالمصرف العقاري سنة ١٩٧٠، ولم تمثل نسبة مهمة من مصادر تمويل المصرف وانخفضتا بشكل كبير جداً في نهاية عام ١٩٧٦: نزار عزيز محمود ،المصدر السابق، ص ص ٨٧ – ٨٩ .

(٣٨) المصرف العقاري، التقرير الإحصائي السنوي لسنة ١٩٧٢ – ١٩٧٣ ،ص٤٧.

(٣٩) طلال عبد الواحد بهنام ، المصدر السابق ، ص ١٠٦ ؛ هيفاء بطرس روفائيل ، المصدر السابق، ص ٤٩؛ المصرف العقاري ، التقرير السنوي لعام ١٩٧٥ ، مطبعة المصرف العقاري،بغداد، ١٩٧٧، ص ١٤.

(٤٠) هيفاء بطرس روفائيل ، المصدر السابق ، ص٥٦ ، ص٥٧.

(٤١) محمود عباس ، المصارف العقارية تنظيمها وتطويرها ، (د.مط) ، اتحاد المصارف العربية ، (د.ت) ، ص ٨.

(٤٢) محمد عزيز ، النقود والبنوك ، ط٢ ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٨ ، ص ٣٦١.

(٤٣) أجاز نظام رقم ٣٩ التعديل الثالث لنظام المصرف العقاري العراقي رقم ٤٨ لسنة ١٩٥٧ ، للمقترض الذي استحق عليه أكثر من قسط واحد أن يطلب تحريرياً الى المصرف خلال سنة واحدة من نفاذ هذا النظام تعديل عقد قرضه وفق شروط هي أن يدفع ١٠% على الأقل من التحقق عليه عند إجراء التسوية عن الأقساط والفوائد خلال المدة المعينة ، ويكون المتبقي على المقترض عن الأقساط والفوائد بعد إجراء التسوية هو مبلغ القرض المعدل ، وتستوفي مقدماً فائدة سنوية عن مبلغ القرض المعدل بقدر النسبة المقررة في القرض ، ويقسط مبلغ القرض المعدل لمدة لا تتجاوز العشرين سنة على أن تنزل منها المدة المنقضية من القرض ، ويلتزم المقترض إذ كان موظفاً أو مستخدماً أو عاملاً في الدوائر الرسمية أو شبه الرسمية أو المصالح والمؤسسات الحكومية بالموافقة على استقطاع القسط السنوي بأقساط شهرية استقطاعا مباشراً من راتبه وإبلاغ الجهة المختصة بذلك، ويجوز للمقترض من غير المذكورين أن يتفق مع موظف أو مستخدم أو عامل في الدوائر المذكورة يتعهد بدفع الأقساط الشهرية وفق أحكام هذه المادة الخامسة عشر (ج) وليس له الحق بالرجوع عن تعهده ، ويستحق القسط الأول من القرض بعد مضي سنة واحدة من تاريخ إجراء التسوية ، وإذا كان مبلغ القرض المعدل يزيد على مبلغ القرض المسجل في دائرة الطابو يلتزم المقترض بتسديد الزيادة أو تنظيم عقد جديد بمبلغ القرض المعدل حسب الأصول ، للمزيد من التفاصيل ينظر : الوقائع العراقية ، العدد ١٨٩٩، بتاريخ ١٦ تموز ١٩٧٠.

(٤٤) تُنظم قروض المصرف العقاري وفق الشروط الأتية : ١- الاتفاق على مدة سداد القرض خلالها مع الفوائد وكافة الأجور الأخرى بطريقة القسط الثابت ، وتتراوح مدد قرض المصرف العقاري بين ١٥ – ٢٥ سنة حسب جداول خاصة بذلك ، ٢- تكون الفائدة السنوية للمصرف بين ١,٥ % الى ٥ % سنوياً وفقاً لمبلغ القرض المطلوب وفئة الراتب وما إذا كان داخل حدود بغداد أو خارجها ، ٣- تستوفي الفائدة من مبلغ القرض عند دفعه وتستوفي من المقترض في بداية كل سنة من سنوات القرض ، ٤- أن يحافظ المصرف على العقار المؤمن وعلى مشتملاته وأن لا يعمل أي عمل يؤدي الى إتلاف العقار أو إنقاص قيمته وأن يبلغ المصرف بما يقع عليه من تلف وغيره وإذا خالف يعد القرض واجب الأداء فوراً ،

٥- يقوم المصرف بتأمين العقار المذكور ضد الحريق وعلى نفقة المقترض حتى إيفاء الدين مع جعل بوليسة التأمين لأمر المصرف ، ٦- إذ احترق العقار الموضوع بالتأمين لدى المصرف خلال مدة القرض فللمصرف أن يتصرف بمبلغ التعويض وفقاً لنظامه ، ٧- يعترف المقترض بأن العقار المقدم تأميناً لقاء هذا القرض هو ملكه وتحت تصرفه وغير محجوز ولا مرهون وخال من أي امتياز سابق لدين أو جهة من شأنه أن يمس هذا التأمين وإذا ظهر خلاف ذلك فللمصرف أن يعد عقد المداينة هذا مفسوخاً بذاته بدون حاجة الى إنذار أو إجراءات قانونية ويصبح القرض هذا مع كافة المصاريف والفوائد واجب الأداء ، ٨- على المقترض أن يمكن المصرف أو من ينتدبه من الكشف على العقار في أي وقت شاء ، ٩- يجوز للمصرف أن يُعيد النظر في تقدير قيمة العقار الموضوع تأميناً إذا ظهر إن قيمته قد نقصت لأي سبب كان وأن الباقي من القرض يزيد على النسبة القانونية المقررة لمنح القروض ، ١٠- يصبح القرض واجب الوفاء بأكمله وتسري الفائدة عليه بدون حاجة الى إنذار عند عدم الإيفاء بالأقساط والفوائد والأجور في ميعاد الاستحقاق ، وكذلك إذا نقصت قيمة العقار المقدم تأميناً لهذا القرض ، أو إذا أخل المقترض بأي من شروط العقد، ١١- تُسدد القروض والفوائد وأجور التأمينات شهرياً بالنسبة لمنتسب ومتقاعد الدولة وتحسم من راتبه الشهري ، وتستقطع من قبل دائرته مباشرة وتسدد شهرياً الى المصرف ١٢- يُطبق قانون العقوبات على المقترض الذي يُدلي بمعلومات كاذبة بغية الحصول على القروض خلافاً لقرارات مجلس قيادة الثورة وقانون المصرف ، ١٣- يقوم المصرف بالتأمين على حياة المقترض وعلى نفقته وحتى إيفاء الدين مع جعل بوليسة التأمين لأمر المصرف ويتحمل المقترض كل ما يقتضي من رسوم وأقساط ونفقات ، ١٤- اعتراف المقترض بشرط الرهن في دائرة التسجيل بحضور المقترض أمام مدير أو ملاحظ التسجيل العقاري في المنطقة التي يقع فيها العقار واعترافه بمحتويات شروط الرهن وفقاً لهذه الشروط وتوضع إشارة الحجز بناءً على موافقة صاحب الملك واعترافه بالشروط ، وبعد ذلك يُنظم للمقترض شيك بمبلغ القرض ، للمزيد من التفاصيل ينظر : علي عبود عيسى، توثيق القروض المصرفية وتطبيقاتها في المصارف المتخصصة العراقية ،بحث دبلوم عالي بإدارة المصارف، كلية الإدارة والاقتصاد جامعة بغداد ، ١٩٧٩،ص ص ١٣٣ – ١٣٦.

(٤٥) خليل الشماع ، إدارة المصارف ، ص ص٨٥٨ – ٨٥٩.

(٤٦) علي عبود عيسى ، المصدر السابق ، ص١١٥ ، ص١١٦.

(٤٧) لبيد القره غولي ، حول الإقراض العقاري ، مجلة المالية ، العدد الأول ، السنة الأولى ، ١٩٧٤، ص ١٢٤.

(٤٨) المصدر نفسه، ص ١٢٦.

(٤٩) الجمهورية العراقية ، القرارات العامة لمجلس قيادة الثورة ١٩٦٨ –١٩٧٧ ، ص٥٧٧.

(٥٠) لبيد القره غولي، المصدر السابق ، ص١٢٦ ، ص ١٢٧.

(٥١) الجمهورية العراقية، القرارات العامة لمجلس قيادة الثورة ١٩٦٨ –١٩٧٧ ،ص٥٧٨.

(٥٢) لبيد القره غولي ، المصدر السابق ، ص١٢٧.

(٥٣) المصرف العقاري، التقرير الإحصائي السنوي لسنة ١٩٧١ – ١٩٧٢، ص ١٢.

(٥٤)المصرف العقاري، التقرير الإحصائي السنوي لسنة ١٩٧٢ – ١٩٧٣، ص ٤٩.

(٥٥) المصرف العقاري ، تقرير إحصائي ١٩٧٣ – ١٩٧٤ ، مطبعة المصرف ، بغداد ، (د.ت) ، ص١٥.

(٥٦) المصرف العقاري ، التقرير السنوي والميزانية العمومية لعام ١٩٧٥ ، ص ١، ص١٦.

(٥٧) المصرف العقاري، التقرير السنوي لعام ١٩٧٦ ، ص١٣ ، ص٣١.

(٥٨) الجدول من إعداد الباحث بالاعتماد على : الجمهورية العراقية ، وزارة التخطيط ، المجموعة الإحصائية السنوية ١٩٧٤ ، مطبعة الجهاز المركزي للإحصاء ، بغداد ، (د.ت) ، ص ٢٤٧ ؛ لبيد القره غولي ، المصدر السابق ، ص ١٢٥ ؛ هيفاء بطرس روفائيل ، المصدر السابق ، ص ٦٧ ؛وداد يونس يحيى ، تخطيط ورقابة الائتمان المصرفي في العراق، ص ٤٦٦ ؛ المصرف العقاري ، التقرير السنوي لعام ١٩٧٦، ص٤٧.

(٥٩)المصرف العقاري ، المصرف العقاري، التقرير السنوي للسنة ١٩٦٧– ١٩٦٨ المالية ، ، ص١٢؛ فليح حسن خلف العزاوي ، الائتمان المصرفي ودوره في الإقتصاد العراقي ، ص ٢٤٥.

(٦٠) فليح حسن خلف العزاوي ، المصدر نفسه ، ص٢٤٦.

(٦١)المصرف العقاري، التقرير الإحصائي السنوي لسنة ١٩٧١ –١٩٧٢، ص٣،

(٦٢) المصرف العقاري، التقرير الإحصائي السنوي لسنة ١٩٧٢ – ١٩٧٣ ،ص٣٩ ، ص ٤٠.

(٦٣)المصرف العقاري، تقرير إحصائي ١٩٧٣ – ١٩٧٤، ص٢١.

(٦٤) المصدر نفسه ، ص٢١ .

(٦٥)المصرف العقاري، تقرير إحصائي ١٩٧٤– ١٩٧٥ ، ص٧ ، ص٢٥.

(٦٦)المصرف العقاري، التقرير السنوي والميزانية العمومية لعام ١٩٧٥ ،ص٢٣ ، ص٢٨.

(٦٧)المصرف العقاري، التقرير السنوي لعام ١٩٧٦ ، ص٧ ، ص٥٧.

(٦٨) الجدول من إعداد الباحث بالاعتماد على : المصرف العقاري، التقرير الإحصائي السنوي لسنة ١٩٧١ – ١٩٧٢ ،ص٣ ؛المصرف العقاري، التقرير الإحصائي السنوي لسنة ١٩٧٢ – ١٩٧٣،ص٣٩ ،ص٤٠ ؛ المصرف العقاري، تقرير

إحصائي ١٩٧٣ – ١٩٧٤ ،ص٢١ ؛ المصرف العقاري، تقرير إحصائي ١٩٧٤– ١٩٧٥ ،ص٧ ،ص٢٥ ؛ المصرف العقاري، التقرير السنوي والميزانية العمومية لعام ١٩٧٥،ص٢٣ ،ص٢٨ ؛ المصرف العقاري، التقرير السنوي لعام ١٩٧٦، ص٧ ؛ فليح حسن خلف العزاوي، المصدر السابق،ص٢٤٦.

التنظيم القانوني للحقوق التقاعدية لأعضاء المجالس التشريعية– دراسة مقارنة

أ.د. رافع خضر صالح شبر

الباحثة غصون علي عبد الزهرة

المقدمة:

جرت دساتير الدول على منح البرلمان ضمانات دستورية وقانونية ، كما وحرصت على تنظيمها ، و أهمها الضمانات التي تقرر حقوقاً مالية للأعضاء ، ويعد الراتب التقاعدي الذي يتقاضاه العضو بعد انتهاء مدة عضويته النيابية من هذه اهم الحقوق المالية ، حيث يحصل النائب بعد انتهاء ولايته النيابية على الراتب التقاعدي ، كما قد يقرر للعضو مكافأة تقاعدية بالإضافة إلى مكافأة نهاية الخدمة والتي تقرر للنائب في بعض الدول فإذا ما كانت خدمة النائب قليلة فإنه يحصل على مكافأة تقاعدية والتي أما أن تعطى له دفعة واحدة ، أو بشكل دفعات تحسب وفق آلية معينة تنص عليها التشريعات الخاصة بذلك ، أما إذا كانت خدمة النائب طويلة بحسب القوانين التي تنظم ذلك ، فهو يستحق راتب تقاعدي يعطى له بصورة دورية عادةً ما تكون شهرية .

وللإحاطة بموضوع الراتب التقاعدي الذي يتقاضاه العضو ارتأينا تقسيم هذا البحث الى مبحثين، حيث سنخصص المبحث الأول لتعريف الراتب التقاعدي وتحديده، والمبحث الثاني سنتناول فيه حالات استحقاق الراتب التقاعدي .

المبحث الأول: تعريف الراتب التقاعدي وتحديده:

الغاية من منح العضو راتب تقاعدي هو ضمان تحقيق مستوى معيشي مناسب له ، بعد انتهاء خدمته النيابية [١] ، وذلك بالنسبة للعضو الذي كان يمارس عملاً حراً ، أو لم يكن موظفاً في أي دائرة من دوائر الدولة ، بالتالي فإنه بعد انتهاء ولايته النيابية سيصبح بدون عمل أو وظيفة تدر عليه عائداً مالياً يكفي لسداد قوته اليومي ويناسب وضعه الاجتماعي كعضو سابق في البرلمان ، لذلك قد يكون من المهم توفير راتب تقاعدي له وإن كانت مدة خدمته في البرلمان هي مدة محددة وقصيرة نسبياً بالمقارنة مع الموظف

الذي أفنى جزءً كبيراً من عمره في خدمة الدولة الأمر الذي يجعله في أمس الحاجة إلى تقديم يد العون والمساعدة له وعلى شكل راتب تقاعدي يدفع له [٢] .

وسنتناول في مبحثنا هذا التطرق الى معنى الراتب التقاعدي وتحديده وذلك في مطلبين ، حيث خصصنا المطلب الأول منه لتعريف الراتب التقاعدي ، اما المطلب الثاني فسنتناول فيه تحديد الراتب التقاعدي .

المطلب الأول: تعريف الراتب التقاعدي:

سنتناول في هذا المطلب تعريف الراتب التقاعدي في اللغة والاصطلاح وذلك في فرعين ، حيث سنخصص الفرع الاول لتعريف الراتب التقاعدي لغةً ، اما الفرع الثاني فسنتناول فيه تعريف الراتب التقاعدي في الاصطلاح .

الفرع الأول: التعريف اللغوي للراتب التقاعدي:

تتكون عبارة الراتب التقاعدي من مفردتين هما الراتب ، والتقاعد ، والراتب لغةً : مصدر من رتب يرتب راتباً ورتوباً ، وهو يعني الاستقرار والثبوت والدوام ، يقال : رتب الشيء ترتيباً ، ورتب الشيء يرتب رتوباً ، أي ثبت ، ويقال رتب رتوب الكعب ، أي انتصب انتصابه ، وامر راتب ، أي دائم وثابت او دار ثابت او عيش ثابت [٣] ، ورتبه : أي اثبته واقره ، ويقال ما زلت على هذا راتباً و راتماً أي مقيماً [٤] ، ومنه : الراتب هو ما يأخذه المستخدم اجراً على عمله ، وهي لفظة محدثة [٥] ، ويقال احياناً : المُرتَّب بضم الميم وتشديد التاء ، وهو الراتب نفسه ، لفظ مولد ، أي الاجر الذي يتقاضاه الاجير الخاص (الموظف) في كل شهر نظير عمله [٦] .

اما التقاعد لغةً : فأصله من الفعل قعد قعوداً ، والقعود نقيض القيام ، وقعد فلان عن الامر اذا لم يطلبه ، وتقاعد به فلان اذا لم يخرج اليه من حقه ، وقعده عن كذا : أي حبسه عنه ، وتقاعد عن الامر : لم يهتم به ، وكان يطلق على الذين لا مورد لهم ولا ديوان ، ويقال ما اقعدني عنك الا شغل ، أي ما حبسني [٧] ، وتقاعد الموظف عن العمل : أي احيل الى المعاش [٨] .

الفرع الثاني: التعريف الاصطلاحي الراتب التقاعدي:

لم تتطرق التشريعات المنظمة لعمل البرلمان والانظمة الداخلية الى بيان مفهوم الراتب التقاعدي لعضو البرلمان ، الامر الذي يدفعنا ونحن بصدد تعريف الراتب التقاعدي لعضو البرلمان الى ايراد التعاريف العامة المتعلقة بالراتب التقاعدي للموظف العام ، وذلك من خلال الرجوع الى قوانين التقاعد المتعلقة بالخدمة المدنية للموظف .

فعلى صعيد التشريعات نجد ان المشرع الجزائري لم يضع تعريفاً للراتب التقاعدي واكتفى ببيان احكام استحقاق الراتب التقاعدي وطرق احتسابه وذلك في القانون العضوي المتعلق بالتقاعد المرقم ٨٣-١٢ الصادر عام ١٩٨٣ المعدل [٩] .

اما في العراق فيعرف المشرع في قانون التقاعد الموحد رقم (٩) لعام ٢٠١٤ ، الراتب التقاعدي بأنه " الراتب الشهري الذي يستحقه المتقاعد " [١٠] .

يلاحظ مما تقدم ان التشريعات اكتفت بإيراد مفهوم عام عن الراتب التقاعدي واشارت الى انه الراتب الذي يستحقه المتقاعد ، الامر الذي دفع الفقه الى محاولة وضع تعريف للراتب التقاعدي .

وتعددت التعريفات الفقهية للراتب التقاعدي ، فمن الفقهاء من عرفه بالنظر الى المبالغ المالية التي يتم استقطاعها من الموظف اثناء مدة خدمته الوظيفية ، فعرف الراتب التقاعدي بأنه " مبلغ نقدي يصرف إلى الموظف بعد انتهاء خدمته الوظيفية بصورة نظامية أو إصابته بعجز ، يؤول إلى المستحقين له بعد وفاته وذلك مقابل المبالغ التي تم استقطاعها من راتبه ومساهمات الدولة والمؤسسات العامة " [١١] .

بينما عرفه اخرون بالنظر الى وجوب استيفاء الموظف المتقاعد لشروط قانونية معينة ، حيث عرف الراتب التقاعدي بأنه عبارة "عن راتب شهري يستحقه الموظف عند خروجه من وظيفته متى ما استوفى شروط معينة " [١٢] ، كما ويعرفه اخرون على أنه "حق مالي يستحقه الموظف من القانون مباشرة بمجرد انتهاء خدمته الوظيفية بإحدى أسباب انتهاء خدمته من عمله وتقاعده دون أن يتوقف ذلك على إرادة الإدارة " [١٣] .

مما تقدم يمكننا أن نضع تعريفاً للراتب التقاعدي الذي يستحقه العضو بعد انتهاء مدة ولايته النيابية " مبلغ من المال يدفع الى عضو البرلمان سواء كان منتخب مباشرة من قبل الافراد او معين من قبل السلطة التي حددها الدستور ، أو الى عياله في حالة وفاته ، وذلك بعد انتهاء مدة عضويته النيابية متى توافرت فيه الشروط التي يستلزمها القانون لذلك " .

ويحتوي الراتب التقاعدي على عنصرين ، العنصر الأول هو نسبة مئوية من مكافاة العضو تستقطع كتوقيفات تقاعدية تختلف بالنسبة للتشريعات الخاصة بنظم التقاعد ، أما العنصر الثاني فهي مساهمة مالية تخصص من الموازنة العامة للدولة لدعم صندوق التقاعد المنوط به صرف الرواتب التقاعدية أي أن الراتب التقاعدي مال يستفاد منه مستقبلاً إلا انه غير مقبوض في الوقت الحاضر (١٤) .

ويستحق العضو الراتب التقاعدي طالما تم استقطاع نفقات تقاعدية من " المكافأة البرلمانية التي يحصل عليها العضو شهرياً " بصورة منظمة خلال مدة ولايته النيابية ، ويستحقها العضو من تاريخ انتهاء ولايته النيابية (١٥) .

المطلب الثاني: تحديد التقاعد:

تلجأ الدول عادة في تنظيمها للراتب التقاعدي الذي يستحقه العضو الى تحديده وتنظيمه بموجب قانون عادي (١٦) .

ففي الجزائر صدر القانون المتعلق بالتقاعد المرقم ١٢-٨٣ الصادر في عام ١٩٨٣ والذي حدد الشروط و الاحوال الخاصة بمنح الراتب التقاعدي للدرجات العليا (١٧) .

وصدر بعد ذلك المرسوم رقم ٨٣-٦١٦ الصادر عام ١٩٨٣ والمتعلق بمعاشات التقاعد والذي نص على ان رئيس المجلس الشعبي الوطني يستحق معاش الاقدمية بصرف النظر عن شرط السن (١٨) ، وصدر بعد ذلك القانون المتضمن القانون الاساسي للعضو الصادر بالامر ١٤-٨٣ عام ١٩٨٩ والذي نص على ان النواب يبقون طيلة مدة نيابتهم منتسبين الى نظام التقاعد الذي كانوا ينتمون اليه قبل ان يتم انتخابهم والذي يحسب على اساس اجر المنصب الذي كان يشغله كل منهم (١٩) .

ويستحق العضو الذي يستوفي (٢٠) سنة في العمل منها دورة تشريعية واحدة بصرف النظر عن مدتها معاش تقاعدي يساوي (١٠٠%) من التعويضة الاساسية الشهرية ، بالاضافة الى التعويضة التكميلية المدفوعة له بصفته نائباً او الاجر الاكثر ملائمة ، اما اذا كانت مدة اداء الوظائف تقل عن (٢٠) سنة يمنح العضو معاش تقاعدي نسبي ابتداء من السن التي اشترطها المشرع وعلى اساس الاجر الاكثر ملائمة وحسب النسب الاتية :

- ٥% عن كل سنة عمل بصدد الوظائف او المسؤوليات المحددة في التشريع المعمول به.
- ٣,٥% عن كل سنة مشاركة في حرب التحرير الوطني تحسب ضعفاً .
- ٣,٥% لكل شطر من العجز يساوي ١٠% .
- ٢,٥% عن كل سنة عمل تمت تأديتها ضمن هياكل الدولة [٢٠] .

ثم صدر القانون رقم ٩١-٢١ والذي عدل مواد من القانون رقم ٨٩-١٤ واقر للعضو اختيار حالة من الحالات الثلاثة الاتية :

- اما تقاعد نسبي يحسب على اساس التعويضة الاساسية والتكميلية او الاجر الاكثر ملائمة حسب النسب الاتية : ٥% عن كل سنة عمل ، او ٣,٥% عن كل سنة مشاركة في حرب التحرير الوطني تحسب له ضعفاً ، او ٣,٥% لكل شطر من العجز يساوي ١٠% ، لضمان الحد الادنى والذي يقدر ب٥٠% من التعويضة الاساسية والتكميلية او الاجر الاكثر ملائمة .
- او احتفاظ العضو بحقه في الحصول على التقاعد الكلي وعلى اساس التعويضة الاساسية والتكميلية المدفوعة له او الاجر الاكثر ملائمة .
- او تقاعد يساوي ١٠٠% من التعويضة الاساسية والتكميلية او الاجر الاكثر ملائمة بشرط تسديد العضو اشتراكات السنوات الباقية مهما كان عددها [٢١] ، كما ويستفيد النواب المنتخبون والمعينون الذين يمثلون الجالية الوطنية في الخارج من اداءات الضمان الاجتماعي [٢٢] .

أما في العراق و بعد عام ٢٠٠٣ وعند تشكيل الجمعية الوطنية والتي تعد أول سلطة تشريعية منتخبة من الشعب ، والتي تجسدت مهمتها الأساسية بكتابة الدستور ، وبالرغم قصر مدة ولايتها إلا أنها سارعت في وضع امتيازات مهمة لأعضاءها ، وذلك بموجب قانوني الجمعية الوطنية رقم (٣،١٣) لسنة ٢٠٠٥ مبررة لذلك مستلزمات الوضع الأمني والاجتماعي [٢٣] ، كما ومنح قانون الحقوق التقاعدية لأعضاء المجلس الوطني المؤقت رقم (١٤) لسنة ٢٠٠٥ راتب تقاعدي شهري يعادل (٨٠) % مما كان يتقاضاه من مكافأة شهرية أثناء عضويته " [٢٤] ، كما ونص على أن " يمنح عيال من استشهد من أعضاء المجلس الوطني المؤقت خلال مدة ولايته راتباً تقاعدياً شعرياً يعادل ٨٠% مما كان يتقاضاه الشهيد من مكافأة شهرية في حياته " [٢٥] .

وبالرجوع إلى قانون الجمعية الوطنية رقم (٣) لعام ٢٠٠٥ الملغي ، نجد أنه أقر لأعضاءه كذلك راتب تقاعدي مقداره (٨٠%) مما كان يتقاضاه من مكافئته في حالة إصابته بعجز دائم لأي سبب كان أثناء دوره في الجمعية الوطنية يمنعه من أداء مهامه الاعتيادية فيها " [٢٦] .

يلاحظ على النص المتقدم عدم تحديده للسبب الذي يمنح بموجبه العضو الراتب التقاعدي ، ومن هي الجهة المختصة بتحديد نسبة العجز ، وهل أن العجز الذي أصيب به العضو كانت بسبب خدمته النيابية أم لا .

وقد تم التأكيد على هذه الحقوق في قانون مجلس النواب رقم (٥٠) لعام ٢٠٠٧ الملغي الذي أحال تحديد حقوق وامتيازات نوابه إلى قانوني الجمعية الوطنية رقم (٣ ، ١٣) لعام ٢٠٠٧ [٢٧] ، وهذا يعني أن عضو مجلس النواب يستحق ما يستحقه عضو الجمعية الوطنية ومن ذلك الراتب التقاعدي الذي يبلغ (٨٠%) مما كان يتقاضاه من مكافأة أثناء الدورة البرلمانية.

هنا كان لنا أن نسأل عن مدى شرعية الحقوق والامتيازات التي تقاضاها النواب طوال سنتين ، ولاسيما أن قانون مجلس النواب الملغي رقم (٥٠) لعام ٢٠٠٧ قد صدر في عام ٢٠٠٧ ، أي أن مجلس النواب لم

يشرع هذا القانون وتأخر به لسنتين ، هنا ما حكم الامتيازات التي تقاضاها النواب طوال الفترة من أداء اليمين الدستورية إلى مدة تشريع القانون ونفاذه .

ثم جاء قانون رواتب ومخصصات مجلس النواب رقم (٢٨) لعام ٢٠١١ الملغي ، والذي ربط بين مقدار الراتب التقاعدي والخدمة والوظيفة ، فقد منح رئيس مجلس النواب راتب تقاعدي مقداره (٣٠) % من مجموع راتبه ومخصصاته الشهرية ، إذا كانت لديه خدمة فعلية في الدولة تزيد على ستة أشهر وتقل عن سنة واحدة ، بينما يمنح راتب تقاعدياً مقداره (٥٠%) من مجموع راتبه ومخصصاته الشهرية ، ، إذا كانت لديه خدمة فعلية في الدولة تزيد على سنة واحدة وتقل عن ثلاث سنين ، ويمنح راتب تقاعدياً مقداره (٧٠%) من مجموع راتبه ومخصصاته الشهرية إذا كانت لديه خدة فعلية تزيد على ثلاث سنوات وتقل عن خمس سنين ، ويمنح راتب تقاعدي مقدراه (٨٠%) من مجموع راتبه ومخصصاته الشهرية إذا كانت لديه خدمة فعلية تزيد على خمس سنوات أو إذا توفي أو استشهد أثناء الخدمة بغض النظر عن مدة خدمته [٢٨] .

كما أن قانون التقاعد الموحد رقم (٩) لعام ٢٠١٤ النافذ عاد ومنح رئيس مجلس النواب ونوابه وأعضاء مجلس النواب وأعضاء مجلس الحكم وأعضاء المجلس الوطني المؤقت ورئيس وأعضاء الجمعية الوطنية رواتب تقاعدية استثناءاً من أحكام المادة (٢١) من القانون [٢٩] لتكون كالاتي :

١- (٢٥%) خمسة وعشرون من المائة من اخر (راتب او مكافأة او اجر) والمخصصات التي تقاضاها في الخدمة .

٢- تضاف نسبة (٢,٥%) اثنان ونصف من المائة من اخر (راتب او مكافأة او اجر) والمخصصات عن كل سنة من سنوات الخدمة على ان لا يزيد عن (٨٠%) ثمانين من المائة منه .

وهذا يشكل مخالفة لنص المادة (١٤) من الدستور والتي تقر بالمساواة بين جميع العراقيين بلا تمييز [٣٠] ، مع الإشارة إلى أن المحكمة الاتحادية العليا قد قضت بقرارها الصادر في عام ٢٠١٤ بعدم دستورية المواد (٣٧ ، ٣٨) من قانون التقاعد الموحد [٣١] .

هنا يمكننا القول أن المعول عليه في احتساب الراتب التقاعدي بعد صدور قرار المحكمة الاتحادية العليا هو المادة (٢١) من قانون التقاعد الموحد رقم (٩) لعام ٢٠١٤ وذلك لحين إصدار قانون خاص بالراتب التقاعدي لرئيس وأعضاء مجلس النواب .

المبحث الثاني: حالات استحقاق الراتب التقاعدي:

عندما يمنح القانون امتيازات مادية لأعضاء مجلسي البرلمان فهذه الامتيازات يفرض انها تمنح لمراكز النواب لا لأشخاصهم وهذا يعني انتهاء هذه الامتيازات بإنهاء المهام الموكلة للنواب ، إلا أن بعض الامتيازات المالية يتمتع بها النواب بعد انتهاء مدة ولايتهم التشريعية وبعد انتهاء المهام الموكلة إليهم ، والتي يكون الغاية منها ضمان العيش الكريم والمردود المالي المستمر الذي يكون من شأنه جعل العضو في مركز اجتماعي يلائم وضعه كنائب سابق في البرلمان [٣٢] ، بالتالي قد يمنح العضو راتباً تقاعدياً ويبدأ استحقاقه بعد انتهاء عضويته في البرلمان ، وتنتهي العضوية في البرلمان أما بانتهاء أجل البرلمان أي انتهاء مدة الدورة التشريعية المحددة له بالدستور، أو قد تنتهي بطرق أخرى كوفاة العضو ، وتقديمه للاستقالة ، أو إقالته من البرلمان بأغلبية معينة ، كما وقد تنتهي بتبوئه منصباً رسمياً بالنسبة للدولة التي لا تجيز الجمع بين عضوية البرلمان وأي عمل أو منصب رسمي آخر ، كما أن العضوية قد تنتهي بحل البرلمان .

المطلب الأول: انتهاء المدة التشريعية للبرلمان وحله:

تنتهي العضوية النيابية بصورة طبيعية عند انتهاء المدة التشريعية للبرلمان والمحددة دستورياً ، كما وقد تنتهي بصورة غير طبيعية عند اللجوء الى حل البرلمان والذي قد يكون اما رئاسياً او وزارياً او شعبياً او حلاً ذاتياً ، لذلك ارتأينا تقسيم هذا المطلب الى فرعين ، حيث سنخصص الفرع الاول منه الى انتهاء المدة التشريعية للبرلمان ، بينما سنتناول في الفرع الثاني حل البرلمان .

الفرع الأول: انتهاء المدة التشريعية للبرلمان:

يعد هذا الطريق العادي لانتهاء العضوية في البرلمان ، حيث تنتهي عضوية النواب وتزول عنهم صفة العضوية إذا ما انتهت المدة المحددة دستورياً لذلك ، وتختلف هذه المدة من دولة إلى أخرى [٣٣] .

حدد المشرع الجزائري مدة العضوية في المجلس الشعبي الوطني بخمس سنوات ، وتكون مدة العضوية في مجلس الامة ست سنوات ، وتجدر الاشارة الى ان تشكيلة مجلس الامة تتجدد بالنصف كل ثلاثة سنوات [٣٤] ، و بانتهاء هذه المدة تنتهي مدة العضوية النيابية وتزول عن النواب صفة العضوية وتجري الانتخابات النيابية الجديدة خلال ثلاثة اشهر قبل انقضاء المدة النيابية الحالية [٣٥] .

وفي العراق حدد المشرع مدة عضوية مجلس النواب بأربع سنوات تقويمية تبدأ بأول جلسة له وتنتهي بنهاية السنة الرابعة ، وتجري انتخابات مجلس النواب الجديد قبل خمس وأربعين يوماً من تاريخ انتهاء الدورة الانتخابية السابقة [٣٦] .

الفرع الثاني: حل البرلمان: [٣٧]

يعد حل البرلمان سبباً لانتهاء العضوية النيابية ، وذلك قبل النهاية الطبيعية للفصل التشريعي ، كما ويعد أهم حق يقرره الدستور للسلطة التنفيذية لمواجهة السلطة التشريعية في الأنظمة البرلمانية ، وهو أخطر رقابة تمارس من قبل السلطة التنفيذية على السلطة التشريعية[٣٨].

ويعرف حل البرلمان بأنه " حالة انتهاء نيابية المجلس النيابي إذا كان البرلمان يشكل من مجلس واحد أو من مجلسين إذا ما تم البرلمان على أساس ازدواج المجلسين ، قبل الميعاد المحدد دستورياً " [٣٩] ، كما ويراد به " الإنهاء المبستر لدورة البرلمان قبل حلول الموعد القانوني لأسباب دستورية أو سياسية فهو يعد بمثابة إصدار حكم الإعدام للبرلمان بوصفه هيئة ممثلة للأمة ، حيث تزول عن النواب الصفة النيابية ويتحولون إلى أشخاص عاديين ويتوقف استحقاقهم لمكافآتهم " [٤٠] ، وتقسم أنظمة حل البرلمان بحسب الجهة التي تقدم به إلى أربعة أنظمة وهي نظام الحل الرئاسي ونظام الحل الوزاري ونظام الحل الذاتي ونظام الحل الشعبي .

ويقصد بنظام الحل الرئاسي هو أن يقوم رئيس الدولة سواء كان ملكاً أم رئيس جمهورية بإنهاء ولاية البرلمان قبل أجله المحدد ، ويكون ذلك عادةً من أجل الدفاع عن آراءه ومعتقداته والتي يعتقد أنها تتفق والرأي العام ، وغالباً ما يلجأ الرئيس إلى الحل لإنهاء أزمة بينه وبين البرلمان التي يكون في الغالب بسبب إقالته لوزارة تتمتع بأغلبية برلمانية (٤١).

أما الحل الوزاري فمعناه أن الوزارة هي التي تقدم على حل البرلمان من خلال تقديمها طلباً بذلك إلى رئيس الدولة الذي يقتصر دوره على إصدار إرادته الملكية بالحل دون أن يكون له حق القبول أو الرفض (٤٢) .

أما نظام الحل الذاتي ، فبمقتضاه يقوم البرلمان نفسه بالمبادرة إلى حل نفسه دون أي تدخل من الوزارة ، ويتقرر هذا الحق للبرلمان في الدول التي لا تعطى للوزارة أو لرئيس الدولة أو الشعب سلطة الحل (٤٣).

أما النظام الأخير هو نظام الحل الشعبي والذي سمي كذلك بنظام الحل بالاستفتاء وفيه يؤل أمر حل البرلمان إلى الشعب وبصورة مباشرة فهو من يقرر ذلك عن طريق الاستفتاء ويتوقف حل البرلمان من عدمه على نتيجة الاستفتاء (٤٤) .

ففي الجزائر اخذ المشرع في دستور ١٩٩٦ المعدل بنظامين للحل (٤٥) هما (الحل الوجوبي والحل الرئاسي) ، كما ان مسألة الحل تقتصر فقط على احدى غرفتي البرلمان دون الاخرى حيث يقتصر الحل على المجلس الشعبي الوطني دون مجلس الامة ، ويتم الحل الوجوبي في حالة تعيين الحكومة مرتين ويتم رفض برنامجها للمرة الثانية على التوالي (٤٦) .

اما الحل الرئاسي والذي يطلق عليه كذلك بالحل الاختياري والذي يعتبر اخطر حل وذلك لأنه بيد رئيس الجمهورية حيث يمكنه حل المجلس الشعبي الوطني قبل انتهاء الفترة التشريعية ودون اللجوء الى استفتاء الشعب (٤٧) .

أما في العراق فقد اعتمد المشرع في الدستور النافذ لعام ٢٠٠٥ على نظام وحيد للحل هو (الحل الذاتي) ، حيث نص على ان " يحل مجلس النواب بالأغلبية المطلقة لعدد اعضائه بناء على طلب يقدم اما

من قبل ثلث أعضاء مجلس النواب ، أو بناء على طلب يقدم من رئيس مجلس الوزراء ويقترن بموافقة رئيس الجمهورية " [٤٨] ، وان كان ظاهر النص يوحي الى ان المشرع اخذ بنظام الحل الوزاري عندما اعطى لرئيس مجلس الوزراء بموافقة رئيس الجمهورية تقديم طلب الحل ، الا ان القرار الفاصل في موضوع الحل من عدمه يعود الى مجلس النواب ذاته .

ويشترط لحل مجلس النواب في الحالتين سواء أكان بناء على طلب من ثلث أعضائه ، أو بناءً على طلب من رئيس مجلس الوزراء وموافقة رئيس الجمهورية ، موافقة مجلس النواب على قرار حله ، حيث يعود له القرار الفصل في ذلك ، وعلى الرغم من أن أقوى الحقوق التي تعطى للسلطة التنفيذية في مواجهة السلطة التشريعية هو الحل ، إلا أننا نجد أن المشرع العراقي أعطى هذا الحق منصوصاً إلى السلطة التنفيذية لصالح السلطة التشريعية وهو ما يفسر اختلال التوازن بين السلطتين .

أن نظام الحل الذاتي هو نظام لا يمكن اللجوء إليه من جانب مجلس النواب ، لأنه ليس من المعقول أن يقوم أعضاء مجلس النواب بإنهاء عضويتهم وفقدان امتيازاتهم ومخصصاتهم التي اكتسبوها بسبب عضويتهم في مجلس النواب [٤٩] .

لذا ندعوا المشرع العراقي الى تعديل المادة (٦٤) من الدستور وتفعيل حق السلطة التنفيذية في حل مجلس النواب باعتباره اجراء موازي لحق البرلمان في ممارسة الرقابة السياسية على اعمال الحكومة ، وان تدرج صلاحية حل مجلس النواب ضمن المادة المتعلقة بصلاحيات رئيس الجمهورية وذلك بإضافة فقرة الى المادة (٧٣) من الدستور ولتكن اولاً فيكون نصها كالاتي ، " يتولى رئيس الجمهوري الصلاحيات الاتية : اولاً : حل مجلس النواب بناء على طلب من رئيس مجلس الوزراء بمرسوم جمهوري على ان يكون قرار الحل مسبباً " .

كما ويمكن اعطاء البرلمان صلاحية حل نفسه كما هو مقرر في المادة (٦٤) من الدستور فيكون النص كالاتي " اولاً : يحل مجلس النواب بالأغلبية المطلقة لعدد اعضائه بناء على طلب من ثلث أعضاء مجلس النواب " ، ثانياً : يدعو رئيس الجمهورية عند حل مجلس النواب الى اجراء انتخابات نيابية عامة

خلال مدة اقصاها ٦٠ يوماً من تاريخ الحل ، ويعد مجلس الوزراء في هذه الحالة مستقيلاً ويواصل تصريف الامور اليومية ".

المطلب الثاني: وفاة العضو وتبوئه منصباً رسمياً آخر:

تنتهي العضوية النيابية بصورة تلقائية وانية بمجرد وفاة العضو دون الحاجة الى النص على ذلك ، كما وتنتهي العضوية عند تبوء العضو منصباً رسمياً اخر وذلك في الدول التي توجب التفرغ للعضوية النيابية ولا تسمح للعضو بممارسة عمل او وظيفة اخرى اثناء مدة عضويته النيابية ، وللاحاطة بذلك قسمنا هذا المطلب الى فرعين ، حيث سنتناول في الفرع الاول منه وفاة العضو كسبب لانتهاء العضوية النيابية ، بينما خصصنا الفرع الثاني لتناول موضوع تبوء العضو منصباً رسمياً آخر .

الفرع الأول: وفاة العضو:

تنتهي العضوية كذلك بوفاة العضو ، وهو أمر طبيعي سواء نص على ذلك المشرع أم لم ينص ، وذلك ان العضو قد تم اختياره لعضوية البرلمان بناءً على شروط ومواصفات وجد الناخب أنها متوافرة فيه ولم تتوافر في غيره من الأشخاص ، بالتالي فإن عملية اختيار العضو جاءت لاعتبارات شخصية تتعلق بذات الشخص ، وعليه فلا يجوز أن ينقل نيابته ومقعده الشاغر بعد وفاته إلى أسرته أو أحد ورثته لأن في ذلك مخالفة صريحة لمبادئ الديمقراطية سيما أن أغلبية الدساتير تشير إلى انتخاب أعضاء البرلمان بصورة عامة ومباشرة [٥٠] ، إلا ان هناك بعض الحقوق والامتيازات التي من الممكن انتقالها إلى ورثة العضو المتوفي وهي الراتب التقاعدي فقط [٥١] أما بقية الامتيازات الأخرى فهي تنتهي بنهاية حياة العضو لكونها امتيازات [٥٢] وحقوق شخصية لا يمكن انتقالها للغير [٥٣] .

بوفاة العضو يشغر مقعده بالمرشح المرتب مباشرة بعد المنتخب الاخير في القائمة التي ينتمي اليها العضو المتوفى ، حيث يقضي العضو الخلف المدة المتبقية من العهدة النيابية للعضو المتوفي والتي تحسب له كاملة .

ففي الجزائر نجد ان الدستور الصادر عام ١٩٩٦ المعدل قد نص على ان " يحدّد قانون عضويّ شروط استخلاف العضو أو عضو مجلس الأمّة في حالة شغور مقعده " [٥٤] .

ويقوم مكتب المجلس الشعبي الوطني بالتصريح بشغور المقعد ويتولى تبليغ التصريح بالشغور وفق الاشكال والشروط المحددة والمنصوص عليها في قانون الانتخابات رقم ١٦-١٠الصادر في عام ٢٠١٦ [٥٥] ، كما واشار القانون الى حالة شغور مقعد في مجلس الامة ، حيث يقوم مكتب مجلس الامة بأعلان حالة الشغور ويبلغ بذلك فوراً ووفق الاجراءات التي ينص عليها في القانون الى المجلس الدستوري [٥٦] ، وعندما تنتهي العهدة بسبب الوفاة ، يستفيد ذوو حقوق العضو المتوفى من الامتيازات المرتبطة بمنحة التقاعد [٥٧] .

وفي العراق نص المشرع في دستور العراق النافذ لعام ٢٠٠٥ على ان " يقوم مجلس النواب بسن قانون يعالج حالات استبدال اعضائه عند الاستقالة او الاقالة او الوفاة " [٥٨] ، ووفقاً قانون استبدال اعضاء مجلس النواب رقم (٦) لعام ٢٠٠٦ المعدل بالقانون رقم (٤٩) لعام ٢٠٠٧ والذي نص على ان يتم شغل المقعد وفق الية اخرى وهي عدم مراعاة الترتيب الوارد في القائمة بنصه على ان " اذا شغر احد مقاعد مجلس النواب لاحد الاسباب المذكورة في المادة الاولى ، فيتم استبداله بمرشح من نفس القائمة التي شغر المقعد المخصص لها في مجلس النواب وحسب الترتيب التالي :١- اذا كان المقعد الشاغر ضمن المقاعد التعويضية التي حددها القانون الانتخابي فيعوض من القائمة التعويضية للكيان السياسي المعني على ان يكون المرشح من بين الذين سبق للمفوضية ان صادقت على ترشيحهم لخوض الانتخابات بغض النظر عن المحافظة ، ٢- اذا كان المقعد الشاغر ضمن مقاعد المحافظة التي حددها القانون الانتخابي ، فيعوض من الكتلة التي ينتمي اليها العضو المشمول بالاستبدال ضمن قائمة المحافظة وفي حالة استنفاذ اسماء المرشحين في محافظة ما فعلى الكيان المعني تقديم اسم مرشح آخر على ان يكون من بين من رشحهم الكيان ضمن القائمة الانتخابية في محافظة اخرى ومن الذين سبق للمفوضية ان صادقت على ترشيحهم ، ٣- اذا كان المقعد الشاغر يخص امرأة فلا يشترط ان يحل

محلها امرأة الا اذا كان ذلك مؤثراً على الحد الأدنى لتمثيل النساء بالمجلس ، ٤- اذا كان المقعد الشاغر يخص كياناً سياسياً مكوناً من شخص واحد ، فيخصص المقعد الى مرشح اخر من كيان سياسي آخر حصل على الحد الادنى من عدد الاصوات المقرر الحصول عليها على المقعد [٥٩] .

كما واشار قانون مجلس النواب وتشكيلاته رقم (١٣) لسنة ٢٠١٨ الى الوفاة بوصفها حالة من حالات انتهاء العضوية النيابية حيث نص على ان " تنتهي النيابة في المجلس في الاحوال الآتية: - أولاً: الوفاة ..... " [٦٠] .

الفرع الثاني: تبوء العضو منصب رسمي اخر أو قيامه بعمل آخر:

من الحالات التي تؤدي إلى انتهاء العضوية أيضاً تبوء العضو منصب أو عمل رسمي آخر ، وذلك في الدول التي تأخذ بنظام حضر الجمع بين العضوية النيابية وأي منصب أو عمل رسمي آخر ويعد هذا النظام من الضمانات الضرورية طالما أن السلطة التشريعية هي من تتولى الرقابة على أعمال وتصرفات السلطة التنفيذية ، بالتالي فإن القول بإمكانية الجمع والسماح للوزراء بالاشتراك في عضوية السلطة التشريعية من الممكن أن يؤثر في ممارسة تلك الرقابة ، ونشأ مبدأ عدم جواز الجمع في العضوية النيابية والوظائف العامة الأخرى في إنكلترا [٦١] .

ومن الدول التي اخذت بمبدأ تفرغ العضو وبالتالي عدم جواز الجمع بين العضوية النيابية واي عمل او منصب رسمي اخر ، الجزائر حيث نص دستورها الصادر عام ١٩٩٦ المعدل على ان " مهمّة العضو وعضو مجلس الأمّة وطنيّة ، قابلة للتّجديد ، ولا يمكن الجمع بينها وبين مهام أو وظائف أخرى " [٦٢] ، وحدد القانون العضوي المرقم ٠٢-١٢ الصادر عام ٢٠١٢ ، حالات التنافي مع العهدة البرلمانية واعتبر العضوية تتنافى مع تقلد العضو او العضو لوظيفة عضو في الحكومة ، والعضوية في المجلس الدستوري ، وعهدة انتخابية اخرى في مجلس شعبي منتخب ، و وظيفة او منصب في الهيئات او الادارات العمومية والجماعات الاقليمية والمؤسسات العمومية او العضوية في اجهزتها وهياكلها الاجتماعية ، ووظيفة او منصب في مؤسسة او شركة او تجمع تجاري او مالي او صناعي او حرفي او

فلاحي ، كما وانها تتنافى مع ممارسة نشاط تجاري او مهنة حرة شخصياً او بأسمه ، وتتنافى كذلك مع مزاولة العضو او العضو لمهنة القضاء او تقلده وظيفة او منصب لدى دولة اجنبية او منظمة دولية حكومية او غير حكومية وكذلك رئاسة الاندية الرياضية الاحترافية والاتحادات المهنية [٦٣] .

وفي حالة ثبوت وقوع العضو او العضو في حالة من حالات التنافي المذكورة [٦٤] ، يبلغ المكتب العضو المعني بذلك ويمنحه مهله (٣٠) يوماً يجب عليه خلالها الاختيار بين عهدته البرلمانية او الاستقالة ، وفي حالة انقضاء المدة المذكورة دون صدور تصريح من العضو مع استمرار حالة التنافي يعتبر العضو مستقيلاً تلقائياً ، كما واشار القانون الى ان عضو البرلمان الذي يتم تعيينه في الحكومة او يتم تعيينه او انتخابه في المجلس الدستوري يفقد كذلك العضوية تلقائياً في البرلمان [٦٥] .

وفي العراق فقد نص الدستور العراقي النافذ لعام ٢٠٠٥ على مبدأ عدم جواز الجمع بين عضوية مجلس النواب واي عمل او منصب رسمي اخر [٦٦] ، وبحسب ما جاء في قانون استبدال أعضاء مجلس النواب رقم (٦) لعام ٢٠٠٦ المعدل تنتهي عضوية العضو عند تبوئة منصب في رئاسة الدولة أو في مجلس الوزراء أو أي منصب رسمي آخر [٦٧] ، كما ونص قانون مجلس النواب وتشكيلاته رقم (١٣) لعام ٢٠١٨ على ذات المبدأ [٦٨] ، واشار القانون الى حق العضو في تقديم استقالته الى رئيس المجلس وعدها حالة من حالات انتهاء العضوية النيابية حيث نص على ان "تنتهي النيابة في المجلس في الاحوال الآتية ..... رابعاً: تبوء العضو منصبا في رئاسة الجمهورية او في مجلس الوزراء او اي منصب رسمي اخر" [٦٩] .

وتضمن النظام الداخلي لمجلس النواب الصادر عام ٢٠٠٦ على نص مماثل حيث عد عضو مجلس النواب مستقيلاً من العضوية ولا يتمتع بأي امتياز من امتيازاتها في حالة اصبح عضواً في مجلس الرئاسة او في مجلس الوزراء [٧٠] .

ووفقاً للنص المتقدم فإن العضو الذي يصبح عضواً في رئاسة الدولة أو في مجلس الوزراء أو أي منصب أو عمل حكومي آخر يفقد عضويته في مجلس النواب بسبب ذلك ،حيث تسقط عن العضو

عضويته وبدون الحاجة إلى طلب من العضو نفسه ، أو قرار من مجلس النواب ، وذلك لأنه يتم بشكل آلي [٧١] .

كما وحظر النظام الداخلي لمجلس النواب الجمع وبصفة مطلقة بين العضوية في مجلس النواب والعضوية في المجالس التشريعية في الأقاليم ومجالس المحافظات وعلى العضو ان يختار العضوية في احدى الجهتين ، وان لم يفعل يعد عضواً في مجلس النواب فقط [٧٢] ، ومما يأخذ على النص المتقدم عدم تحديده للفترة الزمنية التي يجب فيها على العضو تحديد موقفه والاختيار بين احدى العضويتين اما العضوية في مجلس النواب او العضوية في المجالس التشريعية في الاقاليم والمحافظات [٧٣] .

المطلب الثالث: استقالة العضو وإقالته:

سنتناول في هذا المطلب حالتين من حالات انتهاء العضوية النيابية وهي استقالة العضو واقالته ، وذلك في فرعين حيث سنتناول في الفرع الاول استقالة العضو ، بينما خصصنا الفرع الثاني لإقالة العضو .

الفرع الأول: استقالة العضو:

تنتهي العضوية في البرلمان في حالة استقالة العضو ، فالعضو المنتخب له حق الاستقالة من منصبه على اعتبار أن العمل في البرلمان مبني على المشاركة الحرة ، وليس واجبا مدنيا إلزاميا، وتمنح أغلبية البرلمانات في العالم أعضاءها حق الاستقالة ، ويقصد بالاستقالة " الإعلان عن إرادة العضو في إنهاء عضويته في البرلمان وإعفائه من أعبائها قبل نهاية المدة الزمنية المحددة لها ، ويترتب على ذلك خلو مقعد العضو في البرلمان " [٧٤] .

فإذا كان القانون يمنح الموظف حق الاستقالة من وظيفته فمن باب أولى أن يمنح هذا الحق أيضاً إلى العضو .

ومن الدول التي أعطت للعضو الحق في الاستقالة من عضوية البرلمان ، الجزائر حيث اعطى المشرع الدستوري لأعضاء مجلسي البرلمان الحق بالاستقالة حيث نص على ان " يحدّد قانون عضويّ الحالات الّتي يقبل فيها البرلمان استقالة أحد أعضائه " [٧٥] ، وتجدر الاشارة الى عدم صدور القانون العضوي

المنظم لاستقالة المشار اليه في المادة اعلاه ، الامر الذي يولد فراغ دستوري وقانوني لاسيما وان الجزائر واجهت حالات لاستقالة اعضاء من البرلمان الجزائري دون وجود قانون ينظم شغور المقعد النيابي في هذه الحالة [٧٦] ، كما ان القانون العضوي المنظم للانتخابات يتحدث عن ثلاث حالات لاستخلاف العضو ، تتمثل الأولى في تعيينه في منصب حكومي ، والثانية في انتخابه لعضوية المجلس الدستوري ، والثالثة في الوفاة ، دون الاشارة الى حالة تقديم العضو لاستقالته .

وبالرجوع الى النظام الداخلي للمجلس الشعبي الوطني يلاحظ انه نص فقط على حالة شغور منصب رئيس المجلس بسبب الاستقاله [٧٧] ، واحتوى النظام الداخلي لمجلس الامة على نص مماثل لما تضمنه النظام الداخلي لمجلس الشعبي الوطني [٧٨] .

ويذهب البعض الى القول ان استقالة النواب تقدم بصورة طلب الى رئيس المجلس الشعبي الوطني او الى رئيس مجلس الأمة، ثم يقوم الرئيس بعد ذلك بأخطار المجلس في اقرب جلسة له لأثبات الشغور ، كما ولا يترتب على الاستقالة أي اجراء لاشغال المقعد الشاغر كما هو الحال في حالة وفاة العضو او تعيينه في وظيفة حكومية او بالمجلس الدستوري [٧٩] .

وفي العراق اعطى المشرع الدستوري للعضو الحق في الاستقالة من عضوية مجلس النواب حيث نص على ان " يقوم مجلس النواب بسن قانون يعالج حالات استبدال اعضائه عند الاستقالة او الاقالة او الوفاة " [٨٠] ، ونص قانون استبدال أعضاء مجلس النواب رقم (٦) لعام ٢٠٠٦ المعدل على حق العضو في تقديم استقالته من مجلس النواب ويشترط في صحة الاستقالة الموافقة عليها بالأغلبية المطلقة لعدد أعضاء مجلس النواب على أن لا تقل فترة عضوية العضو المستقيل عن سنة واحدة [٨١] .

كما واشار قانون مجلس النواب وتشكيلاته رقم (١٣) لسنة ٢٠١٨ النافذ الى حق العضو في تقديم الاستقالة واعتبرها سبباً لانتهاء العضوية النيابية حيث نص على ان " تنتهي النيابة في المجلس في الاحوال الآتية ..... ثانياً : الاستقالة " [٨٢] ، اما النظام الداخلي لمجلس النواب فلم يبين الاحكام التفصيلية الخاصة باستقالة احد اعضاء مجلس النواب [٨٣] ، واشار فقط الى الاستقالة الحكمية بعده

عضو المجلس الذي يصبح عضواً في مجلس الرئاسة او في مجلس الوزراء مستقيلاً من عضوية المجلس ولا يتمتع بامتيازات العضوية " [٨٤] ، وهذا يشكل نقص تشريعي يمكن ان يؤدي إلى الإرباك في التعامل مع طلب الاستقالة أو التأخر في اصدار القرار بشأنه .

ولذلك نقترح ادراج النص الاتي بالنظام الداخلي مجلس النواب ويكون النص كالاتي " أولاً : لكل نائب الحق في الاستقالة من مجلس النواب ، ويكون ذلك بطلب كتابي يقدمه العضو الى رئيس مجلس النواب ، دون ان تكون مقيد بأي شرط ، ثانياً : على الرئيس ان يعرض طلب الاستقالة على المجلس في اول جلسة تالية ليقرر قبولها او رفضها ، ثالثاً : يتخذ المجلس قراره بشأن طلب الاستقالة في الجلسة التالية لجلسة عرض الطلب ، وبعد الاستماع لمقدم الطلب ، للمجلس قبول الاستقالة بأغلبية عدد اعضائه ، رابعاً : للعضو الرجوع عن استقالته قبل صدور قرار المجلس بقبول الاستقالة " .

الفرع الثاني: اقالة العضو:

تعرف إقالة العضو بأنها " الحكم الذي ينزع المجلس النيابي به من أحد أعضاءه وكالته النيابية " [٨٥] ، كما وتعرف بأنها ما يوقع على عضو البرلمان نتيجة إخلاله بالواجبات المنوطة به أو لفقده الثقة أو الاعتبار أو أحد شروط العضوية التي تنص عليها الدساتير، او أنها تمتع العضو النيابي مسبقاً بالعضوية البرلمانية بما يتوافق مع القانون مع نشوء سبب طارئ على العضوية يحدده المشرع مسبقاً يترتب عليه إسقاط هذه العضوية [٨٦] .

يتضح لنا مما تقدم بأننا نكون امام حالة اقالة العضو عندما يفقد العضو المنتخب او المعين أحد شروط العضوية ، ويترتب على ذلك خلو مقعد العضو في البرلمان .

ويملك البرلمان الحق في اقالة احد اعضاءه في عدة حالات حيث تتمثل الحالة الاولى بإقالة العضو كجزاء تأديبي يفرض عليه في حالات معينة مثل فقدان الثقة والاعتبار ، كارتكاب العضو جريمة مخلة بالشرف ، أو ارتكابه عمل شائن لا يتفق واعتباره ممثل للشعب ، أما الحالة الثانية فيتمثل بإقالة العضو فيما لو أخل بواجباته الوظيفية كعدم حضوره جلسات البرلمان، إذ يعد تغيب العضو عن جلسات البرلمان

دون عذر مشروع وبدون إذن رئيس المجلس سبب لإنهاء عضوية العضو وإقالته [٨٧] ، كما وقد تم إقالة العضو في حالة ارتكابه جريمة جنائية وصدور حكم بات بذلك ، تكون الإقالة هنا كجزاء جنائي يتخذ بحق العضو الذي يكون سبب لإنهاء عضويته في البرلمان عن طريق الإقالة [٨٨] .

ومن الدساتير التي اعطت للبرلمان الحق في اقالة احد اعضاءه [٨٩] الجزائر فقد نص الدستور الصادر عام ١٩٩٦ المعدل على ان " العضو أو عضو مجلس الأمّة مسؤول أمام زملائه الّذين يمكنهم تجريده من مهمّته النّيابيّة إن اقترف فعلا يُخلّ بشرف مهمّته ، يحدّد النّظام الدّاخليّ لكلّ واحدة من الغرفتين، الشّروط الّتي يتعرّض فيها أيّ نائب أو عضو مجلس الأمّة للإقصاء ، ويقرّر هذا الإقصاء ، حسب الحالة، المجلس الشّعبيّ الوطنيّ أو مجلس الأمّة بأغلبيّة أعضائه، دون المساس بجميع المتابعات الأخرى الواردة في القانون " [٩٠] .

ووفقا للنص المتقدم يمكن للمجلس الشعبي الوطني اقصاء احد اعضاءه اذا صدر ضده حكم قضائي نهائي لارتكابه فعلا يخل بشرف مهنته النيابية [٩١] ، كما ان النظام الداخلي لمجلس الامة اشار كذلك الى ان لمجلس الامة اقصاء احد اعضائه اذا صدر ضده حكم قضائي نهائي بسبب ارتكابه فعلاً يخل بشرف مهنته ويقترح المكتب اقصاء العضو بناء على اشعار من جانب وزير العدل ويتم ذلك وفقاً لإجراءات محددة [٩٢] .

وتجدر الاشارة الى ان القانون العضوي المتعلق بالانتخابات رقم ١٠-١٦ الصادر عام ٢٠١٦ استلزم في المرشح لعضوية المجلس الشعبي الوطني ومجلس الامة عدة شروط [٩٣] ، وهذا يدفعنا الى القول انه وبالرغم من عدم احتواء الدستور او القانون العضوي المتعلق بعضو البرلمان والقانون العضوي المتعلق بالانتخابات على حالة انتهاء العضوية النيابية بسبب فقدان المرشح احد شروط العضوية المنصوص عليها في القانون العضوي المتعلق بالانتخابات [٩٤] ، الا انه يمكننا القول انه في حالة فقدان المرشح لاحد هذه الشروط فأنه يفقد العضوية في البرلمان .

كما وأخذ المشرع العراقي بالإقالة وذلك في قانون استبدال أعضاء مجلس النواب رقم (٦) لعام ٢٠٠٦ [٩٥] ، كما ونص عليها قانون مجلس النواب وتشكيلاته رقم (١٣) لعام ٢٠١٨ النافذ وعد فقدان العضو لأحد شروط النيابة المنصوص عليها في الدستور وقانون الانتخابات [٩٦] ، وهذا القانون سبب لانتهاء عضوية العضو وذلك عن طريق صدور قرار بإقالته من مجلس النواب ، كما أن صدور حكم قضائي بات عن جناية أو جنحة تكون عقوبتها السالبة للحرية لمدة تستغرق الثلثي من مدة الدورة الانتخابية ، كذلك سبب لإنهاء عضوية العضو [٩٧] .

ولمجلس النواب إقالة العضو إذا تجاوزت غياباته بدون عذر مشروع لأكثر من ثلث جلسات المجلس [٩٨] ، أو الإخلال الجسيم بقواعد السلوك النيابي ، والتي يندرج ضمنها " تحقير المجلس أو الاعتداء على الرئيس أو أحد نائبيه أو أحد النواب " ، مبرراً لإقالة العضو وإنهاء عضويته النيابية [٩٩] .

ويلاحظ من النص المتقدم أنه وإن أعطى للمجلس الحق في إقالة أحد نوابه للأسباب المذكورة أعلاه إلا انه لم يشير إلى الأغلبية المطلوبة لصدور القرار بالإقالة ، وكان يجدر بالمشرع العراقي بيان ذلك في القانون ، وهنا نتساءل هل يشترط لصحة قرار الإقالة صدوره بأكثرية ثلثي الأعضاء ، كما هو الحال بالنسبة للدستور المصري الصادر عام ٢٠١٢ والدستور الأمريكي لعام ١٧٨٧ ، أما أنه يستلزم صدور القرار بالأغلبية المطلقة لعدد أعضاءه ونحن نرى من جانبنا أنه يشترط لصدور قرار الإقالة أن يكون بأغلبية ثلثي الأعضاء وذلك لخطورة ذلك القرار وما قد يترتب عليه من خلو المقعد النيابي .

الخاتمة:

توصلنا من خلال بحثنا الى عدد من النتائج والتوصيات، وعلى النحو الآتي:

النتائج:

١- يعد الراتب التقاعدي الذي يتقاضاه العضو بعد انتهاء مدة عضويته النيابية من اهم الحقوق المالية ، ويستحق النائب الراتب التقاعدي من تاريخ انتهاء ولايته النيابية ، و يستحقه العضو طالما تم استقطاع

نفقات تقاعدية من " المكافأة البرلمانية التي يحصل عليها العضو شهرياً " بصورة منظمة خلال مدة ولايته النيابية .

٢- تلجأ الدول عادة في تنظيمها للراتب التقاعدي الذي يستحقه العضو الى تحديده وتنظيمه بموجب قانون عادي .

٣- ان قانون الجمعية الوطنية رقم (٣) لعام ٢٠٠٥ الملغي، أقر لأعضائه راتب تقاعدي مقداره (٨٠%) مما كان يتقاضاه من مكافئته في حالة إصابته بعجز دائم لأي سبب كان أثناء دوره في الجمعية الوطنية مع عدم تحديده للسبب الذي يمنح بموجبه العضو الراتب التقاعدي ، ومن هي الجهة المختصة بتحديد نسبة العجز ، وهل أن العجز الذي أصيب به العضو كانت بسبب خدمته النيابية أم لا .

٤- إن المحكمة الاتحادية العليا العراقية قد قضت بقرارها الصادر في عام ٢٠١٤ بعدم دستورية المواد (٣٧ ، ٣٨) من قانون التقاعد الموحد ، وبذلك فأن المعول عليه في احتساب الراتب التقاعدي بعد صدور قرار المحكمة الاتحادية العليا هو المادة (٢١) من قانون التقاعد الموحد رقم (٩) لعام ٢٠١٤ وذلك لحين إصدار قانون خاص بالراتب التقاعدي لرئيس وأعضاء مجلس النواب.

٥- اعتمد المشرع العراقي في الدستور النافذ لعام ٢٠٠٥ على نظام وحيد لحل البرلمان وهو (الحل الذاتي) ، حيث ان القرار الفاصل في موضوع الحل من عدمه يعود الى مجلس النواب ذاته .

٦- حظر النظام الداخلي لمجلس النواب الصادر عام ٢٠٠٦ الجمع وبصفة مطلقة بين العضوية في مجلس النواب والعضوية في المجالس التشريعية في الأقاليم ومجالس المحافظات وعلى النائب ان يختار العضوية في احدى الجهتين ، وان لم يفعل يعد عضواً في مجلس النواب فقط ، ومما يأخذ على المشرع عدم تحديده للفترة الزمنية التي يجب فيها على النائب تحديد موقفه والاختيار بين احدى العضويتين .

٧- اعطى المشرع الدستوري في الجزائر لأعضاء مجلسي البرلمان الحق بالاستقالة ويحدّد قانون عضويّ الحالات الّتي يقبل فيها البرلمان استقالة أحد أعضائه ، ولم يصدر القانون العضوي المنظم للاستقالة ، الامر الذي يولد فراغ دستوري وقانوني .

٨- تتم اقالة العضو عند فقده لأحد شروط العضوية، وهذا الفقدان بطبيعة الحال يأتي بعد عملية انتخاب أو تعيين العضو في البرلمان ، ويترتب على الاقالة خلو مقعد النائب في البرلمان .

٩- اعطى المشرع العراقي لمجلس النواب الحق في إقالة احد اعضائه إذا تجاوزت غياباته بدون عذر مشروع لأكثر من ثلث جلسات المجلس، أو لإخلاله الجسيم بقواعد السلوك النيابي، كما ويعد الاعتداء على الرئيس أو أحد نائبيه أو أحد النواب كذلك اخلال جسيماً بقواعد السلوك النيابي، وبالتالي مبرراً لإقالة النائب وإنهاء عضويته النيابية ، الا انه لم يشير إلى الأغلبية المطلوبة لصدور القرار بالإقالة .

التوصيات:

١- لا يعد عضو البرلمان موظفاً عاماً ، وانما هو شخص تم اختياره من قبل الناخبين لتمثيلهم وممارسة السلطة نيابة عنهم ، فهو اذا شخص مكلف بخدمة عامة وتتمثل خدمته بقيامه بوضع القوانين ومراقبة السلطة التنفيذية ، حيث عده المشرع العراقي صراحة بأنه مكلف بخدمة عامة وذلك في قانون مجلس النواب وتشكيلاته رقم ١٣ لعام ٢٠١٨ حيث نصت المادة (٦) منه على ان " يعد النائب مكلفا بخدمة عامة ومتفرغا للنيابة ...." .

وبما ان عضو البرلمان لا يعد موظفاً فهو بالتالي لا يستحق راتباً تقاعدياً وهنا نرى بأمكان عضو البرلمان الذي كان موظفاً قبل انتخابه او تعيينه في البرلمان ، العودة بمجرد انتهاء مدة عضويته إلى الوظيفة التي كان يشغلها قبل اكتسابه العضوية ، أو إلى أية وظيفة مماثلة لها ، وبالتالي اعتبار مدة العضوية في البرلمان مدة خدمة فعلية للنائب الموظف لاستحقاقه الراتب التقاعدي الخاص بوظيفته .

اما عضو البرلمان غير الموظف ومن أصحاب الاعمال (المهن والحرف) الأخرى ، هنا نميز بين حالتين ، الحالة الاولى ان تكون هذه الاعمال مما لا يجيز المشرع الجمع بينها وبين العضوية النيابية مثال ذلك " وظيفة او منصب في مؤسسة او شركة او تجمع تجاري او مالي او صناعي ، او ممارسة نشاط تجاري ، او مهنة حرة " ، بالتالي سيترك النائب عمله بعد انتخابه او تعيينه مباشرةً ، و بأنتهاء مدة عضويته النيابية سيصبح بدون عمل وبحاجة لأموال لتأمين معيشته ومعيشة اسرته ، في هذه الحالة

يمكن ان تسري على النائب احكام قانون الضمان الاجتماعي مقابل قيام النائب طوال فترة عضويته النيابية بدفع الاشتراكات المترتبة على ذلك ، او ان يعطى للنائب مكافأة نهاية الخدمة والتي تتمثل بمبلغ مالي مجزي .

اما اذا كانت الاعمال التي كان يمارسها النائب قبل اكتسابه العضوية النيابية لا يحظرها المشرع ولا تتعارض مع العضوية النيابية (كمهنة المحاماة والطبيب والمهندس واعضاء هيئة التدريس) ، هنا يعود النائب بمجرد انتهاء مدة العضوية النيابية الى تلك الاعمال ، ومن الممكن ايضاً اعطاء العضو الذي انتهت عضويته مكافأة نهاية الخدمة .

٢- نرى بوجوب تعديل قانون التقاعد الموحد العراقي رقم (٩) لعام ٢٠١٤ النافذ وتحديداً المادة (٣) منه وبما يجعل من القانون يسري فقط على الموظفين الدائمين والمؤقتين ورفع مصطلح المكلفين بخدمة عامة ، ليكون النص كالاتي " تسري احكام هذا القانون على جميع موظفي دوائر الدولة والقطاع العام والموظفين المؤقتين وموظفي الدولة في القطاع المختلط ..... " ، الامر الذي يترتب عليه عدم استحقاق اعضاء مجلس النواب العراقي للرواتب التقاعدية كونهم مكلفين بخدمة عامة وفق المادة (٦) من قانون مجلس النواب وتشكيلاته رقم (١٣) لعام ٢٠١٨ .

٣- النص على امكانية الجمع بين عضوية الوزارة والبرلمان في العراق ، فالدستور العراقي اخذ بالنظام البرلماني ، ومن مميزات هذا النظام الجمع في العضوية بين الوزارة والبرلمان ، كما ان من شأن ذلك ان يؤدي الى التقليل في الاموال التي تخصص كمصروفات للنائب او كراتب للوزير مع وجوب النص صراحة على حظر او عدم امكانية الجمع بين راتبين (راتب الوزارة و مكافأت العضوية النيابية) .

٤- نرى بوجوب تعديل المادة (١٩) من النظام الداخلي لمجلس النواب الصادر عام ٢٠٠٦ فيما يتعلق بحظر الجمع بين عضوية المجلس والعضوية في المجالس التشريعية في الأقاليم ومجالس المحافظات ، من خلال تحديد الفترة الزمنية التي يجب فيها على العضو تحديد موقفه والاختيار بين احدى العضويتين

، اما العضوية في مجلس النواب او العضوية في المجالس التشريعية في الاقاليم والمحافظات ، وان لم يفعل يعد عضواً في مجلس النواب فقط .

الهوامش:

---

(١) نوال لصلج ، مكانة عضو البرلمان في الدساتير العربية (دراسة مقارنة) ، اطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الحقوق والعلوم السياسية / جامعة لحاج لخضر – باتنه ، ٢٠١٥ – ٢٠١٦ .، ص٥٩ .

(٢) مخلوفي إمان و ناجم فاطمة ، الحقوق المالية للموظف العمومي في التشريع الجزائري ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الحقوق / جامعة زيان عاشور –الجلفة ، ٢٠١٦–٢٠١٧ ، ص٤٣ وما بعدها .

(٣) الامام اسماعيل بن حماد الجوهري ، معجم الصحاح ، ط١، رتبه ونقحه ابراهيم شمس الدين ، شركة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ٢٠١٢ ، ص٤٠٧ .

(٤) د. عزيزة فوال بابيتي ، المعجم المفصل في النحو العربي ، المجلد ١ ، ج١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠١٨ ، ص٥٣٤ .

(٥) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، الادارة العامة للمعجمات واحياء التراث ، قام بأخراجه ابراهيم مصطفى و احمد حسن ، وحامد عبد القادر ، ومحمد علي النجار ، ج١ ، المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، تركيا ، بدون ذكر سنة الطبع ، ص٣٢٦

(٦) محمد قلعجي ، معجم لغة الفقهاء ، ج ١ ، ط١ ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص٤٢١ .

(٧) الامام اسماعيل بن حماد الجوهري ، المصدر السابق ، ص٩٢٩ .

(٨) المعجم الوسيط ، المصدر السابق ، ص٧٤٨ ، انظر كذلك محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق الدكتور نواف الجراح ، مراجعة الدكتور سمير شمس ، دار صادر بيروت ، ٢٠١١ ، ص٥٩٩ .

(٩) انظر المواد(٧/٦) من القانون العضوي المتعلق بالتقاعد المرقم ١٢–٨٣ الصادر عام ١٩٨٣ المعدل .

(١٠) المادة (١/ خامس عشر) من قانون التقاعد الموحد رقم ٩ لسنة ٢٠١٤

(١١) د . مليكة الصلوخ ، القانون الإداري ، دراسة مقارنة ، الشركة المغربية لتوزيع الكتاب ، ٢٠٠٦ ص٤٠٩.

(١٢) د . عصمت عبد المجيد ، مجلس الدولة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠١١ ، ص٥٢٢ .

(١٣) عبد الله رياض الاقرع ، النظام القانوني للتقاعد المبكر للموظف العام في التشريع الفلسطيني (دراسة تحليلية مقارنة بأحكام الشريعة الاسلامية) ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الشريعة والقانون / الجامعة الاسلامية بغزة ، ٢٠١٨ ، ص٣٧ .

(١٤) قيدار عبد القادر صالح ، النظام القانوني للموظف الوزاري ، أطروحة دكتوراه ، مقدمة إلى كلية القانون ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٥ ، ص٧١ .

(١٥) في حالات اخرى يستحق العضو مكافأة تقاعدية ، اذا ما انتهت خدمة الموظف العام ولم تتوفر فيه شروط استحقاق الراتب التقاعدي التي حددها القانون ، لمزيد من التفاصيل انظر د. سليمان محمد الطماوي : الوجيز في القانون الاداري ، مطبعة عين شمس ، ١٩٨٦ ، ص٤٧٦ ، و د. عبد الوهاب عبد الرزاق التحافي ، النظرية العامة لحقوق وواجبات العاملين بالدولة ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص ١٧٥ ، ومحمد احمد حسين : زكاة مخصصات التقاعد والتوفير ومكافاة نهاية الخدمة ، بحث منشور على الانترنت على الموقع الالكتروني www.scholar.najah.edu تاريخ الزيارة ٢٠١٩/٨/١٨

(١٦) ومن الدول التي حددت تقاعد النواب في صلب القانون العادي ألمانيا ، انظر المواد (١١/١٧/١٨/١٩/٢٠/٢١/٢٣/٢٤/٢٥) من قانون النواب الاتحادي الالماني الصادر عام ١٩٧٧ .

(١٧) المادة (٦٥) من القانون المتعلق بالتقاعد المرقم ١٢-٨٣ الصادر في عام ١٩٨٣ .

(١٨) انظر المادة (١) من المرسوم رقم ٦١٦-٨٣ الصادر عام ١٩٨٣ المتعلق بمعاشات التقاعد .

(١٩) المادة (٤٨) من القانون المتضمن القانون الاساسي للعضو الصادر بالامر ١٤-٨٣ عام ١٩٨٩ .

(٢٠) المواد (٤٨/٤٩) من القانون رقم ١٤-٨٣ الصادر عام ١٩٨٩ المتعلق بالقانون الاساسي للعضو .

(٢١) المادة (٤٩) المعدلة بالقانون رقم ٢٢-٩١ الصادر عام ١٩٩٩ المتضمن القانون الاساسي للعضو .

(٢٢) انظر المادة (١) من القانون رقم ٠٥-١٥ الصادر في عام ٢٠١٥ المعدل للقانون رقم ١١-٨٣ الصادر عام ١٩٨٣ المتعلق بالتأمينات الاجتماعية .

(٢٣) للمزيد من التفاصيل أنظر المواد (١، ٢) من القانون (١٣) لعام ٢٠٠٥ بشأن المنحة المالية المقرة لأعضاء الجمعية الوطنية .

(٢٤) المادة (١/أولاً) من قانون الحقوق التقاعدية رقم (١٤) لعام ٢٠٠٥ الملغي .

(٢٥) المادة (٢) من قانون الحقوق التقاعدية رقم (١٤) لعام ٢٠٠٥ الملغي .

(٢٦) المادة (٤) من قانون الجمعية الوطنية رقم (٣) لعام ٢٠٠٥ الملغي .

(٢٧) انظر المادة (١) من قانون مجلس النواب رقم (٥٠) لعام ٢٠٠٧ الملغي .

(٢٨) المادة (٢) من قانون ومخصصات مجلس النواب رقم (٢٨) لعام ٢٠١١ الملغي .

(٢٩) انظر المادة (٢١) من قانون التقاعد الموحد رقم (٩) لعام ٢٠١٤ .

(٣٠) انظر المادة (١٤) من الدستور العراقي النافذ لعام ٢٠٠٥ .

(٣١) أنظر قرار المحكمة الاتحادية العليا بالعدد (٣٦ / اتحادية / ٢١٠٤) .

(٣٢) د. محمود حامد العمار ، اثر المكافأة البرلمانية على استقلال المجالس التشريعية ، بحث منشور في مجلة البحوث القانونية والاقتصادية ، كلية الحقوق / جامعة المنصورة ، العدد ٤٧ ، ٢٠١٠ .، ص٦٩١ .

(٣٣) د . محاسن قاسم ، النظم السياسية والقانون الدستوري ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص١٥٦ .

(٣٤) لمزيد من التفاصيل حول تجديد اعضاء مجلس الامة انظر فريج وفاء وبراهمي عايدة ، المركز القانوني لمجلس الامة في النظام الدستوري الجزائري ، مذكرة لنيل شهادة الماستر مقدمة الى كلية الحقوق والعلوم السياسية / جامعة عبد الرحمن ميرة – بجاية – ٢٠١٧ ، ص١٨ .

(٣٥) المادة (١٠٢/٤/٥) من دستور الجزائر الصادر عام ١٩٩٦ المعدل .

(٣٦) المادة (٥٦) من دستور العراق النافذ عام ٢٠٠٥ .

(37) Luc Heuschling , Le concept de dissolution, l'histoire des dissolutions de la Chambre des députés & la coutume , Université du Luxembourg , Pasicrisie luxembourgeoise , p 475 .

(٣٨) وتجدر الاشارة الى ان حق الحل نشأ في إنجلترا ومورس لأول مرة في عام ١٧٨٤ أثر نشوب خلاف ما بين وزارة (وليم بت) وبين مجلس العموم ، لمزيد من التفاصيل انظر د. رمزي طه الشاعر ، النظرية العامة للقانون الدستوري ، ج٢ ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، ١٩٨٠ . ص٥٣٨ .

(٣٩) د . سليمان الطماوي ، الفصل بين السلطات الثلاث في الدساتير العربية المعاصرة وفي الفكر السياسي الإسلامي ، دار الفكر العربي ، ١٩٩٦ ، ص٥٢٥ .

(٤٠) د . علاء عبد المتعال ، حل البرلمان في الأنظمة الدستورية المقارنة ، دار النهضة العربية ، ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص٣ .

(٤١) من الدول التي اخذت بنظام الحل الرئاسي المانيا وذلك بموجب القانون الأساسي الصادر عام ١٩٤٩ أنظر المواد (٦٣ /٦٤) من القانون الأساسي الألماني الصادر لعام ١٩٤٩ .

(٤٢) من الدول التي اعتنقت هذا النظام اليابان وذلك في دستورها الصادر عام ١٩٤٦ ، كما وأخذت به أسبانيا في دستورها الصادر عام ١٩٧٨ .

(٤٣) من الدول التي أخذت بهذا النظام العراق وفق دستوره الصادر عام ٢٠٠٥ في المادة ١٢٦ منه .

(٤٤) من الدول التي تبنت نظام الحل الذاتي للبرلمان ، النمسا وذلك بموجب دستورها الصادر عام ١٩٢٠ والمعدل عام ١٩٢٩ ، حيث نصت المادة (٢/٢٩) من الدستور على ان " يستطيع المجلس الوطني وقبل انتهاء مدته التشريعية ان يحل نفسه بمقتضى قانون عادي " ، ولا يتم اعمال الحل الذاتي الا في حالة غياب النزاع التقليدي بين السلطة التشريعية والتنفيذية ، لمزيد من التفاصيل انظر د. ميثم حنظل ، الحل الذاتي للبرلمان في بعض الانظمة الدستورية ، بحث منشور في مجلة المحقق الحلي ، العدد الثالث ، السنة الثامنة ، ٢٠١٦ ، ص٥٥٠ وما بعدها .

(٤٥) تجدر الاشارة الى ان رئيس الجمهورية اقدم على حل البرلمان وتقديم استقالته حيث فقدت الجزائر اهم مؤسساتها الدستورية رئاسة الجمهورية والمؤسسة التشريعية ، وبصورة خاصة ان دستور الجزائر لم يتضمن حالة اقتران شغور المجلس الشعبي الوطني عن طريق الحل بحالة شغور منصب رئيس الجمهورية بالاستقالة ، انظر نبيلة أقوجيل وحبة عفاف ، القانون الانتخابي الجزائري بين القوة والضعف ، بحث منشور في مجلة الاجتهاد القضائي ، المجلد ٣ ، العدد ٤ ، مارس ٢٠٠٨ ، ص٣٧٤ .

(٤٦) انظر المواد (٩٤/٩٦) من دستور الجزائر الصادر عام ١٩٩٦ المعدل .

(٤٧) المادة (١٤٧) من دستور الجزائر الصادر عام ١٩٩٦ المعدل .

(٤٨) المادة (٦٤) من دستور العراق النافذ لعام ٢٠٠٥ .

(٤٩) د. علي سعد عمران ، الطبيعة القانونية لحق حل البرلمان ، بحث منشور في مجلة اهل البيت ، العدد ١٩ ، ٢٠١٦ ، ص١٧٩ ، انظر كذلك د. ميثم حنظل و ميثم منفي ، الحل الذاتي للبرلمان في بعض الانظمة الدستورية ، المصدر السابق ، ص٥٥٣ .

(٥٠) من هذه الدساتير هو الدستور العراقي النافذ لعام ٢٠٠٥ والقانون الأساسي الألماني لعام ١٩٤٩ ، والدستور المصري النافذ لعام ٢٠١٢ المعدل عام ٢٠١٤ والدستور الأمريكي لعام ١٩٧٨٧ المعدل .

(٥١) إن بعض الدساتير نصت على أن يتم في حالة وفاة أحد أعضاء السلطة التشريعية قبل نهاية مدته ملء الشاغر وذلك بنفس الطريقة التي تولى فيها العضو المتوفى عضويته مثال ذلك القانون الأساسي العراقي الملغي لعام ١٩٢٥ ، ودستور العراق النافذ لعام ٢٠٠٥ للمزيد من التفاصيل أنظر قانون استبدال أعضاء مجلس النواب رقم (٤٩) لعام ٢٠٠٧ المعدل ، والتعيين إذا كان العضو معيناً ، كما في المادة (١٥) من نظام مجلس الشورة والدولة في سلطنة عمان لعام ١٩٩٧ .

(٥٢) يستلزم الدستور والقانون شروط ومواصفات معينة ينبغي توافرها في الشخص المرشح لعضوية المجالس النيابية وهذه الشروط تتعلق بالسن والجنسية والتحصيل الدراسي وأن يكون المرشح حسن السيرة والسمعة وغير محكوم عليه بعقوبة مخلة بالشرف .

(٥٣) إلا أن مقعد عضو اللوردات في بريطانيا لازال ينتقل إلى ورثة اللورد .

(٥٤) المادة (١٢٩) من دستور الجزائر الصادر عام ١٩٩٦ المعدل .

(٥٥) المادة (١٠٦) من قانون الانتخابات المرقم ١٦-١٠ الصادر عام ٢٠١٦ .

(٥٦) المادة (١٣٤) من قانون الانتخابات المرقم ١٦-١٠ الصادر عام ٢٠١٦ .

(٥٧) المادة (١٦) من القانون العضوي المتعلق بعضو البرلمان المرقم ٠١-٠١ الصادر في عام ٢٠٠١ .

(٥٨) المادة (٤٩/خامساً) من الدستور العراقي النافذ لعام ٢٠٠٥ .

(٥٩) المادة (٢) من قانون استبدال اعضاء مجلس النواب رقم (٦) لعام ٢٠٠٦ المعدل .

(٦٠) المادة (١٢) من قانون مجلس النواب وتشكيلاته رقم (١٣) لعام ٢٠١٨ .

(٦١) وقد طبق هذا النظام عام ١٧١٤ وفي عام ١٨٦٧ أبطل واصبح العضو في مجلس العموم البريطاني لا تنتهي نيابته بتقلده منصب رسمي آخر كاختياره ليصبح وزيراً حيث أجاز النظام الدستوري البريطاني الجمع بين العضوية النيابية والوظائف العامة الأخرى ، انظر

(٦٢) المادة (١٢٢) من الدستور الجزائري الصادر عام ١٩٩٦ المعدل .

(٦٣) المادة (٣) من القانون العضوي المرقم ٠٢-١٢ الصادر في عام ٢٠١٢ المتعلق بحالات التنافي مع العهدة البرلمانية ، انظر كذلك فريج وفاء و براهمي عايدة ، المصدر السابق ، ص٢٤ .

(٦٤) لمزيد من التفاصيل حول حالات التنافي مع العهدة البرلمانية انظر د. عمار عباس ، توسيع حالات التنافي مع العهدة البرلمانية محاولة لتحقيق الفصل العضوي بين السلطات ، بحث منشور في مجلة المجلس الدستوري ، العدد ٠٥ ، ٢٠١٤ ، ص١١ وما بعدها .

(٦٥) انظر المواد (٧/٨/٩/١٠) من القانون العضوي المرقم ٠٢-١٢ الصادر في عام ٢٠١٢ المتعلق بحالات التنافي مع العهدة البرلمانية .

(٦٦) المادة (٤٩/سادساً) من الدستور العراقي النافذ لعام ٢٠٠٥ .

(٦٧) المادة (١ / أولاً / ١) من قانون استبدال أعضاء مجلس النواب رقم (٦) لعام ٢٠٠٦ .

(٦٨) حيث نصت المادة (٨) من قانون مجلس النواب وتشكيلاته رقم (١٣) لعام ٢٠١٨ على ان (اولاً: لا يجوز الجمع بين النيابة وأي عمل أو منصب رسمي آخر.

(٦٩) المادة (١٢) من قانون مجلس النواب وتشكيلاته رقم (١٣) لعام ٢٠١٨ .

(٧٠) المادة (١٥) من النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي الصادر عام ٢٠٠٦ .

(٧١) وتجدر الاشارة الى ان المحكمة الاتحادية العليا قد تصدت لدعوى بشأن ذلك واصدرت حكمها بأن تبوء العضو لمنصب رسمي خارج مجلس النواب يستتبعه وبحكم الدستور الاستقالة من مجلس النواب وذلك في قرارها المرقم ٦٨ / اتحادية / اعلام / ٢٠١٨ المنشور على الموقع الالكتروني للمحكمة www.Iraq.ja.iq

(٧٢) المادة (١٩) من النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي الصادر عام ٢٠٠٦ .

(٧٣) لمزيد من التفاصيل حول الموضوع انظر فاروق عز الدين خلف ، المركز القانوني لرئيس مجلس النواب في دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥ (دراسة مقارنة) ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية القانون / جامعة بغداد ، ٢٠١٥ ، ص٤٥ وما بعدها .

(٧٤) د. أفين خالد عبد الرحمن ، المركز القانوني لعضو البرلمان (دراسة مقارنة) ، ط١ ، المركز العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٧ ص١٥٤ .

(٧٥) المادة (١٢٥) من الدستور الجزائري الصادر عام ١٩٩٦ المعدل .

(٧٦) لمزيد من التفاصيل حول الموضوع انظر محمد مسلم ، القانون العضوي المنظم لاستقالة العضو لم يصدر منذ ١٦ سنة ، مقال منشور على الموقع https://www.echoroukonline.com

(٧٧) المادة (١٠) من النظام الداخلي للمجلس الشعبي الوطني الصادر عام ٢٠٠٠ .

(٧٨) انظر المادة (٦) من النظام الداخلي لمجلس الامة المنشور في الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية ، العدد ٤٩ ، ٢٠١٧ ، ص٣١ .

(٧٩) محمد بركات ، النظام القانوني لعضو البرلمان (دراسة مقارنة لكل من الجزائر ومصر وفرنسا) ، ج١ ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ٢٠١٢ ، ص٣٥٤ .

(٨٠) المادة (٤٩) من الدستور العراقي النافذ لعام ٢٠٠٥ .

(٨١) المادة ١/أولاً /٣ / ثالثاً من قانون استبدال اعضاء مجلس النواب رقم (٦) لعام ٢٠٠٦ المعدل .

(٨٢) المادة (١٢) من قانون مجلس النواب وتشكيلاته رقم (١٣) لسنة ٢٠١٨ .

(٨٣) لمزيد من التفاصيل انظر ختام حمادي محمود ، التنظيم الدستوري والتشريعي لخلو مقعد عضو المجلس النيابي في العراق ، بحث منشور في مجلة العلوم القانونية ، كلية القانون / جامعة بغداد / العدد الثاني ، ٢٠١٨ ، ص٥٠٣ وما بعدها

(٨٤) المادة (١٥) من النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي الصادر عام ٢٠٠٦ .

(٨٥) د. أحمد سعيفان ، الأنظمة السياسية والمبادئ الدستورية العامة (دراسة مقارنة) ، منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت ، ٢٠٠٨.، ص٣٣١ .

(٨٦) د. عوض رجب الليمون ، احكام اسقاط العضوية عن اعضاء مجلس الامة في الدستور الاردني ، بحث منشور في مجلة دراسات ،علوم الشريعة والقانون ، المجلد ٤١ ، العدد ١ ، ٢٠١٤ ، ص٣٤ .

(٨٧) د. محمد فهيم درويش ، السلطة التشريعية (ماهيتها ، تكوينها ، اختصاصها) ، ط١ ، المركز القومي للإصدارات القانونية ، القاهرة ، ٢٠٠٨ .، ص٦٢٢ وما بعدها .

(٨٨) إن الجناية وفق قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ هي الجريمة المعاقب عليها أما بالإعدام أو السجن المؤبد أو السجن المؤقت (من ٥ سنوات إلى ١٥ سنة) المادة (٢٥) من القانون .

(٨٩) ومن الدساتير التي نصت على الإقالة ، دستور الولايات المتحدة الأمريكية لعام ١٧٨٧ في المادة ١/ف٥/٢ من دستور الولايات المتحدة الأمريكية لعام ١٧٨٧ المعدل .

(٩٠) المادة (١٢٤) من دستور الجزائر الصادر عام ١٩٩٦ المعدل .

(٩١) المادة (٧٣) من النظام الداخلي للمجلس الشعبي الوطني الصادر عام ٢٠٠٠ .

(٩٢) انظر المادة (١٢٩) من النظام الداخلي لمجلس الامة .

(٩٣) انظر المواد (٩٢ / ١١٠/١١١) من القانون العضوي المتعلق بالانتخابات رقم ١٦-١٠الصادر في عام ٢٠١٦.

(٩٤) لمزيد من التفاصيل حول الشروط ، انظر مولاي هاشمي ، تطور شروط الترشيح للمجالس الشعبية المنتخبة في الجزائر ، بحث منشور في مجلة دفاتر السياسة والقانون ، العدد الثاني عشر ، الجزائر ، جانفي ، ٢٠١٥ ، ص١٩٣ وما بعدها .

(٩٥) المادة (١) من قانون استبدال أعضاء مجلس النواب رقم (٦) لعام ٢٠٠٦ المعدل .

(٩٦) انظر المادة (٨) من قانون انتخابات مجلس النواب العراقي رقم (٤٥) لعام ٢٠١٨ .

(٩٧) المادة (١٢/ ثالثاً وخامساً) من قانون مجلس النواب وتشكيلاته رقم (١٣) لعام ٢٠١٨ ..

(٩٨) وتجدر الاشارة الى ان المحكمة الاتحادية العليا قد تصدت لدعوى بشأن ذلك واصدرت حكم بإلغاء قرار صادر من مجلس النواب بالغاء عضوية احد النواب وذلك في قرارها المرقم ٦٩ / اتحادية / اعلام / ٢٠١٧ المنشور على الموقع الالكتروني تاريخ الزيارة ٢٠١٩/١١/٢٥ www.Iraq.ja.iq

(٩٩) المادة (١٢/ ثامناً) من قانون مجلس النواب وتشكيلاته رقم (١٣) لعام ٢٠١٨ .

المراجع:

اولاً : المراجع العربية:

- كتب اللغة:

١- الامام اسماعيل بن حماد الجوهري ، معجم الصحاح ، ط١، رتبه ونقحه ابراهيم شمس الدين ، شركة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ٢٠١٢ .

٢- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، الادارة العامة للمعجمات واحياء التراث ، قام بأخراجه ابراهيم مصطفى و احمد حسن ، وحامد عبد القادر ، ومحمد علي النجار ، ج١ ، المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، تركيا ، بدون ذكر سنة الطبع .

٣- د. عزيزة فوال بابيتي ، المعجم المفصل في النحو العربي ، المجلد ١ ، ج١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠١٨ .

٤- محمد قلعجي ، معجم لغة الفقهاء ، ج ١ ، ط١ ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٨٨ .

٥- محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق الدكتور نواف الجراح ، مراجعة الدكتور سمير شمس ، دار صادر بيروت ، ٢٠١١ .

- الكتب القانونية:

١- د. إبراهيم عبد العزيز شيحا ، النظم السياسية والقانون الدستوري تحليل للنظام الدستوري المصري ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ٢٠٠٠.

٢- د. أحمد سعيفان ، الأنظمة السياسية والمبادئ الدستورية العامة (دراسة مقارنة) ، منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت ، ٢٠٠٨ .

٣- د. أفين خالد عبد الرحمن ، المركز القانوني لعضو البرلمان (دراسة مقارنة) ، ط١ ، المركز العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٧ .

٤- د. أنور الخطيب ، الأصول البرلمانية في لبنان وسائر البلاد العربية ، ط١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦١

٥- د. رمزي طه الشاعر ، النظرية العامة للقانون الدستوري ، ج٢ ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

٦- د. سعد عصفور ، النظام الدستوري المصري ، دستور مصر لعام ١٩٧١، منشاة المعارف بالإسكندرية للنشر ، ١٩٨٠.

٧- د. سليمان محمد الطماوي : الوجيز في القانون الاداري ، مطبعة عين شمس ، ١٩٨٦ .

٨- د . سليمان الطماوي ، الفصل بين السلطات الثلاث في الدساتير العربية المعاصرة وفي الفكر السياسي الإسلامي ، دار الفكر العربي ، ١٩٩٦ .

٩- د. عبد الوهاب عبد الرزاق التحافي ، النظرية العامة لحقوق وواجبات العاملين بالدولة ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٤ .

١٠-د . عصمت عبد المجيد ، مجلس الدولة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠١١ .

١١-د . علاء عبد المتعال ، حل البرلمان في الأنظمة الدستورية المقارنة ، دار النهضة العربية ، ، القاهرة ، ٢٠٠٤ .

١٢-د . محاسن قاسم ، النظم السياسية والقانون الدستوري ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٩ .

١٣-د. محمد فهيم درويش ، السلطة التشريعية (ماهيتها ، تكوينها ، اختصاصها) ، ط١ ، المركز القومي للإصدارات القانونية ، القاهرة ، ٢٠٠٨ .

١٤-د . مليكة الصلوخ ، القانون الإداري ، دراسة مقارنة ، الشركة المغربية لتوزيع الكتاب ، ٢٠٠٦ .

١٥-د. يحيى الجمل و د.علي السلمي ، اشكاليات الدستور والبرلمان ، سما للنشر والتوزيع ، ٢٠١٥ .

١٦- محمد بركات ، النظام القانوني لعضو البرلمان (دراسة مقارنة لكل من الجزائر ومصر وفرنسا) ، ج١ ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ٢٠١٢ .

- أطاريح الدكتوراه ورسائل الماجستير :

* أطاريح الدكتوراه

١- نوال لصلج ، مكانة عضو البرلمان في الدساتير العربية (دراسة مقارنة) ، اطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الحقوق والعلوم السياسية / جامعة لحاج لخضر – باتنه ، ٢٠١٥ – ٢٠١٦

٢- قيدار عبد القادر صالح ، النظام القانوني للموظف الوزاري ، أطروحة دكتوراه ، مقدمة إلى كلية القانون ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٥ .

* رسائل الماجستير :

١- عبد الله رياض الاقرع ، النظام القانوني للتقاعد المبكر للموظف العام في التشريع الفلسطيني (دراسة تحليلية مقارنة بأحكام الشريعة الاسلامية) ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الشريعة والقانون / الجامعة الاسلامية بغزة ، ٢٠١٨ .

٢- فاروق عز الدين خلف ، المركز القانوني لرئيس مجلس النواب في دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥ (دراسة مقارنة) ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية القانون / جامعة بغداد ، ٢٠١٥ .

٣- فريج وفاء وبراهمي عايدة ، المركز القانوني لمجلس الامة في النظام الدستوري الجزائري ، مذكرة لنيل شهادة الماستر مقدمة الى كلية الحقوق والعلوم السياسية / جامعة عبد الرحمن ميرة – بجاية – ٢٠١٧.

٤- مخلوفي إمان و ناجم فاطمة ، الحقوق المالية للموظف العمومي في التشريع الجزائري ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الحقوق / جامعة زيان عاشور –الجلفة ، ٢٠١٦-٢٠١٧ .

- البحوث:

١- ختام حمادي محمود ، التنظيم الدستوري والتشريعي لخلو مقعد عضو المجلس النيابي في العراق ، بحث منشور في مجلة العلوم القانونية ، كلية القانون / جامعة بغداد / العدد الثاني ، ٢٠١٨ .

٢- د. علي سعد عمران ، الطبيعة القانونية لحق حل البرلمان ، بحث منشور في مجلة اهل البيت ، العدد ١٩ ، ٢٠١٦ .

٣- د. عمار عباس ، توسيع حالات التنافي مع العهدة البرلمانية محاولة لتحقيق الفصل العضوي بين السلطات ، بحث منشور في مجلة المجلس الدستوري ، العدد ٠٥ ، ٢٠١٤ .

٤- د. عوض رجب الليمون ، احكام اسقاط العضوية عن اعضاء مجلس الامة في الدستور الاردني ، بحث منشور في مجلة دراسات ،علوم الشريعة والقانون ، المجلد ٤١ ، العدد ١ ، ٢٠١٤ .

٥- د. محمود حامد العمار ، اثر المكافأة البرلمانية على استقلال المجالس التشريعية ، بحث منشور في مجلة البحوث القانونية والاقتصادية ، كلية الحقوق / جامعة المنصورة ، العدد ٤٧ ، ٢٠١٠ .

٦- د. ميثم حنظل ، الحل الذاتي للبرلمان في بعض الانظمة الدستورية ، بحث منشور في مجلة المحقق الحلي ، العدد الثالث ، السنة الثامنة ، ٢٠١٦ .

٧- مولاي هاشمي ، تطور شروط الترشيح للمجالس الشعبية المنتخبة في الجزائر ، بحث منشور في مجلة دفاتر السياسة والقانون ، العدد الثاني عشر ، الجزائر ، جانفي ، ٢٠١٥ .

٨- نبيلة أقوجيل وحبة عفاف ، القانون الانتخابي الجزائري بين القوة والضعف ، بحث منشور في مجلة الاجتهاد القضائي ، المجلد ٣ ، العدد ٤ ، مارس ٢٠٠٨ .

- الدراسات والمقالات:

١- محمد احمد حسين : زكاة مخصصات التقاعد والتوفير ومكافاة نهاية الخدمة ، بحث منشور على الانترنت على الموقع الالكتروني www.scholar.najah.edu

٢- محمد مسلم ، القانون العضوي المنظم لاستقالة العضو لم يصدر منذ ١٦ سنة ، مقال منشور على الموقع الالكتروني https://www.echoroukonline.com

٣- نسمة محمد ، تعريف الراتب التقاعدي وتكييفه الشرعي ، مقال منشور على موقع منتدى المحاسب العربي ، ٢٠١٢ ، على الموقع الالكتروني https://accdiscussion.com/acc36.html

- الاحكام القضائية:

١- قرار المحكمة الاتحادية العليا بالعدد (٣٦ / اتحادية / ٢١٠٤) .

٢- قرار المحكمة الاتحادية العليا المرقم ١٤٠-١٤١/اتحادية /٢٠١٨ .

٣- قرار المحكمة الاتحادية العليا المرقم ٦٨ / اتحادية / اعلام / ٢٠١٨ .

٤- قرار المحكمة الاتحادية العليا المرقم ٦٩ / اتحادية / اعلام / ٢٠١٧ .

- الدساتير:

١- دستور الولايات المتحدة الأمريكية لعام ١٧٨٧ .

٢- دستور النمسا الصادر في عام ١٩٢٠ والمعدل عام ١٩٢٩ .

٣- القانون الأساسي العراقي الملغي لعام ١٩٢٥ .

٤- دستور اليابان الصادر في عام ١٩٤٦ .

٥- القانون الأساسي الألماني الصادر لعام ١٩٤٩ .

٦- الدستور الاردني الصادر عام ١٩٥٢ المعدل .

٧- دستور نيسان ١٩٦٣ الملغي .

٨- دستور ١٧ تموز ١٩٦٨ .

٩- دستور أسبانيا الصادر في عام ١٩٧٨ .

١٠- دستور الجزائر الصادر عام ١٩٩٦ المعدل عام ٢٠١٦ .

١١- الدستور العراقي النافذ لعام ٢٠٠٥

١٢- الدستور المصري النافذ لعام ٢٠١٢ المعدل عام ٢٠١٤ .

- القوانين:

١- قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ .

٢- قانون الجمعية الوطنية رقم (٣) لعام ٢٠٠٥ الملغي .

٣- القانون (١٣) لعام ٢٠٠٥ بشأن المنحة المالية المقرة لأعضاء الجمعية الوطنية .

٤- قانون الحقوق التقاعدية رقم (١٤) لعام ٢٠٠٥ الملغي .

٥- قانون استبدال اعضاء مجلس النواب رقم (٦) لعام ٢٠٠٦ المعدل .

٦- قانون استبدال أعضاء مجلس النواب رقم (٤٩) لعام ٢٠٠٧ المعدل .

٧- قانون مجلس النواب رقم (٥٠) لعام ٢٠٠٧ الملغي .

٨- قانون ومخصصات مجلس النواب رقم (٢٨) لعام ٢٠١١ الملغي .

٩- قانون التقاعد الموحد رقم (٩) لعام ٢٠١٤

١٠- قانون مجلس النواب وتشكيلاته رقم (١٣) لعام ٢٠١٨
١١- قانون انتخابات مجلس النواب العراقي رقم (٤٥) لسنة ٢٠١٨ .
١٢- قانون التقاعد المدني الاردني رقم (٣٤) لعام ١٩٥٩ المعدل .
١٣- قانون الانتخابات رقم (١٦) لعام ٢٠٠٥ الملغي .
١٤- القانون المؤقت رقم (١٠) لعام ٢٠١٠ .
١٥- قانون انتخاب مجلس النواب رقم (٦) لعام ٢٠١٦ .
١٦- القانون العضوي المتعلق بالتقاعد المرقم ١٢-٨٣ الصادر عام ١٩٨٣ المعدل .
١٧- المرسوم رقم ٦١٦-٨٣ الصادر عام ١٩٨٣ المتعلق بمعاشات التقاعد .
١٨- القانون رقم ١٤-٨٣ الصادر عام ١٩٨٩ المتعلق بالقانون الاساسي للعضو .
١٩- القانون رقم ٢٢-٩١ الصادر عام ١٩٩٩ المتضمن القانون الاساسي للعضو .
٢٠- القانون العضوي المتعلق بعضو البرلمان المرقم ٠١-٠١ الصادر في عام ٢٠٠١ .
٢١- القانون العضوي المرقم ٠٢-١٢ الصادر في عام ٢٠١٢ المتعلق بحالات التنافي مع العهدة البرلمانية.
٢٢- القانون رقم ٠٥-١٥ الصادر في عام ٢٠١٥ المعدل للقانون رقم ١١-٨٣ الصادر عام ١٩٨٣ المتعلق بالتأمينات الاجتماعية .
٢٣- قانون الانتخابات المرقم ١٦-١٠ الصادر عام ٢٠١٦ .
٢٤- قانون النواب الاتحادي الالماني الصادر عام ١٩٧٧ .
٩- النظم الداخلية
١- النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي الصادر عام ٢٠٠٦ .
٢- النظام الداخلي لمجلس النواب الاردني الصادر عام ١٩٩٦ .
٣- النظام الداخلي لمجلس الاعيان الاردني الصادر عام ١٩٩٨ .
٤- النظام الداخلي للمجلس الشعبي الوطني الصادر عام ٢٠٠٠ .
٥- النظام الداخلي لمجلس الامة المنشور في الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية ، العدد ٤٩ ، ٢٠١٧ .
٦- نظام مجلس الشورة والدولة في سلطنة عمان لعام ١٩٩٧ .
ثانياً: المراجع الأجنبية:

(1) Luc Heuschling , Le concept de dissolution, l'histoire des dissolutions de la Chambre des députés & la coutume , Université du Luxembourg , Pasicrisie luxembourgeoise .

هواجس فاضل حاتم الشعرية

أ.م.د. بشير عبد زيد عطية

مديرية الاشراف الاختصاص/ تربية القادسية

المقدمة:

مازال الشعر يحتفي بقدرة عالية على التأثير، وما زال _ على الرغم من مزاحمة الفنون الأدبية الأخرى _ يحظى بمكانة لائقة ، تؤهله لأن يكون أكثر هذه الفنون شعبيةً ، وعلى الرغم من ثورات التجديد التي لحقت فنون الأدب ؛ بسبب متطلبات الحياة العصرية ، وهاجس الإنسان الملح إلى الابتكار والتجديد والتنوع ، فإن الشعر بسكونه إلى اللغة يستفز الآخر ، ويذكره بعمق إنسانيته ويعود به إلى فطرته الأولى، وإذا كانت قيم الجمال قد اختلفت باختلاف رؤية الإنسان المعاصر ؛ بسبب حلول الوعي الافتراضي محل وعي الخيال الخلاق، فإن الشعر يبقى قائماً في دواخلنا، يطغى على معارفنا الجمالية والذوقية كلها ،ويزاحم ثقافة الافتراض التي تزدهر فينا.

اليوم على الرغم من قابلية الشعر الكبيرة وتأثيره فينا ، أصبح من الصعوبة أن نجد نصاً شعرياً يكسر هذا التزاحم ، فالجديد المبتكر ،يسارع في تغيير قناعة المتلقي اتجاه نمط معين من المتع الجمالية ، فكاد الشعر أن يصبح كاسداً ،لا يؤدي غرضه الجمالي ، وصار حتماً عليه وعلى الشعراء ، أن يجدوا وسيلة ناجعة للتأثير في متلقيهم ، مثلما كانوا من قبل ، أن يجدوا السبيل الذي تخرج متلقيهم من عزلته الصورية ، إلى اجتماعيته السمعية ، وصار مقدراً على الشعر ، سد هذا الفراغ الروحي الكبير ، وأن يقنع الآخر بالعودة إلى استقراء المتعة من اللغة التي يحتفي بها الشعر ، ولا يستتب له أمر ، أو يستقيم له طريق إلا أن يؤدي غرضه النفعي الجمالي الذي رافق إنشاده ، فيمنحنا الغبطة ، ويفتح لنا أبواباً للتأمل، والتأول في خيالاته العميقة ، فيؤكد لنا دليل أصالة الشاعر وسحر لغته ، ومتانة صوته الرازح تحت تأثير الحب والالم ، ويفتح لنا آفاقاً للمعرفة ، فتصبح القصيدة معرفة تحمل غايتين معاً :الغاية الجمالية ، والغاية النفعية ،عند ذلك تتعدى رؤية الشاعر النموذج الشعري المباشر إلى نموذج شعري قويم .

أولاً : الشعر وتأثير المعاصرة :

الذائقة الأدبية والذاكرة الثقافية مقدمتان جليلتان للوعي الجمالي بالشعر ، وهنا أعني العربي بوصفه قد تأسس غنائياً على ضابط الوزن والإيقاع ، (اللذان يمثلان هالته الحسية الوحيدة)[1] بصفة عامة، ومن جهة ثانية فإن هذا الوعي الجمالي بالشعر ليس واحداً ، بل هو يتبنى المباينة في الحكم منهجاً ،فلا يمكن لنا أن نشترك جميعاً في حكمنا الجمالي على الأثر الشعري ، وهذا ما يمنح الشعر خلوده ؛ لأنه يبقى متجدداً ، أو كما يقول "هيدغر" كأنه يقال للمرة الأولى ،فالحس الجمالي بالشعر ، يرسخ مؤسساً على المعطيات القيمية ، والذوقية والثقافية لإمة بعينها ؛ ولأن المعطى العربي الشعري غنائي بطبعه ،رغم الدعوات الكثيرة للكفر بصنميته ، وحدود وعيه القارة في عينه ، كدعوة " أدونيس"مثلاً التي عدت الشكل القديم للقصيدة العربية فوضى ، فلا يجب البحث في شروط البيت الشعري ، بل البحث في وظيفة الممارسة الشعرية ، بوصفها طاقة ارتياد وكشف[2] ، ورغم هذه الغنائية المترسخة نسقاً ، لكن الشعر مال ميلاً حديثاً بعيداً عن الشكل ،متوسلاً بالشعرية بديلاً جمالياً عن كينونته الشكلية والموضوعية التي باتت . بحكم حدودها التراثية ، تحدُّ من حرية الانطلاق ، كما يفرضه العصر وتقتضيه الذائقة ؛ بسبب زيادة ثقافة الشاعر ، نسبة إلى تغيير وظيفة الشعر الحديث ، عما كانت عليه في الماضي ؛ ولأن القارئ أصبح يطالب الشاعر الجيد ، بأن يقدم له بديلاً حقيقياً عن تفاهة الحياة السطحية[3] . وإذا كان الشكل الشعري عائقاً ذوقياً جمالياً ومعرفياً حديثاً ؛ فإن الموضوع يبدو أكثر تحدياً من الشكل ؛ لأن القيمة العصرية الجمالية ، تغيرت كثيراً في عقول النشء الجديد للشعراء والمتلقين على حد سواء ، وبات الشعر _ الذي يحاول التمدد وفق كينونته _ أثراً " قديماً "،لا يتماهى مع هذا التبدل بالمزاج الجمالي والذوقي .تأسيساً على ذلك صار من غير الممكن على الشاعر الذي اعتاد نمطاً من الأداء الشعري " بنية وأداءً " ،أن يمارس فعل التغير من دون أن يحيد عن السياق ،وتبدو لغته قاصرة عن إصابة مرامي جمهوره المتباينين معه وعياً وثقافةً .

لكن هل بات الحس الجمالي الحديث بالشعر عازفاً فعلاً عن استساغة النمط الموروث للشعر؟ وهل تحول الوعي به إلى وعي استهلاكي فارغ من روحيته العميقة المتجذرة ، والمفعمة بالشغف والشجن؟ وهل حقاً الأنماط المعاصرة للشعر "شكلاً وموضوعاً"، أزاحت قداسة النسق النوعي الشعري الذي تأسس عليه الوعي الجمالي؟ هذه الأسئلة وغيرها ، تلح على متلقي الشعر ، وهو بصدد قراءته قراءة نقدية ، في حال كانت النصوص التي بين يديه نصوصاً تحاكي الذي درج عليه النمط الشعري العربي قديمه وحديثه ، في وقت يحاول بعض الشعراء المعاصرين الذين يحتفون بالشعرية ، نفي تهمة تبني النمط الشعري القائم في جسد القصيدة العربية .

ثانياً: جماليات النقد :

بصرف النظر عن الشكل الشعري الذي ينظم عليه الشاعر قصيدته ، فإن النقد يقوم بمهمة أعظم من كتابة القصيدة نفسها ، فالقصيدة وجهة نظر جمالية ، بحسب قيمتها لدى المتلقي الذي يقف عند حدود نفعيتها ، القائمة على المتعة أولاً . لكن النقد شكل آخر للقراءة ومعنى مغاير للمتعة ، فلا يهمه إن كان النص الشعري متشكلاً على نمط بعينه ، إنما يهمه فيما إذا كان هذا النص ، أدى وظيفته الجمالية ، أم لم يؤدِ حتى وإن كان الشعر ملازماً لحقبة من الوعي الجمالي به ، الذي لا يمكن للذائقة المعاصرة ، أن تتلمس فيه رؤيا كالتي تقدمها النصوص المعاصرة القائمة على المعطى النثري المفعم بالشعرية ؛لذلك فالنقد لا يميت النمط الشعري أياً ما كان نوعه ، بخاصة إذا كان الأداء اللغوي متلازماً مع هذا الكم الهائل من الثقافة المعاصرة ، ومتساوقاً مع الإرث التقليدي للقصيدة العربية التي هي في أغلبها " ظاهرية وظائفية " ، كما يسمها أدونيس .

إن ما يمنح الشعر الخلود تجديد القراءة النقدية ،أو (معناه الذي يتجدد بتجدد قارئه)[٤] ، فالشعر من دون كل فنون القول فكرة جمالية ، لا تحمل بذرة فناءها في داخلها ؛ لأنها غير مستهلكة ،وفي القراءة الواعية ، نشعر إننا لا نعيد تجربة بعينها ، كان قد تجاوزها الذوق، والمعطى الجمالي في قراءة سابقة . صحيح إن القراءة الإجرائية الاولى ، تمنح النص جمالاً وأهمية ، وشعوراً طاغياً بالاكتشاف ، ونشعر أنها

استحوذت علينا ،فوقعنا تحت تأثيرها المباشر وغير المباشر ، وليس تجارب الشعر هي المعنية بذلك فقط ، بل إن تجارب الحياة كلها ، يتراجع شغفنا بها ، كلما اختبرناها لمرات عديدة ومتباعدة ، وربما استحالت تجارب بسيطة غير ذي أهمية ؛ بسبب التكرار والمباشرة ، فقد فقدت صدمتها الأولى ، وتراجعت الرغبة في تكرارها ، واندثر الفضول الجامح اتجاهها . هكذا هي تجارب الحياة وهكذا هو العالم اختبار ، وابتكار من الغموض إلى الوضوح التام ، ومن الهدوء إلى الفوضى العارمة ، وهذا يعني تراكم الخبرات ،وتبدل المزاج . لكن الشعر خبرته متجددة ومتوالدة ، ويكمن فيه حس الإحالة الذي لا ينضب ، فهو تجربة لا تكرر نفسها ، بل تكتشف العالم بأشكال وصور لا تُستنزف ، وكل مرة تقرأ فيها نصاً ، تكتشف عالماً من التوتر والغموض والمغايرة وعدم المباشرة ، وهذا عمق الشعر ، وهذه كينونته ، فهو كائن لنفسه وللآخر ، ويكمن فيه سر خلوده القائم على الاختلاف ، وهو يمثل كما يقول "أرنست فلنشر":(لازم للإنسان حتى يفهم العالم ويغيره ، وهو لازم أيضاً بسبب هذا السحر الكامن فيه)[٥] . وهو باكتشافه العالم، لا يستعاض عنه بهذا الاكتشاف ، أو تنتهي مهمته حال اكتشافه ، بل يبدأ من حيث بدأ الاكتشاف ؛ لذلك يمكن القول : إن قراءة الشعر تجربة فريدة لا تكرر نفسها ، ولا تمثل مناسبة تعاد ممارستها ،إنما هو كائن ومتجدد في فعل القراءة ، بوصفها خلقاً جديداً كأنها البدء من العدم ، فلا تنفد مادتها في القراءة ، بل تبقى تهب جمالها وغيريتها مع كل قراءة ،والسحر يكمن في الكينونة القائمة على فعل القراءة المختلفة ، (والشاعر هو الذي يعيد لهذه الكينونة حضورها الدائم ، من خلال ما يعيده للكلمات من قوة فطرية بما يهيئ لها من نسق ، ونظام خاص وجو تشع فيه ، أكبر قدراً من الصور والظلال والإيقاع)[٦] .

ثالثاً: شعراء الفضاء الافتراضي:

عجت الساحة الأدبية الشعرية العربية ، والعراقية منها بخاصة بجمهرة كبيرة من الشعراء ،وساهمت سهولة النشر ، وهنا أحيل إلى مواقع التواصل الاجتماعي تحديداً ، إلى إيصال نتاجهم إلى نظر المتلقي المتمتع غير النخبوي ، الذي أثنى بدوره على بعض تلك النصوص بعبارات الإعجاب الساذجة المبتسرة ، القائمة

على المجاملة الظرفية غير المدققة التي دفعت طائفة من أولئك النظامين ، إلى التمسك بعبارات الإعجاب تلك ، وعدوها رأياً نقدياً حفزهم على نشر ما لم يكن متوقعاً ، وما لم يكن مقبولاً على المستوى النوعي والمستوى المعرفي والذوقي ، فقد فاتهم أن يقرأوا النصوص الشعرية التراثية ، أو حتى النصوص الشعرية الحديثة ، أو يلتفتوا بعين المستأنس إلى نتاج رواد الشعر الحر العراقي المجيدين ، فقد قعدوا عن النظر فيه ، وعتوا عليه عتواً كبيراً . كتبوا نصوصاً وسموها شعراً ، مختل الوزن مستهلكة الرؤيا ، لا تجد رابطاً بين مقاطعه أو سطوره الشعرية ، وأعز ما يلفت همّة القارئ ،أن يقرأ عبارات مدح لأكاديميين ،لا ترقى أن تكون نقداً قائماً على أطر موضوعية ناجعة ، ونسوا أن الحكم النقدي على الأدب لا يتأتى إلا بجهد كبير، لكن يمكن للمدقق الموضوعي صاحب الذائقة السليمة، أن يميز الشعر الجيد من غيره ،فقد جادت لنا مواقع التواصل الاجتماعي " facebook " بنخبة طيبة من الشعراء الذين وجدوا فيه فضاء رحباً ، لنشر نتاجهم الشعري ،قبل أن ينتظم ديواناً شعرياً ، وقد أعاد هؤلاء إلى القصيدة العربية جمالها برؤيا عصرية ،وأعادوا للمتلقي ثقته الكبيرة بالشعر .

رابعاً: سمات شعره:

اتسم شعر حاتم بصدق العاطفة ،وسعة الرؤيا ، والمفارقة في كسر أفق انتظار متلقيه بطريقة محببة ، فضلاً عن المشاركة الوجدانية ، والتعاطف والصراحة والوضوح ،وهي سمات الشعر الجيد ، فالشعر الحقيقي هو الذي نتشارك فيه مع الآخر المشكلة ، ونحاول أن نجد لها حلاً . الشعر الذي يكشف لنا حقيقة أنفسنا كما هي ، لا كما نرغب أن تكون ؛ لذلك يجب أن تكون العلاقة بين النص ،وبين القارئ علاقة غير متوترة ، فلا ينبغي أن تصل إلى حدّ العجز عن الفهم ، والوعي به وعدم الإدراك ؛ لأنها ستميت النص والشاعر معاً .

كانت البساطة النابعة من ثقة عالية بالنفس إحدى سماته الكثيرة ، إذ في جلّ قصائده ، لا نجد تكلفاً ، وهذا يشي بفطرة سليمة ، فلا نجد استيهاماً أو خيالاً جامحاً ،لا أساس له من التجربة الموضعية الصادقة التي تُعد مغايرة وفذة ، إذ إن شعره في صميم النسيج الاجتماعي ، وهذا النوع من الشعر ،

يتطلب مهارة وحذقة ، فمن الصعب تطويع الواقع بمعطاه الصريح شعراً ، فذلك أدنى أن يهبط إلى اللغة التقريرية التي ليس لها من الشعر شيء ، لكنه شعر أقرب إلى مزاج متلقيه ، فهو يعالج القيم المجتمعية التي توعرت وتصحرت ، فحاول حاتم أن يستجلي عنصر القيم العليا ، ويضعها بين يدي قارئه ،وهو يؤمن بأن الشعر ليس وهماً ، بل هو امتثال لحقيقة واقعة مضت ، أو الأمل بأنها سوف تقع في المستقبل ، وهذا ما أطلق عليه " بلوم "حتمية الوقوع ، إذ وجد أن القصيدة الجيدة ، هي القصيدة التي يكون فيها نسبة كبيرة من الواقع الممكن وقوعه ؛ لأنها في حقيقتها بنية إبداعية مؤسسة على نص سابق لها ، فهي نابعة من صيرورة ما متغيرة بالكيف لا بالكم؛ لأننا لا يمكن أن نقرأ نصاً شعرياً إلا ونقرنه بغيره من النصوص الشعرية القديمة ، أو في الأقل نعتقد أنه قائم عليها ، أو هو جزء منها [٧].

خامساً: النزعة النوستالجية (الإبانة) ، أو الشوق إلى الماضي :

الماضي سيد الأزمنة ، هكذا يرى " باشلار" ونراه نحن أيضاً ، وهذا ما درج عليه مَنْ مضى من الناس ، فالماضون يعدونه زمناً ذهبياً ، يحنون إليه ، ولا يفتأون يوازنون به حاضرهم الذي يصفونه بالمقيت ؛ ولأن الحاضر نتاج الماضي وصيرورته ، لكنه لا يمثل شيئاً موازنة بماضينا ، وهو . أعني الماضي . مهما أثّر سلباً في حياتنا نبق نحن إليه ، ونعده أفضل من حاضرنا مهما بدا سعيداً ؛ ولأن جزءاً من الماضي يتعلق بذكرى الأماكن التي ضعن عنها الإنسان ، فإن أماكنه القديمة تبقى عالقة في ذاكرته ، وهو في مكانه الجديد غير المتفاعل معه ، يطوي على نفسه معتزلاً العالم ، وفي مكانه البعيد والغريب ، يظل طامحاً بالعودة إلى مكانه القديم ، وليس هذا فحسب ، بل تبقى المواقف والأشخاص مما يلحون عليه ، فيشكلون له حالة من الذكرى المؤلمة التي تحمله على العودة إليهم ، حتى لو كانت على سبيل الذاكرة .

هذا ما يُطلق عليه " الحنين إلى الماضي " ، وهو في اليونانية (نوستالجيا)، مصطلح يُستخدم لوصف الحنين إلى الماضي ، ويشير إلى الألم الذي يعانيه المريض . حصراً . أثر حنينه المفرط بالعودة لبيته ، وخوفه من عدم تمكنه من ذلك إلى الأبد ، وقد تم وصفه على أنه حالة مرضية ، أو شكل من أشكال

الاكتئاب في بدايات الحقبة الحديثة ، ثم أصبح بعد ذلك موضوعاً ذا اهمية بالغة في فترة الرومانسية ، وهو في الغالب حب شديد للعصور الماضية بشخصيتها وأحداثها[٨] . ولأن الحزن طابع حاتم الذي ميز قصائده من دون غيره من الشعراء ، فقد ارتبط هذا الحزن في كثير من معالجاته بالماضي ، وما اضمره من خوف وألم وحنين أبدي ،تمثل في وجه الحياة البسيطة ، والرغبة في العودة إليها ، وحب العائلة والتعلق بها ، بخاصة الوالدين ، وأيضاً الحنين إلى الأماكن التي كانت فيما مضى محط رحاله ، ومرتع صباه ، وكل هذا يتساوق مع حالته المرضية الملحة التي أعادت إلى ذهنه ذاكرة تلك الأماكن ، الأمر الذي يدلل على أن حاتم كان مريضاً ، ليس فقط بعلة الجسد ، بل بالحنين إلى الماضي أيضاً، بما فيه من حب وألم وخوف ؛ولأنه أصيب بمرض عضال فقد أدمن السفر ، ومراجعة المشافي ، وقد رافق هذا السفر خوف وشفقة على نفسه ، من أن تلقى حتفها بعيدة عن ديارها وأهلها ، نقرأ له قوله[٩] :

أصرخ وحدي في الرمل
راشيل تعالي يا راشيل
نغتال الخوف ونعود لقريتنا
لبستان الورد المزروع بأيدينا
يا راشيل
الغربة صلال تلدغنا
فلنرجع يا راشيل صغاراً
نرسم شمساً فوق جدار البيت نهاراً

برز الماضي في شعر حاتم بشكل ملح ، فتعامل معه بما أشره في نفسه من دلالات نفسية ،وأخرى فلسفية عميقة ،فقد مثلت رغبة الحنين الجارفة إلى الأمكنة القديمة ميزان نزوعه الوجدانية ؛لأنها فطرة النوازع الشعرية على مرّ العصور ابتداءً بالملحمة ، مروراً بالنصوص الشعرية الجاهلية التي أصبحت الوقفة على الديار ، واستذكار مرابعها وأهلها الظاعنين ثقافة وسمة نصوصهم الشعرية ، بل نصوصهم

الواقعية أيضاً ، بوصفها سلوكاً إلزامياً قسرياً ، كانت البداوة في حلها وترحالها ، قد فرضت جوانبها المعرفية فيهم ، فأصبح استذكار الديار والوقوف على عتباتها سمة شعرهم الموضوعية ، ورمزيته النافذة، ولم ينحسر وعي الإنسان تجاه الحنين إلى محل إقامته ، على الرغم من مظاهر المدنية الحديثة ، وقصر المسافات بسبب التطور التقني وسرعة الالة ، وعلى عكس ظاهر الأمر ، فقد ازدادت هواجس الإنسان العصرية تعلقاً بأماكنه القديمة ، فأصبحت بدائل توفر له جواً من الاستقرار النفسي والعاطفي ؛ ولأن حاتم أدمن السفر مرتحلاً للاستشفاء ، وما رافق هذا الترحال من خوف وأمل ضعيف بالنجاة ، فقد كان دائم الخشية من الموت غريباً تتقاذفه المحطات ، من دون أن يرى المكان الوطن مرة أخرى ، ويشم أريج شهوره .

ولأن موضوع المكان تداخل في أكثر من عنوان ، فقد تواشجت موضوعاته بدرجة عالية ، لكن طيفاً من الفصل يلوح فيما بينها ؛ ذلك هو فيصل القصد بالرؤيا التي أتاحها النص للقراءة المتباينة ، وإن بدا البعد والغربة ، والحنين إلى المكان واحداً ، غير أن النزعة " النوستالجية" ، هي خوف المريض الموت ، وعدم التمكن من رؤية بيته وأهله ، وهذا ما تعاور غربة الشاعر ، فالمرض الذي فرض على الشاعر الرحيل طالباً شفاء جعل حنينه كبيراً ، وكثيراً ما لاح له شبح الموت بعيداً ، من دون أن يحظى بفرصة لتعفير وجهه بتراب العراق ، فكانت " راشيل " عذراً مواسياً يتقاسم الفاجعة ، فليس هي مقصودة لذاتها ، وإن بدت في غير نص أملاً أنثوياً جدّ في حياته العاطفية ، فكان المرض وحده ، والخوف من سوء منقلبه ، دعاه للاستشفاع بخيالها بديلاً عن فرصة الوطن الذاهبة ، بها يهادن الموت ولا يخشاه ، وبوجهها يرتسم الوطن كأنها مكانه الذي يحن إليه حيث كان ، إذ يسفر الضوء بكل سطوعه على الظلمة ، وهي مفارقة ، إذ يبرز الضوء للمرة الأولى في نصوصه طاغياً على ظلمته التي رافقت إرهاصاته الشعرية . لم يطمح حاتم اليوم إلا بما يشفع له عند الوطن لرؤيته مرة أخرى ، فقد تحول همس نفسه المجروحة إلى صراخ يستنفر قواه الخائرة ، ويستميح راشيل عذراً ، أن ترافقه وتعيد له حظوة حضوره إلى أصله الطيني ، ممثلاً ببيته الذي وإن بدا متواضعاً ، لكنه بديل عن فردوس المكان الغريب .

ولم يكن الحنين إلى بيته ، والخوف من الموت بعيداً عنه ، ولم يكن صفة لازمة له في محنة المرض فقط، بل إن حنيناً آخر لازم مرضه ، ذلك هو ذكرياته القديمة ، واستذكاره الطاغي على صوره الشعرية ،فكانت المشافي فرصة لبعث ماضيه ، بكل ما انطوى عليه من ألم وفقر وفاقة ، فكانت هذه الذاكرة ،والحنين إليها باباً من أبواب النزعة " النوستالجية" ، نقرأ له قوله[١٠] :

حين غرق أخي ..
كانت أمي تدعو الله حتى يطفو
لكنه اشتبكت رجله بقصب القاع ولم يطف
وحين غرقت أنا بظلمة الجب ، كانت تدعو
لكنني خرجت منهوكاً..
مجنوناً
من هول الظلمة
والشمس في السماء ، ظننتها كائناً خرافياً يسرق البصر
تغّير الكثير من ملامح الذين أعرفهم
حتى الأبواب تشابهت ،والبيوت
طرقت باباً ..ثم باباً ..ثم باب
أسال عن وجه أمي
وبقايا تنورها الطيني
وزير الماء

لم يكن الحنين بوصفه النوستاليجي وحده الطاغي على شعر حاتم ، بل كان الحنين _ كما قدمنا _ بأشكاله كلها حاضراً في وجدانه الشعري ، وذاكرته التي طالما نعتها بالمثقوبة ، حتى أن بعض الماضي القريب ،كان مما يطرق عليه باب مخيلته الشعرية ، فحاتم من الشعراء الذين أصيبوا بلعنة الماضي

،مهما توفر على أمل ناقص ، أو فسحة مؤقتة ؛ لذلك كثر حنينه إليه برموزه المكانية ، وحكاياته السردية ، وشخوصه وحوادثه ، أو ربما عاد بذاكرته إلى ابعد من ذلك، إلى طفولته وتعلقه الشديد بأمه ، غير أنه في بعض النصوص ،لجأ إلى تحييد البناء الكلي للسرد الموضوعي، في سبيل إيلاء المكان أهمية بالغة ، أو إيلاء الحالين فيه ، رغبة من الشاعر في تعميق أثر الصورة ، بألفة الأشخاص والأمكنة ،وفي هذا النص الذي توفر على حكاية مأساة غرق شقيقه ، وثكل أمه له ،يمزج الشاعر بين ضياع الشقيق في ظلمات الغرق ، وهو ما يؤكد فلول عضد الشاعر وخلو جنبه ، وهو مجاز في الغربة ، وبين ضياع الذات المتبقية لأم لائبة ، وإذا كان الشقيق قد ارتحل في الأبدية ، فإن الشاعر ضاع في السجن ، وحين خرج ، تغير الوعي بالمكان والزمان ، فلم تعد الأماكن هي نفسها ، ولم تعد الشمس دليل الأمل وطريقه ، بل اصبحت كائناً خرافياً يسرق البصر ، وهنا لم يكن المكان والحالون فيه قد تغيروا واقعاً ، فالشاعر هو من تغير ، فالسجن وظلماته وعذاباته ،كفيل بتغير نمط تفكير الإنسان ، بخاصة إذا كان يحمل هماً نفسياً ، وحساسية حالمة.

اللطيف في شعر حاتم إنه بعيد عن "التلغيز" والترميز ، وليس بك حاجة إلى الغوص عميقاً باحثاً عن معان مختلفة خلف ظاهر الألفاظ ؛ لذلك فكل ما جرى على لسانه كان يعنيه ، إلا بعض ما حاول الالتفاف عليه رغبة في عدم التصريح به ، بخاصة اسباب إحباطاته الكثيرة ، واولها أسباب دخوله السجن.

في نص آخر يعاوده الخوف " النوستالجي "، فيعود قافزاً على أماكن بعينها، راجياً أن توفر له جواً من الأمل بالنجاة، بعد أن رقد في مشافي " نيودلهي " فاقداً الأمل برجاء العود[١١] :

كل اشراقة شمس أحن اليك

إلى بيتي وكتبي

إلى مقهى ، تركته يضج بأصحابي

إلى شارع المتنبي

إلى زاوية املأها بدخان سيكارتي

وأحلام الحسان

فلا تنتهي نزعته الجامحة إلى العودة إلى بيته وأهله ، مادام يشعر بالنهاية قد اقتربت منه ، فقد تعاورت عليه غربة المكان وغربة اللسان ، وشعوره الحاد باليأس ، فكيف يمكن أن يكون الشاعر غير متلهف نازح بالفكر والعاطفة نحو بيته ، شوارع كان قد وطأها متمتعاً بالصحة والقوة ؟ كيف يمكن أن يعود بالزمن إلى حيث كان ؟ إلى أمه ، وأبيه على الرغم من الحزن ، والخوف والفقر الذي كان معاشهم الأبدي[١٢] :

أحن للماضي القديم

للطين

للصغر

لوجه أمي..

وهي غافية فوق التراب

تئن من ألم العذاب

وأبي المسجى على السرير

يصبغه الحزن المرير.....

فما دام الواقع مليئاً بهذه المآسي الكبيرة ، عند ذلك يكون الماضي هو المنقذ والمخلص ، على الرغم مما يبدو على الماضي من مآسي هو الآخر ، لكن مهما كان الماضي كئيباً ،يضج بالفقر والجوع والانتظار ، لكنه أفضل من حاضر الشاعر الذي ينطلي على الموت والخوف مما هو آت.

سادساً: جدلية الضوء والظلام :

لم تخل المدونة العربية الشعرية قديمها وحديثها من ذكر لظاهرة الليل الكونية ، لما لليل من معنى وجود بالغة الأثر ، سواء على المستوى الفسيولوجي ، أم على المستوى النفسي ، وقد مثّل لبعض الشعراء هماً ثقيلاً ،يجاهدون فيه لقضاء ساعاته ، ومثّل لبعضهم الآخر فسحة للسمر واللهو ، والليل هذا الزمن

العالق في الظلمة ، تتأتى تأثيراته بحسب حالة الإنسان النفسية ، فهو ليس هماً بذاته أو لهواً ، وليس لنا أن نصنف معناه بحسب ما يفيضه علينا من هواجس شخصية ، فليس هو للمريض كما هو للمعافى السليم ، ولا للقروي كما للحضري ، ولا يمكن أن نحيطه مزايا حسنة أو سيئة ، فهو رهن بمزاج صاحبه الداخل في حلكته ، ويقيناً يمثل لبعضنا ظاهرة كونية ، تشكل جزءاً من حياتنا الفيزيائية ، ومن ثم لا يعدو أن يكون زمناً نسلك في ساعاته حاجتنا اليومية للنوم، غير أنه للشعراء ليس لغيرهم ، بخاصة الشعراء الذين ارتبطت ظلمته بمعاناتهم الشخصية ، وآلامهم وهمومهم الثقال ، وحزنهم الأبدي ، فينتاب بعضهم فيه عتمة للنفس، وشعور بالوحدة والضياع ، والملفت إن الليل أقدر على بعث الهموم في نفس صاحبها من النهار ، لما للنفس من نزوح نحو الهدوء والسكينة بعد صخب النهار ، ولأن حاتم ميال إلى إبراز جانب الظلمة على الضوء ، فقد مثل له زمناً مثالياً للمناجاة النفسية ، على الرغم من مثبطاته ، وما يجره عليه من تحفيز للذاكرة ، وقد انمازت قصائد حاتم بثنائية الضوء والظلام ، أو النور والظلمة ، أو ما يدل على ذلك من ألفاظ ، توحي ظاهراً بأنها مما يدل عليهما ، وقد جاءت هذه الألفاظ في سياقات مختلفة ، لم يستثنِ حالة من حالات نفسه التي لم تستقر إلى دعة ، إلا كان الظلام والضياء حاضرين فيها ، وللمطلع على تلك القصائد ،يرى أن الشاعر اختبر ظاهرة الضوء والظلمة في إطار محنته الكونية ، وغربته الوجودية والنفسية ، فقد رافقا أجواء الغربة ، وأجواء الحزن والسفر ، والسجن والمرض ، وحتى الحب ، وللمطلع . أيضاً . يرى أن هنالك صعوبة بالغة في قابلية الفصل ، بين الموضوعات الشعرية التي تناولها الشاعر ، فقد لا تستطيع أن تفصل بين دلالة الألفاظ في النص الواحد ، ويمكن لك أن تقرأها بوصفها دوالاً على موضوعات مختلفة ، فهي قابلة أن تكون ملائمة لمختلف الموضوعات التي تناولها الشاعر ؛ لأن الإطار الشعري الذي وضعها الشاعر فيه ، هي مما يجعلها تميل إلى أي معنى تريد تأويله في هذا النص الذي يأتي لاحقاً ، تتداخل مفردات الضوء والظلام ، مع مفردات الحزن والغربة ، والمفردات المكانية ، فتتداخل في لوحة سريالية ، هي مما يندرج ضمن الأسلوب الشعري لحاتم . نقرأ له نصه[١٣] :

الليل والنور الذي يرسم الأشباح
ووحشة الزقاق ، والبيوت النائمة
صمت الشبابيك ، والظلام
خلف الستائر ، من بعيد
لا شيء يوحي بالحياة
غير دخان السكاير وجمرتين
وصوت سكران ، يغني
الحارس يسعل من جديد
مَنْ هنااك ؟
وحده يصرخ في الفراغ
غير الجنادب والضفادع لا يجيب
وصوت سكران ، يغني
ذهب الحبيب ، ولم يعد
في كفه ، غير المدامع والنحيب
والحارس يسعل من جديد
قف

عندما تكون حساسية الشاعر عالية ، يستطيع أن يسمع لغة الوجود والأشياء ، يحاورها وتحاوره ، وليس غير الحس العالي ، والاندماج في فاعلية الكون ، قادرين على أن يخرجا نص العالم الصامت إلى فضاء اللغة الرحب ، وليس غير الشاعر قادراً على سماع همس العالم وصدى أصواته ، وترجمة لغته إلى هذه الصور الرائعة ،وليس غير حاتم بشعوره العالي بالمحيط ، وذائقته الصافية ، يستطيع أن يترجم هذه الأصوات إلى لغتها الكونية المثيرة .

وأنت تقرأ القصيدة تتداخل الرؤيا ، وتتشعب الهواجس ويلفك الحزن ، فهو طابعها الأسمى ، ويمكن لنا أن نصنف هذا النص في ضمن القصائد الباعثة على الحزن ، لما فيه من صور دالة عليه ،كالتي أشرنا إليها من قبل ، لكننا نضع هذا النص حيث ثنائية " الضوء والظلام " ، فقد لجأ حاتم إلى مسح هذا المحيط الدرامي ،ليمنح المشهد طابعه الحزين ، والباعث على الغربة والضياع ، وقد اعتاد الشاعر أن يضع تقابل الضدين " الليل والنهار ، أو الضوء والظلام ، أو الليل والنور " ، أو بعض الألفاظ الدالة عليهما " النجم ، الشمس ، النهار ، العتمة ، الضباب ، وغيرها"، وهو لا يعني طغيان أثر الضوء على تراجع عتمة الظلام ،بقدر ما يعني تراجع النور أمام الظلمة، فالأولى بالقرين" النور " المتباين مع الظلمة، يطغى لبعث الأمل ، أو للثقة بالمستقبل، أو للدلالة على أي معنى استشرافي يحدده السياق ، لكن الواضح من نصوص حاتم الشعرية ، إنه يلجأ إلى توظيف الضد، لتراجعه أمام طغيان الظلام ، فلا يكون له قيمة معنوية ، أو أثر نفسي بالغ، فقد قلل من قيمته الموضوعية الدالة على الانبلاج ، أو الأمل أو التفاعل مقابل رسوخ ظلمة الليل وتمكنها من المشاعر ، وبعثها اليأس في عموم المشهد الشعري ، لتأثيرها الحكائي البالغ الأثر في النفس الإنسانية ؛ لذلك فإن مفردة النور التي تباينت مع الظلام المعبر عنه " بالليل " ، جاءت لتزيد المشهد الشعري وحشة؛ لأنها عكست صور الأشباح في الأزقة الموحشة ، والبيوت النائمة، ثم استعار الشاعر الصمت للشبابيك ، وكذلك الظلام خلف الستائر.

إن وعي حاتم المبدع ، يرسم محيطاً للمشاهد الموضوعية ؛ ولأن الموضوع مناط بشخصية " السكران " العائد إلى داره في ساعة متأخرة من الليل ، فإن حاتم يختبر المكان بمسحه مسحاً تراجيدياً ، والشاعر يعلم جيداً أن المدينة الحديثة ، بما تتوفر عليه من بذخ عمراني ،لا يمكن موازنتها بهذا الصمت والوحشة ، وتراجع الضوء أمام طغيان الظلام الذي يحاول الشاعر أن يصوره لنا ، لكن ذاكرة حاتم المكانية ،تعود به إلى كينونته الأولى ، فيبعث من خزينها تلك الرؤى التي سكنتها ، التي لا شك أنها مما يدل على الخوف والضياع ،غير أن الغاية ،هي ليست بهذه الشخصية المحورية في الحدث ، بل الغاية في الغربة والضياع ، وعدم تقري الطريق ، ونفاد الضوء في عتمة الليل ، فلا يمكن للمشهد أن يزداد وحشة ، أو أن

يدل على موضوعه ،ما لم يظهر المكان بهذه الصورة المتقشفة جداً ، ومن اللطيف . أيضاً . في كل هذا ، أن يدلل الشاعر على الصوت المنبعث من فم الحارس ، " هنااك " بتكرار حرف الألف ، دلالة على اختراق الصوت أطر الفضاء الخالي ، والخوف الذي يختفي وراء صوته ، وامتداده وارتفاع نبرته العالية في أفق من الصمت والسكينة، وليس كل شاعر قادراً على أن يختبر هذه القابلية الكبيرة ، في تمثيل صوت الحارس ، ودلالتها على المعنى ،وانطباق اللفظ على المشهد المسرحي ، فهي بها حاجة إلى وعي شعري خلاق ، وتجربة شعرية معاشة ، ويبدو أن حاتم اختبر هذا الصوت ، وعاش تفاصيل مخرجاته الرخيمة ، وتأثر به .ومن الثنائيات قوله[١٤] :

أيتها الليلة البعيدة

تعالي ... أيتها الليلة البعيدة

فقد قارب شموعي الانطفاء

وهاجرت نجمة ، كانت تزين المساء

تعالي ... قبل أن يغمرني الفناء

ويضحك البكاء

على دمعة شريدة

الظلام الحالك

والمصابيح التي يمتصها الغروب

ساعة الضباب ، ووحشة المدينة

يخاطب الشاعر الليل عامته ، واصفاً ليلته بالبعيدة على الرغم من قربها الزمني ، والملفت إنه جعل لليل ضياءه الخاص ، أو نوره على وجه الدقة ،مشيراً إلى قرب انطفاء شموعه ، وكأنه جعل النهار بديلاً غير مرحب به ، على حساب ظلمة الليل التي وجد فيها سكونه إلى نفسه ، واطلاق هواجسه فيحكي قصة الحزن التي لا تنتهي .

إن عشق حاتم لليل مفارقة كبيرة ، ففي الوقت الذي يشكل الليل زمناً حالكاً ، مريرة ساعته بالنسبة لمن يشكون مرضاً أو حزناً ، نجد حاتماً يوازن بينه وبين ما يثيره الليل على وجه الحقيقة في نفسه من أشياء كثيرة ؛ ولأنه دائم الذكر له ،فقد حاول أن يجد سبيلاً للتصالح معه ، وإن يجد فرصة لقراءته بعيداً عن معاناته ؛ لذلك تأتي مفارقات حاتم متوالية صادمة ومثيرة ، فهو من جانب يدعو الليلة أن تأتي ، فقد قاربت شموعه الانطفاء ، وهاجرت نجمة تزين السماء ، ثم يخاطبها بوصفها ذاتاً عاقلة بقوله : تعالي قبل أن يغمرني الفناء ، كأن الخطاب موجه للضوء للنهار ، لكنه استعار حيثيات النهار ووضعها لليل ، ليبين حقيقة النهار التي لم تكن سوى ممر إلى الليل ، جسر إلى الحياة التي أرادها ، أو التي أصبحت حالكة بمحض إرادتها ، فقد جر النهار على حاتم كثيراً من العذابات ، وقد أسرف في عدها غير مرة ، أو ربما أدمن حاتم الليل بسبب سجنه ، وبالتالي كان له فرصة للحديث مع نفسه ومواساتها ، وفرصة للهرب خارج أسوار السجن ،أملاً بالحرية الحلمية .

إن كل ما انطوت عليه ذائقة الشاعر ، يندرج في ضمن حياته غير المستقرة ، هذه المفارقات _ بصرف النظر عن معالجاتها الموضوعية _ لا تخرج عن كونها ردود أفعال لطالعه ، ولأنه لم يُنصف في حياته قط ، رسم عالميين متباينين : عالم الليل ، وعالم النهار ، عالم الحاضر وعالم الماضي ، فاختار من اليوم أحلكه ، واختار من الزمن ماضيه ، لكن حاتم الذي مجد الليل وسما بساعاته ، واحترق بانتظار قدومه، عاد ليضعه في مكانه الملائم من النفس ، عاد ليعرف لنا سرّ تشبثه به ، وإن كانت الآلام كلها تضج به ، فهو رغم ذلك صديقه الأثير[١٥]:

كل الأوجاع

سببها الليل

الليل أرجوحة الألم

من علم الليل

إن القلب يضطرب

الغروب بوابة الليل

أوله حنين

وآخره اختناق

الليل سارق كبير

يختفي خلف ظلمته

الأسرار التي نخفيها

في النهار

يكشفها الليل

الليل يسرف في الشموع

إذن الأوجاع والأحزان سببها الليل ، وعلى خلاف غيره ، وعلى الرغم من ذلك يكون الليل له صديقاً ، يكشف أسراره ؛ لذلك فإن علة النهار تكمن فيما يجرحه الشاعر فيه ،حتى إذا أخذ الليل مكانه الكوني ، فتح الشاعر مخيلته لسحره ، فيستل اسراره سراً سراً ، لكنه إذا أزف وقارب الفجر على البزوغ ، أختنق وضاق به ، فالليل زمن الشاعر المثالي ، رغم معرفته الكبيرة بما يمكن أن ينطوي عليه من إثارة للحزن ، ومعاودة للألم .

سابعاً: هاجس الموت :

يُعد (الموت أهم الأفكار إطلاقاً)[١٦] ، إذ تختلف طبيعة النظرة إليه في الفن باختلاف العصور ، والموت (بمعناه الفلسفي الميتافيزيقي ظاهرة لازمت الإنسان منذ الأزل ، وانعكست في مختلف فلسفاته ومعتقداته ، فتكررت في ذات الإنسان كلما كانت تلك الذات مفرطة في حساسيتها وتوترها والتفكير في مصيرها)[١٧]. وإذا كانت (الرغبة في الخلود هي بمثابة غريزة جُبل عليها الإنسان)[١٨] ؛ فإن الموت في صميم حياتنا ،لذلك نخشاه ؛لأنه باطن ، وضرب من التناهي والعدم ، وإمكانية باطنية ، وإن كان الشعور الشخصي تجاهه واحداً ؛ لأنه سلب لإرادة البقاء بحتميته القاهرة ، وقد وقف الفن إزاء مصير الفناء معبراً عما

يرهص به الإنسان اتجاهه ، وإذا كانت الفنون التشكيلية إحدى اقدم وابرز النصوص الإنسانية المدونة التي مارس فيها الإنسان آماله في البقاء ، بعد إيمائية الرقص وإشاريته، فإن الشعر كان أعمقها دلالاته ، فقد ترجم ذلك الخوف نصوصاً إبداعية خالدة ، كشفت هواجس الإنسان الفطرية المشفقة ، وطريقة معالجاته الروحية والدينية المتعلقة به ، وقد برزت أولى المعالجات مترافقة مع الوعي السحري الذي أكتفى بنمط من التمتمات الملغزة ، والمسجعة غير المفهومة غالباً ، ليوغل بالتعمية ، ويشير إلى غموض الظاهرة، وعجز اللغة عن التصريح بكنهها ، لينتقل ذلك الرصد عبر السحر إلى الأسطورة ، الوعي الأقرب في التساؤل منه إلى الخيال ، فكان بكاء كلكامش درساً عظيماً ،عبّر عن العجز الآدمي أمام إرادة الموت القاهرة ، فاستعاض بضعفه وسقوط حجته ، خلود الأثر والأعمال ، فلا وجود للخلود بصفته الجسدية ، بل بصفت المعنوية ، مما يؤكد نزعة الإنسان الجامحة للخلود . ومضت الأسطورة حيث مضى الوعي الطفولي بها ، ثم حلّت معرفة أخرى ، لكنها نتاج المعارف السابقة ، فكان الدين مقدمة لثقافة الخلود بعد الفناء ، لكنه خلود مغاير للفهم الأسطوري ، إذ أصبحت الحياة توطئة اختبارية ،ومسرحاً مكانياً وزمانياً لأعمال الإنسان ، ورغم ثواب النعيم المغري بالجنة ، وأنهارها وثمار أشجارها وسرمدية بقاءها ، غير أن الإنسان عزف عن التيقن الحتمي ، وإن كان ظاهره مؤمناً ، فقد بقي باطنه يبحث جاداً عن مسوغ ناجع لعلة الكون .

جاءت الفلسفة ، فتشعبت الرؤيا ، وانداحت الفرضيات ،وتقاطعت بحسب توجهاتها الثقافية ، غير أن نتيجة الموت واحدة ، لا يمكن أن يكون لها معنى سوى الفناء ؛ ولأن الشعر نهاية ثقافة السرد ونتيجته ، وبداية ثقافة الخيال وخلاصته ، أحتفى بالموت متأثراً بكل ما خلصت له الثقافات الحضارية المتوالية من سحرية واسطورية وفلسفية ، لكنه أيضاً مُختلف به على مستوى التعبير والماهية ، فمن كان ميالاً للعقل وجده فناءً فيزيائياً ، ونتيجة طبيعية ،وخاتمة ضرورية تساهم في توازن الكون وبقائه ، ومن كان ميالاً لنزوعه التدينية . " وهم ندرة من الشعراء". وجده طريقاً إلى النعيم والبقاء الأزلي ، وهؤلاء تأتي نصوصهم على مستوى الفرض الخيالي غير المتماهي معه على مستوى الاجتياح والترقب ، لكن من تماهى مع

الموت ، وسلك طريقه مترقباً أن يظفر به ، فإن الوعي بالموت لديه مختلف لا محال ، فليس الذي يعيش لحظات المرض القاتل الذي يمكن أن تكون نتيجته الحتمية الموت ، مثل الذي يصف الموت غير داخل في كنهه ، وإذا كان النقد يقف على نصوص شعرية ،ضمّن أصحابها الموت ،ووصفوه رؤيا شعرية معاصرة ، بخاصة أولئك الذين نحى شعرهم منحى وجودياً ، فإن حاتم لم يكن الموت له خياراً موضوعياً ، يختبر فيه قابليته الشعرية ، بل كان يتنفسه ، ويترقب قدومه في كل لحظة من حياته التي عاشها في السجن والمرض ، فكانت تجربته الشعرية مع الموت تجربة واقعية ، فليس غريباً أن تتشح نصوصه الشعرية بالظلام والضباب والخوف والوحدة ، ونهايات الدروب الموحشة ، غير أني أجد في هذه النصوص شجاعة فائقة ، قل نظراؤها ، فهفوة الإنسان إلى قول الشعر ،تترافق مع هدوئه النفسي والعاطفي ، وتأتي التجربة تتويجاً لخوضها من قبل ، إذ يعيد المبدع ملامحها ، ثم يشرع في كتابتها شعراً ؛ فلا يستطيع أن يحرر تجاربه شعراً في خضم خوضها ؛ لأنه يبقى مشغولاً بحيثياتها وأولويات وجوده ، فتزاحم خيارات البقاء خيارات القص الشعري ، فغريزة البقاء جامحة لا توازن مع ترف كتابة الشعر ، لكن حاتم عاش المرض، وتحدى آلامه المميتة ، فالمرض بالنسبة للشاعر ليس موضوعاً ، بل معنى يعيشه ويتأثر بنتائجه ، فكانت تلك القصائد درساً في الشجاعة ، وقوة العزيمة . يقول[١٩] :

واستحال المدى إلى أجنحة تخفق
وقلب على الطوى يصفق
إذ ينزل الغريب بالمطار
يبحث عن مشفى يداويه
أو غرفة تأويه
يخاف الاحتضار
كالنيزك الذاوي يلمس الجدار
يود لو ينام فيه فلا نهار

إن اقتفاء طريق الأمل ،يمثل عنصر الشقاء في البحث الدائب عن الشفاء ؛ ولأن الطريق طويلة ومحفوفة بالمخاطر ؛ ولأن الموت رجحت كفته على الحياة ، فلا تبدو الأجواء مما يبعث الأمل ، فتشعر وأنت ترافق الشاعر بتلك الرغبة الجامحة للبقاء ، فهو يقص علينا رحلة السفر ، وكيف تصبح الرموز المكانية والزمانية مشاهد خوف وحزن ، وقد استعار الفعلين " تخفق ، وتصفق "،ليؤكد ذلك الاضطراب ، وقد تغافل عن كل ما يحيط به ، فكشف عمق الانفصال عن الآخرين في ذروة الحدث الباحث فيه عن النجاة ، لكنك تشعر . رغم ذاتية الطرح وفردية الألم . بدقات قلب الشاعر ، وعندما حلّ في المكان ،انتابته هواجس الموت ،وانقطاع الأمل ورغبة الرجوع .ولأن الموت هاجسه الذي لون حياته ، فقد تحول إلى حاجز ،يقف أمام مشاهداته كلها ، فلا يوجد شيء في هذه الحياة ، إلا كان مجدفاً باتجاه الموت ، كل شيء ينبض بغريزته[٢٠]:

الشوارع تهب الموت

الشرائع تهب الموت

الرصاص يهب الموت

الموت يهب الموت

نلوذ بالجدران وبالصمت

نخشى أن يسلبنا الموت ،آخر أنفاسنا اللاهثة

أقلّب الوجوه ،والصفحات ، والحاضر

أبحث عن سحابة ماطرة

تهب السنابل والحياة

تشتمل هذه الرؤيا على محنة الذات التي بسببها تُحدد عناصر المخالفة مع الواقع ، وليس الموقف السلبي من مظاهر الحياة علامة على خصوصية حاتم ، بل علامة على غربته الكونية ، فلا تبدو مظاهر الحياة العصرية ، ومن قبلها الشرائع ، قد تصالحت مع الإنسان بخصوصية الموت ، فقد أضمرت

وجهاً مخفياً ، وآخر ملائماً للحياة ، بل إن كل ما يندرج تحت ماهية الحياة ، يمثل مظهراً من مظاهر الموت ؛ لذلك لم تستطع الشرائع بما توفر لها من حجج غيبية ، أن تشيع تسويغاً لهذه الماهية المرعبة ، فقد أكتفت بما بعد الموت ، تاركة الموت نتيجة من نتائج الحياة ، ولا المدنية المعاصرة بكل فلسفتها بقادرة على كشف كنه الموت ، فلا طريق للهرب من الموت ، إلا بالموت نفسه . ومع كل هذه الفجيعة الفضة التي تمثل وجه الموت ، تبقى خصوصية النظرة إلى الحياة مما رسخه الموت بيقين الشاعر ، وعلى هذا تكون الحياة كلها وجهاً من وجوهه ؛ لأن الشاعر يرى الحياة من زاوية الفناء ، وليس من زاوية الحياة نفسها ، فكلنا حصاده الذي يأتي أكله تباعاً ، غير أن الفارق يكمن في الاستعداد ؛ ولأن حاتم أختبر الموت ، فقد وجد أن نظرة الإنسان قاصرة في معرفة كنه جدلية الحياة والموت ؛ لأنه لا يراها حقيقية ، بل يجب أن يراها بصورة الموت ، ويستمر مشوار الشاعر مع الموت ، نقرأ له قوله[٢١]:

وأعود أسال من جديد
لِمَ يضحك الرجل الجبان
والدمع يجري من عيون الآخرين
ومن الذي غرس العداوة بيننا
والحب والاحقاد في طرف الجفون
الأرض تعطي ما تشاء
من الثمار
والليل سيتبق النهار
والنهر يزخر بالعطاء
والكل قد كشف الغطاء
الموت آخر من تبقى
بعد الحياة

ينعم وحده بالبقاء

فيحول الشيء الجميل إلى هباء

الموت وحده مالك كل الجهات

الموت آخر منتهاه

قطف الزهور اليانعات

من الحقول

هذه خلاصة القول ، والحجة البالغة على كل ما سبق ، فليس هنالك معنى يمكن أن يلجأ إليه الإنسان ، لمعرفة هذه الفوضى العارمة التي يحدثها الموت . الحياة تسير بشكلها الجميل الرائع ، وكل شيء قد عرف سبيله وفق نواميس ثابتة ، لكن الشاعر بطبعه المشكك ، يعود بالسؤال مرة أخرى ، وكأنه ألح في غير مرة على توجيه السؤال ، لكن لا جواب له ، فعاد وكرر ،وأصر هذه المرة على سؤاله ، وقد جسد الموت برجل جبان ، يخطف البسمة من عيون الآدميين ، ويحولها إلى فاجعة وبكاء .من أعطاه هذه السلطة المطلقة التي تثير البغضاء ،والكره الذي يؤدي إلى القتل والموت ؟ كل شيء في هذه الحياة جميل ومتناسق ، ويسير بشكله التلقائي ، ما تلك القوة التي تجعله يتدخل ،ليحيل هذا الجمال ركاماً من الحزن والألم ؟ الحقيقة هي إن كل شيء فانٍ ، ولا أمل بالخلاص ، مع ملاحظة إن الشاعر أشار إلى الموت بالاسم الموصول " من " ، في جملة " الموت آخر من تبقى " ، بما يوحي بتجسيده العاقل ، فليس من الصواب أن تفنى هذه الأجساد بجمالها ،ووكدها الدائب في الحياة ، من دون أن تكون هناك قوة عاقلة ،هي من تسرق دفء الحياة من أجساد البشر ، وليس سوى الموت هو من يقوم بهذه المهمة الموغلة بالقسوة ، مشيراً إلى إن الموت هو من يملك إرادة سلب الحياة ، وليس غيره هو الباقي بعد فناء الإنسان.

الخاتمة:

ليس هذه الموضوعات وحدها ما توفرت عليها قصائد الشاعر ، بل هناك الكثير الذي لا يستوعبه البحث ،وهذه الموضوعات على كثرتها ،لا تعد أن تكون نماذج من الهم الشخصي الذي ألقى بظلاله على مجمل دواوينه الشعرية ، فالحياة التي عاشها الشاعر كفيلة بأن تطبع حياته بالخوف والحزن والحنين إلى الماضي ، فالمرض والسجن مقدمتان لتجربته الشعرية الحقيقة التي نتج عنها هذا العناء الشعري ، غير أن طابع الحنين إلى الماضي ، وشغف الشاعر الكبير بذكر ثنائية الضوء والظلام ، وتحديات الموت ، جعلت شعره يتجه هذه الوجهة الحزينة ، وقد أشار غير مرة الى تلك التجارب الكبيرة التي خاضها في حياته.

فضلاً عن هذه الموضوعات التي نلمح فيها تأثراً كبيراً بشعر الشعراء الرواد ، نجد أن شعر الشاعر، نحى منحى درامياً ، يعتمد توظيف القص في شرح تجربته الشعرية ، ويبدو أن هذا الأسلوب يضيف للقصيدة الشعرية طابعاً وجدانياً ، يدفع المتلقي إلى المشاركة ، والتأثر ومنح العمل الشعري قيمة عاطفية عالية ، على أساس أن العمل في كينونته تجربة واقعية ،عاشها الشاعر وتأثر بها ، وبصرف النظر عن طبيعة القصائد الشعرية التي توفر عليها البحث ، لكنها اُختيرت بطريقة تلائم الهدف ، والغاية الموضوعية منها . فقد خاف الشاعر على حياته وهو يرقد في المشافي طالباً الاستشفاء ، فطفق يتشبث بكل بارقة أمل ، تعيد له حياته السابقة ،ولأنه يقف إزاء الموت وحيداً ، فلم يجد في حياته ما يسفر عن أمل، ولو كان أملاً متعثراً بالنجاة ، ثم يخلص الشاعر _ بعد هذا كله _ إلى الوقوف أمام الموت ، لا يمتلك حيلة في ردة .

هذه القصائد وغيرها مثلت معجم حاتم الشعري الذي وإن حاول المروق إلى غيره ، لكنه عبثاً يحاول ؛ فقد أصبح جزءاً من التجربة التي عاشها ، وتزيى بزيها.

الهوامش:

١ . فن الشعر : ٧٥.

٢ . ينظر : زمن الشعر : ١٥٥.

٣ . ينظر : النقد التطبيقي التحليلي : ٤١.

٤ . زمن الشعر : ١٥٦.

٥ . الاشتراكية والفن : ٢٧.

٦ . في الرؤيا الشعرية المعاصرة : ٣٢.

٧ . ينظر: فن قراءة الشعر: ٤٧.

٨ . النستولوجيا لذة الوهم أم حنين لماض أفضل "مقال".

٩ . ديوان : أوراق من ذاكرة جانبية:١٠٧.

١٠ . ديوان : ذاكرة الثلج : ٥ . ٦.

١١ . ديوان : ذاكرة الثلج : ٢٣ . ٢٤.

١٢ . ديوان :وحدك منفاي وقصيدتي : ١٤.

١٣ . ديوان: أوراق من ذاكرة جانبية : ٤٣.

١٤ . ديوان :أحبك بالجينز الممزق: ١٣٧.

١٥ . ديوان : أحبك بالجينز الممزق:٦٨.

١٦ . ينظر: تهافت الستينيين أهواء المثقف ومخاطر الفعل السياسي: ٢٧٥.

١٧ . العزلة والمجتمع : ١٢٨.

١٨ . الحضارة : ١٩.

١٩ . ديوان : عند منتصف اللوعة: ٣٣.

٢٠ . ديوان : أحبك بالجينز الممزق : ١٦١ . ١٦٢ .

٢١ . ديوان : أوراق مدينة : ٣٣ .

المراجع:

١. الاشتراكية والفن ، أرنست فيشر ، ترجمة ، أسعد حليم ، دار الهلال ، ١٩٦٦.
٢. تهافت الستينيين أهواء المثقف ومخاطر الفعل السياسي ،فوزي كريم ، دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق،ط١، ٢٠٠٦.
٣.الحضارة ، دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها ،د. حسين مؤنس ، عالم المعرفة (١)، الكويت ، ١٩٧٨.د.ط
٤. ديوان ،أحبك بالجينز الممزق ، فاضل حاتم ، مطبعة الميزان ، بغداد ، ٢٠١٦، ط١.
٥. ديوان ،أوراق مدينة ، فاضل حاتم ، دار جلجامش ، بغداد ، ٢٠٢٠، ط١ .
٦. ديوان ، ذاكرة الثلج ، فاضل حاتم ، مطبعة ، الميزان ، بغداد ، ٢٠١٧، ط١.
٧. ديوان ، عند منتصف اللوعة ، فاضل حاتم ، دار جلجامش ، بغداد ، ٢٠١٩ ، ط١ .
٨. ديوان ، وحدك منفاي وقصيدتي ، فاضل حاتم ، مكتبة المكتبة ، بغداد ، ٢٠١٧، ط١ .
٩. زمن الشعر ، أدونيس ، دار الساقي ، بيروت ، ٢٠٠٥ ،ط٦.
١٠. العزلة والمجتمع ،نيقولاي برديائف ، ترجمة ، فؤاد كمال ، مراجعة ، علي ادهم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،ط٢، ١٩٨٦.
١١. فن الشعر، هيغل، ترجمة ،جورج طرابشي،ج٢، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١،ط١.
١٢.فن قراءة الشعر ،هارولد بلوم ،ترجمة ، د. باسل المسالمة ، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق ،٢٠٠٩.
١٣. في الرؤيا الشعرية المعاصرة ، أحمد نصيف الجنابي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٣،ط١.
١٤. النستولوجيا لذة الوهم أم حنين لماض أفضل ، د. عبد الله القفاري ، صحيفة الرياض ،العدد ،١٧٢٢٧ ، الرياض ، الأثنين ٢٤ / ٨/ ٢٠١٥ ، .
١٥. النقد التطبيقي التحليلي ،د. عدنان خالد عبد الله ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦،ط١.

اللغة في شعر العصور المتأخرة من ٦٥٦ _ ١٣٣٥

أ.م.د. سعد جبار الحسناوي
الباحثة إيمان عبد المجيد كريم
كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

المقدمة:

إن ظاهرة الالفاظ ظاهرة موجوده منذ أقدم الأزمان فقد تناولها النقاء العرب والغرب وفصلوا القول فيها ،فالألفاظ هي أحدى ادوات التي استعملها الشاعر ليعبر عن ما يدور في ذهنه لنقل صورة مجتمعه في المجتمع ولأهداف عديده منها التأكيد على بعض الحقائق التي يجب أن يتعرف عليها في مجتمعه ،فقد استخدموا الالفاظ معربة وفارسية وعامية فقد استطاعوا المزج بينهما بحسب الوضع الذي كان سائدا في هذه المدة المتأخرة الممتدة من ٦٥٦الى ١٣٣٥ ،فقد كانت فترة مختلطة بين المغول والعثمانيين وأقوام أخرى سمحت لهم الفرصة لاستخدام الفاظ ،فقد استخدموا الشعراء الالفاظ العامية ليكونوا قريبين على أذهان الناس لذلك عمدوا لاستخدام بعض من ألفاظهم المتداولة لديهم، عبروا بواسطتها عن الواقع المرير الذي يعشون فيه فكانت بعض الفاظهم بعيدة عن جزالة اللغة العربية الفصيحة ،ولكن كان اختيارهم ملائما للأهداف المنشودة ،فنراهم رسموا صورة حزينة ممزوجة بالبكاء والفراق ،ومصورين سيلان الدموع على خد اليتامى والارمل والثكالى، فنجحوا بتوظيف الالفاظ ذات الدلالة الحزينة ،ولقد حظيت هذه القضية إعجاب جميع الكتاب ،ولكن كانت دراسته في هذه الفترة غير شاملة ،تناولوا شعراء الفترة المتأخرة الالفاظ المتداول جميعها ولاسيما غير عربية بحكم الاختلاط الذي حصل بتلك الفترة بسب الحروب والهجرة والتجارة والتبادل التجاري والثقافي ساهم بنشر الألفاظ الجديدة وكذلك دخلت تغير على بعض الألفاظ العربية وانقرضت بعض الألفاظ وحلت محلها ألفاظ جديدة، فتمكنوا من تجسيد الواقع وإبراز تجارب الآخرين.

أولا: الألفاظ :

الألفاظ هي أساس البناء اللغوي ،وهي الاداة التي تبرز شخصية الكاتب وثقافته باختياره الألفاظ الجزلة ، وبذلك يقول أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) :((إذا أردت أن تصنع كلاما فأخطر معانيه ببالك، وتنوّق له كرائم اللفظ، واجعلها على ذكر منك؛ ليقرب عليك تناولها، ولا يتعبك تطلّبها، واعمله ما دمت فى شباب نشاطك؛ فإذا غشيك الفتور، وتخوّنك الملال فأمسك؛ فإنّ الكثير مع الملال قليل، والنفيس مع الضّجر خسيس؛ والخواطر كالينابيع يسقى منها شيء بعد شيء، فتجد حاجتك من الرّى، وتنال أربك من المنفعة. فإذا أكثرت عليها نضب ماؤها، وقلّ عنك غناؤها)) (١) ، وبهذا أبو هلال يلزم الكاتب باختيار الفاظه وان يبتعد عن المفارقات المعقدة ،وان يلائم بين المعنى والالفاظ.

إن قضية اللفظ والمعنى مسألة دار عليها النقاش قديما وحديثا فمنهم عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) حيث ربطها بالأعجاز القرآني أما حازم القرطاجني (ت ٦٣٤هـ) عدهُ منهجاً فني(٢) ، أما السيوطي (ت ٩١١) عنده يجب ان يتميز اللفظ بالفخامة والجزالة ، وملائمة اللفظ للمعنى(٣) ، وبذلك قول ابن طباطبا: ((وللمعاني ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها وتقبح في غيرها ، فهي لها كالمعرض للجارية التي تزداد حسنا في بعض المعارض دون بعض وكم من معنى حسن قد شين بمعرضه الذي ابرز فيه وكم حسن قد ابتذل على معنى قبيح إليه))(٤)

حظيت الالفاظ والاساليب بإعجاب النقاد على اختلاف نزاعاتهم وميولهم فقد جمع الشعراء العذوبة والسلاسة والجزالة والرقة التي تستمر به الالفاظ العربية ، كذلك تناولوا الالفاظ غير العربية كالأعجمية والفارسية والفرنسية وبسبب العلاقات التي كانت بينهم سواء كانت تجارية او سياسية او الاجتماعية ، وبهذا اعمدوا الى خلق تشكيل ابداعي لغوي وبذلك نجحوا بنقل خبرة الاخرين وثقافتهم عبر أشعارهم فكانت الفاظهم قوية وفخمة وغير متنافره وتميزت بالفصاحة مع خلو من البشاعة(٥) .

اللغة الشعرية هي عبارة عن اتحاد الالفاظ والمعاني تنتج هذه التركيبة موسيقى شعرية مؤثرة في النفوس ((تؤثر في اعصاب السامعين ومشاعرهم بقواها الخفية التي تشبه قوى السحر، قوة تنشر في نفوسهم موجات من الانفعال يحسون بتناغمهم معها))(٦). وبذلك قول ابراهيم انيس: ((وبدا من سحر الالفاظ في

أذهان بعضهم، وسيطرتها على تفكيرهم، أن ربط بينها وبين مدلولاتها ربطا وثيقا، جعلها سببا طبيعيا للفهم والادراك فلا تؤدي الدلالة إلا به، ولا تخطر الصور في الذهن إلا حين النطق بلفظ معين ومن اجل هذا اطلق هؤلاء المفكرون على الصلة بين اللفظ ومدلولها ، والصلة الطبيعية ، والصلة الذاتية))[٧] ، ولم يكن النقاد والبلاغيون والمفكرون انما بحثوا في صلة بين اللفظ والمعنى حتى الفلاسفة : ((وكان بجانب المفكرين طائفة اخرى من فلاسفة اليونان يرون ان الصلة بين اللفظ والدلالة لا تعدو ان تكون اصطلاحية عرفية توضع عليها الناس، وتزعم هذا الفرق فيما بعد (أرسطو) الذي اوضح اراء عن اللغة وظاهرها في مقالات تحت عنوان (الشعر والخطابة)، وبين فيها معرفة الصلة بين اللفظ والمعنى))[٨]

اللغة العربية اخذت الكثير من الالفاظ غير عربية ، منها ما ترك على حاله ولم يحدث له تغير، ومنها ما غير فيه واصبح معرباً، حيث عمد الشاعر الى توظيف هذه الالفاظ ليلائم حاجة العصر اليها ، فكان لها اثر كبير في نفوس العرب وغير العرب، موضوع الالفاظ الدخيلة على العربية تناولها علماء اللغة العربية والفوا فيها مجلدات ومنهم الجواليقي (ت٥١٦) في كتابه (المعرب في الكلام الاعجمي)، والسيوطي في كتابه (المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب) والخفاجي (ت١٣٨١) في كتابه (شفاء الغليل) وامتدت هذه الدراسة حتى العصر الحديث والمستشرقين ومنهم ابراهيم السامرائي في كتابه (فقه اللغة المقارن) ومحمد حسين عبد العزيز في كتابه (التعريب بين القديم والحديث) وتقي الدين الهلالي في كتابه (تقويم اللسانين)[٩]، حيث استخدم الشعراء هذه الالفاظ بطرق مختلفة وخاصة عندما تضيق الالفاظ بهم وتعجز قدراتهم لتعبر عن ما يريدونهم وعرف الزبيدي التعريب بأنه ((التعريب : تهذيب المنطق من اللحن، ويقال عربت له الكلام تعريبا واعربت له اعرابا اذا بنيته له حتى لا يكون في خضرمة وقيل : التعريب: التبين))[١٠]. وعرف الدخيل على انه: ((وهو الهجين والقريب الذي لا يمت بصلة في اي من جوانبه الى اللغة العربية بل هو ما دخل للغة العربية))[١١]، فمن الأسباب الضرورية لازدهار اللغة العربية المعرب والدخيل؛ ولذلك لا ثراء اللغة بالمفاهيم والمصطلحات والقضايا اللغوية التي أشغلت النقاد والبلاغيين كثيرا الملائمة للعصر[١٢] فالشاعر لابد ان يمتلك ثروة لغويه تحمل معها التغيرات والاحداث التاريخية ليتمكن

من ابراز ونقل تجارب الاخرين فالألفاظ الشعرية لم تكن حبيسة الماضي ، فالألفاظ تتغير ولكن المعنى والدلالة ثابتة ، فتنوع الالفاظ تدل على قدرة الشاعر بإيداع المعاني بألفاظ مختلفة فاللفظ له دور اساسي في رسم التجربة الشعرية ، فاهتم الشعراء بالتزاوج بين الالفاظ العربية وغير العربية وهذه الالفاظ تمنح المتلقي شعورا عميقا بالمتعة وهذا ما يسمى التطور وعرف بانه: ((هو التغير التدريجي الذي يحدث في بنية الكلمة مزامن للذي يحدث في المجتمع))[١٣].

وبذلك انقرضت الكثير من الكلمات القديمة وحلت محلها كلمات جديدة ،فكانت هناك أسباب لدخول الالفاظ منها الاعجمية الى العربية ؛ حب العجم الشديد وتعلقهم بالدين الاسلامي مما ادى الى إقبالهم إلى الأمصار العربية طوعا وليس كرها ،وحبهم بمشاركة العرب بطقوسهم واصبح هنالك تأثر وتأثير بين الطرفين ، هذا التداخل او التمازج ينطبق على جميع اللغات الاجنبية الفرنسية والاسبانية والالمانية، نتيجة الحروب وتبادل المصالح دعت الحاجة الى تعلم مصطلحات عربية واجنبية ،كذلك الهجرة والحروب والتجارة ، فكانت اهم أسباب التداخل هو الحروب ، فالحرب الصليبية نقلت الى اللغات الاجنبية الكثير من الالفاظ العربية ، فاللغة الاسبانية اخذت أكثر من أربعمائة لفظة عربية ، خاصة المصطلحات بالمنتجات الفلاحية والصناعات البحرية والتجارية ،فاللغة العربية تؤثر وتتأثر بغيرها من اللغات[١٤].

فالألفاظ المعربة أو الدخيلة تجدها كثيرة في شعر الشعراء في العصور المتأخرة أو عصر الانحطاط فاكثروا من الالفاظ الاعجمية والفارسية واليونانية والالفاظ الشعبية أو العامة ،وهناك من استخدم مصطلحات فلسفية لجذب المتلقي كالمغناطيس كقول شمس الدين الكوفي[١٥]:

جَذَبَ القُلُوبَ إلى هوه جَمالِهِ فَكأنَّهُ لِلْخَلْقِ مِغْناطِيسْ

لفظة (مغناطيس) غير عربية الاصل بل تركية ولها قدرة هائلة على جذب قطع الحديد فحقق الشاعر هدفه من خلال كلمة مغناطيس.

وكذلك قوله[١٦] :

وَقَدْ وَقَفْنا فِي الدار سُكْرى ، وَلكِنْ سُكْرُ حُزْنٍ لا سَكْرَةَ الخَنْدَرِيْس

لفظة (خندريس) معرب من رومي : وهي صفة من صفات الخمر وهي مشتقة من الخندريسه[١٧].

وكذلك قوله أيضا[١٨]:

فَما تـرَك الموت النَّبيَّ محمد ولا سَالَمَ الدَّهْرُ المَسَيْحَ بنَ مَرْيَما

اختار الشاعر اسم (مريم) هو معرب اعجمي .

وأيضا [١٩]:

تَرَدى ثِيابُ الموت خَمْرا فَما أتى لَها الليْلُ إلا وَهيَّ مِنْ سُنْدِسٍ خَضِرِ

لفظة (سندس) معربة هي الثوب المطرز.

وكذلك قول البوصيري [٢٠]:

يـرْعُونَ امؤالَ الرَّعِيّةِ بِالأذى لّوْ يُحْلَبُونَ لأشْبَهُوا الجامُوسا

لفظة (الجاموس) معربة فارسي وبالأصل (كاموش) ومعناها البقر المختلط وهو نوع من البقر أسود ضخم[٢١].

وقوله أيضا[٢٢]:

واقْـسَمَ الـترك مُنْذ سَارَتْ لا تـرَكُوا للفِرَنْجِ مَلِكا

وَمَن قَتَلَ الفِرَنْجَ اشَّدَّ قّتلٍ وَمَنْ أسَرَ الفَرنْسِيين اللعينا

لفظة (الفرنج) معرب اسم يطلق على الكفار من الفارسيين والأوربيين والأمريكيين[٢٣]

وقوله أيضا[٢٤]:

ما فرعون فيها غير موسى يسوم المسلمين اذى وهونا

موسى لفظ أعجمي معرب وأصله (موشا) (فمو) الماء و (شا) هو الشجر[٢٥]

واستعمل الشاعر ابن معتوق الموسوي لفظة (الكافور) بقوله [٢٦]:

ومقرطـق كـافور فجر جبينه يَنْشَقُ عَـنْهُ عـنْبَرٌ جَعده

وحلت لنا من تحت مسكنه خالها كافور فجر شق ليل العنبر[٢٧]

لفظ كافور غير عربي محض ويقال الأصل (القافور)[٢٨] وأصلها هندي

وكذلك قوله [٢٩]:

وغَدَتْ تَقْطِفُ الأقاحَ يَداه مِنْ رِيَاضِ الملاب والكافور

ومن قوله أيضا[٣٠]:

وأصـل الله تـربة اضـمرته بِـصَلاةٍ كـقَطْرَةِ المِهْراق

لفظ المهراق فارسي معرب [٣١] : وهنا يقصد بها الشاعر (صَبّه)

وقوله [٣٢]:

حُبْ تَرَدى بأفْواهِ الاسى فَبَكى بِدَمْعِ يَعْقُوبَ لَمّا غابَ يُوسِفُهُ

اسم (يعقوب ، يوسف) اسمان أعجميان معربان [٣٣]. وهو رمز للصبر والحب والهجر.

كذلك وظف الشاعر البوصيري لفظة جواهر وكذلك إسم نوح وأيوب ويعقوب بقوله [٣٤] :

وَبه نُوحٌ دَعـا فِيْ فـُلْكِهِ فأغاثَ الله قَوماً وألـسَفينا

وشفى أيوب من ضر كما سِرُ يَعْقُوبْ وَقَدْ كانَ حَزِيْنا

نوح وأيوب ويعقوب اسماء معربة غير عربية .

وقد وردت لفظة شطرنج كثير في هذه الفترة وفي ذلك قول ابن نباته [٣٥]:

افديه لاعب شطرنج قد اجتمعت في ملكه من معاتبي لحسن اشتا

وكذلك قول صفي دين الحلي [٣٦]:

فاجل شِطْرَنْج هُنالِكَ بِعْتُهُ بِأَقَلَ مَا ابْدَتْهُ كَعْبَة تَرُدَه

الشطرنج (بفتح الشين) لفظ معرب تمثل دولتين متحاربتين وافرادها ملكين ووزرين والقلاع والجنود فهي ليست [٣٧] عربية واختلف في أصلها بين الهند والصين والارجح انها من الهند.

وكذلك قول ابن نباته أيضا [٣٨] :

لاعِبُ شَطْرَنْجٍ بِفَصْلِ الشِتا عَشِقْتَهُ وَيْلاهُ مِنْ بُهْتِهِ

وكذلك في قول الجزار [٣٩]:

ومِنَ الزَمْهَرِيْرِ اذ أحْدَثَ الغَيْمَ شَبابي وَطَلَيسان هَواء

(طليسان) يفتح اللام ، والجمع طيالسة ، وهو لفظ فارسي معرب ومعناها (الثوب) [٤٠]

وكذلك قول الوراق[٤١] :

هذا وجُوخَتِي الزَرْقاءَ تَحْبِسُها مِنْ نَسْجِ داودَ فِيْ سَرْدٍ وَاتْقان.

الجوخة معربة وهي بمعنى ثوب من الصوف[٤٢].

وقول ابن نباته [٤٣] :

هَلْ لَثْمَةٌ الـراحْ عِنْدَ فـمَنٍ وَعِـنْدَ عـاذِلي الـغَيْرانِ كَالبَنْجِ

واستعمل الشاعر كلمة البنج وهي نوع من أ نواع المخدرات المستعملة في الطب: وهي لفظة معربة[٤٤].

وأحسن ابن نباته في توظيف كلمة أو لفظ (إيوان) في شعره بقوله [٤٥]:

وكـأنما كيوان فِي آفاقِهِ أعْمَى يُسَائِلُ عَنْ عَصَا الجَوْزَاْء.

لفظ (إيوان) لفظ أعجمي ويقال أهل اللغة للتخفيف (اوان) وهو معرب [٤٦]

وكذلك قوله[٤٧] :

قِيراطْ وَصْل كُنْتُ اجْعَلَهُ عَلى قِـنْطارِ هِجْران بِـغَيـرْ ذاتِـه

لفظ (قيراط) أعجمي معرب وهو نوع من النقود [٤٨].

ومن الالفاظ التركية التي عمد ابن الجزار في شعره بقوله[٤٩] :

وَيَـلِظُنِي اذا مَـا قُلت الطَـعْنَ وَيَـرْمُقُنِي اذا مَا قُلْتُ (بَرْمَق)

وتـسْقِطْ حُرْمَتِي ابَدا لَدِيهِ فَلَوْ أنّـي عَطَشْتُ لَقَالَ (شَمْق)

وردت لفظة (برمق) بمعنى (عمود) ولفظة (شمق) بمعنى زبد الفم مختلط بالدم.

واستعمل صفي الدين الحلي لفظة (اسطبل) و (اصطبل) بقوله [٥٠] :

رَأى فَرَسـي اسْطَبلَ عِيْسى فَقالَ لي قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ

وكذلك ابن دانيال استعمل الالفاظ الفارسية بقوله [٥١] :

وَللبَنْجْ فَعْلَ البَنْج فِي اللُبْ مَا بُد والهاك عَنْ صَوْمِ الفَرِيْضَةَ والفطْر
إذا ما بَدا للدوَّ شـكلان أمسيا أليفين وَصَلا لا يَـراعان بِالهـجْر
قـالَـتْ الـنّاسُ قَبْلَها ما بَلغنا إنَّ بَحْرا يَحُوزَهُ (قربوس) [٥٢] [٥٣]

حيث استعملوا شعراء العصر المتأخر كثير من الالفاظ المعربة وخاصة الفارسية وذلك بسبب كثرة الاختلاط بهم.

وكذلك لم يجعلوا شروط الفصاحة مقياسا في كتاباتهم فاستعملوا الالفاظ العامة والحوشية كقول البوصيري [٥٤]:

اجْـزُوا الـيَهُوْدَ بِصَلْبة خَيْراً وَلا تُـخْزُوا يَهُوذا الآخْذِ البَرطيلا
واخشَ الدّسَائِسَ مِنْ جُوْعٍ وَمِنْ شَبَعٍ فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌ مِنَ التَخمِ [٥٥]

كذلك قوله [٥٦] :

أهْوى وَالمَشِيبُ قَدْ حَالَ دُوْنَهُ وَالتَصَابِي بَعْدَ المَشِيْبِ رُعُوْنَة

فكلمات العامة التي استعملها الشاعر (برطيل، دسائس، ورعونة) هي كلمات من الحياة اليومية التي تستعملها الناس وذلك فقد خرج عن معيار الفصاحة. وهذا سبب الاختلاط وتلبي حاجة العصر.

وكذا ابن دانيال بقوله [٥٧] :

ذابَ قَلْبُ الطَاحُونِ شَوْقاً وَللقفـ ـة دَمْعٌ لَها بِذِي ألْفٍ غَسْلَه
وَرَأيْتُ الأطْفَالِ مِنْ عَدَمِ الخبـ ـرِ تَلضّى وَلَو عَلى قُرْصِ جَلّه

وأيضا يقول [٥٨] :

هاتِ اخْلَفَ الله عَلَيْكَ بِالــعَطاء المُبْذَلْ
ولا تَـمْشِيني ولا تَـرْدَنــي ذا خَجَلْ

الفاظ (قفة ، وقرص جله ، اخلف الله عليك) الفاظ عامية استعملها ليعبر بها عن قصده وتكون قريبة على المتلقي المظلوم.

وكذلك قوله يرثي حمارة [٥٩]:

مَا سُقْتُه فِي الشَوْقِ الا تَغَامَزَتْ عَلى أخْذِهِ مِنِي كلاب المَسَأْفط

قَضَى فربوع الزبل مِنْهُ دَوَارِس وقَدْ نَسَفَتْها رِيْحُ تِلْكَ المَفارِط.

فابن نباته المصري قد راعى جميع المستمعين و باختياره الفاظ عامية شعبية وصاغها صياغة جميلة مثلا سيوظف اسم الاشارة (ذاك) وهي مفهومة عند الخاصة والعامة بقوله[٦٠]:

وَرَثْتُ اللَفْظَ عَنْ سَلفِي وَاكْرِمْ بـآل نـباتة الغُرُ السُراة

فلا عَجَبُ اللَـفْظِ بِحَيْثُ يَحْلُو فَهذا القَطْرٌ مِنْ ذاك النَبات

وكذلك قوله[٦١] :

حُبُهَاْ تَحْتِي وَفَوْقِي وَيَمِينِي وشِمَاْلِي وَامَاْمِي وَوَرائِي

فَهي ستي جهاتي وليدها سَيْدِي مِنْ حَيْثُ وِدِي وَوَلائي

فكلمة (ستي وذاك) لا تحتاج منها الرجوع الي المعاجم العربية فهي مفهومة المعنى.

ومن قوله أيضا [٦٢] :

سُكْراً أحْبَطْت أبارِيْقَ المَدامِ بِهِ فَرَجْعَتْ صَوْتَ تَمْتَأْمِ وَفأفأ

فلفظة سكر مفهومة لدى الخاصة والعامة.

قد أتى شعراء هذا العصر بكثير من الالفاظ الغريبة عن لغة عصرهم ومن ذلك قول البوصيري [٦٣] :

لـَم ارَّ مِنْ قَبْلِ وقُوفِي عَلى مَـاْ قَـاْلَ شـبّاباً بِقِرْطـاس

ويُعْجِبُهُمْ من جد جديه بطرس وَيُحْزِنُهُمْ مَنْ جَدَ جَدَيْهِ جحدر [٦٤]

فلفظة (قرطاس ،وبطرس) لم تكن موجودة في المعجمات ولكن يوحي معناهما بأنه من الصول اليونانية

وظف الشاعر ابن دانيال الالفاظ التركية كما وظفها الشاعر فضولي البغدادي ، تحمل معاني مختلفة بالعربية معنى وباللغة التركية معنى اخر.

ومن ذلك قوله[٦٥] :

اسمراً لذكرك بين الأكواشي يَسْعَى وَهُوَ كَر لِكُلِ خَشَني يَموس

لَيْس تَعْمِي كش المَزِيَـة الا مِنْ مَها الرَصْفِ او فَتَى سالوس

فالأكوش معناها الفزع الشديد[٦٦] المسوس : التبخر[٦٧] .

وكش : معناها الوت الذي يصدر عندما تحك الافعى جلدها، فالصوت الصادر يسمى (كش)[٦٨]

كذلك صفي الدين الحلي يذكر و يستخدم الفاظ ليس من اللغة العربية حيث قال فيها[٦٩] :

إنّـما الـحَيزَبونُ والـدّردَبيـسُ ، والـطَّخَا والـنُّقاح والعَطلَبيسُ

والسّبَنتَي، والحَقصُ، والهِيق والهج رسُ والطرقسانُ والعسطوسُ

لـغة تَـنْفُرُ الـمَسامِـعُ مِـنْها حِيْنَ تُروى وتَشمَئزّ النّفوسُ

وقَـبِيحٌ أن يـذكرَ الـنافرُ الوحـ شيءّ منها ويـتركَ المأنوس ايّـنَ

قَـولي هــذا كَثْيِبٌ قَدِيْم ومَقالِي عَقَنْقَلْ قَــدْمُوس

النتائج: توصل البحث الى نتائج نوجزها بما يأتي:

– أظهرت الدراسة للغة التي كان يستعملها الشعراء في تلك العصور فكانت الالفاظ وأنواعها من المعرب والدخيل صفة بارزة في لغة الشعراء .

– استطاع شعراء هذه الفترة من الاستفادة من الخلط الحضاري بتوظيف الالفاظ المعبرة في خلق شكل إبداعي بلاغي ولغوي في نقل صورة صحيحه عن الواقع ونشر أبرز الالفاظ الذي دخلت في هذه الفترة فاللغة العربية كسبت وفقدت في أن واحد حيث انقرضت الفاظ ودخلت ألفاظ ،وبهذا فقد برعوا بتجسيد الواقع كما هو من دون تصنع أو زخارف فكانت الفاظهم مفهومه ساهمت بنشر وفهم شعرهم في هذه الفترة الممتدة من ٦٥٦ الى ١٣٣٥ .

الهوامش:

١) الصناعتين :٢٥٥\٣

٢) ظ: فلسفة البلاغة : د. رجاء عيد : ١٨١.

٣) ظ :الأتقان في علوم القرآن :٨٩.

٤) عيار الشعر : ١٢.

٥) ظ :شعر طرفة بن العبد بين ناقديه القدامى و المحدثين : زهراء عثمان : ٢٠-٢٤ .

٦) فصول في الشعر ونقده: شوقي ضيف:٢٨.

٧) دلالة الالفاظ: ٦٢.

٨) المصدر نفسه: ٦٣.

٩) ظ:مظاهر الدخيل في اللغة العربية :سليمان حشاني :٦-٧

١٠) تاج العروس : ٣ / ٣٩٩

١١) التطور الدلالي والتطور الصوتي في اللغة العربية :احمد علي ابراهيم :٣.

١٢) ظ : للغة الشعر السعودي الحديث:هدى صالح، ٨٩.

١٣) ظ : دروس الدورات التدريسية لمعلمي اللغة العربية : عبد الرحمن ابراهيم الفرزان واخرون.:١٩

١٤) ظ: تأثير اللغة العربية في غيرها من اللغات : ليلى صديق : ٩١-٩٣.

١٥) ديوانه : ٣٨٧.

١٦) فوات الوفيات : ١٠٤/٤.

١٧) ظ: المعرب في الاكلام الاعجمي : الجواليقي : ٦٥.

١٨) ذيل مرآة الزمان : قطب الدين اليونيني (٧٢٦ هـ)، ٣ \ ١٥-١٦.

١٩) ديوانه : ١١٠

٢٠) ديوانه : ١٢٤.

٢١) ظ:المعرب في الكلام الاعجمي : ٥٦.

٢٢) ديوانه: ٢٢.

٢٣) ظ:المعرب في الكلام الاعجمي : ٣٥٦.

٢٤) ديوانه : ٢٢٣.

٢٥) ظ:المعرب في الكلام الأعجمي : ٣٤٥

٢٦) ديوانه : ١٣

٢٧) ديوانه :٣١

٢٨) ظ:المعرب من الكلام الاعجمي :١٥٠

٢٩) ديوانه : ١٦

٣٠) ديوانه :٢٠

٣١) ظ:معجم الفقهاء :محمد رواس:٤١٥

٣٢) ديوانه : ٢٠

٣٣) ظ:المعرب من كلام الاعجمي: ١٥٦

٣٤) ديوانه : ٦٥.

٣٥) ديوانه :٥٢

٣٦) ديوانه : ١٤٣

٣٧) ظ:المعرب في الكلام الاعجمي : ٣١٧

٣٨) ديوانه : ٧٨.

٣٩) المغرب قي حلى المغرب: ٢٠١

٤٠) ظ:معجم لغة الفقهاء :٢٢٩

٤١) تقرة التأثر على المثل السائر:الصفدي: ٣٢٧

٤٢) معجم لغة الفقهاء : ٢٢٩

٤٣) ديوانه : ٩٤

٤٤) ظ: معجم لغة الفقهاء : ١١٠

٤٥) ديوانه : ١٨

٤٦) ظ: المعرب من الكلام الاعجمي : ١٦

٤٧) ديوانه : ٧٨

٤٨) ظ: المعرب من كلام الاعجمي : ١٣٨

٤٩) ديوانه :٥٢

٥٠) ديوانه :٥٢

٥١) المختار من شعر ابن دانيال : ٢٣٣.

٥٢) القربوس : لفظة تركية معناها (حنو الفرس) : ظ: المختار من شعر ابن دانيال : ١١٧.

٥٣) المصدر نفسه : ١٧

٥٤) ديوانه :١٠

٥٥) المصدر نفسه : ١٣.

٥٦) المصدر نفسه : ١١٥.

٥٧) المختار من شعر ابن دانيال : ٧٨.

٥٨) المصدر نفسه : ١٢٧

٥٩) المصدر نفسه : ١٦٠.

٦٠) ديوانه : ٨٠

٦١) المصدر نفسه : ١٦

٦٢) المصدر نفسه : ٥

٦٣) ديوانه : ١٢٢.

٦٤) المصدر نفسه : ١١٦.

٦٥) المختار من شعر ابن دانيال : ٨٤

٦٦) ظ:لسان العرب : مادة (كوش) :٧١/١٣

٦٧) ظ:المصدر نفسه : مادة (سيس) : ١٤/ ١٥٧

٦٨) ظ:لسان العرب :مادة كشش: ١٣ /٧١

٦٩) ديوانه :٦٢٤

المصادر والمراجع:

- القران الكريم.

١. الإتقان في علوم القرآن : السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (٩١١هـ) : تحقق : محمد ابو الفضل إبراهيم ، وصححه وأخرج أبياته: محمود سالم هاشم ،مكتبة فخر الدين ،د.ط، د.ت.

٢. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد عبد الرزاق الحسيني ابو الفيض ، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، د. ط، د.ت.

٣. دلالة الالفاظ :ابراهيم انيس :مكتبة الأنجلو المصرية –مصر ط٥، ١٩٨.

٤. ديوان ابن معتوق الموسوي : الشيخ عبد الله بن معتوق القطيفي (ت ١٣٦٢ هـ) : تقديم الفاضل علي الشيخ منصور المرهون ، المطبعة الحيدرية في النجف ، د.ط ، ١٩٥٦م – ١٣٧٥ م.

٥. ديوان ابن نباتة المصري : جمال الدين (٧٦٨٩): دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، د.ط ، د. ت.

٦. ديوان البوصيري :نظم شرف الدين ابن ابي عبد الله بن سعيد البوصيري (٦٩٦هـ) تحقيق :محمد سيد كيلاني ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ،ط١: ١٣٧٤_١٦٥٥م

٧. ديوان شمس الدين الكوفي (ت ٦٧٥ هـ): ،تحقيق أ.د. ناظم رشيد شيخو ، دار الضياء، عمان الاردن ، ط ١: ٢٠٠٦

٨. ديوان صفي الدين الحلي (٧٥٢هـ): تحقق محمود رزق سليم، دار المعارف ، مصر ، د. ط ، ١٩٦٠.

٩. ذيل امراة الزمان : ابو الفتح اليونسي (ت ٧٣٦هـ) دار الكتب الاسلامية – القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٢م.

١٠. الصناعتبن : ابو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل (٣٩٥هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ،دار الاحياء الكتب العربيه ، ط١,١٣٧١-١٩٥٢

١١. عيار الشعر : إبن طباطبا محمد أحمد العلوي ،دار الكتب العلمية –بيروت ،د.ط،١٩٨٢م.

١٢. فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور : رجاء عبد منشاة ، المعارف بالاسكندريه،ط٢،د.ت.

١٣. فوات الوفيات والذيل عليها: محمد بن شاكر الكُتُبي (١٣٦٣) تحقيق: إحسان عباس ،دار صادر –بيروت ،د.ط،١٩٧٣.

١٤. لسان العرب :ابن منظور ،دار المعارف، كورنيش النيل –مصر د.ط،١١١٩

١٥. المختار في شعر ابن دانيال الحكيم شمس الدين الموصلي الكحال تحقق و علق عليه : محمد نايف الدليمي ، مكتبة بسام بالموصل ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م

١٦. معجم لغة الفقهاء : محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي: دار النفائس،ط١-١٤٠٤هـ-١٩٨٥م.
١٧. المعرب من الكلام الأعجمي (على حروف المعجم) : ابي منصوب موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي (٥٤٠): وضع حواشيه وعلق عليه : خليل عمران المنصف :دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان، ١٤١٩-١٩٩٨م.
١٨. نصرة الثائر على المثل السائر : صلاح الدين الصفدي (٦٩٦هـ) ، تحقق محمد علي سلطاني ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ،د.ط ، ١٩٧٢م.

الرسائل والأطاريح الجامعية :

١. شعر طرفة النقد القدامى والمحدثين : زهراء نهاد العيساوي ،كلية التربية للبنات ، جامعة الكوفة ،٢٠١١-١٤٣٢.
٢. لغة الشعر السعودي الحديث (دراسة تحليله نقديه لظواهرها الفنية) : هدى صالح عبد العزيز الفايز ، كلية العلوم والآداب –جامعة القصيم، ١٤٣١ هـ -٢٠١٠م.
٣. مظاهر الدخيل في اللغة العربية (دراسة في الاساليب المعاصرة) :سليمان حشاني ، جامعة محمد خضير، بسكره ، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ،١٤٣٣-١٤٣٤ -٢٠١٢-٢٠١٣

المجلات:

١. تأثير اللغة العربية في غيرها من اللغات : ليلى صديق : جامعة مستغانم ، الجزائر ، مجلة حوليات التراث ، العدد ٥ ، ٢٠٠٦م.
٢. دروس لدورات المعلمي اللغة العربيه :عبد الرحمن إبراهيم واخرون ،مؤسسة الوقف الاسلامي :١٤٣٣م.

أبو الحسن سهل بن محمد الأزدي الغرناطي (٦٣٩هـ) حياته وآثاره من الشعر والنثر

أ.م.د. عارف عبد الكريم مطرود
كلية الآداب/ جامعة البصرة

حياة سهل بن مالك //

نسبه // أبو الحَسَن ، سَهْلُ بنُ مُحَمّد بن سَهْل بن مُحَمّد بن أحمدَ بن إبراهيمَ بن مالكٍ (١) البارقيّ الأَزْديُّ * ، الغَرْناطيُّ ** (٥٥٩-٦٣٩هـ = ١١٦٤-١٢٤٢م) .

مولده // سنة تسعة وخمسين وخمسمائة (٢) .

وفاته // توفي بغرناطة منتصف ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وستمائة ، وذكر ابنُ الأبّار (٣) أنَّ وفاته كانت سنة أربعين وستمائة ، وليس بصحيح(٤) ، ودُفن بمقبرة شقستر(٥) .

حفيده // العالم محمّد* بن محمّد بن سهل بن محمّد بن سهل الأزديّ الغرناطيّ (٦٦٢هـ – ٧٣٠هـ) ، حفيد العلامة سهل بن محمّد ، يُكنى "أبو القاسم" زعيم ، من أهل غرناطة . وله أخ اسمه أيضاً "محمّد"* .

أقوال العلماء والأدباء فيه وفي عِلْمه //

لقد اعطى لسان الدِّين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) عنوانا أطلق عليه " ومن ترجمة الأعيان والوزراء والأماثل والكبراء " ، وجعل أوَّلهم العلاَّمة : سهل بن محمّد بن سهل بن مالك بن أحمد بن إبراهيم ابن مالك الأزديّ ، وعدَّه صدر هذا البيت ، وياقوتة هذا العقد ، وقال : كان رأس الفقهاء وخطيب الخطباء البلغاء ، وخاتمة رجال الأندلس ، وقد تفنّن في ضروب من العلم ، وبالجملة فحاله ووصفه في أقطار الدنيا ، لا يجمله أحد ، فحدّث عن البحر ولا حرج ، ضنّ الزمان أن يسمح برجل حاز الكمال مثله (٦) .

وقال ابن عبد الملك المراكشيّ (ت ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م) : ((كان من أعيانِ مِصرِه ، وأفاضلِ عَصْرِه ، تفنُّناً في العلوم وبراعةً في المنثورِ والمنظوم ، محُدِّثاً ضابِطاً عَدْلَا ثقةً ثَبْتاً حافظاً للقرآنِ العظيم مجُوّداً له ، متقدِّماً في العربيّة ، وافرَ النّصيب من الفقه وأصُولِه ، كاتباً مُجيدَ النَّظم في مُعرَب الكلام وهَزَليّه ، ظريفَ الدُّعابة مليحَ التندير ، له في ذلك أخبارٌ مُستطرَفةٌ متناقَلة ، ذا جِدَةٍ ويَسَار ، متينَ الدِّين تامَّ الفَضْل واسعَ

المعروف عميمَ الإحسان ، تصَدَّق عند القُرب من وفاتِه بجُملةٍ كبيرة من مالِه ورِباعِه ، وله وِفادةٌ على مَرّاكُش ، وامتُحِن بالتغريب عن وطنِه ببَغْي بعض حَسَدتِه عليه ، فأسكِنَ مُرْسِته مدّةً طويلة إلى أن هلَكَ بالمَرِيّة أبو عبد الله محمّدُ بن يوسُف بن هُود المدعو بأميرِ المسلمينَ الملقّبُ بالمتوكِّل على الله آخِرَ جُمادى الأُولى سنةَ خمسٍ وثلاثينَ وست مئة، فسُرِّح أبو الحَسَن سَهْلٌ إلى بلِده في رمضانِ السنة ... وكان كريم النفس ، فاضل الطبع ، نزيه الهمّة ، حصيف الرأي ، شريف الطباع ، وجيها ، مبرورا ، معظّما عند الخاصة والعامة)) (٧) " رحمه الله رحمة واسعة " .

وقال عنه الرُّعينيّ (ت٥٩٢هـ) : ((شيخُنا أبو الحسن هذا من عِلْية الأعلام ، وبقيَّة المشيخة الجلَّة الكرام ؛ قرأ كثيراً وسمع ، وتقدَّم في كثير من المعارف وبَرَع ، وسما قدرُه في الأكابر وارتفع ، مَفْخرة بَلَده وسِواه ، ورَوْضُ علمٍ وأدبٍ تَكْلَف به النفوس وتهْواه ، طال عمره ، وطاب ذكْره ، وعمَّ إحْسانه وبرّه ، وعظم بالصدقات التي بذلَها عند وفاته أجْرُه . صحبتُه – رحمة الله عليه– زماناً طويلاً ، وخبرت منه ديناً متيناً ، ونظراً في المقولات أصيلاً ، ومذْهباً في اقتناء الفضائل جميلاً ؛ وقرأتُ عليه وسمعت منه ، وكثُر حظي في الأخذ عنه ، وأفادني جملةً كبيرة من نظمه ونثْره ، وجلا عليَّ من ذلك المحاسنَ التي فاق بها أهل عَصْره . قرأتُ عليه بلَفْظي جامع البُخاري ، وسُنَن أبي داود ، وأكملت الكتابيْن عليه ؛ وقرأتُ عليه الملخَّص للقابسيّ ؛ وسمعت عليه أكثر الموطَّأ ، وقرأت بلفْظي ما فاتني منه ، وكان يمسك على أُصوله العتيقة ويصيخُ إليَّ بسمعه ، ويُريني كلَّ سطرٍ أقْرأُه عليه بإصبعه ، وربَّما قرأ عليَّ بلفظه مواضع مواضع يلحقُه الشَّكّ في سماعة لها ، للثّقل الذي كان في سَمْعه ، نفعه الله ، فلم يكن يُسامح في شيء يقع الشَّكّ فيه عِنْدَه . وحدَّثني بالسُّنن والمُلخّص عن أبي القاسم حُبَيْش ، قراءةً منه عليه بسنده فيهما ؛ وحدَّثني أيضاً بالموطَّأ عن أبي عبد الله الفخَّار سماعاً عليه ، وبالموطَّأ قراءة عليه ، وحدَّثني أيضاً بالموطَّأ عن أبي القاسم السُّهيليّ قراءةً عليه ، وقرأ عليه السَّير ، وسمع عليه كتابَه في شرحها ، المسمى بالرَّوْض الأُنُف ، إلاّ يسيراً فاته منه ، وجمع عليه السَّبع في سورة البقرة خاصَة ؛ وقرأ عليه الأشْعار السته ؛ والحماسة ؛ وأكثر كتاب الإيضاح ؛

وعلى أبي عبد الله بن حميد النوادر لأبي عليّ القالي ؛ ومقامات الحريري ؛ وبعض الإيضاح ، تفقّها ؛ وسمع على أبي العبّاس بن مضاء بعض كتابه المسمى بالمُشْرق في النحو)) (٨) .

وقال صاحب القدح المعلّى (ت ٦١٠هـ) : ((لو لمْ تأت غَرناطة إلاّ بهذا الجليل المِقْدار ، لكان حَسبها في العلم والجُود والرياسة وجميع أنواع الافتخار . برع في العلوم الحديثة والقديمة ، وبَنى له ببلده أعْظَم أُرومة ؛ وأكتسب العزَّ والمال ، وبلغ بين نُظرائه مبلغ الكمال . وكانت له وِفادات على الملوك . له في الخطابة مشاهد مشهورة ، ومقامات مذكورة . وكان أبو عبد الله بن عيَّاش* إذا جرى ذكره يقول : هو رجل الأندلس ، ما وَفد على الحضرة مثلُه ... ولمّا محمّد بن يوسف بن هُود* بالأندلس ، صار العقد والحل بغرناطة إليه ، والاعتماد في أمور المملكة عليه ، إلّا أنَّه كان مُنزه الخاطر عن ذلك ، لو لَقِيَ أَمةً وكْعاء خاطبها بما حضره من غير تريُّث ولا استنكار ، كثير التواضع والاختصار ؛ ولا يَرُد نادرة لو أنَّها قاضية بحتْفه ، جرياً على المعهود من خفة روحه وظَرْفه)) (٩) .

وجاء عن أبي جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطيّ (ت ٧٥٧هـ) ، أنَّه قال فيه : ((وكان "رحمه الله" أديباً كاتباً بارعاً ، مُفوهاً لسناً ، يخطب ويتكلّم عن السلاطين بديهاً من غير رويّة ، مع مشاركة في فنون العلم ، وجمعه بين منظوم منها ، ومفهوم إلى سجاجة أخلاق ، وكرم نفس ، وحسن عشرة ، فاق بها أقرنه ، فكان " رحمه الله" من آخر رجال الأندلس علماً وفضلاً ، وجزالةً وكرماً ، معظَّماً عند السلاطين ، معلوم القدر لديهم)) (١٠) . وقال المقّريّ التلمسانيّ (ت ١٠٤١هـ) ، أنَّ ((سهْل بن مالك إمام الآداب)) (١١).

وقال عنه ابن سعيد المغربيّ الأندلسيّ (ت ٦١٠هـ) ، أنَّه كان : ((أحد علماء القرن السابع وأدباءه ، وهو أستاذ ابن الأبَّار)) (١٢) ، وقال ابن سعيد هذا أيضاً عنه : هو ((الفقيه المتفنن ... من علماء زمانه وأدباءهم المعدودين)) (١٣) .

وقال عنه ابن الشَّعَّار المُوصليّ (ت ٦٥٤هـ):(كان من العلماء الأفاضل المتفنّين في عصره ، إماماً في البلاغة ، والخطابة ، والشعر ، والكتابة ، قادراً على إنشاء الكلام نظماً ونثراً ، فقيهاً مالكيّ المذهب ، عارفاً بأصول الدِّين ، وأصول الفقه ، مقدماً في علم الأدب والعربية ، مبرزاً في علم المنطق والجدل)) (١٤) .

وقال فيه ابن الأبَّار البلنسيّ (ت ٦٨٥ هـ) : ((وكان من جلَّةِ العُلماءِ الأدباءِ والأئمَّةِ البُلغاءِ الخُطباء ، معَ التفنّن في العلوم والتصرُّف فيها ، رئيساً في بلدهِ ، مُعظَّماً جواداً مُحبَّبَاً)) (١٥) .

ووصفه ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ) بأنَّه : ((من أصل كريم يتيه على النجم ويشمخ ، ويفخر على الصبح ويبذخ ، وكانت له قدرة على تشقيق الكلام ، وتحقيق ما يؤخذ عن مثله من الأعلام . كان لو شاء نزف البحار لما بلَّت بها اليد ، أو نسف الجبال ، لم يلقها طرفة العين مِرْوَده . رحبت به بقعة المسلمين بالأندلس ، وكانت كالضريح ، وأفهمت معارضيه ، فكادت تكون كالصريح ، ناهيك من رجل يزداد شغفاً به كلَّما فحص فاحص ، وَشَرَفاً بأدبه كلَّما تطلَّع إلى النجوم شاخص)) (١٦) .

وقال فيه ابن فرحون (٧٩٩هـ) أنَّه : ((كان رأس الفقهاء ، وخطيب الخطباء البلغاء ، وخاتمة رجال الأندلس ، تفنَّن في ضروب من العلم ، وبالجملة فحاله ووصفه في أقطار الغرب – بل وفي غيرها من الشرق – لا يجهله أحد ؛ فحدِّث عن البحر ولا حرج ! ضنَّ الزمانُ أن يسمح برجلٍ حاز الكمال مثله)) (١٧) .

وقال عنه عُمر رضا كحالة (ت ١٤٠٨ هـ) أنَّه : ((محدَّث ، أديب ، ناثر ، ناظم ، فقيه ، أصولي ، عالم بالعربية)) (١٨) .

وقال الزركليّ الدمشقيّ (ت١٣٩٦هـ) بأنَّه : ((أديب ، من الكتَّاب الشعراء)) (١٩) .

مشيخته //

ذُكِرَ أنَّه : ((رَوى ببلدِه عن :

- خالِه أبي عبد الله بن عَرُوس ،
- وخالِ أُمِّه أبي بكرٍ يحيى بن مُحَمّد بن عَرُوس ،
- وأبي جعفر بن حَكَم ،
- وأبي الحَسَن بن كَوْثَر ،
- وأبي خالدٍ يزيدَ ابن رِفَاعةَ * ،

- وأبي مُحَمّد عبد المُنعِم ابن الفَرَس * ، وبمالَقَةَ : عن
- أبي زَيْد السُّهَيْلي * ،
- وأبي عبد الله ابن الفَخّار ، وبمُرْسِيَةَ : عن
- أبي عبد الله بن حَمِيد ،
- وأبي القاسم بن حَبَيْش* ، وبإشبيلِيَةَ : عن
- أبي بكرٍ ابن الجَدّ * ،
- وأبي عبد الله بن زَرْقُون * ،
- وأبوَي العبّاس : ابن مَضاءٍ * والجُرَاويّ الشَّاعر * ،
- وأبي الوليد بن رُشْد * ، قرَأَ عليهم وسَمِع وأجازوا له .

وأجاز لهُ من أهل الأندَلُس :

- أبوا مُحَمّد : ابنُ عُبَيد الله نَزيلُ سَبْتَةَ ،
- وعبدُ الحقِّ ابن الخَرّاط * نَزيلُ بِجَايةَ ،

ومن أهل المشرِق جماعةٌ منهم :

- وبَرَكاتُ بن إبراهيمَ الخُشُوعيُّ أبو الطاهر * ،
- وعبدُ الرَحمن بن سَلامةَ بن يوسُف بن عليٍّ القُضَاعيُّ البَلَويّ ، وغيرهم ممن يطول ذكرهم)) (٢٠)

وبيَّن صاحب "الذَّيل والتَّكملة" هؤلاء المشايخ أيضا ، وذكر غيرهم وهم : ((

- ابنُ علي بن المُسَلَّم ،
- وعبدُ الوهّاب بن عليّ بن عليّ بنُ سُكَيْنةَ ، أبو أحمد ،
- والقاسمُ بن عليّ بن الحَسَن بن عساكرَ أبو مُحَمّد ،

والمحمَّدونَ :

- ابنُ إسماعيلَ بن عليّ بن أبي الصَّيف أبو عبد الله ،

- وابنُ أبي سَعْد الحَرّانيُّ ،
- وابنُ يوسُف بن عليّ الغَزْنَويُّ أبو الفَضْل ،
- ويحيى بن نَصْر بن محمد الكَرْماني)) (٢١) .

ومن روى عنه : ((

- ابنُ خَلَف والطُّوسيُّ وابنُ سَعْدٍ القَزّاز ،
- وأبو الحَسَن العُشْبيّ ،
- وأبوا عبدِ الله : ابنُ أبي بكرٍ البُرّي وابنُ الجَنّان* ،
- وأبوا مُحَمّد : ابنُ عبد الرّحمن بن بُرْطُلّه وابنُ مُحَمّد بن هارون ،
- وأبو القاسم بن نبيل ،
- وأبو يعقوبَ بنُ إبراهيمَ بن عُقاب .
- وحدَّثنا عنه من شيوخِنا : أبو جعفرٍ الطّبّاع ، وأبو الحَجّاج بن حَكَم ، وأبو الحَسَن الرُّعَيْني ، وأبو علي ابنُ الناظِر ، وغيرهم)) (٢٢) .

وممّن روى عنه ابن مُسْدي أو مَسْدي المُهَلَّبي* وعَظَّمه (٢٣) ، وكذلك ممّن روى عنه القاضي أحمد بن الحسن الجُذَاميّ (٢٤) .

وذكر لسان الدّين بن الخطيب أنَّه كانت بين محمّد بن سُودة * وبين الشيخ الفقيه واحد عصره أبي الحَسَن سَهْل بن مالك ، مُكاتبات ومُراجعات ، ظهرت فيها براعتهُ ، وشَهدت له بالتقدُّم يراعَتُه (٢٥) .

مصنفاته //

صنَّفَ في العربيّة كتاباً مُفيداً رَتَّبَ الكلامَ فيه على أبوابِ "كتاب سِيبوَيْه" ، وله تعاليقُ جليلةٌ على"المُستصفَى في أصول الفقه" ، وديوان شعر كبير (٢٦) .

ثناء الأعلام عليه //

كان أبو عبد الله بن عيَّاش* إذا جرى ذكره يقول : هو رجل الأندلس ، ما وَفَدَ على الحضرة مثلُه ، حتى إنّه قال فيه : [مجزوء الرمل]

١- إنَّما سَهْل جنابٌ صَعُب المَرقى إليهِ

٢- يا له شخصاً كريماً أجمع الناس عليهِ

٣- وله عندي ودادٌ مثل ما أَدْرى لديه

[التخريج والتوثيق]

اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى : ص ٦٠ .

وبلغ ذلك أبا الحَسن فكتب إليه شعراً ، منه : [الطويل]

١- ألا قدَّس الله المكانّ الذي ثَوى به ذو المعالي صاحبُ القَلم الأعلى

٢- ما كنتُ أهلاً للذي قد أنالني ولكنَّ صِدقَ الوُد صيَّرني أهلا

[التخريج والتوثيق]

اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى : ص ٦٠ .

والمجال في هذا فسيح ، ويكفي منه قول أبي زيد بن يخلفتن* : [مجزوء الرمل]

١- عجباً للناسِ تاهُوا بثنيّاتِ المسالِكْ

٢- وَصَفُوا بالفضلِ قوْماً وَهمُ لَيْسُوا هُنَالِكْ

٣- كَثُرَ النّقل وَلكِنْ صَحَّ عنْ سَهْلِ بنِ مَالِكْ

[التخريج والتوثيق]

الإحاطة في أخبار غرناطة : ٤/ ٢٧٩ ، الذَّيل والتَّكملة لكتابي الموصول والصّلة : ٤/ ١٠٥ ، سير أعلام النبلاء : ٢/ ١٩٥١ ، وقد وردتْ هذه الأبيات نفسها في الإحاطة باسم : أبي زيد الفزاري* ، وانتَحَلَها(٢٧) أبو بكرٍ الجلمانيُّ * وكذَبَ "سَمَحَ اللهُ له" .

وكان أبو عمران بن سعيد* أكثر الناس ثناء عليه ، وأشدَّهم ميلا إليه ، وفيه يقول : [السريع]

١- يستسهل الناسُ وصفَ سهلٍ وهو لَعمري عليَّ صعْبُ
٢- أقلُّ ما فيه كُل ما في الـ أنام والجسمُ منّي قلبُ
٣- في كُل حالٍ أراه حتى أرى الذي خاطري يُحبُّ

[التخريج والتوثيق]

اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى : ص ٦٠ .

وقال أبو الحسن ابن الفضل * يذكر مقاماً قامه سهل بن مالك وابن عيَّاش :

١- لعمري لقد سَرَّ الخلافةَ قائماً بخطبته الغرَّاء سهلُ بن مالكِ
٢- وأمَّا ابن عيَّاشٍ ومن كان مثله فضلّوا جميعاً بينَ تلك المسالكِ
٣- ومات وماتوا حَسْرَةً وحسادةً وغيظاً فقلنا هالكٌ في الهوالكِ

[التخريج والتوثيق]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب : ٣/٣٧٢ .

وورد في نفح الطيب أنَّ ابن حبيش أنشد بيتين كان صنعهما وهو حديث ، لقصَّة بلغته عن أبي الحسن سهل بن مالك ، وهي أنَّه كان يسأل أصحابه وهو في المكتب ويقول لهم : أخرجوا اسمي ، فكلٌّ ينطق على تقديره ، فيقول لهم : إنَّكم لم تصيبوه مع أنَّه سهل ، فنظمت هذا المعنى فقلت :

١- وما اسمٌ فكُّهُ سهلٌ يسيرُ يكونُ مصغراً نجماً يسيرُ
٢- مُصَحَّفُهُ لَهُ في العينِ حُسْنٌ وقلبي عندَ صاحبِهِ أسيرُ

[التخريج والتوثيق]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب : ٤/ ٣١١ .

من نوادره //

لقد ذكر ابن سعيد الأندلسيّ بعض نوادره ، فقال : ((كان يوما عند والي غرناطة ، فدخل القائد أبو محمد بن سعيد ، المعروف بـ اليربطول* ، وكان وجهه غير مقبول الصورة ، فدنا من حاجب البلد ليحدِّثه ، ورَّد

ظهره لأبي الحسن ، فقال : لك المعذرة ، فقال أبو الحسن في الحين : المعذرة للحافظ . وقال أبو عِمْران بن سعيد : ركبتُ معه للقاء ابن هود ، وإذا بعجوز تصيح باجتهاد وفرح : على السَّلامة يا وجه الجنة ! وما أشبه ذلك من كلام النِّساء عند الفرح بالقادم . فهزَّ فرسه حتَّى دنا منها ، وقال لها : حشرك الله معه يا عجوز سَوء !)) (٢٨) ، فاشتُهِر عنه هذه القضية وأمثالها ، وشحذت له من أهل الحسد والعداوة نصالها ، فغرَّبه ابن هود إلى مرسية .

محنة سهل بن مالك //

وامتُحِن (رحمه الله تعالى) بالتَّغريب عن وطنِه ، ببَغْي بعض حَسَدتِه عليه ، فأسكِنَ مُرْسِيةَ مدّةً طويلة إلى أنْ هلَكَ بالمَرِيّة أبو عبد الله محمدُ بن يوسُف بن هُود المدعو بأميرِ المسلمينَ الملقّبُ بالمتوكِّل على الله آخِرَ جُمادى الأُولى سنةَ خمسٍ وثلاثين وستمائة ، فسُرِّح أبو الحَسَن سهل إلى بلده في رمضان من هذه السنة (٢٩) .

آثاره من الشعر //

"قافية الباء"

قال أبو الحَسن الرُّعينيّ (رحمه الله) : دخَلتُ عليه بمُرْسِيَةَ وبينَ يدَيْه شَمامةُ زَهْر ، فأنشَدَني لنفسِه : [الطويل]

١- وحاملِ طِيبٍ لم يُطيَّبْ بطيبِهِ ... ولكنّه عندَ الحقيقةِ طِيْبُ
٢- تألَّفَ من أغصانِ آسٍ وزَهْرةٍ ... فمِن صِفَتَيْه زاهرٌ ورَطِيبُ
٣- تعانَقَتِ الأغصانُ فيه كما التَقَى ... حبيبٌ على طُول النَّوى وحبيبُ
٤- وإنّ الذي أدناهُ بعدَ فِراقِهِ ... إليَّ لَسِرٌّ في الوجودِ عجيبُ
٥- مناسبةٌ للبَيْن كان انتسابُها ... وكلُّ غريبٍ للغريبِ نَسيبُ
٦- فبالأمسِ في أشجارِهِ وبدارِهِ ... وباليومِ في دارِ الغريب غريبُ(٣٠)

وقال (رحمه الله) في تشييع بعض الفقهاء من غرض الأمداح : [البسيط]

١- يلقاك من كل من يلقاك ترحيبُ ومن خليفتها عزٌّ وتقْريبُ
٢- وتصطفيك إلى أحوازها رتب لها على مَفْرِق الجَوْزاء ترتيبُ
٣- تأتي إليك بلا سعي بلا سبب كأَنَّ تَرْكَك للأسباب تَسْبِيبُ
٤- منْ كلِّ مشغوفةٍ بالْحُسْن دام لها إلى غِنائك تَصْعيد وتَصْويبُ
٥- يلقاك بالبشر والإقبال خاطِبُها وحظُّها منك إعراض وتَقْطيبُ
٦- ما زلت ترغب عنها وهي راغبة كأَنَّ زهدك فيها عنك ترغيبُ
٧- فانهض إليها فلو تسطيع كان لها إلى لقائك إرجاءٌ وتقريبُ
٨- يحيى وتحيى فلِلْباغي مواهبُها عذب الزُّلال وللباغين تَعْذِيبُ
٩- سارت على العدل والإحسان سيرتها حتى تلاقى عليها الشّاة والذّيبُ
١٠- لمْ تُصِبْها لذّةُ الدُّنيا وزخرفُها ولا سَبتْها المطايا والجلابِيبُ
١١- إذا أهمَّ بني الدنيا نِعَيمهم فهَمُّها البيضُ والجُرْد السَّلاهِيبُ
١٢- فوق الكواكب مضروبٌ سُرادقها على أُفق الأفلاك تَطْنِيبُ
١٣- كَرَعْتَ في ظلّها الصافي بِسلْسِلها كأنَّها لك في المشروب شرّيبُ
١٤- في قبية من بني الآمال قد قرعت سُهَمٌ إلى طلب العليا طبابيبُ
١٥- إذا حضرنا طعاماً فهي مأدُبَة وإنْ سمعنا كلاماً فهو تأديبُ
١٦- ومنْ يَلُذْ بأَبي إسحاق كان له أعلاقُ مالٍ وأغلاقُ وتهذيبُ
١٧- يا ملذُّ السّرَّ من قلبي ويا ملكاً إنْ نَابَ خطب فمن جدواه تأنيبُ
١٨- هبّ القرار لآمالٍ مُسافرة وقد أضرَّ بها بُعْدٌ وتَغْريبُ
١٩- ففي يمينك وهّاباً ومنتظماً بَسْطٌ وقَبْضٌ وترغيبٌ وترهيبُ
٢٠- وما بُصِر كِتاباً راق مَنْظَرهُ إنْ ناله من تُراب الأرض تَتْريبُ
٢١- لك السِّيادة لا يُلقى لسؤددها مثلٌ وإنْ طَال تَنْقِيرٌ وتَنْقيبُ

٢٢- عزمٌ كحدِّ سِنان الرُّمح يصحبه عدل كما اعتدلت فيه الأنابيبُ
٢٣- كمال نفسك للأَرواح تَكْمِلة وذكر فضلك للأَرواح تَشْبيبُ
٢٤- وعَرْفُ ذاتك كافٍ في تعرُّفنا بنفحة الطِّيب يُدري أنَّه طِيبُ
٢٥- إذا ذكِرت فللأَشعار مضطَّرب رحب المجال وللأَلحان تَطْريبُ
٢٦- سِرْ حيث شِئت موفَّى من مكارمها يَهابك الدَّهر والشُّبان والشِّيبُ
٢٧- في غرَّة تخلق الأَيام جدَّتها لها على أُفق الأَملاك تَطْنيبُ(٣١)

وقوله (رحمه الله) : [الوافر]

١- وكنتَ وعدتني يا قلبُ أنِّي متى ما تُبت من ليلي تتوبُ
٢- فها أنا تائبُ عن ذِكْر ليلى فما لك كُلَّما ذُكرت تَذُوبُ
٣- فقال بلى وعدْتُك غيرَ أنِّي أتوب إليك من ذَنْبي أتُوبُ(٣٢)

قال الرُّعَيْنيُّ (رحمه الله) : أنشَدَني أبو الحَسَن ، لنفسِه في التحريضِ على التماس العلم وأوصَى به أحدَ بَنِيه : [مجزوء الرجز]

١- العلمُ شيءٌ حَسَنٌ فكُنْ لهُ ذا طَلَبِ
٢- وابدَأْهُ بالنَّحوِ وخُذْ مِن بعدِهِ في الأدبِ
٣- فإنْ أردتَ بعدَ ذا جاهًا وفَضْلَ مكسَبِ
٤- فافْهَمْ أُصولَ مالكٍ واحفَظْ فُروعَ المذهبِ(٣٣)

"قافية التاء"

ومن شعره ، قوله(رحمه الله) : [الطويل]

١- ولمّا رأيت الصّبح هبّ نسيمه دعاني داعيه إلى البين والشّتِّ
٢- وقلتُ : أخافُ الشّمس تَفْضَحُ سِرَّنا فقالتْ : مَعَاذَ الله ! تفضَحُنِي أُخْتِي!(٣٤)

"قافية الحاء"

من شعره ، قوله(رحمه الله) : [الطويل]

١- نهارُكَ في بحرِ السَّفاهةِ يَسْبَحُ وليلُك عن يومِ الرَّفاهة يُصْبحُ
٢- وفي لفظِكَ الدَّعوى وليس إزاءَها منَ العملِ الزّاكي دليلٌ مُصحَّحُ
٣- إذا لم تُوافقْ فَعلةٌ منك قولةً ففي كلّ جُزءٍ من حديثكَ تُفْضحُ
٤- تَنَحَّ عن الغاياتِ لستَ منَ اهلِها طريقُ الهُوَيْني في سلوكِكَ أوضحُ
٥- إذا كنتَ في سنِّ النُّهى غيرَ صالحٍ ففي أيِّ سنٍّ بعدَ ذلك تَصْلُحُ؟!
٦- إلى كمْ أُماشيها على الرَّغم غايةً يُصيبُ المُزَكَّى عندَها والمُجرَّحُ
٧- لها وعليها لا تَنُوءُ ولا تَنِي فتَحسُنُ في عينِ السِّبَارِ وتَقبُحُ
٨- عسى وطَنٌ يَدْنو فألتمسَ الرّضا وأَقرَعَ أبوابَ الرّشادِ فتُفْتَحُ
٩- فقد ساءَ ظنّي بالذي أنا أهلُهُ وفضلُكَ يا مَوْلايَ يَعْفو وَيصْفَحُ(٣٥)

"قافية الدال"

ومن الحِكَم وأبيات الأمثال قوله(رحمه الله) : [البسيط]

١- مُنغَّصُ العيشِ لا يَأوي إلى دَعَةٍ من كان في بلدٍ أو كان ذا وَلَدِ
٢- والساكنُ النفْسِ مَن لم تَرْضَ همّتُهُ سُكْنى مكانٍ ولم يَسْكُنْ إلى أحدِ(٣٦)

وفي وصف "نَجْد" وهو مكان مطلٌّ على بسيطة غرناطة ، ويُعدُّ من أشرف متنزهاتها ، إذْ فيه قال عالمها أبو الحَسن سَهْل بن مالك :

١- كلُّ وَجْدٍ سمعتمُ دُونَ وَجْدي لأَصيلٍ يفوتُ طَرْفي بنجدِ
٢- حيثُ جَرَّرْتُ ذيلَ كلَّ مُجونٍ بين حُورٍ تَمِيسُ فيه وَرَنْدِ
٣- وسواقٍ كأَنهنَّ سيوفٌ جُرِّدَتْ في الرياض كلَّ غِمْدِ(٣٧)

ومن شعره ، قوله (رحمه الله) :

١- ورُبَّ يومٍ وَرَدْنا فيهِ كُلَّ مُنىً وقَلَّ في مثلِ ذاكَ اليومِ أن نردا

٢- في روضَتين بشطَّيْ سلسلٍ شبمٍ كما اجتليتَ من المحبوبِ مفتقدا
٣- يُبدِّدُ القَطرُ في أثنائه حلقاً فتنظمُ الريحُ منها فوقه زَرَدا(٣٨)

"قافية الراء"

ومن شعره ، قوله(رحمه الله) : [الطويل]

١- تبسَّمَ واستأثرتُ منه بِقُبْلة فشِمتُ أقاحا وارتشفتُ عُقارا
٢- ومرَّ فأيدي الريح ترسل شَعْره كما ستر الليل البهيم نهارا
٣- فيا لك ليلا بالكثيب قطعته كما رعت بالزّجر الغراب فطارا
٤- تغصّ بنا زهر الكواكب غيرة فتقدح في فحم الظلام شرارا(٣٩)

وقال (رحمه الله) :

١- وتحدَّث الماء الزلال مع الحصى فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى
٢- فكأنَّ فوق الماء وشياً ظاهراً وكأنَّ تحت الماء دراً مضمرا(٤٠)

وقال (رحمه الله) : [البسيط]

١- أكرِمْ بِها من عَشيَّاتٍ وأسْحَارِ ما ريعَ في ظِلِّها وافٍ بِغَدَّارِ
٢- مَنْ لي بِقُربِ أخٍ كانت محاسِنُهُ آيْاً وكان ثناءي كَعْبَ أَحْبارِ(٤١)

وقال (رحمه الله) : [الكامل]

١- وَعد الإله وأَنجز المِقدارُ فالكُلُّ عَبْدٌ والبسيطة دارُ
٢- قُل ما تشاء كما تُريد فإنَّما يَجْري القضاءُ بكُل ما تختارُ
٣- أنت الذي شَرُف الزَّمان بذكره وتعطَّرت بحديثه الأسمارُ
٤- بك عاد في شخص السّيادة رُوحه واسترجعتك فراعها الإقصارُ
٥- ذو الفضل يُدْنيه إليك تواضع ويذلَّ في سَطواتك الجبَّارُ
٦- من معشر عظُموا عُلاً وتواضعوا عند اللّقاء فانجدوا وأَغاروا

٧- وافيتُ مجْلسَه المُقدَّس تُربه فوقفتُ حيث العالم المُخْتارُ
٨- ولحظتُ بهجته بعين بصيرتي إذْ كَلَّ عن إدراكها الإبْصارُ
٩- ودنوتُ الثُم تُرْبه متبرِّكاً فرأيتُ كيف تُفجَّر الأنهارُ(٤٢)

"قافية العين"

ومن شعره في ذلك الحال مما يدلّ على بعد شأوه ورفعته وهمته ، قول(رحمه الله) : [الطويل]

١- أُدافعُ هَمّي عن جوانبِ هِمّتي وتَأْبى همومُ العارفينَ على الدّفْعِ
٢- وأَلتمسُ العُتْبى وحيدًا وعاتبي وصَرْفُ اللّيالي والحوادثُ في جَمْعِ
٣- وإنّيَ مِن عَزْمي وحزمي وهِمّتي (وما رُزِقَتْه النفْسُ من كرَم الطّبعِ)
٤- لَفي منصِبٍ تعلو السماءَ سِماتُه فتَثبُتُ نُورًا في كواكبِها السَّبعِ
٥- غلا صَرْفُ دَهْري إذ علا فإذا بهِ تُرابٌ لنَعْلي أو غُبارٌ على شِسْعي
٦- تدرَّعتُ بالصَّبرِ الجميل وأجلَبَتْ صُروفُ اللّيالي كي تُمزِّقَ لي دِرعي
٧- فما ملأَتْ قلبي ولا قَبَضَتْ يدي ولا نَحتَتْ أصلي ولا هَصَرتْ فَرْعي
٨- فإن عَرَضَتْ لي لا يَفُوهُ بها فمي وإن زَحَفَتْ لي لا يَضيقُ لها ذَرْعي(٤٣)

وقال (رحمه الله) :

١- إذا كان عندي قوت يوم وليلة من الخمر تنفي الهمَّ عنّي إذا امتنع
٢- فلست تراني سائلا عن خليفة ولا عن وزير للخليفة ما صنع(٤٤)

"قافية القاف"

قال أبو عمران بن سعيد (رحمه الله) ، أنَّه مَرِض أيام ولاية عبد الواحد المخلوع * بغرناطة ، فكلَّف وزيره بعيادته ، فأُنْسي ذلك ، ثم سأله عبد الواحد فأعتذر ، فركب إليه بنفسه ، فمدحه أبو الحسن بقصيدة ، منها : [الطويل]

١- نظرت بعيني ملء عيني وبُغْيتي وقلت لنفسي دونك الغيث فاستقي

٢- وقبَّلت كفّاً دونها واكفُ الحيا وقابلت بشر دونه خطْفةُ البرقِ
٣- وألثمتُ خدِّي من مواطئ نعله مواضع آثار السعادة والرَّزق
٤- وألزمتُ نفسي شكرها ما ترنَّمت على الأيكة الغنَّاء صادحة الوُرْقِ(٤٥)

ومن شعره ، قوله(رحمه الله) :

١- شَربنا وَجَفنُ اللَيلِ يَغسِلُ كُحلَهُ بِماءِ الصَباحِ وَالنَسيمُ رَقيقُ
٢- مُعَتَّقَةً كالتِبرِ أَمّا بُخارُها فَضَخمٌ وَأَمّا جِسمُها فَدَقيقُ(٤٦)

وقوله يُرْثي القاضي أبا الوليد بن رُشْد(رحمه الله) : [الطويل]

١- ألا ليتَ شِعري هل لطالِبِ غايةٍ وصولٌ وأحداثُ الزمانِ تَعوقُهُ
٢- مضَى عَلَمُ العِلْمِ الذي بِبَيانِهِ تبيَّنَ خافِيْه وبانَ طريقُهُ
٣- أخِلّايَ إنّي من دُموعي بزاخرٍ بعيدٍ عن الشّطَّيْنِ منه غريقُهُ
٤- وما كان ظَنّي بعدَ فَقْدِ أبيكمُ بأنَّ مُصابًا مثلَ هذا أُطيقُهُ
٥- ولم أدرِ من أَشقَى الثلاثةِ بعدَه: أأبناؤُه أم دَهْرُه أم صَديقُهُ؟
٦- ومَن شاهَدَ الأحوالَ بعدَ مَماتِهِ تَيَقَّنَ أنّ الموتَ نحن نَذوقُهُ
٧- رجوعًا إلى الصّبرِ الجميلِ فحقُّهُ علينا قضَى ألا تُوفَّى حقوقُهُ
٨- أُعزّيكمُ في البُعدِ منه فإنّني أُهنّيه قُربًا مِنْ جوارٍ يَرُوقُهُ
٩- فما كان فينا منهُ إلا مكانُهُ وفي العالَم العُلْويّ كان رفيقُهُ(٤٧)

"قافية اللام"

اجتمع جماعة من الأدباء فيهم أبو الحسن سهل بن مالك (رحمه الله) والمهر بن الفرس(رحمه الله) وغيرهما بمدينة سبته سنة ٥٨١هـ ، فتذاكروا محبوباً لهم يسكن الجزيرة الخضراء أمامهم ، فقالوا : ليقلْ كُلُّ واحد منكم شيئاً فيه . فقال سهل بن مالك(رحمه الله) : [الكامل]

١- لمّا حطَطْتُ بسَبْتةٍ قَتَبَ النَّوى والقلبُ يرجو أن تُحَوَّلَ حالُهُ

٢- والجوُّ مصقولُ الأَديمِ كأنَّما يُبدي الخَفِيَّ من الأمورِ صِقَالُهُ
٣- عايَنْتُ من بلدِ الجزيرةِ مَكنِساً والبحرُ يُمْنَعُ أن يُصادَ غزالُهُ
٤- كالشَّكلِ في المرآةِ تُبصرُه وقد قَرُبَتْ مسافتُه وعزَّ منالُهُ(٤٨)

فقال الجماعة : والله لا يقول أحد منَّا بعد هذا شيئاً .

ومن شعره (رحمه الله) في وصف شمعة :

١- ولا مثلَ يومٍ قد نَعِمنا بحُسنِهِ مُذَهَّبِ أثناءِ المُروجِ صَقيلِ
٢- إلى أنْ بَدَتْ شمسُ النهارِ تَرُوعُنا بسَر صحيح واصفرارِ عليلِ
٣- ولمّا توارَتْ شمسُهُ بحِجابِها وآذَنَ باقي نورِها برحيلِ
٤- وغابَتْ فكان الأُفْقُ عندَ مغيبِها كقلبيَ مُسْوَدًّا لفَقْدِ خليلي
٥- أتانا بها صَفْراءَ يَسطَعُ نورُها فمَزَّقَ سِربالَ الدُّجَى بفَتيلِ
٦- فرَدَّتْ علينا شمسَنا وأصيلَنا بمُشبِهِ شمسٍ في شبيهِ أصيلِ(٤٩)

ومن شعره (رحمه الله) ، وقد كان في روض نرجس ، وكان معه بعض الأدباء ، وفيهم أبو الحسين الجزار * فجعل يدوس النرجس برجله ، فقال أبو الحَسن :

١- يا واطئ النرجس ما تستحي أنْ تَطأ الأعْيُنَ بالأرجلِ(٥٠)

"قافية الميم"

وممّا أنشدَهُ (رحمه الله) في تقريظِ طلبةِ العلم وبرَكة تلاقيهم للمُذاكرة : [الطويل]

١- نفوسٌ على لفظِ الجِدال مقيمةٌ فتُبصِرُها حَرْباً وتَعقِلُها سِلْما(٥١)

ومن شعره (رحمه الله) في غلام : [الطويل]

١- ولمَّا اسْتقلَّتْ نَعْلهُ فوْقَ أدْهمٍ زَجَرْتُ غُرابَ البينِ أشأَمَ أَسْحَمَا
٢- وعاينْتُ من مرْكوبهِ ليلَ صَدِّهِ ومن وجهِهِ بدْرَ الوِصالِ مُتَمَّمَا
٣- وأزْمعَ عني والفراقُ يَحُثُّهُ فعاينتُ قلبي سائراً مُتَقَدّمَا

٤- وأوْما لتَوْديعي بلثْمِ بَنانِهِ فَلَمْ أدْرِ أوْ مَا بِها أمْ تَخَتَّمَا(٥٢)

"قافية النون"

وله من قصيدة (رحمه الله) : [السريعِ]

١- غَنَّى لَنا هَزارنا وانْثَنلتْ نَجْمتُنا فانكملَ الحُسْنُ

٢- وأبرزَ الدَّهرُ لَنا مِنْهُما حَمامَةً طارَحَها غُصْنُ(٥٣)

"قافية الهاء"

وقوله (رحمه الله) في زمان الصّبا : السريع

١- كأنَّما إبريقنا عاشق كلّ عن الخّطو فما أغفلَه

٢- غَازَل من كأسي جبيناً له فكُلَّما قبَّله أَخجله(٥٤)

ومن شعره (رحمه الله) في صفة نهر والنَّسيم يردده والغصون تميل عليه :

١- كأنَّما النَّهر صفحةٌ كُتبت أسْطُرها ، والنَّسيم يُنْشيها

٢- لمّا أبانَتْ عن حُسْن منظرها مالتْ علَيْها الغصون تقرؤها (٥٥)

ومن شعره (رحمه الله) : [الطويل]

١- ألا ليتَ شِعري هل لطالِبِ غايةٍ وصولٌ وأحداثُ الزمانِ تَعوقُهُ

٢- مضَى عَلَمُ العِلْمِ الذي بِبَيانِهِ تبيَّنَ خافِيْه وبانَ طريقُهُ

٣- أخِلّايَ إنّي من دُموعي بزاخرٍ بعيدٍ عن الشّطَّيْنِ منه غريقُهُ

٣- وما كان ظَنّي بعدَ فَقْدِ أبيكمُ بأنَّ مُصابًا مثلَ هذا أُطيقُهُ

٤- ولم أدرِ من أَشقَى الثلاثةِ بعدَه : أأبناؤُه أم دَهْرُه أم صَديقُهُ؟

٥- ومَن شاهَدَ الأحوالَ بعدَ مَماتِهِ تَيَقَنَ أنّ الموتَ نحن نَذوقُهُ

٦- رجوعًا إلى الصّبرِ الجميلِ فحقُّهُ علينا قضَى ألا تُوفَّى حقوقُهُ

٧- أُعزّيكمُ في البُعدِ منه فإنّني أُهنّيه قُربًا مِنْ جوارٍ يَرُوقُهُ

٨- فما كان فينا منهُ إلّا مكانُهُ وفي العالَم العُلْويّ كان رفيقُهُ(٥٦)

آثاره من الموشحات //

قال صاحب نفح الطيب : ((قال ابن سعيد : سمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول : إنَّه دخل على ابن زُهْر* ، وقد أسنَّ ، وعليه زيَّ البادية ، إذ كان يسكن بحصن سبتة ، فلم يعرفه ، فجلس حيث انتهى به المجلس ، وجرَّت المحاضرة أن أنشد لنفسه موشَّحة وقع فيها :

كحلُ الدُّجى يجري من مقلةِ الفجر على الصَّباحْ

ومعصمُ النَّهرِ في حُلَلٍ خضرِ منَ البطاحْ

فتحرَّك ابن زُهْر ، وقال : أنت تقول هذا ؟ قال اختبر ، قال : ومن تكون ؟ فأخبره ، فقال : ارتفع ، فو الله ما عرفتك)) (٥٧) .

وممّن أشتهر بالموشحات من أهل غرناطة ، سهل بن مالك ، ((قال ابن سعيد:كان والدي يعجب بقوله :

إنَّ سيلَ الصباحِ في الشَّرقِ عادَ بحراً في أجمع الأُفُقِ

فتداعَتْ نوادبُ الوُرْقِ أتراها خافَتْ من الغَرَقِ

فبكتْ سُحْرَةً على الوَرَقِ)) (٥٨)

آثاره من النثر //

ومن نثره قوله يُخاطب بني أبي الوليد بن رُشْد (رحمه الله) ، تَعْزيةً في أبيهم : ((إيهٍ عن المَدامع ! هل تلا انحدارَ الدّمعةِ انحدارُها ، والمَطالع ! أثَبَتَ على قُطبٍ مدارُها ، والفجائع ! أغيرُ دارِ بني رُشْدٍ دارُها ؟ فإنَّه حديثٌ أتعاطاه مُسكِرًا ، وأستريحُ إليه مُفْكِرًا ، وأبُثُّه باعثًا على الأشجانِ مُذْكِرًا ، ولا أقولُ : كفَّى ، وقد ذَهَبَ الواحدُ أرى به ألفًا ، ولا صَبْرًا ، وقد أُسكِنَ العالِمُ قبرًا ، بل أُعرِي الأجفانَ من مائها ، وأستوهِبُ الأشجانَ غَمْرَةَ غَمائها ، وأستَدعي الأحزانَ بالشّهيرِ من أسمائها ، ثم أتهالكُ تهالُكَ المجنون ، وأستَجيرُ من الحياةِ برَيْب المَنُون ، وأُنافرُ السُّلوَّ مُنافَرَةَ اليقين لوَساوسِ الظُّنون .

ولا عَتْبَ ، فإذا خامَرَ الَوالهَ جَزَعُه ، فإلى نُصرةِ المدامع فزَعُه ، وإذا ضَعُفَ احتمالُه ، فإلى غَمْرة الإغماءِ مآله ، ومَن قال : الصبرُ أوْلَى ، ولَّيْتُهُ من ذلك ما تولَّى ، أمّا أنا فأستَعيذُ من هذا المقام وأستعفيه ، وأُنزِّه نفْسَ الوفاءِ عن الحلولِ فيه ، فإنَّه متى بَقِيَ للصَّبر مكان ، ففي محلِّ الحُزْن لِقبولِ ما يقاومُه إمكان ، وقد خان الإخاءَ وجَهِل الوفاء ، مَنْ رامَ قلبُه السُّلُوَّ أوْ أَلِفَتْ عينُهُ الإغفاء ؛ هُو الخَطْبُ الذي نفَى الهُجود ، وألزَمَ أعيُنَ الثَّقَلَيْنِ أن تَجُود ، وبه أعظَمَ الدّهرُ المُصاب ، وفيه أخطأ سَهْمُ المَنيّة حين أصاب ، فحقُّنا أن نتجاوزَ القلوبَ إلى الجيوب ، وننقلبَ إذا غالَبَنا الحُزنُ بصَفْقةِ المغلوب ، وإذا كان الدّهرُ السالِب فلا غَضاضةَ على المستريح لأنَّه المسلوب ؛ أستغفرُ الله ! فقد أتذكَّرُ من مفقودِنا (رضيَ اللهُ عنه) حِكَمَه ، وأشاهدُ بعَيْن البصيرة شِيَمَه ، فأجِدُهما يَكُفّانِ من واكفِ الدّمع دِيَمَه ، ويقولان : الولَهُ عندَ مُماسّةِ المصابِ ، ومُزاحمةِ الأوصاب ، أمرٌ إنْ وقَع ، فقد ضَرَّ فوقَ ما نفَع ، فإنَّه لا أَلَمُ الحُزنِ شفاه ، ولا حقّ المصيبة وفّاه ، ولا الذاهبُ الفائتُ استرجَعَه وتَلافاه ؛ فربّما جَنَحْتُ إلى الصبرِ لا رغبةً فيه بل إنابةً لمقصدي (رَحمَةَ الله) وتشفيعًا لوصاياي فيه ، فأستَرْوِحُ رائحةَ السُّلوّ ، وأنحَطُّ قابَ قوسٍ أوْ أدْنى عن سِدر ذلك العُلُوّ ، وأقفُ بمقام الدَّهَش بينَ معنى الحُزنِ المُستحكِم ولفظِ العزاءِ المَتْلُوّ ، فأبكي بُكاءَ النِّساء ، وأصبرُ صبرَ الرُّؤساء ، وأجدُ رَزايا الفُضَلاء ، تفَضُلُ رَزايا الأخِسّاء ، مُوازنةً بين هذا الوجود ، وبُخْلٍ يتعاقَبُ على محَلِّ الجُود ، فالدّهرُ يَسترجعُ ما وَهَب ، كان الصُّفرَ أوْ الذهبَ ، وإذا تحقَّق عدمُ ثَباتِه ، وعُلِم استرجاعُه لجميع هِباتِه ، صار المتعرِّضُ لكثيرِه ، محَلًّا لتأثره ، فلا غَرْوَ أنْ دهَمَكم الرُّزءِ ، يَؤودُ الفَلَكَ الدائرَ منه الجُزء ، فطالما بِتُّم تُرضعُكمُ الحِكمةُ أخلافَها ، وتَهَبُكم الخلافةُ آلافَها ، وتؤمِنُكم الأيامُ خِلافَها ، وإذا ظمِئَتِ العقول ، وضَنَّ بما لديه المعقول ، وصارتِ الأذهانُ إلى حيثُ لا تتَصَوَّر والألسنةُ بحيثُ لا تقول ، ورَدتُم مَعِينًا ، ووجَدتُم مُعينًا ، وافتَضَضْتُموها كأمثال اللُّؤلؤِ المكنون حُورًا عِينًا ، أظننتُم أنّ عينَ الدَّهر تنام ، أم رُمتُم أن يكونَ صَرْحًا إلى إلهِ موسى ذلك السَّنام ؟ لَشَدَّ ما شِدتُم البناء ، وألزَمتُم اتّباع الأبناءِ الكرام الآباء ، حتّى غرِقَ الأوّلُ في الآخِر ، وصار السَّلَفُ على ضخامتِه أقلَّ المفاخِر ، ومَن عَلَتْ في عُلوّها قَدَمُ ترَقّيه ، ولم يُطِفْ بكمالِه عَيْبًا يحفَظُه مِن عين العائن ويَقيه ، فكثيرًا ما يأتيه محذورُه من جهةِ توَقّيه ، هذا أبوكم – رضيَ اللهُ

عنه- حين استكمَلَ تعَرُّفَ الضارِّ والشافي ، وتعذَّرت صِفاتُ كمالِه على الحرفِ النافي ، ورأى منكم حَفَظةً لوجودِه إنْ أدرَكَه التَّلَفُ ففيكم التلافي ، صار وأنتُم كالرَّسْم البَلْقَع وثلاثِ الأثافي ، فإنّا لله لفظةً أُواليها ، وأُتبعُها زَفْرةً تَليها ، لقد بَحَثَتِ الأيامُ عن حَتْفِها بظَلْفِها ، وسعَتْ على قَدَمِها إلى رَغْم أَنفِها ، حين أتلَفتِ الواحدَ يَزِنُ مئةَ ألْفِها ، فمَن لِبَثِّ الوَصل ورَعْي الوسائل ، وإلى مَن يُلجَأُ في مُشكلاتِ المسائل ، ومنِ المجيبُ إذا لم يكنِ المسؤولُ بأعلمَ من السائل ؟ اللهمَّ صبِّرْنا على فَقْد الأُنْسِ بالعلم ، وأدِلْنا من خُفُوفِ الوَلَه بوَقارِ الحِلم ، وأخلِفْه في بَنِيه ، وعامّةِ أهليه بشَبيه ، ما أوْلَيْتَه في جِوارِك المقدَّس وتُوْليه ، وإليكم أيُّها الإخوةُ الأولياء ، والعِلْيةُ الذَين عليهم قُصِرَتِ العَلْياء ، أعتذرُ من إيجادِ الشيء من الكلام تَنقُصُهُ الأشياء ، فقد خانَ في هذا الزّمن حتى اللِّسان ، وفُقِدَ حتّى منهُ الإحسان ، وليس لتأبينِ محمّدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) إلَّا حَسَّان ، فالعُذرُ مُنفسِحُ المجال ، وإلى التقصير في حقِّ رُزْئكمُ الكبير مَصيرُ ذي الرَّوِيّة والارتجال ، ولذلك عدَلْتُ إلى الإيجاز ، واعتَقدتُ إرسالَ القول في هذا الموضِع ضَرْبًا من المجاز ، ومُبْلِغُ النفس عُذْرَها معَ العَجْزِ كالصائرِ إلى الإعجاز .

وأمّا حُسنُ العزاء ، على تعاقُب هذه الأرزاء ، فأمرٌ لا أهَبُه بل أستَجْديه ، ولا أُذكِرُكم به ونفْسُ صَبْرِكم متوغِّلةٌ فيه ، فسِواكم يُلْهَمُ إلى الإرشاد ، ويُذكَّرُ بطُرُقِ الرَّشاد ، جعَلَ اللهُ منكم لآبائكم خَلَفًا ، وأبقَى منكم لأبنائكم سَلَفًا ، ولا أراكُم الوجودَ بعدَها تَلَفًا ، بمَنّ الله وكرَمِه ، والسّلام)) . (٥٩)

ومن نثره رسالة بعثها إلى أبي عُمْران بن سعيد (رحمه الله) في إشبيلية حين كتب له يُسلِّيه عن نكبته وغُرْبته:

((وأنا استوهُب لك أيُّها الشيخُ الأخُ الجليلُ عافيةً لا تَعْفُو بألْسُنِ الحُسَّاد ، ولا تَقْفُو موادَّها أعْيُنُ السّعاة البُغاة الذين مالهم مَقْعَدٌ إلا بالمرصاد ، وأُثْنى على كرم طباعك بوصول رسالتك التي طلعتْ على ليلي البَهيم صباحاً ، وأدارتْ عليَّ من التسلّي والتعزّي أقْداحا ، خامر الناس خُمارها فجذبها إلى مركز المسرَّة ، وأراحها الارتياح بها من تهالك الوسواس والفكرة : [الوافر]

وما يُجدي لو غَفِلنا ولكنْ ردَّنا قَسْراً إليه

نفِرّ إلى التأسّي ثمَّ يقوى الـ أسى رغماً فيحملنا عليه

ويعلم الله أيُّها العَلَمُ عِلْماً وفهماً ، أنّي لو لا مخاطبتُك وامتثالك لمتُّ أسفاً وغمَّاً ، ولستُ – عافاك الله – بذي سِجْنٍ ولا قيود ، ولكن مُعاشرة من لا يُشاكَل عَقَبَةٌ كَؤُود ؛ ولعلَّها ذُنوبٌ تمحَّصُ ، وسَبْكٌ يُصَفَّى به الإنسان ويُسْتَخْلَصُ ، وقد شكونا لو أنَّ الشكاة تُسْمَعُ ، ودَعَوْنا لو أنَّ الدُّعاءَ عند من لا يَقْبله ينفع ؛ وتُبْنا وإنْ كُنَّا لا نعلم لنا ذنْباً ، وأُبنا وإنْ لم نلف للإياب لا سهلاً ولا رُحْباً . وهل نافع عند صاحب الثريَّا* تشكّي الكُميت ، أو سامع من اقتضاه طبعُه وَضْع المُجلّى موضع السُّكَّيت : [الطويل]

سأصبر حتى يُسأم الصَّبرُ نفْسُه ويَضْجر مَنْ يُعزَى لظُلميَ من ظُلْمِ

وتفتح باباً أغلقتْه بجورها يدٌ حملتْ تلك الأَيادي على عِلْمِ

وأنت أيُّها المصقع الخطيب ، والمُبدع الأريب ، كيف استمطرت من خاطر أخيك جَهاماً ، وقدرت من براعة فكرك شيفاً كِهاماً . أستغفر الله لو لا الارتياد من بحرك لما تعطل لي غَمام ، ولو لا صَقل خِطابك وشحذ كتابك لما مضى لي حُسام : [الوافر]

وجَهل بعد ذلك وَصْف فكري بقَطْر أو يَراعِي بالحُسام

ولكنّ الكلامَ له فُضول ولا يَخلو الحَذور من الكلام

وعليك بعد اتصال الدعاء ، بطول البقاء في الأرتقاء ؛ أتمُّ السَّلام ؛ متوالياً مع الليالي والأيَّام)) (٦٠) .

الهوامش:

١) يُنظر فيما يخصُّ ذكر اسمه في المصادر التي عرَّفتنا به :

– الإحاطة في أخبار غرناطة : مُحَمّد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السّلمانيّ الخطيب ، تحقيق : مُحَمّد عبد الله عنان ، الناشر(مكتبة الخانجي) القاهرة ، ط/ ٢ ، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م ، ٤/ ٢٧٧ ، وذكر اسمه "سهل بن مُحَمّد بن سهل بن مالك بن أحمد بن إبراهيم ابن مالك الأزديّ" .

– نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب : أحمد بن محمّد المقّري التلمساني ، تحقيق : د. إحسان عبَّاس ، (دار صادر) بيروت ، ط/ ١٣٨٨هـ–١٩٦٨م ، ٢/ ١١٢ ، وذكر اسمه " أبو الحَسن سَهْل بن مالك الأزديّ الغرناطيّ " ، وفي ٢/ ٢٧١ وذكر اسمه " سَهْل بن مالك " ، وفي ٢/ ٥٦١ وذكر اسمه " سَهْل بن مالك " ، وفي ٣

/ ١٩٣ ، وذكر اسمه " سَهْل بن مالك " ، ٣ / ٣٧٢ ، وذكر اسمه " أبو الحسن سَهْل بن مالك " ، وفي ٣ / ٦٠٠ ، وذكر اسمه " سَهْل بن مالك " ، وفي ٧/ ٩ ، وذكر اسمه " أبو الحسن سَهْل بن مالك " ، وفي ٤/ ٨ ، وذكر اسمه " أبو الحَسن سَهْل بن مالك " وفي ٤/ ٣١١ ، وذكر اسمه " أبو الحسن سَهْل بن مالك " ، وفي ٧/ ٩ ، وذكر اسمه " أبو الحسن سَهْل بن مالك " ، وفي ٧/ ١٠ ، وذكر اسمه " أبو الحسن سَهْل بن مالك " ، وفي ٧/ ١٧، وذكر اسمه " أبو الحَسن سَهْل بن مالك " ، وفي ٧/ ٤١٦ ، وذكر اسمه " أبو الحَسن سَهْل بن مالك " .

– التكملة لكتاب الصلة : لأبي عبد الله مُحَمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسيّ الأندلسيّ ، ابن الأبَّار ، حقَّقه ، وضبط نصَّه ، وعلَّق عليه : د. بشَّار عوّاد معرُوف ، (دار الغرب الإسلامي) تونس ، ط/ ١ ، ٢٠١١م ، ٤/ ٩٤ ، وذكر اسمه " سَهْلُ بنُ مُحَمّد بن سَهْل بن أحمدَ بن إبراهيمَ بن مالكٍ الأَزْديُّ ، من أهل غَرْناطة ، يُكْنَى أبا الحَسَنِ " .

– الذَّيل والتَّكملة لكتابي الموصول والصّلة : لأبي عبد الله مُحَمّد بن مُحَمّد بن عبد الملك الأنصاريّ الأوسيّ المراكشيّ ، تحقيق : د. إحسان عبّاس : السفر الرابع ، نشر وتوزيع (دار الثقافة) بيروت ، د. ت ، ٤/ ١٠١ ، وذكر اسمه " أبو الحَسَن ، سَهْلُ بن مُحَمّد بن سَهْلٍ بن أحمدَ بن مالكٍ الأَزْديُّ الغرناطيّ " .

– المُسْتملح من كتاب التَّكملة : شمس الدّين ابي عبد الله مُحَمّد بن أحمد بن عُثمان الذَّهبيّ ، حقَّقه ، وضبط نصَّه ، وعلَّق عليه : د. بشَّار عوّاد معرُوف ، (دار الغرب الإسلامي) تونس ، ط/ ١ ، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م ، ص ٣٨٣ ، وذكر اسمه " سَهْلُ بنُ مُحَمّد بن سَهْل بن مُحَمّد بن أحمدَ بن إبراهيمَ بن مالكٍ الأَزْديُّ ، أبو الحَسَنِ الغَرْناطيُّ " .

– تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : شمس الدّين أبي عبد الله مُحَمّد بن أحمد بن عُثْمان الذَّهبيّ ، حقَّقه ، وضبط نصَّه ، وعلَّق عليه : د. بشَّار عوَّاد مَعْروف ، (دار الغرب الإسلامي) بيروت ، ط/ ١ ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م ، ١٤/ ٣١٧ ، وذكر اسمه " سَهْلُ بنُ مُحَمّد بن سَهْل بن مُحَمّد بن أحمدَ بن إبراهيمَ بن مالكٍ ، أبو الحَسَنِ الأَزْديُّ الغَرْناطيُّ " .

– المُغْرب في حُلَى المغرب : لأبي الحَسَن عَليّ بن مُوسى بن سَعيد الأنْدَلسيّ ، حقَّقه وعلَّق عليه : د. شوقي ضيف ، (دار المعارف) مصر ، ط٤ ، د. ت ، ٢/ ١٠٥ ، وذكر اسمه " أبو الحَسَنِ سَهْلُ بنُ مالكٍ " .

– رايات المُبرَّزين وغايات المُميَّزين : لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسيّ ، تحقيق : د. محمّد رضوان الدَّاية ، (دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر) دمشق ، ط١/ ١٩٨٧م ، ص ١٤٩ ، وذكر اسمه " أبو الحَسَنِ سَهْلُ بنُ مالكٍ " .

– برنامج شيوخ الرُّعينيّ : لأبي الحسن عليّ بن مُحَمّد بن عليّ الرُّعينيّ الاشبيليّ (ت٦٦٦ هـ) تحقيق: إبراهيم شبُّوح ، (مطبوعات مديرية إحصاء التراث القديم) دمشق ، ١٣٨١هـ – ١٩٦٢م ، ص ٥٩ ، وذكر اسمه " أبو الحَسن ، سَهْل بن الحاجّ أبي عبد الله مُحَمّد بن سَهْل بن مالك الأَزْديّ الغَرْناطيّ (رحمه الله) " .

-اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى : لابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى ، اختصره : أبو عبد الله مُحَمّد بن عبد الله بن خليل ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، قُرئ على : د. طه حُسين ، (الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية) القاهرة ، ١٩٥٩م ، ص ٦٠ ، وذكر اسمه " أبو الحَسن ، سَهْل بن مالك " .

-صلة الصلة : لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي ،تحقيق : شريف أبو العُلا العدوي ، (مكتبة الثقافة الدينية) القاهرة ، ط/ ١ ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م ، ٣/ ٣٧٢ ، رقم الترجمة : ٨٧٦ ، وذكر اسمه " سَهْلُ بن مُحَمّد بن سَهْلٍ بن مالكٍ الأَزْديُّ من أهل غرناطة ، يُكنى : أبا الحسن " .

-زاد المسافر وغرّة محيّا الأدب السافر : لأبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي المُرسي (٥٩٨هـ) ، أعتنى بنشره وتهذيبه والتعليق عليه : عبد القادر محداد . ط/ بيروت ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م ، ص ٥٤ ، وذكر اسمه " أبو الحَسنِ سَهْلُ بن مالكٍ " .

-قلائِد الجُمان في فرائِد شُعراء هذا الزَّمان : لكمال الدّين أبي البركات المُبارك بن الشَّعَّار المُوصليّ ، تحقيق : كامل سلمان الجبوري ، (دار الكتب العلمية) بيروت ، ط/ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، ٣/ ٩٥ ، وذكر اسمه " سَهْلُ بنُ مُحَمّد بن أيوب بن مالكٍ ، أبو الحَسَنِ الأَزْديُّ الغَرْناطيُّ الأندلسيّ " .

-بُغْيةُ الوُعاة في طبقات اللّغويّين والنُحاة : جلال الدّين عبد الرحمن السّيوطي ، تحقيق : محمّد أبو الفضل إبراهيم ، (دار الفكر) مصر ، ط٢/ ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م ، ١/ ٦٠٥ ، وذكر اسمه " سَهْلُ بنُ مُحَمّد بن سَهْل بن أحمد بن مالكٍ الأَزْديُّ الغَرْناطيُّ أبو الحَسَنِ " .

-الدِّيباجُ المُذهِبُ في معرفةِ أعيان عُلماءِ المَذْهَب : ابن فرحُون المالكيّ ، تحقيق وتعليق : د. مُحَمّد الأحمدي أبو النور، (دار التراث) القاهرة ، د. ت ، ١/ ٣٩٥ ، وذكر اسمه " سَهْلُ بنُ مُحَمّد بن سَهْل بن بن مالكٍ الأَزْديُّ " .

-الوافي بالوفيات : صلاح الدّين خليل بن أيبك الصفدي ، تحقيق : أحمد الأرنأووط - تركي مصطفى ، (دار إحياء التراث العربي) بيروت ، ط١/ ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م ، ١٦/ ١٥ - ١٦ ، وذكر اسمه " سهل بن مُحَمّد بن سهل بن مُحَمّد بن أحمد بن إبراهيم بن مالك أبو الحسن الأَزْديُّ الغرناطيّ " .

-مسالك الأبصار في ممالك الأمصار : لابن فضل الله العُمريّ شهاب الدّين أحمد بن يحيى ، تحقيق : كامل سلمان الجبوري ، (دار الكتب العلميّة) بيروت ، د. ت ، ١٧/ ٣٧٠ ، وذكر اسمه " أبو الحسن سهل الأَزْديُّ " .

-سير أعلام النبلاء : شمس الدّين مُحَمّد بن أحمد بن عُثْمان الذَّهبيّ ، رتبه وزاده فوائد واعتنى به : حسَّان عبد المنَّان ، (بيت الأفكار الدولية) لبنان ، ط/ ٢٠٠٤م ، ٢/ ١٩٥١ ، رقم الترجمة : ٢٤٢٢ ، وذكر اسمه " سَهْل بن مُحَمّد بن سهلٍ بن مُحَمّد بن مالكٍ الأَزْديُّ الغرناطيّ " .

-معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتَّى سنة ٢٠٠٢م : كامل سلمان الجبوري ، (دار الكتب العلمية) بيروت ، ط١/ ٢٠٠٣م – ١٤٢٤هـ ، ٣/ ١٠٠ ، وذكر اسمه " سَهْل بن مُحَمّد بن سهل بن مالك أبو الحسن الأَزْديُّ الغرناطيّ " .

-معجم المؤلفين ، تراجم مُصنِّفي الكتُب العربيّة : عُمر رضا كحالة ، (مؤسسة الرسالة) بيروت ، ط١/ ١٤١٤هـ-١٩٩٣م ، ٤/ ٢٨٥ ، وذكر اسمه "سَهْل بن مُحَمّد بن سهل بن أحمد بن مالك الأَزْديُّ ، الغرناطيّ (أبو الحسن)" .

-الضَّوءُ اللَّامع لأهل القرن التّاسع : شمس الدّين محمَّد بن عبد الرحمن السّخاوي ، (دار الجيل) بيروت ، د. ط ، د. ت ، ٣/ ٢٧٣ ، وذكر اسمه "سهل بن إبراهيم بن أبي اليسر سهل بن أبي القسم محمّد بن محمّد بن سهل بن محمّد بن سهل بن مالك بن أحمد بن إبراهيم أبو الحسن الأندلسيّ الغرناطي الأزدي الأديب" .

-الكتب المشرقية والأصول النادرة في الأندلس : د. مُحَمّد بن زين العابدين رستم ، (دار ابن حزم) بيروت ، ط/ ١ ، ١٣٣٠هـ – ٢٠٠٩م ، ص ١٤٧ ، وذكر اسمه " أبو الحسن سَهْل بن مُحَمّد بن سهل بن مالك أبو الحسن الأَزْديُّ الغرناطيّ"

-الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين : خير الدّين بن محمود بن مُحَمّد بن علي بن فارس الزركليّ الدمشقيّ ، (دار العلم للملايين) بيروت ، ط١٥ / ٢٠٠٢م ، ٣/ ١٤٣ ، وذكر اسمه " سَهْل بن مُحَمّد بن سهل بن مالك أبو الحسن الأَزْديُّ الغرناطيّ " .

-فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات : عبد الحي بن عبد الكبير الكتانيّ ، بإعتناء : د. إحسان عبَّاس ، (دار الغرب الإسلامي) بيروت ، ط١/ ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م ، ص ٨٠٣ ، وذكر اسمه " أبو الحَسَنِ سَهْلُ بنُ مالكٍ "

-موسوعة شعراء العصر الأندلسي : محمّد العريس ، (دار اليوسف) بيروت ، ط١/ ٢٠٠٥م ، ص ١٨٢ ، وذكر اسمه " سَهْل بن مُحَمّد بن مالك الغرناطيّ " .

-دُررُ العُقُود الفريدة في تراجم المُفيدة : تَقِيّ الدّين أحمد بن عَليّ المقريزيّ ، حقَّقهُ وعلَّق عليه : د. محمود الجليليّ ، (دار الغرب الإسلامي) بيروت ، ط/ ١ ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م ، ٢/ ١١٢ ، وذكر اسمه "سهل بن إبراهيم بن أبي اليُسْر سهل بن أبي القاسم محمّد بن محمّد بن سهل بن محمّد بن سهل بن مالك بن أحمد بن إبراهيم ، أبو الحَسن الأزديُّ الأندلسيُّ الغرناطيُّ الأديب المالكيُّ العلّامة" .

- وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام : شمس الدّين محمّد بن عبد الرّحمن السَّخاوي ، تحقيق : د. بشَّار عوَّاد معروف و عِصام فارس الحرستاني و د. أحمد الخطيمي ، (مؤسسة الرسالة) بيروت ، ط/ ١ ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م ، ٢/ ٤٥٣ ، وذكر اسمه "الكامل الأديب العلامة أبو الحَسن سَهْل بن إبراهيم بن أبي اليُسْر الأزديُّ الأندلسيُّ الغرناطيُّ المالكيُّ" .

* الأَزْديُّ : أزد ، هي قبيلة عربية تنتمي إلى كهلان بن سبأ ، وهم غير قبيلة بني أسد (بفتح السين) العدنانية ، هجروا اليمن بعد تصدُّع سدّ سبأ ، قسّمهم بعض علماء النسب إلى أربعة أقسام : أزد شنوءة وأزد السُّراة وأزد غسان وأزد عمان ، وتفرع

من الأزد قبائل كثيرة زادت على ست وعشرين قبيلة كبيرة ، ينتمي أشهر تلك القبائل وبطونها إلى : مازن وعمرو ونصر شنوءه والهِنو وعبدالله بني الأزد ، وتنتسب قبائل الأزد جميعاً إلى " الأزْد بن الغوث " بن نَبْتٍ بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان ، والأزد لقبه ، واسمه دِراء بوزن (فِعَال) ، والأزْد والأسْد لغتان ، والأخيرة أفصح ، إلَّا أنَّ الأولى أكثر .

والأزد قبيلة عربية كبيرة وعريقة ذات تاريخ قديم ، فهم أصحاب الجنتين في مملكة سبأ إذْ كان الملك فيها تداولاً بينهم وبين أبناء عمومتهم من قبيلة حمير، أنشئ الأزد عدَّة ممالك عربية بعد تفرّق قبائل سبأ وهجرتهم من مأرب يمن جزيرة العرب وتفرقهم في أرجاء الجزيرة العربية ، وبحسب النسَّابة العرب القبائل الأقرب نسباً إلى الأزد هم : أنمار (خثعم وبجيلة) وهمدان ثم كندة ومُذْحج ثم حمير وطيء والاشاعرة .

وبعد البعثة النبويَّة كان الأزد هم أوَّل القبائل العربية إيماناً بمُحَمّدٍ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) حيث كان الأوس والخزرج منْ أوّل القبائل العربية استجابة لدعوته وأوّل منْ آواه ونصره ، ومن ثمَّ سمَّاهم الله بـ "الأنصار" ، وكان "الطفيل بن عمرو الدوسي" أوَّل من اعتنق الأسلام من الأزد ، وكان ذلك منه قبل الهجرة في مكة ، وأوَّل منْ عَرَضَ على الرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم) الإيواء ، والنصرة ، كما شاركت قبيلة الأزد في الفتوحات الإسلامية حيث كانوا من أوائلها ، وظهر من الأزد العديد من العلماء والشعراء الذين أثروا العلوم والثقافة البشرية والعربية والإسلامية ، وعُرِفَ الأزد بالفصاحة ، فكانوا من أفصح الناس لساناً ، وأعذبهم بياناً ، اعتُمد على لغاتهم في أخذ اللسان العربي ، وظهر أثرها الواضح في ألفاظ القرآن الكريم وقراءاته ، وأحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وما أُثر عنهم من أقوال وأشعار وأمثال ، كما كانت لغاتهم من مصادر الاحتجاج اللغويّ والنحويّ عند علماء العربية وغيرهم .

ومن أعلام قبيلة الأزد العلامة : "أبو الحسن سهل بن مُحَمّد بن سهل بن مُحَمّد بن مالك البارقيّ الأزديّ الغرناطيّ" نسبةً للمكان الذي عاش فيه غرناطة والده مُحَمّد بن سهل الأزديّ البارقيّ ، مُحدَّث اماميّ فقيه مالكيّ وأصوليّ ومُحدّث وشاعر ونحوي وقارئ ، يُنْسب إلى بارق من الأزد ، نشأ بالأندلس ، ونبغ في علوم شتى ، وكان رأس الفقهاء ، وخطيب الخطباء والبلغاء ، وعُرِفَ بالتبحّر في أصول الفقه ، وأصول الدّين ، والحديث ، والعربية . قال ابن الأبار : كان من جلَّة العلماء والأئمة البلغاء الخطباء ، مع التفنن في العلوم .

يُنظر في التفاصيل : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب : أبي العبَّاس أحمد بن علي القلقشندي ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، (دار الكتاب اللبناني) بيروت ، ط/ ٢ ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م ، ص٨٧ ، الأنساب : لأبي سعد عبد الكريم بن محمّد بن منصور التميمي السَّمعاني ، تحقيق :عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ،(مكتبة ابن تيمية) القاهرة ، ط/ ٢ ،١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م ، ١/ ١٨٠ – ١٨٢ ، جمهرة النّسب : لأبي المنذر هشام بن محمّد بن السائب الكلبيّ "رواية السُّكَّريّ عن ابن

حبيب" تحقيق : د. ناجي حَسَن ، (عالم الكتب) بيروت ، ط/ ١ ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م ، ١/ ٦١٥ ، جمهرة أنْساب العرب : لأبي مُحمَّد علي بن سعيد بن حزم الأندلسيّ ، تحقيق وتعليق : عبد السّلام محمّد هارون ، (دار المعارف) مصر ، ط/ ٦ ، د. ت ، ص ٣٣٠ ، معجم البلدان : شهاب الدّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحّمويّ الروميّ البغداديّ ، (دار صادر) بيروت ، ط/ ١٣٩٧هـ–١٩٧٧م ، ٤/ ٢٠٣ ، معجم ما استعجم من اسماء البلدان والمواضع : لأبي عُبيد ، عبد الله بن عبد العزيز البَكْريّ الأندلُسيّ ، حقَّقه وضبطه : مصطفى السَّقا ، (عالم الكتب) بيروت ، د. ت ، ٢/ ٦٧٤ ، صفة جزيرة العرب : لسان اليمن الحسن بن أحمد يعقوب الهمدانيّ ، تحقيق : محمّد بن علي الأكوع الحوالي ، (مكتبة الإرشاد) صنعاء ، ط/ ١ ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م ، ص ٣٢٦ ، التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب : أحمد بن محمّد بن إبراهيم الأشعريّ القرطبيّ ، تحقيق وتعليق وتقديم : د. سعد عبد المقصود ، (دار المنار) القاهرة ، د. ت ، ص ١٤٨ ، المقتضب من كتاب جمهرة النَّسب : شهاب الدّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحّمويّ الروميّ البغداديّ ، (الدار العربية للموسوعات) بيروت ، ط/ ١ ، ١٩٨٧م ، ١/ ٢١٩ و ٢٤٥ ، اللباب في تهذيب الأنساب : ابن الأثير الجزري ، (دار صادر) بيروت ، د. ت ، ١/ ٤٦ ، قلائدُ الجُمان في التعريف بقبائل عرب الزَّمان : لأبي العبّاس أحمد بن علي القلقشندي ، حقَّقه وقدَّم له ووضع فهارسه : إبراهيم الأبياري ، (دار الكتاب المصري) القاهرة ، ط/ ٢ ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م ، ص ٩١ .

** الغَرْناطيٌّ : غرناطة تقع على سفح جبال سييرا نيفادا ، في التقاء ثلاثة أنهار: دارّو، بيرّو والشنيل ، في الارتفاع من ٧٣٨ متراً فوق مستوى سطح البحر ، وفي التعداد الوطني عام (٢٠١١) بلغ عدد سكان غرناطة ٢٤٠,٠٩٩ نسمة ، وبلغ عدد السكان في المنطقة الحضريّة بأكملها ٤٩٨,٣٦٥ نسمة ، وصُنِّفت غرناطة في المرتبة (١٣) كأكبر المناطق الحضريّة في إسبانيا ، وكانت غرناطة تُدْعى إلبيرا حتى منتصف القرن الثامن الميلادي ، وهذه التسمية تأتي من أيام الحكم الإسلامي للأندلس بعد أن فتحها المسلمون الأمويون عام (٧١١م) وأسَّسوا قلعة غرناطة ، ومن أهم معالم المدينة قصر الحمراء .

ويبزغ نجم هذه المدينة الأندلسية الرائعة إبَّان تهاوي عواصم المسلمين في الفردوس الضائع _ اعاده الله للمسلمين بكل خير _ وتساقطها الواحدة تلو الأخرى بعد موقعة "العقاب" بين إسبانيا المسيحية والمغرب العربي الإسلامي الممثل في دولة الموحدين حين ذاك ، وتمركز المسلمين في قصبتها الشهيرة ، ثم تولّي ابن الأحمر زمام الأمور ، الذي ورغم تهاونه في كثير من الأمور واسناده المخزي للقشتاليين في حصار إشبيلية ، فإنَّه يحسب له ترسيخه للمسلمين بالأندلس الصغرى كما كانت تسمى غرناطة ، حيث أضحت في زمانه وزمان خلفاءه من بني الأحمر جوهرة المدائن في إيبيريا ورائدة النفائس ، وناهز سكانها من المسلمين ما يربوا على النصف مليون نسمة كما اشارت بعض المصادر .

ومن أهم معالم غرناطة "قصر الحمراء" الذي يُعدُّ هو وجنَّة العريف من أعظم الثروات الثقافية في غرناطة بين المسلمين واليهود والمسحيين ، وجنة العريف هي حدائق مرفقة بالقصر تتميز بموقعها وتصميمها الفريد ، فضلاً عن التنوع في أزهارها

ونباتاتها ونوافيرها ، ويُعدُّ قصر الحمراء تتويج لأبْرز الأعمال المعمارية في عهد بنو الأحمر في الفترة بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر، ولقد تَمَّ بناء مُعْظم قصر الحمراء في عهد يوسف الأوّل ومُحَمَّد الخامس بين الأعوام ١٣٣٣ و١٣٥٤ . وغرناطة : بفتح أوَّله وسكون ثانيه ثمَّ نون وبعد الألف طاء مُهْملة ، ومعنى غرناطة "رمّانة" بلسان عجم الأندلس سمّي البلد لحُسنه بذلك ، وهي من أقدم مُدن كورة البيرة من أعمال الأندلس ، وأعْظمها ، وأحْسنها ، وأحْصنها ، وتُعْرف بمدينة اليهود أيضاً .

يُنظر في التفاصيل : صفة جزيرة العرب ، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار : محمّد عبد المنعم الحميري ، عُني بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيها : إ . لافي بروفنصال ، (دار الجيل) بيروت ، ط/ ٢ ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م ، ص ٢٣ – ٢٤ ، الآثار الأندلسيَّة الباقية في اسبانيا والبرتغال ، دراسة تاريخيّة أثريّة : محمّد عبد الله عنان ، (الناشر مكتبة الخانجي) القاهرة ، ط٢/ ١٤١٧هـ–١٩٩٧م ، ص ١٤٨ – ٢٠١ ، الحُلل السُّنْدُسيّة في الأخبار والآثار الأندلسيَّة : شكيب أرسلان ،(المطبعة الرحمانية) مصر، ط١/ ١٣٥٥هـ–١٩٣٦م ، ٢/ ٢٢٩ – ٢٤٤ ، غرناطة في ظلِّ بني الأحمر " دراسة حضاريّة " : د. يوسف شكري فرحات ، (دار الجيل) بيروت ، ط/ ١ ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م ، ص ٩ – ١٤ ، معجم البلدان : شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، (دار صادر) بيروت ، ط/ ١٣٩٧هـ–١٩٧٧م ، ٤/ ١٩٥ ، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والدّيار : محمّد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السّلماني الخطيب ، يكنى أبا عبد الله ، تحقيق : د. محمّد كمال شبانة (مكتبة الثقافة الدينية) القاهرة ، ط/ ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م ، ص ١١٣ – ١٢٣ ، رحلة ابن بطوطة " تحفة النُظَّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" : قدَّم لهُ وحقَّقهُ : الشيخ محمّد عبد المنعم العريان و راجعهُ وأعدَّ فهارسهُ : الأستاذ مصطفى القصَّاص ، (دار احياء العلوم) بيروت ، ط/ ١ ، ١٤٠٧هـ – ١٩٧٨م ، ص ٦٨٣ – ٦٨٥ ، اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصّحابة ورواة الآثار : لأبي محمّد عبد الله بن عليّ بن عبد الله اللَّخميّ الرشاطيّ الأندلسيّ ، ويليه اختصار اقتباس الأنوار : لأبي محمّد عبد الحقّ بن عبد الرّحمن الإشبيلي المعروف بـ ابن الخرَّاط ، وضع حواشيه : محمّد سالم هاشم ، (دار الكتب العلمية) بيروت ، ط/ ١ ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م ، ص ١٠٥ و ١٠٦ ، بلدان الأندلس في أعمال ياقوت الحموي الجغرافية (٥٧٤–٦٢٦هـ / ١١٧٨–١٢٢٩م) دراسة مقارنة : د. يوسف أحمد بني ياسين ، (مركز زايد للتراث والتاريخ) العين ، الإمارات العربية المتحدة ، ط/ ١ ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م ، ص ٣٩٨ – ٤٠٠ ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن البناء البشاري المقدسي ، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه : د. محمّد مخزوم ، (دار إحياء التراث العربي) بيروت ، ١٩٨٧م ، ص ١٩٣ ، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار ، والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك : أحمد بن عُمر بن أنس العذري المعروف بـ ابن الدلائي ، (منشورات معهد الدراسات الإسلامية) مدريد ، تحقيق : د. عبد العزيز الأهواني ، د.

ت ، ص ٨٤ ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق : محمّد بن محمّد بن عبد الله بن إدريس بن يحيى بن علي بن حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشيّ ، (مكتبة الثقافة الدينيّة) القاهرة ، ط/ ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م ، ص٥٦٩ – ٥٧٠ ، الرّوض المعطار في خبر الأقطار: محمّد عبد المنعم الحميري ، تحقيق : د. إحسان عبّاس ، (مكتبة لبنان) بيروت ، ط٢/ ١٩٨٤م ، ص ٤٥ – ٤٦ ، اللمحة البدرية في الدولة النصريّة : محمّد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السّلمانيّ الخطيب ، دراسة وتحقيق : د. مُحمّد مسعود جبران ، (دار المدار الإسلامي) ليبيا ، ط/ ١ ، ٢٠٠٩م ، ص ٢١ – ٢٧ ، المسالك والممالك : لأبي عُبيد البكري ، حقَّقه وقدَّم له : أدريان فان ليُوفن و أندري فيري ، (دار الغرب الإسلامي) بيروت ، ط/ ١٩٩٢م ، ٣/ ٨١٨ .

٢) اجمعت كل المضان التي وَرَدَ ذكْره فيها على ولادته وهي : سنة تسعة وخمسين وخمسمائة للهجرة .

٣) وَرَدَ فقط في : "التكملة لكتاب الصلة" : ابنُ الأبّار ، وعلى هذا القول أخذ الذهبيّ في : "المُسْتملح وفي تاريخ الإسلام" ، لأنَّه معتمده ، يُنظر : التكملة لكتاب الصلة : ابن الأبّار ، ٤/ ٩٥ ، المُسْتملح من كتاب التَّكملة : الذَّهبيّ ، ص ٣٨٣ ، وفي تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : الذَّهبيّ ، ١٤/ ٣١٧ ، وقال : ((تُوفي عن إحدى وثمانين سنة)) .

٤) نعتقد أنَّ ما ذهب إليه ابن الأبّار والذَّهبيّ – الذي نقل عنه – غير صحيح ؛ لانفراد الأوّل بهذا الخبر من بين كل المصادر التي جاءت بسيرة المترجم له ، أمَّا الثاني فلعله نقل عن ابن الأبّار من غير دقَّة ، بدليل ما قاله في نهاية ترجمته لسهل بن مالك : والصواب ما ذهب إليه ابن عبد الملك في الذيل وابن الخطيب في الإحاطة ، بقولهما : ((وقد غُلِّط ابن الأبّار في ذكر وفاته)) .

٥) الإحاطة في أخبار غرناطة : ٤/ ٢٨٦ .

* هو : محمّد بن محمّد بن سهل بن محمّد بن سهل البارقي الأزديّ ، الغرناطيّ ، نسبةً للمكان الذي عاش فيه غرناطة (٦٦٢هـ – ٧٣٠هـ) ، قال ابن كثير : كان له فضائل كثيرة في الفقه والنحو والتاريخ والأصول ، وكان عالي الهمة شريف النفس محترماً ببلاده جداً ، بحيث إنَّه يولي الملوك ويعزلهم ، ولم يلِ هو مباشرة شيء ولا أهل بيته ، وإنَّما كان يلقب بالوزير مجازاً ولم يلِ عملا . ينسب إلى بارق من الأزد ، نشأ بالأندلس ، ونبغ في علوم شتى وبرع في معرفة الأسطرلاب وكان وافر الجلالة ببلدة يرجعون إلى رأيه فيمن تولى المملكة ، ويلقبونه بالوزير وفيه ورع ، اخذ عنه قطب الدين عبدالكريم ومحمّد بن الذَّهبيّ ، كانت وفاته في القاهرة في رجوعه من الحج ، في ثاني عشرين المحرم سنة ثلاثين وسبعمائة ، وكان ذا فنون وله شعر .

قال الذّهبيّ : كان شيخاً وقوراً لا يتعمم بل كان يتطيلس على طافية ، وقال القطب : كان فاضلاً عارفاً ، له دين متين وورع وزهد ، وكان لا يقبل لأحد شيئاً ، ويكثر التصدُّق ممّا يأتيه من أملاكه بالمغرب ، ووصفه ابن الخطيب : بالرياسة ومجالسة السلطان وملازمة التلاوة وتفقد أهل الخير .

يُنظر في ترجمته : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : شهاب الدين أحمد بن علي بن محمّد بن محمّد بن علي بن أحمد ، الشهير بابن حجر العسقلاني ، د. م ، د. ط ، د. ت ، ٤/ ١٧٨، البداية والنهاية : عماد الدّين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضَوْ بن درع القرشيّ الحَصْليّ ، البُصروي ، الشافعي ، ثم الدمشقيّ ، (مكتبة المعارف) بيروت ، ط/ ٧ ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م ، ١٤/ ١٤٩ ، الإحاطة في أخبار غرناطة : ٣/ ٢٠١ ، الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين : ٧/ ٣٤ .

* محمّد بن محمّد بن سهل ، يُكنى أبا عبد الله ، أثنى عليه ابن الخطيب وقال : كان سليم الباطن محافظاً على الجماعة مقتصداً في أمره وكان قد أُسر في بعض الوقعات فبقي في أيدي العدو مدّة ثم افتدى بمال جزيل ، ومات بغرناطة في ربيع الآخر سنة ٧٣١ هـ .

يُنظر في ترجمته : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : ٤/١٧٩ .

٦) الإحاطة في أخبار غرناطة : ٤/ ٢٧٧ .

٧) الذَّيل والتَّكملة لكتابي الموصول والصّلة : ٤/ ١٠٢ – ١٠٥ ، وكذلك المُسْتملح من كتاب التَّكملة : ص ٣٨٤ ، وكذلك بُغْيةُ الوُعاة في طبقات اللّغويّين والنُحاة : ١/ ٦٠٥ .

٨) برنامج شيوخ الرُّعينيّ : ص٥٩ – ٦٠ .

* هو أبو عبد الله مُحَمّد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عُبَيْد بن عياش التجيبيّ ، أصله من قرية بُرْشانة من عمل المريَّة بجنوب الأندلس ، ولِدَ بها سنة ٥٥٠هـ ، عُنِيَ بالأدب وكان عالماً بها ، رئيساً في صناعة الكتابة ، خطيباً مصقعاً بليغاً مفوَّهاً ، وذا حظٍّ صالح من قرض الشعر ، وأنَّ السلطان في المغرب استكتبه في سنه ٥٨٦هـ فنال دُنْيا عريضة .

يُنظر في ترجمته : زاد المسافر وغرّة محيّا الأدب السافر : ص ٩٤ ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب : عبد الواحد بن عليّ المراكشيّ ، تحقيق : محمّد سعيد العريان ، (مطبعة الاستقامة) القاهرة ، ط١/ ١٣٦٨هـ – ١٩٤٩م ، ص ٢٦٣ ، إعْتابُ الكُتَّابُ : لأبي عبد الله مُحَمّد بن عبد الله بن أبي بكرٍ القُضاعيّ المعروف بـ ابن الأبّارِ ، حقَّقه وعلَّق عليه وقدَّم له : د. صالح الأشتر ، (مطبوعات مجمع اللغة العربية) دمشق ، ط/ ١٣٨٠هـ – ١٩٦١م ، ص٢٣٠ ، مجموع رسائل موحَّديّة من إنشاء كتاب الدَّولة المؤمنيّة : اعتنى بإصداره الأستاذ : إ. لافي بروفانسال ، (مطبوعات معهد العلوم العليا) المغرب ، ط/ ١٩٤١م ، المقدمة حرف(و) .

* أبو عبد الله محمّد بن يوسف بن هُود الجذامي ، "المتوكل على الله" ، أمير المسلمين ومُعزّ الدّين ، ومؤسس الإمارة الأندلسية بعد انهيار سلطة الموحدين في الأندلس ويعرف بـ ابن هود ، ظهر في مرسية بالأندلس ، بايع الخليفة العباسيّ "المستنصر بالله" أبي جعفر ؛ فأرسل إليه التقليد العباسيّ سنة ٦٣٠هـ ، غير أن دولته لمْ يطل أمدها سوى تسع سنين وبضعة أشهر ، "توفي عام ٦٣٥هـ" .

ويرجع نسبه إلى مُحَمّد بن يوسف بن مُحَمّد بن عبد العظيم بن أحمد بن سليمان "المستعين بن هود" بن مُحَمّد بن هود ، سليل الأُسرة الشهيرة بـ الأندلس "بنو هود" وهم من قبيلة جذام من قحطان ، وأُسرة هود من السلالات الحاكمة الشهيرة بـ الأندلس زمن ملوك الطوائف وكانت تحكم سرقسطة ومدينة ماردة "إسبانيا" والشّمال الشّرقي من الأندلس المعروف بـ "الثغر الاعلى" .

وبعد أن ضاقت الأندلس بـ "مُحَمّد بن هود" ، أتجه إلى وزيره أبو مُحَمّد بن عبد الله بن مُحَمّد بن عبد الملك الأموي الرميمي ، وكان في المرية جنوب الأندلس ، وكان ابن هود يدعوه ذو الوزارتين وتولى الرميمي المرية فلم يزل بها حتى قَدِمَ عليه ابن هود سنة ٦٣٥هـ واستقر عنده ، ثم هلك بالحمام ودفن بمرسية ، ويُقال أن وزيرة الرميمي قتله . يُنظر في ترجمته : الإحاطة في أخبار غرناطة : ٢/ ١٢٨ ، أعمال الأعلام فيمن بُويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلّق بذلك من الكلام : الوزير أبي عبد الله مُحَمّد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسيّ الشهير بـ لسان الدّين بن الخطيب ، تحقيق : سيَّد كسروي حسن ، (دار الكتب العلمية) بيروت ، د. ت ، ٢/ ١٦٧ – ١٧٣ ، البيان المُغْرب في أخبار الأندلس والمغرب ، "قسْمُ المُوحّدين" : لأبن عِذاري المُراكشي ، تحقيق الأساتذة : محمّد إبراهيم الكتاني و محمّد بن تاويت و محمّد زنيبر و عبد القادر رزمامة ، (دار الغرب الإسلامي) بيروت ، ط/ ١ ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م ، ص ٢٧٨ وما بعدها .

٩) اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى : ص ٦٠ – ٦٤ .

١٠) صلة الصلة : ٣/ ٣٧٢ .

١١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب : ٧/ ١٧ .

١٢) المُغْرب في حُلَى المغرب : ٢/ ١٠٥ .

١٣) رايات المُبرَّزين وغايات المُميَّزين : ص ١٤٩ .

١٤) قلائِد الجُمان في فرائِد شُعراء هذا الزَّمان : ٣/ ٩٥ .

١٥) التكملة لكتاب الصلة: ٤/ ٩٤، وكذلك ، سير أعلام النبلاء : ٢/ ١٩٥١ ، وكذلك ، الوافي بالوفيات : ١٦/ ١٥ – ١٦

١٦) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار : ١٧/ ٣٧٠ .

١٧) الدِّيباجُ المُذهِبُ في معرفةِ أعيان عُلماءِ المَذْهَب : ١/ ٣٩٥ .

١٨) معجم المؤلفين ، تراجم مُصنِّفي الكتُب العربيّة : ٤/ ٢٨٥ .

١٩) الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين : ٣/ ١٤٣ ، وكذلك ، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتَّى سنة ٢٠٠٢م : ٣/ ١٠٠ .

* هو : يزيد بن محمّد بن يزيد بن محمّد بن يزيد بن رفاعة أبو خالد اللّخميّ الغرناطيّ ، مقرئ كامل مصدّر ، كان بصيراً بالقراءات وعِللها ، قرأ على أبي الحسن علي بن أحمد الباذش وأجاز له أبو محمّد بن عتاب وغيره وسمع من القاضي أبي بكر بن العربي وجماعة ، قرأ عليه عبد الله بن محمّد الكواب وهو آخر من روى عنه ويوسف بن عبد الله اللّخميّ ، توفي سنة خمس وثمانين وخمسمائة عن أربع وسبعين سنة .

يُنظر في ترجمته : غاية النهاية في طبقات القرَّاء : شمس الدّين أبي الخير محمّد بن محمّد بن محمّد بن علي بن الجزار الدّمشقيّ الشّافعيّ ، عُني بنشرها سنة ١٩٣٢م : ج . برجستراسر ، (دار الكتب العلمية) بيروت ، ط/ ١ ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م ، ٢/ ٣٣٤،٣٣٥ ، طبقات القرَّاء : شمس الدّين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان الذّهبي ، تحقيق : د. أحمد خان ، (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإنسانية) الرياض ، ط/ ١ ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م ، ص ٨٦٦ رقم الترجمة (١٠٧) .

* هو : أبو محمّد عبد المنعم بن محمّد بن عبد الرحيم الخزرجيّ الغرناطيّ الأندلسيّ المالكيّ ، المعروف بابن الفرس / ت ٥٩٧ هـ ، إمام في العربية واللغة والتفسير، نشأ في بيت يهتم بالعلوم الشرعية فقد اشتهر أبوه بطلب العلم وملاقاة الشيوخ ، وأما جدَّه عبد الرحيم بن محمّد الخزرجيّ فقد كان فقيهاً ومحدثاً وعالماً بالقراءات ، رَحَلَ ابن الفرس إلى قرطبة (إسبانيا) سنة ٥١٩ هـ ، فلقي بها ابن العتاب وابن الوراق وأبو بكر ابن العربي وغيرهم ، مؤلفاته أحكام القرآن وهو تفسير واختصر كتاب الأحكام السلطانية للإمام الماوردي وكتاب النسب لأبي عُبيد القاسم بن سلام وكتاب في صناعة الجدل .

يُنظر في ترجمته : تاريخ قضاة الأندلس : لأبي الحسن بن عبد الله بن الحسن النُباهيّ المالقيّ الأندلسيّ : وسمَّاه كتاب المرقبة العُليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي ، (دار الآفاق الجديدة) بيروت ، ط٥/ ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م ، ص ١١٠ ، التكملة لكتاب الصلة : ٣/ ٢٦٩ – ١٢٨ ، تحفة القادم : لأبي عبد الله محمّد بن الأبّار القضاعيّ البلنسيّ الأندلسيّ : أعاد بناءه وعلّق عليه : د. إحسان عبّاس ، (دار الغرب الإسلامي) بيروت ، ط/ ١ ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م ، ص ١١٤ – ١١٨ ، البُلغة في تراجم أئمَّة النّحو واللُّغة : مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق : محمّد المصري ، (دار سعد الدين) دمشق ، ط١/ ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م ، ص١٩٠ ، طبقات المفسرين : شمس الدّين محمّد بن علي بن أحمد الدّاوودي ، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العُلماء بإشراف الناشر ، (دار الكتب العلمية) بيروت ، ط/ ١ ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، ١/ ٣٦٢ ، شجرة النّور الزكيّة في طبقات المالكيّة : محمّد بن محمّد مخلوف ، (المطبعة

السلفيّة) القاهرة ، ط/ ١٣٤٩هـ ، ص ١٥٠ ، هدية العارفين اسماء المؤلفين آثار المصنّفين : إسماعيل باشا البغدادي ، (دار إحياء التراث العربي) بيروت ، ط/ ١٩٥٥ ، ١/ ٦٢٩ ، مُعجم المؤلفين ، تراجم مُصنّفي الكتب العربيّة : عُمر رضا كحالة ، (مؤسسة الرسالة) بيروت ، ط/ ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م ، ٢/ ٣٢٥ ، المقتضب من كتاب تحفة القادم : ابن الأبّار القضاعيّ ، أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن أبي بكر البلنسيّ ، اختيار وتقييد : أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن إبراهيم البَلْفيقي ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، الناشرون : (دار الكتاب المصري) القاهرة ، (دار الكتاب اللبناني) بيروت ، ط/٢ ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م ، ص ١٣٤ .

* هو : أبو القاسم السُّهَيْلي وأبو زيد ، عبد الرحمن بن عبد الله بن الخطيب بن أصبع بن حبيب بن سعدون بن رضوان بن فتوح الخثعمي السهيلي ، والسهيلي نسبة إلى قرية من القرب من مالقة في الأندلس اسمها سهيل ، ولد سنة ٥٠٨هـ في مالقة ، مُحدّث وأديب ونحوي ولغوي وعلامة ، حدَّث بمالقة ، وانتشرت مؤلَّفاته بها ، وهي دالة على علمه وذكائه ، وكان مكفوف البصر ، ومن شيوخه : ابن العربي ، وابن الطراوة ، وأبو القاسم بن الرماك ، وشريح بن محمّد ، وأبو عبد الله بن أخت غانم ، ومن تلاميذه : سهل بن محمّد بن سهل بن أحمد بن مالك الأزدي ، وابن دحية الكلبي ، وعبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الأنصاري ، ومن مؤلفاته : "الروض الأنف" في شرح السيرة النبويّة لابن هشام ، و"تفسير سورة يوسف"، و"مسألة رؤية الله في المنام ورؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ونتائج الفكر في علل النحو ، والقصيدة العينية ، والتعريف والإعلام فيما أبهم من القرآن من الأسماء الأعلام ، توفي أبو القاسم السّهيليّ سنة ٥٨١ هـ ، في مراكش بالمغرب يُنظر في ترجمته : وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان : لأبن العبَّاس شمس الدّين أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن خلِّكان ، تحقيق : د. إحسان عبَّاس ، (دار صادر) بيروت ، د. ت ، ٣/ ١٤٣– ١٤٤ ، بُغية المُلْتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس : لأبي جعفر أحمد بن يحْيى بن عَمِيرة الضَّبِّي ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، (دار الكتاب المصري) ، ط١/ ١٤١٠هـ–١٩٨٩م ، ٢/ ٤٧٧ ، رقم الترجمة (١٠٢٨) ، نَكْت الهميان في نُكَتِ العُميان : صلاح الدّين خليل بن ايبك الصَّفدي ، وقف على طبعه الأستاذ : أحمد زكي بك ، (المطبعة الجمالية) مصر ، طبع بأمر اللجنة التحضيرية للمؤتمر تحت رياسة صاحب السعادة "حسين رشدي باشا" ، ط/ ١٣٢٩هـ – ١٩١١م ، ص ١٨٧ ، انباهُ الرُّواة على أنْباه النُحاة : جمال الدّين أبي الحسن علي بن يوسف القفطيّ ، تحقيق : محمّد أبو الفضل إبراهيم ، (دار الفكر العربيّ) القاهرة ، ط/ ١ ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م ، ٢/ ١٦٢ ، تذكرة الحُفَّاظ : محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، شمس الدين، أبو عبد الله ، الذهبي ، (دار الكتب العلمية) بيروت ، د. ت ، ٤/ ١٣٤٨ ، رقم الترجمة (١٠٩٩) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب : لأبن العماد شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمّد العكريّ الحنبليّ الدمشقيّ ، حققه وعلَّق عليه : محمود الأرناؤوط ، (دار ابن كثير)

دمشق ، ط١/ ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م ، ١/ ٤٦ ، الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب : د. حسن جلاب ، ط/ ١ ، ١٩٩٤م ، ص ١٥٧ .

* هو : ابن حبيش القاضي الإمام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن محمّد بن عبيد الله بن يوسف الأنصاريّ الأندلسيّ المريّ نزيل مرسية ، وحبيش هو خاله نُسِبَ إليه ، ولد بالمرية سنة أربع وخمس مائة ، وقرأ بالروايات على أحمد بن عبد الرحمن القصبيّ وأبى القاسم ابن أبي رجاء البلوىّ والأصبغ بن اليسع ، وتفقه بأبي القاسم بن وردان أبى الحسن بن نافع ، وسمع منهما ومن أبى عبد الله بن وضاح وعبد الحق بن غالب وعلي بن إبراهيم الأنصاري وأبى الحسن بن موهب ، وارتحل إلى قرطبة فلّحِق بها يونس بن مغيث فسمع منه ومن جعفر بن محمّد بن مكي وقاضي الجماعة محمّد بن أصبغ والقاضي أبى بكر ابن العربيّ ، وأخذ الأدب عن محمّد ابن أبي زيد النحوي فبرع في النحو ، ولما تغلَّبت الروم على المرية سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة خرج إلى مرسية ثم سكن جزيرة شقر وولى القضاء والخطابة بها ثنتي عشرة سنة ثم نقل إلى خطابة مرسية وولى القضاء بها عام خمسة وسبعين وخمسمائة فحمدت أحكامه مع ضيق في خلقه ، وكان من أعلام الحديث بالأندلس بارعا في معرفة غريبه ، ولم يكن أحد يجاريه في معرفة الرجال قال الأبَّار : سمعت ابا سليمان ابن حوط الله يقول : سمعت أبا القاسم بن حبيش يقول إنَّه مرَّ عليه وقت يذكر فيه تاريخ أحمد بن أبي خيثمة أوْ أكثره ، وله خطب حسان . وقال ابن الزبير : هو أعلم أهل طبقته بصناعة الحديث وأبرعهم في ذلك مع مشاركته في علوم ، وكان من العلماء العاملين أمعن الناس في الاخذ عنه . قال أبو عبد الله بن عباد : كان عالما بالقراءات إماما في علم الحديث عارفا بعلله واقفا على رجاله لم يكن بالأندلس من يجاريه فيه ، أقرَّ له بذلك أهل عصره ، مع تقدُّمه في اللغة والأدب واستقلاله بغير ذلك من جميع الفنون ، قال : وكان له حظ من البلاغة والبيان صارما في أحكامه جزلا في أموره ، تصدَّر للإقراء والتسميع والعربية ، وكانت الرحلة إليه في زمانه ، وطال عمره ، وله " كتاب المغازي " في عدة مجلدات حمله عنه الناس ، مات بمرسية في رابع عشر صفر سنة أربع وثمانين وخمسمائة عن ثمانين سنة .

يُنظر في ترجمته : تذكرة الحفاظ : ٤ / ١٣٥٤ ، الحُلل السُّنْدُسيّة في الأخبار والآثار الأندلسيَّة : شكيب أرسلان ،(المطبعة الرحمانية)مصر ، ط١/ ١٣٥٥هـ-١٩٣٦م ، ٢/ ٣٦ ، الإحاطة في أخبار غرناطة : ٢/ ٣٩٠ ، ٤٨٣ ، ٤٨٨ .

* هو : أبو بكر محمّد بن عبد الله بن يحيى بن فرج بن الجدّ الفهريّ اللبليّ المالكيّ والمعروف اختصارا بأبو بكر بن الجدّ (٤٩٦هـ – شوال ٥٨٦هـ) حافظ وفقيه وخطيب وكان أحد الفصحاء البلغاء . يصنف كأحد أساطين الفقهاء في العصر الموحّدي ، والاسم البارز في سماء الفقه المالكي ، انتهت إليه رئاسة الفقه بالأندلس أكثر من ستين سنة ، يُعد من أسرة آل ابن الجد بلبلة ، وقد طلب العلم بقرطبة سنة ٥١٥هـ عند كبار فقهاء المالكية : ابن رشد الجد وأبو بحر بن العاص وابن عتاب ، وبإشبيلية عند أبا بكر بن العربي ومحمّد بن شريح الرّعينيّ لكنَّه امتنع من الرواية عنهما . وفي اللغة بحث كتاب

سيبويه على أبو الحسن بن الأخضر ، وسمع صحيح مسلم من أبو القاسم الهوزني ، كما لَزِمَ مالك بن وهيب الأندلسيّ واختص به . من تلاميده ابن زرقون وأبو علي الشلوبين وابن دحية الكلبي ، وكان كبير الحفّاظ في الفتيا ، وقدم للشورى سنة ٥٢١هـ مع أبو بكر بن العربي ونُظرائه بإشبيلية وأبو القاسم بن ورد قاضٍ بها ، ويروي أبو الربيع الكلاعي ، عظم خلال حياته جاهه وشأنه ، فكان خطيبا عن ملوك عصره المرابطين ثم الموحدين . كان على رأس الوفد الأندلسيّ الذي توجه سنة ٥٤٥ هـ لمدينة سلا لتجديد البيعة للخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي ، وألقى فيهم ابن الجد ، باسم الوفد ، خطبة بليغة استحسنها الخليفة ، تعرض لمحنة في بلدته لبلة حيث سجن واطلق سراحه بعدها .

وشن الخليفة عبد المومن حملة عشواء ضد المذهب المالكي ، وهدأت بعدما قام الفقهاء وفندوا مزاعم الذين طعنوا في المذهب ، إلى أن جاء الخليفة الثاني ، حيث ذكر عبد الواحد المراكشي صاحب كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب قصة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن مع أبي بكر ابن الجد وأظهر له سياسة الموحدين الجديدة لمحاربة الفقه وفروعه ، وكان أبو يعقوب قد كرَّمه أيام إمارته بإشبيلية واستدعاه إلى مراكش لما صار خليفة ، توفي في شوال سنة ٥٨٦هـ . ومن مؤلفاته : أحكام الزكاة .

يُنظر في ترجمته : التكملة لوفيات النقلة : زكيّ الدّين أبو محمّد عبد العظيم بن عبد القويّ المنذري ، حقَّقه وعلَّق عليه : د. بشَّار عوَّاد معروف ، (مؤسسة الرسالة) بيروت ، ط/ ٣ ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م ، ١/ ١٤٥ ، رقم الترجمة (١٢٣) ، الذَّيل والتَّكملة لكتابي الموصول والصّلة : ٦/ ٣٢٣ ، رقم الترجمة (٨٤٠) ، تراجم طبقات النحاة واللغويين والمفسرين والفقهاء : تقي الدّين ابن قاضي الشّهبي الأسدي الدّمشقي الشّافعي ، تحقيق : د. محسن غياض ، (الدار العربية للموسوعات) بيروت ، ط/ ١، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م ، ص ١٠٣ ، أحكام الزكاة : الحافظ أبو بكر محمّد بن عبد الله بن يحيى بن الجدّ الفهريّ اللّبليّ الإشبيليّ المالكيّ ، دراسة وتحقيق : د. عبد المغيث الجيلاني ، خرّج أحاديثه : ذ . الميلود كعواس ، (منشورات مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء) الرباط ، سلسلة نوادر التراث (٩) ، ط/ ١ ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م ، ص ١١ – ١٦ ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس : عليّ بن أبي زرع الفاسيّ ، (دار المنصور للطباعة والوراقة) الرباط ، ط/ ١٩٧٢م ، ص ٢٠٧ .

* هو : أبو عبد الله محمّد ابن أبي الطيب سعيد بن أحمد بن سعيد بن عبد البر بن مجاهد الأنصاريّ الأندلسيّ الإشبيليّ المالكيّ ، المعروف بـ ابن زرقون ... وزرقون هو لقب جدهم سعيد (٥٠٢ هـ – ٥٨٦ هـ) ، فقيه ومقرئ ومحدّث أندلسيّ ، ولد في شريش ، واستقر بإشبيلية وبها مات . سمع أباه ، وأبا عمران بن أبي تليد ، وأبا القاسم بن الأبرش وأبو بكر بن الجدّ ، وغيرهم ، لازم ابن زرقون القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) ، وتلقَّى العلم بمراكش وسبتة ، وتولَّى ابن زرقون القضاء في إشبيلية وشلب . قال الذهبي : كان سيّد الأندلس في وقته ، ولي قضاء سبته ، فحمدت سيرته ونزاهته ، وكان أحد سروات

الرجال ، حافظاً للفقه مبرزاً فيه ، وكان الناس يرحلون إليه للأخذ عنه والسماع منه لعلو روايته ، وكان مسند الأندلس في وقته ، وقد وصفه الذهبي في السير بـ "المسند الفقيه" ، وله مؤلَّف جَمَعَ بين الجامع الكبير للترمذي وسنن أبي داود في الحديث من أثاره وكتاب الأنوار جمع فيه المنتقي والاستذكار ، وكتاب جمع فيه بين مصنف الترمذي وسنن أبي داود .

يُنظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء : ٤/ ٣٦٦٢ رقم الترجمة (٥٧٦٢) ، التكملة لكتاب الصلة : ٢/ ٢٣١ ، رقم الترجمة (١٤٩٤) ، غاية النهاية في طبقات القرَّاء : ٢/ ١٢٧ ، رقم الترجمة (٣٠٢٠) .

* هو : أبو العبّاس ، أحمد بن عبد الرحمن بن محمّد بن سعيد بن حُريث بن عاصم بن مضاء بن مهند بن عُمير ، اللّخميّ القرطبيّ (٥١٣ –٥٩٢ هـ/١١١٦– ١١٩٦م) ولِدَ في قرطبة بالأندلس ، من علماء النحو، وله فيه آراء ومذاهب خالف فيها جميع النحويين ، وله معرفة بالطب والهندسة والحساب ، وله شعر .

ارتحل إلى إشبيلية حيث ابن الرَّمَّاك ٥٤١هـ ليدرس عليه كتاب سيبويه ، ثم هاجر في طلب الحديث إلى سبتة بالمغرب . انتهى المطاف به أن أصبح حجة في الفقه الظاهري ، وهو مذهب دولة الموحدين الذين حكموا المغرب والأندلس (٥٤١ – ٦٦٨هـ) فولوه أولاً قضاء فاس وبجاية ، ثم ما لبث الأمير يوسف بن عبد المؤمن ٥٨٠هـ أنْ جعله قاضي الجماعة في الدولة كلها ، ويوسف هذا عُرِفَ بتعصبه للمذهب الظاهري ، وظل ابن مضاء في هذا المنصب إلى أن توفي في عهد الأمير يعقوب بن يوسف ٥٩٥هـ ، وكان له ثورة على "النحو" ذلك أنَّه وجد الأبحاث النحوية ، كأبحاث الفقه ، تتضخم بتقديرات وتأويلات وتعليلات وآراء لا حصر لها ، فمضى يهاجمها في ثلاثة كتب ، هي : المشرق في النحو ، وتنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان ، والرد على النحاة ، وهذا الأخير هو الذي انتهى إلينا من آثاره ، توفي في عهد الأمير أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنصور ٥٩٥هـ .

يُنظر في ترجمته : بُغْيةُ الوُعاة في طبقات اللّغويّين والنُحاة : ١/ ٣٢٣ ، الذَّيل والتَّكملة لكتابي الموصول والصّلة : ١/ ٢١٢ ، بُغية المُلْتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس : ١/ ٢٥٣ ، جذوة الاقتباس في ذكر من حلَّ من الأعلام مدينة فاس : أحمد ابن القاضي المكناسي ، (دار المنصور) الرباط ، ط/ ١٩٧٣م ، ص ١٤٢ ، الإعلام بمن حلَّ مراكش وأغمات من الأعلام : العبَّاس بن إبراهيم السملالي ، راجعة : عبد الوهّاب بن منصور ، (المطبعة الملكية) الرباط ، ط/ ٢ ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م ، ٢/ ٩٢ ، ابن مضاء واسهاماته في تيسير النحو العربي : عنان رحمة ، رسالة ماجستير ، جامعة ابي بكر بلقايد– تلمسان/الجزائر ، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة العربية ، ٢٠١٧م ، ص ٦– ١٢ ، نشأة النَّحو وتاريخ أشهر النحاة : الشيخ محمّد الطنطاوي ، (دار المعارف) مصر ، ط/ ٢ ، د. ت ، ص ٢٣١ .

* هو : أبو العباس أحمد بن عبد السّلام الجراوي (٥٢٨–٦٠٩ هـ / ١١٣٤–١٢١٢ م) ، شاعر وأديب ، أصله من تادلة (بين مراكش وفاس) ونسبته إلى جراوة التي تسكن بين (قسنطينة وقلعة بني حماد) ، من قبائل زناتة البربرية التي سكنت

شمال افريقيا في تونس والجزائر والمغرب ، ونسبه في بني غفجوم وهم فخذ من قبيلة جراوة . سكن مراكش ، ودخل الأندلس مرّات ، وتوفي بإشبيلية ، وكان شاعر المنصور يعقوب بن عبد المؤمن ، غيوراً على الشعر ، حسوداً للشعراء ، ناقداً عليهم ، غير مسلم لأحد منهم ، وكانت له نوادر وملح مستطرفة عند أهل الأدب ، وهو من شُيوخ أدباء المغرب ، رُزق طولَ العمر والجاه ومُجالسة الخلفاء ، فأول من جالسه منهم عبد المؤمن ، ثم جالس أبا يعقوب ، وكان الخليفة عبد المؤمن يقول له إنّا نُباهي بك أهلَ الأندلس ، ويُعد أديب المغرب على الإطلاق في زمانه ، مع ما له من اعتداد بالنفس والاقتدار في التقصيد ، وله "صفوة الأدب ونخبة كلام العرب" ويعرف بالحماسة المغربية ، وهو على نسق الحماسة لأبي تمام ، وله ديوان شعر "وقف عليه ابن الأبار" .

يُنظر في ترجمته : الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة : أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربيّ الأندلسيّ (٦٨٥هـ) ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، (دار المعارف) ، مصر ، د. ت ، ص ٩٨ – ١٠٣ ، أزْهار الرِّياض في أخبار عياض : شهاب الدّين أحمد بن محمّد المقريّ التلمسانيّ ، ضبطه وحقَّقه وعلَّق عليه : مصطفى السَّقا و إبراهيم الأبياري و عبد الحفيظ شلبي ، (مطبعة فضالة) المعهد الخليفي للأبحاث المغربية ، د. ت ، ٢/ ٣٦٤ ، التكملة لكتاب الصلة : ١/ ٢٣٧ .

* هو : أبو الوليد محمّد بن أحمد بن محمّد بن أحمد بن أحمد بن رُشْد (٥٢٠ هـ– ٥٩٥ هـ) ، واشتهر باسم ابن رشد "الحفيد" ، ولِدَ قرطبة وتوفي بمراكش هو فيلسوف وطبيب وفقيه وقاضي وفلكي وفيزيائي عربي مسلم أندلسي ، نشأ في أسرة من أكثر الأسر وجاهة في الأندلس والتي عُرِفَتْ بالمذهب المالكي ، حَفِظَ موطأ مالك ، وديوان المتنبي ، ودرس الفقه على المذهب المالكي والعقيدة على المذهب الأشعري ، يُعد ابن رشد من أهم فلاسفة الإسلام . دافع عن الفلسفة وصحح للعلماء وفلاسفة سابقين له ؛ كابن سينا والفارابي فهم بعض نظريات أفلاطون وأرسطو ، قدَّمه ابن طفيل لأبي يعقوب خليفة الموحدين فعينه طبيباً له ثم قاضياً في قرطبة ، وتولّى ابن رشد منصب القضاء في أشبيلية ، وأقبل على تفسير آثار أرسطو ، تلبية لرغبة الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف ، تعرَّض ابن رشد في آخر حياته لمحنة حيث اتهمه علماء الأندلس والمعارضون له بالكفر والإلحاد ثم أبعده أبو يوسف يعقوب إلى مراكش وتوفي فيها .

أثنى بعض العلماء عليه كما جاء عند الذهبي عن ابن أبي أصيبعة من قوله : كان أوحد في الفقه والخلاف ، وبرع في الطب ، وقول الذهبي نفسه : وكان يُفزع إلى فتياه في الطب ، كما يُفزع إلى فتياه في الفقه ، مع وفور العربية ، وقيل : كان يحفظ ديوان أبي تمام والمتنبي ، وله كتب كثيرة وأشهرها : كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد في الفقه ، وكتاب مناهج الأدلة ، وهو من المصنفات الفقهية والكلامية في الأصول ، وكتاب فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، وهو من المصنفات الفقهية والكلامية . وقد أكد فيه ابن رشد على أهمية التفكير التحليلي كشرط أساسي لتفسير القرآن الكريم ، وذلك

على النقيض من اللاهوت الأشعري التقليدي ، حيث كان يتم التركيز بدرجة أقل على التفكير التحليلي وبدرجة أكثر على المعرفة الواسعة من مصادر أخرى غير القرآن على سبيل المثال الحديث الشريف ، وكتاب تهافت التهافت الذي كان ردّ ابن رشد على الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة ، وكتاب الكليات ، وكتاب "الحيوان" ، وكتاب "المسائل" في الحكمة ، وكتاب "جوامع كتب أرسطاطاليس" في الطبيعيات والإلهيات ، كتاب "شرح أرجوزة ابن سينا" في الطب ، وغيرها .

يُنظر في ترجمته : عيون الأنباء في طبقات الأطباء : موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بـ ابن أبي أصيبعة (٦٦٨هـ) ، تحقيق ودراسة : د. عامر النجار ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب) مصر ، ط / ٢٠٠٠م ، ٣/ ٣١٩-٣٢٧ ، تاريخ قُضاة الاندلس : ص ٩٨ و ٩٩ ، سير أعلام النبلاء : ٣/ ٣٢٥٤ ، رقم الترجمة (٤٨٨١) ، موسوعة عباقرة الحضارة العلمية في الإسلام : أحمد محمّد الشنواني ، (دار الزمان) المملكة العربية السعودية / المدينة المنورة ، ط/ ١ ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م ، ص ٤٥ – ٥٩ ، ابن رشد ورشديّة : ارنست رينان ، نقلة إلى العربية : عادل زُعيتر ، (دار إحياء الكتب العربية) القاهرة ، ط / ١٩٥٧م ، ص ٣٢ – ٢٨ .

* أبو محمّد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد الأزديّ الأندلسيّ الإشبيليّ المعروف في زمانه بـ ابن الخراط (ولد سنة ٥١٤ هـ ، وتوفي سنة ٥٨١ هـ) فقيه أندلسي . سكن مدينة بجاية وقت الفتنة التي زالت فيها الدولة اللمتونية بالدولة المؤمنية فنشر بها علمه ، وصنف التصانيف ، واشتهر اسمه ، له كتاب "الأحكام الصغري" و "الوسطى" وأيضا كتاب "الأحكام الكبري" ، وولي خطابة بجاية . ذكره الحافظ أبو عبد الله البلنسي الأبار ، فقال كان فقيها ، حافظا ، عالما بالحديث وعلله ، عارفا بالرجال ، موصوفا بالخير والصلاح والزهد والورع ولزوم السنة والتقلل من الدنيا ، مشاركا في الأدب وقول الشعر ، قد صنف في الأحكام نسختين كبرى وصغرى ، وسبقه إلى مثل ذلك الفقيه أبو العباس بن أبي مروان الشهيد بلبلة ، فحظي الإمام عبد الحق دونه ، وقام بعمل "الجمع بين الصحيحين" بلا إسناد على ترتيب مسلم ، وأتقنه ، وجوده .

يُنظر في ترجمته : التكملة لكتاب الصلة : ٣/ ٢٦٢ ، سير أعلام النبلاء : ٢/ ٣١٤٧ ، الرِّسالة المُسْتطرفة لبيان مشهُور كتب السُّنَّة المشرَّفة : السيّد الشّريف محمّد بن جعفر الكتانيّ ، كتب مقدّماتها ووضع فهارسها : محمّد المنتصر بن محمّد الزّمزميّ بن محمّد بن جعفر الكتانيّ ، (دار البشائر الإسلامية) بيروت ، ط/ ٥ ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م ، ص ١٧٣ ، تهذيب الأسماء واللغات : لأبي زكريا محي الدّين بن شرف النووي ، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله شركة العلماء بمساعدة ادارة الطباعة الميريّة ، (دار الكتب العلمية) بيروت ، د. ت ، ١/ ٢٩٢ و ٢٩٣ ، عُنوان الدّراية فيمن عُرف من العُلماء في المائة السَّادسة ببجاية : أبو العبَّاس الغبريني ، أحمد بن أحمد بن عبد الله ، حققه وعلَّق عليه : عادل نويهض ، (دار الآفاق الجديدة) بيروت ، ط/ ١٩٧٩م ، ص ٤١ .

* هو : الخُشُوعي أبو طاهر (٥١٠ – ٥٩٨ هـ ، ١١١٦–١٢٠١م) بركات بن إبراهيم بن طاهر بن بركات بن إبراهيم الدمشقي ، الأنماطيّ ، الرّفاء ، الذهبيّ نسبة إلى محلَّة حجر الذهب . عالم مُحدِّث سَمِعَ من هبة الله بن الأكفاني فأكثر عنه وعن عبد الكريم بن حمزة وطاهر بن سهل وغيرهم . روى عنه الموفق بن قدامة والضياء المقدسي وابن عبد الدائم وغيرهم ، وقيل له : الخُشوعي نسبة إلى جدّه الأعلى الذي كان يؤم الناس فتوفي في المحراب ، فسمِّي : الخُشوعي ، وروى كتبا كبيرة وكثيرة بالسَّماع والإجازة .

يُنظر في ترجمته : غاية النهاية في طبقات القرَّاء : ١/ ١٦٠ ، الحُلل السُّنْدُسيّة في الأخبار والآثار الأندلسيَّة : ٣/ ٨٥ ، سير أعلام النبلاء : ١/ ١١٩٦ ، رقم الترجمة (١١٧٣) ، تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب : جمال الدّين أبي حامد محمّد "ابن الصابوني" ، (عالم الكتب) بيروت ، ط/ ١ ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م ، ص ٣٣ .

٢٠) الإحاطة في أخبار غرناطة : ٤/ ٧٧٨ ، الذَّيل والتَّكملة لكتابي الموصول والصّلة : ٤/ ١٠٢ .

٢١) الذَّيل والتَّكملة لكتابي الموصول والصّلة : ٤/ ١٠٢ .

* هو أبو عبد الله محمّد بن محمّد ابن أحمد الأنصاريّ ، المعروف بـ أن الجنان ، عاش في عصر الموحدين في القرن السابع الهجري ، وتوفي سنة٦٤٦هـ ، أشتهر بمديحه للرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) وأصاب أكثر شعره الضياع بعد النكبة الأندلسية ، لشعره نزعة إسلامية مُهيمنة تركت أثرها في التزامه الأخلاقي الواضح في شعره ، فلم يهجو ولم يتكسب بشعره ، كان محدّثا راوية ، ضابطا ، كاتبا بليغا ، شاعرا بارعا ، رائق الخطّ ، ديّنا فاضلا ، خيّرا ، زكيّا ، استكتبه بعض أمراء الأندلس ، فكان يتبرّم من ذلك ، ويقلق منه . ثم خلّصه الله تعالى منه . يُنظر في ترجمته : ديوان أبن الجنان الأنصاريّ الأندلسيّ شاعر المديح النَّبوي بالأندلس في القرن السَّابع الهجري ، تحقيق : د. منجد مصطفى بهجت ، ط/ ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م ، ص ٩–١٥ ، الإحاطة في أخبار غرناطة : ٢/ ٣٤٨ ، عُنوان الدّراية فيمن عُرف من العُلماء في المائة السَّادسة ببجاية : ص ٣٤٩ ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، ٧/ ٤١٥ .

٢٢) الإحاطة في أخبار غرناطة : ٤/ ٧٧٨ ، الذَّيل والتَّكملة لكتابي الموصول والصّلة : ٤/ ١٠٢ ، برنامج شيوخ الرُّعينيّ : ص٦٠ .

* هو : محمّد بن يوسف بن موسى بن يوسف بن مَسْدي الأزديّ المهلبيّ الأندلسيّ الغرناطيّ ، أبو بكر ، جمال الدّين الأندلسيّ ، المعروف بـ ابن مسدي ، (٥٩٩–٦٦٣هـ=١٢٠٢–١٢٦٥م) ، من حفاظ الحديث المصنَّفين له ، المؤرَّخين له ، أصله من غرناطة ، كان من بحور العلم .

يُنظر في ترجمته : تذْكِرةُ الحفَّاظ : ٤/ ١٤٤٨ ، ١٤٤٩ ، سير أعلام النبلاء : ٣/ ٣٧٨٢ ، لسان الميزان : أحمد بن عليّ بن حَجَر العَسْقلانيّ ، اعتنى به : عبد الفتاح أبو رغدَّة ، (دار البشائر الإسلامية) بيروت ، ط/ ١ ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م ،

٧/ ٦٠١ ، شذراتُ الذَّهب في أخبار من ذهب : ٧/ ٥٤٣ ، غايةُ النهاية في طبقات القُرَّاء : ٢/ ٢٥٢ ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب : ٢/ ٥٩٤ .

٢٣) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : ١٤/ ٣١٨ .

* هو : محمّد بن سُودة بن إبراهيم بن سودة المُرّي ، أصْله من بُشُرَّة غرناطة ، يكنى أبا عبد الله ، كان شيخاً جليلاً ، كاتباً مجيداً ، بارع الأدب ، رايق الشعر ، سيَّال القريحة ، سريع البديهة ، عارفاً بالنَّحو واللغة والتاريخ ، ذاكراً لأيَّام السلف ، طيِّب المُحاضرة ، مَليح الشَّيبة ، حسن الهيئة ، مع الدِّين والفضل ، والطَّهارة والوقار والصَّمت .

يُنظر في ترجمته : الإحاطة في أخبار غرناطة : ٣/ ١٨٢ .

٢٤) يُنظر : تاريخ قضاة الأندلس : لابي الحسن بن عبد الله بن الحسن النُباهيّ المالقيّ الأندلسيّ : وسمَّاه كتاب المرقبة العُليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي ، (دار الآفاق الجديدة) بيروت ، ط٥/ ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ، ص ١٢٧ .

٢٥) يُنظر : الإحاطة في أخبار غرناطة : ٣/ ١٨٢ .

٢٦) الإحاطة في أخبار غرناطة :٤/ ٢٨٦ ، الذَّيل والتَّكملة لكتابيّ الموصول والصّلة : ٤/ ١٠٨ .

* هو : مُحَمّد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عيَّاش التجيبيّ البُرشانيّ السّرقسطيّ الأصل ، من أهل بُرشانة عمل المرية وسكن مراكش يُكنى أبا عبد الله ، عُني بالآداب وكان عالماً بها رئيسا في صناعة الكتابة خطيباً مصقعاً بليغاً مفوَّهاً ذا حظٍ صالح من قرض الشعر ، وكانت له مشاركة في غير ذلك ، واستكتبه السلطان بالمغرب في سنة ٥٨٦هـ فنال دنيا عريضة ، كثير الاعتناء بطلبة العلم ، والسعي الجميل لهم ، وإفاضة المعروف على قُصّاده ، مستعيناً على ذلك بما نال من الثروة والحظوة والجاه ، عند الأمراء من بني عبد المؤمن ، إذْ كان صاحب القلم الأعلى ، على عهد المنصور وابنه ، رفيع المنزلة والمكانة لديهم ، قاصداً الإعراب في كلامه ، لا يخاطب أحداً في كلامه من الناس ، على تفاريق أحوالهم ، إلا بكلام معرب ، وربما استعمله في مخاطبة قدمته وأمته ، من حوشي الألفاظ ، ما لا يكاد يستعمله ، ولا يفهمه إلا حفاظ اللغة من أهل العلم ، عادة ألِفَها واستمرت حاله عليها . توفي بمراكش في العشر الأواخر من جمادى الأخيرة سنة ٦١٨هـ ، ومولده سنة ٥٥٥هـ .

يُنظر في ترجمته : التكملة لكتاب الصلة : ٢/ ٣١٣ ، الذَّيل والتَّكملة لكتابي الموصول والصّلة : ٦/ ٣٨٤ ، زاد المسافر وغرّة محيّا الأدب السافر : ص ٩٤ ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين ، مع ما يتصل بتاريخ هذه الفترة من أخبار الشعراء وأعيان الكتاب : عبد الواحد بن عليّ المراكشيّ ، ضبطه وصححه وعلَّق حواشيه وأنشأ مقدمته : محمّد سعيد العريان و محمّد العربيَ العلميّ ، (مطبعة الاستقامة) القاهرة ، ط١/ ١٣٦٨هـ – ١٩٤٩م

، ص ٢٦٣ ، مجموع رسائل موحديّة من إنْشاء كتاب الدولة المؤمنيّة : ص ٢٢٨ ، الأدب الأندلسيّ في عصر الموحدين : د. حكمة علي الاوسي ، (مكتبة الخانجي) القاهرة ، د. ت ، ص ١١١ ، المُغْرب في حُلَى المغرب : ٢/ ٨١ .

* هو : أبو زيد ، عبد الرّحمن بن أبي سعيد بن يخلفتن بن أحمد بن تنفليت بن سليمان الفازازي ، نسبة إلى جبل فازاز بقبلي مكناسة الزيتون ، وإليه ينتمي أصله ، وتنسب أسرته إلى يجبش أو يخفش وهم من زناته . وُلِدَ بقُرطبةَ ونشأ بها ، ثمَّ سكنَ بِلِمْسَانَ وغيرها ، وبمجرد أن حفظ القرآن الكريم أنكبّ على حلقات الشيوخ يتزوّد من الحديث النبويّ وروايته والفقه وأصوله وعلم الكلام واللغة والنحو والأدب والشعر، وتفتحت موهبته الأدبية مبكرة ، وسال ينبوع الشعر متدفقا على لسانه ، وعمل في الدواوين الحكومية ، وحظى بمكانة رفيعة عند أبي إسحق والى إشبيلية لأخيه الناصر الخليفة بمراكش (٥٩٢-٦٠٩ هـ) ولابن أخيه المستنصر (٦٠٩-٦٢٠ هـ) ، ويقول لسان الدّين بن الخطيب في ترجمته أنَّه كان فاضلا سنّيا شديد الإنكار والانحاء على أهل البدع ، وكان آية الله في سرعة البديهة وارتجال النظم والنثر وفور مادة وموالاة استعمال .

يُنظر في ترجمته : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب : ٤/٤٦٨ ، التكملة لكتاب الصلة : ٣/ ١٨١ ، برنامج شيوخ الرُّعينيّ : ص ١٨١ ، تحفة القادم : ص ١٩١ ، المقتضب من كتاب تحفة القادم : ص ١٨٥ ، آثار أبي زيد الفازازيّ الأندلسيّ : تقديم وتحقيق : عبد الحميد عبد الله الهرامة ، (دار قتيبة) بيروت ، ط/ ١ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ، ص٧ ، القصائد العشريّات : الوزير أبي زيد عبد الرّحمن أبي سعيد بن يخلفتن بن أحمد بن الفازازيّ الأندلسيّ ، ومعها شرح عباراتها المجازية وتفسير ألفاظها اللغوية ، للشيخ محمّد الزهري الغمراوي ، (المكتبة الشعبية) بيروت ، د. ت ، وهو "عبارة عن بديع الشعر ومنظوم الحكم ضمَّنها نصائح دينية وحكما نبويّة" ، أعلام مالقة : لابي عبد الله بن عسكر وابي بكر ين خميس ، تقديم وتخريج وتعليق : د. عبد الله المُرابط الترغي ، (دار الغرب الاسلامي) بيروت ، ط/١ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ص٢٦١ ، أدباء مالقة : لابي بكر محمّد بن محمّد بن علي بن خميس المالقيّ ، المسمَّى : مطالع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار فيما احتوت عليه مالقة من الأعلام والرؤساء والأخيار وتقييد مالهم من المناقب والآثار ، تحقيق : د. صلاح جرَّار ، (دار البشير) الأردن ، ط/ ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م ، ص٢٦٤ ، بُغْيةُ الوُعاة في طبقات اللّغويّين والنُحاة : ٢/ ٩١ .

* فيما يخصُّ أبيات مدح سهل بن مالك لأبي زيد الفزاري ، قال صاحب كتاب تاريخ الدولتين ... بأنَّه : شيخ الدَّولة الحفصيّة وشمسها ، وجاء في نزهة الأنظار ... أنَّه كان ملازما للأمير : أبو زكرياء ابن الأمير أبي إسحاق في بجاية .

يُنظر في ترجمته : تاريخ الدَّولتين المُوحديَّة والحفصيَّة : لأبي عبد الله محمّد بن إبراهيم المعروف بـ الزركشي ، تحقيق وتعليق : محمّد ماضور ، (المكتبة العتيقة) تونس ، د. ت ، ص٥٣ ، نُزْهة الأنْظار في عجائب التّواريخ والأخبار : محمود مقديش ، تخقيق : علي الزواري و محمّد محفوظ ، (دار الغرب الإسلامي) بيروت ، ط/ ١ ، ١٩٨٨م ، ١/ ٥٥٧ ، وفي حقيقة

الأمر لم أحصل على ترجمة تعرِّفنا بـ أبي زيد الفزاري بشكل أكثر دقة ، وأرى أن هذه الأبيات الثلاثة في مدح "سهل بن مالك" لأبي زيد الفازازي ؛ فقد وجدتها في كتاب "آثار أبي زيد الفازازيّ الأندلسيّ" : ص ١٦٤ .

٢٧) الذَّيل والتَّكملة لكتابي الموصول والصّلة : ٤/ ١٠٥ .

هو : محمّد بن اسماعيل بن عَزَّان البكري ، اشبيلي ، أبو بكر الجلماني ، شيخ تجوال بالأندلس وبر العدوة طويلا ، وصحب علماءها وأدباءها وشعراءها ، واختصَّ بكثير من أمرائها ، وكان حاضر الذكر للآداب والتواريخ والأشعار ممتع المجالسة ، توفي بمراكش في حدود الستين وستمائة .

يُنظر في ترجمته : الذَّيل والتَّكملة لكتابي الموصول والصّلة : ٦/ ١٣١ ، ١٣٢ .

* أبو عمران بن سعيد : لم أعْثر على ترجمة له ، وقد وَرَدَ ذكره في : اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى : ص٦٠

* هو : الفقيه أبو الحَسن ابن الفضل ، أصله من أُوريولة ، ولزم سُكنى إشبيلية فصار معدودا في أعيانها ، واستقل بها فكاد يخلد فيها لو أنَّ أمرأً يخلد ، وكان له في أثناء تلك المهلة من أنواع التنعم ما لا يُحدّ ولا يُعدد ، وحسبك أنَّه لم يكد يوما يخلو من وجه جميل ، وكأس وخليل ؛ وألحان تُطْرب الثَّكلى ، ومحاضرات أشهى من بلوغ الآمال وأحلى ، ما بين قصور طريانه – من كور إشبيلية – وشنيوس ، والبساتين السلطانية والعُروش ، وكلما صعد المدّ ارتفع معه إلى فّم الخليج الباسم ، عن أزهاره ، فإذا نزل الجزر انحدر معه إلى حصن الفرح القائم خطيباً للذات ما بين رياضه وأشجاره ، وله الموشَّحات السائرة في أقطار المشرق والمغرب ، كانت وفاته سنة سبع وعشرين وستمائة .

يُنظر في ترجمته : اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى : ص ١٠٨ .

* هو : عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد ، القائد ، يُكنّى أبا محمّد ، أصله من قلعة يحْصب من كورة إلبيرة ، وهي المعروفة بقلعة بني سعيد ، إلا أنَّه سكن مالقة واستوطن بها ، وهو من بيت حسب وجلالة ، مشهور المكانة ، وهو حفيد / عَمَّار بن ياسر "رضى الله عنه" ، وهو المشهور بـ اليربطول ، وكان أبو محمّد جليل المقدار ، مُشاراً إليه مُعظَّماً عند الملوك ، نبيها من أهل الطَّب ، يَذْكر أدباً كثيراً وتاريخاً ، ويقول الشعر ، وتوفي بمالقة بعد سنة عشرين وستمائة .

يُنظر في ترجمته : أعلام مالقة :ص٢٤٥ ، ٢٤٦ ، أدباء مالقة : ص٢٤٤ ، ٢٤٥ ، الإحاطة في أخبار غرناطة : ٤٥٦/٣

٢٨) اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى : ص٦١ .

٢٩) الإحاطة في أخبار غرناطة : ٤/ ٢٨٥ ، التكملة لكتاب الصلة : ٤/ ٩٤ ، الذَّيل والتَّكملة لكتابي الموصول والصّلة : ٤/ ١٠٣ ، برنامج شيوخ الرُّعينيّ : ص ٦١ .

٣٠) الإحاطة في أخبار غرناطة : ٤/ ٢٨٦ ، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى : ص٦٢ ، الذَّيل والتَّكملة لكتابي الموصول والصّلة : ٤/ ١٠٤ ، برنامج شيوخ الرُّعينيّ : ص ٦٢ ، موسوعة شعراء العصر الأندلسي : ١٨٢ ، وقد ذكر فقط البيت الرَّابع والخامس والسَّادس .

٣١) الإحاطة في أخبار غرناطة : ٤/ ٢٧٩ .

٣٢) اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى : ص٦٢ .

٣٣) الذَّيل والتَّكملة لكتابي الموصول والصّلة : ٤/ ١٠٦ ، ١٠٧ .

٣٤) الإحاطة في أخبار غرناطة : ٤/ ٢٨١ ، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى : ص٦٢ ، رايات المُبرَّزين وغايات المُميَّزين : ص ١٥٠ ، وقد روى البيت الأوّل بهذا الشَّكل :

ولمّا بَدا ضوءُ الصَّباحِ رأيْتُها تُنَفِّضُ رَشْحَ الطَّلِّ عنْ ناعِمٍ صَلْتِ

٣٥) الإحاطة في أخبار غرناطة : ٤/ ٢٧٩ ، برنامج شيوخ الرُّعينيّ : ص ٦٢ و ٦٣ ، الدِّيباجُ المُذهِبُ في معرفةِ أعيان عُلماءِ المَذْهَب : ١/ ٣٩٦ ، ذكر الأبيات الخمسة الأولى فقط ، الذَّيل والتَّكملة لكتابي الموصول والصّلة : ٤/ ١٠٥ و ١٠٦

٣٦) الإحاطة في أخبار غرناطة : ٤/ ٢٨١ ، الذَّيل والتَّكملة لكتابي الموصول والصّلة : ٤/ ١٠٤ ، ١٠٥ ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار : ١٧/ ٣٧٠ ، الدِّيباجُ المُذهِبُ في معرفةِ أعيان عُلماءِ المَذْهَب : ١/ ٣٩٧ ، بُغْيةُ الوُعاة في طبقات اللّغويّين والنُحاة : ١/ ٦٠٥ ، الضَّوءُ اللَّامع لأهل القرن التّاسع : ٣/ ٢٧٣ ، سير أعلام النبلاء : ٢/ ١٩٥١ ، وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام : ٢/ ٤٥٣ ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب : ٢/ ١١٢ ، قال ابن مسدي ، أنشدني رئيس الأندلس وأديبها أبو الحَسن سهْل بن مالك الأزديّ الغرناطيّ ، لنفسه سنة ٦٣٧هـ في شوَّال بداره بغرناطة ، يقصد الأبيات السابقة الذكر .

٣٧) المُغْرب في حُلَى المغرب : ٢/ ١٠٥ .

٣٨) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب : ٣/ ٦٠٠ .

٣٩) الإحاطة في أخبار غرناطة : ٤/ ٢٨١ .

٤٠) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب : ٣/ ٦٠١ .

٤١) زاد المسافر وغرّة محيّا الأدب السافر : ص ٥٥ .

٤٢) اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى : ص٦٣ .

٤٣) الذَّيل والتَّكملة لكتابيّ الموصول والصّلة : ٤/ ١٠٣ ، ١٠٤ ، برنامج شيوخ الرُّعينيّ : ص ٦٢ موسوعة شعراء العصر الأندلسي : ١٨٢ ، وقد ذكر البيت السَّادس والسَّابع فقط ، الإحاطة في أخبار غرناطة : ٤/ ٢٨٥ ، في ثالثِ هذه الأبيات تضمينٌ ، وهُو عند النُّقادِ عيب ، وأنَّث السَّبْعَ في قافية البيت الرابع غَفْلةً وحُكمُها التذكير.

٤٤) زعم صاحب : نفح الطيب : ٣/ ٦٠١ ، أنّ هذا الشعر لسهل بن مالك ، ونسبه صاحب : الوافي بالوفيات : ١٦/ ١٥١ ، أنَّه "لصالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحَسن بن الحَسن بن عليّ بن أبي طالب" (عليه السلام) . والشطر الأوَّل فيه تضمين للحديث النَّبوي الشَّريف ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ : ((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا)) ، يُنظر : الجامع الصحيح وهو سُنن التِّرمذي : لأبي عيسى محمّد بن عيسى بن سَوْرَة ، تحقيق وشرح أحمد محمّد شاكر ، (مكتبة مصطفى الباني الحلبي وأولاده) مصر ، ط٢ / ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م ، ٤/ ٥٧٤ ، رقم الحديث : ٢٣٤٦ ، باب الزهد .

* هو : أبو محمُد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن ، اغتيل في شعبان سنة ٦٢١ هـ الملقب بالمخلوع ، هو الخليفة الموحدي السادس ، أقامه الموحدون مكان الخليفة أبي يعقوب يوسف المستنصر ، الذي توفي سنة ٦٢٠ هـ دون عقب .

وبعد تولية أبي محمّد عبد الواحد الخلافة ، ظهر بالأندلس مُطالب بالخلافة هو أبو محمّد عبد الله بن يعقوب المنصور ، والي مرسية ، الذي أعلن نفسه خليفة للموحدين ولقَّب نفسه بالعادل ، وذلك في شهر صفر سنة ٦٢١هـ ، وأيدته في دعوته معظم القواعد الأندلسية الكُبْرى ، وكان ولاة قرطبة وغرناطة ومالقة وإشبيلية يومئذ من إخوته ، أولاد الخليفة أبي يوسف المنصور، سار العادل إلى إشبيلية ، وهناك وصلته بيعات أهل مراكش وبلاد المغرب ، وقام أشياخ الموحدين بمراكش بخلع الخليفة أبي محمد عبد الواحد ، ثمَّ دبّروا قتله غيلة في شعبان سنة ٦٢١هـ ، وعندئذ قرر العادل العبور إلى المغرب ، وترك أخاه أبا العلاء إدريس بن المنصور واليًا لإشبيلية ، وهي يومئذ قاعدة الحكم الموحدي بالأندلس ، يُنظر في ترجمته : دولة الإسلام في الأندلس ، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين : محمّد عبد الله عنان ، (الناشر مكتبة الخانجي) القاهرة ، ط/ ٤ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، العصر الرابع ص ٢٨-٣٠ .

٤٥) اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى : ص٦٠ ، ٦١ .

٤٦) زعم صاحب : نفح الطيب : ٣/ ٦٠١ ، أنّ هذا الشعر لسهل بن مالك ، بينما في ٤/ ٢٤٢ من المصدر نفسه ، نسبه إلى المعتضد بالله "عباد بن محمّد بن عباد" ، في حين ورد في الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : لأبي الحَسن عليّ بن بسَّام الشنتريني ، تحقيق : د. إحسان عبّاس (دار الثقافة) بيروت ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م ، ق٢ مج ١ ص ٣١ ، وعدَّه من أحسن شعر المعتضد بالله ، بينما في ق١ مج ٢ ص ٥١٨ من المصدر نفسه ، عدَّه لابن برد ، وورد في ، الحلّة السّيراء : لأبي عبد الله محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القُضاعي المعروف بابن الأبّار ، تحقيق ، د. حسين مؤنس ، (دار المعارف) مصر

، ط٢/ ١٩٨٥م ، ٢/ ٤٩ ، وعدَّه من جيد شعر المعتضد بالله ، وجاء في : أعمال الأعلام فيمن بُويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلَّق بذلك من الكلام : أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن سعيد الغرناطيّ الأندلسيّ ، الشهير بـ لسان الدّين بن الخطيب ، تحقيق : سيّد كسروي حسن ، (دار الكتب العلمية) بيروت ، ط١/ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٢م ، ص١٥٤ ، ونسبه إلى المعتضد بالله .

٤٧) الإحاطة في أخبار غرناطة : ٤/ ٢٩٣ ، وقد ذكر البيت الثَّالث والرَّابع والخامس ، الذَّيل والتَّكملة لكتابيّ الموصول والصّلة : ٤/ ١٢١ ، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى : ص٦٣ ، ولم يذكر البيت الأوَّل والثَّالث والخامس .

٤٨) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب : ٤/ ٨ ، الإحاطة في أخبار غرناطة : ٤/ ٢٨١ ، الذَّيل والتَّكملة لكتابي الموصول والصّلة : ٤/ ١٠٦ ، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى : ص٦٢ ، لم يذكر البيت الثاني ، رايات المُبرَّزين وغايات المُميَّزين : ص ١٤٩، لم يذكر البيت الثاني ، زاد المسافر وغرّة محيّا الأدب السافر : ص ٥٤ ، قلائِد الجُمان في فرائِد شُعراء هذا الزَّمان : ٣/ ٩٥ ، الرّوض المعطار في خبر الأقطار: محمّد عبد المنعم الحميري ، تحقيق : د. إحسان عبّاس ، (مكتبة لبنان) بيروت ، ط٢/ ١٩٨٤م ، ص٣٠٣ ، ٣٠٤ .

٤٩) الإحاطة في أخبار غرناطة : ٤/ ٢٨١، ٢٨٢ ، الذَّيل والتَّكملة لكتابيّ الموصول والصّلة : ٤/ ١٠٧ .

* أبو الحسين بن الجزار الأديب ، جمال الدّين يحيي بن عبد العظيم بن يحيى بن محمّد بن عليّ المصريّ ، المعروف بالجزار الشاعر المشهور ، أحد فحول الشعراء في زمانه ، وكان من محاسن الدنيا ، مدح الملوك والأمراء والوزراء والكبراء ، له نوادر مُسْتطْرفة ومُداعبات ومُفاوضات مع شعراء عصرة ، وله ديوان شعر كبير ، ولد بالفسطاط سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٥م ونشأ فيها ، وتوفي في الثامن عشر من شوال سنة ٦٧٢هـ . وفي شذرات الذهب توفي سنة ٦٧٩هـ مُصابًا بالفالج ، وله ست وسبعون سنة أو نحوها ، ودفن بالقرافة . وهو أحد شعراء القرن السابع ، نشأ بالفسطاط وعمل بالجزارة كأبيه وأقاربه ، إلّا أنَّه قد بدت عليه منذ صغره أمارات الميل للشعر، وبدتْ عليه تلك الدلائل التي يستنتج منها ميوله الفطرية إلى ذلك ، بدأ أبو الحسين الجزار يقف على شيء ليس بالقليل من العلوم الأدبية والدينية والتاريخية ، وبدأ يقرض الشعر حتى أصبح واحدا من أكبر شعراء الفسطاط ، ما حدا بأبيه لأنْ يأخذه إلى الشاعر الذائع الصيت الذكي ابن أبى الأصبع ، ليُعلمه فنون الشعر .

يُنظر في ترجمته : شذرات الذهب في أخبار من ذهب : ٧/ ٦٣٦ ، حُسْن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ أبو الفضل ، محمّد أبو الفضل إبراهيم ، (دار إحياء الكتب العربية) عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر ، ط/ ١ ، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م ، ١/ ٥٦٨ ، النّجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة : جمال الدّين أبي المحاسن يوسف بن تَغْري بَرْدي الأتابكي ، قدَّم له وعلَّق عليه : محمّد حسين شمس الدّين ، (دار الكتب العلمية) بيروت ، ط/ ١ ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م ، ٧/٢٩٢ .

٥٠) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب : ٢/ ٢٧١ .

٥١) الذَّيل والتَّكملة لكتابي الموصول والصّلة : ٤/ ١٠٨ .

٥٢) زاد المسافر وغرّة محيّا الأدب السافر : ص ٥٥ ، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى : ص٦١ .

٥٣) زاد المسافر وغرّة محيّا الأدب السافر : ص ٥٤ ، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى : ص٦٢ .

٥٤) اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى : ص٦٢ .

٥٥) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب : ٢/ ٢٧١ .

* هو : عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن مروان، (٤٦٤-٥٥٧هـ = ١٠٧٢-١١٦٢م) ، يكنى أبو مروان ، ويعرف بابن زهر الإشبيلي ، طبيب نطاسي مسلم معروف في الأندلس ، من أهل إشبيلية ، ولَقب "ابن زهر" هو كنيةُ أسرةٍ من علماء المسلمين نشؤوا في الأندلس من بداية القرن العاشر إلى أوائل القرن الثالث عشر الميلادي ، وأشهرهم هو الطبيب "عبد الملك بن زهر" ، وهو ينحدر من عائلة عريقة في الطب ، فقد كان والده "أبو العلاء" طبيباً ماهراً في التَّشخيص والعلاج ، وكان جدّه طبيباً أيضا . ولد عبد الملك في إشبيلية سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م لأسرة عريقة في العلم اشتغل أبناؤها بالطب والفقه . حفظ العالم المسلم ابن زهر القرآن الكريم ، وسمع الحديث واشتغل بعلم الأدب والعربية ولم يكن في زمانه أعلم منه باللغة ، له موشحات يغنى بها وهي من أجود ما قيل في معناها . أدرك ابن زهر دولة المرابطين (الملثمين) ، فقد لَحِقَ بخدمتهم مع والده "أبي العلاء" في آخر دولتهم . وبعد زوال الدولة المرابطية وقيام الدولة الموحدية ، خدم ابن زهر "بني عبد المؤمن" ، فاشتغل طبيباً ووزيراً مع "عبد المؤمن" مؤسس الدولة ، فشمله برعايته ، ممّا مكّنه من تأليف أفضل كتبه ، تولى الوزارة وهو أستاذ الفيلسوف ابن رشد . يُنظر في ترجمته : التكملة لكتاب الصلة : ٣/ ٢٠٦ ، طبقات الأمم : أبي القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسيّ : نشره وذيَّله بالحواشي واردفهُ بالروايات والفهارس : الأب لويس شيخو اليسوعي ، (المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين) بيروت ، ط/ ١٩١٢م ، ص ٨٤ ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء : موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السَّعدي الخزرجي المشهور بـ ابن أبي أصيبعة ، تحقيق ودراسة : د. عامر النّجار ، (مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب) ، ط/ ٢٠٠٠م ، ٣/ ٢٨٠ ، الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين : ٣/ ٥٠ .

٥٦) الإحاطة في أخبار غرناطة : ٤/ ٢٨٢-٢٨٥ ، الذَّيل والتَّكملة لكتابي الموصول والصّلة : ٤/ ١٢٠-١٢٤ ، تاريخ الأدب العربي ، عصر الدول والإمارات الأندلس : د. شوقي ضيف ، (دار المعارف) مصر ، ط/ ٥ ، د. ت ، ص ٤٤٦ .

٥٧) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب : ٧/ ٩ .

٥٨) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب : ٧/ ١٠ ، المختارُ من الموشَّحات : اختيار مصطفى السَّقَّا ، تحقيق : د. حُسين نصَّار ، (الهيئة العامة لقصور الثقافة) القاهرة ، ط/ ٢٠٠٨م ، ص١٣٢ .

٥٩) الإحاطة في أخبار غرناطة : ٤/ ٢٨٢-٢٨٥ ، الذَّيل والتَّكملة لكتابي الموصول والصّلة : ٤/ ١٢٠-١٢٤ ، تاريخ الأدب العربي ، عصر الدول والإمارات الأندلس : د. شوقي ضيف ، (دار المعارف) مصر ، ط/ ٥ ، د. ت ، ص ٤٤٦ .

* الثريَّا : هي بنت علي بن عبد الله بن الحارث ، وصاحبها عمر بن أبي ربيعة الشاعر ، ويشير إلى قول عمر من قصيدة له في الثُّريَّا : [الطويل]

تَشَكَّى الْكُمَيْتُ الجَرْيَ ، لَمَّا جَهَدْتُهُ وَبَيَّنَ لَوْ يَسْطيعُ أَنْ يَتَكَلَّما

يُنظر : ديوان عمر بن أبي ربيعة ، قدَّم له ووضع هوامشه وفهارسه : د. فايز محمّد ، (دار الكتاب العربي) بيروت ، ط/ ٢ ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م ، ص٣٠٧ .

٦٠) اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى : ص٦٣ -٦٥ ، تاريخ الأدب العربي ، عصر الدول والإمارات الأندلس : ص ٤٤٦ ، ٤٤٧ .

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

حرف الألف

١- الآثار الأندلسيَّة الباقية في اسبانيا والبرتغال ، دراسة تاريخيّة اثريّة : محمّد عبد الله عنان ، (الناشر مكتبة الخانجي) القاهرة ، ط٢/ ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .

٢- آثار أبي زيد الفازازيّ الأندلسيّ : تقديم وتحقيق : عبد الحميد عبد الله الهرامة ، (دار قتيبة) بيروت ، ط/ ١ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

٣- ابن رشد ورشديّة : ارنست رينان ، نقلة إلى العربية : عادل زُعيتر ، (دار إحياء الكتب العربية) القاهرة ، ط / ١٩٥٧م

٤- ابن مضاء واسهاماته في تيسير النحو العربي : عنان رحمة ، رسالة ماجستير ، جامعة ابي بكر بلقايد- تلمسان/الجزائر ، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة العربية ، ٢٠١٧م .

٥- الإحاطة في أخبار غرناطة : مُحَمّد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السّلمانيّ الخطيب ، تحقيق : مُحَمّد عبد الله عنان ، الناشر(مكتبة الخانجي) القاهرة ، ط/٢ ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

٦- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن البناء البشاري المقدسي ، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه : د. محمّد مخزوم ، (دار إحياء التراث العربي) بيروت ، ١٩٨٧م .

٧- اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى : لابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى ، اختصره : أبو عبد الله مُحَمّد بن عبد الله بن خليل ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، قُرئ على : د. طه حُسين ، (الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية) القاهرة ، ١٩٥٩م .

٨- أحكام الزكاة : الحافظ أبو بكر محمّد بن عبد الله بن يحيى بن الجدّ الفهريّ اللّبليّ الإشبيليّ المالكيّ ، دراسة وتحقيق : د. عبد المغيث الجيلاني ، خرّج أحاديثه : ذ . الميلود كعواس ، (منشورات مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء) الرباط ، سلسلة نوادر التراث (٩) ، ط/ ١ ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م .

٩- الأدب الأندلسيّ في عصر الموحدين : د. حكمة علي الاوسي ، (مكتبة الخانجي) القاهرة ، د. ت .

١٠- أدباء مالقة : لابي بكر محمّد بن محمّد بن علي بن خميس المالقيّ ، المسمَّى : مطالع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار فيما احتوت عليه مالقة من الأعلام والرؤساء والأخيار وتقييد مالهم من المناقب والآثار ، تحقيق : د. صلاح جرَّار ، (دار البشير) الأردن ، ط/ ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م .

١١- أزْهار الرِّياض في أخبار عياض : شهاب الدّين أحمد بن محمّد المقريّ التلمسانيّ ، ضبطه وحقَّقه وعلَّق عليه : مصطفى السَّقا و إبراهيم الأبياري و عبد الحفيظ شلبي ، (مطبعة فضالة) المعهد الخليفي للأبحاث المغربية ، د. ت .

١٢- الإعلام بمن حلَّ مراكش وأغمات من الأعلام : العبَّاس بن إبراهيم السملالي ، راجعة : عبد الوهّاب بن منصور ، (المطبعة الملكية) الرباط ، ط/ ٢ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

١٣- الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين : خير الدّين بن محمود بن مُحَمّد بن علي بن فارس الزركليّ الدمشقيّ ، (دار العلم للملايين) بيروت ، ط١٥ / ٢٠٠٢م .

١٤- أعلام مالقة : لابي عبد الله بن عسكر وابي بكر ين خميس ، تقديم وتخريج وتعليق : د. عبد الله المُرابط الترغي ، (دار الغرب الاسلامي) بيروت ، ط١/ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

١٥- أعمال الأعلام فيمن بُويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلَّق بذلك من الكلام : الوزير أبي عبد الله مُحَمّد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسيّ الشهير بـ لسان الدّين بن الخطيب ، تحقيق : سيِّد كسروي حسن ، (دار الكتب العلمية) بيروت ، د. ت .

١٦- إعْتابُ الكُتَّابُ : لأبي عبد الله مُحَمّد بن عبد الله بن أبي بكرٍ القُضاعيّ المعروف بـ ابن الأبَّارِ ، حقَّقه وعلَّق عليه وقدَّم له : د. صالح الأشتر ، (مطبوعات مجمع اللغة العربية) دمشق ، ط/ ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م .

١٧- اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصّحابة ورواة الآثار : لأبي محمّد عبد الله بن عليّ بن عبد الله اللَّخميّ الرشاطيّ الأندلسيّ ، ويليه اختصار اقتباس الأنوار : لأبي محمّد عبد الحقّ بن عبد الرّحمن الإشبيلي المعروف بـ ابن الخرَّاط ، وضع حواشيه : محمّد سالم هاشم ، (دار الكتب العلمية) بيروت ، ط/ ١ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

١٨- انباهُ الرُّواة على أنْباه النُحاة : جمال الدّين أبي الحسن علي بن يوسف القفطيّ ، تحقيق : محمّد أبو الفضل إبراهيم ، (دار الفكر العربيّ) القاهرة ، ط/ ١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

١٩- الأنساب : لأبي سعد عبد الكريم بن محمّد بن منصور التميمي السَّمعاني ، تحقيق :عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ،(مكتبة ابن تيمية) القاهرة ، ط/ ٢ ،١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٢٠- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس : عليّ بن أبي زرع الفاسيّ ، (دار المنصور للطباعة والوراقة) الرباط ، ط/ ١٩٧٢م .

حرف الباء

٢١- البداية والنهاية : عماد الدّين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضَوْ بن درع القرشيّ الحَصْليّ ، البُصروي ، الشافعي ، ثم الدمشقيّ ، (مكتبة المعارف) بيروت ، ط/ ٧ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٢٢- برنامج شيوخ الرُّعينيّ : لأبي الحسن عليّ بن مُحَمّد بن عليّ الرُّعينيّ الاشبيليّ (ت٦٦٦ هـ) تحقيق: إبراهيم شبُّوح ، (مطبوعات مديرية إحصاء التراث القديم) دمشق ، ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م .

٢٣- بُغية المُلْتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس : لأبي جعفر أحمد بن يحْيى بن عَمِيرة الضَّبِّي ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، (دار الكتاب المصري) ، ط١/ ١٤١٠هـ-١٩٨٩م .

٢٤- بُغْيةُ الوُعاة في طبقات اللّغويّين والنُحاة : جلال الدّين عبد الرحمن السّيوطي ، تحقيق : محمّد أبو الفضل إبراهيم ، (دار الفكر) مصر ، ط٢/ ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م .

٢٥- بلدان الأندلس في أعمال ياقوت الحموي الجغرافية (٥٧٤-٦٢٦هـ / ١١٧٨-١٢٢٩م) دراسة مقارنة : د. يوسف أحمد بني ياسين ، (مركز زايد للتراث والتاريخ) العين ، الإمارات العربية المتحدة ، ط/ ١ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .

٢٦- البُلغة في تراجم أئمَّة النّحو واللُّغة : مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق : محمّد المصري ، (دار سعد الدين) دمشق ، ط١/ ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .

٢٧- البيان المُغْرب في أخبار الأندلس والمغرب ، "قسْمُ المُوحّدين" : لأبن عِذاري المُراكشي ، تحقيق الأساتذة : محمّد إبراهيم الكتاني و محمّد بن تاويت و محمّد زنيبر و عبد القادر رزمامة ، (دار الغرب الإسلامي) بيروت ، ط/ ١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م .

حرف التاء

٢٨- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : شمس الدّين أبي عبد الله مُحَمّد بن أحمد بن عُثْمان الذَّهبيّ ، حقَّقه ، وضبط نصَّه ، وعلَّق عليه : د. بشَّار عوَّاد مَعْروف ، (دار الغرب الإسلامي) بيروت ، ط/ ١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

٢٩- تاريخ الأدب العربي ، عصر الدُّول والإمارات الأندلس : د. شوقي ضيف ، (دار المعارف) مصر ، ط/ ٥ ، د. ت .

٣٠- تاريخ الدَّولتين المُوحديَّة والحفصيَّة : لأبي عبد الله محمّد بن إبراهيم المعروف بـ الزركشي ، تحقيق وتعليق : محمّد ماضور ، (المكتبة العتيقة) تونس ، د. ت .

٣١- تاريخ قضاة الأندلس : لأبي الحسن بن عبد الله بن الحسن النُباهيّ المالقيّ الأندلسيّ : وسمَّاه كتاب المرقبة العُليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي ، (دار الآفاق الجديدة) بيروت ، ط٥/ ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

٣٢- تحفة القادم : لأبي عبد الله محمّد بن الأبّار القضاعيّ البلنسيّ الأندلسيّ : أعاد بناءه وعلّق عليه : د. إحسان عبّاس ، (دار الغرب الإسلامي) بيروت ، ط/ ١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٣٣- تذكرة الحُفَّاظ : محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، شمس الدين، أبو عبد الله ، الذهبي ، (دار الكتب العلمية) بيروت ، د. ت .

٣٤- تراجم طبقات النحاة واللغويين والمفسرين والفقهاء : تقي الدّين ابن قاضي الشّهبي الأسدي الدّمشقي الشّافعي ، تحقيق : د. محسن غياض ، (الدار العربية للموسوعات) بيروت ، ط/ ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م .

٣٥- ترصيع الأخبار وتنويع الآثار ، والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك : أحمد بن عُمر بن أنس العذري المعروف بـ ابن الدلائي ، (منشورات معهد الدراسات الإسلامية) مدريد ، تحقيق : د. عبد العزيز الأهواني ، د. ت .

٣٦- التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب : أحمد بن محمّد بن إبراهيم الأشعريّ القرطبيّ ، تحقيق وتعليق وتقديم : د. سعد عبد المقصود ، (دار المنار) القاهرة ، د. ت .

٣٧- تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب : جمال الدّين أبي حامد محمّد "ابن الصابوني" ، (عالم الكتب) بيروت ، ط/ ١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٣٨- التكملة لكتاب الصلة : لأبي عبد الله مُحَمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسيّ الأندلسيّ ، ابن الأبَّار ، حقَّقه ، وضبط نصَّه ، وعلَّق عليه : د. بشَّار عوّاد معرُوف ، (دار الغرب الإسلامي) تونس ، ط/ ١ ، ٢٠١١م .

٣٩- التكملة لوفيات النقلة : زكيّ الدّين أبو محمّد عبد العظيم بن عبد القويّ المنذري ، حقَّقه وعلَّق عليه : د. بشَّار عوَّاد معروف ، (مؤسسة الرسالة) بيروت ، ط/ ٣ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م .

٤٠- تهذيب الأسماء واللغات : لأبي زكريا محي الدّين بن شرف النووي ، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله شركة العلماء بمساعدة ادارة الطباعة الميريّة ، (دار الكتب العلمية) بيروت ، د. ت .

حرف الجيم

٤١- الجامع الصحيح وهو سُنن التِّرمذي : لأبي عيسى محمّد بن عيسى بن سَوْرَة ، تحقيق وشرح : أحمد محمّد شاكر ، (مكتبة مصطفى الباني الحلبي وأولاده) مصر ، ط٢ ، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م .

٤٢- جذوة الاقتباس في ذكر من حلَّ من الأعلام مدينة فاس : أحمد ابن القاضي المكناسي ، (دار المنصور) الرباط ، ط/ ١٩٧٣م .

٤٣- جمهرة أنْساب العرب : لأبي مُحمَّد علي بن سعيد بن حزم الأندلسيّ ، تحقيق وتعليق : عبد السّلام محمّد هارون ، (دار المعارف) مصر ، ط/ ٦ ، د. ت .

٤٤- جمهرة النّسب : لأبي المنذر هشام بن محمّد بن السائب الكلبيّ "رواية السُّكَّريّ عن ابن حبيب" تحقيق : د. ناجي حَسَن ، (عالم الكتب) بيروت ، ط/ ١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .

حرف الحاء

٤٥- الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب : د. حسن جلاب ، (المطبعة والوراقة الوطنية) مراكش ، ط/ ١ ، ١٩٩٤م

٤٦- حُسْن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ أبو الفضل ، محمّد أبو الفضل إبراهيم ، (دار إحياء الكتب العربية) عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر ، ط/ ١ ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .

٤٧- الحلّة السّيراء : لأبي عبد الله محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القُضاعي المعروف بابن الأبّار ، تحقيق ، د. حسين مؤنس ، (دار المعارف) مصر ، ط٢/ ١٩٨٥م .

٤٨- الحُلل السُّنْدُسيّة في الأخبار والآثار الأندلسيَّة : شكيب أرسلان ،(المطبعة الرحمانية)مصر، ط١/ ١٣٥٥هـ-١٩٣٦م

حرف الدال

٤٩- دُررُ العُقُود الفريدة في تراجم المُفيدة : تَقِيّ الدّين أحمد بن عَليّ المقريزيّ ، حقَّقهُ وعلَّق عليه : د. محمود الجليليّ ، (دار الغرب الإسلامي) بيروت ، ط/ ١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

٥٠- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : شهاب الدين أحمد بن علي بن محمّد بن محمّد بن علي بن أحمد ، الشهير بابن حجر العسقلاني ، د. م ، د. ط ، د. ت .

٥١- الدِّيباجُ المُذهِبُ في معرفةِ أعيان عُلماءِ المَذْهَب : ابن فرحُون المالكيّ ، تحقيق وتعليق : د. مُحَمّد الأحمدي أبو النور، (دار التراث) القاهرة ، د. ت .

٥٢- ديوان أبن الجنان الأنصاريّ الأندلسيّ شاعر المديح النَّبوي بالأندلس في القرن السَّابع الهجري ، تحقيق : د. منجد مصطفى بهجت ، ط/ ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

٥٣- ديوان عمر بن أبي ربيعة ، قدَّم له ووضع هوامشه وفهارسه : د. فايز محمّد ، (دار الكتاب العربي) بيروت ، ط/ ٢ ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .

حرف الذال

٥٤- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : لأبي الحَسن عليّ بن بسَّام الشنتريني ، تحقيق : د. إحسان عبّاس (دار الثقافة) بيروت ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .

٥٥- الذَّيل والتَّكملة لكتابي الموصول والصّلة : لأبي عبد الله مُحَمّد بن مُحَمّد بن عبد الملك الأنصاريّ الأوسيّ المراكشيّ ، تحقيق : د. إحسان عبّاس : السفر الرابع ، نشر وتوزيع (دار الثقافة) بيروت ، د. ت .

حرف الراء

٥٦- رايات المُبرَّزين وغايات المُميَّزين : لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسيّ ، تحقيق : د. محمّد رضوان الدَّاية ، (دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر) دمشق ، ط١/ ١٩٨٧م .

٥٧- رحلة ابن بطوطة " تحفة النُظَّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" : قدَّم لهُ وحقَّقهُ : الشيخ محمّد عبد المنعم العريان و راجعهُ وأعدَّ فهارسهُ : الأستاذ مصطفى القصَّاص ، (دار احياء العلوم) بيروت ، ط/ ١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٧٨م .

٥٨- الرِّسالة المُسْتطرفة لبيان مشهُور كتب السُّنَّة المشرَّفة : السيّد الشّريف محمّد بن جعفر الكتانيّ ، كتب مقدّماتها ووضع فهارسها : محمّد المنتصر بن محمّد الزّمزميّ بن محمّد بن جعفر الكتانيّ ، (دار البشائر الإسلامية) بيروت ، ط/ ٥ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

٥٩- الرّوض المعطار في خبر الأقطار: محمّد عبد المنعم الحميري ، تحقيق : د. إحسان عبّاس ، (مكتبة لبنان) بيروت ، ط٢/ ١٩٨٤م .

حرف الزاي

٦٠- زاد المسافر وغرّة محيّا الأدب السافر : لأبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي المُرسي (٥٩٨هـ) ، أعتنى بنشره وتهذيبه والتعليق عليه : عبد القادر محداد . ط/ بيروت ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م .

حرف السين

٦١- سير أعلام النبلاء : شمس الدّين مُحَمّد بن أحمد بن عُثْمان الذَّهبيّ ، رتبه وزاده فوائد واعتنى به : حسَّان عبد المنَّان ، (بيت الأفكار الدولية) لبنان ، ط/ ٢٠٠٤م .

حرف الشين

٦٢- شجرة النّور الزكيّة في طبقات المالكيّة : محمّد بن محمّد مخلوف ، (المطبعة السلفيّة) القاهرة ، ط/ ١٣٤٩هـ .

٦٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب : لأبن العماد شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمّد العكريّ الحنبليّ الدمشقيّ ، حققه وعلّق عليه : محمود الأرناؤوط ، (دار ابن كثير) دمشق ، ط١/ ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .

حرف الصاد

٦٤- صفة جزيرة العرب : لسان اليمن الحسن بن أحمد يعقوب الهمدانيّ ، تحقيق : محمّد بن علي الأكوع الحوالي ، (مكتبة الإرشاد) صنعاء ، ط/ ١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

٦٥- صفة جزيرة الأندلس ، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار : محمّد عبد المنعم الحميري ، عُني بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيها : إ . لافي بروفنصال ، (دار الجيل) بيروت ، ط/ ٢ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٦٦- صلة الصلة : لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي ، تحقيق : شريف أبو العُلا العدوي ، (مكتبة الثقافة الدينية) القاهرة ، ط/ ١ ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

حرف الضاد

٦٧- الضَّوءُ اللَّامع لأهل القرن التّاسع : شمس الدّين محمَّد بن عبد الرحمن السّخاوي ،(دار الجيل)بيروت ، د. ط ، د. ت

حرف الطاء

٦٨- طبقات الأمم : أبي القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسيّ : نشره وذيَّله بالحواشي واردفهُ بالروايات والفهارس : الأب لويس شيخو اليسوعي ، (المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين) بيروت ، ط/ ١٩١٢م .

٦٩- طبقات القرَّاء : شمس الدّين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان الذّهبي ، تحقيق : د. أحمد خان ، (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإنسانية) الرياض ، ط/ ١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

٧٠- طبقات المفسِّرين : شمس الدّين محمّد بن علي بن أحمد الدّاوودي ، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العُلماء بإشراف الناشر ، (دار الكتب العلمية) بيروت ، ط/ ١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

حرف العين

٧١- عُنوان الدّراية فيمن عُرف من العُلماء في المائة السَّادسة ببجاية : أبو العبَّاس الغبريني ، أحمد بن أحمد بن عبد الله ، حققه وعلَّق عليه : عادل نويهض ، (دار الآفاق الجديدة) بيروت ، ط/ ١٩٧٩م

٧٢- عيون الأنباء في طبقات الأطباء : موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بـ ابن أبي أصيبعة (٦٦٨هـ) ، تحقيق ودراسة : د. عامر النجار ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب) مصر ، ط / ٢٠٠٠م .

حرف الغين

٧٣- غاية النهاية في طبقات القرَّاء : شمس الدّين أبي الخير محمّد بن محمّد بن محمّد بن علي بن الجزار الدّمشقيّ الشّافعيّ ، عُني بنشرها سنة ١٩٣٢م : ج . برجستراسر ، (دار الكتب العلمية) بيروت ، ط/ ١ ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

٧٤- غرناطة في ظلِّ بني الأحمر " دراسة حضاريّة " : د. يوسف شكري فرحات ، (دار الجيل) بيروت ، ط/ ١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

٧٥- الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السَّابعة : أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربيّ الأندلسيّ (٦٨٥هـ) ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، (دار المعارف) ، مصر ، د. ت .

حرف الفاء

٧٦- فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات : عبد الحي بن عبد الكبير الكتانيّ ، بإعتناء : د. إحسان عبَّاس ، (دار الغرب الإسلامي) بيروت ، ط١/ ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م .

حرف القاف

٧٧- القصائد العشريّات : الوزير أبي زيد عبد الرّحمن أبي سعيد بن يخلفتن بن أحمد بن الفازازيّ الأندلسيّ ، ومعها شرح عباراتها المجازية وتفسير ألفاظها اللغوية ، للشيخ محمّد الزهري الغمراوي ، (المكتبة الشعبية) بيروت ، د. ت .

٧٨- قلائدُ الجُمان في التعريف بقبائل عرب الزَّمان : لأبي العبّاس أحمد بن علي القلقشندي ، حقَّقه وقدَّم له ووضع فهارسه : إبراهيم الأبياري ، (دار الكتاب المصري) القاهرة ، ط/ ٢ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٧٩- قلائِد الجُمان في فرائِد شُعراء هذا الزَّمان : لكمال الدّين أبي البركات المُبارك بن الشَّعَّار المُوصليّ ، تحقيق : كامل سلمان الجبوري ، (دار الكتب العلمية) بيروت ، ط/ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

حرف الكاف

٨٠- الكتب المشرقية والأصول النادرة في الأندلس : د. مُحَمّد بن زين العابدين رستم ، (دار ابن حزم) بيروت ، ط/ ١ ، ١٣٣٠هـ - ٢٠٠٩م .

حرف اللام

٨١- اللباب في تهذيب الأنساب : ابن الأثير الجزري ، (دار صادر) بيروت ، د. ت .

٨٢- اللمحة البدرية في الدولة النصريّة : محمّد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السّلمانيّ الخطيب ، دراسة وتحقيق : د. مُحمّد مسعود جبران ، (دار المدار الإسلامي) ليبيا ، ط/ ١ ، ٢٠٠٩م .

حرف الميم

٨٣- مجموع رسائل موحَّديّة من إنشاء كتاب الدَّولة المؤمنيّة : اعتنى بإصداره الأستاذ : إ. لافي بروفانسال ، (مطبوعات معهد العلوم العليا) المغرب ، ط/ ١٩٤١م .

٨٤- المختارُ من الموشَّحات : اختيار مصطفى السَّقَّا ، تحقيق : د. حُسين نصَّار ، (الهيئة العامة لقصور الثقافة) القاهرة ، ط/ ٢٠٠٨م .

٨٥- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار : لابن فضل الله العُمريّ شهاب الدّين أحمد بن يحيى ، تحقيق : كامل سلمان الجبوري ، (دار الكتب العلميّة) بيروت ، د. ت .

٨٦- المسالك والممالك : لأبي عُبيد البكري ، حقَّقه وقدَّم له : أدريان فان ليُوفن و أندري فيري ، (دار الغرب الإسلامي) بيروت ، ط/ ١٩٩٢م .

٨٧- المُسْتملح من كتاب التَّكملة : شمس الدّين ابي عبد الله مُحَمّد بن أحمد بن عُثمان الذَّهبيّ ، حقَّقه ، وضبط نصَّه ، وعلَّق عليه : د. بشَّار عوّاد معرُوف ، (دار الغرب الإسلامي) تونس ، ط/ ١ ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

٨٨- المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين ، مع ما يتصل بتاريخ هذه الفترة من أخبار الشعراء وأعيان الكتاب : عبد الواحد بن عليّ المراكشيّ ، ضبطه وصححه وعلَّق حواشيه وأنشأ مقدمته : محمّد سعيد العريان و محمّد العربيَ العلميّ ، (مطبعة الاستقامة) القاهرة ، ط١/ ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م .

٨٩- معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتَّى سنة ٢٠٠٢م : كامل سلمان الجبوري ، (دار الكتب العلمية) بيروت ، ط١/ ٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ .

٩٠- معجم البلدان : شهاب الدّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحَمويّ الروميّ البغداديّ ، (دار صادر) بيروت ، ط/ ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م .

٩١- معجم ما استعجم من اسماء البلدان والمواضع : لأبي عُبيد ، عبد الله بن عبد العزيز البَكْريّ الأندلُسيّ ، حقَّقه وضبطه : مصطفى السَّقا ، (عالم الكتب) بيروت ، د. ت .

٩٢- معجم المؤلفين ، تراجم مُصنِّفي الكتُب العربيّة : عُمر رضا كحالة ، (مؤسسة الرسالة) بيروت ، ط١/ ١٤١٤هـ-١٩٩٣م .

٩٣- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والدّيار : محمّد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السّلماني الخطيب ، يكنى أبا عبد الله ، تحقيق : د. محمّد كمال شبانة (مكتبة الثقافة الدينية) القاهرة ، ط/ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

٩٤- المُغْرب في حُلَى المغرب : لأبي الحَسَن عَليّ بن مُوسى بن سَعيد الأنْدَلسيّ ، حقَّقه وعلَّق عليه : د. شوقي ضيف ، (دار المعارف) مصر ، ط٤ ، د. ت .

٩٥- المقتضب من كتاب تحفة القادم : ابن الأبّار القضاعيّ ، أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن أبي بكر البلنسيّ ، اختيار وتقييد : أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن إبراهيم البَلْفيقي ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، الناشرون : (دار الكتاب المصري) القاهرة ، (دار الكتاب اللبناني) بيروت ، ط/٢ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٩٦- المقتضب من كتاب جمهرة النَّسب : شهاب الدّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحَمويّ الروميّ البغداديّ ، (الدار العربية للموسوعات) بيروت ، ط/ ١ ، ١٩٨٧م .

٩٧- موسوعة شعراء العصر الأندلسي : محمّد العريس ، (دار اليوسف) بيروت ، ط١/ ٢٠٠٥م .

٩٨- موسوعة عباقرة الحضارة العلمية في الإسلام : أحمد محمّد الشنواني ، (دار الزمان) المملكة العربية السعودية / المدينة المنورة ، ط/ ١ ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

حرف النون

٩٩- النّجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة : جمال الدّين أبي المحاسن يوسف بن تَغْري بَرْدي الأتابكي ، قدَّم له وعلَّق عليه : محمّد حسين شمس الدّين ، (دار الكتب العلمية) بيروت ، ط/ ١ ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م .

١٠٠- نُزْهة الأنْظار في عجائب التّواريخ والأخبار : محمود مقديش ، تخقيق : علي الزواري و محمّد محفوظ ، (دار الغرب الإسلامي) بيروت ، ط/ ١ ، ١٩٨٨م .

١٠١- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق : محمّد بن محمّد بن عبد الله بن إدريس بن يحيى بن علي بن حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشيّ ، (مكتبة الثقافة الدينيّة) القاهرة ، ط/ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .

١٠٢- نشأة النَّحو وتاريخ أشْهر النُّحاة : الشيخ محمّد الطنطاوي ، (دار المعارف) مصر، ط/٢ ، د. ت .

١٠٣- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب : أحمد بن محمّد المقّري التلمساني ، تحقيق : د. إحسان عبَّاس ، (دار صادر) بيروت ، ط/ ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م .

١٠٤- نَكْت الهميان في نُكَتِ العُميان : صلاح الدّين خليل بن ايبك الصَّفدي ، وقف على طبعه الأستاذ : أحمد زكي بك ، (المطبعة الجمالية) مصر ، طبع بأمر اللجنة التحضيرية للمؤتمر تحت رياسة صاحب السعادة "حسين رشدي باشا" ، ط/ ١٣٢٩هـ - ١٩١١م .

١٠٥- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب : أبي العبَّاس أحمد بن علي القلقشندي ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، (دار الكتاب اللبناني) بيروت ، ط/ ٢ ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

حرف الهاء

١٠٦- هدية العارفين اسماء المؤلفين آثار المصنّفين : إسماعيل باشا البغدادي ، (دار إحياء التراث العربي) بيروت ، ط/ ١٩٥٥ .

حرف الواو

١٠٧- الوافي بالوفيات : صلاح الدّين خليل بن أيبك الصفدي ، تحقيق : أحمد الأرنأووط - تركي مصطفى ، (دار إحياء التراث العربي) بيروت ، ط١/ ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م .

١٠٨- وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام : شمس الدّين محمّد بن عبد الرّحمن السَّخاوي ، تحقيق : د. بشَّار عوَّاد معروف و عِصام فارس الحرستاني و د. أحمد الخطيمي ، (مؤسسة الرسالة) بيروت ، ط/ ١ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

١٠٩- وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان : لأبن العبَّاس شمس الدّين أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن خلِّكان ، تحقيق : د. إحسان عبَّاس ، (دار صادر) بيروت ، د. ت

حركة التاريخ في الفكر الديني– مقاربة في فكر الامامية

أ.م.د. محمد علي محمد رضا الحكيم
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

المقدمة:

مصطلح (الدين) مصطلح واسع جدا يمكن أن يشمل كل التجارب الروحية على مدى تاريخ البشرية، ويفهم الدين بهذا المعنى الواسع بأنه: أي مذهب للفكر والعمل تشترك فيه جماعة ما، ويعطي للفرد اطارا للتوجيه وموضوعا للعبادة. وبهذا المعنى الواسع لا توجد بكل تأكيد حضارة في الماضي، ويبدو أنه لا يمكن أن توجد حضارة في المستقبل دون أن يكون لها دين وفقا لهذا المفهوم(١).

فالإنسان كيفما كان يبقى في حاجة إلى الدين يهتدي به، ويسمو بنفسه لتحقيق تعاليمه المقدسة، ففي الإنسان جانب روحاني داخلي وميل نظري للاعتقاد، في وجود إله يسير العالم تزيده العلوم قوة وظهورا، ولا يعقل أن دورا من أدوار الاجتماع أو حالا من أحوال التقدم الصناعي يلاشي هذه الفكرة الإنسانية، وإلى هذا ربما أشار القرآن الكريم: فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ..(الروم:٣٠).

وهذا الكلام يؤكده الواقع التاريخي، فكل الحضارات القديمة عرفت شعوبها الأديان، وتركت تراثا كتابيا ومعماريا مليئا بالمعتقدات والأساطير الدينية، مما يعني أن الدين كان عبر التاريخ أحد المكونات الأساسية في حياة المجتمعات، لم تستطع الاستغناء عنه أبدا. لقد كان للدين تأثير واضح وعميق على الإنسان، وحضور دائم في تاريخ الشعوب في قضايا تاريخية كثيرة. لاسيما الأديان السماوية الثلاثة كونها الأكثر انتشارا في العالم، والأكثر حضورا في الأحداث التاريخية، فقد ارتبطت باسمها أشهر الحضارات وأقواها.

إنّ الديانات التي تعرف بالسماوية وهي: اليهودية والمسيحية والاسلام، قد استمدت أصولها جميعا من التجربة الإيمانية لإبراهيم (ع) (٢). وقد أجمع مؤرخو الأديان على اختلاف بيناتهم وخلفياتهم الثقافية

والدينية على أنّ هناك علاقة وطيدة تجمع بينها، تجعلها تصنف ضمن مجموعة دينية واحدة متميزة عن غيرها من المجموعات الدينية الأخرى التي عرفها تاريخ الأديان(٣).

تستند هذه الاديان السماوية الثلاث على أصول اعتقادية أساسية، تقوم على الإيمان بأن هذا الكون بما فيه من جماد ونبات وحيوان وإنسان مخلوق من العدم؛ ولذا فإنها محدثة وليست أزلية، وبذلك فهي ترتبط ارتباطا وثيقا بالزمان، وأن لها عمرا محددا ثم ما تلبث أن تنتهي بالموت أو الفناء. ويترتب على ذلك أصل آخر، وهو أنه لابد لهذه الاشياء المحدثة المكونة للعالم من خالق، كائن خارج إطار الزمان والمكان، ذو قدرة شاملة استطاع بها خلق العالم من العدم(٤).

لقد شاءت الحكمة الالهية أن تخلق الإنسان فبدأت بخلق آدم، وخلق زوجة له هي حواء وأسكنهما في جنة، ثم وجه لهما بعض الأوامر وطلب منهما أن لا يخالفاها، ولكنهما عصيا أوامره، فأخرجهما الله تعالى من الجنة وأنزلهما إلى الأرض ليعيشا فيها. وهكذا بدأت مسيرة الإنسان على الأرض ومنها بدأت رحلته التاريخية.

وتتمثل عناية الله سبحانه ورعايته للبشر من خلال تواصل الرسالات الالهية التي حملها الانبياء والرسل. وكان جوهر دعوات هؤلاء تصب في طاعة الله وتجنب معصيته وفعل الخير وترك الشر، وإن الله تعالى يراقب عمل الإنسان فيكافئ المحسن ويعاقب المسيء في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويتجسد ذلك بإنزال الرحمة والبركة والنصر للصالحين والنقمة والخذلان على الكافرين والظالمين في الأولى، وبالنعيم والجحيم المقيمين في الأخرى، فضلا عن انتصار المؤمنين الصالحين في نهاية الطاف على يد المخلص الذي وعد به الرسل(٥).

هذا هو الإطار العام للأصول الاعتقادية للأديان الابراهيمية الثلاث، ولكن ذلك لم يمنع من دخول بعض التصورات الاعتقادية التي تخل بأصل التوحيد قد ظهرت في عملية التطور التاريخي في مراحل زمنية مختلفة. كما إن قصة الخلق الإنساني هي الأخرى قد داخلها الكثير من الاختلاف في التفصيلات والتأويلات بين معتنقي تلك الاديان.

المبحث الأول: حركة التاريخ في الفكر اليهودي:

تقوم الديانة اليهودية على مصدرين، أولهما التوراة أو العهد القديم تمييزا له عن العهد الجديد (الانجيل)، وهو المصدر الأساس للدين اليهودي، بينما يقدس المسيحيون العهدين الجديد والقديم ويجمعوهما في تسمية واحدة (الكتاب المقدس). ويتألف التوراة من (٣٩) سفرا مقسمة على ثلاثة أقسام. أما المصدر الآخر فهو (التلمود)، ويشتمل على مجموعة من الشرائع والتفاسير التي كتبها علماء اليهود بعد السيد المسيح، فصارت على مر الزمن محل تقديس لديهم، مع إنها لم تذكر في الاناجيل ولا في حوارات المسيحيين مع اليهود[٦].

وعلى الرغم من اعتقاد اليهود بوثاقة التوراة التي بين أيدهم، غير أن ديورانت يروي لنا قصة كتابة التوراة التي هي أهم أثر لأنبياء بني اسرائيل، حيث كتبت في ظروف غير طبيعية، وكان سبب كتابتها أن الناس شرعوا يرتدون عن عبادة يهوه إلى عبادة الآلهة الأجنبية، فأخذ الكهنة يتساءلون ألم يأن لهم أن يقفوا وقفة قوية يمنعون من تدهور العقيدة القومية، فاعتزموا أن يبلغوا الناس رسالة من الإله نفسه في صورة سنن إلهية تبعث القوة في حياة الأمة الخلقية، وسرعان ما ضمنوا تأييد الملك. وفي السنة الثامنة من حكمه أبلغ الكاهن حلقيا الملك أنه وجد في سجلات الهيكل، ملفا عجيبا لموسى نفسه يحل جميع المشكلات التي كانت مثار جدل عنيف بين الانبياء والكهنة، تحوي أوامر ونصائح على لسان أنبياء وكهنة خلال عدة قرون، وقد تأثر بها الناس أيما تأثر، فاغتنم الملك هذه الفرصة وحطم مذابح الآلهة المنافسين ليهوه في يهوذا[٧].

ويذهب بعض الباحثين إلى أن أسفار التوراة والتلمود جمعها ودونها عدد من الكتبة بلغات مختلفة خلال فترات متقطعة وفي مواطن متعددة، إذ تذكر المصادر أن أول اختفاء للتوراة حصل حين غزا ملك مصر أورشليم سنة ٩٤٥ ق.م. وأخذ خزائن الملك وبيت الرب، وبقيت التوراة ضائعة حتى القرن السابع قبل الميلاد، فقد أعلن الكاهن حلقيا أنه وجد سفر الشريعة في الهيكل. وحصل الأمر ذاته في عام ٥٩٧ ق.م. عندما غار ملك بابل على أورشليم وهدم بيت المقدس وأزال آثاره وأسر اليهود، ولما عادوا إلى ديارهم

اجتمع أحبارهم برئاسة الكاهن عزرا لتدوين التوراة من جديد. ثم ضاعت التوراة للمرة الثالثة عام ١٧٠ ق.م. لما غار ملك انطاكيا على أورشليم وهدم الهيكل وأحرق الكتب والآثار، ولما تمكن اليهود من الرجوع إلى بيت المقدس وأعادوا بناء الهيكل وضعوا نسخة من التوراة ادعوا أنها موجودة لديهم(٨).

وبذلك فقدت التوراة التوثيق الكافي للقول بأنها من تأليف النبي موسى، فقد جاء في مقدمة الكتاب المقدس من الطبعة الكاثوليكية عام ١٩٦٠م: ما من عالم كاثوليكي في عصرنا يعتقد أن موسى ذاته كتب كل التوراة منذ قصة الخليقة، أو أنه أشرف على وضع النص الذي كتبه عديدون بعده، بل يجب القول أن هناك ازديادا تدريجيا سببته مناسبات العصور التالية الاجتماعية والدينية(٩).

ويستنتج بعض الباحثين من خلال دراسته النصوص المقدسة لدى اليهود، أن الفكر الديني لديهم كان ينفرد في ميزة دون الأديان السماوية الأخرى، وهي بقاء بابه مفتوحا لكل ألوان التطور، بحيث أصبح اليهودي اليوم لا يشبه اليهود زمن داود وسليمان، فضلا عن الرعيل الأول الذي أخذ تعاليم موسى وهارون. بحيث يجد مؤرخ الفكر اليهودي نفسه أمام مجموعة أديان ومجتمعات مختلفة وغريبة عن بعضها، لا تتفق سوى في الاسم فقط. فالعهد القديم وحده استغرق أجيالا من الأنبياء المتعاقبين على مدى ألف عام تقريبا، ولو أضفنا إلى ذلك كتابي المشنا والتلمود، وهي نصوص مقدسة لديهم لوجدنا تراثا شرعيا يربو على ألفي عام، وهي فترة لا يمكن تصور اجتماع طرفيها دون أن يربطهما نص واحد. وعلى الرغم مما يقال في الأوساط الدينية اليهودية من إن كل هذه النصوص تتفق مع بعض وأنها ترجع بطريقة دينية ميتافيزيقية إلى النبي موسى، فإن التطور الفكري والتأثر بالتيارات الفلسفية والدينية الأجنبية يبدو واضحا(١٠).

ففي الوقت الذي كانت فيه التوراة قد وضعت صورة لخلق الإله للإنسان من تراب الأرض والنفخ فيه من روحه، ثم ضرورة كسب رضا الرب (يهوه)، وإلا فإن عاقبتهم وخيمة فيما إذا تخلفوا عن طاعته وأعرضوا عن عبادته، ولكننا لا نجد تأكيدا في التوراة لفكرة البعث والنشور أو دار ثواب ودار عقاب في الحياة الأخرى، فكل ما يمكن تصوره من عقاب بسبب تمرد البشر على طاعة الإله يهوه هو عقاب زمني يقضى

عليهم في دار الدنيا، كالآلام والأمراض والموت وفقد المال وتسلط الاعداء، أما مصير البشر بعد الممات فيكون في ظلام ليس إلا. ومن هنا استنتج الباحث أحمد سوسة مدى التشابه الظاهر بين المصدر البابلي والمصدر التوراتي القائم على الثواب والعقاب الزمنيين، بل ذهب إلى أكثر من ذلك، حيث رأى أن التشابه لا يقتصر على الفكر بل شمل اللفظ أيضا، فهناك تشابه ظاهر على مستوى الالفاظ المستعملة في كلا المصدرين(١١).

ومما يستدل به على هذا التأثر أيضا، هو ذلك البون الشاسع بين التصورات التي طرحتها التوراة حول الإله وما شابها من تجسيم وتشبيه وشرك، فضلا عن الفطرية والبساطة التي انطوت عليها رُآه، وبين التنظير الفكري المتأخر لأصول الدين اليهودي الذي ظهر لدى موسى بن ميمون الذي عاش في كنف الحضارة الاسلامية؛ الأمر الذي يكشف بصورة لا لبس فيها مدى تأثره بالفكر الإسلامي، وهو يؤكد بصورة تجريدية وبطريقة عقلية لا تقبل الشك كينونة الله ووحدانيته وخالقيته المطلقة ومعارضته التامة لكل أنواع التشبيه والتجسيم والشرك وإيمانه بأحقية الانبياء وقدسية كتبهم(١٢).

وعند استعراض المدونات التوراتية نجد أنها عبارة عن سرد لأحداث تاريخية وقعت لجماعة معينة، أضفت عليها صيغة السرد القصصي نوعا من الوحدة لعدم التركيز على البعد الزمني للأحداث، فضلا عن استعمال تداخل المصطلحات والتسميات، فقد أطلقوا على هذه الجماعة أسم العبرانيين لارتباطهم بإبراهيم الذي عبر نهر الفرات، ثم أضافت تسمية بني اسرائيل على اعتبار أنهم من نسل يعقوب الذي سميّ بإسرائيل، وأخرى عبرت عن جماعة موسى باليهود؛ فبدت هذه الجماعة وكأنها واحدة هي صفوة الأقوام البشرية التي اصطفاها الرب من دون بقية شعوب الأرض، لارتباط وجودها ونسبها بالأنبياء وحملت تراثهم، بدءا من ابراهيم (ع) ومرورا بإسحاق ويعقوب وانتهاء بموسى وهارون والأنبياء المتأخرين(١٣).

غير أن كتاب التاريخ صنفوا هذه المراحل التاريخية الطويلة التي تناولتها مدونات التوراة إلى ثلاثة أدوار، كل دور له جماعة بشرية تختلف في سماتها وخصائصها عن الجماعات الأخرى(١٤):

- دور ابراهيم واسحاق ويعقوب، وترجع حوادثه إلى القرن التاسع عشر والقرن الثامن عشر قبل الميلاد، ولغتهم هي اللغة السامية الأم، وهذا الدور ليس له صلة لا بموسى ولا بالتوراة ولا باليهود.
- دور النبي موسى وتقع حوادثه في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وهذا الدور لا صلة له بإبراهيم ويعقوب (اسرائيل)، بخلاف التوراة التي تصر على تسميتهم ببني اسرائيل، ولغتهم المصرية والكنعانية.
- دور اليهود وهم كتبة التوراة الحالية، وتقع حوادثه في القرن السادس قبل الميلاد، ولغة هذا العصر هي اللغة الآرامية التي دونت بها التوراة، واعتقادهم بالإله يهوه الخاص باليهود.

على أية حال، كتب ويد جري أن نظرة اليهود إلى التاريخ تقوم أساسا على المذهب التأليهي، والتصور القائم على فكرة السيطرة الإلهية في حركة التاريخ. فقد نشأ لديهم تصور في مراحل مبكرة بوجود إله واحد يرجع إليه تاريخ البشرية، حيث خلق الأرض بكل ما فيها من أشياء وخصائص تجعل من التاريخ أمرا ممكنا على ظهرها، وهو الذي خلق البشر مكونين من أبدان وأرواح. ومع ذلك جاء عليهم دور سار فيه اعتقاد بأن للشعوب المختلفة أربابا متفرقين، أو تصور الإله أنه خلق الإنسان على صورته، وبهذا التماثل اكتسبت صورته لديهم أن له مشاعر مشابهة ما لدى الإنسان كالمحبة والغضب. غير أن اليهود لم يوحدوا بين الإله والعالم، ولذا رفضت حاخاماتهم الأخذ بفلسفة سبينوزا القائلة بوحدة الوجود استنادا لعقائدهم السائدة[١٥].

وأكد ويد جري على أن فكرة اليهود عن التاريخ لم تكن في يوم من الأيام ذات نزعة فردية، بل فكرة حول شعب اسرائيل أولا ثم حول الجماعة البشرية عامة. ووظيفة الملوك باعتبارهم نواب الله في الأرض العمل على رعاية شعب الله المختار ورفاهيته، ودعا الأنبياء إلى البر والتقوى والاخلاص لله، ولا تجد في نصوص التوراة ثمة دعوة إلى حياة الزهد والعزلة في الاديرة والابتعاد عن العالم، بل ركزت على الاستمتاع بطيبات الحياة كونها هبات من الإله. أما الاشارات الى ما بعد الموت فكانت توحي بحالة خراب. وكان المصدر الأهم للتعبير عن اتجاهات اليهود من الحياة هو كتاب المزامير، الذي وضح تلك الاتجاهات في

صورة ليست خلقية فحسب، بل دينية في ثنايا خبرة عاطفية من نوع جديد قائم على اعتقاد اساسي هو الإيمان بالله[١٦].

إن العقيدة الدينية اليهودية أعطت تصورا واضحا عن حضور الله الدائم في التاريخ، لأنها انطلقت من الإيمان بأن الله تعالى خلق العالم والإنسان، ولم يتركه يكافح من أجل تدبير شؤونه، بل كان مراقب وموجه له دائما بصورة مباشرة كما حدث لآدم وحواء ومعاقبته لهما حينما عصيا أوامره. ثم بصورة غير مباشرة بعد نزوله إلى الأرض، حيث تواتر الانبياء وتتابعت الرسالات لتوجيهه وتنظيم حياته. وقد ربط هؤلاء الأنبياء مصير الناس بمدى التزامهم بتلك التوجيهات والشرائع، وإن كل ما ألم بهم من آلام إنما هو عقوبة على ما ارتكبوا من معاصي؛ ولذلك فليس ثمة هزيمة حربية أو كارثة لحقت بهم إلا ولها مغزى ديني وتأويل لاهوتي. وهكذا أصبح كل حدث من أحداث التاريخ في جوهره تعبيرا عن إرادة الله ثوابا وعقابا، وصارت الحقائق التاريخية مواقف بين الإله والبشر تتجلى فيها إرادته بصورة حاكمة على الفعل الإنساني[١٧].

على إن التاريخ المبكر لليهود كان حافلا بالحروب والنكبات، وكان الانبياء يفسرون تلك الاحداث على أنها نتائج لعدم اخلاصهم لله تعالى والعمل على شريعته وجعلها محورا مركزيا للحياة، غير أنهم كانوا يدفعون ذلك بأن ما يكابدونه من آلام إنما تعود إلى الخطايا والآثام التي تنطبق عليهم كجماعة وليس كأفراد، وكان الرأي السائد أن تلك الآلام كانت شيئا ضروريا لهم لكي يدركوا أنهم شعب الله المختار وأن لهم رسالة عالمية، وآمنوا بمجيء السيد المسيح ليخلصهم من تلك الآلام ويقيم مملكته التي يتبوؤون فيها بمكانة لائقة حتى لمن مات منهم ببعث اجسادهم[١٨].

كانت الصورة التي انطبعت في أذهان اليهود عن المسيح المنتظر، تتضمن شخصا لنبي مرسل وقائد ملهم وملك جبار من جذع داود بن يسي، كأحد أنبيائهم وقادتهم وملوكهم السابقين، يعلم بكل الأمور ويخبرهم عنها، ويحكم بالعدل للمساكين والبائسين ويقضي بالإنصاف، فيمسحونه بالزيت المقدس كما مسح داود من قبل[١٩]. إن عقيدة الانتظار بظهور المصلح والمخلص لدى اليهود أحدثت نقلة في موقفهم

تجاه التاريخ، إذ أصبح اهتمامهم لا ينحصر في الوقت الحاضر فقط، وإنما أخذ انشغالهم بالحياة المستقبلية وطبيعة التهيئة لاستقبال المخلص الذي ترنوا أبصارهم نحوه ويأملون في مملكته.

أما وراء المملكة المنتظرة فلا يبدو أن للتوراة اهتمام في الحياة الأخرى، فقد جاهرت طبقة الكهنة بمبدأ نكران البعث والقيامة وذهبت إلى أن عقاب العصاة واثابة المحسنين إنما يحصلان في الحياة الدنيا وهؤلاء عرفوا بالصدوقيين، ثم نشأت فكرة القيامة والعقاب لدى علماء اليهود في وقت لاحق وكان أقدمهم السامريون، ووقع الخلاف بينهم فقال بعضهم بوجود دارين للعقاب واحدة للجسد في هذه الحياة، وأخرى للنفس في حياة أخرى لها سبع مستويات بحسب تفاوت الذنوب. ومنهم من قسم الناس ثلاث فرق بعد الموت، الأولى صالحة كون حسناتها تربو على سيئاتها، وفرقة طالحة لأن سيئاتها تربو على حسناتها، وأخرى بين الاثنين فهي تعذب لمدة حتى تتطهر فتصعد إلى السماء[٢٠].

لقد تبنى اليهود فكرة التلازم بين الآثام والخطايا التي يقترفها البشر وبين المحن والآلام التي تنالهم من جراء ذلك، غير أن سفر أيوب قدم استثناء على هذه القاعدة، فقد تمتع أيوب بالصحة والسعادة، وأودع إلى جانب ذلك نفسا طيبة واخلاصا لله، فبدى رخاء حاله وسلامة سريرته يسيران معا بصورة تكشف عن صحة القاعدة السابقة، ولكن شاءت الاقدار أن يبتلى أيوب بالسقم وذهبت ثروته، وظهرت تجربته وكأنها تخرم القاعدة وتطيح بالعدالة الإلهية، وقد عالج السفر هذا الاشكال بأن جعل بعض الآلام في التاريخ بمثابة الاختبار لتقوية الخلق وتعزيز عامل الانصراف إلى الله تعالى[٢١].

وكانت فكرة العناية الإلهية سائدة في معظم الحضارات القديمة، فقد آمن البابليون والآشوريون والفرس والمصريون ثم اليونان، بأن الإنسان جزء من الكون وبذلك تسري عليه نواميسه. وفي الوقت الذي اتخذت فكرة العناية طابعا اسطوريا في الحضارات القديمة، كانت فكرة التعاقب سنة كونية كبرى لدى اليونان، نظرا لكون التعاقب الدوري أمرا بارزا في مظاهر الكون. أما لدى اليهود فإن العناية الإلهية اتخذت معنى مخالفا، فلم يكن للإنسان دور ثانوي بالنسبة للكون تسري عليه أحكامه العامة، وإنما احتلت سلسلة الأنبياء جزءا هاما من تاريخ العهد القديم، ومن ثم لم ينفصل التاريخ عندهم عن الدين، وأصبح الكون مكون من

عالم الطبيعة مظهرا لقدرة الله، وعالم الإنسان مظهر لعنايته، ولكنها لم تكن تعنى بمطلق الإنسان وإنما كانت العناية الإلهية مقصورة على شعب الله المختار. وأصبحت أحداث التاريخ لا تتكرر أو تتعاقب، وإنما تتخذ مسارا مستقيما لتستكمل غرض يهوه كما وعدهم[٢٢].

وفي نهاية المبحث لابد أن نقف عند بعض الملاحظات، وسوف لا نتطرق لمزيد حديث عن التوراة وما أثير حول وثاقتها وطرق كتابتها وطبيعة الظروف التي احاطت بذلك، ولا نقف عند الاحداث ومدى مطابقتها للواقع التاريخي أو الاوصاف التي نعت بها الإله والتي تنافي وحدانيته وعدله وحكمته، والاوصاف التي نعت بها الأنبياء وهي تنافي عصمتهم ومهمتهم الإلهية. وإنما سأقتصر فقط على الأمور التي ترتبط بموضوع البحث وهو رؤيتهم لحركة التاريخ، وهي:

- يمكن للباحث المتجرد أن يتفهم الربط المقصود في التوراة للأحداث، وهي تسرد قصة الجماعة المؤمنة على مدى التاريخ، التي اتبعت هدى الانبياء بدءا من ابراهيم مرورا بموسى وهارون وانتهاء بداود وسليمان عليهم السلام، ولكن لابد أن نؤكد على أن ركيزة هذا الارتباط وعماده هو الإيمان والعمل الصالح وليس أي أمر آخر، فما يميز هذه الجماعة عن غيرها ليس الجنس أو النسب وإنما الإيمان الذي يعد جوهر هذه الجماعة والأساس الذي تستند إليه في حركتها التأريخية، فهل تبنى اليهود هذا الأساس؟ أترك الإجابة لما عرف بأحد أهم علمائهم في العصر الحديث، وهو كلود مونتيفيوري في كتابه (معالم اليهودية المتحررة)، حيث ذهب إلى أن اليهود لم يجر اختيارهم (شعبا مختارا) ليحرز النجاح والغنى والقوة، أو من أجل الفلسفة والعلم والفن، ولكن جرى اختيارهم ليعلموا علاقة الله بالإنسان وعلاقة الإنسان بالله ونشر المبادئ الحقة عن الله وعن الخير والبر، ولكن اليهود جنس مثلما هم أنصار الله؛ ومن ثم أبدى أسفه لانشغالهم بالجنس اليهود على حساب الدين[٢٣].

- أما الأمر الآخر فهو يترتب على ما تقدم، وهو أن تمسك اليهود بالجنس على حساب الدين، يناقض الأسس التي قامت عليها الرؤية الدينية في التاريخ؛ لأنه حينئذ يفرغون مقولة أنهم (شعب الله المختار) من محتواها، لأن هذا الاصطفاء لم يكن لجماعة بشرية سوى لأنهم ورثة الأنبياء في حمل الإيمان ونشر

رسالته بين الناس، أما أن يكون الاصطفاء لجماعة من البشر من دون اعتبار لمدى التزامها الإيماني ولا يعبر عن مدى حرصها على نشره، يفرغ مضمون التاريخ من الفكرة المركزية، ويظهر هذا الاصطفاء المدعى من دون علة أو حكمة، الأمر الذي يناقض السياق الذي أصر كتبة التوراة على إبرازه في كل مناسبة. ويترتب على ذلك، إن كل وعد إلهي جاء على لسان الأنبياء سواء كان في تمكين على موقع أو نصر في واقعة أو خلاص في موقف لجماعة من الناس، لا يقبل عقليا ولا يبرر منطقيا إلا بالنظر لإيمانها واعتبار لعملها الأخلاقي. ومن ثم فإن ما تمسك به اليهود وما يتأملونه في تحقيق الوعد الإلهي لا يبدو له من مبرر منطقي أو أخلاقي بعد أن فقدت الجماعة طابعها الديني.

- إن تمسك جماعة اليهود بعنصر الجنس أفقدها هويتها الدينية؛ لأن جوهر الدين اعتقاد، وأساس الجنس النسب، وهما يتعارضان، ولذا فإن تماسكهم الاجتماعي لما قائم على أساس الجنس، جعل من اليهود جماعة قومية مغلقة، أفقدها طابعها الديني المنفتح على الآخر ورسالتها الإيمانية.

المبحث الثاني: حركة التاريخ في الفكر المسيحي:

يتألف الكتاب المقدس عند المسيحيين من التوراة التي هي كما أسلفنا كتاب اليهود المقدس، إضافة إلى ذلك هناك أربعة من الأناجيل وهي: متى، مرقس، لوقا، يوحنا، هذا فضلا عن كتاب أعمال الرسل. لذا فليس بالإمكان دراسة التفسير المسيحي للتاريخ بمعزل عن التفسير اليهودي له، لاسيما مع تأكيد المسيح نفسه على هذا الاتصال في إنجيل متى حينما قال: ما جئت لأنقض بل لأكمل[٢٤].

وعلى الرغم من ذلك، فإن دعوة السيد المسيح لم تلبث أن اصطدمت بأحبار اليهود وزعمائهم، لأنه كان يدعو إلى اصلاح الديانة اليهودية وتخليصها من صرامة الطقوس، والالتزام بروح الديانة التي تقوم على المحبة والزهد والإخلاص لله. لقد تركزت دعوته على الفقراء والبسطاء، غير أنها لم تلق الاستجابة المطلوبة بين هذه الأوساط، لأنهم لم يفهموا المعاني العميقة والمرامي البعيدة التي من ورائها، على خلاف خصومه الذين أدركوا أهدافه وأجهضوا خططه قبل أن يفلح في كسب المزيد من الأتباع، فرفعوا أمره إلى الحاكم الروماني طالبين إيقاع عقوبة الصلب به، لأنه كان يطلب المُلك على اليهود وهم لا يرضون بحكم

قيصر بديلا، وهكذا حكم الحاكم بيلاطس على السيد المسيح صلبا بناء على اعترافه بالتهمة بصورة غير مباشرة[٢٥].

لقد أثبت التاريخ عجز الإنسان عن خلق مدينة كاملة الفضيلة، تتحقق فيها كل القيم الخيرة بصورة منسجمة، غير أنه لم يكف عن المحاولة للوصول إلى ذلك منذ فجر التاريخ، فعبر عن شوقه هذا في صور مختلفة عبرت عنها أشكال التدين والعقائد والشرائع والعلوم والفنون. وإذ تؤكد المسيحية صحة هذه المحاولات ولكن تفسر فشلها بسقوط الإنسان (آدم) في الخطيئة التي التصقت بطبيعته ما أدخل الشر إلى العالم. فقد كانت تلك المحاولات دائما ما يشوبها النقص لأن ناموس الخطيئة الجاثم على النفس البشرية، يعمل على سيطرة الشر على مدى التاريخ، وتتجلى آثاره في الألم والمرض والموت، كما في العداوة والغيرة والحرب. إن تاريخ العالم برمته يدور حول عاملين رئيسين، عامل الحنين إلى تحقيق قيم الحق والخير والعدل، وعامل ناموس الخطيئة الذي يجر الإنسان لعبادة الغرائز المنحطة والمطالب المادية[٢٦].

وبسبب سقوط آدم في الخطيئة أهبط إلى الدنيا، فابتعد هو وأبناءه عن الله، فكان الله من فرط محبته وفيض نعمته قد رأى أن يقربه، فأرسل السيد المسيح ليخلص العالم. لقد تجسدت كلمة الله فصارت بشرا سويا مثلنا عدا الخطيئة، فدعا الناس بلا تمييز بين ذكر وأنثى أو قوم وآخرين أو حر وعبد أو غني وفقير، إلى مدنية يشترك الإنسان مع الله في بنائها تقوم على المحبة، لأن المحبة من صفات الله وقد ظهرت في تدبيره لخلاص العالم. ولما مات السيد المسيح على الصليب حمل عن الإنسان نير الخطيئة ثم قام منتصرا على الشر وصعد إلى السماء، وأرسل روحه القدوس ليبقى مع الكنيسة التي تجاهد على الأرض ليظل باب الخلاص مفتوحا لكل نفس إلى منتهى العصور. وهكذا ظل تأثيره الخلاق مستمرا في التاريخ عبر المؤمنين الواعين إرادته، لأن المسيحية الحقة ليست تعاليم المسيح الأخلاقية والعقائدية بصورة منفصلة عنه، وإنما هي المسيح نفسه؛ ولهذا فإن المسيح هو النور القائم في مركز التاريخ، الذي ينير لكل إنسان يأتي إلى العالم، وهو الذي يفضي على الحياة معنى ويعطي للتاريخ هدفا[٢٧].

ارتبطت دعوة المسيح بالله تعالى، وتحدثت الأناجيل عن انتمائها إلى ملكوت الله في السماء، فما هي طبيعة دعوة المسيح؟ هل كانت دعوته إلى إقامة مدينة الله في السماء، أم أنها كانت رسالة السماء السامية التي تدعو لإقامة مدينة الله ومملكته على الأرض؟ إن العلاقة بين ما هو زمني (تاريخي) وبين المطلق (الإلهي) تتضح من خلال معرفة مصطلح (ملكوت) الذي دعا إليه المسيح، وهو مصطلح آرامي يراد به الملك أو المملكة، فملكوت الله هو أولا ملكه وحكمه. وملكوت الله بحسب المصادر الإنجيلية هو مملكة يحكم فيها الله من خلال المسيح؛ ولذا يفهم منها أنها أرضية. غير أن فهم المسيحيين لدعوة السيد المسيح كانت تتضمن الاثنين معا، ففي صلواتهم يدعون الله تعالى بالقول: ليأتي ملكوتك على الأرض كما في السماء[٢٨].

تولى بولس نشر المسيحية في أوربا وكتب رسائله بعد القرن الأول الميلادي، وهي تشهد على مدى امتزاج الامثلة الدينية بصور الفلسفة ولاسيما فلسفة الحلول، حيث منح السيد المسيح صفة الالوهية فأصبح (ربنا يسوع المسيح)، وسمى نفسه برسول المسيح. وذهب بعض الكتاب أن بولس لم يكن يعتقد أن المسيحيين –شأنه في ذلك شأن أكثر أبناء جيله– سيعيشون أمدا طويلا في هذا العالم، ولو أنه تصور أن البشرية سوف تعيش ألفي عام بعده على الأقل، لكانت آراؤه أكثر اتفاقا مع الطبيعة البشرية. فقد شكل موقفه من الزواج صدمة للكثيرين، وكان يود لو امتنع البشر جميعهم عن العلاقة الجنسية، ولكنه أدرك استحالة ذلك حتى مع نهاية العالم القريبة، فنصح بالزواج المسيحي. إذ الحياة الطيبة عند بولس هي حياة زهد فيما يتعلق بالمتع الحسية، حيث أراد أن يخلص الناس أنفسهم من حياتهم الفردية والأنانية. وأن يعلمهم أن عيسى لم يكن المسيح الموعود فحسب، بل هو (ابن الله) الذي نزل إلى الأرض؛ ليقدم نفسه قربانا ويصلب تكفيرا عن خطيئة البشر، فموته كان بمثابة الأضحية من أجل خلاص البشرية[٢٩].

وفي عام ٣٢٥ م حاول رجال الدين المسيحيين تقديم صياغة لاهوتية عن طبيعة العلاقة بين الله والمسيح وروح القدس، الذي وردت الإشارة إليه في الأناجيل على لسان المسيح، فأصدروا في مجمع نيقية إعلانا عرف ب(قانون الإيمان العام)، الذي أكد على أن الإله واحد من حيث الجوهر، أما من حيث الصفات

الذاتية الأساسية (الأقانيم) فهو ثلاثة، مكون من الأب والابن وروح القدس[٣٠]. لكل منها خصاص يمتاز بها عن الآخر. فكان الأب الخالق لكل العوالم، وامتاز الابن بالحلول والتجسد فهو ابن الرب ومن جوهره، ورب الدينونة ومخلص العالم من الخطيئة، إذ المؤمن به لا يدان. أما روح القدس فهو المنبثق من الاقنومين الأب والابن عند الكاثوليك، ومن الأب وحده عند الأرثوذكس، وهو الواهب للحياة وسرها، وهو الروح المستولي على العالم والمرشد والدليل، وبهذا تتجلى الألوهية في الثلاثة وباجتماعها يكون الإله واحدا. ومن الجدير بالذكر أن مجمع نيقية قد انقسم إلى قسمين: الأول هم الموحدون، أما الثاني فهم المؤله القائلون بالثالوث. وبعد جدل طويل في ذلك المجمع رُجح اعتقاد المؤله، وبمعاونة الملك قسطنطين تشرد الموحدون أمثال أريوس ورفاقه[٣١].

قال ويد جري: وقد تقبل الناس ألوهيته مرتبطة بمولده من مريم العذراء ومعجزاته وقيامه بعد الموت. وقد ظل الناس ردحا من الزمن يعتبرونه المسيا (المسيح) جريا على بعض الآراء السائدة المعاصرة، حتى اعترف به بطرس (ابن الله) وتابعه في النهاية أتباعه على ذلك[٣٢]. وروى توينبي أن يسوع نفسه رفض نسبة الألوهية إليه بأي معنى كانت بحسب ما ورد في الكتب المقدسة، وإن هناك ما لا يقل عن موردين قال فيها بأنه لا يستوي مع الله في الهوية. وأضاف مؤكدا لو أن يسوع كان موجودا حين دعي إليها فمما لا ريب فيه كان قد أنكر ذلك، وإن ما ورد على لسانه بأنه (ابن الله) كان أسوة بالتعبير اليهودي، الذي هو تعبير مجازي القصد منه التنويه بعلاقة خاصة بالله[٣٣].

على أية حال، تهتم المسيحية بالتاريخ من جهتين، إذ تذكر أحداثا معينة ربما كانت حقيقية أو مزعومة وتعدها أمورا جوهرية في التاريخ، ومن جهة أخرى فإن لديهم مضامين ترتبط بأهمية التاريخ بوجه عام، ثم تربط المذاهب الدينية السلفية بينهما ربطا خاصا. لقد قدمت المسيحية التاريخ كضرب من الدراما المسرحية، تضمن فصلها الأول سقوط آدم في الخطيئة وتباعد ذريته عن الله، وعبر الفصل الثاني عن دخول الإله في التاريخ مجسدا بالمسيح في صورته البشرية، وقد قام بتأسيس الكنيسة وبث تعاليمه، ثم

تخليصه البشرية بالصلب. وجاء الفصل الثالث بقيام الكنيسة بدورها التبشيري. أما الفصل الرابع والأخير فإنه يرتبط بعودة المسيح وقيام مملكة السماء الموسومة بالكمال والمقرونة بالبركات[٣٤].

ورأى ويد جري بأن تركيز المسيحية التاريخية حول شخص المسيح لم يقلل بأي حال من طابعها التأليهي؛ وذلك لأنها تعتقد بأن المسيح بنفسه إله، ومن ثم كانت تعاليمه تعبيرا عن الوحي الإلهي، التي ركزت على الاتجاه الروحي الجواني القائم على حب الله والطاعة لإرادته، التي تؤدي إلى الحب الخالص للنفس والجار على حد سواء. وقد تقبل المسيح آلام الصلب لكونها راجعة إلى إرادة الرب، وبذلك محا خطايا العالم ووعد بحياة سعيدة في جنة الفردوس. وأضاف مع أن يسوع عاش عيشة زهد ودعا الناس لاتباعه، إلا أنه لم يرفض مباهج الحياة الزوجية ولا مشاركة الناس في الأعياد والولائم؛ وبذلك نفهم أن توجهاته لم تكن فرارا مطلقا من الحياة ولا رفضا للتاريخ تفضيلا للخلود الأبدي[٣٥].

وعبر أوغسطين (٣٥٤-٤٣٠) م عن فهمه للتاريخ من خلال مسلمة دينية، تقول بأن الله كلي القدرة والمعرفة، وقد خلق الطبيعة بإرادته وباستطاعته تغييرها، ولا تحول من ذلك قوانين الضرورة. أما التاريخ البشري فإن الله يرعاه بعنايته ويحكمه كما يشاء، وليس بالإمكان مطلقا الاعتقاد بأن ممالك البشر خارج قوانين العناية. إن العالم بنظر أوغسطين في انتظام تام، وهذا النظام يدل على أن الله قد رتب الأشياء حسب غاياته، ومن ثم لا وجود للصدفة لأن كل شيء مقدر من قبل العناية الإلهية؛ فالتاريخ البشري إذن مسير ومحكوم من قبل الله[٣٦].

أما الشر فيعتقد أوغسطين وفقا لمنظور فلسفي أنه ليس سوى حرمان الخير، إذ لا طبيعة على الاطلاق تتصف بالشر، وليس هو إلا الافتقار إلى الخير. والشر نوعان، أحدهما ما يفعله المرء وهو الخطيئة، وثانيهما وهو ما يقاسيه وهو العقوبة. عناية الله تتحكم في كل شيء، ويسيء الإنسان فيها بفعل الشر بإرادته، ويقاسي من الشر الذي لا يريده. والخطيئة في الإنسان تقوم على قلة الإخلاص لله، وعدم الالتفات إلى ما في العالم من خير وإلى الخلق الشخصي والمحبة الاجتماعية التي ارادها الله له. وقد جعل الله غواية الشيطان للناس لكي يفيد بها الإنسان، فعندما يعرض الله الإنسان للمحن فلأجل غايتين؛

أما لإظهار ما بنا من كمالات أو تصحيح ما بنا من نقائص، وبمقدار صبرنا على محن الدهر وآلامه يحتفظ لنا بمكافآت أبدية، وفي كل مكان يكون فيه الألم الأعظم مدخلا وسبيلا إلى سرور أعظم[٣٧].

وانطلاقا من مفهوم العناية الإلهية فإن أوغسطين رفض نظرية التعاقب الدوري في التاريخ، ورأى أن الأحداث تسير بطريقة مستقيمة وليس دائرية، ابتداء من خلق آدم أبو البشرية (بداية التاريخ)، وانتهاء بيوم القيامة (نهاية التاريخ)، مرورا بسبع حقب زمنية لكل واحدة منها خصوصياتها، رتبها حسب عصور الأنبياء من آدم ونوح وابراهيم حتى عيسى حيث نهاية العالم؛ ذلك لأن التجسد (الإله في المسيح) لا يحدث إلا مرة واحدة لا تتكرر. أما عدد الحقب الزمنية فكانت تشبيها لما رواه الكتاب المقدس عن أيام خلق الله للعالم، وفي الحقبة السابعة سنمنح الراحة الأبدية كما ركن الإله إلى الراحة في اليوم السابع عند بدء الخليقة[٣٨].

اعتقد أوغسطين أن للإنسان نزعتين، نزعة حب الذات ونزعة حب الله، كذلك في التاريخ مدينتان، مدينة أرضية أو مدينة الشيطان تعمل على نشر الظلم، ومدينة سماوية تعمل على نشر العدالة. وقد كانت مدينة الله مختلطة بمدينة الشيطان حتى ظهور النبي إبراهيم، حيث تميزت المدينة السماوية فأصبحت في بني اسرائيل، والمدينة الأرضية في سائر الحضارات وبلغت ذروتها في الإمبراطورية الرومانية. ومع تباينهما كانا يتقدمان معا ويمهدان لظهور المسيح، مهد بنو اسرائيل له روحيا ومهدت له الحضارات الأخرى سياسيا وفقا لتدبير العناية الإلهية. أما بعد ظهوره فإنه يجب أن تتم الوحدة بين الجانب الروحي ممثلا بالكنيسة والجانب السياسي ممثلا بالدولة، ووجب أن تخضع الدولة للكنيسة[٣٩].

وفي نهاية المطاف في هذا المبحث تتبلور الملاحظات التالية حول الرؤية المسيحية للتاريخ:

- إن كانت اليهودية قد عبرت عن فكرة حضور الله في التاريخ من خلال خلق آدم وذريته، وهدايته للبشر عن طريق ارسال الرسل والأنبياء والحث على طاعتهم والإخلاص لله، ثم معاقبة المذنبين والمتمردين بمختلف صنوف الآلام والمحن. فإن المسيحية قد عبرت عن ذلك الحضور، بدخول الإله في التاريخ

متجسدا بشخص المسيح ليقيم ملكوت الله في الأرض، ويقدم نفسه فداء لخطيئة آدم، ثم يعود إلى السماء ليمنح بني البشر الأمل في الخلود.

- ولكن فكرة التجسد لدى المسيحيين تقربهم من الاديان القديمة التي آمنت بألوهية القادة والملوك، بقدر ما تبعدهم عن الديانة الابراهيمية القائمة على الرؤية الميتافيزيقية التوحيدية، والتي تعطي فكرة العناية الإلهية بعدها المنطقي الذي يستوعب التاريخ برمته، أما في المسيحية فقد تراجع دور الإله (الأب) لحساب الابن ثم روح القدس، وأصبحت العناية مرتبطة بحياة المسيح.

- كما إن التاريخ وفقا لتفسير أوغسطين تحكمه جبرية تجعل الأمم المسيحية تتجه في حركتها صعودا إلى مثلها الأعلى، مهما اقترفت من ذنوب وآثام ما دام المسيح قد خلصها بصلبه، فقد رفعت عنها المسؤولية وسبقت إلى مصيرها المحتوم. أما الوعيد الذي وجهه الله تعالى إلى البشر فيبدو أنه موجه إلى أولئك الذين لا يؤمنون بفكرة الخطيئة والخلاص.

المبحث الثالث: حركة التاريخ في الفكر الإسلامي:

يطالعنا القرآن الكريم في بداياته عبارة (ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين..) (البقرة:٢)، وهكذا ترسخ في ذهن المسلم أن ما جاء في هذا الكتاب إنما هو إلهي مقدس لا يأتيه الباطن من بين يديه ولا من خلفه. علاوة على إن هذا النص يؤكد على حقيقة أخرى هامة، وهي أن القرآن كتاب هداية ورشاد للناس جميعا لإخراجهم من الظلمات إلى النور وليس كتابا علميا، ومن ثم لا ينبغي لنا أن نترقب منه أن يكشف الحقائق العامة للكون، ولا ننتظر منه أن يتحدث عن مبادئ الطبيعة وقوانينها. صحيح أنه أشار في مواضع عديدة إلى بعض ذلك، ولكنها كانت في حدود توكيد البعد الإلهي للقرآن وإثبات عمق احاطته بالكون ماضيا وحاضرا ومستقبلا.

وهناك حقيقة أساسية تبدو واضحة في القرآن الكريم، تلك هي الاهتمام البارز الذي خصص له مساحة واسعة من سور القرآن لتاريخ الأمم السابقة، بحيث أن جل سوره لا تكاد تخلو من واقعة تاريخية أو اشارة لحدث ما أو تأكيد على سنة تتشكل بموجبها حركة التاريخ. ويبدو جليا أيضا أن القرآن الكريم لم يقدم

على سرد القصص لمجرد ترف ذهني ولا تعبيرا عن نزعة بحث علمي، وإنما يجيء القرآن –بوصفه كتاب هداية– بمعطياته التاريخية من أجل أن يحرك الإنسان صوب الأهداف التي رسمها الإسلام، وأن يبعده – فردا وجماعة– عن المزالق التي أودت بمصائر تلك الأمم والجماعات، فيأتي بها من أجل ابراز الفروق الحادة بين الأمم المؤمنة والأمم الكافرة، وكأنه يقول إن أمامك طريقين أو صيغتين للعمل لا ثالثة لهما، وإن عليك أن تختار بينهما. ولذا كان جانبا كبيرا من سوره وآياته البينات ينبثق عن رؤية وتفحص عميقين للتاريخ، ثم تصب في النهاية على اخطار البشرية بالنذير الإلهي، فتشكل بمجموعها –بما لا ريب فيه– نسقا رائعا ومتكاملا للتفسير الإسلامي للتاريخ. من هنا كانت الرؤية الاسلامية للتاريخ ترتبط ارتباطا وثيقا بالقرآن[٤٠].

يمتد التاريخ الحضاري في القرآن إلى ما قبل خلق آدم، حيث تمتزج إرادة الله تعالى وكلمته بالمادة فتصوغها كتلا كونية وكائنات طبيعية تنتظم بسنن ونواميس. وطالما كانت عملية البناء الكوني وتهيئة الأرضية الصالحة للحياة البشرية قد سبقت خلق آدم بأزمان لا يحيط بها إلا الله، وطالما كانت المقاييس البشرية قاصرة ومحدودة إزاء خلق الله، فليس لنا أن نطمح بالإحاطة الكاملة والتفسير الشامل لعملية التكوين هذه. ولكن القرآن الكريم يعود ويعلن عن حقيقة كونية مطردة وهي أن الكون ماض في حركة ديناميكية نحو الاتساع المستمر بإرادة الله، (والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون) (الذاريات:٤٧). إن هذه الحركة الكونية نحو الاتساع، وهذه الإرادة الإلهية على المستوى الكوني، تنعكس في التصور الإسلامي على حركة التاريخ البشري ومصير الإنسان في العالم، ذلك قبل أن تأتي الإرادة الإلهية التي أعلن عنها القرآن مرارا، بطي السماوات كطي السجل للكتب فتكف حينئذ الحياة ويتوقف التاريخ البشري، تمهيدا ليوم الحساب، وبدأ صفحة جديدة في سجل الخلق الإلهي، (كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين) (الأنبياء:١٠٤)[٤١].

تعد عملية خلق آدم حجر الزاوية في تاريخ البشرية في التصور الإسلامي، ولذا سوف نسلط الضوء عليها بمقدار ما كونها تكشف عن بعض متبنيات ذلك التصور. فقد ذهب محمدباقر الصدر إلى أن هناك

اختلافا جوهريا بين حياة آدم وحياة أي إنسان آخر، لأن كل إنسان يمر في مرحلة الطفولة بدور احتضان إلى أن يبلغ رشده، وعادة ما يجد ذلك من خلال البيئة الأسرية والرعاية الأبوية الحضانة اللازمة، التي تسمح له بالاستقلال في مواجهة مشاكل الحياة وتحقيق أهداف الخلافة التي انتدبه الله تعالى إليها، غير أن آدم لم يتسنى له ذلك فكان بحاجة إلى دار حضانة استثنائية تهيء له اسباب التنمية والتوعية الكافية لممارسة دور الخلافة على الأرض، وقد عبر القرآن الكريم عنها بالجنة التي تكفل له كل حاجاته[٤٢].

ومن هنا يستظهر محمدباقر الحكيم أن قصة آدم وإدخاله الجنة ثم توبته عن فعله، لم تكن عملية صورية درامية لطرده إلى الأرض كما قد يظن البعض، كون القرار الإلهي منذ بداية خلقه كان حاسما بأن يكون في الارض، إذ فيما يبدو أن دخول آدم الجنة هو مرحلة تأهيلية متقدمة لتمكنه من القيام بدور الخلافة على الارض، حيث لم يكن من الممكن لآدم أن يقوم بهذا الدور دون التأهيل والاعداد والتجربة التي خاضها في الجنة[٤٣]. فقد كانت التجربة التي خاضها آدم وزوجته قد هيأت لهما سبل إدراك الخير والشر أو الحسن والقبح، وفجرت في أعماقهما الإحساس بالمسؤولية من خلال مشاعر الندم، إضافة إلى إنها قد ولدت لديهما الاحساس بالحاجة والفقر، فلجآ الى الله في طلب التوبة. كانت هذه التجربة ضرورية من أجل أن يكون قادرا على مواجهة مشكلات الحياة وألوان الصراع فيها، وتميز الخير عن الشر، واللجوء الى الله تعالى في سد حاجاتهما، وبالتالي خلق حالة من التوازن الروحي في مقابل ضغوطات الميول والغرائز [٤٤].

وفي ضوء هذا الفهم لقصة الخلق البشري يصبح من الواضح، أن الأمر الإلهي بنزول آدم وزوجته إلى الأرض لم يكن عقوبة إلهية على إثر الخطيئة التي اقترفاها، والتي سوف تلاحقهما في الذرية لولا قرار عيسى (الرب) فداء البشر بالصلب كما تذهب تعاليم الكنيسة المسيحية؛ وإنما كان القرار الإلهي بوضع آدم وزوجه في الجنة كحالة استثنائية مرحلية، اقتضتها عملية خلق آدم وحاجته للحضانة والإعداد، لأن القرار الإلهي منذ البدء كان قد حكم بوضع آدم في الأرض وجعله خليفة، (إني جاعل في الأرض خليفة) (البقرة:٣٠). هذا فضلا عما تتضمنه لفظة الخلافة من معنى ينافي الطرد والإبعاد، لا سيما وإنه اقترن

بالتكريم والتفضيل (ولقد كرمنا بني آدم.. وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) (الإسراء:٧٠)، ثم التسخير (وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض) (الجاثية :١٣).

ويؤكد محمد اقبال بأن القرآن الكريم لا يعتبر الأرض ساحة للعذاب سجنت فيها إنسانية شريرة العنصر بسبب ارتكابها الخطيئة الاصلية، فقد كانت المعصية الأولى للإنسان أول فعل له ناتج عن حرية الاختيار، ولهذا تاب الله على آدم وغفر له؛ لأن عمل الخير لا يمكن أن يكون قسرا، بل هو خضوع عن طواعية للمثل الأخلاقي ناشئا عن تعاون الذات الحرة ورضاها، وإن الكائن الذي قدرت حركاته كما تقدر حركات الآلة لا يقدر على فعل الخير، وعلى هذا فإن الحرية شرط في عمل الخير. ولكن السماح بظهور ذات متناهية لها القدرة على اختيار الفعل بعد تقرير القيم النسبية للأفعال الممكنة هو بحق مغامرة كبرى، لأن حرية اختيار الخير تتضمن حرية اختيار عكسه كذلك. وكون المشيئة الالهية اقتضت ذلك دليل على ما لله من ثقة في الإنسان، ولكن على الإنسان أن يبرهن على أنه أهل لتلك الثقة[٤٥].

ومع هبوط آدم وزوجته من الجنة وخطواتهما الأولى على الأرض يتبادر السؤال الأهم: ما هي الغاية من خلق الإنسان؟ وما هو الدور الذي يمكن أن يقوم به في مسيرته الأرضية؟ يبادر القرآن للإجابة على هذه التساؤلات: وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين (الأنبياء:١٦-١٧). وفي نصوص أخرى يخاطب فيه الإنسان مباشرة (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا..) (المؤمنون: ١١٥)، (أيحسب الإنسان أن يترك سدى) (القيامة:٣٦)؛ إذن هذا الخلق للسموات والأرض وبضمنه الإنسان لم يكن عبثا ولا صدفة، وإنما هناك غاية اقتضت هذا الخلق، فما هي؟

يستعرض القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تكشف بصورة وبأخرى من أن الغاية من خلق الإنسان ومهمته الأساسية هي العبادة، كقوله تعالى: يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم (البقرة:٢١)، وأيضا: وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين (البينة:٥). ولعل أصرح نص يتناول الموضوع هو: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون (الذاريات:٥٦-٥٧).

والعبادة لا تتحقق إلا من خلال معرفة الله سبحانه، إذ لا معنى للعبادة من دون معرفة المعبود، بل المعرفة هي العبادة ذاتها متمثلة في بعدها النظري وجنبتها الروحية. وحينئذ لم يتوقف الفعل الإلهي بعملية خلق آدم وزوجه، ومنحهم أدوات المعرفة كالسمع والبصر والعقل وتعليمهم الاسماء كلها، بل استمر الحضور الإلهي في التاريخ لاسيما مع عظمة الهدف الإلهي والغاية المنشودة من الخلق، وتقبل الكائن البشري لتحمل مسؤوليات كبرى من أجل تحقيقها (إنا عرضنا الامانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان) (الأحزاب:٧٢)، فكان بأمس الحاجة إلى دعمه وهدايته، وهكذا جاء الحكم الإلهي عناية بالخلق ولطفا بالعباد، (قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم من هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (البقرة:٣٨-٣٩). فما كان لله تعالى أن يعاقب فردا أو يضر جماعة قبل أن يدلهم على الطريق، ومنحهم الفرصة لكي يختاروا بملء إرادتهم أن ينتموا إلى الحق، أو تسوقهم شهواتهم إلى طريق الباطل، حينئذ يحق العقاب كجزء من خطة العدل الإلهي الشامل في سياسة الكون.

ومنذ ذلك الوعد الإلهي بالهداية كان الله سبحانه يختار أنبياءه ورسله من بين الناس، لكي يؤدوا دورهم التاريخي المناسب للمرحلة التي بعثوا فيها. فكانت جميع النبوات فعلا إلهيا يتمثل باصطفاء الرجل الذي يحمل الامانة، وفي تهيئته على عين الله ثم في إرساله نبيا إلى قومه أو إلى العالم كله، وفي الاتصال به عن طريق الوحي لاستلام (كتاب) هداية البشر إلى الله تعالى. مستعينا بفعل إلهي مباشر يكسر حاجز النواميس الطبيعية فيما يعرف بالمعجزات، وهي بمثابة الهزة التي تحرك الإنسان نحو الإيمان الواضح بالله، والدليل الذي يسقط عنه جدار الرين ويصده عن ذلك. وكانت النبوات في المراحل التاريخية المبكرة بحاجة ماسة إلى اسناد ميتافيزيقي (معجزة)، تتميز بالتحدي والتخويف والغرابة لتحريك أفئدة أقوامهم المتجمدة ولفت أنظارهم المحدودة إلى قدرة الله، فكانت المعجزات تتناسب مع توجهاتهم النفسية ومستواهم الفكري[٤٦]. قال تعالى: ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله (النحل:٣٦).

ولم يكن محمد (ص) بدعا من الرسل فقد مثل الحلقة الأخير في سلسلة البعث الإلهي والرسالة الخاتمة. ويؤكد محمدأمين زين الدين أن من المبادئ المقررة في دين الإسلام أن جميع دعوات أولئك الأنبياء والرسل هي في الواقع دعوة واحدة لا اختلاف في حقيقتها وجوهرها، وإنما الاختلاف في الشمول والسعة، وذلك حسب ما تقتضيه سنة الله سبحانه من التدرج في تعليم البشرية على مقتضى حاجة المجتمع وناموس تطوره، ولولا ذلك لفقدت جدواها وخالفت الحكمة. على إن هذا التحول الارتقائي في الشرائع لا يثلم وحدة الدين مطلقا، كما إن التطور الاجتماعي ذاته لا يصدع وحدة المجتمع[٤٧].

فجاء محمد (ص) بمعجزة القران الكريم التي وثقت معاجز الأنبياء السابقين، ولكنها (القرآن) كانت تختلف اختلافا جوهريا عن باقي معاجز الانبياء، فقد عرضت تحديا من نوع آخر وطبيعة جديدة. فإن كانت المعاجز السابقة قد تحدت سنن الطبيعة وعارضتها بالفعل، فإن القرآن الكريم قد خاطب الوجدان البشري بالحقيقة الإلهية، وتحدى البشر على أن يأتوا بمثله مجتمعين؛ وبذلك مثل القرآن الكريم معجزة خالدة كونه خاطب العقل وتحداه منذ نزوله وإلى منتهى البشرية. وعلى ما يبدو أن البشرية كانت قد وصلت إلى مرحلة من النضج تستطيع من خلال الحجة والبرهان للوصول إلى حقيقة الإيمان، ومن ثم فهي ليست بحاجة لكسر سنة طبيعية بقدر حاجتها إلى حجة قاطعة تخضع العقل وتسلم الروح، وتمنح تصورا للإله فريدا يتضمن في معناه تجريدا عقليا وسموا أخلاقيا لم يكن حاضرا من قبل. وفي هذا الصدد تحدث المستشرق البريطاني جيب قائلا: إن مفهوم (إله) أعلى كان لا يزال غامضا مبهما تكتنفه خرافات إحيائية ولا ينطوي على أي مفهوم أخلاقي أو لاهوتي.. وقد تمثلت الثورة التي جاء بها محمد (ص) في تنقية تصور الله من شوائب الاعتبارات الطبيعية، والنظر إلى هذا التصور على أنه لا يدل على الإله الأعلى وحسب، بل على الإله الوحيد، خالق السماوات والأرض ومن فيهما[٤٨].

فالتوحيد الذي هو جوهر العقيدة الإسلامية، حرر الإنسان من كل أشكال العبودية المزيفة على مر التاريخ. وهذا التحرر له جنبتان، إحداهما تتجه نحو الإنسان فتحرر ذاته من كل ألوان العبودية والخضوع سوى لله تعالى، وثانيهما تتجه صوب الطبيعة وما تحويها من ثروات فتحررها من أي مالك عدا الله

سبحانه؛ وبذلك حطم الإسلام كل القيود المصطنعة والحواجز التاريخية التي عاقت المسيرة الإنسانية وكدحها نحو بارئها، سواء أكانت تلك القيود على مستوى الآلهة الاسطورية التي عملت على تحجيم دور الإنسانية ومسيرها نحو الله، أو تمثلت بملكيات تكرس السيادة على الأرض لطاغوت –فردا كان أم طبقة– على حساب الناس، تفرض عليهم علاقة التبعية والاستعباد وتحول دون نموهم الطبيعي[٤٩].

أما العبادة في بعدها العملي، فإن المفسرين يذهبون إلى أن المقصود من العبادة التي هي غاية الوجود الإنساني فهي بالمفهوم الأعم. في مقابل المعنى الخاص للعبادة (الشعائر العبادية)، وهي الأعمال المشروطة بنية القربى لله. فيما تعني بمفهومها العام، السير الحثيث نحو الله لتحقيق الانسجام بين المسار التشريعي مع السير التكويني. وهذه العبادة بمعناها الشامل فيما لو تحققت في المجتمع الإنساني، فإنه يكون قد أدى مشروع الخلافة الإلهية، ويكون التاريخ قد أنجز مهمته[٥٠].

لقد كان ظهور الإسلام إيذانا بأن عصرا جديدا قد بدأ، وإنه بالإسلام قد ولد الإنسان الجديد. حيث ذهب محمد مهدي شمس الدين إلى أن الإسلام كان فاصلا زمنيا في عمر الإنسانية، وإن الإنسان الجديد الذي ولد بالإسلام، والذي لا يزال الإسلام قادرا على إيجاده في كل عصر وفي كل مكان، هو جديد في كل وجوه حياته، الشخصية والعامة، وفي الممارسة الأخلاقية، في السياسة والاقتصاد، في علاقته مع الله، في تعامله مع العالم، وفي غير هذه الوجوه. وذلك لأن رسالة الإسلام ليس مذهبا اصلاحيا تناول جانبا معينا من جوانب الحياة وهمل الجوانب الأخرى، وإنما هي عقيدة وشريعة شاملة لجميع مظاهر النشاط الإنساني. وإن الأمة التي تحمل هذه الرسالة أخرجت للناس، فهي إذن ذات دور تاريخي عالمي يتعدى الأمة نفسها ليشمل البشرية بأسرها[٥١]. قال تعالى: كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله (آل عمران:١١٠).

والإسلام حين يضع مبدأ الخلافة ويستخلف الجماعة البشرية على الأرض يضع للخلافة أهدافها الصالحة، حيث أحدث انقلابا عظيما في تصور الأهداف وتقويمها، مما أدى إلى نقلة نوعية في الوسائل والأساليب. ولكي يحدث هذا الانقلاب العظيم في تقويم الحياة البشرية وتحديد أهدفها، كان لابد أن يعطي

تصورا لها يلائم أهدافه ويهيئ الجو النفسي في مجتمع الخلافة الصالحة، لتبني تلك الأهداف ووضعها موضع التنفيذ.

إن المجتمعات الجاهلية لا تنظر إلى الحياة البشرية إلا من خلال شوطها القصير الذي ينتهي بالموت، ولذا فهي لا تدرك المصالح والأهداف سوى من خلال إشباع ما لدى الإنسان من غرائز وشهوات، وهي على وفق هذا التصور تلهث وراء العوامل التي توفر لها الاشباع في هذا الشوط الحياتي القصير، وربما يؤمن لها نوع من الخلود النسبي بمقدر ما تتيح له إمكانات الحياة المادية. وقد كان هذا التصور للحياة الأساس لكل ما زخرت به المجتمعات الجاهلية من محاولات الاستزادة وألوان التنافس والاستغلال؛ لأن مسرح الحياة محدود، والثروات مقدرة، واللاعبين شرهون، ومن ثم يكون صاحب الحظ الأوفر من يحصل على أكبر قدر ممكن منها ولو على حساب الآخرين[٥٢]. وربما يجمع كل تلك العوامل عنوان التكاثر، (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) (التكاثر:١-٢).

على إن القرآن الكريم يلفت نظرنا إلى قضية مهمة في الموضوع، وهي أن تلك الانحرافات في المسيرة التاريخية لم تكن إفرازا لحالة الفقر على المستوى المادي، ولا وليدة الانحطاط الحضاري، وإنما كانت على العكس من ذلك مجتمعات تعيش بمستويات عمرانية راقية، وإنها هي من القوة والتطور والرقي مما يثير الاعجاب. ومع ذلك فإنها كانت في مستويات منحطة قيميا وأخلاقيا، وإن ذلك كان سببا في انحرافها ودمارها. قال تعالى: ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الاوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب.. (الفجر:٦-١٣). ففي الوقت الذي يعدد هذا النص المنجزات الحضارية لتلك الاقوام، إلا أنه يؤشر في الوقت ذاته على انحطاطهم القيمي ومن ثم نهايتهم المحتومة بالخسران.

ولا يتصورن أحد أن القرآن ما جاء إلا ليؤكد في موقفه من العمل الحضاري، على الجوانب الأخلاقية والروحية فحسب ويهمل الجوانب المادية، فلم يفصل القرآن بين هذا وذاك بل كان يطرح دائما موقفا شموليا مترابطا يرفض التقطيع والتجزئة في تقييم الموقف الحيوي أو الدعوة إليه. إنه يضعنا بإزاء آيات

عديدة تجعل من الأمة المؤمنة في قلب العالم والطبيعة وتدفعها إلى بذل جهدها من أجل التنقيب عن السنن والنواميس في الطبيعة وفي صميم العلاقات المادية. إنه عبر عن رؤية حضارية شاملة تعمل على تحقيق مستوى روحي عال للإنسان على الأرض من جهة، وتعمل من جهة أخرى على تسخير ثروات الطبيعة وقوانينها لتحقيق التقدم الحضاري على المستوى المادي. وقد انعكست هذه الرؤية التوحيدية بين قيم الروح والمادة في حركة الأمة الإسلامية عبر مسيرتها الحضارية، فابتكرت وأنجزت الكثير من المعطيات الحضارية في العالم(٥٣).

لم يكتف القرآن المجيد بشجب المناهج الجاهلية، بل وضع منهجا جديدا للإنسانية ينبغي أن تسير على ضوءه، عبره عنه، (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا..) (الملك:١-٢)، (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات..) (العصر:١-٢)، فبدلا من أن يكون المنهج هو اللهاث وراء العوامل المادية والمتع الدنيوية، يكون العمل الحسن (الصالح) هو المنهج الذي يحث الله تعالى البشرية عليه والمبادرة إليه، وحينئذ تصبح التقوى هي معيار المفاضلة بين المسلمين (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (الحجرات:١٣)، (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) (المطففين: ٢٦).

ولكي يقوّم القرآن هذا التصور الجاهلي ويضع الأرضية المناسبة لأهدافه العليا، كشف عن حقيقة الحياة الدنيا التي تعامى عنها ذلك التصور، وهي أنها متاع قليل وشوط قصير ومعبر لابد منه لحياة يتمتع فيها المرء بسعادة أو شقاء أبديين، تعتمد اعتمادا كليا على ما أتى به في هذه الحياة الدنيا؛ وبذلك خلق في الإنسان تصور جديدا للحياة أحدث نقلة في منهجه فيها، فبدلا من أن يكون انفاق المال في أوجه الخير والتنازل عن المتع الآنية، بل التضحية بأهم ما يملك الإنسان وهي نفسه، بدلا عن النظر إليها بوصفها خسارة ومغامرة على حساب مصلحته وحياته ومستقبله، جعل هذا التصور الجديد كل تلك التضحيات تجارة لن تبور وضمانا لمستقبله(٥٤). قال تعالى: (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه..) (سبأ: ٣٩)، (إن

تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم) (التغابن:١٧)، (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) (الانعام :١٦٠).

وذهب مرتضى المطهري إلى أن الله تعالى قد أعد برنامجين في سبيل تربية الإنسان، برنامج تشريعي وآخر تكويني، وتحتل الشدائد والصعوبات مكانا لها في كلا البرنامجين. ففي المنهاج التشريعي فرض الله العبادات كالصوم والحج والانفاق والجهاد، وهي كلها شداد تحف بالتكليف الشرعي، وإن الصبر إزاءها والاستقامة في أدائها يوجب تكميل النفوس وتربيتها. وفي المنهاج التكويني جعل المصائب على رأس كل طريق يسلكه الإنسان، فالجوع والخوف والخسارات المادية وفقدان الأرواح كلها شدائد أوجدها في النظام التكويني لتربية الإنسان وسموه. ولذا إذا خص الله عبدا من عباده بلطف فهو يجعله عرضه للشدائد[٥٥].

فقد سئل الرسول الكريم (ص) من أشد الناس بلاء في الدنيا؟ فقال: النبيون ثم الأمثل فالأمثل.. [٥٦]

وفي ضوء هذا التصور، تضحى الحياة الدنيا ليس إلا دار اختبار إلهي لبني البشر، لذا اقتضت حكمة الباري أن تكون متغيرة متقلبة وليست دار قرار، لأن من مقتضيات الاختبار أن يكون هناك تبدل في الحال من أجل تمحيص البشر. لقد حفت الحياة بالنعم والبلايا وبالشهوات والمكاره، إذ لا فرق في الاختبار بين أن تصيب الإنسان بلية فيصبر أو تصيبه نعمة فيشكر، ومن ثم فأن النعم والخيرات التي تصيب الإنسان في هذه الحياة لا تعبر عن ميزة أو اعتبار بقدر ما هي محل اختبار وابتلاء له، في طبيعة التعامل معها وفي كيفية أداء شكرها. بل ربما زاد الله سبحانه في مصائب وبلايا شخصا تحذيرا له عن خطأ ما أو زلل وقع فيه، قال تعالى: فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون.. (الانعام:٤٢-٤٣).

إن إحدى الركائز الأساسية للتفسير الإسلامي للتاريخ يقوم على الإيمان بالغيب، حيث خصص للبعد الغيبي مساحات واسعة شاملة للماضي والحاضر والمستقبل، ابتداء من خلق العالم بما وصفه من قوة لفظ (كن)، مرورا بمصائرنا اليومية سواء على المستوى الفردي أم الجماعي، انتهاء بالغاية التي خطط لها ثم البعث والنشور. هذا الحضور الإلهي الدائم والملفت في التاريخ يضعنا مباشرة أما تساؤلات كبرى عليه أن

يجيب عليها تتعلق بطبيعة الدور الإلهي وحدوده ثم دور الإنسان فيه لكي نتوصل إلى تفسير شامل ونظرية مقبولة منطقيا.

فالرؤية القرآنية حين تطرح السنن التاريخية وتربطها بالغيب لا تخرجها عن طابعها العلمي الموضوعي، كما ذهبت التفسيرات اللاهوتية التي ربطت أحداث التاريخ بالغيب وقطعت صلتها مع بقية الحوادث التي ترتبط بها. لقد جعل التفسير الاوغسطيني من الصلة بالله بديلا عن العلاقات والارتباطات التي تزخر بها الساحة التاريخية، والتي تمثل السنن والنواميس الموضوعية لهذه الساحة، إنه يسلب الحادثة من كل مبرراتها الموضوعية سوى ارتباطها بالغيب. أما الرؤية القرآنية فلا تسبغ الطابع الغيبي على الحادثة بالذات، ولا تطرح الصلة بالسماء بديلا عن علاقاتها واسبابها الموضوعية على الساحة التاريخية. فحين تربط السنة التاريخية بالله فهي تقر في الوقت ذاته بوجود الروابط الموضوعية بين الحوادث، إلا أن هذه الروابط والعلاقات هي في الحقيقة تعبيرا عن حكمة الله سبحانه وبناءه التكويني للساحة التاريخية[٥٧].

فحين يورد القرآن الكريم الكثير من الوقائع التاريخية يخرج بنتيجة، مفادها أن حركة التاريخ البشري محكومة بسنن ونواميس ثابتة لا تخطئ، لأنها منبثقة من التركيب البشري ومعطياته المحورية الراسخة كفطرة وغرائز وفكرا ووجدانا، ومن قلب العلائق الظاهرة والباطنة في العالم الذي يتحرك فيه، التي تتجاوز في شموليتها نسبيات البيئة الجغرافية أو الوضع الاقتصادي لكي تتسع للفعل التاريخي نفسه، القائم على القيم الثابتة في كيان الإنسان والتي تنبثق عنها المواقف التاريخية، ومن ثم فإن حكمها على هذه الحركة يكون منطقيا بمثابة الجزاء الذي هو من جنس العمل، وعادلا لأنه يكافئ الإنسان فردا وجماعة بما يناسب طبيعة الدور التاريخي الذي مارسوه[٥٨].

لقد منحت الرؤية القرآنية الإنسان أفضل مركز في الكون، فأعطته مكان السيادة على العالمين، ومن خلال ذلك منحته حرية الفعل والاختيار، فقد أكد الكتاب العزيز على هذه الحرية في كثير من المواقف وقدم عشرات النماذج الواقعية في التاريخ البشري على المستويين الفردي والجماعي، ولكنه كان ينبهنا دائما لكي لا تتحول مواقفنا إلى دراما كلاسيكية مصطنعة وصراع لا مبرر له، ينبهنا إلى أن حريتنا

الكاملة المتجانسة مع وجودنا أفرادا وجماعات ما هي إلا دوائر تعمل بتوازن وتناغم وتداخل، ضمن الدائرة الأكبر التي يرسمها علم الله الشامل وتحيط بها قدرته وإرادته المطلقة، ثم يعود فيؤكد مرارا بأن نتائج الفعل البشري الفردية والجماعية تجيء منبثقة عنها وفقا لموازين وسنن[٥٩]. هذا التداخل بين فعل الإنسان وبين فعل الله سبحانه من جهة أخرى، قد أثار جدلا كبيرا في الفكر الديني عامة وفي الفكر الإسلامي على وجه الخصوص عرفت بمسألة (الجبر والتفويض). حيث دار الجدل حول ما إذا كان الفعل الصادر عن الإنسان ناتج عن اختياره بنفسه، أم أنه لا خيار له فيه وهو مجبر عليه.

تعتقد الامامية أن حل الإشكال يكمن في قول الإمام الصادق (ع): لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين[٦٠]. ويرى محمد جواد مغنيه أن المقصود منه ليس هو أن فعل الإنسان مستند إلى نفسه وإلى قدرة الله تعالى، لأن هذا القول يجعل من الله جل شأنه مشتركا مع الإنسان عند اقتراف الشر. ثم يوجه قول الإمام بأن الله تعالى أقدر الخلق على أعمالهم وملكهم الاستطاعة، ثم أمرهم بالخير ونهاهم عن الشر، ووعدهم بالثواب على فعل الخير، وبالعقاب على فعل الشر؛ وبذلك يكون الإنسان مسؤولا عن أعماله من دون أن يخدش هذا الرأي بذات الباري جل شأنه سواء في قدرته وإرادته أم في عدله[٦١].

ومن جانب آخر، فإن هناك تداخل بين فعل الفرد وفعل الجماعة أيضا، فالفعل التاريخي قد يسند إلى موقف شخص معين، وربما يسند في أخرى إلى حركة الجماعة ككل. وبنفس الطريقة كان الطرح القرآني في قصصه عن الأقوام السالفة يشير مرة إلى الموقف الفردي، ويؤكد في أخرى على موقف الجماعة في حركة التاريخ. كما إن الخطاب الإلهي قد يكون باتجاه الفرد (يا أيها الإنسان)، أو يكون الخطاب موجها للجماعة (يا أيها الذين آمنوا)، وربما للإنسانية جمعاء (يا أيها الناس).

إن الرؤية القرآنية لم تنطلق كما ذهبت المذاهب التفسيرية الوضعية، من نظرتها الواحدية التبسيطية لحركة التاريخ، التي تصب الناس جميعا في قالب واحد شاءوا أم أبوا ومن ثم طمس تفردهم وتميزهم، وقسرهم على رؤية واحدة ككتل حشرية تعمل في مستعمرات النحل أو النمل. هذا التصور الذي اعتقد به جملة من الفلاسفة الغربيين بضمنهم هيغل، حين أرادوا التمييز بين عمل الفرد وعمل الجماعة، فقالوا بأن المجتمع

هو عبارة عن كائن عضوي عملاق يلف في أحشائه كل الأفراد، وهو يتخذ من كل فرد نافذة على العالم بقدر ما يجسد هذا الفرد من قابليات وابداع. هذا التصور ليس صحيحا ولسنا بحاجة إلى هذا الاغراق في التجريد إلى هذه الدرجة لكي ننحت عملاقا اسطوريا لصورة المجتمع مكونا من أفراد(٦٢). فقد كان الإسلام أكثر واقعية وانسجاما مع التكوين البشري، حين رسم الخطوط الأساسية للفكر والنظام الذي يلزم أفراد المجتمع الإسلامي عن طواعية واختيار كي يغدو كل واحد منهم منسجما مع الآخرين، وتغدو تجربته متسقة مع تجربة الأمة. وفتح الطريق من جهة أخرى أمام الطليعة الذين تجاوزوا مواقع ضعفهم، ليتحملوا مسؤولياتهم التاريخية وتوجيه حركته حين يضمنوا مسيرة الجمهور وراءهم. ولذا ألزم الإسلام هذه الطليعة المؤمنة أن تندمج في موكب الجمهور آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر، وحذر من الانعزال والرهبنة في إطار التجربة الذاتية، لأنه لا يعدو أن يكون تجميدا للطاقات الابداعية وتجريدا للمجتمع من قدراته الخلاقة(٦٣).

وفي ختام البحث لابد أن نقف عند مسألة مهمة تتعلق بمسار حركة التاريخ، التي عادة ما تثار في فلسفة التاريخ، في محاولة للإجابة عن الأسئلة التالية: هل هناك نمط معين لحركة التاريخ؟ هل يتحرك التاريخ باتجاه غاية محددة؟ لقد ظهرت اتجاهات تفسيرية متعددة في هذا المجال، كان منها النظرة المتشائمة التي ترى أن حركة التاريخ تسير نحو التدهور، وقد عارض هذه الرؤية عدد كبير من المفكرين الذين وجدوا أن التاريخ يسير دوما سيرا تقدميا نحو الأمام، فيما ذهب آخرون إلى أن التاريخ يسير في دائرة مغلقة، وقال غيرهم بأن حركة التاريخ حركة حلزونية صاعدة بصورة دائرية، وفضلا عما تقدم قرر بعض المفكرين أن مسارات التاريخ متنوعة، وإن التقدم والتأخر هي أحكام قيمية أخلاقية فهي إذن ذات طبيعة نسبية(٦٤).

يظهر من القرآن الكريم أنه لم ينسب إلى عصر من العصور من الفضائل ما يميزه عن العصور الأخرى، وإنما كان يحكم على الأمة والأجيال بقدر صلاحها ومدى التزامها بعمل الخير، فمعيارية الحكم الإلهي تعتمد على موقف كل أمة من فعل الخير وصلاح أمرها، وبالتالي لا نستطيع أن نلتمس من القرآن نمطا محددا لمسار التاريخ البشري ككل. ولكن للقرآن إشارات مهمة بخصوص نهاية العالم والمحطة

الأخير في مسار التاريخ البشري، تؤكد على تمكن الدين (الإسلام) وسيادة المؤمنين ووراثة الصالحين.
قال تعالى: هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.. (الصف:٩).
ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون (الأنبياء:١٠٥).
ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين (القصص:٥).
وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا..(النور:٥٥).
وفي معرض تفسير محمدحسين الطباطبائي للآية الأخيرة ذكر أن هناك وعدا إلهيا تضافرت عليه آيات القرآن الكريم والنصوص المقدسة، حيث وعد الله تعالى عباده المؤمنين الصالحين بأن يجعل لهم مجتمعا صالحا خالصا من وصمة الكفر والفسق والظلم يرث الأرض ومن عليها، ولا يحكم إلا بالحق والعدل لا يخاف في ذلك كيد ظالم وتحكم متجبر. ثم أكد إن هذا المجتمع الصالح على ما يتحلى به من صفات الفضيلة والقداسة لم يتحقق بعد للمسلمين لا في زمن النبي الأكرم ولا بعده، وإن هناك روايات متواترة عن النبي وأهل بيته الاطهار تشير إلى تحققه في زمن الإمام المهدي (عج)[٦٥].
ويعود محمد الصدر إلى أصول العقيدة الإسلامية باحثا عن الغاية والهدف من الخلق، وتقوم رؤيته أساسا على فكرة التوحيد بين الكون والإنسان من خلال وحدة العلة الغائية للخلق على أساس الحكمة الإلهية. حيث رأى أنه طالما كان الخالق حكيما فإن العلة الغائية للخلق لابد أن تتناسب مع حكمته البالغة، وهي لا تعود عليه قطعا بحكم كونه غنيا عن المنفعة لأنه الكامل المطلق المستغني عن كل شيء. وهذه الغاية بحسب تصوره مركبة، إذ تتمثل في وصول العالم إلى أفضل درجة من الكمال يمكن أن يصل إليها في مسيرته، ووصول البشرية إلى الكمال المنشود لها[٦٦]. وأضاف بأن البشرية لا تصل إلى هذه الغاية إلا عندما تحقق بمجموعها المعنى الشامل والصحيح للعبادة، وهي بالتحديد إيجاد المجتمع المعصوم برأيه العام، بل المعصوم بكل أفراده، فإن عمق العبادة وعمومها يقتضي هذا المعنى بالضرورة؛ وبذلك تتحدد العلة الغائية بتكامل البشرية المستهدف بالتخطيط العام لإيجاد المجتمع المعصوم[٦٧].

الخاتمة:

وفي نهاية البحث لابد أن نقف عند بعض النقاط المهمة التي عرض لها البحث وهي:

- قدمت اليهودية تصورا عن حضور الله الدائم في التاريخ، فقد انطلقت من الإيمان بأن الله تعالى خلق العالم والإنسان، ولم يتركه يكافح من أجل تدبير شؤونه، حيث تواتر الأنبياء وتتابعت الرسالات لتوجيهه وتنظيم حياته. وقد ربط هؤلاء الأنبياء مصير الناس بمدى التزامهم بتلك الشرائع، فكل ما يلم بهم من آلام إنما هو عقوبة على ما ارتكبوا من معاصي؛ وهكذا أصبحت أحداث التاريخ تعبيرا عن إرادة الله ثوابا وعقابا.

- غير إن العناية الإلهية أضحت لديهم مقصورة على شعب الله المختار الذي يحمل رسالة عالمية. وأصبحت أحداث التاريخ لا تتكرر وإنما تتخذ مسارا مستقيما لتستكمل غرض يهوه كما وعدهم، حيث آمنوا بمجيء السيد المسيح ليخلصهم من الآلام ويقيم مملكته التي يتبوؤون فيها بمكانة لائقة.

- تفسر المسيحية عجز الإنسان عن خلق مدينة فاضلة، بسقوط (آدم) في الخطيئة وصارت جزء من طبيعته، فسيطر الشر على مدى التاريخ، وتتجلى آثاره في الألم والمرض، كما في العداوة والحرب. إن تاريخ العالم يدور حول عاملين، عامل الحنين إلى تحقيق قيم الحق والخير والعدل، وعامل ناموس الخطيئة الذي يجر الإنسان لعبادة الغرائز المنحطة والمطالب المادية.

- وتولى بولس نشر المسيحية في أوربا وكتب رسائله بعد القرن الأول الميلادي، وهي تشهد على مدى امتزاج الدين بالفلسفة لاسيما فلسفة الحلول. ودعا الناس إلى حياة زهد فيما يتعلق بالمتع الحسية ليخلصهم من حياتهم الفردية والأنانية، ويعلمهم أن المسيح (الرب) قدم نفسه قربانا تكفيرا عن خطيئة البشر من أجل خلاصهم.

- وتصور أوغسطين حركة التاريخ مسيرة ومحكومة من قبل الله. ووجد أن للإنسان نزعتين، نزعة حب الذات ونزعة حب الله، وكذلك في التاريخ مدينتان، مدينة أرضية تعمل على نشر الظلم، ومدينة سماوية تعمل على نشر العدالة. وتجسدت الأخيرة (مدينة الله) بعد ظهور النبي إبراهيم في بني اسرائيل، أما

المدينة الأرضية (مدينة الشيطان) فتمثلت في سائر الحضارات. أما بعد ظهور المسيح فإنه يجب أن تتم الوحدة بين الجانب الروحي ممثلا بالكنيسة والجانب السياسي ممثلا بالدولة، وذلك بخضوع الدولة للكنيسة.

- لقد أكد القرآن الكريم على أن حركة التاريخ محكومة بسنن إلهية ثابتة، ولكنه في الوقت نفسه لم يخرجها عن طابعها العلمي الموضوعي، كما ذهبت التفسيرات اللاهوتية التي ربطت أحداث التاريخ بالغيب وقطعت صلتها مع بقية الحوادث التي ترتبط بها. فحين تربط السنة التاريخية بالله فهي تقر في الوقت ذاته بوجود الروابط الموضوعية بين الحوادث، إلا أن هذه الروابط والعلاقات هي في الحقيقة تعبيرا عن حكمة الله سبحانه وبناءه التكويني للساحة التاريخية.

- والتوحيد جوهر العقيدة الإسلامية، وبه حرر الإسلام الإنسان من كل أشكال العبودية عبر التاريخ، وهذا التحرر له جنبتان، إحداهما تتجه نحو الإنسان فتحرر ذاته من كل ألوان العبودية والخضوع سوى لله تعالى، وثانيهما تتجه صوب الطبيعة وثرواتها فتحررها من أي مالك عدا الله سبحانه؛ فما على الإنسان سوى الإيمان بالله وطاعته بالتمسك بتوجيهات الرسل في كل جوانب حياته، وبذلك يتجسد مفهوم الخلافة الإلهية للإنسان.

- والإسلام حين يضع مبدأ الخلافة حدد أهدافها الصالحة، حيث أحدث انقلابا عظيما في تصور الأهداف وتقويمها. فلم تعد الحياة الدنيا منتهى غاية البشرية وكشف عن حقيقتها، وهي أنها دار اختبار وامتحان وشوط قصير لابد منه لحياة يتمتع فيها المرء بسعادة أو شقاء أبديين، ووضع منهجا جديدا للإنسانية يقوم على السعي إلى العمل الصالح بدلا عن اللهاث وراء العوامل المادية والمتع الدنيوية، وحينئذ أضحت التقوى هي معيار المفاضلة بين الأفراد والجماعات.

- هناك وعدا إلهيا تضافرت عليه آيات القرآن الكريم والنصوص المقدسة، بخصوص نهاية العالم والمحطة الأخير في مسار التاريخ البشري، يؤكد على تمكن الدين (الإسلام) وسيادة المؤمنين ووراثة الأرض. حيث وعد الله تعالى عباده المؤمنين الصالحين بأنه سيكون لهم مجتمعا صالحا يعم الأرض،

خالصا من وصمة الكفر والفسق والظلم ولا يحكم إلا بالحق والعدل، وحينئذ يعم الخير والسلام ربوع العالم.

الهوامش:

(١) فروم\اريك\ الدين والتحليل النفسي\ص٢٥.
(٢) وات\و. مونتجمري \ الاسلام والمسيحية في العالم المعاصر\ص١٦٦.
(٣) حسن\ محمد خليفة \ علاقة الاسلام باليهودية\ص٥.
(٤) الملاح \هاشم يحيى \ المفصل في فلسفة التاريخ\ص٦٢.
(٥) المصدر السابق\ص٦٦-٦٧.
(٦) سوسه\احمد\العرب واليهود في التاريخ\ص١٤٧-١٤٩.
(٧) ديورانت\ول\قصة الحضارة\ج١\ص٣٠٢-٣٠٣.
(٨) الأعظمي\محمد ضياء\الرحمن \دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند\ ص١٩٦-١٩٨.
(٩) المصدر السابق\ص١٩٤.
(١٠) ظاظا\حسن\الفكر الديني الإسرائيلي\ص١٥٢-١٥٤.
(١١) سوسه\احمد\العرب واليهود في التاريخ\ص١٩٠-١٩٣.
(١٢) ظاظا\حسن\الفكر الديني الإسرائيلي \ص١٥٧-١٥٨.
(١٣) الملاح \هاشم يحيى \ المفصل في فلسفة التاريخ\ص٦٩-٧١.
(١٤) سوسه\احمد\العرب واليهود في التاريخ\ص١٦٠.
(١٥) ويدجري\آلبان. ج\التاريخ وكيف يفسرونه\ج١\ص١٤٩-١٥١.
(١٦) المصدر السابق\ص١٥١-١٥٢.
(١٧) الملاح \هاشم يحيى \ المفصل في فلسفة التاريخ\ص٧٦-٧٧.
(١٨) ويدجري\آلبان. ج\التاريخ وكيف يفسرونه\ج١\ص١٥٥-١٥٦.
(١٩) الدملوجي\فاروق\تاريخ الأديان\ص٥٠٥.
(٢٠) سوسه\احمد\العرب واليهود في التاريخ\ص١٩٣-١٩٤.

(٢١) ويدجري\آلبان. ج\التاريخ وكيف يفسرونه\ج١\ص١٥٤-١٥٥.
(٢٢) صبحي\احمد محمود\في فلسفة التاريخ\ص١٦٦-١٦٧.
(٢٣) ويدجري\آلبان. ج\التاريخ وكيف يفسرونه\ج١\ص١٥٨-١٥٩.
(٢٤) الملاح \هاشم يحيى \ المفصل في فلسفة التاريخ\ص٨٧.
(٢٥) المصدر السابق\ص٨٥-٨٦.
(٢٦) الشرقاوي\محمود\التفسير الديني للتاريخ\ج١\ص١٨٥.
(٢٧) المصدر السابق\ص١٨٦.
(٢٨) الملاح \هاشم يحيى \ المفصل في فلسفة التاريخ\ص٩١.
(٢٩) الشرقاوي\محمود\التفسير الديني للتاريخ\ج١\ص١٨٧-١٨٨.
(٣٠) الملاح \هاشم يحيى \ المفصل في فلسفة التاريخ\ص٨٨-٨٩.
(٣١) الدملوجي\فاروق\تاريخ الأديان\ص٥٤٦-٥٤٨.
(٣٢) ويدجري\آلبان. ج\التاريخ وكيف يفسرونه\ج١\ص١٧٥.
(٣٣) توينبي\ارنولد\تاريخ البشرية\ج١\ص٣٧٢.
(٣٤) ويدجري\آلبان. ج\التاريخ وكيف يفسرونه\ج١\ص١٧٣-١٧٤.
(٣٥) المصدر السابق\ص١٧٥.
(٣٦) الملاح \هاشم يحيى \ المفصل في فلسفة التاريخ\ص٩٤-٩٥.
(٣٧) ويدجري\آلبان. ج\التاريخ وكيف يفسرونه\ج١\ص١٨١.
(٣٨) الملاح \هاشم يحيى \ المفصل في فلسفة التاريخ\ص٩٥-٩٦.
(٣٩) صبحي\احمد محمود\في فلسفة التاريخ\ص١٦٨.
(٤٠) خليل\عماد\الدين\ التفسير الإسلامي للتاريخ\ص٧-٨.
(٤١) المصدر السابق\ص١٧٥-١٧٦.
(٤٢) الصدر\محمدباقر\الإسلام يقود الحياة\ص١٥١.
(٤٣) الحكيم\محمدباقر \المجتمع الإنساني في القرآن الكريم\ص٨٠-٨١.
(٤٤) المصدر السابق\ص٨٨.

(٤٥) اقبال\محمد\ تجديد الفكر الديني في الإسلام\ ص١٤٣-١٤٤.
(٤٦) خليل\عمادالدين\ التفسير الإسلامي للتاريخ\ص١٢٥-١٢٦.
(٤٧) شمس الدين\محمدمهدي\بين الجاهلية والإسلام\ص٦٢.
(٤٨) جيب\المستشرق\علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي\ص١٠٦.
(٤٩) الحكيم\منذر\مجتمعنا في تراث السيد محمدباقر الصدر\ص٤٣٥-٤٣٦.
(٥٠) قيدارة\الأسعد بن علي\النظرية المهدوية في فلسفة التاريخ\ص٧٦-٧٧.
(٥١) شمس الدين\محمدمهدي\بين الجاهلية والإسلام\ص٥٣.
(٥٢) الحكيم\منذر\مجتمعنا في تراث السيد محمدباقر الصدر\ص٤٤٢-٤٤٣.
(٥٣) خليل\عمادالدين\ التفسير الإسلامي للتاريخ\ص٢١٣-٢١٤.
(٥٤) الحكيم\منذر\مجتمعنا في تراث السيد محمدباقر الصدر\ص٤٤٤.
(٥٥) مطهري\مرتضى\العدل الإلهي\ص١٩٢.
(٥٦) الكليني\الشيخ\الكافي\ج٢\ص٢٥٢.
(٥٧) الصدر\محمدباقر\التفسير الموضوعي للقرآن الكريم\ص٩٦-٩٧.
(٥٨) خليل\عمادالدين\ التفسير الإسلامي للتاريخ\ص١٠٨.
(٥٩) المصدر السابق\ص١٤٣-١٤٤.
(٦٠) الريشهري\محمد\ميزان الحكمة\ج١\ص٣٦٣.
(٦١) مغنية\محمدجواد\مع الشيعة الإمامية\ ص٢٠.
(٦٢) الصدر\محمدباقر\التفسير الموضوعي للقرآن الكريم\ص١١٩.
(٦٣) خليل\عمادالدين\ التفسير الإسلامي للتاريخ\ص١٦٣-١٦٤.
(٦٤) الملاح \هاشم يحيى \ المفصل في فلسفة التاريخ\ص٢٤١.
(٦٥) الطباطبائي\السيد\الميزان في تفسير القران\ج١٥\ص١٥٥.
(٦٦) الصدر\محمد\اليوم الموعود بين الفكر المادي والديني\ص٣٩٨.
(٦٧) المصدر السابق\ص٤١٣.

المراجع:

١-الأعظمي\محمد ضياءالرحمن \دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهندامكتبة الرشداط١٢\ السعودية \٢٠٠٣.
٢-اقبال\محمد\ تجديد الفكر الديني في الإسلام\ ترجمة محمد يوسف عدس\دار الكتاب اللبناني\ بيروت \ ٢٠١١.
٣-توينبي\ارنولداتاريخ البشرية\ج١\ترجمة نقولا زيادة\\الأهلية للنشر\ط٢\بيروت\١٩٨٨.
٤-جيب\\المستشرق\علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي\ترجمة عادل العوا\منشورات عويدات\ط١ \بيروت \١٩٧٧.
٥-الحكيم\محمدباقر \\المجتمع الإنساني في القرآن الكريم\مؤسسة تراث الشهيد الحكيم\ط٢\\النجف الأشرف \٢٠٠٦.
٦-الحكيم\منذر\مجتمعنا في تراث السيد محمدباقر الصدر\دار التعارف\ط١\بيروت\\٢٠١١.
٧-خليل\عمادالدين\ التفسير الإسلامي للتاريخ\دار العلم للملايين\ط٣\بيروت\\١٩٨١.
٨-الدملوجي\فاروق\تاريخ الأديان\\الأهلية للنشر والتوزيع\بيروت\٢٠٠٤.
٩-ديورانت\ول\قصة الحضارة\مج١\مكتبة المصطفى الالكترونية\\الموقع الالكتروني\
http://www.al-mostafa.com
١٠-الريشهري\محمد\ميزان الحكمة\ج١\\الموقع الالكتروني:
http://shiaonlinelibrary.com
١١-سوسه\احمد\\العرب واليهود في التاريخ\العربي للنشر\ط٢\سلسلة الكتب الحديثة.
١٢-الشرقاوي\محمود\\التفسير الديني للتاريخ\ج١\مطبوعات الشعب\مصر
١٣-شمس الدين\محمدمهدي\بين الجاهلية والإسلام\\المؤسسة الدولية\بيروت\١٩٩٥.
١٥-صبحي\احمد محمود\في فلسفة التاريخ\مؤسسة الثقافة الجامعية\\الاسكندرية\١٩٧٥.
١٦-الصدر\محمد\\اليوم الموعود بين الفكر المادي والديني\دار التعارف\بيروت\٢٠٠٢.
١٧-الصدر\محمدباقر\\الإسلام يقود الحياة\وزارة الارشاد الإسلامي\ط٢\طهران\١٤٠٣.
١٨-الصدر\محمدباقر\\التفسير الموضوعي للقرآن الكريم\مجمع الثقلين\بغداد\١٤٢٥.
١٩-الطباطبائي\\السيد\\الميزان في تفسير القران\ج١٥\\الموقع الالكتروني:
http://shiaonlinelibrary.com
٢٠-ظاظا\حسن\\الفكر الديني الإسرائيلي\معهد البحوث والدراسات العربية\١٩٧١.
٢١-فروم\اريك \\الدين والتحليل النفسي\ترجمة فؤاد كامل\مكتبة غريب.

٢٢-قيدارة \الأسعد بن علي\النظرية المهدوية في فلسفة التاريخ\المكتبة العقائدية\مركز الابحاث العقائدية\الموقع الالكتروني: http://www.aqaed.org/book

٢٣-الكليني\الشيخ\الكافي\ج٢\الموقع الالكتروني\http://shiaonlinelibrary.com/

٢٤-مطهري\مرتضى\العدل الإلهي\ترجمة عبد المنعم الخاقاني\الدار الإسلامية\ط٣\بيروت.

٢٥-مغنية\محمدجواد\مع الشيعة الإمامية\ مكتبة الأندلس\ط٢\بيروت\١٩٥٦.

٢٦-الملاح \هاشم يحيى \ المفصل في فلسفة التاريخ\دار الكتب العلمية\ط٢\بيروت\٢٠١٢.

٢٧-ويدجري\آلبان. ج\التاريخ وكيف يفسرونه\ج١\ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد\الهيئة المصرية العامة للكتاب \ط٢.

الضغط المهني وتأثيره في السلوك الجانح في بيئة العمل- دراسة تحليلية لآراء عينة من العاملين في منظمات الأعمال الصغيرة والمتوسطة الحجم في محافظة النجف الاشرف

أ.م. حسين عبد الخالق علي

م.د. عامر عبد كريم الذبحاوي

الكلية التقنية الإدارية/ جامعة الفرات الأوسط التقنية

المقدمة:

هدفت هذه الدراسة إلى تحديد الدور الذي يؤديه الضغط المهني في التأثير على السلوك الجانح في البيئة التنظيمية عينة البحث، وقد بلغ حجم العينة (١٠٥) فرداً. ولأجل تحقيق هدف الدراسة صيغت فرضيتين رئيسيتين جرى التحقق منهما من خلال عدد من الوسائل الإحصائية كالوسط الحسابي الموزون، والانحراف المعياري، والأهمية النسبية، ومعامل الارتباط ومعادلة الانحدار، وبعد تحليل البيانات التي جرى جمعها بواسطة استمارة الاستبيان التي عُدت بالاعتماد على مقياس (Johnson et al.,2005) للضغط المهني ومقياس (Wan,2012:43) لمتغير السلوك الجانح.

المبحث الأول: المنهجية العلمية للبحث:

في هذا المبحث سيتم التطرق إلى المنهجية العلمية للبحث والتي تتضمن الآتي:

أولا: مشكلة البحث:

إن بيئة العمل التنظيمي في منظمات الأعمال اليوم ونتيجة للتحولات في التكنولوجيا المتطورة وكذلك علاقات الأفراد داخل محيط العمل اوجد أنماطاً جديدة في طبيعة وعمل تلك المنظمات، إذ أصبح من الضروري أن تعمل المنظمات على إيجاد بيئة عمل مستقرة خالية من الضغوط والتحديات وتجعل من الفرد يشعر بالرضا تجاه مهام عمله وبالتالي صيرورة علاقة ايجابية بين الفرد ووظيفته، والعكس يؤدي إلى حالة من الضغوط في بيئة العمل التي تشجع على السلوك الجانح أو المنحرف في بيئة العمل التنظيمي. ووفق ما تقدم فأن مشكلة البحث تمحورت بتساؤل رئيسي مفاده: هل هناك تأثير للضغط

المهني في إيجاد السلوك الجانح في بيئة العمل؟ وقد تمخض عن هذا التساؤل الرئيسي عدة تساؤلات فرعية هي:

١-ما مستوى الضغط المهني في بيئة العمل في المنظمات عينة البحث؟

٢-هل تمتلك عينة البحث تطوراً واضحاً عن مفهوم السلوك الجانح؟

٣-هل إن الضغط المهني يؤدي إلى تعزيز السلوك الجانح لدى عينة البحث؟

ثانياً: أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من أهمية متغيراته الرئيسة وذلك كون متغير الضغط المهني أو ما يسمى أحياناً بضغوط العمل أصبح شائعاً في العديد من المنظمات وخصوصاً منظمات الخدمة العامة لذلك أصبح من الضروري على الباحثين دراسة العوامل التي لها تأثير في بيئة العمل غير المستقرة وتعاني من ضغوط والتي تؤدي إلى وجود سلوكيات منحرفة أو ما يسمى بالسلوك الجانح لدى بعض الأفراد. فضلاً عن ذلك تأتي أهمية البحث من كونه تناول قطاع أعمال تسويقي وخدمي مهم، إذ يعد من القطاعات المهمة لما له من تأثير على المجتمع فمخرجات منظمات الأعمال تسهم في رفد المجتمع بالمنتجات من السلع والخدمات التي يحتاجها الفرد، وبالتالي فأن توظيف هذه المفاهيم لخدمة هذا القطاع التسويقي تكون له نتائج ايجابية في منظمات أخرى وقطاعات أخرى.

ثالثاً: أهداف البحث:

استرشاداً بمحتوى مشكلة البحث وتساؤلاته وتناغماً مع الاهتمامات التي أظهرتها الأدبيات الخاصة بالضغط المهني وأثره في توليد السلوك الجانح في بيئة العمل يهدف البحث الحالي إلى تحقيق ما يلي:

١. تقديم إطار علمي ومعرفي وافي عن متغيرات البحث (الضغط المهني والسلوك الجانح في بيئة العمل) من خلال استعراض ابرز ما كتب حول هذه المفاهيم.

٢. التعرف على مستوى الضغط المهني لدى عينة البحث من الأفراد العاملين في المستويات والأقسام الوظيفية المختلفة في المنظمات المبحوثة.

٣. تحديد مستوى السلوك الجانح لدى عينة البحث من الأفراد العاملين في المستويات الوظيفية المختلفة في المنظمات المبحوثة.

٤. التعرف على طبيعة ونوع العلاقة التي تربط الضغط المهني والسلوك الجانح.

رابعاً : مخطط البحث:

قام الباحث بتطوير مخطط فرضي يظهر فيه طبيعة العلاقة بين المتغيرات الأساسية استناداً إلى مجموعة من البحوث العلمية الرصينة التي شكلت مصادر معتمدة في هذا البحث، إذ يعد الضغط المهني كمتغير مستقل (تفسيري) والمتمثل بستة أبعاد هي: (صراع الدور، عبء العمل، طبيعة الأشراف، التطور والترقية المهنية، سوء العلاقات الاجتماعية في العمل، ظروف العمل وطبيعته) أما المتغير المعتمد (الاستجابي) السلوك الجانح . ويوضح الشكل (١) أدناه المخطط الفرضي للبحث.

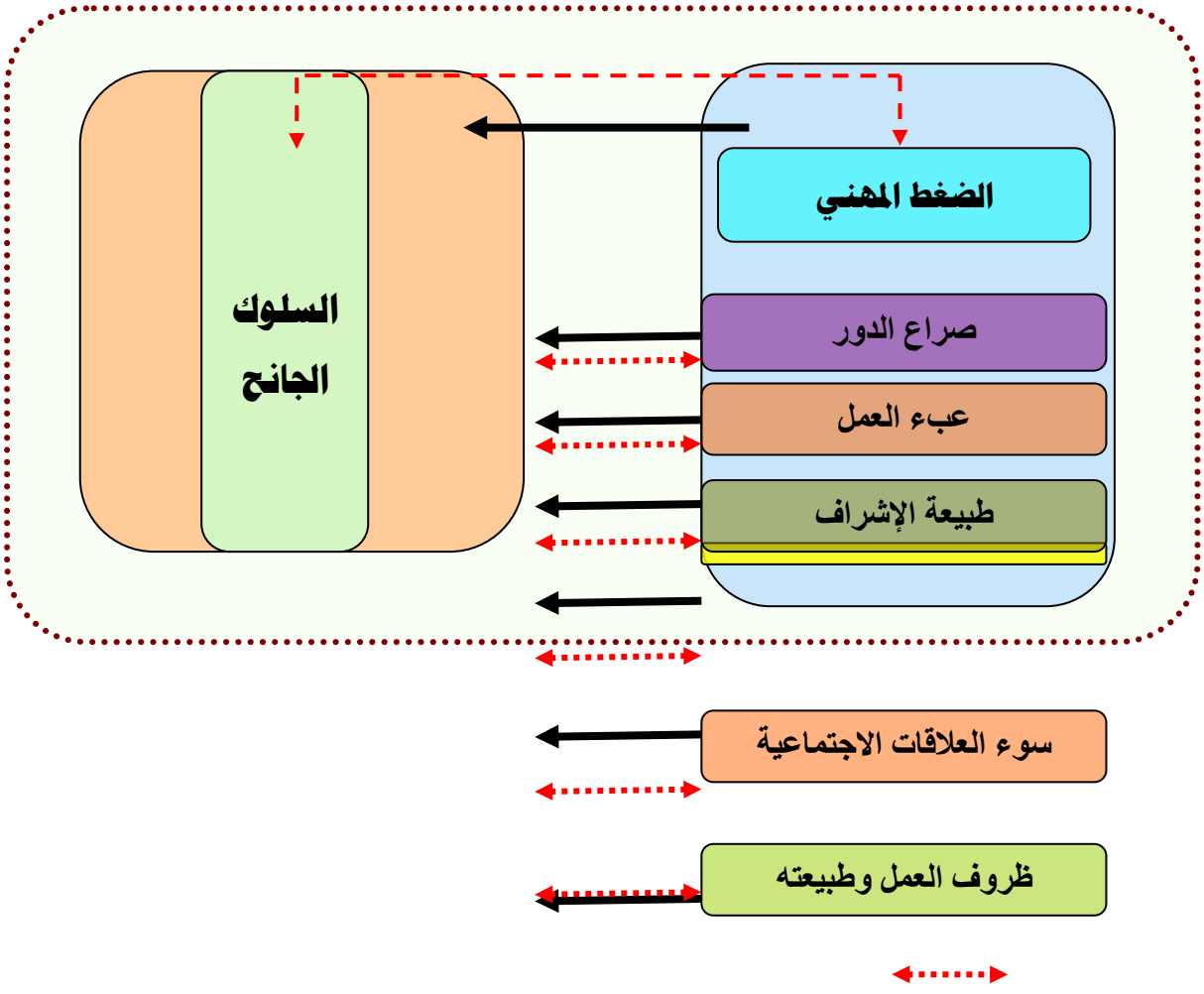

علاقة ارتباط

علاقة تأثير

شكل (١) مخطط البحث الفرضي

خامساً : فرضيات البحث:

استنادا إلى المخطط الفرضي للبحث نطرح فرضيات البحث التي توضح طبيعة علاقة الارتباط والتأثير بين المتغيرات وكما يلي:

الفرضية الرئيسية الأولى: توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية إحصائياً بين الضغط المهني والسلوك الجانح . وتنبثق منها الفرضيات الفرعية الآتية:

الفرضية الفرعية الأولى: توجد علاقة ارتباط معنوية بين صراع الدور والسلوك الجانح.

الفرضية الفرعية الثانية: توجد علاقة ارتباط معنوية بين عبء العمل والسلوك الجانح.

الفرضية الفرعية الثالثة: توجد علاقة ارتباط معنوية بين طبيعة الأشراف والسلوك الجانح.

الفرضية الفرعية الرابعة: توجد علاقة ارتباط معنوية بين التطور والترقية المهنية والسلوك الجانح.

الفرضية الفرعية الخامسة: توجد علاقة ارتباط معنوية بين سوء العلاقات الاجتماعية في العمل والسلوك الجانح.

الفرضية الفرعية السادسة : توجد علاقة ارتباط معنوية بين ظروف العمل وطبيعته والسلوك الجانح.

الفرضية الرئيسة الثانية: يؤثر الضغط المهني معنوياً في السلوك الجانح.

وتنبثق منها الفرضيات الفرعية التالية:

الفرضية الفرعية الأولى: يؤثر صراع الدور معنوياً في السلوك الجانح.

الفرضية الفرعية الثانية: يؤثر عبء العمل معنوياً في السلوك الجانح.

الفرضية الفرعية الثالثة: يؤثر طبيعة الأشراف معنويا في السلوك الجانح.

الفرضية الفرعية الرابعة: يؤثر التطور والترقية المهنية معنوياً في السلوك الجانح.

الفرضية الفرعية الخامسة: يؤثر سوء العلاقات الاجتماعية في العمل معنوياً في السلوك الجانح.

الفرضية الفرعية السادسة: يؤثر ظروف العمل وطبيعته معنوياً في السلوك الجانح.

سادساً: مقاييس البحث:

أعتمد البحث الحالي على مقياس ليكرت الخماسي (five point likert) لقياس مستويات استجابات عينة البحث، إذ استخدم الباحث مقياس (لا أتفق مطلقاً، لا أتفق، محايد، أتفق ،أتفق تماماً) لقياس متغير الضغط المهني بأبعاده (صراع الدور، عبء العمل، طبيعة الإشراف، التطور والترقية المهنية، العلاقات الاجتماعية في بيئة العمل، ظروف وطبيعة العمل)، وذلك عن طريق تبني مقياس (Johnson et al.,2005) والمكون من (١٨) سؤالاً. وقد استخدم نفس المقياس أعلاه (ليكرت الخماسي) أيضاً لقياس السلوك الجانح وذلك عن طريق تبني مقياس (Wan,2012:43) والمكون من (١٢) سؤالاً.

سابعاً: مجتمع وعينة البحث:

إن التعريف بمجتمع وعينة البحث وتبيان خصائصه ضرورة أساسية يركز عليها البحث ميدانياً، ونظراً لطبيعة البحث ومتغيراته المتمثلة (بالضغط المهني والسلوك الجانح)، لذا تمثل مجتمع البحث بعدد من منظمات الأعمال الصغيرة والمتوسطة الحجم في محافظة النجف الاشرف، وذلك بكافة العاملين في ستة مراكز تجارية وتسويقية هي: مجمع سنتر جبل عامل، الحرة للتسوق المنزلي، كنده مول، أسواق الشمس، Hunch Marketing، الكرادة الشرقية للتسوق في محافظة النجف الاشرف إذ كان العدد الكلي في هذه المراكز التسويقية (٢٠٨) من العاملين في المجالات الإدارية والتوزيعية والحسابية والخدمية، ولضمان الحصول على العدد المطلوب قام الباحث بتوزيع (١٣٠) استبانه وتم استرجاع (105) صالحة للتحليل الإحصائي، وباستخدام أسلوب العينة العشوائية الطبقية وذلك لضمان مشاركة جميع الفئات العاملة في هذه المنظمات. وفيما يلي الجدول (١) يوضح تفاصيل مجتمع وعينة البحث.

جدول (١) مجتمع وعينة البحث

ت	اسم المنظمة	عدد العاملين الكلي	عدد الاستمارات الموزعة	عدد الاستمارات المستلمة
1	مجمع سنتر جبل عامل	129	70	48

2	الحرة للتسوق المنزلي	22	15	14
3	كنده مول	20	15	15
4	أسواق الشمس	15	10	8
5	Hunch Marketing	12	10	10
6	الكرادة الشرقية للتسوق	10	10	10
7	المجموع	208	130	105

♦ المصدر: من إعداد الباحث

ثامناً: حدود البحث:

إن حصر حدود البحث ضمن نطاقات واضحة المعالم ضرورة أساسية لأية دراسة ضمن اختصاص علمي معين، وبذلك أصبح لزاماً تشخيص الحدود الخاصة بالحدود البشرية، المكانية والزمانية المناسبة للبحث الحالي، وعلى النحو الآتي:

١. الحدود المكانية Place Bounders

تم اختيار عدد من أهم منظمات الأعمال الصغيرة والمتوسطة الحجم العاملة في مختلف القطاع التجاري والتسويقي في محافظة النجف الاشرف، وهم العاملون ستة منظمات صغيرة ومتوسطة الحجم هي: مجمع سنتر جبل عامل، الحرة للتسوق المنزلي، كنده مول، أسواق الشمس،Hunch Marketing ، الكرادة الشرقية للتسوق في محافظة النجف الاشرف بوصفها الحدود المكانية للبحث، وقد تم اختيارها لاسباب تتعلق بطبيعة متغيرات البحث.

٢. الحدود البشرية Human Bounders

وفقاً لمتغيرات البحث فقد تمّ اعتماد الفئات ذات التأثير المباشر في المنظمة المبحوثة وهم الأفراد العاملين في مجمع سنتر جبل عامل من خلال عينة قصدية بلغت (١٠٥) فرداً من الأفراد العاملين في المنظمات المبحوثة في محافظة النجف الاشرف.

الحدود الزمانية Time Bounders

امتدت الحدود الزمانية للبحث بجانبيه النظري والميداني من ٢٠١٩/٥/١ لغاية ٢٠١٩/٩/١٥ تخللتها فترة توزيع استمارة الاستبانة والمقابلة الشخصية، الخاصة بانجاز البحث.

المبحث الثاني/ الإطار النظري للبحث: الضغط المهني والسلوك الجانح:

أولاً: الضغط المهني Professional Pressure

١. مفهوم الضغط المهني: The Concept of Professional Pressure

عند الاطلاع على الأدبيات التي تتعلق بمفهوم الضغط المهني يرى أغلب الكتاب والباحثين إن لمفهوم الضغط المهني أو ضغوط بيئة العمل وجهات نظر مختلفة وان المفهوم الأكثر اتفاقاً هو عدد من المثيرات والانفعالات والأحداث التي تتكون في بيئة العمل التنظيمي والتي تحدث نتيجة هذه الحالات ردود فعل مختلفة تظهر على سلوكيات الأفراد العاملين أو في حالتهم النفسية والجسدية أو السلوكيات التي تنعكس على تأدية العاملين لمهام العمل المناطة بهم وهي نتيجة لتفاعل العاملين مع بيئة عملهم التي تحتوي على الضغوط (Kottwitz et al.,2014:53). وان مفهوم الضغط المهني يتمثل بالأضرار الصحية التي تصيب الأفراد نتيجة الضغط أو الزيادة في متطلبات بيئة العمل، وهذه الضغوط تمثل المواقف والمؤثرات التي يتعرض لها الفرد أثناء وظيفته وهذه الحالات تنعكس على نفسية الفرد وتجعل منه غير قادراً على تأدية المهام الموكلة له بشكل صحيح وتسبب له حالات من الإرهاق والتوتر والاكتئاب والملل مصدرها مكان العمل الذي يعمل فيه الفرد (Vrijkotte et al.,2000:880). وان الشعور الذي ينتاب الفرد عن عمله حيث يشعر بأن بيئة العمل تؤثر على حالته الجسدية والصحية وترهق كاهله ويكون بحالة حرجة وصحية لا يستطيع معها تأدية مهام عمله على أكمل وجه، وان قام بها فأنه يؤدي عمله بأقل طاقة يمتلكها أو يكون في حالة اضطرارية من باب الحاجة إلى الأجر أو الخوف من خسارة وظيفته ويكون بحالة ضغط مهني نتيجة زيادة مهامه وضيق الوقت المسموح له وعدم قدرته على تأدية عمله وبذلك يمكن القول إن الضغط المهني يرتبط ارتباطاً طبيعياً بقدرة الفرد على الاستجابة لمتطلبات

وبيئة العمل وطريقة أدائه له (Helena et al.,2014:4). وإن الضغط المهني ينشا من الفرد نفسه ويسمى الضغط الداخلي أو الضغط من الخارج ويسمى الضغط الخارجي وهذا غالباً ما يكون في بيئة العمل التي تكون بيئة طاردة نتيجة العديد من العوامل كالعلاقة السيئة بين زملاء العمل أو الاختلاف معهم في طرح الآراء والأفكار والتي ينتج عنها الانفعالات والتعقيدات النفسية التي يكون الفرد أحياناً غير قادر على البوح بها مما تشكل له ضغطاً نفسياً يؤثر على حالته الصحية وعدم قدرته على مواصلة أداء مهام عمله (Deuten,2017:3-4). ولا يوجد هناك مفهوم أو تعريف محدد للضغط المهني ويتفق العديد من الكتاب والباحثين على انه الحالات أو المشكلات التي تتواجد في بيئة العمل وتسبب الإرهاق والتعب والقلق والانزعاج عن مجريات وقواعد وتعليمات بيئة العمل وهذه ضمن مجموعة عوامل يكون مصدرها البيئة الداخلية كسوء العلاقة بين الرئيس والمرؤوس أو بين زملاء العمل من القوانين التي تحكم العمل، وكذلك العوامل التي يكون مصدرها البيئة الخارجية أو المنظمة كموقع المنظمة أو طبيعة العمل ضمن قطاع بيئي معقد وبالتالي فأن مثل هذه العوامل تنعكس على قدرة الشخص على العطاء وبالتالي تسبب له مشاكل صحية وبدنية تؤثر على وظيفته وتمثل ضغطاً مهنياً يصعب مواجهته (Donald et al.,2005:410). ويعرف الضغط المهني على انه شعور الفرد العامل بعدم قدرته على التجاوب مع متطلبات المحيط نتيجة ظروف أو أحداث أو مواقف غير عادية يتعرض لها داخل بيئة العمل فتؤثر سلباً على راحته النفسية أو أحاسيسه أو مشاعره ومعنوياته لتنعكس بدورها على الصحة العقلية أو الجسدية أو كليهما على الفرد (Riaz et al.,2018:4).

٢. أبعاد الضغط المهني Dimensions of Professional Pressure

عند البحث في أدبيات الموارد البشرية، والجهود البحثية للعديد من الكتاب والباحثين في مجال ضغوط بيئة العمل أو ما يسمى بالضغط المهني، لوحظ عدم وجود توجهات واضحة تحدد الأبعاد الأساسية للضغط المهني، لذا سيتم الاعتماد على الأبعاد التي اعتمدها (Johnson et al.,2005) وهي (صراع الدور، عبء العمل، طبيعة الإشراف، التطور والترقية المهنية، سوء العلاقات الاجتماعية في بيئة العمل،

ظروف العمل وطبيعته)، وهذه الأبعاد هي التي سيعتمدها البحث في قياس الضغط المهني، والتي يمكن توضيحها كما يأتي:

أ. صراع الدور:

ويحدث عندما تتعارض مهام الوظيفة مع بعضها البعض، بحيث إن امتثال الفرد لأحدها يجعل من الصعب الامتثال للأخرى، وقد يحدث عندما يكون للفرد أكثر من دور في المنظمة في نفس الوقت وتتعارض هذه الأدوار مع بعضها البعض، كأن يكون للموظف مهمتين مكلف بتأديتهما ويريد كل منهما أن تعطى الأولوية والأهمية لأعماله، وقد يكون دور الفرد غامضاً في عدم معرفته لحدود المسؤوليات والصلاحيات وبالتالي متطلبات العمل من قبل المسؤولين عليه (O'Neill et al.,2015:4-5). وان لبُعد صراع الدور أهمية وتأثير كبير على ضغوطات العمل أو الضغط المهني حيث إن تداخل الصلاحيات والمسؤوليات في بيئة العمل تجعل من وجود ادوار مختلفة وبالتالي فأن تقاطع الأدوار وغموض بعض الأمور الخاصة بأداء مهام العمل يؤدي إلى وجود صراعات داخلية بين الرئيس والمرؤوسين من جهة أو قد تكون بين زملاء العمل من جهة أخرى وإن هذه الصراعات على الدور أو المهام الموكلة للأفراد العاملين تؤدي إلى وجود أحداث وضغوطات مهنية تؤدي بالعمل إلى الانحدار وعدم تحقيق أهداف المنظمة (Amilin,2017:239).

ب. عبء العمل:

وهو أحد أهم أبعاد الضغط المهني والذي يتمثل بكثرة وتعدد المهام المناطة بالموظف والمطلوب منه انجازها في وقت قصير، أو عدم تناسب قدرة الفرد مع المهام، أو عدم تناسب خبرات ومهارات الفرد مع طبيعة العمل (O'Meara et al.,2017:3). وإن عبء العمل أحد الأبعاد الرئيسية للضغط المهني حيث يكون بقيام الأفراد العاملين بمهام ومسؤوليات عمل متعددة في وقت واحد، حيث هناك علاقة بالعبء الوظيفي وشعور الفرد بالضغط ، ويكون عبء الدور أحد أهم أشكال عبء العمل الذي يتمثل بقيام الفرد بمهام لا يستطيع انجازها في الوقت المحدد أو إن هذه المهام تتطلب مهارات وإمكانيات عالية

يفتقر لها الفرد، وبالتالي فأن عبء العمل هو قيام الفرد بمهام ومسؤوليات متنوعة في وقت واحد وهذه المسؤوليات تتطلب الخبرة والمهارة وبالتالي لا يمتلكها الفرد مما يؤدي ذلك إلى عبء العمل لديه (Malone et al.,2019:30).

ج. طبيعة الإشراف:

في الكثير من المنظمات نجد هناك دور سلبي أو معقد للرئيس أو المشرف على تأدية الأعمال المكلفين بها الأفراد في المنظمة، وهذا الدور السلبي يخلق الكثير من ضغوط العمل لدى العاملين ويفقد الثقة فيما بينهم وينعكس سلباً على درجة ولائهم ورضاهم عن العمل، وان سياسة الإدارة العليا الإشرافية المبنية على نظام الرقابة الصارمة والنقد الذاتي الشديد وغياب التقديم الموضوعي والغموض في الإجراءات العملية كل ذلك يؤدي إلى عدم الرضا الوظيفي بل ويعد من مؤشرات الضغط المهني (Achour et al.,2017:337).وإن طبيعة الأشراف الذي تقوم به الإدارة العليا في منظمات الأعمال قد يشكل ضغط على العاملين أو نوع من الرقابة أو السيطرة على كل مفاصل المنظمة والتي لا يرغب الكثير من العاملين وجود الرقابة الصارمة عليه أثناء تأديته لمهام وظيفته، وهذا الأسلوب يؤدي إلى العديد من السلبيات منها ارتباك الأدوار وزرع عدم الثقة بين الرئيس والمرؤوس وبالتالي عدم تأدية مهام العمل بشكل صحيح وهذا أحد أهم أبعاد الضغط المهني في منظمات الأعمال (Hammig,2017:394).

د. التطور والترقية المهنية:

قد يكون الترقي المهني مصدراً وسبباً في ظهور المشاعر السلبية والضغط النفسي، نظراً لوجود فرص محدودة للترقي ووجود معايير أخرى غير معيار الكفاءة في الأداء وكذلك ترقي الموظف لمهمة تفوق قدراته، وإن عدم تبني المنظمة لخطة خاصة في الترقي الوظيفي وتبني نظام الحوافز والأجور العادل والمشجع كل هذا يؤدي بالعامل إلى الشعور بالملل تجاه العمل وضعف الأداء وغياب الحس في الانجاز وضعف الولاء للمنظمة وبالتالي يفكر في ترك العمل والانتقال إلى منظمة أخرى (Desimone et al.,2002:82-83). والتطور والترقي المهني هو بحد ذاته إتاحة الفرصة للموظف للحصول على درجة

أعلى أو منصب عمل أعلى في التسلسل أو الهيكل التنظيمي وتترجم بتغيير عنوانه الوظيفي أو تغيير السلك الوظيفي وهذا شيء إيجابي بالنسبة للموظف ولكن قد يكون سلبياً عندما لا تمتلك المنظمة خطة تناسب طموح الموظف من برامج تدريبية أو تطورية تسهم في تطوير مهاراته وخبراته لتناسب مع الوظيفة الأعلى وان الترقية لمنصب أعلى دون خطط تناسب الموظف تشكل عبئاً وظيفياً عليه وانخفاض معنوياته وانعدام إيمانه بالعدالة وبالتالي انخفاض كفاءته التي تنعكس على المنظمة وإنتاجها وتحقيق أهدافها (Osmond-Johnson,2017:3-4).

هـ. سوء العلاقات الاجتماعية في العمل:

إن الضغوط المهنية لا تفصح عن نفسها فقط من خلال أداء العمل بل أيضا من خلال العلاقات الشخصية للعامل خلال حياته المهنية باعتبار إن العمل موقف اجتماعي، فحينما يؤدي انسجام أفراد الجماعة إلى زيادة الطاقة الإنتاجية، يؤدي الصراع بين أفرادها بسبب اختلاف حاجاتهم وثقافاتهم وقيمهم وميولهم وفلسفاتهم وأدوارهم، أو نتيجة لتباين وجهات النظر فيما بينهم حول قضايا معينة في المستوى التنظيمي إلى زيادة نسبة الغياب والاضطرابات الغير رسمية (Wang et al.,2017:1022). وإن سوء العلاقات الاجتماعية في بيئة العمل ناتج من العديد من الأسباب منها وأهمها إن الفرد يتصرف ويعمل أو يؤدي مهام عمله بنمط معين ويرغب من زملاء العمل أن يتوافقوا معه ويعملوا بنفس الخط وإذا تخلفوا عنه يشعر بالغضب وعدم الرضا عن زملائه في العمل وبالتالي يسعى إلى التركيز على الجوانب السلبية ولا يفرق بين الصح والخطأ وكل هذه السلوكيات تشكل ضغط مهني في بيئة العمل (Yang et al.,2017:3) .

و. ظروف العمل وطبيعته:

وتتمثل بمجموعة العوامل التي تحدد سلوك الفرد من عوامل مباشرة كمتطلبات وصعوبات العمل، وأخرى نفسية متعلقة بظروف العمل كوسائل التنقل لمكان العمل، وثالثة متعلقة بخصائص العامل، حيث إن ظروف العمل كانت قد شغلت اهتمام العديد من الباحثين والمفكرين الذين ركزوا على أثر العوامل المادية

على الأداء الإنتاجي ليتحول فيما بعد إلى اختيار أثر هذه العوامل على الحالة النفسية للعاملين وعلى رضاهم عن العمل (Russell et al.,2018:17). وإن ظروف العمل تلعب دوراً هاماً في بقاء الموظف في وظيفته فكلما كانت هذه الظروف مناسبة وملائمة وجيدة كلما زاد من التزام الموظف بمهام وظيفته وتأديته لها على أكمل وجه وبالعكس تماماً إن ظروف العمل تؤثر على أداء العاملين ومن أهمها الضوضاء والتهوية والحرارة والإضاءة والمباني الملائمة ووسائل النقل وبرامج التدريب والتطوير وغيرها من الظروف التي في حالة عدم توافرها تؤدي إلى وجود بيئة عمل سلبية وطاردة يسودها الضغط والمشاكل (Green & Ayalon,2017:1002).

ثانياً: السلوك الجانح Delinquent behavior

١- مفهوم السلوك الجانح Concept of Delinquent behavior

إن مفهوم السلوك الجانح يتضمن مجموعة من الأنماط السلوكية الجانحة التي تأتي نتيجة عوامل ومسببات مباشرة أو غير مباشرة على مستوى الفرد أو فرق العمل، وان هذا السلوك يعتمد على بيئة العمل وما توفره من عوامل تدعم العاملين وتشعرهم بالراحة والسعادة وان عدم وجود هذه العوامل يتولد السلوك الجانح حيث يكون انطباع ثابت ومتكرر من السلوك العدواني الذي ينتهكون به حقوق وأهداف المنظمة التي يعملون فيها ويبتعدون عن قيم العمل وقوانينه ويرتكبون أفعالاً تضعهم تحت طائلة المسائلة وبذلك فأنه سلوك غير مرغوب وخطر على منظمة وعامليها ومزعج يؤثر على بيئة المنظمة ككل (Molina et al.,2007:1028). ويعد السلوك الجانح أحد السلوكيات العدوانية والمضطربة في بيئة العمل، حيث يعمد عدد من العاملين على أثارة الفوضى والشغب أو الخدش والتنكيل بزملاء العمل وغيرها من السلوكيات التي تجعل من بيئة العمل مضطربة فيها العديد من نقاط الضعف ككثرة الغياب والمواجهة بين زملاء العمل والمشاكل والمعقدة والإدمان على التخريب المتعمد لممتلكات المنظمة وبالتالي فأن حصيلة هذا السلوك هو الأنماط السلوكية التي تثير المشاكل والضعف والقسوة وعدم الانسجام في بيئة العمل نتيجة الضغوط المهنية التي يعانون منها العاملين (Sanches et al.,2016:2). والسلوك الجانح هو

السلوك الذي يتبناه عدد من العاملين في المنظمة حيث يعمدون إلى إشاعة الكراهية بين زملاء العمل وإلحاق الضرر بالآلات والمعدات والعمل على تغيير المواقف الصائبة إلى خاطئة وتعمد الإهمال وممارسة العنف في بيئة العمل وغيرها من الأنماط والسلوكيات السلبية التي سببها الأساس حول الضغط المهني وشعور الأفراد بعدم الرضا الوظيفي وعدم شعورهم بالعدالة في بيئة العمل (Barnow et al.,2005:26). ويعد السلوك الجانح سلوك سلبي يقع مرتكبيه تحت طائلة القانون والمسائلة حيث يمارس عدد من العاملين هذا السلوك المنحرف ويحاولون تعميم هذا السلوك على بيئة العمل ككل ومن أسبابه زيادة صرامة قوانين العمل وعدم التسامح وضغط الإدارة العليا وعدم مواكبة المنظمة للتطورات في البيئة المنافسة وغيرها من الأسباب التي تسهم في توليد هذا السلوك السلبي المؤثر (Shek et al.,2016:62) .وتعتبر ظاهرة السلوك الجانح من الظواهر الاجتماعية التي تعد مشكلة كبيرة بحد ذاتها وان هذا النمط من السلوك يستحق العقاب كونه سلوك منحرف ويعيق تقدم المجتمعات وعلى وجه الخصوص منظمات الأعمال فأنه يهدد بقائها وسلامة بيئتها الداخلية من هكذا سلوكيات خطرة، وبالتالي فأن مواجهة هذا السلوك يتطلب بيئة عمل منفتحة وداعمة للعاملين وقائمة على العلاقات الإنسانية وعدم التجاوز على القيم والعادات لمنع انتشار مثل هذه السلوكيات (Kassem,2017:18). ويعني عدم قدرة الفرد على التوافق الذاتي أو النفسي بين الفرد ونفسه وبين الفرد وبيئة عمله بشكل لا يعمل بكل طاقاته وخبراته نتيجة للمعطيات المحيطة بظروف العمل من أجل تحقيق أعلى قدر من عدم التوازن، حتى وان كان هذا التوازن من أجل تحقيق هدف معين في حياته العملية ضد تمشية أعمال المنظمة بايجابية وفق عنصرين أساسيين هما عدم التوافق النفسي والاجتماعي (Wan,2012:43).

٢- أهمية مواجهة السلوك الجانح في منظمات الأعمال

يتفق أغلب الباحثين على أهمية مواجهة السلوك الجانح في بيئات ومنظمات الأعمال كونه سلوكاً منحرفاً ويهدد المجتمعات التنظيمية وهو من الظواهر المعقدة التي تثير اضطرابات نفسية مختلفة تؤدي إلى خلق صورة سلوكية مخالفة للقواعد القانونية التي تحكم بيئة العمل، مما يتطلب وجود إدارة قادرة على تقوية

العلاقات بين زملاء العمل وتجعل منهم قادرين على الاستجابة لكل متطلبات وظروف العمل بعيداً عن مثل هذه السلوكيات المنحرفة (Reinecke et al.,2013:4-5). ويرى عدد من الباحثين إن شيوع مثل هذه الظواهر التي تتمثل بالسلوكيات الجانحة لدى العديد من العاملين والتي أصبحت نتائجها تتفاقم يوماً بعد يومي يتطلب مواجهتها واعتبارها كالأمراض التي تصيب الفرد وذلك من خلال إشاعة ثقافة الثقة والالتزام في المجتمع أو في بيئات العمل واتخاذ موقف يستند على الأفعال لا الأقوال والعمل على الالتزام بأخلاقيات المهنة وجعل القواعد الأخلاقية منهج عمل لمواجهة الانحرافات والتحديات التي تواجه بيئة العمل (Becker et al.,2012:252). وإن مواجهة أو مكافحة السلوك الجانح يتطلب العمل على تغيير سياسة العمل تجاه المواقف السلبية والمنحرفة واتخاذ موقف الحزم والشدة تجاه مثل هذه السلبيات، وكذلك العمل على اتخاذ آليات موضوعية رصينة لمواجهة ظاهرة السلوك الجانح ومن خلال هذه الآليات العمل على القضاء على مثل هكذا سلوكيات سلبية لجعل بيئة المجتمع التنظيمي آمنة ومستقرة وتهتم بأداء المهام المناطة بالأفراد العاملين (Vries & Gelder,2015:113). وإن أحد أهم طرق معالجة ومواجهة السلوك الجانح في منظمات الأعمال هو قيام الإدارة العليا بالتركيز على العلاقات التفاعلية بين زملاء العمل بهدف أحداث التوازن النفسي بين الفرد وزملائه وأحياناً يتطلب أقامة علاقة تفاعلية بين الفرد وبيئته الخارجية التي يعمل ضمن محيطها كي يكون هناك توازن نفسي أيضاً، مما يسهم بتحفيز الفرد ونمو إمكانياته وتوجيه كامل قدراته وخبراته نحو تحقيق أهداف العمل وتأدية المهام الوظيفية المناطه به على أكمل وجه (Factor et al.,2013:785).

المبحث الثالث: الجانب العملي للبحث:

أولاً: الوصف الإحصائي لمتغيرات البحث

تهدف هذه الفقرة إلى معرفة مستوى أبعاد البحث المتمثلة بـ(الضغط المهني والسلوك الجانح) من خلال استعمال الوسط الحسابي، الانحراف المعياري والنسبة المئوية، إذ إن كل بُعد يحصل على وسط حسابي اقل من (٣) وسط افتراضي أو نسبة مئوية اقل من (60 %) فهو مرفوض.

الجدول (٢) التوزيعات التكرارية والأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية للضغط المهني على المستوى الكلي للعينة

المتغيرات	المؤشر	درجة الاستجابة										الوسط الحسابي	الانحراف المعياري
		اتفق بشدة		اتفق		محايد		لا اتفق		لا اتفق بشدة			
		ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%		
صراع الدور	X_1	3	4.1	42	61.8	22	32.4	1	1.5	–	–	3.6912	.57969
	X_2	17	25	32	47.1	16	23.5	2	2.9	1	1.5	3.9118	.85928
	X_3	29	42.6	26	38.2	9	13.2	4	5.9	–	–	4.1765	.87998
	المعدل											3.9265	.46376
عبء العمل	X_4	7	10.3	43	63.2	15	22.1	3	4.4	–	–	3.7941	.68150
	X_5	8	11.8	48	70.6	10	14.7	1	1.5	1	1.5	3.8971	.67226
	X_6	7	10.3	39	57.4	18	26.5	3	4.4	1	1.5	3.7059	.77380

	المعدل											3.7990	.44289
طبيعة الإشراف	X_7	5	7.4	33	48.5	27	39.7	3	4.4	–	–	3.5882	.69616
	X_8	16	23.5	40	58.8	12	17.6	–	–	–	–	4.0588	.64374
	X_9	1	1.5	24	35.3	35	51.5	7	10.3	1	1.5	3.2500	.72018
	المعدل											3.6324	.40371
التطور والترقية المهنية	X_{10}	5	7.4	40	58.8	21	30.9	2	2.9	–	–	3.7059	.64782
	X_{11}	3	4.4	16	23.5	44	64.7	4	5.9	1	1.5	3.2353	.69363
	X_{12}	6	8.8	45	66.2	14	20.6	3	4.4	–	–	3.7941	.65924
	المعدل											3.5784	.42171
الاجتماعية	X_{13}	3	4.1	42	61.8	22	32.4	1	1.5	–	–	3.6912	.57969

	X_{14}	17	25	32	47.1	16	23.5	2	2.9	1	1.5	3.9118	.85928
	X_{15}	29	42.6	26	38.2	9	13.2	4	5.9	–	–	4.1765	.87998
	المعدل											3.7969	.44228
ظروف العمل وطبيعته	X_{16}	5	7.4	40	58.8	21	30.9	2	2.9	–	–	3.7059	.64782
	X_{17}	3	4.4	16	23.5	44	64.7	4	5.9	1	1.5	3.2353	.69363
	X_{18}	6	8.8	45	66.2	14	20.6	3	4.4	–	–	3.7941	.65924
	المعدل											3.6313	.40355
	إجمالي الضغط المهني											3.7341	.23003

المصدر: من إعداد الباحثان بالاعتماد على نتائج الحاسبة الالكترونية.

(n=105)

جدول (٣) الوصف الإحصائي للضغط المهني

ت	الأبعاد المستقلة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	ترتيب الأبعاد
١	صراع الدور	3.9265	.46376	% 78.5	الأول
٢	عبء العمل	3.7990	.44289	%٧٥,٩٨	الثاني
٣	طبيعة الإشراف	3.6324	.40371	%٧٢,٦٥	الخامس
٤	التطور والترقية المهنية	3.5784	.42171	%71.57	السادس
٥	سوء العلاقات الاجتماعية في العمل	3.7969	.44228	%٧٤,٩٨	الثالث
٦	ظروف العمل وطبيعته	3.6313	.40355	%٧٢,٩٥	الرابع
٧	الضغط المهني	3.7341	.23003		

المصدر: الباحثان اعتمادا على نتائج الحاسبة الالكترونية

من معطيات الجدول (٣) تحقق ما يلي:

- حقق متغير صراع الدور للعينة المبحوثة وسط حسابي قدره (٣,٩٢٦٥)، بانحراف معياري بلغ (.٤٦٣٧٦)، ووزن مئوي بلغ (78.5 %)وجاء ترتيب البعد (الأول)
- حقق متغير عبء العمل للعينة المبحوثة وسط حسابي قدره (٣,٧٩٩٠)، بانحراف معياري بلغ (.٤٤٢٨٩)، ووزن مئوي بلغ (٧٥,٩٨%)، وجاء ترتيب البعد (الثاني)
- حقق متغير طبيعة الإشراف للعينة المبحوثة وسط حسابي قدره (٣,٦٣٢٤)، بانحراف معياري بلغ (.٤٠٣٧١)، ووزن مئوي بلغ (٧٢,٦٥%)، وجاء ترتيب البعد (الخامس)
- حقق متغير التطور والترقية المهنية للعينة المبحوثة وسط حسابي قدره (٣,٥٧٨٤)، بانحراف معياري بلغ (.٤٢١٧١)، ووزن مئوي بلغ (٧١,٥٧٪)، وجاء ترتيب البعد (السادس).

- حقق متغير سوء العلاقات الاجتماعية في العمل للعينة المبحوثة وسط حسابي قدره (٣,٧٩٦٩)، بانحراف معياري بلغ (.٤٤٢٢٨)، ووزن مئوي بلغ (٧٤,٩٨%)، وجاء ترتيب البعد (الثالث)
- حقق متغير ظروف العمل وطبيعته للعينة المبحوثة وسط حسابي قدره (٣,٦٣١٣)، بانحراف معياري بلغ (.٤٠٣٥٥)، ووزن مئوي بلغ (٧٢,٩٥٪)، وجاء ترتيب البعد (الرابع).
- حقق المتغير الرئيسي المستقل الضغط المهني للعينة المبحوثة وسط حسابي قدره (٣,٧٣٤١)، بانحراف معياري بلغ (.٢٣٠٠٣)، ووزن مئوي بلغ (٧٤,٦٨٪) .

الجدول (٤)

التوزيعات التكرارية والأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية للسلوك الجانح على المستوى الكلي للعينة

المتغير	المؤشر	درجة الاستجابة										الوسط الحسابي	الانحراف المعياري
		اتفق بشدة		اتفق		محايد		لا اتفق		لا اتفق بشدة			
		ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%		
السلوك الجانح	Y_1	4	5.9	47	69.1	14	20.6	3	4.4	-	-	3.7647	.62576
	Y_2	2	2.9	15	22.1	36	52.9	13	19.1	2	2.9	3.0294	.80984
	Y_3	4	5.9	25	36.8	27	39.7	11	16.2	1	1.5	3.2941	.86488
	Y_4	2	2.9	20	29.4	29	42.6	14	20.6	3	4.4	3.0588	.89580

	Y_5	3	4.4	15	22.1	36	52.9	13	19.1	1	1.5	3.0882	.80549
	Y_6	4	5.9	38	55.9	17	25	9	13.2	–	–	3.5441	.79988
	Y_7	3	4.4	16	23.5	34	50	14	20.6	1	1.5	3.0882	.82381
	Y_8	6	8.8	16	23.5	36	52.9	8	11.8	2	2.9	3.2353	.88297
	Y_9	3	4.4	28	41.2	20	29.4	8	11.8	9	13.2	3.1176	1.11341
	Y_{10}	9	13.2	30	44.1	16	23.5	12	17.6	1	1.5	3.5000	.98496
	Y_{11}	10	14.7	30	44.1	20	29.4	8	11.8	–	–	3.6176	.88147
	Y_{12}	5	7.4	22	32.4	30	44.1	9	13.2	2	2.9	3.2794	.89519
	إجمالي السلوك الجانح											3.30145	.45310

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على نتائج الحاسبة الالكترونية.

(n=105)

جدول (٥) الوصف الإحصائي للسلوك الجانح

ت	المتغير	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المؤوية	ترتيب الأبعاد
٤	السلوك الجانح	3.30145	.45310	% 66.04	-

المصدر: الباحثان اعتمادا على نتائج الحاسبة الالكترونية

من معطيات الجدول (٥) يتحقق ما يلي:

حقق المتغير التابع السلوك الجانح للعينة المبحوثة وسط حسابي قدره (٣,٣٠١٤٥)، بانحراف معياري بلغ (.٤٥٣١٠)، ووزن مئوي بلغ (66.04 %).

ثانيا: اختبار فرضيات علاقات الارتباط لمتغيرات البحث الرئيسة والفرعية

يتخصص هذا الجزء من البحث بعرض إحصائي يجري من خلاله اختبار وتحليل علاقات الارتباط بين متغيري البحث (الضغط المهني والسلوك الجانح) وسيتم اختبارها حسب ورودها في المخطط البحث الفرضي وهي كالآتي:

جدول (٦) مصفوفة علاقات الارتباط للمتغيرات الرئيسة والفرعية

ت	البُعد	السلوك الجانح	مستوى المعنوية
1	صراع الدور	0.09	0.47
2	عبء العمل	0.03	0.79
3	طبيعة الإشراف	0.22	0.06
4	التطور والترقية المهنية	0.40	0.001
5	سوء العلاقات الاجتماعية في العمل	0.04	0.81

6	ظروف العمل وطبيعته	0.20	0.06
7	الضغط المهني	0.34	0.004

المصدر: من إعداد الباحثين اعتمادا على نتائج الحاسبة الالكترونية

١- الفرضية الرئيسة الأولى : توجد علاقة ارتباط ذات دلاله معنوية بين الضغط المهني والسلوك الجانح على المستوى الكلي. ومن خلال معطيات جدول (٦) اتضح وجود علاقة ارتباط موجبة (٠,٣٤) ،أما مستوى المعنوية كانت (٠,٠٠٤) وهي اقل من مستوى المعنوية المحددة من قبل الباحثين (٠,٠٥) لذلك تقبل هذه الفرضية على مستوى البحث.

٢- الفرضية الفرعية الأولى : توجد علاقة ارتباط ذات دلاله معنوية بين صراع الدور والسلوك الجانح على المستوى الكلي. ومن خلال معطيات جدول (٦) اتضح وجود علاقة ارتباط موجبة (٠,٠٩) ،أما مستوى المعنوية كانت (٠,٤٧) وهي أعلى من مستوى المعنوية المحددة من قبل الباحثين(٠,٠٥) لذلك ترفض هذه الفرضية على مستوى البحث.

٣- الفرضية الفرعية الثانية : توجد علاقة ارتباط ذات دلاله معنوية بين عبء العمل والسلوك الجانح على المستوى الكلي. ومن خلال معطيات جدول (٦) اتضح وجود علاقة ارتباط موجبة (٠,٠٣)، أما مستوى المعنوية كانت (٠,٧٩) وهي أعلى من مستوى المعنوية المحددة من قبل الباحثين (٠,٠٥) لذلك ترفض هذه الفرضية على مستوى البحث.

٤- الفرضية الفرعية الثالثة : توجد علاقة ارتباط ذات دلاله معنوية بين طبيعة الإشراف والسلوك الجانح على المستوى الكلي. ومن خلال معطيات جدول (٦) اتضح وجود علاقة ارتباط موجبة (٠,٢٢) ، أما مستوى المعنوية كانت (٠,٠٦) وهي أعلى من مستوى المعنوية المحددة من قبل الباحث(٠,٠٥) لذلك ترفض هذه الفرضية على مستوى البحث.

٥- الفرضية الفرعية الرابعة : توجد علاقة ارتباط ذات دلاله معنوية بين التطور والترقية المهنية و السلوك الجانح على المستوى الكلي. ومن خلال معطيات جدول (٦) اتضح وجود علاقة ارتباط موجبة

(٠,٤٠) ، أما مستوى المعنوية كانت (٠,٠٠١) وهي اقل من مستوى المعنوية المحددة من قبل الباحث(٠,٠٥) لذلك تقبل هذه الفرضية على مستوى البحث.

٦- الفرضية الفرعية الخامسة: توجد علاقة ارتباط ذات دلاله معنوية بين سوء العلاقات الاجتماعية في العمل والسلوك الجانح على المستوى الكلي. ومن خلال معطيات جدول (٦) اتضح وجود علاقة ارتباط موجبة (٠,٠٤)، أما مستوى المعنوية كانت (٠,٨١) وهي أعلى من مستوى المعنوية المحددة من قبل الباحث(٠,٠٥) لذلك ترفض هذه الفرضية على مستوى البحث.

٧- الفرضية الفرعية السادسة: توجد علاقة ارتباط ذات دلاله معنوية بين ظروف العمل وطبيعته والسلوك الجانح على المستوى الكلي. ومن خلال معطيات جدول (٦) اتضح وجود علاقة ارتباط موجبة (٠,٢٠) ، أما مستوى المعنوية كانت (٠,٠٦) وهي اقل من مستوى المعنوية المحددة من قبل الباحث(٠,٠٥) لذلك تقبل هذه الفرضية على مستوى البحث.

ثالثاً: نتائج علاقات التأثير بين متغيرات البحث:

في هذه الفقرة سيتم مناقشة نتائج اختبار وتحليل علاقات التأثير بين متغيرات البحث وعلى وفق ما نصت عليه فرضية التأثير الرئيسة (توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية بين الضغط المهني والسلوك الجانح على المستوى الكلي) والفرضيات الفرعية المنبثقة عنها سيجري اختبارها تباعا وفق ما ورد في مخطط البحث الفرضي:

١- نتائج اختبار علاقة التأثير للفرضية الرئيسة

يبين الجدول (٧) نتائج اختبار علاقة التأثير للضغط المهني في السلوك الجانح على وفق نتائج تحديد الانحدار البسيط بافتراض وجود علاقة دالية بين القيمة الحقيقية للضغط المهني (X) والسلوك الجانح (Y) ويمكن التعبير عنها بالمعادلة الآتية:

$$Y = a + \beta X$$

حيث أن y = السلوك الجانح.

X= الضغط المهني.

B = ميل المعادلة (مقدار التغير في y الذي يطرأ نتيجة تغير x وحدة).

a= ثابتة إحصائية .

إن هذه المعادلة تبين أن السلوك الجانح هي دالة للقيمة الحقيقة للضغط المهني، وأن تقديرات هذه المعادلة ومؤشراتها الإحصائية قد حسبت على مستوى عينة البحث البالغة (١٠٥) فردا وكانت معادلة الانحدار البسيط للعلاقة بين متغيري الضغط المهني والسلوك الجانح كما يأتي:

السلوك الجانح = (0.79) + (0.34) الضغط المهني

وفي إطار ذلك تم تحليل التباين (ANOVH) للمتغيرين وكانت النتائج كما في الجدول (٧).

الجدول (٧) تحليل التباين (ANOVA) للعلاقة بين الضغط المهني والسلوك الجانح

مصدر التباين	درجة الحرية	مجموع المربعات	متوسط المربعات	R^2	قيمةF المحسوبة	مستوى المعنوية
الانحدار	1	1.601	1.601	0.116	8.696	.004
الخطأ	103	12.154	.184			
المجموع	104	13.755				

المصدر: الباحثان اعتمادا على نتائج الحاسبة الالكترونية. n=105

أما جدول المعاملات فقد أشار إلى القيم المبينة وكما يأتي:

جدول (٨) نتائج اختبار علاقة تأثير الضغط المهني في السلوك الجانح

النموذج	المعاملات غير المعيارية		المعاملات المعيارية	T	مستوى المعنوية
	معامل بيتا	الخطأ	بيتا		

		المعياري			
الثابت	0.79	0.85		0.929	.356
الضغط المهني	0.67	0.22	0.34	2.94	.004

المصدر: من إعداد الباحثين بالاستفادة من مخرجات الحاسبة الالكترونية n=105

يتضح من جدول تحليل التباين وجدول المعاملات للعلاقة بين الضغط المهني (X) والسلوك الجانح وعلى مستوى عينة البحث البالغة (١٠٥) شخصاً، إن قيمة (t) كبيرة عند مقارنتها بقيمتها الجدولية وبمستوى معنوية (٠,٠٥) وهذا يدل على أن منحنى الانحدار كاف لوصف العلاقة بين (X , Y) وبمستوى ثقة (0.95) وهذا ما تؤكده قيمة إحصائية (X) وعلى وفق اختبار (t) فقد بلغت (t =2.94)

وفي ضوء معادلة الانحدار يؤشر الثابت (a=0.79)، وهذا يعني إن هناك وجوداً للسلوك الجانح مقداره (٠,٧٩) عندما تكون قيمة الضغط المهني تساوي صفراً.

أما قيمة الميل الحدي قد بلغ (β=0.34) والمرافقة لـ(X) فهي تدل على أن تغيراً مقداره (١) في الضغط المهني(X) سيؤدي إلى تغير مقداره (0.34) في السلوك الجانح.

كما أشارت قيمة معامل التحديد (R2) إلى معامل مقداره (٠,١١٦)، بما يعني أن الضغط المهني(X) يفسر قيمته (٠,١١٦) من التباين الحاصل في السلوك الجانح، وان (٠,٨٨) من التباين غير المفسر يعود لمتغيرات لم تدخل في نموذج الانحدار، وهو مؤشر في حدود ثقة (٠,٠٥) وفي ضوء هذه النتائج تقبل هذه الفرضية.

٢. اختبار الفرضيات الفرعية: بعد ما تم اختبار الفرضية التأثير الرئيسة لا بد من اختبار مدى تأثير الضغط المهني بأبعادها (صراع الدور،عبء العمل، طبيعة الإشراف، التطور والترقية المهنية، سوء العلاقات الاجتماعية في العمل، ظروف العمل وطبيعته) في السلوك الجانح .

وعلى وفق هذه الفرضية فأن معادلة الانحدار المتعدد لمتغيرات الضغط المهني

$(X_1, X_2, X_3, X_4, X_5, X_6)$ في السلوك الجانح (y) بدلالة معادلة الانحدار المتعدد الآتية :

$$Y = a + \beta_1X_1 + \beta_2X_2 + \beta_3X_3 + \beta_4X_4 + \beta_5X_5 + \beta_6X_6$$

كانت معادلة الانحدار المتعدد للعلاقة بين الضغط المهني (X) والسلوك الجانح (y)هي:

السلوك الجانح = (0.75) + (0.041) صراع الدور + (0.043) عبء العمل + (٠,١٨٨) طبيعة الإشراف + (٠. ٣٨٠) التطور والترقية المهنية + سوء العلاقات الاجتماعية في العمل (0.041) + ظروف العمل وطبيعته (0.314).

أما جدول (٩) فقد أشار إلى القيم المبينة وكما يأتي:

الجدول (٩) نتائج اختبار علاقات التأثير بين الضغط المهني والسلوك الجانح

النموذج	المعاملات غير المعيارية		المعاملات المعيارية	T	مستوى المعنوية
	معامل بيتا	الخطأ المعياري	بيتا		
الثابت	.75	.834		.899	.372
صراع الدور	.040	.112	.041	.359	.721
عبء العمل	.044	.116	.043	.374	.710
طبيعة الإشراف	.211	.128	.188	1.650	.104
التطور والترقية المهنية	.409	.124	.380	3.309	.002
سوء العلاقات الاجتماعية في العمل	.410	.124	.410	3.312	.002
ظروف العمل وطبيعته	.314	.131	.314	1.987	.165

المصدر :الباحثان اعتمادا على نتائج الحاسبة الالكترونية n=105

يتضح من جدول (٩) أن معادلة الانحدار يؤشر الثابت (a=.75)، وهذا يعني إن هناك وجوداً للسلوك الجانح مقداره (75 .٠) عندما تكون قيمة الضغط المهني تساوي صفراً.

أما قيمة الميل الحدي لصراع الدور قد بلغ (β_1=٠,٠٤١) والمرافقة لـ(X_1) فهي تدل على أن تغيراً مقداره (١) في صراع الدور (X_1) سيؤدي إلى تغير ايجابي مقداره (٠,٠٤١) في c .

أما قيمة الميل الحدي لعبء العمل قد بلغ .(β_2=٠,٠٤٣) والمرافقة لـ(X_2) فهي تدل على أن تغيراً مقداره (١) في عبء العمل (X2) سيؤدي إلى تغير ايجابي مقداره (٠,٠٤٣) في السلوك الجانح .

أما قيمة الميل الحدي لطبيعة الإشراف قد بلغ (β_3=٠,١٨٨) والمرافقة لـ(X_3) فهي تدل على أن تغيراً مقداره (١) في طبيعة الإشراف (X_3) سيؤدي إلى تغير ايجابي مقداره (٠,١٨٨) في السلوك الجانح .

أما قيمة الميل الحدي للتطور والترقية المهنية قد بلغ (β_4=٠,٣٨٠) والمرافقة لـ(X_4) فهي تدل على أن تغيراً مقداره (١) في التطور والترقية المهنية (X_4) سيؤدي إلى تغير ايجابي مقداره (٠,٣٨٠) في السلوك الجانح.

أما قيمة الميل الحدي لسوء العلاقات الاجتماعية في العمل قد بلغ (β_3=٠,٤١٠) والمرافقة لـ(X_5) فهي تدل على أن تغيراً مقداره (١) في سوء العلاقات الاجتماعية في العمل (X_5) سيؤدي إلى تغير ايجابي مقداره (٠,٤١٠) في السلوك الجانح .

أما قيمة الميل الحدي لظروف العمل وطبيعته قد بلغ (β_4=٠,٣١٤) والمرافقة لـ(X_6) فهي تدل على أن تغيراً مقداره (١) في ظروف العمل وطبيعته (X_6) سيؤدي إلى تغير ايجابي مقداره (٠,٣١٤) في السلوك الجانح.

وعلى أساس هذه النتائج تقبل الفرضية على مستوى الكلي وترفض الفرضيات الفرعية الأولى والثانية والثالثة والخامسة وتقبل الفرضية الفرعية الرابعة والسادسة لعلاقات التأثير.

المبحث الرابع: الاستنتاجات والتوصيات:

أولاً: الاستنتاجات:

١. اتضح بان الأفراد عينة البحث من العاملين يتعرضون إلى جوانب معينة من الضغوط أثناء تأدية مهام عملهم وخصوصاً ما يتعلق بطبيعة الإشراف من قادة العمل والتعامل مع الزبائن وهذا ناتج عن الضعف في العلاقات الاجتماعية في ما بين المستويات الوظيفية المختلفة.

٢. أغلب الأفراد في المنظمات الستة المبحوثة قادرين على مواجهة تحديات ومصاعب العمل وبالتحديد في ما يتعلق بصراع الدور وأعباء العمل وهذا قد ينعكس على ظهور بعض السلوكيات السلبية في تعاملهم مع الزبون نتيجة تحملهم مختلف التحديات والأعباء في بيئة العمل.

٣. يعاني أغلب العاملين من ضعف المعلومات التسويقية عن المنتج مما يجعله في موضع إحراج مع الزبون وهذا يمهد للوقوع في فخ الخداع والاستغلال التسويقي الذي يسبب في حدوث بيئة عمل غير مستقرة قد تنعكس سلباً على العاملين في سلوكيات عملهم.

٤. اتضح إن عدم الاهتمام ببرامج الترقية والتدريب من قبل الإدارة العليا في تعاملها مع العاملين يولد السلوك الجانح الذي يتمثل بعدم اكتراث العاملين لمصلحة العمل.

٥. تعد ظروف العمل وطبيعتها من حيث وسائل الراحة كالتهوية والتبريد والتدفئة وغيرها من الوسائل التي يحتاجها العمل في تأديته لمهام عمله من الأمور التي لا يمكن المحاباة فيها وان أي تقصير في هذا الجانب يولد وبلا شك بتوليد السلوك الجانح في بيئة العمل.

ثانياً: التوصيات:

١. على القيادات المسؤولة عن إدارة العمل في المنظمات الستة المبحوثة أن تبذل أقصى جهدها في تخفيف أعباء وضغوط العمل وأن تعمل على وضع الشخص المناسب في المكان المناسب ومراعاة التخصص الوظيفي لجميع العاملين وبدون تمييز ومحاباة وبالتالي الحد من عبء العمل في المنظمة.

٢. العمل وبكل الإمكانيات من تقليل حالات الاستغلال والتدخل في الأمور الخاصة بالعاملين عند تكليفهم بمهام العمل وبالشكل الذي يخفف من أعباء العمل إلى أقصى حد ممكن، مما يشجع العاملين على ممارسة واستخدام أفضل المعلومات المعرفية في أدائهم للعمل.

٣. ضرورة أن يكون الإشراف على العاملين ومهام العمل من قبل أفراد من ذوي الخبرة والاختصاص وبصورة أكثر جدية وخصوصا ما يتعلق في المجال التسويقي وبالتالي إن القيادة الكفوءة تعمل على التخفيف من الضغط المهني المؤثر على بيئة العمل ككل.

٤. ضرورة وضع البرامج التدريبية لتطوير العاملين بصورة مستمرة أو دورية لضمان عدم شعور العامل بالغبن وبذات الوقت الحد أو التقليل من ظهور السلوكيات التخريبية أو الجانحة من بعض العاملين نتيجة شعورهم بالغبن واللامبالاة من المنظمة.

٥. على المنظمات المبحوثة تشجيع العلاقات الاجتماعية بين زملاء العمل ودعم برامج السفر والإيفاد وكل البرامج التي لها علاقة ببيئة العمل وتقوية أواصر العلاقات بين العاملين على المستوى الأسري والمستوى التنظيمي مما يؤدي بوجود بيئة عمل متكاتفة ومستقرة وتتجنب الصراعات وإزالة السلوكيات السلبية من قاموس العاملين .

٦. تعزيز ظروف العمل بما يتماشى مع التطورات والتغيرات البيئة وذلك بتوفير كل ما يحتاجه العامل من وسائل الراحة والسعادة أثناء القيام بواجباته المهنية، والعمل على تفعيل دور التكافل الاجتماعي وبرامج الدعم المعيشي للعاملين الذي يسهم وبشكل كبير في تحقيق الولاء التنظيمي من جانب وتحسين سمعة المنظمة من جانب آخر .

المراجع:

أولا: المراجع العربية:

١. آسيا، عقون ، (٢٠١٢) ، "الضغط المهني وعلاقته باستجابة القلق لدى معلمي التربية الخاصة"، رسالة ماجستير والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم النفس وعلوم التربية ، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

١. Achour,Meguellati & Abdul Khalil,Shahidra Binti & Ahmad,Bahiyah Binti & Nor,Mohd Roslan Mohd & Yusoff,Mohd Yakub Zulkifli Bin Mohd,(2017), "Management and supervisory support as a moderator of work–family demands and women's well–being A case study of Muslim female academicians in Malaysia", Management and supervisory support,Humanomics,Vol. 33 No. 3, © Emerald Publishing Limited .

٢. Amilin,Amilin,(2017),"The Impact of Role Conflict and Role Ambiguity on Accountants' Performance: The Moderating Effect of Emotional Quotient",European Research Studies Journal Volume XX, Issue 2A.

٣. Barnow,Sven & Lucht,Michael & Freyberger,Harald–J.,(2005),"Correlates of Aggressive and Delinquent Conduct Problems in Adolescence",AGGRESSIVE BEHAVIOR Volume 31, pages 24–39.

٤. Becker,Sara J. & Nargiso,Jessica E. & Wolff,Jennifer C.,(2012),"Temporal relationship between substance use and delinquent behavior among young psychiatrically hospitalized adolescents",Journal of Substance Abuse Treatment 43.

٥. Deuten,Sebastiaan,(2017),"Taking Care of the Right Pressure: A Dynamic Theory of Health Care Work Pressure, Nurses Well–being and Patient Satisfaction", Methodology Department Nijmegen School of Management Radboud University Nijmegen European Master in System Dynamics Partial Master Thesis.

٦. Desimone,Laura M. & Porter,Andrew C. & Garet,Michael S. & Yoon,Kwang Suk & Birman,Beatrice F.,(2002),"Effects of Professional Development on Teachers' Instruction: Results from a Three-year Longitudinal Study",Educational Evaluation and Policy Analysis Summer 2002, Vol. 24, No. 2.

٧. Donald,Ian & Taylor,Paul & Johnson,Sheena,(2005),"Work Environments, Stress, and Productivity: An Examination Using ASSET",International Journal of Stress Management,Vol. 12, No. 4.

٨. Factor,Roni & Mahalel,David & Rafaeli,Anat & Williams,David R.,(2013),"A SOCIAL RESISTANCE PERSPECTIVE FOR DELINQUENT BEHAVIOUR AMONG NON-DOMINANT MINORITY GROUPS", Published by Oxford University Press on behalf of the Centre for Crime and Justice Studies (ISTD).

٩. Hammig,Oliver,(2017),"Health and well-being at work: The key role of supervisor support",The Author. Published by Elsevier Ltd. This is an open access article under the CC BY-NC-ND license.SSM - Population Health 3.

١٠. Helena,Lopes & Sergio,Lagoa & Teresa,Calapez,(2014),"Work autonomy, work pressure, and job satisfaction: An analysis of European Union countries",European Sociological Review, Vol. 19.

١١. Johnson,Sheena & Cooper,Cary & Cartwright,Sue,(2005)," The experience of work-related stress across occupations"Journal of Managerial Psychology,Vol. 20 No. 2.

١٢. Green,Ohad & Ayalon,Liat,(2017),"The contribution of working conditions and care recipient characteristics to work-related abuse and exploitation of igrant home care workers",Employee Relations Vol. 39 No. 7, 2017,pp. 1001-1014 © Emerald Publishing Limited 0142-5455.

١٣. Kassem,Leigh,(2017),"The Effects of Employment on Recidivism Among Delinquent Juveniles",A thesis presented to the faculty of the Department of Criminal Justice & Criminology East Tennessee State University In partial fulfillment of the requirements for the degree Master of Arts in Criminal Justice & Criminology.

١٤. Kottwitz,Maria Undine & Lachappelle,Maurice & Elfering,Achim,(2014) ,"TIME PRESSURE, SOCIAL WORK STRESSORS AND BLOOD PRESSURE IN A TEAM OF SEVEN IT WORKERS DURING ONE WEEK OF INTENSE WORK"ISSN 1941-7233 (Print), ISSN 2345-024X (Online).

١٥. Malone,Shane & Hughes,Brian & Doran,Dominic A. & Collins,Kieran & Gabbett,Tim J.,(2019),"Can the workload–injury relationship be moderated by improved strength, speed and repeated-sprint qualities?",Journal of Science and Medicine in Sport 22,Sports Medicine Australia. Published by Elsevier Ltd. All rights reserved.

١٦. MOLINA,BROOKE S.G. & FLORY,KATE & HINSHAW,STEPHEN P.,(2007),"Delinquent Behavior and Emerging Substance Use in the MTA at 36 Months: Prevalence, Course, and Treatment Effects",CHILD ADOLESC. PSYCHIATRY, 46:8.

١٧. O'Meara,KerryAnn & Kuvaeva,Alexandra & Nyunt,Gudrun & Waugaman, Chelsea & Jackson,Rose,(2017),"Asked More Often: Gender Differences in Faculty Workload in Research Universities and the Work Interactions That Shape Them",American Educational Research Journal Month XXXX, Vol. XX, No. X.

١٨. O'Neill,Thomas A. & McLarnon,Matthew J. W. & Hoffart,Genevieve C. & Woodley,Hayden J. R. & Allen,Natalie J.,(2015),"The Structure and Function of Team Conflict State Profiles",Journal of Management Vol. XX No. X.

١٩. Osmond-Johnson,Pamela,(2017),"Leading Professional Learning to Develop Professional Capital: The Saskatchewan Professional Development Unit's Facilitator Community",International Journal of Teacher Leadership,Volume 8, Number 1.

٢٠. Reinecke,Jost & Stemmler,Mark & Sünkel,Zara,(2013),"The Development of Deviant and Delinquent Behavior over the Life Course in the Context of Processes of Social Inequalities",DFG Research Center (SFB) 882 From Heterogeneities to Inequalities Research Project A2.

٢١. Russell,Helen & Maitre,Bertrand & Watson,Dorothy & Fahey,Éamonn, (2018),"Job Stress and Working Conditions: Ireland in Comparative Perspective",© The Economic and Social Research Institute,Whitaker Square, Sir John Rogerson's Quay, Dublin 2.

٢٢. Riaz,Sidra & Xu,Yusen & Hussain,Shahid,(2018),"Understanding Employee Innovative Behavior and Thriving at Work: A Chinese Perspective",Adm. Sci. 2018, 8, 46; doi:10.3390/admsci8030046.

٢٣. Vries,Reinout E. de & Gelder,Jean-Louis van,(2015),"Explaining workplace delinquency: The role of Honesty–Humility, ethical culture, and employee surveillance",Personality and Individual Differences 86.

٢٤. Vrijkotte,Tanja G.M. & van Doornen,Lorenz J.P. & de Geus, Eco J.C.,(2000),"Effects of Work Stress on Ambulatory Blood Pressure, Heart Rate, and Heart Rate Variability", Psychology, Utrecht University (L.J.P.v.D.), The Netherlands. Correspondence to T.G.M. Vrijkotte, Department of Biological Psychology, Vrije Universiteit, De Boelelaan 1111, 1081 HV Amsterdam.

٢٥. Sanches,Cristina & Gouveia-Pereira,Maria & Marôco,João & Gomes,Hugo & Roncon,Filipa,(2016),"Deviant behavior variety scale: development and validation with a sample of Portuguese adolescents",Psicologia: Reflexão e Crítica (2016) 29:31.

٢٦. Shek,Daniel T.L. & SBS,FHKPS & Lin,li,(2016),"Delinquent Behavior in High School Students in Hong Kong: Sociodemographic, Personal, and Family Determinants"American Society for Pediatric and Adolescent Gynecology. Published by Elsevier Inc.

٢٧. Wan,Yuki Y.T.,(2012),"Cognitive and emotional determinants of delinquent behaviour",Discovery – SS Student E-Journal ,Vol. 1.

٢٨. Wang,Zhouxia & Chen,Tianshui & Ren,Jimmy & Yu,Weihao & Cheng,Hui & Lin,Liang,(2017),"Deep Reasoning with Knowledge Graph for Social Relationship Understanding",Proceedings of the Twenty-Seventh International Joint Conference on Artificial Intelligence (IJCAI-18).

٢٩. Yang,Shujuan & Liu,Danping & Liu,Hongbo & Zhang,Juying & Duan,Zhanqi, (2017),"Relationship of work-family conflict, selfreported social support and job satisfaction to burnout syndrome among medical workers in southwest China: A cross-sectional study",10.1371/journal.pone.0171679.

ملحق (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الفرات الأوسط التقنية

الكلية التقنية الإدارية/كوفة

قسم إدارة الأعمال

استمارة استبيان

السادة الأفاضل المحترمون.....

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.....

نضع بين أيديكم استمارة الاستبيان المخصصة لإنجاز بحثنا الموسوم (الضغط المهني وتأثيره في السلوك الجانح في بيئة العمل) دراسة تحليلية لأراء عينة من العاملين في مجمع سنتر جبل عامل، والذي يهدف إلى تحديد مواقفكم واتجاهاتكم عن ضغوط العمل التي يتعرض لها الكثير من العاملين في بيئة العمل التنظيمي والتي بالتالي تولد حالة من السلوكيات الجانحة أو السلبية تجاه المنظمة التي يعمل بها الفرد. ونود أن نبين بأنه لا توجد حاجة لذكر الاسم، حيث ستستخدم المعلومات لأغراض البحث العلمي فقط وتتسم بالسرية والكتمان التام. ونرجو الإجابة عليها من قبلكم بتروي ومصداقية وبما يحقق هدف البحث. تملؤنا الثقة بدقة استجابتكم وموضوعتيها حول جميع الفقرات والتي ستسهم في سلامة التحليل ودقة النتائج، لذا نرجو من حضراتكم قراءات فقرات الاستبانة بتأني وصبر ومن ثم الإجابة على فقراتها بصورة دقيقة لتحقيق أهداف البحث وذلك لما تمتلكونه من خبرة ودراية في اختصاصكم ومجال عملكم .

الرجاء قراءة الملاحظات التالية:

- أمام كل فقرة (٥) بدائل تتراوح بين (أتفق بشدة، أتفق، محايد، لا أتفق، لا أتفق بشدة)، لذا نرجو من حضراتكم الإشارة بعلامة (√) تحت الإجابة التي تختارونها.
- الإجابة سوف تستخدم لإغراض البحث العلمي حصراً .
- الباحث على استعداد كامل للإجابة على الاستفسارات حول العبارات الواردة في الاستبانة، وسيكون بينكم في أي وقت تشاؤون .

.... مع فائق الشكر والتقدير لتعاونكم وإسنادكم للباحث....

الباحث	الباحث
أ.م. حسين عبد الخالق علي	م.د عامر عبد كريم الذبحاوي

الكلية التقنية الإدارية/كوفة/ جامعة الفرات الأوسط التقنية

١٤٤٠ هـ ٢٠١٩ م

◘الجزء الأول معلومات عامة:

◘ بيانات شخصية :

أ) اسم المنظمة ☐

ب) الجنس: ذكر ☐ أنثى ☐

ج) العمر ٢٠-٣٠ ☐ ٣١-٤٠ ☐ ٤١-٥٠ ☐ ٥١-٦٠ ☐ ٦١ فأكثر ☐

د) التحصيل العلمي دكتوراه ☐ بكالوريوس ☐ متوسطة ☐
ماجستير ☐ إعدادية ☐ أخرى تذكر ☐

هـ) سنوات الخدمة أقل من سنة ☐ ١-٥ ☐ ٦-١٠ ☐ ١١-١٥ ☐ ١٦-٢٠ ☐ ٢١ فأكثر ☐

◘ الجزء الثاني : متغيرات البحث:

١. الضغط المهني:﴿ شعور الفرد العامل بعدم قدرته على التجاوب مع متطلبات المحيط نتيجة ظروف أو أحداث أو مواقف غير عادية يتعرض لها داخل بيئة العمل فتؤثر سلباً على راحته النفسية أو أحاسيسه أو مشاعره ومعنوياته لتنعكس بدورها على الصحة العقلية أو الجسدية أو كليهما على الفرد.). ويضم المتغيرات الفرعية الآتية:

أ- صراع الدور:

ت	الفقرات	أتفق بشدة	أتفق	محايد	لا أتفق	لا أتفق بشدة
1	أجد نوع من التعارض في ما يرغب به الأصدقاء والمعارف مع مبادئ وقيم العمل وخصوصاً فيما يتعلق بالأسعار والأنواع الخاصة بالمنتجات.					
2	تدخل أصحاب المصالح أو النفوذ الاجتماعي في بيئة العمل الداخلية يخلق أجواء من الصراع بين الرئيس والمرؤوس.					
3	أشعر بالحرج عندما تتعارض مهام العمل مع رغبات ومتطلبات الزبائن من السلع والخدمات.					

ب- عبء العمل:

ت	الفقرات	أتفق بشدة	أتفق	محايد	لا أتفق	لا أتفق بشدة
1	مهام ومسؤوليات العمل المتغيرة وغير الثابتة تجعلني أشعر بالعبء الوظيفي.					
2	يتطلب عملي درجة عالية من التركيز والانتباه.					
3	ضغوط العمل تجعلني أحياناً لا أعرف ما هو المطلوب مني انجازه أو القيام به من المهام المكلف بها.					

ج- طبيعة الإشراف:

ت	الفقرات	أتفق	أتفق	محايد	لا أتفق	لا أتفق

		بشدة			بشدة
1	غالباً ما يقوم الرئيس المباشر في العمل بإجباري على إتباع طريقة عمل معينة في أداء المهام المكلف بها.				
2	أعمل في ظل سياسات وتعليمات تفرضها الإدارة العليا أجد إنها تتعارض مع قيم ومهام العمل الأساسية.				
3	النصح والإرشاد الذي أتلقاه من رئيسي المباشر يشجعني على مواجهة ضغوط العمل.				

د- التطور والترقية المهنية:

ت	الفقرات	أتفق بشدة	أتفق	محايد	لا أتفق	لا أتفق بشدة
1	يؤسفني إن نظام الترقية المعمول به في منظمتنا غير عادل					
2	إذا أردت أن ابحث عن الترقية فيجب أن ابحث عن وظيفة أخرى.					
3	الإدارة العليا لا تهتم بنظام تطوير وترقية العاملين في بيئة العمل.					

هـ. سوء العلاقات الاجتماعية في العمل:

ت	الفقرات	أتفق بشدة	أتفق	محايد	لا أتفق	لا أتفق بشدة

1	أجد صعوبة في التوافق بين مطالب الزبائن وبين تعليمات ولوائح العمل التنظيمي.					
2	أشعر بالأسف من تصرفات بعض زملاء العمل الغير لائقة كالانتقادات الجارحة في غير محلها.					
3	التفاهم بين زملاء العمل في منظمتنا قائم على أساس المصالح الشخصية وعدم الاكتراث لمصالح العمل.					

و. ظروف العمل وطبيعته:

ت	الفقرات	أتفق بشدة	أتفق	محايد	لا أتفق	لا أتفق بشدة
1	أشعر بالصعوبة والتحدي في تحديد مهام عملي التي تكلفني بها الإدارة العليا.					
2	الضغوط التي تمارسها المنظمة على العاملين هدفها تحسين أداء العاملين وليس المصالح الشخصية.					
3	أجواء العمل المتوترة وغير المستقرة تخلق حالة من الضغوط النفسية على العاملين وبالتالي تنعكس على ادائهم.					

٢ – السلوك الجانح:

﴿ السلوك الذي يتبناه عدد من العاملين في المنظمة حيث يعمدون إلى إشاعة الكراهية بين زملاء العمل واللحاق الضرر بالآلات والمعدات والعمل على تغيير المواقف الصائبة إلى خاطئة وتعمد الإهمال وممارسة العنف في بيئة العمل وغيرها من الأنماط والسلوكيات السلبية)

ت	الفقرات	أتفق بشدة	أتفق	محايد	لا أتفق	لا أتفق بشدة
1	الشعور بالظلم في بيئة العمل يولد عندي السلوك السلبي تجاه منظمتي.					
2	أشعر بالحزن عندما تكلفني الإدارة العليا بمهام عمل لا تتناسب مع مهاراتي وقدراتي.					
3	عدم امتلاكي للمعلومات الكافية عن المهام المكلف بها يولد شعور سلبي ينعكس على طريقة أدائي لتلك المهام.					
4	تداخل الصلاحيات والمسؤوليات بين قادة وأقسام العمل يؤثر سلبيا على تقدم العاملين بحياتهم المهنية.					
5	الضغوط المهنية في بيئة العمل تولد الإجهاد الذي يقف عائقاً أمام تطوير مهارات وقدرات العاملين.					
6	الأعداد المتزايدة للعاملين والزائدة عن الحاجة في بيئة العمل تشوش على العاملين الأكفاء وتسبب لهم الإرهاق.					
7	أشعر بالقلق والتوتر عندما أجد إن أوقات العمل لا تكفي لانجاز المهام المناطة بي.					
8	تصرف بعض رؤوساء العمل المتشددة تجاه العاملين يولد السلوك الجانح في بيئة العمل.					
9	أشعر بإرهاق عصبي نتيجة الحفاظ على انضباط مكان العمل.					
10	أمتلك رؤية ثاقبة في التنبؤ بما هو متوقع في عملي وخصوصا					

	بما يتعلق بسلوكيات مديري العمل تجاه العاملين.					
11	أماكن العمل التي تنقصها الخدمات الأساسية كالتهوية والإضاءة تولد السلوك الجانح لدى العاملين تجاه المنظمة.					
12	التقييم الغير عادل من قبل المسؤولين في المنظمة يولد السلوك السلبي التخريبي عند الكثير من العاملين تجاه عملهم.					

الحفاظ على البيئة في الشريعة الإسلامية– تدوير النفايات أنموذجا

أ.م.د. ناهدة جليل الغالبي

كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء

المقدمة:

اتخذت البيئة وعلومها مكانا هاما بين الباحثين والمؤسسات والانظمة، فكانت مجالا رحباً للنظر والاهتمام لقضايا البيئة، من التفاعلات والتأثيرات الناتجة عن المشاكل والأخطار التي تهدد العالم باسره. ومنذ الثّورة الصناعيّة في أوروبا في القرن الثّامن عشر ازدادت الصّناعات يوماً بعد يوم، ممّا أدّى إلى زيادة مُطّردة بكميّات النّفايات النّاتجة من الصّناعة. كما أنّ تزايد أعداد سكّان العالم وازدياد الكثافة السكانيّة في المدن والتطوّر الصناعيّ والتكنولوجيّ الهائل أدّى إلى زيادة كميّة الموادّ المُستهلَكة، والتي أدّت بدورها لإنتاج كميّات كبيرة من النّفايات الصّلبة بمُختلف أشكالِها وأنواعها.

وتعدّدت طرق الحكومات للتخلّص من هذه النّفايات؛ فمنهم من استخدم عمليّة الطّمر داخل الأراضي، ومنهم من استخدم عمليّات الاحتراق، وآخرين استخدموا المكبّات المكشوفة للنّفايات دون حرقها أو طمرها، ومنهم من وجد في المُحيطات والبحار والأنهار مكاناً للنّفايات.

وكل الطّرق السّابقة تستنزف كثير من الموارد الطبيعيّة والاقتصادية للأرض وتُشكّل عبئاً بيئياً كبيراً، ومن هنا برزت الحاجة المَاسَّة إلى إيجاد بدائل لتلك الطّرق، فكان الحلّ الأمثل هي عمليّة إعادة التّدوير للموادّ المُستهلَكة، سواءً كانت بلاستيك، أو زجاج، أو مطّاط، أو زيوت، أو أوراق، أو أيّة مادةٍ أُخرى صلبة أو سائلة. وقد تبيَّن أنَّ الشريعة الإسلامية تميَّزت بمنظومة متكاملة من التوجيهات والتشريعات والمبادئ التي تهدف لحماية ورعاية البيئة بكافة أشكالها ومكوناتها، وأنها انفردت بتقديمِ منهجٍ واقعي عملي في هذا المجال.

إن النفايات تعد مشكلة من أهم المشاكل التي يعاني منها المجتمع، وكان من الصعب التغلب عليها ، في الوقت الذي تنفق الدولة عليها ملايين الدولارات دون جدوى ، ولكن مع التقدم العلمي والتكنولوجي

والاستفادة القصوى من تدوير المواد المستهلكة والخردة للتغلب على المشاكل البيئية كان من الواجب علينا أولاً من الناحية العملية والاقتصادية وثانياً من الناحية الإسلامية أن نكتب بحثاً في هذا المجال حتى نساير ركب التقدم والرقى والمحافظة على البيئة، وبيان دور الشريعة الإسلامية في الحفاظ على البيئة ومراعاة جوانبها وإظهار أهميتها من خلال الكشف عن المنهج التشريعي لذلك، ملمين في هذا البحث بأهمية تدوير المخلفات وطرق تدويرها والفائدة الاقتصادية من ذلك ، مع توضيح الرؤية الإسلامية فيها، راجين من المولى أن ينتفع من هذا البحث القراء والمختصين في دراسات البيئة والحفاظ على المجتمع المسلم .

المبحث الاول: مفهوم الحفاظ على البيئة:

أولا: الحفاظ لغة واصطلاحا:

«جاء من حَفِظْتُ الشيءَ حِفْظاً، أي حَرَسْتُه. وحَفِظْتُهُ أيضاً بمعنى استظهرته. والمُحافَظَةُ: المراقبةُ. ويقال: إنَّه لَذو حِفاظٍ وذو مُحافظَةٍ، إذا كانت له أنفةٌ. والحَفيظُ: المحافِظُ، ومنه قوله تعالى: (وما أنا عَليكُمْ بِحَفيظٍ). يقال احْتَفِظْ بهذا الشيء، أي احْفَظْهُ . وتَحَفَّظْتُ الكتابَ، أي استظهرته شيئاً بعد شيء. وحَفَّظْتُهُ الكتابَ، أي حملته على حِفْظِهِ. واسْتَحْفَظْتُهُ: سألته أن يَحْفَظَهُ». [١]

وحافظَ على يحافظ ، مُحافظةً وحِفاظًا ، فهو محافِظ ، حافَظَتْ على أَثاثِ بَيْتِها : حَرِصَتْ عَلى نَظافَتِهِ ،حافَظَتْ على شَرَفِها : صانَتْهُ حافِظْ على سُمْعَتِكَ حافَظَ على أَوْقاتِ العَمَلِ : واظَبَ عَلَيْها [٢] ، ودلالة الآية الكريمة على ذلك (حافِظُوا على الصَّلَواتِ والصَّلاةِ الوُسْطَى) [٣].

ومصطلح الحفاظ على البيئة : « هي كل الإجراءات التي تتخذ من قبل هيئات عمومية تابعة للدولة أو الهيئات أو منظمات مستقلة للحد من التأثير السلبي للإنسان على البيئة» [٤]. واصبح الحفاظ على البيئة أمرا مهما بالنسبة لكل الكائنات الحية على وجه الأرض. ويهدف الحفاظ على البيئة حماية الطبيعة وكل الكائنات الحية والاعتناء بالموارد الطبيعية للأرض لضمان مستقبلها جميعا.

وتقوم فكرة حماية البيئة في الشريعة الإسلامية على أساس اعتقادي كما يذكر احد الباحثين المعاصرين[٥] ، ولاشك ان العلاقة بين الدنيا والأخرى هو الثواب الذي جعله الله تعالى ميزانا لذلك ،فكانت هذه الثمرة من ثمرات العمل الدنيوي الصالح، الحفاظ على البيئة ورعايتها وعدَّ ذلك عملاً تعبدياً فيه صلاح البلاد ورضا رب العباد، وفي ذلك يقول الله تعالى (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)[٦] ، بل حصل الربط بين الحفاظ على البيئة وحمايتها والإيمان بالله تعالى.

ثانيا: تعريف البيئة لغة

الأصل في لفظة البيئة لغويا يرجع إلى الفعل (بَوَأَ)، وله عدة معان كما ذكرها كتب اهل اللغة منها[٧] : قال ابن منظور : « البيئة والمباءة: المنزل؛ وأباءه منزلا وبوأه إياه وبوأه فيه بمعنى هيأه له وأنزله ومكن له فيه » . [٨] والبيئة في اللغة: مشتقة من (البوء) وهو القرار أو اللزوم[٩] ، ومنه الآية ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان﴾[١٠] ، والتبوء اتّخاذ المسكن وإلفه والتزامه. وتأتي بمعنى النزول والإقامة اذا جاءت من الفعل (باء): والاسم منه (البيئة) أي: المنزل والمقام، والباءَة والمباءَة، وهي مَنزلة القوم، ويقال قد تبوَّؤوا، وبوّأهم اللهُ تعالى مَنْزِلَ صِدْق، والأصلُ في الباءةِ المَنْزِل ، او يتخذ المكان وتهيئته وإصلاحه، ويقال: بَوَّأَهُم مَنْزِلاً: أي نَزَلَ بهم إلى سَنَدِ جَبَل، وأَبَأْتُ بالمَكان أَقَمْتُ به، وبَوَّأْتُكَ بَيتاً: اتَّخَذْتُ لك بيتاً، ومنه قوله عز وجل: (أَنْ تَبَوَّءا لقَوْمِكُما بِمِصْرَ بُيوتاً)[١١] ، أَي: اتَّخِذه، وقيل بَوَّأَه: أي أَصْلَحه وهَيَّأَه ». وفي مختار الصحاح وردت المباءة "بمعنى منزل القوم في كل موضع، وباءت ببيئة سوء أي بحال سوء وإنه لحسن البيئة، وعم بعضهم به جميع الحال ؛ واستباءه. أي اتخذه مباءةً والاسم البيئة" .[١٢]

ونلاحظ ان هناك علاقة وثيقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لمصطلح البيئة فهي: « المكان أو الحيز المحيط بالإنسان، وما يؤثر في الإنسان من محسوسات وغيرها، وحالة الإنسان معها» [١٣]، ولا شك ان مصطلح البيئة من المصطلحات التي اتسعت وتطورت في كثير من جزيئات المجتمع في عصرنا الحالي ، وكان هذا الكم الهائل من التطور يخص الانسان نفسه و الطبيعة من حوله.

ثالثا: تعريف البيئة اصطلاحاً

في الاصطلاح العلمي:

وعرفت البيئة بتعريفات عدة من قبل اهل الاختصاص انها : « المحيط الذي تعيش فيه الكائنات الحية ويدعي أيضا بالمحيط الحيوي الذي يتضمن بمعناه الواسع العوامل الطبيعية والاجتماعية والثقافية والإنسانية التي تؤثر على أفراد وجماعات الكائنات الحية، وتحدد شكلها وعلاقاتها وبقائها »[١٤] . وتعريف اخر لها: المحيط الذي يوجد فيه الإنسان وما فيه من عوامل وعناصر تؤثر في تكوينه وأسلوب حياته[١٥] .

وعُرفت أيضاً: بأنها: « الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بني البشر" » [١٦] .

ويلاحظ ان للبيئة عدة معان منها الشمول والعموم مثل البيئة الطبيعية والبيئة التي يعيش فيها الانسان خاصة وكل ما يحيط به وكل ما يحدث له من تأثيرات من كلا الطرفين، والمعنى الاخر الضيق وهو النظر في الموارد الطبيعية التي أودعها الله من ماء وهواء ونبات وحيوان وغير ذلك .[١٧]

في الاصطلاح الشرعي:

«ان علماء المسلمين لم يستخدموا كلمة (البيئة) استخداما اصطلاحياً إلا منذ القرن الثالث الهجري وربما كان ابن عبد ربه صاحب كتاب (العقد الفريد)، هو أقدم من وجد عنده المعنى الاصطلاحي للكلمة في كتاب (الجمانة) ويقصد به الإشارة إلى الوسط الطبيعي والجغرافي والمكاني والإحيائي الذي يعيش فيه الكائن الحي بما في ذلك الإنسان، وللإشارة إلى المناخ الاجتماعي والسياسي والأخلاقي والفكري المحيط بالإنسان»[١٨] .

ومن خلال ما تقدم من التعريفات اللغوية نجد «أن بوأه منزلا تعني أنزله منزلا ، فتكون الأرض بمفهومها العام هي البيئة في المصطلح القرآني ، وهذا المعنى الشامل والواسع للبيئة والذي لم يتضح إلا في أواخر القرن العشرين تضمن مفهوم كلمة الأرض وبصورة أكثر اتساعا واستخدمت بمعاني عدة يقصد بها التربة أو البيئة الزراعية او غيرها »[١٩].

وتطلق كلمة الأرض في القرآن على الكوكب الذي يعيش عليه الإنسان وتقابله السماء ، {الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}[٢٠]. ومن دلالات الآيات الكريمة التي ذكرت فيها احد مصاديق البيئة ، ان الارض قد وصفت بعدة اوصاف منها : هي منزلا يأوي الانسان. ومن خلال ما ورد في القرآن الكريم ايضا نلاحظ بانها لا تخرج عن المعاني التي تؤيد معنى الارض بما تحوي من مكونات سخرت للإنسان لكلمة البيئة في المدلول القرآني [٢١] .

ولذلك على الإنسان أن يتعامل مع البيئة على أنها ملكية عامة يجب المحافظة عليها حتَّى يستمر الوجود، لقوله تعالى: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٢٢]

وظل مدلول كلمة البيئة مرتبطاً دائماً بكلمة الأرض في القرآن الكريم، فقد استخدم القرآن بدلاً من كلمة البيئة مصطلح الأرض للدلالة على المحيط أو المكان الذي يعيش فيه الإنسان، شاملة ما عليها من جبال وسهول، وما فيها من نباتات وحيوانات، وما حولها من كواكب وأجرام[٢٣] .

وعلى ضوء ذلك يمكن القول بأن: «البيئة في المصطلح الإسلامي هي الأرض وما يتصل بها ويؤثر فيها باعتبارها منزل إقامة الإنسان إلى حين، وهي تشمل البر والبحر والجو، وهي لا تقتصر على ما هو مشاهد من مكونات ومسخرات وإنما تتعداه إلى ما هو غائب؛ لأنَّ الله سمى الجنة أرضاً في القرآن وهي من المغيبات، وبذلك يشمل مسمى البيئة في الإسلام عالمي الشهادة والغيب إلا أنَّ البحث سيقتصر على عالم الشهادة، والبيئة الطبيعية التي هي كوكب الأرض » .[٢٤]

فالبيئة هي الوسط الملائم والمكان الذي يحقق الانسان عباداته والاختلاء بخالقه للمناجاة وطلب الغفران ،وبذلك تتحقق وراثة الأرض وعمارتها، وفقا لمبدأ الاستخلاف في الأرض، لهذا حث الإسلام على الحفاظ على البيئة والإيمان بالاستخلاف عليها ، كما قال رَسُولُ اللَّهِ (ص): «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ .. » [٢٥]، فدلالة الحديث مفادها أنَّ إماطة الأذى والحفاظ على نظافة البيئة من الإيمان.

رابعا: الحفاظ على البيئة من منظور اسلامي

لاشك ان الشريعة الإسلامية هي خاتمة الرسالات المبعوثة إلى المجتمعات البشرية كلها، متضمنة الضوابط الاساسية والقواعد المهمة لتنظيم حياة الناس وسلوكهم اتجاه البيئة التي يعيشون فيها، لتتحقق العلاقة المتوازنة والسوية بين الإنسان وبيئته لاستمرار الحياة ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[٢٦] . « فالإنسان مستخلف وليس مالكاً حتى لا يتصرف كما يشاء دون منهج او ضابطة معينة، فالإنسان وصيّ على هذه الموارد البيئية ، مثلما هو مستخلف على نفسه وليس مالكاً لها فالإنسان ملك لخالقه. وكون الإنسان مستخلفاً على إدارة واستثمار محيطه الذي يعيش فيه، فعليه الحفاظ عليه من أي دمار أو تخريب، فأي شكل من الأشكال »[٢٧] .

وإن التراث الإسلامي سباق في وضع التشريعات الإلهية الحكيمة لرعاية البيئة وحمايتها من التلوّث والفساد في الارض واتباع منهجها وفق الاتي: "درء المفاسد وجلب المصالح " وبذل الجهود التي من شأنها أن تحقق ذلك. وحال امعان النظر في نصوص الشريعة الإسلامية وجدنا منهجا إسلاميا حكيما ينهى عن التلوّث والفساد بكل صوره وأشكاله[٢٨].

«وان الأثر المترتب على الحفاظ على البيئة وسلامتها يرجع إلى حفظ المصالح الخمسة من النفس والنسل وغيرها ، لان اغلب العبادات والواجبات الدينية والدنيوية لا يمكن أداؤها أصلا، إلا إذا توافرت البيئة الصحية والصحيحة التي يعيش فيها الإنسان ويتعامل مع عناصرها من ماء نقي طاهر، واجواء تساعد على قوة البدن والغذاء النافع لبدنه وصحته، ويذكر أحد الفقهاء المعاصرين أن صحة الإنسان التي تهدف الشريعة إلى حفظها وصونها تقتضي أن كل تصرف سلبي في البيئة يؤثر سلباً على صحة الإنسان غير مقبول شرعاً؛ لأنه يتنافى ومقاصد الشريعة »[٢٩] .وان الحفاظ على البيئة هو ومن المقاصد الاساسية التي ذكرها الدكتور عبد المجيد النجار هو الحفاظ على البيئة ، وأشار في ذلك على ان الإنسان تقع على عاتقه مهمة الخلافة في الأرض، حيث قال[٣٠] :

«المتأمل في أحكام الشريعة يجد أن كثيراً منها إنما شرع لتحقيق مقصد حفظ البيئة الطبيعية أن تعمل فيها يد الإنسان بتصرفات تخل بنظامها، أو تعطل مقدراتها على أن تكون صالحة للحياة منمية لها، أو تربك توازنها الذي تقوم عليه عناصرها المختلفة، وقد جاءت تلك الأحكام متضافرة كلها على منع الإنسان من ذلك، وأمره بان يبقى على الطبيعة صالحة كما خلقها الله، وأن يمارس عليها مهمة الخلافة على ذلك الوجه من الصلاح، وما فتئت تلك الأحكام تظهر أهميتها وتتأكد الحكمة في أوامرها ونواهيها، وذلك كلما أسفرت الأزمة البيئية عن وجهها الكالح، وتعالت نذرها بالمصير البائس للحياة، وذلك هو مبرر أن نفرد هذا المقصد الضروري بفصل مستقل من فصول المقاصد الضرورية للشريعة الإسلامية »[٣١].

وان من نعم الله على الانسان هو جعل البيئة ومكوناتها مسخرة له ، كما ذكرت ذلك اغلب آيات القرآن الكريم بل جعلت لخدمته ومنفعته ،(ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر..). وهذا التسخير ما هو الا لعلو مكانته عند الله تعالى كونه الوارث للأرض ، مما يتوجب عليه ان يحافظ على البيئة سواء أكانت في البر او البحر ، و الحفاظ عليها بما حوت من نبات وماء وحيوان وغيرها ليحيى حياة حرة كريمة .. ليكون هو المستخلف في الارض . وهذا ما ذكر من قبل في القرآن الكريم منذ(١٤ قرنا) فصل لنا كيفية التعامل مع البيئة ،ومعرفة علومها واستثمار تنميتها واعدادها لتكون صالحة للعيش الرغيد [٣٢].

«إنّ المحافظة على البيئة إحدى أهم الأهداف التي تطمح الدول لتحقيقها، ولتجنُّب بيئة مليئة بالمخلفات والفضلات، هنالك بعض الطرق الممكن اتّباعها، ومن هذه الطرق ما يلي: تجنُّب حرق القمامة؛ لأنّ الدخان والغازات الناتجة تؤثّر بشكل كبير على الغلاف الجوي والهواء. تجنُّب رمي المخلفات في أماكن عشوائية، بل يجب وضعها في المكان المخصص لذلك. تجنُّب استخدام الغاز البترولي والتعويض عنه ببدائل صديقة للبيئة كالفحم. تجنُّب تشغيل الأجهزة الكهربائية غير المستخدمة؛ لما لذلك دور في توفير الطاقة. إعادة التدوير؛ حيثُ أصبحت هذه الصناعة منتشرة حالياً في جميع البلدان، وهي من أفضل الوسائل لاستغلال المُخلّفات وإعادة صنعها مرة أخرى».[٣٣]

المبحث الثاني: مفاهيم ذات صلة (التلوث)

أولا: التلوث لغة واصطلاحا.

جاء في معجم لسان العرب، تحت كلمة" لوث "أن التلوث يعني التلطخ، يقال تلوث " الطين بالتبن، والجص بالرمل، ولوث ثيابه بالطين، أي لطخها، ولوث الماء كدره"[٣٤].

وتشير المعاجم اللغوية الأخرى إلى ان التلوث، يعني خلط الشيء بما هو خارج عنه فنقول لوث الشيء بما هو خارج عنه.كما يقال لوث الشيء بالشيء، خلط به، ومرسه، وتلوث الماء أو الهواء ونحوه ، خالطته مواد غريبة ضارة. [٣٥]. وجاء في مختار الصحاح "لوث "ثيابه بالطين، "تلويثا "لطخها، كما تعني بمدلولها اللفظي الدنس و الفساد والنجاسة، واللَوث بالفتح يعني البينة الضعيفة، غير الكامل ومنه قيل للرجل الضعيف العقل أَللوث، وفيه و لوثَه بالفتح، أي حماقة واللُوثة بالضم الاسترخاء و الحبسة في اللسان[٣٦].

«والتلوث في اللغة نوعان، تلوث مادي وتلوث معنوي. فالتلوث المادي : وهو اختلاط أي شيء غريب عن مكونات المادة بالمادة نفسها ويقال :لوث التبن بالقت أي خلطه بالأعشاب الكليئة. أما التلوث المعنوي : فهو أن يقال :تلوث بفلان رجاء منفعة أي لاذ به، وفلان به لوثة أي جنون. والتلوث بشقيه المادي والمعنوي يعني فساد الشيء، أو تغير خواصه، وهو معنى يقترب من المفهوم العلمي، الحديث للتلوث، الذي ينص على أنه "إفساد مكونات البيئة حيث تتحول هذه المكونات من عناصر مفيدة إلى عناصر ضارة ما يفقدها دورها في صنع الحياة[٣٧] . وتوجد عدة تعريفات للتلوث نذكر منها على سبيل المثال، تغير الوسط الطبيعي الذي يمكن أن تكون له آثار خطيرة على أي كائن حي . » [٣٨]. وربما تكون اهم مصادر التلوث هي النفايات التي تنبعث على شكل غازات عدة تلوث الاجواء كلها ملوثة بما فيها من مخاطر على البيئة ومكوناتها وخاصة الانسان الذي تؤثر على تنفسه ؛ وكذلك تشوه المناظر الطبيعية وتفقد القيمة الجمالية لما يحيط به .[٣٩]

ثانيا: مفهوم التلوث في الشريعة الاسلامية

لم ترد مفردة (التلوث) في القرآن الكريم ولكنها وردت بمعناها عند اللغويين ، وان الله تعالى ذكرها في الآيات الكريمة بمضمون معنى الفساد وهذا مما اشار اليه كل المفسرين ، وقد وردت تلك اللفظة في عدة آيات منها : {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ}[٤٠] .

وقوله عز وجل {الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ}[٤١]. وايضا {وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنْ الْمُحْسِنِينَ}[٤٢] .

«نلاحظ كلمة (فساد) يقود إلى القول بأنها أوسع وأدق من كلمة التلوث. والفساد نقيض الصلاح ، و الاستفساد خلاف الاستصلاح وأفسد الشيء إذا أباره. وإذا كان معنى (الفساد) على هذا النحو، الاضطراب، والخلل الذي يدخل على الشيء بفعل أو بإدخال شيء غريب أو أجنبي، عنه على نحو يفسده، أي يضيره ويجعله غير صالح لأداء وظيفته، والتي خلق لها، فإن استخدام القرآن الكريم، لتلك اللفظة يبدوا أكثر دقة وإحكاما ودلالة، على المقصود من لفظة التلوث، وإن كان هذا هو مفهوم الفساد فإنه مفهوم يتسع لكل الأعمال الضارة بالبيئة، أو مصادر تهديدها، أو كل ما يؤدي إلى إحداث الخلل، والاضطراب فيها، بحيث يعني الفساد تلويث البيئة، وكذلك استنزاف مواردها، والتبذير في استخدامها، على نحو يهدد دوامها لصالح الأجيال القادمة ».[٤٣] وعلى الانسان تحمل كامل المسؤولية لما يحدث في البيئة من تلوث وفساد لأنه اساء استعمال هذه الموارد المهمة التي وجدت لخدمته ، وهذا الاصل الثابت موجود في القرآن الكريم، لقوله تعالى{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}[٤٤] .

« الآية بظاهر لفظها عامة لا تختص بزمان دون زمان أو بمكان أو بواقعة خاصة، فالمراد بالبر و البحر معناهما المعروف و يستوعبان سطح الكرة الأرضية. والمراد بالفساد الظاهر المصائب و البلايا الظاهرة فيهما الشاملة لمنطقة من مناطق الأرض من الزلازل و قطع الأمطار والسنين و الأمراض السارية و الحروب و الغارات و ارتفاع الأمن و بالجملة كل ما يفسد النظام الصالح الجاري في العالم الأرضي سواء

كان مستندا إلى اختيار الناس أو غير مستند إليه. فكل ذلك فساد ظاهر في البر أو البحر مخل بطيب العيش الإنساني. و قوله: (بما كسبت أيدي الناس) أي بسبب أعمالهم التي يعملونها من شرك أو معصية ، ومن بين أعمال الناس و الحوادث الكونية رابطة مستقيمة يتأثر إحداهما من صلاح الأخرى و فسادها ».[٤٥]

« وان حماية البيئة ومواردها، يقع على عاتق كل إنسان، فهي قضية إنسانية بالدرجة الأولى فالإنسان، هو محلها وموضوعها، بل وغايتها، ووسيلتها، في نفس الوقت وإذا صح القول، فيما مضى بضرورة حماية الإنسان من البيئة، فقد تغير الآن إلى القول بحتمية، حماية البيئة، من الإنسان، ولكن من أجل الإنسان نفسه». [٤٦] وبذلك يستقيم سلوك البشر وينتظم مسار الانسان في هذه الحياة ولا ينتشر الفساد في الارض ؛ليشعر بان الله قد مّن عليه بالتمكين والعيش الرغيد في هذه الارض لقوله تعالى:{وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ}[٤٧]

وفي هذه النصوص التي شرعها الاسلام بما فيها من احكام وتعليمات وارشادات لغرض الحفاظ على البيئة ، في كل مكوناتها ومحيطها الخارجي حتى تكون صالحة للعيش وسليمة ومؤمنة له ؛ لذلك وجب عليه النظافة والحذر من التلوث عليها[٤٨].

وروي عن الرسول الاعظم (ص) قال : للأمام علي (عليه السلام) : « أخرج يا علي فقل عن الله لا عن الرسول: لعن الله من يقطع السدر » [٤٩] ، كما وأكدت بعض الروايات على عدم قطع بعض أنواع الأشجار النادرة في اماكن مهمة للمحافظة على الثروات النباتية خاصة في المناطق الصحراوية التي تريد الدول العالمية جعلها مصدات للرياح والغبار وتنقية الهواء الداخل الى المدن، اضف الى جماليتها الخضراء . و للمروي عن الإمام الصادق (عليه السلام): قال « إنما يكره قطع السدر بالبادية لأنَّه بها قليل » [٥٠]. ويؤكد قبل ذلك ما ورد عن الرسول (ص) لقادة الجيش في الحروب واصحابه ينهاهم عن قطع الأشجار وضرورة المحافظة عليها «ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها » ، ونتيجة إغفال الإنسان لهذه التوجيهات وإفراطه في بناء مدينته على حساب الموجودات الطبيعية لهذه العناصر الضرورية للحياة ازداد

التلوث .[٥١] وعدم إلقاء الملوثات قريباً من مجاري المياه مثلا ،حيث وردت جملة من الروايات في هذا المعنى فعن رسول الله (ص): « اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الماء، وفي الظل، وفي طريق الناس »[٥٢]. كما روي أن أمير المؤمنين عليه السلام نهى أن يُبال في الماء الجاري : « لا يبولن في ماء جارٍ »[٥٣]. وقد ورد عن الإمام زين العابدين (عليه السلام): « أنه يمنع التغوّط على شطوط الأنهار » [٥٤].وعن الإمام الصادق عليه السلام: «وكره أن يتبول في الماء الراكد »[٥٥].

المبحث الثالث: تأصيل عمليات التدوير (recycling)

أولا: مفهوم عملية التدوير:

« تُعرف عمليّة إعادة تدوير النّفايات (بالإنجليزية:Recycling) بعمليّة مُعالجة للموادّ المُستهلكة، بحيث تُعاد إلى الشّكل الخام لهذه المادة، لتُصنّع مرّة أخرى فيُعاد استخدامها والاستفادة منها من جديد. أو يمكن تعريفها أيضاً بأنّها عملية استخدام المورد الطبيعيّ مرّة أُخرى بعد إعادة تصنيعه »[٥٦]. اوهي «عملية إعادة تصنيع واستخدام المخلفات، سواء المنزلية أم الصناعية أم الزراعية، وذلك لتقليل تأثير هذه المخلفات وتراكمها على البيئة، وتتم هذه العملية عن طريق تصنيف وفصل المخلفات على أساس المواد الخام الموجودة بها ثم إعادة تصنيع كل مادة على حدة ». [٥٧]

بدأت فكرة إعادة تدوير النفايات متزامنة او بعد الحرب العالمية الأولى او بداية الحرب العالمية الثانية، حيث عانت اغلب الدول من النقص الشديد في كل المواد الأساسية مثل المنيوم والمطاط ، مما اضطرت جمع المخلفات والنفايات المنزلية وغيرها لإعادة استخدامها . وربما كانت عملية تدوير النفايات للتطور المدني في العالم ، وبعد مرور عشرة اعوام على انتشار وتطبيق فكرة التدوير بدأ الناس في الدول العالمية بتطبيقها بشكل واسع و مدى فاعليتها ، لكنها تحتاج الى كلفة لإعادة العمل بها . [٥٨]

« ان إعادة تدوير النفايات موجود في الطبيعة من غابات وصحاري منذ بدء الخليقة، حيث تتغذى بعض الكائنات الحية على فضلات الكائنات الحية الاخرى، فكانت عملية استرجاع النفايات منذ تلك العصور بإذابة المواد المعدنية وتحويلها الى مواد أخرى ، يعد عملية تدوير بحد ذاتها. ومنذ أن أدرك الإنسان

مدى إساءته لاستخدام عناصر الكون المختلفة حوله، كانت الدعوة إلى يوم الأرض في عام ١٩٧٠م. ومنذ ذلك الحين تعالت صيحات المدافعين عن البيئة، وظهرت أحزاب الخضر في الكثير من البلاد، وتشكل عند الكثيرين وعي بيئي ورغبة حقيقية في وقف نزيف الموارد، وظهر جيل يعرف مفردات جديدة مثل: النظام البيئي (Ecological System) والاحتباس الحراري، وثقب الأوزون، وإعادة تدوير المخلفات Recycling ».[٥٩]

ثانيا: فوائد عملية إعادة التدوير

لاشك ان إعادة تدوير النفايات لها اهداف وفوائد كثيرة تغني الجانب الاقتصادي والاجتماعي ايضا ، وتهدف الى بيئة نظيفة لأنها تكون من افضل الطرق للخلاص من هذه المخلفات التي تطرحها الكائنات الحية ومنها الانسان والحيوان، مما جعل كثير من دول العالم اتباع سياسة التدوير لما لها من فوائد جمة ، ومن هذه الفوائد ما يأتي:[٦٠]

« المُحافظة على نظافة البيئة بالدّرجة الأولى من أضرار طمر وحرق النّفايات أو تركها مكشوفة، والتّقليل من تلوّث مياه البحار والمُحيطات والأنهار من رمي النّفايات الصّلبة فيه، وتهديد الأحياء البحريّة، كما تُقلّل من تلوّث المياه الجوفيّة من عصارة النّفايات النّاتجة عن طمر النّفايات، والمُحافظة على نقاء الهواء الجويّ من انبعاثات حرق النّفايات، والتي تُفرز كميّات كبيرة من الغازات السامّة وثاني أُكسيد الكربون الذي يزيد من مشكلة الاحتباس الحراريّ » [٦١].

وبذلك تحقيق لدينا مبدأ (التّنمية المُستدامة) من أجل الحفاظ على البيئة ومكوناتها ، من الأمراض والجراثيم والميكروبات في المناطق السُكانيّة ، وبعملية التدوير تفصل النّفايات العضويّة وتستخدم كسماد مُفيد للأرض. و توفير المبالغ المالية التي تصرف على عمليّات الطّمر الصحي وغيرها .[٦٢]

ثالثا: طريقة إعادة التدوير

«تتّخذ الدول العالمية طُرقاً مُختلفةً لعمليات إعادة التّدوير لتتناسب مع المُجتمعات حسب حالتها الاجتماعيّة والثقافيّة، وتبدأ عمليّة إعادة التّدوير بتصنيف المُخلّفات إلى عدّة أصناف: الخشبيّة،

والزجاجيّة، والبلاستيكيّة، والورقيّة، والعضويّة، الإلكترونيّة، داخل المنازل وفي بعض الدّول داخل المكبّات الكُبرى، ثم تأتي شركات مُتخصّصة لإعادة تدوير أحد الأنواع السّابقة وتأخذها للشّركة المُتخصّصة في إعادة تدوير هذا النّوع، تقوم المصانع بإعادة هذا النّوع لمادّتِهِ الخام، والاستفادة منه ببيعه للشّركات والمصانع الأخرى». [٦٣]

واليابان هي الدولة العالمية الرائدة في عمليات اعادة التدوير ؛ لوجود ثقافة المحافظة على البيئة من النفايات سواء أكانت في المنزل او الطريق او المدرسة او المؤسسة التي يعمل بها ، وبعد عزل وتصنيف النفايات ترسل الى الشركات الاستثماريّة التي بدورها تُعيد صناعتها وتحويلها الى المواد الخامّ، وبذلك تحقيق فوائد كثيرة لهذه الشركات وتزيد ارباحها لإفادة الاسرة والمجتمع [٦٤].

«والالتفات لعملية إعادة تدوير لم يأتي إلا بعد حدوث الأضرار الكبيرة من عمليّات التخلّص من النّفايات والمخلفات بطرق الطّمر والحرق وتلوّث المصادر المائيّة بشكل كامل. ومن هذه المخاطر والمشاكل التي تُسبّبها عمليّات كبّ النّفايات التقليديّة ما يأتي: زيادة نسبة ثاني أُكسيد الكربون، الأمر الذي يُشكّل السّبب الرّئيس لارتفاع درجة حرارة الأرض، وذوبان الثّلوج، وتعرّض الأرض للفيضانات. تلّوث المياه الجوفيّة نتيجة تسلّل عصارة النّفايات المطمورة إلى باطن الأرض. انتشار الأمراض السرطانيّة والميكروبيّة بسبب وضع مكبّات النّفايات بالقرب من المناطق السكنيّة، كما وتتسبّب عمليّات حرق النّفايات بالكثير من الأمراض التنفسيّة. »[٦٥]

المبحث الرابع: التكييف الفقهي والموقف الشرعي لعملية اعادة التدوير

اولا: التكييف الفقهي لعملية اعادة التدوير

اختلفت آراء العلماء والفقهاء في المسألة والموضوع من أهم ما اشتدت حاجة الأمة إلى حله في عصرنا الحاضر، حيث إن الوقت الراهن لا تزال تحدث فيه أشياء جديدة تتعلق أحكامها بالموضوع المطروح أمامنا، حتى أصبح بعضها من أهم المستلزمات اليومية، وعنصر حياة الأمة المسلمة والإنسانية، فمست الحاجة إلى تحقيق المسألة من جديد.

ان من اهم القضايا المعاصرة هي عملية اعادة تدوير المخلفات والاحكام الفقهية المتعلقة بها ،لان هذا الموضوع قد كثرت الحوارات والجدالات عليه ، ولأنه من المسائل الابتلائية التي بحاجة الى تكييف فقهي لها ، ولعل مصطلح استحالة هو الاقرب لها وسنثبت ذلك بعد عرض المسالة وادلتها ، سيما وان الأشياء النجسة يمكن ان تتحول الى طاهرة بعد عملية الاستحالة او الانقلاب ، وعلى سبيل المثال ، في اعادة تدوير المواد النجسة الى طاهرة مثل المياه العادمة او غيرها.

١- الاستحالة: الاستحالة في اللغة: «هي مصدر الفعل استحال ، واستحال الشيء اذا تغير عن طبعه ووصفه واستحال الشيء ، تحول واعوج بعد استواء وتغير وحالت القوس واستحالت بمعنى : أي انقلبت عن حالها ، وحال عن العهد : انقلب ، وحال لونه ، أي تغير واسود ، وحال إلى مكان آخر أي تحول ، وحال الشخص أي تحرك ، وكذلك كل متحول عن حاله ».[٦٦]

والاستحالة هي التبدل الحقيقي في النوع فتحول الاشياء النجسة الى طاهرة هو تبدل في حقيقة الشيء ، والاستحالة في الأعيان المتنجسة هي تعد من المطهرات عليها وسبب لزوال عين النجاسة ، مثلا تحول الاخشاب المتنجسة الى رماد ، وتحول المياه النجسة او العادمة الى بخار ، والصابون كذلك الذي صنع من الدهون النجسة ، وتحول الحيوان اذا وقع في المملحة الى ملح يصبح طاهرا بالاستحالة وهذا الحكم يعم كل ما ذكر من الامثلة انفا [٦٧].

وللاستحالة صور عديدة منها التخلّل والتخليل تخلّل الخمرة وتخليلها، وتخلّل الخمر هو انقلاب الخمر بنفسها إلى خلّ فتطهر بالإجماع، ومن هذه الصور الاتي: « الدباغ: هو معالجة الجلود بمواد لها صفات خاص ، تغير من صفاتها، وتتّحد مع أليافها ، لتكون مادة جديدة، الإحراق بالنار: الحرق بالتحريك: النار، والتحريق: تأثيرها في الشيء ، بأنّه تفاعل كيميائي بين مادتين ، ينتج عنه حرارة وانبعاثات، ويصحبه لهب، وغالبا ما يكون أحد المادتين هو الأكسجين[٦٨]، الاستهلاك والمكاثرة: فالاستهلاك: أن تفنى عين النجاسة في مادة طاهرة حتى تصير جزءاً منها، كوقوع نجاسة في ملاحة،

وانقلابها ملحا ، الاختلاط بالأرض: هو انقلاب النجاسة إلى تراب بعد مدة، أو استحالتها إلى مادة أخرى؛ بسبب تعرضها للعوامل الطبيعية كالشمس»[٦٩].

والاستحالة شرعا : «هي تبدل أوصاف النجاسة ومعانيها ، حتى تخرج عن كونها نجسة بانعدام أوصاف النجاسة فيها»[٧٠]، وهي انقلاب عين النجاسة، وتحولها إلى عين أخرى طبيعياً أو صناعياً بمعالجة ، بحيث تتغير خصائص العين كلّيا، من حيث الاسم ، والوصف ، والشكل. [٧١]

قال القرافي « ان الله تعالى إنّ ما حكم بالنجاسة في أجسام مخصوصة، بشرط أن تكون موصوفة بأعراض مخصوصة مستقذرة، وإلّا فالأجسام كلّها متماثلة، واختلافها إنّما وقع بالأعراض، فإذا ذهبت تلك الأعراض ذهاباً كلّياً، ارتفع الحكم بالنجاسة إجماعاً، كالدم يصير مني اً ثم آدميا ».[٧٢]

فهذا التبدل في الاعيان النجسة وتحولها الى عين اخرى تصبح طاهرة بهذه الاستحالة ، والسبب في ذلك هو الوصف المترتب من قبل الشارع لحقيقة تلك النجاسات ، وبالإمكان انتفاء هذه الحقيقة بعض أجزاء مفهومها ، فالعصير الطاهر اذا اجريت عليه عمليات يتحول الى خمر ويصبح نجسا واذا تحول الى خل يرجع الى طهارته ، لذا فأن استحالة الاعيان تستتبع زوال الوصـف المرتب عليها ، وعلى هذا فرماد النجس بعد الحرق يصير طاهرا ، والمادة النجسة إذا وقعت في البئر وترسبت تصبح طينا طاهرا ، وقد أفتى في هذا الموضع ابو حنيفة (بطهارة الدبس المطبوخ إذا كان زبيبه نجسا او متنجسا) ، وكذا الحكم بطهارة السمسم المتنجس إذا صير طحينا ، وكثير من الامثلة على ذلك . [٧٣]

الأعيان الطاهرة إذا أصابتها نجاسة، فيها نظر : فإن كان جامداً كالثوب وغيره جاز بيعه؛ لأن البيع يتناول الثوب وهو طاهر، وإنّما جاورته النجاسة، وإن كان مائعاً نُظرت، فإن كان مما لا يطهر كالخلّ والدبس لم يجز بيعه؛ لأنّه نجس لا يمكن تطهيره من النجاسة، فلم يجز بيعه كالأعيان النجسة ، وإن كان ماء ففيه وجهان :أحدهما لا يجوز بيعه؛ لأنّه نجس لا يطهر بالغسل، فلم يجز بيعه كالخمر، والثاني يجوز بيعه؛ لأنّه يطهر بالماء، فأشبه الثوب.[٧٤]

قال الدكتور وهبة الزحيلي : « الخلاصة أن الشوافع والحنابلة نظروا في ، وتوسع الحنفية في شأن المطهرات، وقاربهم المطهرات إلى آمل ما يحصل به مراد الشارع فيها أحيانا المالكية، والواقع العملي وحاجة الناس وأعرافهم آل ذلك يؤيد العمل بمذهب الحنفية وحقق الإمام ابن تيمية رحمه الله في فتاويه أن استحالة النجاسة يذهب بخبثها وعينها، فلا يبقى حكم النجاسة لها وتكون طاهرة».[٧٥]

ومن خلال ما تقدم نلاحظ ان الاستحالة هي تبدل وتغيير يحصل في الاشياء والاعيان النجسة مما يؤدي إلى زوال أعراضها وتبدل كل صفاتها واوصافها ، فيزول بذلك اسمها الأول لزوال صفاتها التي اشتقت منها لتلك التسمية ، وتأخذ اسما جديدا يتناسب مع تلك الصفات الجديدة .

«تجدر الإشارة إلى أنّه من الناحية العلمية، ومن خلال التطور الصناعي للتقنيات، يمكن التوصل إلى أساليب ووسائل يمكن من خلالها قلب جزيئات المواد ،وجعلها مواد جديدة، ومما يؤكّد هذا، أنّه من الناحية الكيميائية، لا حدود للتغيرات الكيميائية على المواد ،حيث يمكن – مثلاً – تصنيع البلاستيك من دهن الخنزير، إن موجب القول الأول يلبي الحاجات –إن لم تكن الضرورات التي أفرزتها الحياة المعاصرة، حيث يمكن الإفادة من الفضلات بكافّة أنواعها ومنها المياه العادمة، حيث يعد مفهوم الاستحالة حلّا لكثير من المشكلات، وتلبية لكثير من الحاجات» [٧٦].

فلعل تدوير المُخلّفات على سبيل المثال الخشبية او الورقية التي تنجست من غيرها او لم تتنجس اصلا ، ووجدت داخل مكبّات النفايات التي تلاقي النجاسة فيها ، فتأخذها شركات اعادة تدوير وتجري عليها عدة عمليان من حرق وصهر وغيرها ،فتقوم بإعادتها مادتها الخام الاولى ، فمن المؤكد تكتسب الطهارة بعد اجراء هذه العمليات عليها ، وبذلك يتحقق عليها مبدا الاستحالة .

إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي ، المنعقد في دورته الثانية والعشرين بدولة الكويت، خلال الفترة من: ٢-٥ جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ، الموافق: ٢٢-٢٥ مارس ٢٠١٥م.بعد تكليف الندوة المشكلة من قبل أمانة المجمع للنظر في مسائل: الاستحالة والاستهلاك قرر ما يأتي : «أولاً: بخصوص تعريف الاستحالة أكد اعتماد التعريف الوارد في قراره ذي الرقم: ١٩٨

(٢١/٤) مع إضافة، بحيث يكون كالآتي: الاستحالة في الاصطلاح الفقهي: تغير حقيقة المادة النجسة أو المحَّرم تناولها، وانقلاب عينها إلى مادة أخرى مختلفة عنها في الاسم والخصائص والصفات، ويعبر عنها في المصطلح العلمي الشائع بشأنها كل تفاعل كيميائي كامل. مثل تحويل الزيوت والشحوم على اختلاف مصادرها إلى صابون، وتحلل المادة إلى مكوناتها المختلفة، وكما يحصل التفاعل الكيميائي بالقصد إليه بالوسائل العلمية الفنية يحصل أيضاً بصورة غير منظورة في الصور التي أوردها الفقهاء على سبيل المثال: كالتخليل والإحراق، أما إذا كان التفاعل الكيميائي جزئياً فلا يعتبر ذلك استحالة، وإن كانت المادة نجسة فتبقى على حالها ولا يجوز استخدامها».[٧٧]

في الدورة الثالثة عشرة لهيئة كبار العلماء، المنعقدة في النصف الآخر من شهر شوال ١٣٩٨هـ بمدينة الطائف، صدر عن الهيئة قرار رقم (٦٤) في ١٣٩٨/١٠/٢٥ ، إن المياه المتنجسة يمكن التخلّص من نجاستها بعدة وسائل، وحيث إن تنقيتها وتخليصها مما طرأ عليها من النجاسات بواسطة الطرق الفنية الحديثة لأعمال التنقية، يعتبر من أحسن وسائل الترشيح والتطهير، حيث يبذل الكثير من الأسباب المادية؛ لتخليص هذه المياه من النجاسات، كما يشهد بذلك ويقرره الخبراء المختصون بذلك ممن لا يتطرق الشك إليهم في عملهم وخبرتهم وتجاربهم.

فتوى فضيلة الأستاذ الدكتور حسام الدين عفانة :بتاريخ ٢٠٠١/٩/١م، سئل فضيلة الأستاذ الدكتور حسام الدين عفانة: «هل يجوز استعمال مياه المجاري التي تمت تنقيتها في الوضوء والغسل والشرب ونحو ذلك من الاستعمالات؟ فأجاب: ينبغي أن يعلم أولاً، أن الماء الطاهر الذي يصح استعماله في جميع الاستعمالات، هو الماء المطلق الباقي على أصل خلقته، ولم يتغير أحد أوصافه الثلاثة، وهي :اللون، والطعم، والرائحة، فإذا تغير أحد أوصافه الثلاثة، فينظر فيما خالطه: أطاهر أم نجس؟ وقد فصل الفقهاء الكلام على أحكام المياه في كتبهم، والذي يهمنا هنا، أن مياه المجاري نجسة بلا ريب، فإذا تمت تنقيتها في محطّات تنقية مياه المجاري بالوسائل العلمية الحديثة، حيث إن تنقية المياه تتم على أربع مراحل، وهي: الترسيب، والتهوية، وقتل الجراثيم، والتعقيم بالكلور، وهذه الطرق كفيلة بإزالة كلّ أثر للنجاسة في

الطعم واللون، والرائحة، فإذا تمت التنقية بإزالة كلّ أثر للنجاسة فإن الماء يعود إلى أصل طهوريته؛ لأن الحكم بنجاسة الماء معلّل بعلّة تغيره، فإذا زالت هذه العلّة رجع الحكم إلى أصله؛ لأن الحكم يدور مع علّته وجوداً وعدماً. الأشياء الجامدة غير المائعة غير المأآولة التي تستخدم خارجيا، وعمت فيها البلوى، فإنها طاهرة في آل حال بدون شك، آلآواني المتخذة من الطين المتنجس لو تغيرت خزفا مثلا فإنها طاهرة بتغير الماهية، ويجوز سائر المعاملة بها ولا يتنجس الماء بلقاء هذه الأشياء، ويلحق بها الجلود المدبوغة والجراب والقرب المصنوعة من الجلود»[٧٨].

وان معالجة مياه الصرف الصحي بالطرق الفنية الحديثة، وهي متقدمة تفوق كثيراً ما ذكرعند الفقهاء المتقدمين من الطرق العادية والبسيطة ، بحيث لا يبقى للنجاسة أثر من لون، أو طعم، أو الرائحة، ولان الفقهاء اعتبروا الاستحالة طريقاً من طرق تطهير الماء المتنجس، وبعد الاستحالة والتبدل في الاوصاف وغيرها، تعود إلى أصلها من الصفاء والنقاء، وحيث إن الحكم يدور مع علّته وجوداً وعدماً، والتطهير بالنزح، والمكاثرة، والمكث والتقادم مما ذكرت هذه المصطلحات في كتب الفقهاء . وعلى ما أفتى به كثير من الباحثين المعاصرين ، فإن هذه المياه النقية الناتجة عن المعالجة طاهرة مطهرة، ويمكن استخدامها في العبادات كالوضوء، والغسل من الجنابة، وإزالة الخبث والحدث وغيرها، اضافة الى الشرب والطبخ، بحيث يمكن القول بأنّه يمكن استخدامها في كلّ ما يستخدم به الماء الطهور، إلّا إذا ترتّب على استعمالها ضرر صحي، فإنّه يمتنع عن استعمالها تجنّباً للضرر، لا من حيث أنّها لا تطهر، فليس كلّ ضار نجساً [٧٩].

٢-الانقلاب: الانقلاب في اللغة : « من قلبت الشيء فانقلب ، أي انكبّ وتحوّل. ويأتي بمعنى الرجوع ، والانصراف[٨٠] . والأصل في هذه المادّة هو التحوّل المطلق في أمر مادي أو معنوي[٨١]، فالقلب المادي كما في قوله تعالى: (وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ)[٨٢]، والمعنوي كما في قوله تعالى: (وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ) ، أي راجعون» .[٨٣]

الانقلاب في الاصطلاح: والمعنى الاصطلاحي للانقلاب يقارب باللفظ والمعنى عند اهل اللغة ، كما في قولهم:(انقلاب العقد اللازم إلى جائز)، و(انقلاب النكاح المنقطع إلى الدائم)وغيرها ، واستعمال الموارد يعبر عنه بالتبدّل، او التحوّل، او الصيرورة، وغير ذلك. والمتتبع في الكتب الفقهية يجد كثير من الامثلة سواء في باب الطهارة، والأطعمة والأشربة مثل تحوّل الخمر إلى الخلّ، وعدّ هذه الكلمات من مصاديق الاستحالة . (اتفق فقهاء المذاهب الاسلامية كافة ان الانقلاب مطهر بنفسه ولا اشكال في مطهريته من دون علاج ، كما أنّه مطهّر لو كان بفعل الإنسان على المشهور بينهم). [٨٤] . قال العلّامة الحلّي : «الخمر إذا انقلب بنفسه طهر، وهو قول علماء الإسلام ؛ لأنّ المقتضي للتحريم والنجاسة صفة الخمرية وقد زالت. وأمّا إذا طرح فيها شيء طاهر فانقلب خلّاً طهر عند علمائنا».[٨٥]

ووردت كثير من الروايات على هذه المطهرية منها: الاطلاق الذي تبدل بنفسه او غيره ، منها موثقة زرارة ، قال: « سألت أبا عبد الله (ع) عن الرجل يأخذ الخمر فيجعلها خلّاً، قال: لا بأس ». [٨٦] ومنها: يتصف بالطهارة بعد تحوله بعلاج، منها : رواية ابن المهتدي ، قال: « كتبت إلى الإمام الرضا (ع) : جعلت فداك، العصير يصير خمراً فيصبّ عليه الخلّ وشيء يغيّره حتى يصير خلّاً، قال: لا بأس به ». [٨٧]

ويلاحظ عدم وجود فرقا بين عملية العلاج على الاشياء المتنجسة اذا كانت مائعة او جامدة او غيرها ، ومن الروايات المخصصة للحكم بحسب دلالتها صيرورة الانقلاب بنفسه مثل: رواية أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) قال: « سئل عن الخمر يجعل فيها الخلّ، فقال: لا، إلّا ما جاء من قبل نفسه».[٨٨] ، اما رواية ابن المهتدي فقد دلت على جواز الحكم ،او على الكراهة : «يستحبّ أن لا يغيّر بشيء يطرح فيه بل يترك حتى يصير خلّاً من قبل نفسه. وفي الأخير أفضلية الاجتناب عمّا صار خلّاً بعلاج؛ للخبر الصحيح الدالّ على المنع حينئذٍ».[٨٩]

قال العلّامة الحلّي: (ولو لاقتها نجاسة اخرى لم تطهر بالانقلاب). « وحينئذٍ فلو تقاطر في الخمر بول أو دم ثمّ انقلبت خلّاً لم تطهر بالانقلاب؛ لأنّه لا يطهّر الأعيان النجسة، فالأدلّة قاصرة عن إثبات الطهارة، سواء قلنا بأنّ النجس ينفعل بملاقاة نجس آخر أم لا. أمّا على الأوّل فلأنّ دليل الطهارة

بالانقلاب يدلّ على طهارة الخمر بالانقلاب فقط، فتصير خلّاً متنجّساً بالنجاسة الخارجية. وأمّا على الثاني فلأنّ عدم نجاسة الخمر بنجاسة نجس آخر القي فيه لا يلازم زوال نجاسة ذلك النجس الآخر، فتستصحب نجاسته إلى أن تثبت الطهارة، ودليل مطهّرية الانقلاب لا يثبت الطهارة لا بالملازمة العرفية ولا الشرعية»[٩٠].

و السيد الخوئي يذكر في مسالة الانقلاب انه لا يختص بالخمر والخل، بل على العكس يشمل كل مائع ورد بهذا الخصوص؛ لأنّ المناط في مسألة الخمر هو زوال سكرها، وبذلك يتحوّل الخمر الى خل طاهر بما في ذلك تغيير اسمها ؛ لرواية زرارة المتقدمة اعلاه ، سواء أكان ذلك في المستند او في الانقلاب خلّاً، اواي شيء آخر. وعلل السيّد الاعتبار في الانقلاب انها في عداد المطهّرات ثمّ التمثيل بانقلاب الخمر خلّاً قرينة على عدم الاختصاص ؛ لأنّ ذلك منهم من باب التمثيل تبعاً للروايات من جهة الغلبة.[٩١]

٣- الفرق بين الاستحالة والانقلاب :

يذكر بعض العلماء فوارق يسيرة بين المصطلحين منها:

١-ان الانقلاب هو تغير ظاهري فقط، يؤدي إلى تغير الاسم دون تغير النوع ، وهذا خلاف الاستحالة التي تتغير فيها ماهية الاشياء، اضف إلى ذلك أنّ الانقلاب من الخمر إلى الخل ليس استحالة.

٢-يعد مصطلح الانقلاب من مراتب الاستحالة ويعتقدون أنّ الانقلاب يؤدي إلى التغيير في الماهية او ماهية الشيء، مثل تبدل الخمر خلا فإنّهما يختلفان في الحقيقة والماهية مما يؤدي الى اختلاف الاثار، ويبقى متعلق الانقلاب في ابواب الفقه، هو خاص بتحول الخمر إلى خل، أما الاستحالة في متعلقها أعم من ذلك.[٩٢]

٣- يلاحظ في ابواب الفقه ان الانقلاب لم يذكر بعنوان مستقل مع المطهرات واعدوا الانقلاب من مصاديق الاستحالة. وذكروا الانقلاب في أبواب المعاملات مثل الرهن والغصب وغيرها .[٩٣]

٤-الاستحالة بالنار هي واقعة على الذات ، اي تطهر الأعيان والاشياء النجسة ذاتا بتحولها إلى الرماد او الدخان .[٩٤] وكذلك في استحالة الكلب والخنزير الواقعين في المملحة ملحاً، لو وقع كلب أو خنزير في الأرض المالحة فاستحالا إلى الملح، فالمعروف بين الفقهاء طهارة ذلك الملح. [٩٥]

ومن خلال ما تقدم نلاحظ ان عملية اعادة تدوير النفايات ما هي الا عملية استحالة لأنها تحدث تغييرا في ماهية الاشياء وتحولها او تبدلها الى اشياء اخرى طاهرة في متعلقها أي تقع على ذاتها بذلك التحول لان هذه النفايات تتحول الى مواد اخرى صالحة للاستعمال البشري.

واغلب الكتب الفقهية عالجت مسألة تغير الماهية وأثره في الأحكام الفقهية، فالموضوع يتعلق بباب الطهارة والنجاسة والحلال والحرام، ويتفرع عليه حكم المعاملة بالأشياء والاستفادة منها بطرق مختلفة، وحاصله : هل التغير في ماهية الشيء يؤثر في الأحكام ويتبدل حكم الشيء بتغير ماهيته أم لا ؟ فبعض الفقهاء عد تغير الماهية وانقلابها علة لطهارة الأشياء ونجاستها، ومؤثرا في سائر الأحكام وبعضهم لم يعدّه علة على الإطلاق إلا أنهم رجحوا تبديل الحكم في بعض الأشياء بهذه العلة، واختلفوا في بعضها وذلك لما عندهم من الأدلة[٩٦].

ثانيا: الموقف الشرعي لإعادة التدوير

دعا الإسلام الناس جميعاً إلى الإسهام في إعمار الأرض بتنمية عناصرها، والمحافظة عليها، واستخلف الله الإنسان في الأرض ليستفيد من خيراتها دون إسراف أو تبذير أو فساد حيث قال تعالى: {وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا}. ولذلك فعلى المسلمين جميعاً الحفاظ على عناصر البيئة والتعاون المشترك في حمايتها وتنميتها هو امتثال لتعليمات الدين الإسلامي ، وكذلك هو واجب انساني يجب الوفاء به [٩٧].

وفي التراث الإسلامي ما يشير الى الحافظ على الموارد الطبيعية ومنها قول الرسول الاعظم (ص) « مَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَقَالَ مَا هَذَا السَّرَفُ فَقَالَ أَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ قَالَ نَعَمْ وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ جَارٍ» [٩٨] . والمروي عنه ايضا (ص) قال: «...إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ عَنْهَا الْأَذَى وَلْيَأْكُلْهَا.. ». [٩٩] ويلاحظ كيف يحث الرسول(ص) على الحفاظ على البيئة وعلى النعم في وقت واحد وهذه من نعم الله علينا .

ولاشك ان الإسلام اعتنى بالموارد الطبيعية والبيئة بشكل خاص ، فيما ورد من خلال الروايات الاهتمام بها والافادة من مخلفاتها ، ومن هذه إشارات التي تزيد الانتفاع من هذه المخلفات هي ما قاله الرسول (ص): « مَرَّ عَلَى شَاةٍ مَيِّتَةٍ مُلْقَاةٍ فَقَالَ لِمَنْ هَذِهِ فَقَالُوا لِمَيْمُونَةَ فَقَالَ مَا عَلَيْهَا لَوْ انْتَفَعَتْ بِإِهَابِهَا قَالُوا إِنَّهَا مَيْتَةٌ فَقَالَ إِنَّمَا حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَكْلَهَا »[١٠٠]. وفي الرواية دلالة واضحة ان الرسول (ص) يأمر الناس بالانتفاع بجلد شاة ميتة ، وهذا يدل على اهتمام الإسلام بكل الأمور ومنها تدوير المخلفات والاستفادة منها على الوجه الاكمل ، وايضا اشارة واضحة بعدم الاسراف والاهدار في الموارد الطبيعية . وفيها دعوى الى الإنسان بان يكون معتدلا وسطيا يراعي الانفاق والاستهلاك اليومي ، . وبما ان المخلفات لها ضرر كبير على البيئة والفرد فيجب معالجتها وايجاد الطرق للاستفادة منها بطرق مشروعة مع مراعاة المصلحة العامة .

وتوجد عدة إشارات حول استخدام الموارد المختلفة ان لم يكن فيها ضرر، حتى ان بعض الفقهاء أجاز غسل أوراق المصحف التي خلقت وتعذرت قراءتها، ومما يدل على أفضلية ذلك ما يلي[١٠١] :

« أولاً: أن الغسل أمر متعارف عليه عند المسلمين في تحفيظ الصبيان القرآن، حيث يكتب في اللوح ويمحى بعد حفظه ويكتب للطالب غيره .

ثانياً : أن غسل الكتابة من الورق وإزالة حبرها تمكن من الاستفادة من الورق بعد غسله بدلاً من إتلافه بالحرق أو الدفن، ولا سيما قد وجد في هذا الوقت مصانع متخصصة في الاستفادة من الورق بعد إزالة ما عليه من كتابة وأحبار . ومن المعلوم أن من مقاصد الشريعة الغراء حفظ الأموال وعدم إهدارها وإضاعتها، فقد روى الإمام البخاري . يرحمه الله . في صحيحه عن النبي (ص) أنه قال: "إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال"[١٠٢].

ثالثاً: إن ما تقوم به المصانع . المتخصصة في إعادة تصنيع الورق . بعد فصل الكتابة والأحبار عنه . من شراء للأوراق التالفة يشجع الناس على حفظ الأوراق التالفة . سواء أكانت أوراق المصحف أم غيرها من

الأوراق المشتملة على ذكر الله . وتجميعها لبيعها للمصانع، ويقلل من إلقاء الناس لها في القمامة مما يساعد على حفظها وعدم امتهانها .

رابعاً: من القواعد الفقهية أنه لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان . وفي هذا الزمن فإن غسل ما على الورق من كتابة وأحبار ثم إعادة تصنيعه هو أسلم الوسائل للتخلص من الأوراق التالفة، وذلك لكثرة استعمال الورق في هذا الوقت » .

لاقت البيئة عناية كبيرة في التشريع الفقهي، وفي كل أبواب الفقه ولم نجد هذه التسمية مصطلح البيئة بشكل صريح فيها ، ولكن ذكر بمعان متنوعة في أبواب شتى من ابواب الفقه الإسلامي. ولعل ما وجدناه في كتاب الطهارة، من جملة أحكام ثبتت بالقرآن الكريم والسنة الشريفة.

والفقه الإسلامي لا يتصل بالبيئة بوصفه أحكاما فحسب، بل يتصل بالبيئة اتصالا وثيقا بوصفه قواعد كلية كذلك، وتستهدف دعوة الإسلام إلى نظافة البيوت المحافظة على الصحة العامة؛ لأن تراكم الأوساخ في البيوت يعطي الحشرات والجراثيم مجالاً رحبًا للانتشار والتكاثر فضلاً عن انبعاث الروائح الكريهة التي تزكم الأنوف، وتجعل البيوت مكانًا غير صالح للإقامة فيه [١٠٣] .

وقد ارتبطت نظافة البيئة في الإسلام ارتباطًا مباشرًا بالطهارة سواء طهارة البدن، أو طهارة المكان والتي تشمل الأسواق والمساجد وغيرها من الأماكن التي يقيم الإنسان فيها بصورة دائمة أو مؤقتة، فالمساجد هي البيوت المعدة لأداء الصلاة ولاجتماع المسلمين لطلب العلم والتفقه في الدين، ولذلك كان الاعتناء بنظافتها وهو ما أكده أيضًا الرسول (ص) بقوله: «البصاق في المسجد خطيئة وكفّارتها دفنها»[١٠٤] .

ثالثا: إعادة تدوير الأوراق المشتملة على الكلمات المقدسة

ان الأوراق المشتملة على آيات أو أحاديث أو أسماء الله تعالى الحسنى او اسم النبي (ص) وأسماء الائمة(ع)، في الكتب والصحف والمجلات وأوراق إجابات الطلاب وغيرها ، وقد وردت روايات عدة تشير الى احكام كثيرة بخصوص هذه الأوراق ،قد رَوَى الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) عن النبي المصطفى محمد (صلى الله عليه و آله) قائلاً : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) : «

امْحُوا كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى وَ ذِكْرَهُ بِأَطْهَرِ مَا تَجِدُونَ ، وَ نَهَى أَنْ يُحْرَقَ كِتَابُ اللَّهِ ، وَ نَهَى أَنْ يُمْحَى بِالْأَقْلَامِ» . [١٠٥]

وعَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُتْبَةَ أنه سأل الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) عَنِ الْقَرَاطِيسِ تَجْتَمِعُ هَلْ تُحْرَقُ بِالنَّارِ وَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ؟ قَالَ : « لَا ، تُغْسَلُ بِالْمَاءِ أَوَّلًا قَبْلُ » [١٠٦] ، الى غيرها من الأحاديث التي يُفهم من مجموعها أن الغرض هو لزوم تجنيب المصحف الشريف من كل ما فيه مهانة له . فقد ذهب بعض أهل العلم إلى التخيير بين الغسل والإحراق وقد قال ابن عبدالسلام: «من وجد ورقة فيها البسملة ونحوها لا يجعلها في شق ولا غيره لأنها قد تسقط فتوطأ، وطريقه أن يغسلها بالماء أو يحرقها بالنار صيانة لاسم الله تعالى عن تعريضه للامتهان ».

يلاحظ أن الأوراق المشتملة على ذكر الله تعالى لا تثبت لها حرمة أوراق المصحف حتى ولو اشتملت هذه الأوراق على آيات من القرآن الكريم، قال ابن قدامة : « ويجوز للمحدث مس كتب التفسير والفقه وغيرها، والرسائل، وإن كان فيها آيات من القرآن، بدليل أن النبي (ص) كتب إلى قيصر كتاباً فيه آية، ولأنها لا يقع عليها اسم المصحف، ولا تثبت لها حرمته» [١٠٧]، وقال النووي : «لأن النبي (ص) كتب إلى دار الشرك كتاباً فيه شيء من القرآن مع نهيه . (ص) . عن المسافرة بالقرآن إلى دار الشرك، فدل على أن الآيات في ضمن كتاب لا يكون لها حكم المصحف والله تعالى أعلم » [١٠٨]. وجاء في « فتاوى اللجنة الدائمة » : « ما اندرس من أوراق المصحف الشريف فإنه يحرق أو يدفن في مكان طاهر صيانةً له من الامتهان » [١٠٩] .

وقد سئل علماء اللجنة الدائمة للإفتاء عن إعادة تصنيع الأوراق التالفة من المصاحف وكتب السنة . «هل يجوز للمسلمين أن يضعوها في الماكينة بالمصنع مع كمال الاحترام والماكينة تغير هيئتها بالأدوية وتصير مثل القطن وبعده تصنع منها أوراقا جديدة ؟فأجابوا : أولا : يجب صيانة الأوراق المكتوب بها القرآن العظيم ؛ لأنه كلام رب العالمين ، فيحرم امتهانها أو تعريضها للإهانة . ثانيا : لا يجوز تمكين غير المسلمين من مس الكتاب الكريم » .[١١٠]

وفي معرض السؤال عن إعادة تدوير هذه الأوراق للاستفادة منها، ما هو الحكم الشرعي المترتب على إعادة تدوير المصاحف وكذلك المجلات والكتب الإسلامية؟

الجواب وبالله التوفيق: «لا بأس إن شاء الله تعالى بإعادة تدوير أوراق الصحف والكتب الشرعية وغيرها والمصاحف الشريفة كذلك، قياساً على غسلها لإعادة الاستفادة من صحفها أو ألواحها أو نحوها. . وقد نص الفقهاء على ذلك، ففي التذكار في أفضل الأذكار لمحمد بن أحمد القرطبي ص: ١٢٩ (قال في آداب حامل القرآن: أن لا يتخذ الصحيفة إذا بليت ودرست وقاية للكتب فإن ذلك جفاء عظيم، ولكن يمحوها بالماء). وفي الفتاوى الهندية ٣٢٢/٥ جاء فيها ما نصه: (ولو محا لوحاً كتب فيه القرآن واستعمله في أمر الدنيا يجوز). وجاء في رد المحتار لابن عابدين الشامي ٦٠٥/٩ نقلاً عن صاحب الذخيرة ما نصه: (المصحف إذا صار خلِقاً وتعذرت القراءة منه لا يحرق بالنار، ولا يكره دفنه، وإن شاء غسله بالماء). وفي النهاية على المنهاج للرملي ١١٢/١، قال: (يجوز محو ما كتب عليه شيء من القرآن وشربه). ا هـ. فدل كل ذلك على جواز مثل هذا الفعل؛ لأن التدوير هو في معنى الغسل لإعادة الانتفاع بالمادة، وذلك أصون للكتب والمصاحف الشريفة، خشية من ابتذالها المحرم. غير أن المصاحف أو الكتب إذا كانت موقوفة، فإنه يتعين أن يصرف ثمنها في مثلها، صوناً للوقف من الضياع ومحافظة على شرط الواقف ما أمكن»[١١١].

وسنذكر بعض فتاوى علماء الشيعة المعاصرين منهم: بعض الفتاوى التي صدرت من موقع السيد السيستاني بخصوص أوراق المصحف[١١٢]

السؤال: كتب واوراق دينية فيها آيات قرآنية اريد التخلص منها هل يجوز حرقها سواء كانت نجسة او غيرنجسة ؟ الجواب: لا يجوز الحرق ان كان هتكاً بل مطلقاً على الأحوط وان كانت نجسة وجب تطهيرها على الأحوط ويجوز التخلص منها بدفنها في بر او القائها في بحر ونحوها أو بإعادة تصنيعها .

السؤال: حول العمل في مكاتب للحاسبات ويتطلب عملي طباعة كتب تحتوي في مقدمتها عبارة (بسم الله الرحمن الرحيم) او آيات قرآنية وعادة ما تتبقي نسخ بها اخطاء وعند اتلافها كنت اقوم باقتطاع العبارة

ثم تقطيعها الي حروف لتصبح غير مفهومة ثم ارميها وعلمت انه توجد طرق اخري كرميها في الماء الجاري او دفنها وكذلك قالوا لي يمكنك ان تحرقها، فما هو الحكم ؟ الجواب: لا يكفي التقطيع الا اذا صارت كالتراب ولا يجوز الحرق ان كان هتكاً بل مطلقاً علي الاحوط ويجوز دفعها الي من يعيد تصنيعها ان وجد كما يجوز الدفن او الالقاء في الماء ونحوه من غير هتك.

السؤال: بعض الأوراق أو الصحف أو المجلات فيها أسماء أشخاص وهي مشابهة لأسماء الأنبياء والأئمة (ع) وقد تُلقى في النفايات فهل هذا جائز؟ الجواب: إذا عُدّ هتكاً فلا يجوز، والأولى جمعها وإلقاؤها في ماء جاري أو دفنها في الأرض .

السؤال: بعض الأوراق تحمل أسماء الجلالة أو أسماء المعصومين (ع)، وبعض الآيات القرآنية، ولا يتيسر لنا رميها في البحر أو النهر فكيف نصنع بها، علماً بأننا لا ندري أين تذهب أكياس النفايات هذه؟ وماذا يصنع بها؟ الجواب: لا يجوز وضعها في أكياس النفايات لما في ذلك من الهتك والإهانة، ولكن لا مانع من إزالة كتابتها، ولو ببعض المواد الكيميائية، أو دفنها في مكان طاهر، أو تقطيعها الى جزئيات صغيرة جداً كالتراب.

السؤال: يرمي الناس الجرائد والمجلات وبعض الكتب المحترمة في أماكن تجمع النفايات برغم احتوائها على بعض الآيات القرآنية أو اسماء الله سبحانه وتعالى؟ الجواب: لا يجوز ذلك، ويجب رفعها من تلك الامكنة وتطهيرها اذا اصابها شيء من النجاسة.

ومن أجوبة السيد الخامنئي على بعض الأسئلة بهذا الخصوص .[١١٣]

س: ما هي الطُّرق الشرعيّة لمَحْو الأسماء المباركة، والآيات القرآنية عند الحاجة إلى ذلك؟ وما هو حكم إحراق الأوراق المكتوب عليها اسم الجلالة والآيات القرآنية إذا دعت الضرورة إلى محوها تحفُّظاً على الأسرار؟ ج: لا إشكال في دفنها في التراب، أو في تحويلها إلى عجين بالماء، وأمّا الإحراق فمشكل، وإذا عُدّ هتكاً فلا يجوز، إلّا إذا اقتضت الضرورة ولم يتيسّر اقتطاع الآيات القرآنيّة والأسماء المباركة منها.

س: ما هو حكم تقطيع الأسماء المباركة والآيات القرآنية تقطيعاً كثيراً، بحيث لا يبقى حرفان منها متّصلَين وتصبح غير قابلة للقراءة؟ وهل يكفي في محوها وإسقاط أحكامها تغيير صورتها الخطيّة بإضافة حروف عليها أو بحذف بعض حروفها؟ ج: لا يكفي التقطيع إذا لم يوجب محو كتابة لفظ الجلالة والآيات القرآنية، كما لا يكفي تغيير الصورة الخطّية لزوال الحكم عن الحروف التي رُسمت بقصد كتابة لفظ الجلالة، نعم لا يبعد في تغيير صورة الحرف زوال الحكم إلحاقاً له بالإمحاء، وإن كان الأحوط التجنُّب عن مسِّها من دون وضوء

ومن أجوبة السيد الخوئي[١١٤]

سؤال: بعض المدرسين المؤمنين الذين يدرسون التربية الدينية يشكون من تكدس الاوراق لطلابهم المكتوب فيها آيات قرآنية، فهل يجوز حرقها مع حصول الحرج من رميها في البحر أو في الاماكن النائية، لما ينتج من ذلك اتهامهم بتلويث البيئة؟ : لا يجوز حرقها، وان كان رميها حرجيا في البحار دفنها في أماكن نظيفة، والله العالم. السيد الخوئي: ما لم يكن الاكل عليها مهانة وهتكا لا بأس، والا فلا يجوز، كما لا يجوز رميها حيث يكون هتكا، والله العالم.

سؤال: هل يجب على الانسان التقاط الاوراق المرمية في الشوارع إذا كانت تحتوي على آيات قرآنية، أو لفظ الجلالة مع العلم بها، أو مع الاحتمال؟ جواب: إذا علم باشتمالها على المحترمات يجب الالتقاط ومع الاحتمال لا يجب.

سؤال : هل يجوز رمي أسماء (لفظ الجلالة) في القمامة بعدم نية الاهانة؟ وما حكمها إذا كانت مرمية؟ الخوئي: لا يجوز ذلك، وان لم تقصد الاهانة، ويجب تخليص المرمي من هناك، والله العالم. سؤال: هل يجوز رمي الآيات القرآنية وأسماء الله (تبارك وتعالى) بعد تغيير هيئتها مثل الشطب عليها، أو تغييرها بحيث لا يعرف معناها عند القراءة؟ جواب: نعم يجوز ذلك، بعد محوها تماما كما لعله الظاهر من السؤال، والله العالم.

محمد حسين فضل الله .[١١٥]

س: لدينا شركة في البلد تقوم بتجمع المخلفات الورقية وتقوم بإعادة تدويرها في تصنيع أشياء ورقية أخرى. علما بأن هذه المخلفات قد تتحوي على كتب أو جرائد يومية بها أسماء الجلالة وآيات قرآنية. ونحن نود التعامل مع هذه الشركة بإعطائها مثل هذه المخلفات. فهل يجوز لنا ذلك. ج: يجوز ذلك، ومهما كانوا سيصنعون بذلك الورق فلا يصدق عليه أنه هتك لما تشمل عليه من آيات وألفاظ جلالة.

س: هل يجوز رمي الجرائد والمجلات التي تحتوي على اسم الله؟ وما هو الذي لا ينبغي علينا فعله؟ ج: لا بد من التحرز عن رميها في الاماكن التي توجب الإهانة والهتك.

س: هل يجوز رمي الاوراق التي تحتوي على اسم الله ضمن الاوراق التي يعاد تصنيعها مرة اخرى (تدويرها) لغرض الاستفادة منها مره اخرى ؟ ج: يجوز ذلك إلا ما يعد هتكا لاسم الجلالة.

س: هل يجوز رمي الجرائد والمجلات التي تحتوي على اسم الله؟ وما هو الذي لا ينبغي علينا فعله؟ ج: لا بد من التحرز عن رميها في الاماكن التي توجب الإهانة والهتك.

س: لديٌ مجموعة من الاوراق والغلافات المكتوب عليها اسماء الله وآيات قرآنية بعضها ممزق... فهل يجوز لي احراقها؟ و إلا فما الذي يجب علي فعله. وماذا عن المصاحف الممزقة؟ ج: لا يجوز تعريض الآيات القرآنية للهتك من خلال الإحراق أو التنجيس، ويمكن إتلافها بغير ذلك كالآلة المعدة لإتلاف الأوراق.

الخاتمة:

بعد إتمام النعمة من الله تعالى، وبعد حمد الله سبحانه وتعالى على الانتهاء من البحث، وقبل أن أضع قلمي أودُّ أن أُسطِّر ما توصلت إليه من نتائج في هذا البحث، ثم أُردِفُ تلك النتائج ببعضِ التوصيَّات، وذلك على النحو التالي:

أن الحفاظ على البيئة ورعايتها هو واجب ديني تفرضه تعاليم الإسلام التي تحثّ على حماية البيئة والاهتمام بها، والتي تنهى عن الفساد والإفساد في الأرض، كما أنّه حماية البيئة والمحافظة عليها هو واجب اجتماعي، يجب أن تتكاتف من أجله الجميع المؤسسات والأفراد على حد سواء.

ولقد أجمعت الدراسات التي أجريت حول مشكلات التلوّث البيئي على وجود علاقة وثيقة بين إسراف الإنسان في تعامله مع مكونات البيئة المختلفة وبين التلوّث البيئي بجميع أشكاله، كما أن الإسراف يفضي إلى مشكلات بيئية أخرى لا يقتصر تأثيرها على الإنسان وحده بل يَمتدّ ليشمل باقي الأحياء التي تشاركه الحياة على كوكب الأرض. اعتمدَ التشريعُ الإسلامي على مبدأ المسؤولية الجماعية في حماية البيئة ورعايتها، وذلك من خلال إشراك الجميع في الحق في الاستفادة من عناصر البيئة جميعها، وكذا إشراكهم في مسؤولية حمايتها والحفاظ عليها.

وفي ختام هذه الورقة يمكن أن نستخلص أهمّ التوصيات التالية:

١- غرس فكرة العناية بالبيئة والمحافظة عليها لدى الناشئة من خلال المناهج والكتب الدراسية، ولكن لا يجب أن يلقى العبء على المؤسسات التعليمية فقط، بل يجب أن تتكاتف الجهود فتقوم الأسرة ومؤسسات المجتمع المدني بدورها التوجيهي والتربوي.

٢- إصلاح البيئة لن يتحقّق إلاّ إذا صلح الإنسان، لذا لا بد من تنمية الوعي البيئي بتثقيف الجماهير بصفة عامة، من خلال المؤسسات الثقافية والمنابر الدعوية والإعلامية.

٣- مناشدة الدول بسنّ القوانين والتشريعات الداخلية المتسمة بالصرامة في ملاحقة ملوّثي البيئة، وعدم التراخي في توقيع العقوبات عليهم، وملء الفراغ التشريعي في بعض البلدان النامية.

٤- اتِّباع آلية أفضل لتبادل المعلومات بين الدول والمنظمات الدولية الحكومية منه وغير الحكومية بشأن المشاكل البيئية تتّصف بالسرعة والدقّة، وبعيدة عن الجوانب الإجرائية والشكلية، وذلك للانتفاع بها واستخدامها في مواجهة أيّ خطر يهدد البيئة.

٥- ولاشك ان الإسلام اعتنى بالموارد الطبيعية فيما ورد اهتمامه أيضًا بالمخلفات والاستفادة منها، فهناك إشارات من شأنها أن تزيد الانتفاع من هذه المخلفات ما لم تخترق نهيًا صحيحًا صريحًا ضرورة نشر التوعية المجتمعية بأهمية المحافظة على البيئة وحرمة الاعتداء عليها وتلويثها. طرح الجوائز التحفيزية لمن يقوم بمساهمات أو أعمال مبتكرة تساعد وتساهم في تحسين البيئة وتحقيق جمالها.

٦- الاهتمام بفقه البيئة في دراسات الفقه الإسلامي بكليات الشريعة والقانون في الجامعات العربية والاسلامية. ان إعادة تدوير النفايات موجود في الطبيعة من غابات وصحاري منذ بدء الخليقة، حيث تتغذى بعض الكائنات الحية على فضلات الكائنات الحية الاخرى، فكانت عملية استرجاع النفايات منذ تلك العصور بإذابة المواد المعدنية وتحويلها الى مواد أخرى ، يعد عملية تدوير بحد ذاتها.

٨- حماية البيئة في الشريعة الإسلامية أمانة ومسئولية يتطلبها الإيمان، وتقتضيها عقيدة الاستخلاف في الأرض، وإذا كان من ثمرات الإيمان الصادق وآثاره الإخبات لله تعالى، وإخلاص العبادة إليه، فإن من ثمراتها أيضاً القيام بالتكاليف الشرعية كما أمر الله تعالى ورعاية البيئـة والمحافظة عليها كما خلقها الله رحمـة بالمخلوقات .

متابعة كلّيات الشريعة للمستجدات، وبيان الأحكام الشرعية بشأنها، من خلال تشجيع الأبحاث، وتدريس أساليب البحث في أحكام النوازل والمستجدات. فأسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يأخذ بأيدينا إلى ما فيه خير البلاد والعباد، إنه على كل شيء قدير وهو نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

---

١ الصحاح في اللغة، الجوهري مادة(حفظ)

٢ معنى الحفاظ في معجم المعاني الجامعhttps://www.almaany.com

٣ البقرة آية ٢٣٨

٤ وكيبيديا الموسوعة الحرة https://ar.wikipedia.org

٥ تدابير رعاية البيئة في الشريعة الإسلامية الكيلاني: ص ٢٢ ، مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون، عدد (٢)، ٢٠١٤م.

٦ القصص: آية ٧٧

٧ معجم مقاييس اللغة ،ابن فارس: ٢٩٠/١ ، لسان العرب ،ابن منظور ٣٦/١ ، تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي: ١٥٧/١ .

٨ لسان العرب ابن منظور ، ص ٣٨٠
٩ القاموس المحيط للفيروز آبادي مادة (بوأ)، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية القاهرة.
١٠ سورة الحشر: ٦.
١١ سورة يونس: آية ٨٧ .
١٢ مختار الصحاح ، الجواهري ص ٥٠
١٣ أحكام البيئة في الفقه الإسلامي، السحيباني ص٢٣ .
١٤ المدخل إلى العلوم البيئية، غرابية الفرحان ، ص١٣ .
١٥ البيئة والإنسان، علي رضا أبو زريق، ص٧، سلسلة دعوة الحق إصدار رابطة العالم الإسلامي، ١٤١٦هـ.
١٦ البيئة والمناهج الدراسية، أحمد إبراهيم شلبي ص١٦
١٧ أحكام البيئة في الفقه الإسلامي، مرجع سابق ص٢٥ .
١٨ المسؤولية عن الأضرار البيئية ،البحر: ص٣٠٥ ، مجلة دراسات ، علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية .
١٩ البيئة مفهومها العلمي المعاصر وعمقها الفكري و التراثي ، رجاء وحيد الدويدري ص ٢٤
٢٠ البقرة/٢٢
٢١ التلوث و حماية البيئة محمد منير حجاب، ص ١٣؛ حماية البيئة الطبيعية في الشريعة الإسلامية . ص ٢٨
٢٢ الأعراف: آية /٨٥.
٢٣ الإسلام وحماية البيئة ، دنيا شوقي ص٢٤ مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، الرياض، العدد ٤٨، السنة ٢٠٠١م.
٢٤ حماية البيئة دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون الكويتي المسيكان: ص ٢٠ ، رسالة ماجستير ، جامعة الشرق الأوسط، سنة ٢٠١٢م.
٢٥ صحيح مسلم: كتاب الإيمان: ح٥١ .
٢٦ البقرة: آية ٣٦.
٢٧ البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامي، للدكتور عبد الستار أبو غدة، بحث مقدم إلى مجمع الفقه الإسلامي في دورته التاسعة عشرة.
٢٨ البيئة والحفاظ عليها في الشريعة الإسلامية ، عصام الدين مصطفى الشعار، إسلام أون لاين. نت.
٢٩ الإسلام والبيئة خطوات نحو فقه بيئي، للشيخ حسين الخشن، ٢٣، نشر دار الهادي بيروت، ٢٠٠٠

٣٠ مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، عبد المجيد النجار، ٢٠٩.
٣١ الإنسان والبيئة والتنمية من منظور إسلامي، أحمد فؤاد باشا، المجلة العالمية الخيرية، العدد (٢٠٨)، السنة التاسعة عشر، رجب ١٤٢٨هـ .
٣٢ ملاحظات على واقع حياتنا المعاصر؛ محمد جعفر آل حسن. مجلة ٢٦ سبتمبر ١٩٩٩ ؛١١- الواحة العدد ١٠
٣٣ كيف نحافظ على البيئة بواسطة: سناء الدويكات موقع موضوع https://mawdoo٣.com
٣٤ ابن منظور، لسان العرب، ، ج ٤ص ٢٩
٣٥ المعجم الوجيز، معجم اللغة العربية ، ج ١ ط: ١؛ القاهرة، مصر العربية ، ١٤٠٠ هـ ص ٥٦٧
٣٦ مختار الصحاح الجوهري مادة (لوث)
٣٧ البيئة ومشكلاتها، رشيد الحمد ومحمد سعيد صابريني، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت: دار . المعرفة، ص ٦٤
٣٨ التلوث البيئي ، محمد حسين عبد القوي، مركز الإعلام الأمني ص ٢
٣٩ ملاحظات على واقع حياتنا المعاصر ،محمد جعفر آل حسن. ؛ مجلة ٢٦ سبتمبر ١٩٩٩ ؛١١- الواحة العدد ١٠
٤٠ البقرة/٢٠٥
٤١ البقرة/٢٧
٤٢ الأعراف/٥٦
٤٣ قضايا البيئة من منظور إسلامي حسين حمدان،ص١٥٢
٤٤ الروم/٤١
٤٥ تفسير الميزان . ج١٦
٤٦واقع المفاهيم التربوية البيئية"، عارف أسعد جمعة، مجلة جامعة دمشق، كلية التربية، دمشق، مجلد ٢٧ .
٤٧ الأعراف/١٠
٤٨ تلوث البيئة فساد في البر والبحر، محمَّد فيض الله الحامدي، بحث منشور في مجلة نهج الإسلام، العدد (٦٣) رمضان ١٤١٦هـ ،ص١٦٠.
٤٩ ميزان الحكمة، للريشهري ج٢، ص١٤١
٥٠ م.ن
٥١ ميزان الحكمة، ج٢، ص١٤١

٥٢ بحار الأنوار، للمجلسي ، ج٦٩، ص١١٣.
٥٣ وسائل الشيعة، للحر العاملي ج١، ص٢٤٩
٥٤وسائل الشيعة، ج١، ص٣٢٤.
٥٥ م.ن
٥٦ إعادة التدوير.. حيث تلتقي البيئة مع الاقتصاد ، هدى مسعود.. . إسلام أون لاين؛ ٩ فبراير ٢٠٠١
٥٧ أهمية إعادة التدوير كتابة رانيا سنجق – https://mawdoo٣.com
٥٨إعادة التدوير و كيفية الحفاظ على البيئة https://www.albayan.ae
٥٩ مقالة للدكتور قاسم محمد شاكر جامعة الكوفة ، كلية الهندسة /القسم المدني
e-mail: qasimm.alabbasi@uokufa.edu.iq
٦٠ فوائد اعاده التدوير ، سلام عبابنة. موقعه على الانترنيت
٦١ أهمية إعادة التدوير كتابة رانيا سنجق – https://mawdoo٣.com
٦٢ تفاقم التلوث والنفايات في الدول الصناعية؛ جريدة البيان الخميس ٢٣ جمادى الآخر ١٤٢١ هـ الموافق ٢١ سبتمبر ٢٠٠٠
٦٣ إعادة التدوير. د. هدى مسعود. حيث تلتقي البيئة مع الاقتصاد. . إسلام أون لاين.
٦٤ اليابان تدخل عصرا جديدا من معالجة النفايات"، بي بي سي عربية، ٢٠٠٣-٧-٢٤. .
٦٥أهمية إعادة التدوير https://www.aljazeera.nethildm
٦٦ لسان العرب مادة (حول)، ج١١/ ص١٨٩ . مختار الصحاح ، الرازي (حول)، ص٨٧.
٦٧ الحدائق الناضرة، ، يوسف بن أحمد البحراني ، ج١/ص١٦١ .
٦٨ موسوعة التعاريف الكيميائية، احتراق،. http://www.biochemistry٤all.com
٦٩الاستحالة، الغنانيم: ، ١١٠.
٧٠ الموسوعة الفقهية مباحث الاعيان النجسة ، الجزء ١ ، ص٣٢٥ ، الكاساني ، بدائع الصنائع ج١/ ص٨٤
٧١ حاشية ابن عابدين ، كتاب الطهارة، باب الأنجاس، ٣٤١/١
٧٢ الذخيرة، كتاب الطهارة، الباب الأول في الطهارة، ١٨٨/١.
٧٣ الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي ، ج١ / ص١٢١ .

٧٤ المهذّب للشيرازي، كتاب البيوع، باب ما يجوز بيعه وما لا يجوز، ١/٢٦١.

٧٥ م.ن ج ١/ص١١٣.

٧٦ الموافقات. الشاطبي ، ج ٢/ص١٢ .

٧٧ مجمع الفقه الاسلامي الدولي،http://www.iifa-aifi.org

٧٨ تغير الماهية وأثره في الأحكام الفقهية ، أبو الرضاء محمد نظام الدين الندوي مجلة دراسات الجامعة الإسلامية العالمية، ص٩-١٤

المجلد الثالث، ديسمبر ٢٠٠٦م .

٧٩ أثر المستجدات الطبية في باب الطهارة ، ٢١٢ . الاستحالة، ١٠٨ .

٨٠ لسان العرب، ج١١، ص٢٧٠.

٨١ المفردات، ج١، ص٤٨١ .

٨٢ الكهف ١٨.

٨٣ الزخرف/ ١٦.

٨٤ الفقه على المذاهب الخمسة ج١ ص١٢٣

٨٥ النهاية الإحكام في معرفة الأحكام ج١ ص٢٩٢.

٨٦ الوسائل، ج٢٥، ص٣٧١، ب ٣١ من الأشربة المحرّمة، ح ٣.

٨٧ م.ن

٨٨ مستند الشيعة، ج١، ص٣٣٣. جواهر الكلام، ج٤، ص٢٩١.

٨٩ التنقيح في شرح العروة (الطهارة)، ج٣، ص٣٤١ النهاية، ج١، ص٥٩٢.

٩٠ النهاية الإحكام في معرفة الأحكام ج١ ص٢٩٢

٩١ التنقيح في شرح العروة (الطهارة)، ج٣، ص١٨٤ . مستند الشيعة، ج١، ص٣٣٢.

٩٢ مهذب الأحكام ، السبزواري ج ٢، ص ٨٦ ـ ٩٠.

٩٣ الحدائق الناضرة، ج ٥، ص ٤٧٣.

٩٤ مستند الشيعة، النراقي، ج ١، ص ٣٢٦.

٩٥ جامع المقاصد، الكركي، ج ١، ص ١٨١.

٩٦ تغير الماهية وأثره في الأحكام الفقهية *أبو الرضاء محمد نظام الدين الندوي ص٤٦

٩٧ المخلفات وتدويرها في ظل الشريعة واحكامها ، عماد حسن ابو العنين ص٢٣١

٩٨ سنن ابن ماجة، الحديث ٣٦١٠ باب الطهارة

٩٩ جامع مسلم الحديث ٢٠٣٤، أبو داود ٣٨٤٥، الترمذي ١٨٠٣.

١٠٠ سنن أبو داود ٤١٢٠.

١٠١ مدخل للامن البيئي المستدام ،قاسم الخطيب عمان، ص١٠٢

١٠٢ رواه البخاري ١/ ٤٢٨

١٠٣ التلوث البيئي وأثره على صحة الإنسان، محمَّد السيد أرناؤوط، ص٢٣٢.

١٠٤ رواه البخاري ١/ ٤٢٨ في المساجد رقم (٥٥٢) في المساجد، باب النهي عن البصاق في المسجد،

١٠٥ الكافي للكليني : ٢ / ٦٧٤

١٠٦ م.ن

١٠٧ المغني لابن قدامة ج١ ص٩٩ كتاب الطهارة

١٠٨ تدوير المخلفات المنزلية وكيفية الاستفادة منها، مجلة امال عربية، الدكتور محمد سليمان النور.

١٠٩ فتاوى اللجنة" (٤/٥٣ – ٥٥) . https://islamqa.info/ar/answers

١١٠فتاوى اللجنة" (٤/٥٣ – ٥٥) .

١١١ موقع الإسلام في سؤال وجواب

١١٢ موقع المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله)

١١٣ من فتاوى وليّ أمر المسلمين السيّد الخامنئي أجوبة الإستفتاءات: كتاب الطهارة) http://saraer.org/essaydetails

١١٤ https://www.al-khoei.us/books مؤسسة الامام الخوئي الخيرية

١١٥ الموقع الرسمي لمؤسسة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله (رض)http://arabic.bayynat.org

المصادر والمراجع:

-القران الكريم.

١- أحكام البيئة في الفقه الاسلامي د.عبد الله بن عمر السحيباني : ...الطبعة الأولى ، دار ابن الجوزي ١٤٢٩ .

٢-الإنسان والبيئة والتنمية من منظور إسلامي، د. أحمد فؤاد باشا، المجلة العالمية الخيرية، العدد (٢٠٨)، السنة التاسعة عشر، رجب ١٤٢٨هـ، أغسطس ٢٠٠٧م.

٣-الإسلام والبيئة خطوات نحو فقه بيئي، للشيخ حسين الخشن، نشر دار الهادي بيروت، ٢٠٠٠

٤- الإسلام وحماية البيئة، دنيا شوقي ، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، الرياض، العدد ٤٨، السنة ٢٠٠١م.

٥-بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار المؤلف : الشيخ محمد باقر المجلسي. الناشر : مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - بيروت. تأريخ الاصدار : ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٦-البيئة والإنسان، علي رضا أبو زريق، سلسلة دعوة الحق إصدار رابطة العالم الإسلامي، ١٤١٦هـ.

٧-البيئة والمناهج الدراسية، أحمد إبراهيم شلبي الرياض، مؤسسة الخليج العربي ١٩٨٤م.

٨-البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامي، للدكتور عبد الستار أبو غدة، بحث مقدم إلى مجمع الفقه الإسلامي في دورته التاسعة عشرة.

٩-البيئة مفهومها العلمي المعاصر و عمقها الفكري و التراثي ، رجاء وحيد الدويدري ، ط: ١؛ دمشق: - دارالفكر ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٠

١٠-البيئة والحفاظ عليها في الشريعة الإسلامية* إعداد: عصام الدين مصطفى الشعار مسئول النطاق الشرعي بشبكة إسلام أون لاين. نت

١١-البيئة ومشكلاتها، رشيد الحمد ومحمد سعيد صابريني، سلسلة عالم المعرفة الكويت: دار . المعرفة،

١٢-التشريعات العربية المتعلقة بأمن وحماية البيئة من التلوث محمد نعيم فرحات، ط؛ الرياض: جامعة نايف

١٣-تلوث البيئة فساد في البر والبحر، محمَّد فيض الله الحامدي، بحث منشور في مجلة نهج الإسلام، العدد (٦٣) رمضان ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، .

١٤-تفاقم التلوث والنفايات في الدول الصناعية ؛ جريدة البيان الخميس ٢٣ جمادى الآخر ١٤٢١ هـ الموافق ٢١ سبتمبر ٢٠٠٠

١٥-تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) المحقق: مجموعة من المحققين .. دار الهداية

١٦-تدابير رعاية البيئة في الشريعة الإسلامية الكيلاني: ، مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون، عدد (٢)، ٢٠١٤م.

١٧-التلوث و حماية البيئة محمد منير حجاب، ط: ٣؛ القاهرة: دار الفجر، ٢٠٠٢ م

١٨-التلوث البيئي وأثره على صحة الإنسان، محمَّد السيد أرناؤوط، مكتبة الأسرة، سلسلة العلوم والتكنولوجيا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٧م

١٩-تدوير المخلفات المنزلية وكيفية الاستفادة منها، مجلة امال عربية، الدكتور محمد سليمان النور.

٢٠التنقيح في شرح العروة الوثقى (الطهارة)، تقرير بحث السيد أبي القاسم الخوئي، الغروي، علي، قم . إيران، مؤسسة أنصاريان، ١٤١٧ هـ.

٢١-جامع المقاصد الكركي، علي بن حسين، ، قم . إيران، مؤسسة آل البيت عليهم السلام.png لإحياء التراث، ١٤٠٨ هـ.

٢٢-الحدائق الناضرة البحراني، يوسف بن أحمد، ، قم . إيران، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٥ هـ/ ١٤٠٩ هـ.

٢٣-حماية البيئة – دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون الكويتي المسيكان: رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، سنة ٢٠١٢م.

٢٤-حماية البيئة الطبيعية في الشريعة الإسلامية صفاء موزة، ط: ١؛ سورية: دار النوادر، ١٤٣١ هـ .

٢٥-سنن ابن ماجه المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب

٢٥-سنن الترمذي المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر

٢٦-سنن أبي داود المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد

٢٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين

٢٨-صحيح البخاري ، المؤلف: محمد بن إسماعيل البخاري أبو عبد الله؛ ؛ الناشر: دار ابن كثير ...

٢٩-صحيح مسلم المؤلف: مسلم بن الحجاج؛ المحقق: نظر بن محمد الفارابي أبو قتيبة الطبعة، دار طيبة

٣٠-العروة الوثقى اليزدي، محمد كاظم، ، قم . إيران، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٧ هـ.

٣١-الغنانيم، قذّافي عزات: الاستحالة وأحكامها في الفقه الإسلامي ط. ١ .عمان: دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤٢٨ – هـ ٢٠٠٨م.

٣٢-الفقه على المذاهب الأربعة الجزيري، عبد الرحمن بن محمد: كتاب. تحقيق: كمال الجمل، وآخرون ط. ١ .المنصورة: مكتبة الإيمان، ١٤١٩ - هـ ١٩٩٩م

٣٣--قضايا البيئة من منظور إسلامي د. حسني حمدان الدسوقي حمامة رابط الكتاب الذي نشر فيه: http://iswy.co/e16ovl

٣٤-القاموس المحيط المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧ هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم ... ،

٣٥-الكافي في الأصول والفروع لثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني الجزء: ١ الوفاة: ٣٢٩ المجموعة: مصادر الحديث الشيعية . قسم الفقه تحقيق: تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري الطبعة: الخامسة

٣٦-لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر - بيروت

٣٧-معجم مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد ... اشر الكتاب: دار الفكر

٣٨-المعجم الوسيط؛ المؤلف: إبراهيم أنيس - عبد الحليم منتصر ... ؛ الناشر: مجمع اللغة العربية - مكتبة الشروق الدولية ...

٣٩-المختار من صحاح اللغة؛ المؤلف: محمد محي الدين عبد الحميد - محمد عبد اللطيف السبكي؛ الناشر: مطبعة الإستقامة ، القاهرة

٤٠-المدخل إلى العلوم البيئية، غرابية الفرحان دار الشروق- عمان، سنة ١٩٨٧م .

٤١-المسؤولية عن الأضرار البيئية ،البحر: ص٣٠٥ ، مجلة دراسات - علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، المجلد (١٣)، العدد (٢)، السنة ٢٠٠٤م .

٤٢-المصباح المنير الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، ، قم . إيران، مؤسسة الهجرة، ١٤٠٥ هـ.

٤٣--مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة. المؤلف: د. عبد المجيد النجار. الناشر: دار الغرب الإسلامي. ، .

٣٨- ملاحظات على واقع حياتنا المعاصر محمد جعفر آل حسن. ؛ مجلة ٢٦ سبتمبر ١٩٩٩ ؛١١- الواحة العدد ١٠

٣٩-المعجم الوجيز، معجم اللغة العربية ، ج ١ ط: ١؛ القاهرة، مصر العربية ، ١٤٠٠ هـ

٤٠-المُخَلَّفَاتُ وتَدْوِيرُهَا فِي ظِلِّ الشَّرِيعَةِ وأحْكَامِهَا، عِمَاد حَسَن أَبُو العَيْنَيْنِ ، موقع صيد الفوائد http://www.saaid.net/Minute/233.htm

٤١-مدخل للامن البيئي المستدام ،قاسم الخطيب عمان، دار من المحيط الى الخليج للنشر .

٤٢-المغني ، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي ؛ المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي – عبد الفتاح الحلو.

٤٣-مستمسك العروة الوثقى محسن الحكيم ، ، بيروت . لبنان، دار إحياء التراث العربي، د.ت.

٤٤-مستند الشيعة النراقي، أحمد بن محمد، ، قم . إيران، مؤسسة آل البيتعليهم السلام.png لإحياء التراث، ط ١، ١٤٢٩ هـ.

٤٥-مهذب الاحكام في بيان الحلال والحرام ، عبدالاعلى السبزواري ، ، قم ـ إيران، مؤسسة المنار، ١٤١٧ هـ.

٤٦-منهاج الصالحين ، محمد محمد صادق الصدر، ، النجف الأشرف، هيئة تراث السيد الشهيد الصدر، ١٤٣٠ هـ.

٤٧-ميزان الحكمة تأليف: الشيخ محمد الريشهري الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الاولى ١٤٢٢هـ.

٤٨-الميزان في تفسير القرآن . المؤلف : السيد محمد حسين الطباطبائي. الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-بيروت : ١٤١٧هـ.

٤٩-مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون

٥٠-الموافقات الشاطبي، إبراهيم بن موس. تحقيق: عبد الله دراز. بلا رقم طبعة. بيروت: دار المعرفة، لم يذكر تاريخ النشر

٥١- نهاية الاحكام في. معرفة الاحكام ، العلامة الحلي الحسن يوسف بن علي المطهر الحلي، لناشر. مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة. الثانية. التحقيق. السيد مهدي الرجائي.

٥٢- واقع المفاهيم التربوية البيئية"، عارف أسعد جمعة، مجلة جامعة دمشق، كلية التربية، دمشق، .

٥٣ -موسوعة الأحاديث الطبية المؤلف: محمد الريشهري الجزء: ٢ الوفاة: معاصر المجموعة: طب تحقيق: مركز بحوث دار الحديث الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٢٥ – ١٣٨٣ش .

٥٤-تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ،تأليف : الفقيه المحدث الشيخ محمد بن الحسن بن علي الحر العاملي الناشر : مؤسسه آل البيت عليهم السلام

٥٥-إعادة التدوير.. حيث تلتقي البيئة مع الاقتصاد. د. هدى مسعود.. إسلام أون لاين؛ ٩ فبراير ٢٠٠١. https://archive.islamonline.net

٥٦-أهمية إعادة التدوير كتابة رانيا سنجق – https://mawdoo٣.com

٥٧-إعادة التدوير و كيفية الحفاظ على البيئة https://www.albayan.ae

٥٨- e-mail: qasimm.alabbasi@uokufa.edu.iq قاسم محمد شاكر كلية الهندسة /القسم المدني/ جامعة الكوفة

٥٩-اليابان تدخل عصرا جديدا من معالجة النفايات"، بي بي سي عربية، ٢٠٠٣-٧-٢٤. . أهمية إعادة التدوير https://www.aljazeera.nethildm

٦٠- تدوير المخلفات المنزلية وكيفية الاستفادة منها https://pulpit.alwatanvoice.com

٦١-فتاوى اللجنة" . https://islamqa.info/ar/answers

٦٢-موقع الإسلام في سؤال وجواب

٦٣-موقع المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله)

٦٤-من فتاوى وليّ أمر المسلمين السيّد الخامنئي أجوبة الإستفتاءات: كتاب الطهارة http://saraer.org/essaydetails

٦٥- https://www.al-khoei.us/books مؤسسة الامام الخوئي الخيرية

٦٦- الموقع الرسمي لمؤسسة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله (رض) http://arabic.bayynat.org

٦٧-معنى الحفاظ في معجم المعاني الجامع https://www.almaany.com

٦٨- وكيبيديا الموسوعة الحرة https://ar.wikipedia.org

٦٩ -كيف نحافظ على البيئة بواسطة: سناء الدويكات موقع موضوع https://mawdoo٣.com

٧٠- التلوث البيئي محمد حسين عبد القوي، مركز الإعلام الأمني https://zatak.kenanaonline.com،

بناء برنامج تعليمي قائم على مهارات الاستماع لتلامذة المرحلة الابتدائية

م.د. عقيل عبد الرضا صادق
كلية التربية الأساسية/ جامعة الكوفة

المقدمة:

بالنظر لأهمية مرحلة التعليم الأساسي (الابتدائية) كونها تعد الركيزة في بناء شخصية الفرد، وكذلك أهمية اللغة ومهارتها وما تقوم به من دور في تعلم التلامذة ونموهم المعرفي والوجداني والنفس حركي؛ لذا يركز البحث الحالي اهتمامه في بناء برنامج تعليمي قائم على مهارات الاستماع لتلامذة المرحلة الابتدائية، يمكن الباحثين والمعلمين على حد سواء عند تطبيقه من تنمية الأداء التعبيري للتلامذة ومهاراتهم في الحديث، وقد استخدم الباحث لتحقيق هذا الهدف المنهج الوصفي، إذ اشتمل البرنامج المقترح على (١٤) موضوعا كل موضوع يقدم في درس منفرد يستغرق (٤٠) دقيقة، كما تضمن البرنامج طرائق وأساليب ونشاطات متنوعة.

الفصل الأول: التعريف بالبحث:

أولا: مشكلة البحث.

بدءً إن الحقيقة التي يجب أن تُعرف هي إن الاستماع عملية يصعب على التلامذة أجادة بعض جوانبها إذا قورنت بالقراءة، فالتلميذ لا يستطيع أن يسيطر على المعدل الذي ينبغي أن يصغي إليه والصفحة التي يسمع قراءتها وليست أمامه بحيث يستطيع العودة إليها وإعادة فحص ما تحتويه من أفكار، وفي مجال البحث عن أسباب إهمال مهارة الاستماع في العملية التعليمية نجد أن هناك من يرجع سبب هذا الإهمال الى اعتقادات خاطئة وأساليب تربوية غير صحيحة من هذه الاعتقادات بأن مهارة الاستماع شأنها شان غيرها من كثير من المهارات تنمو مع الطفل بشكل طبيعي كالمشي أو الكلام، ومنها الاعتقاد إن مهارة الاستماع تستعصي على البحث العلمي والقياس الكمي، وإن إهمال الاستماع في المنهج المدرسي أمر يدعو الى الدهشة ويؤدي الى ضرر بالغ، ولقد وجد اليوم إن التلامذة يحتاجون في المدرسة لأن يستمعوا

لكمية أساسية ومقررة من الوقت في اليوم المدرسي فالمعلمون يقدمون معظم توجيهاتهم شفويا ويقررون عادة واجبات التلامذة أيضا شفويا ويدرسون بطرائق شفوية ويستعملون الوسائل اللفظية لإثارتهم وتحريكهم، كما وجد إن أهمية الاستماع في الصفوف الخمسة الأولى تفوق أهمية القراءة (زهران وآخرون،٢٠٠٩: ص٢٧٤)، كما أشار (العزاوي ١٩٩٠) الى ضعف أداء التلامذة في اللغة العربية في المراحل الدراسية كافة، وهذا ينعكس سلبا على نمو المجتمع مما يتطلب تفعيل دور المعلم وقدرته في رفع المستوى اللغوي للمتعلمين (العزاوي،١٩٩٠: ص٢٥٦).

ومن خلال عمل الباحث في مجال اللغة العربية والتعامل مع معلمات المرحلة الابتدائية والمحادثات الاجتماعية مع الأسر وجد أن هناك شكوى وملاحظات تبديها المعلمات وأهالي التلامذة في المرحلة الابتدائية كون أبناؤهم لا يمتلكون قدرة على التعبير وإنهم يستعينون بالوالدين في إكسابهم تعابير مع توضيح معانيها لهم من اجل أن يقوموا بشرح مادة، وهذا يدفعهم الى حفظ نصوص جاهزة وهذا بالطبع يجعل الطالب ينسى المادة المتعلمة بعد فترة من الزمن وهذا واضح بعد عودة التلامذة للمدرسة بعد العطلة الصيفية، وقد يعود ذلك الى مهارات الاستماع التي أشار إليها ذوي التلامذة والمعلمات، ومن اجل تحديد المشكلة أكثر قام الباحث بدراسة استطلاعية، إذ توجه الى إحدى المدارس وبعد حصوله على موافقة إدارة المدرسة سأل (١٠) من تلامذة الصف الخامس الابتدائي أن يعبر كل منهم عن موضوع من اختياره، وقد وجد الباحث إن التلاميذ تحدثوا باللهجة العامية وعندما طلب منهم أن يكون الحديث باللغة العربية الفصحى أحرجوا وتلكأ من تقدم للحديث وقالوا إن هذا صعب عليهم لذا جاء البحث الحالي لبناء برنامج تعليمي قائم على مهارات الاستماع لتلامذة المرحلة الابتدائية.

ثانيا: أهمية البحث:

من أجل أن تحقق المؤسسة التربوية أهدافها فهي بحاجة الى المعلم الناجح الذي يحتاج الى امتلاك اللغة التي من طريقها يستطيع التعبير عما يجول في خاطره ونقل ما يمتلكه من معرفة الى الأجيال، وإذ تعد اللغة أداة التأثير والإقناع عند تفاعل المعلم مع تلامذته وبالعكس مما يدل على العلاقة الوثيقة بين اللغة

والمجتمع الذي يتكلم فيها، فهي المرآة الصافية والصادقة لحياة الأمة (عبد القادر،١٩٦١: ص١٢٥)، فاللغة واحدة من أبرز مقاييس تطور الأمم وارتقائها الى جانب كونها وسيلة التعلم وتحصيل المعارف؛ وتؤدي الى تكييف سلوك الفرد وضبطه وتوجيهه حتى يتناسب هذا السلوك مع تقاليد المجتمع وسلوكه، وهي عامل من عوامل التذوق الفني وذات علاقة كبيرة بالتفكير بل هي جوهر التفكير (خلف الله، ٢٠٠٢: ص١٥٥).

إن مهارة الاستماع تعد واحدة من المهارات الأساسية المهمة في اللغة، إذ إن لقدرة المتعلم على السمع أهمية بالغة وخاصة إذا ما عرفنا العلاقة التامة بين استماع الطفل الى الكلام وقدرته على إظهار ما استقر في سمعه من الأصوات اللغوية، ثم العلاقة بين الكلام المسموع والقراءة؛ فإذا كان الطفل غير قادر على الاستماع الجيد فانه سيجد صعوبة في ربط الأصوات المسموعة بالكلمات التي يراها (أبو معال،٢٠٠٠: ص٢٠)، وإن لمهارة الاستماع عند العرب من الأهمية بمكان، إذ كانوا يرسلون أبناءهم الى البادية لسماع اللغة من معينها، ولقد اكتسب الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) فصيح اللغة من مضارب قبيلة بني سعد، لذا نجد إن القرآن الكريم ركز على ضرورة تنمية حاسة السمع وقدمها على الحواس الأخرى مثل البصر بوصفها أقوى الحواس التي تساعد على إدراك الحقائق والمواقف واستيعابها بقوله عز وجل: ((وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)) (سورة النحل/آيه٧٨).

وهذا ما أشار إليه السابقون من جهابذة الألفاظ إذ كثيرا ما أكدوا على أهمية تلقي القرآن الكريم والعلوم والمعارف من أفواه الرجال وعدم الاكتفاء بقراءة الكتب ونجد ذلك صراحة في قول الخليل بن احمد الفراهيدي نقلا عن العسكري: ((إن الصحفي الذي يروي الخطأ عن قراءة الصحف بأشباه الحروف ... وقال غيره أصل هذا أن قوما كانوا قد اخذوا العلم عن الصحف من غير أن يلقوا فيه العلماء)) (العسكري:١٩٦٣،ص١٣)، وهذا دليل واضح إذ باستطاعة الفرد حفظ تراثه وتاريخه وما تلقاه من صدور الرجال كل ذلك عن طريق الاستماع، ويؤكد ابن خلدون على أن السمع أو الإنصات هو أبو الملكات

اللسانية ويجب أن يحتل مقاما رئيسا في التعليم؛ فالشيء الذي يعين المتعلم على فتق لسانه بالمحاورة والكلام والمناظرة، هو الانغماس الكلي في وسط لغوي عفوي، إذ يسمع ثم يقلد أو يردد ما يسمعه، وهذا ما أشار إليه (ابن خلدون) في معرض تفسيره لقول العامة أن اللغة للعرب بالطبع، إذ يقول: ((فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها...ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم، واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم)) (ابن خلدون، ١٩٨٤: ص٧٢٣)، إن من مظاهر القصور في أوجه النشاط اللغوي المتنوعة هو القصور في مهارة الاستماع إذ كثيرا ما يفوتنا بعض الأفكار مما نستمع إليه في المحاضرة وطالما طلبنا الى المتحدث إعادة المقطع المقروء حتى نتبين أفكاره (السيد،ب.ت:ص١٨).

ومن المؤكد أن المعلم يؤدي دورا مهما في الكشف عن بعض المظاهر التي تظهر ضعف السمع عند المتعلم مثل عدم الانتباه وسرعة الإرهاق وتحريك الرأس اتجاه مصادر الصوت والطلب بإعادة الكلام وتكرار سوء الفهم، فإذا أحس المعلم بمثل هذه المظاهر فعليه أن يطلب إحالة الطفل الى الفحص الطبي (أبو معال،٢٠٠٠: ص٢١) كما وجد أهمية الاستماع في الصفوف الخمسة الأولى تفوق أهمية القراءة (زهران وآخرون،٢٠٠٩: ص٢٧٤).

ونقل الشنطي عن (البجة ٢٠٠١) قوله: إن مهارة الاستماع أكثر المهارات استعمال في مجال اللغة ويعد الاستماع كالقراءة من حيث إن كلا منهما وسيلة للتعليم في المدرسة وخارجها، إذ إن بإمكان التلامذة أن يتعلموا في الصف بالاستماع الى شرح المعلم ومناقشاتهم، كما يمكن أن يتعلموا خارج قاعات الدرس في المنزل والشارع والعمل عن طريق الاستماع الى الندوات والمحاضرات والمناقشات وما أشبه (الشنطي،٢٠١٠: ص٢٠).

فالاستماع مهارة مهمة لفهم المتحدث، لان المستمع يستثمر كل جوارحه فيصغي بعينيه وقلبه، وانه أساس فنون اللغة في التعليم والتعلم معا، كما انه أساس في تحصيل التلميذ وتنمية مهاراته، والاستماع من جهة

أخرى يدرب الأفراد على حسن الإصغاء وحصر الذهن ومتابعة المتكلم وسرعة الفهم، فضلا عن إن الاستماع عماد كثير من المواقف التي تستدعي الإصغاء والانتباه، كالمناقشات والأحاديث والاستماع يساعد المعلم على إيصال المعلومة، وضبط الفصل وحسن إدارته، كما إن له الدور الفاعل في الحياة فهو أكثر نشاط يمارسه الفرد في حياته مقارنة بمهارات اللغة الأخرى (الشوبكي،٢٠١١: ص٣١-٣٢).

ومما تقدم تبرز أهمية الاستماع كفن ومهارة من مهارات اللغة العربية الواجب تعليمه والتدريب عليه حتى يصبح المتعلم مستمعا جيدا ينصت ويفهم ويحلل ويفسر ويقوّم المادة التي يسمعها ويبدي رأيه ويصدر أحكاما عليها، فالمستمع الجيد بالتأكيد سيكون متحدثا جيدا.

ثالثا: هدف البحث. يهدف البحث الحالي الى:

- بناء برنامج تعليمي قائم على مهارات الاستماع لتلامذة المرحلة الابتدائية.

رابعا: حدود البحث. تتحدد الدراسة الحالية بـ:

- موضوعات التعبير والمحادثة في كتاب القراءة للصف الخامس الابتدائي، للعام الدراسي ٢٠١٤-٢٠١٥.

خامسا: تحديد المصطلحات.

١- البرنامج التعليمي.

أ- لغة: هو الورقة الجامعة للحساب (الزبيدي،ب.ت،ص٨). والبَرْنَامَج{ مفرد}: وجمعه بَرَامِج، أو هو منهج موضوع أو خطة مرسومة لغرض ما (عمر،٢٠٠٨:ج١/ ص١٩٦).

ب- اصطلاحا. عرف أنه:

١. ((منظومة تدريس مكونة من عدد من الوحدات الدراسية أو التدريسية التي يجمعها موضوع محوري؛ مصممة لتحقيق أهداف تدريسية معينة ويستغرق تعليمها فصلا دراسيا أو عاما أو نحو ذلك)) (زيتون،٢٠٠١: ص٧٤٦).

٢. ((مجموعة الخبرات المخططة والمنظمة والمصممة لرفع مستوى تحصيل الطلبة في مادة مقررة ويتضمن الأهداف والمحتوى وطرائق التدريس والوسائل التعليمية والتقويم)) (آل عمر،٢٠٠٤: ص١٨).

٣. ((خطة محكمة لعمل منسق، أو سلسلة من العمليات المعدة سلفا التي تشكل في مجموعها عملية تعليمية متكاملة)) (فرج،٢٠٠٥: ص١٧٠).

ت- التعريف النظري.

مجموعة الإجراءات التعليمية المخطط لها بموضوعية في نظام متكامل يشمل خصائص المتعلمين والأهداف والمحتوى وطرائق التدريس والمناشط وأساليب التقويم ويعتمد التفاعل فيما بينها بهدف الوصول الى غايات محددة مسبقا خلال حصة دراسية أو عاما دراسيا كاملا.

ث- التعريف الإجرائي.

نظام تعليمي متكامل يشمل الأهداف والمحتوى وطرائق التدريس والمناشط ووسائل التعليم ووسائل التقويم بناه الباحث في ضوء مهارات الاستماع بهدف تنمية التعبير الشفوي لتلامذة الصف الخامس الابتدائي.

٢- مهارة الاستماع.

أ- لغة: المهارة والمَاهِرُ الحاذق بكل عمل، وأكثر ما يُنْعَتُ به: السّابِحُ المُجِيْدُ ... ومَهَرْتُ به أَمْهَرُ به مَهارةً؛ إذا صرتَ به حاذقا (الفراهيدي،ب.ت:ج٤، ص٥١)، والمَهَارَة [مفرد]:مصدر مَهَرَ/ مَهَرَ بـ/ مَهَرَ في، أي قدرة على أداء عمل بحذق وبراعة(عمر،٢٠٠٨:ج٣، ص٢١٣).

ب- اصطلاحا. عرفت بأنها:

١.((مهارة لغوية تمارس في اغلب الجوانب التعليمية ترمي الى انتباه المتعلمين على شيء مسموع بقصد فهمه والتفاعل معه لتنمية الجوانب المعرفية والوجدانية والمهارية)) (الهاشمي وفائزة،٢٠٠٥: ص٢٢).

٢. ((قدرة لغوية تمارس بدقة وتهدف الى جذب انتباه طلبة المرحلة الدراسية الى مادة صوتية وفهمها والتفاعل معها لتنمية الجوانب المعرفية والوجدانية والمهارية لديهم)) (أبو دية،٢٠٠٩: ص٩).

٣.((قدرة لغوية تمارس بأداء مميز وبإتقان فعال وتهدف الى جذب انتباه تلاميذ المرحلة الدراسية الى مادة متنوعة من الموضوعات الشيقة للتفاعل معها لتنمية الجوانب المهارية والمعرفية والوجدانية)) (الشوبكي،٢٠١١: ص٣٣).

ت- التعريف النظري:

أداء لغوي يمتاز بالسرعة والدقة والإتقان ضمن منظومة عقلية واعية لجذب انتباه المتعلمين نحو الشيء المتعلم والتفاعل معه ومن ثم تمكنهم من تحليله ونقده وتقويمه بهدف تنميتهم معرفيا ووجدانيا وحركيا.

ث- التعريف الإجرائي:

القدرة على تعليم التلامذة على وفق البرنامج القائم على مهارات الاستماع الذي أعده الباحث لغرض تنمية التعبير الشفوي لدى تلامذة الخامس الابتدائي.

٣- تلامذة المرحلة الابتدائية:

وهم الذكور والإناث الملتحقين بمرحلة التعليم الأساسي للأعمار (٧- ١٢) سنة، إذ تهدف هذه المرحلة الى تنمية شخصيتهم بجوانبها كافة ليكونوا مواطنين صالحين يمتلكون أدوات المعرفة.

الفصل الثاني: الجوانب النظرية والدراسات السابقة:

أولا: الجوانب النظرية: الاستماع ومهاراته:

في البدء يتوجب علينا التفريق بين السمع والسماع والاستماع والإنصات، إذ يكون (السَّمْع) بقصد ومن دون قصد، أما (الاستماع) فلا يكون إلا بقصد (عمر، ٢٠٠٨: ج١، ص١١٧)، فالسمع يطلق على حاسة السمع وهي الأذن لقوله تعالى: ((خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (البقرة، آية/٧)، أما السماع فهو وصول الصوت الى الأذن دون قصد أو انتباه إذ لا يستوعب السامع ما يقال وإنما تصله مقتطفات منه، وأما الاستماع هو استقبال الصوت ووصوله الى الأذن بقصد وانتباه وهو الوسيلة الأكثر استعمالا بين وسائل الاتصال البشري المختلفة، وهو المستعمل في الحياة والتعليم فضلا عن انه إحدى عمليتي الاتصال بين الناس جميعا، أما الإنصات هو استقبال

الصوت ووصوله الى الأذن بقصد مع شدة الانتباه والتركيز فيما يسمعه الإنسان من اجل هدف مرسوم أو غرض يريد تحقيقه، ومن هنا نستطيع القول: إن الاستماع والإنصات متقاربان في المعنى والفرق بينهما ليس فرقا جوهريا وليس فرقا في طبيعة الأداء فالإنصات استماع ولكن بدرجة تركيز أكثر من الاستماع؛ لأن الاستماع قد يتخلله انقطاع قصير بسبب بعض المشتتات الداخلية كالسرحان والخارجية كالنظر العابر، أما الإنصات فهو استمرار للاستماع والتفكير من دون انصراف عن المتحدث (المتكلم) قطعيا (عبد الهادي وآخرون، ٢٠٠٥: ص١٥٩).

ولعل خير دليل على أهمية الاستماع دوره في التعلم وكونه أساسا لغيره في عمليات الاتصال اللغوي كما جاء بقوله جل وعلا: ((اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)) (العلق، آية/ ١-٥)؛ أن النبي (ص) كان لا يقرأ ولا يكتب ولكنه قرأ بالاستماع وبالاستماع استوعب الوحي ونقله إلى أمته وهذا دليل على دور الاستماع في فهم المسموع واستيعابه والاحتفاظ به واسترجاعه؛ ومما يؤكد رجحان الاستماع وتميزه عن غيره من مهارات الاتصال إن الله تعالى قدم السمع على الإبصار والأفئدة في مواقع كثيرة من كتابه الكريم وهذا دليل قاطع على دور السمع في تعلم الإنسان وما لحاسة السمع من دور في الإدراك (عطية،٢٠٠٨: ص٢٢١).

كما أن الاستماع في الحياة الإنسانية أكثر استعمالاً من مهارات الاتصال الأخرى وله الدور الأكبر في عملية التعلم؛ لأن الوسائل التي يستعملها المعلمون والمدرسون في التعليم هي في الغالب الأعم لفظية ولما كانت هذه حقيقة لا يمكن دحضها، فأن ذلك يعني أن المتعلمين يمضون معظم أوقاتهم في الدراسة مستمعين وهذا ما أثبتته الدراسات والبحوث التي أجريت للكشف عن الأوقات التي يمضيها الطلبة في استعمال مهارات الاتصال اللغوي في التعليم إذ أظهرت أن الطلبة في المدارس الثانوية يمضون (٣٠%) من الوقت المخصص لدراسة اللغة كل يوم في الكلام و (١٦%) في القراءة و(٩%) في الكتابة و (٤٥%) في الاستماع (عطية،٢٠٠٨: ص٢٢٢)، كل ذلك يستدعي ضرورة تدريب التلامذة منذ الصغر

على مهارة الاستماع والتدرج في تعليمها واختيار ما يناسبها من الموضوعات الشيقة حتى يعتادوا على ممارسة هذه المهارة (الخفاف،٢٠١٤: ص١٥٥).

لذا يعتقد الباحث إن أهمية الاستماع كونه عملية معقدة تكمن في مهاراته الفرعية التي يتضمنها سواء كانت العقلية منها أم الأدائية، والتي تُمكّن في مجملها التلامذة في مواقف الاستماع المتنوعة من زيادة قدرتهم على التفاعل مع الرسائل الصوتية التي يستجيبون لها؛ كما إن استجابات التلامذة ما هي إلا سلوك ظاهر عن التفاعل الذهني الذي تم استثارته في موقف ما يمكن قياسه والتنبؤ به.

مهارات الاستماع:

إن معرفة الدور الذي يؤديه الاستماع في نمو الحياة الإنسانية وفي نقل ونشر الثقافة قبل أن تظهر الكتابة يؤكد ما له من دلالة اجتماعية وتاريخية، كما إن التحقق من دوره الحاضر في كل من عملية الاتصال وفي نشر الأفكار والقيم يجعل من التدريب على الاستماع الدقيق أمرا مهما بالنسبة لكل فرد، ففي العصر الأول للغة اتصل الإنسان البدائي بالصراخ ثم بالحديث؛ أي إن اللغة المتكلمة أقدم بكثير من اللغة المكتوبة، وهذه اللغة التي بدأت حيث نطق الإنسان أصواته الأولى المفهومة أو التي تحمل معاني؛ ثم بعد اختراع الكتابة بدا العصر الثاني للغة وزادت أهمية الرموز المرئية على الرموز المسموعة للكلام واخذ الإنسان يسجل على الحجارة وعلى قطع الصلصال و على أوراق البردي قوانينه وتاريخه وكتبه المقدسة وأقوال الأنبياء والأبطال والحكماء، ثم بعد اختراع الطباعة في القرن الخامس عشر الميلادي صارت الكلمة المكتوبة ارخص وأسهل وانتشر الاهتمام بالقدرة على القراءة وصار الاعتماد على الكلمة المكتوبة أكثر من الاعتماد على الكلمة المنطوقة (زهران، ٢٠٠٩: ص٢٧١).

ومع الضغوط التي تمارس علينا الآن في عالمنا الحديث والتي استدعت إن تكون لدينا القدرة على الاستماع مع التمييز والفهم والتعاطف، ومع ازدياد جماهير المستمعين الذين يتابعون متحدثا واحدا ظهر عصر ثالث للغة عصر برزت فيه مرة ثانية أهمية الكلمة المتكلمة، ومن ثم اخذ الاستماع يلقى الاهتمام الجدير به فقد أصبح المتعلمون ملزمين ليس فقط بإمكانية القراءة والكتابة بل أيضا بالكلام والاستماع بدقة

وفهم، ووصل الأمر الى أن أصبحت رفاهية الإنسان وسلامته تعتمدان اعتمادا كبيرا على الاستعمال الأمثل للغة الشفوية في المحافل الدولية ومنظماتها ومؤسساتها كافة (زهران، ٢٠٠٩: ص٢٧٢)، وأشار (طاهر) الى المهارات اللغوية العامة اللازمة لكل متعلم كما حددها (برات وجرين) وهي: (إدراك هدف المتحدث- إدراك معاني الكلمات وتذكر تلك المعاني واستنساخ معاني الكلمات غير المعرفة من السياق- فهم الفكرة- إدراك العلاقات بينها- تنظيم الفكرة وتبويبها- تلخيص الفكرة المطروحة- اصطفاء المعلومات المهمة- تحليل كلام المتحدث- الحكم عليه) (طاهر،٢٠١٠، ص٧٩).

مراحل مهارة الاستماع:

تمر مهارة الاستماع بخمس مراحل منفصلة ذات علاقة متبادلة، وكما يأتي:

١. الاستقبال: هو عملية سيكولوجية تستقبل المؤثرات الصوتية أو المرئية مثل المفردات، والأصوات اللفظية أو غير اللفظية.

٢. الانتباه: يتعرض الفرد لكثير من المؤثرات التي تستحوذ على انتباه، ومنها:

- مؤثرات خارجية مثل كلمات المتحدث أو الأصوات في الممرات.
- مؤثرات داخلية كالأصوات الصادرة من الشخص أو الأفكار التي تجول في خاطره.

٣. تحديد المعنى: تتضمن المؤثرات الصوتية التي سمعها الفرد وانتبه إليها وترجمها وحدد معناها.

٤. التذكر: هو عملية تخزين المؤثرات الصوتية في عقل الفرد عند استقباله لها ومن ثم استرجاعها عند الحاجة.

٥. التغذية الراجعة: تعني عملية التأكيد على فهم ما سمعه عن طريق تصحيح الإجابات ومن ثم التفاعل بين المتحدث والمستمع (الخفاف، ٢٠١٤: ص١٥١).

طريقة اكتساب مهارات الاستماع.

لعل بإمكان المتعلم أن يتقن مهارات الاستماع ومن ثم يصبح مستمعا جيدا من خلال إتباع عدد من الخطوات التي تمكنه من ذلك، ويقترح المنظرون من ذي الاختصاص هذه الخطوات كل بحسب خبرته واتجاهاته التربوية، ويمكن تلخيصها بالآتي:

١. العلم بموضوع الاستماع: عندما يكون المتعلم على علم مسبق بموضوع الجلسة أو المحاضرة، حتى وان كانت خلفية المستمع عن الموضوع بسيطة مما يجعل من عملية الاستماع عملية سهلة كون المستمع قد كيف نفسه مع الفكرة العامة، وعليه فإنه يستفيد باتجاهين هما:

أ- مراجعة ما يعرف عن الموضوع.

ب- معرفة أكبر قدر ممكن من الموضوع.

٢. تدوين الملاحظات: بعد أن تهيأ المستمع نفسيا وعقليا للموضوع وبعد استحضار معلوماته السابقة يتوجب عليه أن يركز في كلام المتحدث وتدوين الملاحظات مما يساعده الاستذكار واستخراج الأفكار الرئيسة، فهذه الملاحظات هي دليل المستمع للمراجعة وتقييم ما تم سماعه، ولعل أبرز النقاط الواجب التركيز فيها:

أ- الأفكار الرئيسة.

ب- أي كلمة أو نص يبدو مهم.

ت- كلمة أو عبارة غير مفهومة المعنى.

ث- الأسماء والأرقام والإحصاءات كونها تنسى بسرعة.

٣. مراجعة الملاحظات لاحقا: من المهم أن يتم مراجعة ما تم تدوينه مباشرة مما يسهل تصنيفها كون المعلومات ما زالت عالقة بالذهن؛ وان كانت عملية المراجعة تعد أمرا مزعجا لكنه ذو قيمة حقيقية للأسباب الآتية:

أ- لتوضيح النقاط غير المفهومة، فعند التفكير في الملاحظات عند إعادة ترتيبها يتمكن المتعلم من توضيح الفكرة الجديدة أو المعقدة.

ب- تثبيت النقاط في الذاكرة لاستخدامها مستقبلا.

ت- تعد سجلا منظما للرجوع إليه في وقت آخر.

٤. استخراج الأفكار الرئيسة: على المستمع أن يحدد غرض المستمع؛ خصوصا بعد الخلفية التي اكتسبها في الإعداد للاستماع عن موضوع معين، وعليه منذ البداية أن يركز في فهم الكلام ومحاولة إيجاد الأفكار الرئيسة.

وربما يقوم المتكلم بتعداد الأفكار الرئيسة في بداية حديثه ومن ثم يوضحها، لكن المشكلة عندما لا يعطي المتكلم عدد ومحتوى النقاط الرئيسة مما يستوجب استخراجها، وعملية الاستخراج هذه تتطلب مهارة تكتسب، لذا من المهم الإصغاء فربما لا نتمكن من استخراج الأفكار الرئيسة إلا في النهاية بعد مراجعة ما دوناه من ملاحظات مع المقارنة بما دونه الزملاء الآخرون، ومن ثم علينا أن نصوغ هذه الأفكار بجمل مختصرة كاملة المعنى متسلسلة وعلى ورقة جديدة مع ترك فراغات تكفي للتفاصيل التي توضح كل فكرة أو معلومة (مصطفى، ٢٠٠٧: ص٨٥-٩٣).

مناشط إكساب مهارة الاستماع:

من المهم أن يكون تمكين المتعلمين من مهارات الاستماع من بين أهداف العملية التعليمية في المراحل الدراسية المختلفة، فالطالب في جميع مراحل التعليم لا يمكن أن يستغني عن الاستماع ومهاراته؛ كما أن الاستماع على الرغم مما له من أهمية في العملية التعليمية يكاد يكون مهملا في منهاج الدراسة فلا توجد مفردات خاصة لتدريس الاستماع ولا أنشطة مقصودة للتدريب على الاستماع وقد نجم عن ذلك أن كثيرا من المتعلمين وصلوا إلى مراحل الجامعية وهم لا يحسنون الإنصات والإصغاء إلى الآخرين في أثناء الحديث.

لذلك فأن التدريب على الاستماع حاجة تمليها أهمية الاستماع ودوره في عملية التعلم ويجب أن يبدأ من المرحلة الأساسية وهناك وسائل كثيرة وأنشطة تدريبية يمكن اعتمادها وهذه التدريبات تختلف باختلاف

المرحلة الدراسية واختلاف أهداف الاستماع (عطية،٢٠٠٨: ص٢٤٢)؛ ففي المرحلة الأساسية يمكن إجمالها بالآتي:

١- سرد القصص القصيرة المحببة إلى التلاميذ ومطالبتهم بذكر أبرز ما جاء فيها.

٢- قراءة نصوص تتضمن أفكارا جميلة واضحة ثم المطالبة بذكر ما جاء فيها.

٣- التدريب على الإصغاء في أثناء حديث المعلم وأحاديث الآخرين.

٤- حث التلاميذ للإصغاء وتسجيل أبرز عناصر الحديث ثم قراءة ما سجلوه.

٥- إجراء مسابقة بين المستمعين في الإجابة عن أسئلة حول قصة أو موضوع.

٦- عرض الغاز على التلاميذ ومطالبتهم بحلها.

مع مراعاة أن تكون الأنشطة التي تمارس في الاستماع جديدة في محتواها وان تكون محببة إلى نفوس الطلبة وان ترافق عملية الاستماع إثابة المميزين، أما في المرحلة المتوسطة والثانوية فيمكن ممارسة الأنشطة الآتية:

١- قراءة الموضوعات الإنشائية من بعض الطلبة ومطالبة الآخرين بالإنصات وتسجيل الملاحظات ومناقشة الطالب بعد الانتهاء من قراءة موضعه .

٢- الاستماع إلى حديث المدرس في موضوع معين وتدوين الملاحظات والأسئلة.

٣- الاستماع إلى ملخصات الدروس.

٤- الاستماع إلى سرد قصة ومناقشة بعض الأدوار والحوادث التي وردت فيها.

٥- الاستماع إلى تسجيل حول موضوع يتصل بحياة الطلبة وكتابة الملاحظات ثم مناقشتها.

٦- تكليف الطلبة بالاستماع إلى برامج إذاعية وتدوين الملاحظات ثم قراءتها في الصف.

٧- الاستماع إلى خطب الجمعة وتسجيل أبرز عناصرها.

٨- طرح موضوعات صالحة للمناقشة وإشراك الطلبة فيها.

٩- الاستماع إلى محاضرات وتدوين أبرز عناصرها.

١٠- الاستماع إلى ندوة أو مناقشة وتدوين أبرز ما دار فيها.

على أن تزداد هذه الأنشطة طولا وتعقيدا كلما تقدم الطالب في دراسته وزادت قدرته على الاستماع والاستيعاب (عطية، ٢٠٠٨: ص٢٤٢-٢٤٣).

ثانيا: الدراسات السابقة.

دراسة العزاوي (٢٠٠٣).

أجريت الدراسة في العراق ورمت الى: بناء برنامج للاستماع لتلاميذ الرابع الابتدائي في ضوء كفاياتهم اللازمة، شملت عينة الدراسة (٨٤) مشرفا ومشرفة تربوية موزعين على أربعة مديريات للتربية في بغداد، واعتمدت الباحثة الاستبانة المفتوحة ثم المغلقة أداة لها في حصر الكفايات اللازمة لتلاميذ الصف الرابع الابتدائي إذ بلغت (٩٥) فقرة موزعة على ستة مجالات، وتحققت منها بصدق الخبراء، واستخرجت الباحثة الثبات بطريقة إعادة الاختبار بعد أن طبقتها على عينة استطلاعية بلغت (٢٠) فردا من المشرفين التربويين، وقد استعانت بالوسط المرجح والوزن المئوي كوسائل إحصائية، وأبرز ما توصلت إليه الدراسة:

١. مجال التمييز الصوتي: إذ شمل هذا المجال (١١) فقرة قد حظيت بوسط مرجح عالي وهو دليل على تقدير أفراد العينة لكفايات هذا المجال.

٢. مجال التركيب اللغوي: إذ شمل هذا المجال (٧) كفايات ذات وسط مرجح مقبول و(٤) كفايات لم تبلغ الحد المقبول وهذا ما اتفق عليه أغلب المشرفين التربويين وعدوا توافر تلك الكفايات الفرعية واجبا لتلاميذ الرابع الابتدائي (العزاوي، ٢٠٠٣: ص٩٢-١٠٣).

دراسة الجميلي (٢٠٠٤):

أجريت الدراسة في العراق ورمت الى تعرف: اثر الاستماع الناقد عند تدريس المطالعة في الأداء التعبيري وتنمية التفكير الناقد لطالبات المرحلة الإعدادية، شملت عينة قصدية بلغت (٦٠) طالبة من طالبات الصف الرابع الإعدادي مقسمة على مجموعتين تجريبية وضابطة، وقد كافأت بين مجموعتي البحث بعدة متغيرات هي:(العمر الزمني للطالبات - التحصيل الدراسي للآباء وكذلك الأمهات- درجات مادة اللغة

العربية في الاختبار النهائي للصف الأول المتوسط – درجات اختبار القدرة اللغوية – درجات اختبار الذكاء)، واعتمدت الباحثة الاختبار المقالي أداة لها لقياس الأداء التعبيري كما أعدت اختبارا من نوع البدائل المتعددة لقياس التفكير الناقد إذ تكون من (٢٧) فقرة مقسمة الى خمسة اختبارات فرعية، أما الوسائل الإحصائية التي استعانت بها الباحثة هي: الاختبار التائي لعينتين مستقلتين ومربع كأي ومعامل ارتباط بيرسون، وأبرز ما توصلت إليه الدراسة:

تفوق طالبات المجموعة التجريبية على طالبات المجموعة الضابطة في الأداء التعبيري والتفكير الناقد، والسبب في ذلك:

١- إن الموضوعات التي درست في أثناء التجربة من الموضوعات التي يصلح تدريسها على وفق الاستماع الناقد وتنمي التفكير الناقد والأداء التعبيري لدى طالبات الصف الرابع العام .

٢- إن الاستماع الناقد شد من انتباه الطالبات وزاد من تركيزهن بوصفه أسلوبا تدريسا حديثا لم يعهدنه من قبل، وبالتالي زيادة درجات الأداء التعبيري وتنمية التفكير الناقد (الجميلي، ٢٠٠٤: ص ١١٥-١٤٤).

الفصل الثالث: إجراءات البحث:

أولا: منهج البحث.

نظرا لما يرمي إليه البحث الحالي من بناء معيار لقياس التعبير الشفوي، فإن المنهج الوصفي يعد هو الأنسب لذلك، إذ يسعى هذا المنهج الى تحديد الوضع الحالي لظاهرة معينة ومن ثم يعمل على وصفها وبالتالي فهو يعتمد على دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع، ويهتم بوصفها وصفا دقيقا (ملحم، ٢٠٠٦: ص٢٦٩).

ثانيا: إجراءات بناء البرنامج التعليمي المقترح:

إن التدريس من دون اعتبار لأهمية مهارات الاستماع يستدعي بناء برنامج تعليمي يستفيد مما لدى التلامذة من مهارات؛ ويعمل على توظيفها بشكل صحيح من أجل تنمية أدائهم التعبيري

كما إن التفكير ببناء البرامج التعليمية وتصميمها يتعين فيه التخطيط والتنفيذ على وفق الأسس التي يتم فيها تحقيق الأهداف التربوية، وإذا ما بُنيَ برنامج تعليمي، فمن الضروري أن نحدد أولاً الأهداف التعليمية الرئيسة ذات العلاقة المباشرة بالمادة، إذ من خلال هذه الأهداف يتم تحديد الجوانب المختلفة للسلوك الإنساني، ومن الواجب ترجمتها إلى أهداف خاصة (خوري، ١٩٨٣: ص ٢٢).

وعلى الرغم من اختلاف المنظرين والباحثين من اعتماد خطوات ثابتة ومحددة في إعداد البرامج؛ وذلك يرجع على ما أعتقد الى أسباب عدة لعل من أبرزها: اختلاف المتغيرات قيد البحث من جانب، ومدى توافر الأدوات والظروف والإمكانيات المتاحة للباحث من جانب آخر، ولما كان من الضروري أن تتضمن البرامج التعليمية مجمل الخبرات وألوان النشاط التي تخططها مؤسسة أو جهة تعليمية ما وتنفذها في سياق معين خلال مدة محددة لتحقيق أهداف منشودة، نلحظ وجود خطوات رئيسة يذكرها المنظرون والباحثون لا بد من توافرها في أي البرنامج التعليمي يمكن أن نطلق عليها العناصر أساسية للبرنامج، وهي:

١- الأهداف التربوية التعليمية المنشودة. ٢- المحتوى (المعلومات، الاتجاهات والمهارات).

٣- الخبرات التعلمية والتعليمية. ٤- تقويم النتائج والتغذية الراجعة (درة وآخرون، ١٩٨٨: ص ٦٣).

ونظرا لعدم توافر برنامج تعليمي يُلائم هدف البحث، لذا سيقوم الباحث ببناء برنامج تعليمي قائم على مهارات الاستماع، ومن أجل إعداد البرنامج لابد أن يمر بثلاث مراحل الأولى هي التحليل وتتمثل باختيار الموضوع، وتحديد الأهداف، وتحديد المحتوى، والمرحلة الثانية التركيب وتتمثل بتحديد الأهداف السلوكية طرائق التدريس وتحديد الوسائل والأنشطة التعليمية، والمرحلة الثالثة مرحلة التقويم، لذا جرت عملية بناء البرنامج التعليمي وفقا للخطوات الآتية:

١- تحديد تصميم البرنامج التعليمي:

إن اختيار التصميم التعليمي عملية مهمة، لتحقيق الأهداف بدقة وبأقل جهد وتكلفة، لكنها تتطلب قدرا من الجهد أكثر مما تتطلبه الطريقة الاعتيادية (الحيلة، ١٩٩٩:ص١٠٩)، وعلى آيتي حال فأن عناصر المنهج الأربعة الأساسية: (الأهداف، والمحتوى، والنشاطات، والتقويم) تكون حاضرة في أي تصميم تعليمي ولا يمكن التغاضي عنها.

لقد حدد الباحث تصميماً لبناء البرنامج التعليمي المقترح يمكن من خلاله تحديد الأهداف وتحديد المحتوى التعليمي وتحديد طرائق التدريس وأساليبه، والوسائل التعليمية، والنشاطات اللازمة لتحقيق هذه الأهداف؛ إذ يمكن من خلال تصميم البرنامج تحديد الوسائل والنشاطات التعليمية التي تتناسب مع الدارسين، ومن ثم تقويم البرنامج (جامل، ٢٠٠٠: ص٣١)، ومن المنطقي أن تمر عملية تصميم البرنامج التعليمي وإعداده بمراحل التحليل والتركيب والتقويم، لذا اعتمد الباحث هذه المراحل في بناء البرنامج التعليمي كما أن لكل تصميم من خطوات منطقية يتوجب الاسترشاد بها، والشكل (١) يوضح ذلك:

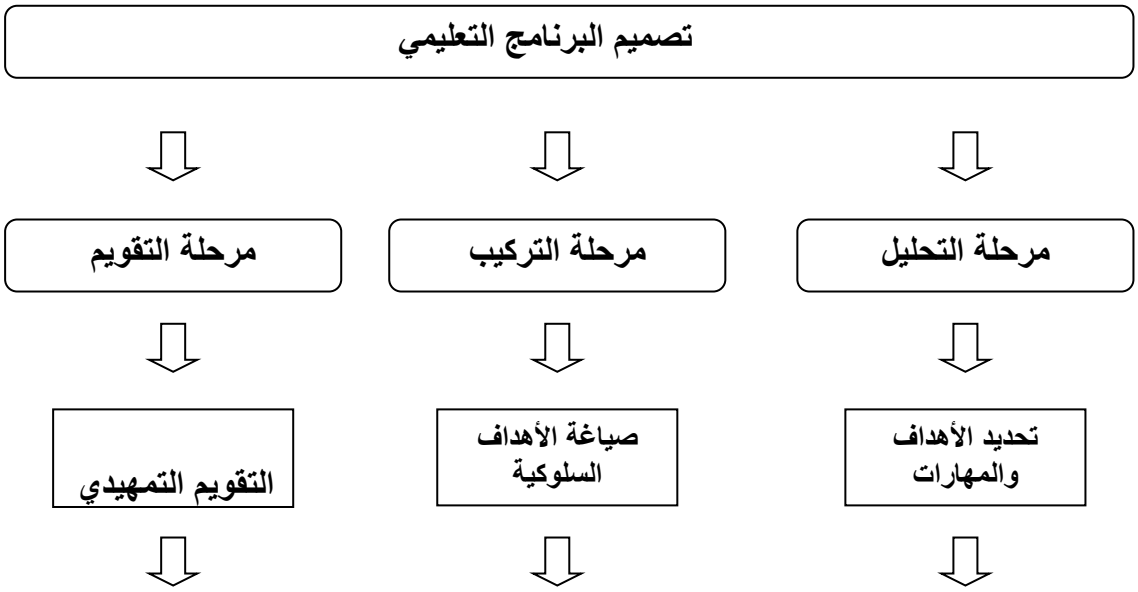

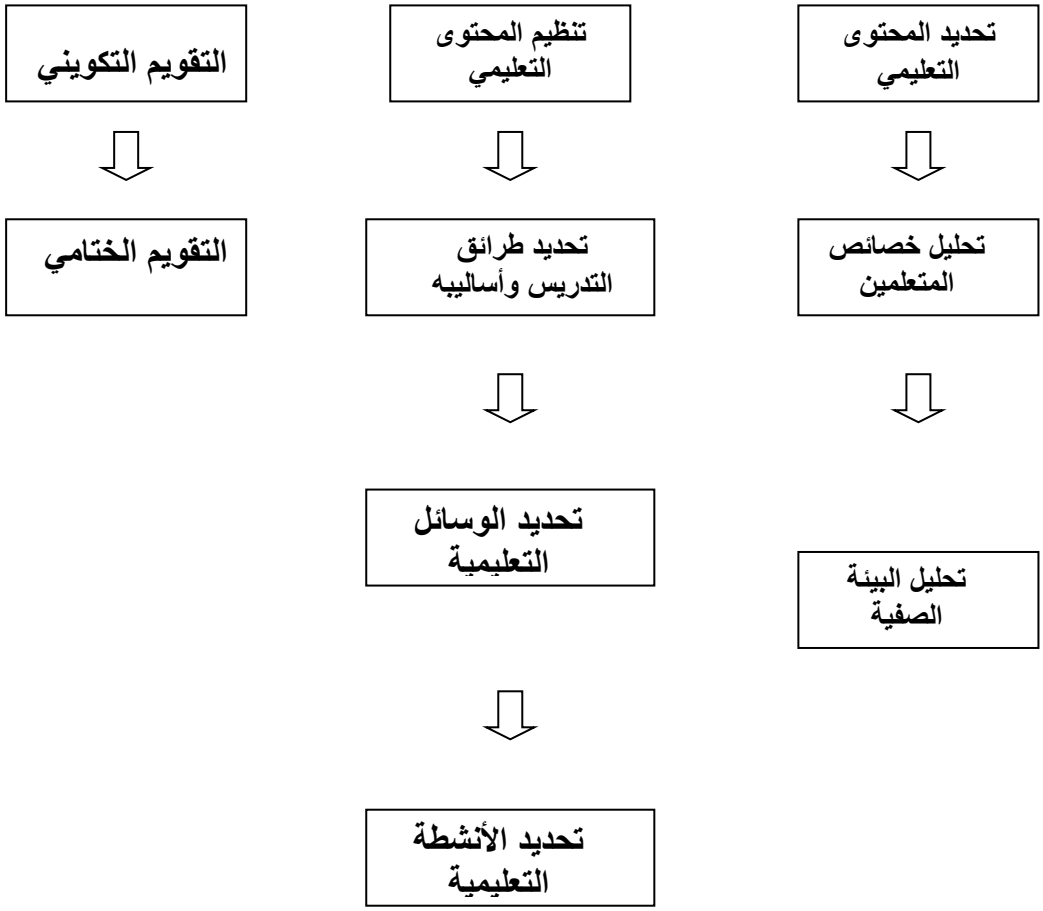

الشكل (١) خطوات تصميم البرنامج التعليمي

٢- خطوات بناء البرنامج التعليمي.

أ- مرحلة التحليل:

أ-١: تحديد الأهداف ومهارات الاستماع:

تنقسم الأهداف من حيث المدى إلى أهداف عامة وأهداف مرحلية وأخرى سلوكية، فالعامة تكون طويلة الأمد تشمل مرحلة تعليمية كاملة مثل الابتدائية أو الثانوية، وأما الأهداف المرحلية أو التعليمية والتي

يراعى فيها أن تشير بدقة الى مدى التقدم الذي يجب أن يحرزه المتعلمون في فصل دراسي واحد أو سنة دراسية واحدة، وعليه فهي تختلف عن الأهداف العامة التي تحتاج لتحقيقها سنوات عديدة (العدوان ومحمد، ٢٠٠٨: ص٦٨)، ويرى الباحث أنها الأقرب الى البرنامج من الناحية التطبيقية كونها ممكنة التحقيق ضمن مدة زمنية معينة، وقد حدد الباحث مسترشداً بآراء المختصين في المناهج وطرائق التدريس والقياس والتقويم فضلاً عن مراجعة أدبيات ودراسات سابقة عدة لغرض الوقوف على الأهداف اللازمة لبناء البرنامج، وفيما يأتي توضيح ذلك:

ـ الهدف العام والأهداف التعليمية:

يرمي البحث الحالي الى بناء برنامج تعليمي يستند على مهارات الاستماع لتنمية التعبير الشفوي؛ والتثبت من فاعليته، ولغرض تحقيق ذلك حصل الباحث على الأهداف العامة من مديرية المناهج بوزارة التربية وهي أهداف عريضة تصف النتاجات النهائية التي يتوقع من التلامذة تحقيقها؛ ومن ثم تم صياغة الأهداف العامة الى أهداف تعليمية مرحلية قابلة للتحقيق، وذلك من طريق استعمال الطرائق والوسائل والأنشطة التي تساعد في تحقيق ذلك بما يسهم في تسهيل عملية اكتسابها، وتوظيف ذلك في تعليم موضوعات التعبير الشفوي، بما ينعكس على أداء التلامذة في درس التعبير.

– تحديد مهارات الاستماع:

جمع الباحث كل ما توافر له من هذه المهارات من المصادر العلمية والدراسات السابقة وعرضها على مجموعة من السادة الخبراء من ذوي الاختصاص في مناهج وطرائق تدريس اللغة العربية والقياس والتقويم وعلم النفس والمشرفين التربويين، وبعد أن جمعت آرائهم، التقى الباحث بعدد من الخبراء كل على حدة وتبادل معهم الآراء حول بعض المهارات، وبناءا على ما قدموه في ملاحظاتهم وتوصياتهم الشفوية منها والتحريرية تم إجراء التعديلات اللازمة في صياغة المهارات، واخذ الباحث بتعديل أو إبقاء المهارة كما هي تبعا لنسبة اتفاق (٨٠%) من الخبراء؛ وقد أضاف السادة الخبراء (٤) مهارات الى المهارات (١٦)

التي قدمها الباحث وبذلك بلغت مهارات الاستماع في البرنامج التعليمي لمرحلة الخامس الابتدائي (٢٠) مهارة.

أ-٢: تحديد المحتوى التعليمي:

وبعد أن حدد الباحث الأهداف العامة والمرحلية التي من الواجب توافرها لدى تلامذة عينة البحث، عمد الى تحديد مفردات محتوى البرنامج التعليمي الرئيسة والفرعية كما تضمنتها موضوعات المحادثة والتعبير في كتاب القراءة للصف الخامس الابتدائي؛ والبالغة (١٤) موضوعا، كما عمل الباحث على توظيف هذه الموضوعات بما يتناسب والأهداف التي تم صياغتها من خلال تحديد المعارف والخبرات والمهارات التي تُمثل كل مفردة من المفردات، وذلك لضمان ملاءمة المادة المسموعة لمستوى نضج التلامذة ومدى انتباههم وخبراتهم السابقة (طاهر، ٢٠١٠: ص٨١).

أ-٣: تحليل خصائص المتعلمين.

من المهم أن يراعي البرنامج التعليمي خصائص المتعلمين المستفيدين منه والذي يعد من أجلهم، وتتركز أهمية هذه الخصائص في النمو الجسمي والعقلي واللغوي والنفسي والاجتماعي.

لذا حُدد تلامذة الصف الخامس الابتدائي فئة مستهدفة في تصميم البرنامج التعليمي بناءا وتطبيقا، كونا فئة تتراوح أعمار التلامذة فيها بين (١٠-١١) سنة، وتقع هذه الفئة العمرية ضمن المرحلة العمرية (٧-١٢) التي أشار إليها بياجيه بأنها مرحلة العمليات المادية، وتتميز هذه المرحلة بالمميزات الآتية:

- يصبح لدى الأطفال القدرة على التفكير في أكثر من بعد كالطول والعرض معا، وهذا ما ندعوه بالتوازنات العقلية للسلوك كالمزج والفصل وتظهر لديه القدرة على التصنيف في أكثر من بعد.
- إن أهم ما يميز هذه المرحلة ظهور القدرة لدى الطفل على قلب العمليات العقلية حيث أنها صفة من صفات التفكير العملي، وتظهر غالبا في مفاهيم بقاء المادة وفي شمول النوع.
- يستطيع التلميذ في هذه المرحلة أن يطور قدرته على التفكير الاستدلالي بنطاق ما يشاهده وهو نوع من التفكير المجرد (حجاج، ١٩٨٣: ص٢٨٧) (داود وناظم، ١٩٩٠: ص٧١).

ومن خلال هذا التحليل يتضح أن الفئة المستهدفة قادرة على استعمال وتوظيف مهارات الاستماع التي يمتلكونها والتفاعل مع أساليب التدريس التي تتيح للتلامذة فرص المشاركة والتفاعل مع الآخرين للتعبير عن أفكارهم مع تقبل الرأي الآخر في مناقشة موضوع الدرس.

أ-٤: تحليل البيئة الصفية

تؤثر البيئة التي تحدث بها عمليتا التعلم والتعليم على أداء تعلم التلميذ ومن أجل الوصول الى تشخيص دقيق وفهم كامل للتلميذ ينبغي أن يتم تقويم طبيعة البيئة التي يمارس فيها التلامذة نشاطاتهم وتعلمهم (قطامي وآخرون، ٢٠٠٨: ص٦٨٢)، وتقسم البيئة الصفية الى نوعين هما:

١. البيئة الفيزيقية: وهذه تكون قابلة للملاحظة والتنظيم والترتيب، مثل ترتيب مقاعد الجلوس وإدارة الصف والأدوات والأجهزة (نرجس، ١٩٩٩: ص٧١).

٢. البيئة السيكولوجية: وهذه تكون في مناخ الصف الاجتماعي والانفعالي المؤثر فيما يتعلمه التلامذة، وفيه تطور قيم مثل الصدق وحب الاستطلاع (الحيلة، ٢٠٠٢: ص٢٨٣).

وقد أخذ الباحث بنظر الاعتبار خصائص البيئة الصفية من حيث توافر التهوية والإضاءة الجيدتين وترتيب جلوس التلامذة بشكل مناسب يضمن الحرية والراحة للتفاعل مع موضوع الدرس، وبذلك حدد الباحث الأهداف والمحتوى وخصائص المتعلمين والبيئة الصفية لينتقل الى مرحلة التركيب في بناء البرنامج.

ب- مرحلة التركيب:

أعد الباحث محتوى البرنامج التعليمي الرئيسة والفرعية بصيغتها النهائية، وكانت أربعة عشر موضوعا رئيسة تندرج تحتها موضوعات فرعية تنوعت بين المفاهيم والحقائق والمهارات والمعلومات والقيم، كما التزم الباحث بتوجيهات الخبراء في تركيب الموضوعات الرئيسة والفرعية بإتباع التدرج المنطقي في عرض المعارف والخبرات، وبقصد إكمال تنفيذ مرحلة التركيب لابد من تحديد مستلزمات هذه المرحلة متمثلة بتحديد طرائق التدريس، وتحديد الوسائل التعليمية اللازمة، فكانت كما يأتي:

ب-١: صياغة الأهداف السلوكية.

لتحقيق أهداف البرنامج المرحلية تم صياغتها إلى أهداف سلوكية يسهل قياسها، وقد تنوعت هذه الأهداف حسب تنوع المهارات التي يسعى البرنامج إلى تعليمها، وعرض الباحث الأهداف التعليمية والسلوكية على عدد من المحكمين في المناهج وطرائق التدريس والقياس والتقويم، واعتمد الباحث نسبة اتفاق (٨٠%) فأكثر بين المحكمين لتحقق الأهداف، ونالت الأهداف موافقة الخبراء والمتخصصين مع توجيهات بتعديل عدد منها، ارتكزت في غالبيتها على تعديل الصياغة.

ب- ٢: تنظيم المحتوى التعليمي:

بعد أن حددت مفردات المحتوى عمد الباحث لتنظيم هذا المحتوى التعليمي بحسب بؤرة الاهتمام والتي تشمل: الأفكار الرئيسة والمفاهيم الأساسية ومشكلات الحياة والظواهر الطبيعية ورغبات المتعلمين (مرعي ومحمد، ٢٠٠٩: ص ٨٤)، إذ يشار الى المحتوى التعليمي بكونه: نوعية المعارف والمعلومات التي يقع عليها الاختيار والتي تنظم على نحو معين سواء أكانت هذه المعارف مفاهيم أم حقائق أم أفكارا أساسية (الساموك وهدى، ٢٠٠٥: ص ٦١).

ب- ٣: تحديد طرائق التدريس وأساليبه:

بعد أن حدد الباحث مفردات محتوى البرنامج التعليمي ونظمها عمد إلى تحديد طرائق التدريس وأساليبه التي ستستعمل في البرنامج التعليمي المقترح لتحقيق أهداف البرنامج؛ كون طريقة التدريس هي أسلوب أو وسيلة أو أداة للتفاعل بين التلميذ والمعلم أو النهج الذي يسلكه المعلم في توصيل ما جاء في الكتاب المدرسي من معرفة (الحيلة، ١٩٩٩: ١٩٠)، حدد الباحث هذه الطرائق وفقاً لتوجيهات الخبراء في مناهج وطرائق تدريس اللغة العربية لتحديد الأساليب على نحو خطط دراسية للموضوعات المقررة، وعرضها على المحكمين ونالت موافقتهم، والتزم الباحث بالتوجيهات التي حددها المحكمين ومن أهمها تنوع طرائق التدريس وأساليبه، وبذلك كانت الطرائق والأساليب التعليمية اللازمة لتنفيذ البرنامج التعليمي هي: (طريقة المناقشة، وطريقة تحليل النص، وأسلوب العصف الذهني)، تستند طريقة المناقشة على فاعلية التلامذة

في النقاش بحيث يكون دور المعلم منظما وميسرا ومحفزا على المشاركة والتوجيه (التميمي، ٢٠١٠: ص٤٤)، وتنطلق طريقة تحليل النص من تجزئة النص الى أجزاء (عناصر ذات أفكار رئيسة) والأجزاء الى أجزاء أصغر (أفكار فرعية) وهذه الى كلمات مفتاحية تؤدي الى المعاني الفرعية التي يتضمنها النص المراد تحليله (زاير وإيمان، ٢٠١١: ص ١٩٧)، أما أسلوب العصف الذهني يستند الى وضع الذهن في حالة من الإثارة والجاهزية للتفكير في كل الاتجاهات لتوليد أكبر قدر من الأفكار حول المشكلة أو الموضوع المطروح بحيث يتاح للفرد جو من الحرية يسمح بظهور كل الآراء والأفكار (شبر وآخرون، ٢٠١٠: ص ٢٠٣)، ويرى الباحث إن طريقة التدريس الجيدة في موقف تعليمي معين قد لا تكون كذلك في موقف آخر لجود متغيرات عديدة تتدخل في عملية التدريس، لذا يمكن للمعلمين استعمال غير ما حدده البرنامج من طرائق وأساليب تعليمية لعرض مفردات محتوى البرنامج التعليمي بما يتناسب ومتطلبات العملية التربوية، لأن هناك أكثر من عامل يحدد طريقة عرض المحتوى منها: هدف الدرس، الوسائل التعليمية، خبرة المعلم، مستوى الطلاب، طبيعة الموضوع، تنظيم المنهج، إمكانات البيئة، والإدارة التعليمية (زاير وايمان، ٢٠١١: ص ١٧٥).

ب-٤: تحديد الوسائل التعليمية:

وفي ضوء ما تم تحديده سابقا من أهداف ومحتوى تعليمي وطرائق وأساليب تعليمية، عمد الباحث الى تحديد الوسائل التعليمية اللازمة والتي يستعين بها لتحقيق أهداف البرنامج؛ وبما إن الخبرة الحسية هي أساس معرفتنا للعالم من حولنا لذا من المهم إشراك أكثر من حاسة في عمليتي التعليم والتعلم (التميمي، ٢٠١٠: ص١٣٦).

وعرض الباحث هذه الوسائل التعليمية في البرنامج على مجموعة من الخبراء لمعرفة آرائهم حول مدى ملاءمة هذه الوسائل للتلامذة من جهة ومدى تمثيلها للمحتوى من جهة أخرى، إذ أجمع الخبراء على فاعليتها، فتحددت الوسائل التعليمية اللازمة لتنفيذ البرنامج بـ: (السبورة الجدارية، السبورة الورقية،

المسجل، الصور)، ويرى الباحث أن للمعلمين استعمال غير ما حدده البرنامج من وسائل تعليمية متيسرة بما يتناسب ومتطلبات العملية التربوية ويساعد على تحقيق أهداف البرنامج المحددة.

ب-٥: تحديد الأنشطة التعليمية.

أما الأنشطة التعليمية فتشير الى كل نشاط تعليمي – تعلمي يقوم فيه المعلم أو المتعلم أو كلاهما بقصد تعليم أو دراسة مادة تعليمية (الحيلة، ٢٠٠٢: ص٨٦)، كما إن النشاطات عمل تكاملي يرتبط بالأهداف والمحتوى والطرائق والأساليب التدريسية والتقويم تؤثر فيها وتتأثر بها، لذا ينبغي على التدريسي أن يختار أنواع النشاطات التي تلائم الأهداف المحددة للدرس والمحتوى الذي يخطط لتدريسه مع مراعاة الظروف المادية والاجتماعية للبيئة التعليمية، ومراعاة ميول الطلبة بحيث تدفعهم النشاطات المختارة للمشاركة الايجابية والتفاعل المثمر في الموقف التعليمي (أبو جلالة، ٢٠٠١: ص٢٨٥)، ومن الأنشطة التي تضمنها هذا البرنامج:

١. يتشارك المعلم والتلامذة في طرح الأفكار المرتبطة بموضوع الدرس.
٢. منح التلامذة فرصة التعبير عن ميولهم وهواياتهم.
٣. مشاركة التلامذة في تصحيح ما يقع من زملائهم من أخطاء.
٤. تنشيط الاستماع الفاعل لأفكار الآخرين ومناقشتها.
٥. تسجيل الأفكار الرئيسة والفرعية على السبورة الورقية.
٦. فتح المجال للتلامذة بالتعبير عن موضوع الدرس في ضوء خبراتهم.
٧. تفعيل مهارات الاستماع في عملية التخيل لتوظيفها في موضوع التعبير.
٨. تكليف التلامذة بكتابة ما يتم طرحه وتسجيله على السبورة أثناء الدرس من أفكار ومعان وآيات قرآنية وغيرها لتكون مرجعا لهم.

ت- مرحلة التقويم:

التقويم عملية شاملة تتضمن إصدار حكم معين في ضوئه يتم التطوير والتحسين (العزاوي، ٢٠٠٨: ص ١٨)، وبعد أن أتم الباحث الخطوات السابقة، كان لابد من إكمال مراحل تصميم البرنامج من خلال تحديد أساليب التقويم المناسبة والتي سيعتمدها الباحث (المعلم) أثناء تطبيق البرنامج، فقد تم تحديد الأساليب التقويمية فكانت بالشكل الآتي:

ت- ١: التقويم التمهيدي.

وهذا النوع من التقويم يجري قبل عملية التعلم، وتبرز أهميته في ما يكشفه من متطلبات سابقة للتلاميذ وخلفياتهم المعرفية في موضوع التعلم، بحيث يمكن إعادة النظر في الأهداف التعليمية التي وضعت أساسا لتحقيقها، كما يمكن من خلاله تحديد مدى استعداد التلامذة لبدء عملية التعلم؛ وتحديد مستوى التلامذة ووضعهم في مجموعات (ملحم، ٢٠٠٥: ص ٤٦).

ت- ٢: التقويم التكويني:

ويقصد به العملية التي بها يحصل المعلم على المعلومات اللازمة لزيادة فاعلية المواد التعليمة وكفايتها في تحقيق أهداف التعلم (الحيلة، ١٩٩٩: ص٢٤٦)، ومن أجل تحقيق هذه الخطوة قام الباحث باختيار ثلاثة تلاميذ في شهر (آذار ٢٠١٤) من مدرسة الإمام موسى الكاظم/ الرصافة٣، وكان الأول من ذوي التحصيل الممتاز والثاني من ذوي التحصيل المتوسط والثالث من ذوي التحصيل الضعيف، إذ جلس الباحث مع كل تلميذ وناقشه بشكل منفرد في جو من الألفة والود؛ وبعد أن بين له بكل وضوح الهدف من الأسئلة التي ستطرح عليه وان درجة إجابته ليس لها علاقة بتحصيله الشخصي كونها مرتبطة بتقويم جودة ما يتضمنه البرنامج التعليمي، وبعد انتهاء الجلسات قام الباحث بتحليل التسجيلات المصورة فوجد الآتي:

١- لاحظ الباحث من خلال تعامله مع كل تلميذ إن أسلوب البرنامج كان مشوقا لهم، إذ كان التفاعل بمستوى جيد.

٢- كما لاحظ الباحث وضوح التعليمات والمحتوى التعليمي مما انعكس إيجابا على تحقيق الأهداف المرجوة.

٣- تبين إن كل ما استعمل في البرنامج من طرائق تدريس ووسائل تعليمية وتغذية راجعة وأساليب تقويم كانت ملائمة للتلامذة ومناسبة لهم.

٤- إن الوقت المستغرق لأداء تعبير التلامذة كان مناسبا، وبمعدل (٣) دقائق للتلميذ الواحد.

وقد ضَمّنَ الباحث البرنامج التعليمي مجموعة من الأسئلة التقويمية والتي تقدم للتلامذة في نهاية كل درس، لتمكن التلامذة من الوصول الى ملخص وهدف الدرس من جهة، ومن جهة أخرى تمكن المعلم من تقويم مستوى الدرس الذي قدمه من ناحية مناسبته للتلامذة ومدى تحقق الأهداف التي وضعها، إذ تعد الأسئلة المختلفة التي يطرحها المعلم في أثناء الدرس من أدوات التقويم التكويني (الحيلة، ١٩٩٩: ص٤٠٤)، كما تعد الأسئلة التكوينية أداة التصحيح الذاتي للمعلم والتي يهدف من خلالها إلى تصحيح مسار التعليم (أبو حويج، ٢٠٠٠: ص٢٦٥)، فهذا التقويم يسير جنبا الى جنب مع عملية التدريس لتزويد التلامذة والمعلم بالتغذية الراجعة المتعلقة بالنجاح والفشل، فالتلميذ يشعر بنجاحه ويحدد أخطاءه، والمدرس يعدل الخطط على ضوء النتائج، فالهدف الأساسي من هذا التقويم هو توجيه تنفيذ عملية التعلم (العزاوي، ٢٠٠٨: ص٢٤)، كما إن الغاية من التصحيح إصلاح المُعَبِر وليس إصلاح التعبير، ومن المبادئ الجميلة (لا خير في إصلاح لا يدرك الطالب أساسه، ولا في صواب لا يكتبه الطالب بنفسه) (إبراهيم، ١٩٧٣: ص١٦٧)، وقد عرض الباحث الأسئلة التقويمية في البرنامج على خبراء طرائق التدريس والقياس والتقويم، واعتمد نسبة اتفاق (٨٠%) فأكثر بين المحكمين.

ت- ٣: التقويم الختامي:

يجري عادة هذا النوع من التقويم في نهاية السنة الدراسية أو نهاية الوحدة الدراسية، ويشير الى درجة تحقيق التلامذة لمخرجات التعلم المقررة، كما يستخدم في الحكم على مدى فاعلية المعلم والمناهج المستخدمة وطرائق التدريس (الدليمي وعدنان، ٢٠٠٠: ص١٢)، وكون التقويم الختامي أطول وأشمل من

التقويم التكويني كونه يتناول العموميات لعينة ممثلة من الأهداف وأجزاء المحتوى (العزاوي، ٢٠٠٨: ص٢٥).

ت- ٤: التغذية الراجعة:

إن تصميم التدريس لا يقيم التلامذة بهدف الكشف عن درجة تحصيلهم؛ وإنما يكشف عن مستوى تحقق المهارات اللازمة للوصول الى المعرفة وتوليدها (قطامي وآخرون، ٢٠٠٨: ص٢٥١)، إذ يقوم الباحث أثناء الدرس بتقديم التغذية الراجعة باستخدام عبارات الثناء مثل: (أحسنت، بارك الله فيك، جيد) في حالة إجابة المتعلم إجابة صحيحة، أما إذا كانت إجابة المتعلم غير صحيحة فتصحح الإجابة من خلال سؤال المعلم التلامذة الآخرين عن ذلك الخطأ أو التصحيح من المعلم نفسه.

وفي هذا البرنامج يمكن الاعتماد على أنواع من التغذية الراجعة المصاحبة للتقويم مثل: (التغذية الراجعة اللفظية، والتغذية الراجعة البعدية، والتغذية الراجعة النهائية) وذلك للتأكيد على تحسين أداء التلامذة، فالتغذية الراجعة عبارة عن إتاحة الفرصة للمتعلم ليعرف ما إذا كان جوابه صحيحا أم خاطئا، فهي ترافق التقويم التكويني في أثناء عملية التعلم وتكون ذات أنواع عدة؛ كما ترافق التقويم النهائي وتقتصر على أعلام المتعلم بنتيجة تعلمه لمدى تحقيق الهدف التعليمي النهائي (الحيلة، ١٩٩٩: ص٢٥٥).

٣- إجراءات التثبت من صدق البرنامج التعليمي المقترح:

بعد أن أكمل الباحث مستلزمات بناء البرنامج المقترح بصيغته الأولية بالاستناد إلى الأدبيات السابقة، ثم عرضه على عدد من الأساتذة الخبراء من ذوي الاختصاص في مناهج وطرائق التدريس اللغة العربية والقياس والتقويم والتربية وعلم النفس والإحصاء واللغة ملحق (١)، للحكم على مدى صدق البرنامج التعليمي المقترح، لإبداء آرائهم بما يأتي:

١- مدى ملاءمة مهارات الاستماع للدروس التعليمية.

٢- مدى فعالية الدروس في تحقيق أهداف البرنامج.

٣- مدى ملاءمة الطرائق والأنشطة التعليمية للتلامذة.

٤- مدى ملاءمة الأهداف السلوكية لكل مهارة من مهارات الاستماع.

٥- مدى ملاءمة الوقت المخصص لإنجاز كل درس من دروس البرنامج التعليمي.

إذ قدم الأساتذة الخبراء مجموعة من الآراء والتوجيهات المفيدة التي أنارت طريق الباحث وارتقت بالبرنامج بصورة أكثر رصانة، وقد التقى الباحث بالخبراء وتواصل مع البعض الآخر الكترونيا للمناقشة بعض هذه الآراء، ثم أجريت التعديلات كافة، وقد التزم الباحث بنسبة (٨٠%) من اتفاق آراء الخبراء، وبهذا أصبح البرنامج جاهزا للتطبيق، وبذلك تحقق الهدف من البحث وهو بناء البرنامج التعليمي، ملحق (٢).

الفصل الرابع: نتائج البحث:

إن بناء برنامج تعليمي قائم على مهارات الاستماع هو الهدف الرئيس من هذا البحث، وقد تحقق من خلال الإجراءات التي قام بها الباحث في الفصل الثالث، إذ تكون البرنامج المقترح على (١٤) موضوعا كل موضوع يقدم في درس منفرد يستغرق (٤٠) دقيقة، كما يتضمن البرنامج طرائق وأساليب ونشاطات متنوعة لتحفيز المتعلمين.

التوصيات:

١. تشجيع تلامذة المرحلة الابتدائية بممارسة مهارات الاستماع أثناء تعلمهم.

٢. تضمين دورات إعداد وتطوير المعلمين أثناء الخدمة موضوع توظيف مهارات الاستماع فيما يقدموه للتلامذة من معارف.

٣. من الممكن لوزارة التربية الاستعانة بهذا البرنامج في التخطيط لدروس التعبير والمحادثة للمرحلة الابتدائية.

٤. يمكن أن يقدم هذا البرنامج ضمن دورات طرائق التدريس لمعلمي اللغة العربية في المرحلة الابتدائية.

المقترحات:

١. إجراء دراسة حول مهارات الاستماع وعلاقتها بأساليب التعلم.

٢. إجراء دراسة حول توظيف مهارات الاستماع في فروع اللغة العربية الأخرى.

المراجع:

١. إبراهيم، عبد العليم (١٩٧٣): الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، ط٧، مصر، دار المعارف.

٢. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (١٩٨٤): المقدمة، ج ٢، المؤسسة الوطنية للكتاب.

٣. أبو جلالة، صبحي حمدان (٢٠٠١): استراتيجات حديثة في طرائق تدريس العلوم، ط١، الكويت، مكتبة الفلاح.

٤. أبو حويج، مروان (٢٠٠٠): المناهج التربوية المعاصرة مفاهيمها، عناصرها، أسسها، وعملياتها، ط١، عمان، الدار العلمية الدولية، ودار الثقافة.

٥. أبو دية، هناء خميس (٢٠٠٩): بناء وتجريب برنامج محوسب لتنمية بعض مهارات تدريس الاستماع في اللغة العربية لدى(الطالبات/المعلمات) في الكلية الجامعية للعلوم التطبيقية بغزة، رسالة ماجستير منشورة، فلسطين، غزة، الجامعة الاسلامية، كلية التربية.

٦. أبو زيتون، جمال وشادن عليوات (٢٠١٠): أثر برنامج تدريبي في تنمية مهارات الاستماع ومفهوم الذات الأكاديمي لدى الطلبة المعوقين بصريا، سوريا، مجلة جامعة دمشق، م٢٦، ع٤.

٧. أبو معال، عبد الفتاح (٢٠٠٠): تنمية الاستعداد اللغوي عند الطفل، ط٤، عمان، الأردن، دار الشروق.

٨. آل عمر، محمد إقبال (٢٠٠٤): بناء برنامج لمادة أصول الدين الإسلامي لطلبة كليات التربية في العراق في ضوء مستوياتهم في المادة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، العراق، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد.

٩. التميمي، عواد جاسم (٢٠١٠): طرائق التدريس العامة، ط١، بغداد، دار الحوراء للطباعة.

١٠. جامل، عبد الرحمن(٢٠٠٠):أساسيات المناهج التعليمية وأساليب تطويرها، عمان– دار المناهج.

١١. الجميلي، زينب عبد الحسين (٢٠٠٤): اثر الاستماع الناقد عند تدريس المطالعة في الأداء التعبيري وتنمية التفكير الناقد لطالبات المرحلة الإعدادية، رسالة دكتوراه غير منشورة، العراق، جامعة بغداد، كلية ابن رشد.

١٢. حجاج، علي حسين (١٩٨٣): نظريات التعلم دراسة مقارنة، سلسلة عالم المعرفة (٧٠)، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

١٣. الحيلة، محمد محمود (١٩٩٩): التصميم التعليمي (نظرية وممارسة)، ط١، عمان، دار المسيرة.

١٤. الحيلة، محمد محمود (٢٠٠٢): مهارات التدريس الصفي، ط١، عمان، دار المسيرة للطباعة والنشر.

١٥. الخفاف، إيمان عباس (٢٠١٢): التنمية اللغوية للأسرة والمعلم والباحث الجامعي، ط١، عمان، الأردن، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع.

١٦. خلف الله، سلمان (٢٠٠٢): المرشد في التدريس، عمان، الأردن، دار جهينة للنشر والتوزيع.
١٧. خوري، توفيق (١٩٨٣): التقويم التربوي والقياس النفسي ، ط١،مصر، دار النهضة العربية.
١٨. داود، عزيز حنا وناظم هاشم (١٩٩٠): علم نفس الشخصية، وزارة التعليم العالي، مطبعة جامعة بغداد.
١٩. درة، عبد الباري وآخرون (١٩٨٨): الحقائب التدريبية، ط١، منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول، بيروت، معهد النفط العربي للتدريب، إخراج وتنفيذ الدار العربية للموسوعات.
٢٠. زاير، سعد علي وإيمان إسماعيل عايز (٢٠١١): مناهج اللغة العربية وطرائق تدريسها، العراق، بغداد، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي.
٢١. الزبيدي، محمد مرتضى (ب.ت): *تاج العروس من جواهر القاموس*، ج٥، بيروت، لبنان، دار مكتبة الحياة.
٢٢. زهران، حامد عبد السلام (٢٠٠٩): المفاهيم اللغوية عند الأطفال، ط٢، عمان، دار المسيرة.
٢٣. زيتون، حسن حسين(٢٠٠١): تصميم التدريس، ط٢، القاهرة ، مصر، عالم الكتب.
٢٤. الساموك، سعدون محمود وهدى علي جواد (٢٠٠٥): مناهج اللغة العربية وطرق تدريسها، ط١، الأردن، عمان، دار وائل للنشر والتوزيع.
٢٥. السيد، محمود احمد(ب.ت): في قضايا اللغة التربوية، الناشر وكالة المطبوعات الكويت، لبنان، توزيع دار القلم.
٢٦. طاهر، علوي عبد الله (٢٠١٠): تدريس اللغة العربية وفقا لأحدث الطرائق التربوية، ط١، الأردن، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع.
٢٧. شبر، خليل ابراهيم وآخرون (٢٠١٠): أساسيات التدريس، عمان، دار المناهج للنشر والتوزيع.
٢٨. الشنطي، أميرة عبد الرحمن (٢٠١٠): أثر استخدام النشاط التمثيلي لتنمية بعض مهارات الاستماع في اللغة العربية لدى تلميذات الصف الرابع الاساسي، رسالة ماجستير غير منشورة، فلسطين، جامعة الأزهر.
٢٩. الشوبكي، مها محمد احمد (٢٠١١): فاعلية برنامج قائم على مهارات الاستماع لتنمية مهارات القراءة لدى تلميذات الصف الرابع الأساسي بغزة،رسالة ماجستير غير منشورة، فلسطين، الجامعة الإسلامية، كلية التربية.
٣٠. عبد القادر،حامد(١٩٦١): المنهج الحديث في التربية وطرق التدريس، ج٢، ط٢، القاهرة، مطبعة النهضة.
٣١. عبد الهادي، نبيل وخالد بسندي وعبد العزيز أبو حشيش (٢٠٠٥): مهارات في اللغة والتفكير، ط٢، الأردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
٣٢. العدوان، زيد سليمان ومحمد فؤاد الحوامدة (٢٠٠٨): تصميم التدريس، ط١، الأردن، اربد، مكتبة عالم الكتب.

٣٣. العزاوي، حسن علي فرحان (١٩٩٠): تدريس اللغة العربية بين الواقع والطموح، مجلة العلوم التربوية والنفسية ، العدد(١٥)، كلية الآداب، جامعة بغداد.

٣٤. العزاوي، رحيم يونس (٢٠٠٨): القياس والتقويم في العملية التدريسية، ط١، الأردن، عمان، دار دجلة.

٣٥. العزاوي، فائزة محمد (٢٠٠٣): بناء برنامج للاستماع لتلاميذ الصف الرابع الابتدائي في ضوء كفاياتهم اللازمة، أطروحة دكتوراه غير مشورة، العراق، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد.

٣٦. العسكري، ابي احمد الحسن عبد الله (١٩٦٣): شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، تحقيق عبد العزيز حسن، مصر، مكتبة ومطبعة الباب الحلبي وأولاده.

٣٧. عطية، محسن علي (٢٠٠٨): مهارات الاتصال اللغوي وتعليمها، ط١، عمان، الأردن، دار المناهج.

٣٨. عمر، أحمد مختار بمساعدة فريق عمل (٢٠٠٨): معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، ط١، ج١، القاهرة، عالم الكتب.

٣٩. الفراهيدي، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد (ب.ت): معجم العين، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، ج١_٤، دار ومكتبة الهلال.

٤٠. فرج، عبد الطيف بن حسين(٢٠٠٥): التدريس في القرن الواحد والعشرين، الأردن، عمان، دار المسيرة للطباعة والنشر والتوزيع.

٤١. قطامي، يوسف وآخرون(٢٠٠٨): تصميم التدريس، ط٣، الأردن، عمان، دار الفكر للنشر والتوزيع.

٤٢. مزيد، زينب خنجر (٢٠١٢): تأثير برنامج تعليمي في تنمية مهارات الاستماع النشط لدى أطفال الرياض، العراق، الجامعة المستنصرية، كلية التربية الأساسية، مجلة الأستاذ، العدد ٢٠٣.

٤٣. مصطفى، عبد الله علي (٢٠٠٧): مهارات اللغة العربية، ط٢، الأردن، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع.

٤٤. ملحم ، سامي محمد (٢٠٠٥) : القياس والتقويم في التربية وعلم النفس ، ط٣ ، عمان، دار المسيرة.

٤٥. ملحم ، سامي محمد (٢٠٠٦): مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، ط٤ ، دار المسيرة، للنشر والتوزيع.

٤٦. الهاشمي، عبد الرحمن وفائزة العزاوي (٢٠٠٥): تدريس مهارة الاستماع من منظور واقعي، عمان، الأردن، دار المناهج للنشر والتوزيع.

٤٧. نرجس، احمد عبد القادر (١٩٩٩): تطوير وتقويم نموج تدريسي في تصميم التقنيات التعليمية وفق منحى النظم، الجامعة الأردنية، مجلة دراسات العلوم التربوية، م ٢٦، ع١.

ملحق (١)

أسماء الخبراء على البرنامج التعليمي المقترح موزعين بحسب التسلسل الألف بائي واللقب العلمي

التسلسل	الاسم	التسلسل	الاسم
١	أ.د سلوى محمد عزازي	٢٠	أ.م.د فاضل ناهي عبد عون
٢	أ.د محمود أحمد السيّد	٢١	أ.م.د إسراء حسن علي
٣	أ.د جمعة رشيد الربيعي	٢٢	أ.م.د إيمان عباس الخفاف
٤	أ.د حاتم طه السامرائي	٢٣	أ.م.د سعد محمد جبر
٥	أ.د عبد الله احمد خلف	٢٤	أ.م.د سلام حسين علوان
٦	أ.د محسن حسين مخلف	٢٥	أ.م.د هناء محمود القيسي
٧	أ.د هناء رجب حسن	٢٦	أ.م.د صنعاء يعقوب خضير
٨	أ.د علي محمد العبيدي	٢٧	أ.م.د عفاف حسن الشبر
٩	أ.د نادية شعبان	٢٨	أ.م.د لمياء جاسم محمد
١٠	أ.د حسن علي العزاوي	٢٩	أ.م.د الهام فاضل عباس
١١	أ.د سعد علي زاير	٣٠	أ.م.د تماضر حميد مهدي
١٢	أ.د صفاء طارق حبيب	٣١	أ.م.د رائد رسم يونس
١٣	أ.د كامل ثامر رجا	٣٢	أ.م.د ضحى عادل محمود
١٤	أ.د ألطاف ياسين خضر	٣٣	أ.م.د طلال خليفة
١٥	أ.د أمل داود سليم	٣٤	أ.م.د ليلى يوسف الحاج
١٦	أ.د خديجة زبار غيدان	٣٥	أ.م.د هدى محمود شاكر
١٧	أ.د خولة عبد الوهاب	٣٦	أ.م.د حمزة جاسم السلطاني
١٨	أ.د سندس عبد القادر	٣٧	د. محمد الصويركي
١٩	أ.م.د حمزة عبد الواحد	٣٨	م.م عبد ذياب طارش

الحب الإلهي والاندماج الروحي في شعر سليمان بن علي التلمساني ٦٩٠ هـ

م.د. جنان فاضل علي
مديرية تربية محافظة النجف الأشرف

المقدمة:

يعدُّ الشعر وسيلة من الوسائل المهمة في تخليد الأفكار والأحداث التي تشكل هوية الأمة ، وتحدد ملامحها الفكرية والثقافية في إطار الحقبة التاريخية التي ينبثق منها ، فضلا عن امتداد الحقب التاريخية التي تسبقه بغية التواصل الأدبي والفكري والتطور الحضاري المشترك بينهما والذي تقرره طبيعة المجتمع ، وما تتعرض إليه من أحوال .

ومن هنا كانت لنا وقفة مع أحد شعراء القرن السابع الهجري في هذه الدراسة ليتسنى لنا فيها الحديث عن أهم المضامين والافكار التي دارت في شعره والتي مثلت ما كان عليه الشعر في تلك الحقبة.

يمثل الشاعر أبو الربيع ،عفيف الدين، سليمان بن علي بن عبدالله، العابدي ، الكومي، التلمساني (٦١٠ هـ _ ٦٩٠ هـ) أحد كبار شعراء التصوف في القرن السابع الهجري ، وقد نسب الى الكوفة وتلمسان[١]، أما الكوفة فقد كانت ولادته وأما التلمسان اذ كانت نشأته فيها، صنف في مختلف العلوم كالنحو والأدب والفقه وعلم الكلام، له آثار شعرية متنوعة، في الشعر والتصوف ، نذكر منها: شرح اسماء الله الحسنى، المقامات، فن العروض، شرح عينية ابن سينا، شرح تائية ابن الفارض ...الخ، وله ديوان شعر كبير ضم شعره في التصوف وغيره، وقد تم تحقيق ديوانه وللأسف لم أعثر عليه لذا اعتدت في هذه الدراسة على ديوانه (المخطوطة) نسخة مصورة.

وقد تناولت في هذه الدراسة (مظاهر الحب والاندماج الروحي في شعر سليمان بن علي التلمساني (٦٩٠ هـ)، فن التصوف عند الشاعر وجاءت هذه الدراسة من مقدمة تناولت فيها نبذة مختصرة عن التعريف بالشاعر، ومن ثم تطرقت الى ما تهدف اليه الدراسة ، وقد جاءت بمحثين شمل المبحث الأول (مظاهر التصوف في شعر التلمساني) وقد تطرقت فيه الى ماهية التصوف والاصول التي اعتمدها

الشاعر في فنه، اما المبحث الثاني (مظاهر الحب والاندماج الروحي في شعر التلمساني)، فقد تناولت فيه أهم الافكار والمعتقدات الصوفية التي ضمتها النصوص الشعرية في ديوانه، ومن ثم ختمت هذه الدراسة بما توصلت إليه من نتائج، بعدها رفدت هذه الدراسة بقائمة المصادر والمراجع .

المبحث الأول: مظاهر التصوف في شعر التلمساني:

يمثل المتصوفة أقصى درجات الزهد والمبالغة في الانصراف للدين والإعراض عن كل ما يمت إلى هذه الدنيا بصلة فالتصوف (علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك وتصفية البواطن من الرذائل وتحليتها بأنواع الفضائل أو غيبة الخلق من شهود الحق، أو مع الرجوع إلى أثر فأوله علم ووسطه عمل وآخره موهبة)(٢).

وقد نشأ التصوف بين حلقات الزهد وعرف حين مال الناس إلى الدنيا فاتجه الآخرون إلى الأخرة، يقول ابن خلدون: (وقد كان ذلك فاشياً في الصحابة والسلف وكان الإقبال على الدنيا ، في القرن الثاني وما بعده ، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، فأضفى المقبلون على العبادة باسم الصوفية)(٣).

وتتجلى أصالة التصوف في التزام الزهاد والمتصوفة بقواعد الشرع وارتباطهم بالقرآن والسنة وعدم مخالفتهم لها يقول الجنيد: (التصوف تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية واخماد الصفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانية ومنازلة الصفات الربانية والتعلق بعلوم الحقيقة وإتباع الرسول في الشريعة)(٤).

ومما تجدر الإشارة إليه، أنَّ انصراف المتصوفة عن الدنيا وانشغالهم بالدين شجع الحكام بذل كل ما يستطيعون لدعم انتشار التصوف بين طبقات المجتمع فأصبح المتصوفة فئة مميزة في المجتمع ولهم مكانة خاصّة عند الحكومة(٥).

ولعل أهم تلك المظاهر لشعر التصوف عند الشاعر هي:

أ . الشعر الديني.

ب . الغزل.

حـ . الخمريات.

أ . الشعر الديني:

أينع شعر التصوف لدى الشاعر على اغصان الشعر الديني . لاسيّما . المدائح النبوية، إنَّ حبه لرسول الله (ص) وأهل بيته : كان أقوى ما عرف من عواطف الشاعر وهو في حبه يمثل الروحانية أصدق تمثيل.

يقول التلمساني في إحدى قصائده التي مدح بها الرسول الأعظم محمّد (ص):

يقول رسول الله وهو المصدق وعن عالم الغيب الإلهي ينطق
أطيعوا الهوى وأهدوا الى طاعة الندا ولا تفرقوا فيه ولا تتفرقوا
ولي خلق عنه الكتاب منزل فبالقول منه والفعال تخلقوا
نطقت به عن روح غيب مقدّس فسبقني جبريل عنه وأسبق
وقد كنت قبل الغيب فيه ممكنا فأوجب أمكاني الوجود المحقق(٦)

ينكشف في هذا النص أنَّ الشاعر قد أبدع في نظمه، إذ جعل أبياته تدور بلسان الرسول الأعظم (ص) مباشرة واصفاً شمائله الكريمة وأخلاقه الفاضلة مشيداً بالحقيقة الوجودية من كون رسول الله 9 لا ينطق عن الهوى وإنما ينطق عن عالم الغيب الإلهي.

وقد يلجأ الصوفي إلى الرمز والإيماء في التعبير عن متعقدِهِ باعتباره أفضل صياغة ممكنة لهذا المجهول، إذ يقول التلمساني في مدحه لرسول الله (ص) في أحدى قصائده التي استهلها بقوله:

عيون الحيا جودي لتربة أحمد بدمع هتون ودقة متصوّب
وعاد بطيب من سلامي نشره نسيم الصبا النجدي من خير طيب
بلاد بها للوحي مربى ومربع ومنتجع الغفران عن كل مذنب(٧)

وينتقل الشاعر إلى المعاني الصوفية بقوله:

وحيث الكمال الطلق والمركز الذي إليه انتهى دون المحيط الكوكب
ترى برزخ البحرين كون مكوّن ومطلّعا في حده المترتب(٨)

يتحدث الشاعر عن الحقيقة الوجودية في ماهية الحلول والتي تعني قيام موجود بموجود على سبيل التبعية، و(ولما شعر بنشوة الحب الإلهي ودرج إلى الفناء أحس بأن الله قد حل فيه فاشتركت فيه الطبيعة الإلهية مع الطبيعة الإنسانية وامتزجت الروحان مزجاً حتى صار فيه: مزجت روحك في روحي...)(٩).

الخمريات:

أتخذه الشعراء سبيلاً في الرمز الصوفي، فيؤولها تأويلاً ينسجم مع تجربتهم الروحية فتنتاب الصوفي حالة من الحركة والاضطراب إذ (لهم بكل شيء مزيد ومن كل شيء توحيد، كل خاطر بهم يردهم إليه (الله) وكل منظور إليه يدلهم عليه، وكل نظرة وحركة طريق لهم إليه)(١٠)، يقول التلمساني في أحدى قصائده التي قصرها على وصف الخمر.

هذه القماري تغنت فاجل يا قمري شمساً تكاد تأتي على بصري(١١)

يشير الشاعر إلى قدم الخمرة، فيذكر أنّها قديمة أزلية وفي هذا إيماء بأن السكر في الخمر مرتبط بالأزل وبما أن الصوفين يجدون ان الحب الإلهي وتعلقهم بالخالق يأتي عن طريق السكر بالحب فلا غروا أن يكون هذا السكر قديماً كل القدم ولا غروا ان تكون الخمرة كذلك لهذا أطلق الشاعر لفظ الشمس على الخمرة واختياره بالذات له دلالته في الرمز والتصوف معاً، فالمعروف في مفهوم اللغة الاصطلاحي أن الشمس من أسماء الخمرة أو سميت بذلك لأنّها تشمس بعقل شاربها ورأسه وقد تجاوز المعنى اللغوي والاصطلاحي إلى المعنى الصوفي، وهو أن المتصوفة يطلقون لفظ الشمس على النور الإلهي ويعبرون

به عن الحق سبحانه وتعالى.

ويمضي الشاعر ليتحدث عن الخمر بقوله:

ينال منها جنان الخلد شاربها ونار لا لأنها ترميه بالشرر
فإن خشيت عيون الحاسدين بها ففي أشعتها إن شئت فاستتر (١٢)

يصف الشاعر أثر الخمرة في نفسه وبدنه فيقرر أنها تحمل شاربها إلى جنان هائم، نشوان لا يتأثر بنار لهيبها وما تسببه من حرقة.

وحينما تتهيأ الروح للاتصال بالغيب ،لكي تعود إلى عالمها الآخر، لا بدَّلها من قطع كل سبب يفصلها عنه، حتى وان كان هذا السبب هو الذكر، الذين يكون في تلك الحالة القلقلة حجاباً يقول التلمساني:

وائت حانات حبه يا نديمي بائعاً بالعقار ثوب الوقار
وتوّرع من التوّرع فيها وأصرف الهم بالكؤوس الكبار
نحن قوم بها شربنا وطبنا ورفعنا برمي تلك الجمار
وتجلى حبيبنا فشهدنا واعتنقنا من غير إثم وعار
قم خليلي إلى متى ذا التواني نغتنم فرصة الزمان المعار (١٣)

والشاعر عند السكر يغدو هائماً في ملكوت الله، تفيض روحه بنشوة طاغية تذهله عن كل ما حوله فيتضاءل سلطان العقل، وعلى كل امرئ أن ينتهب هذه السويعات القليلة من الزمان المعار، إذ إنه من المعار أن يسترسل بالجد والوقار في أطوار سكره، فحين يشرب ليطرب بين شموس الكؤوس المشرقة وأقمار الحسن الدائرة في أفلاكها، وحينئذٍ يتجلى وجه الحبيب الأغر الأكبر فيسوّغ لنفسه حينئذٍ الاعتناق الأبدي واللثم الطاهر الذي لا يدّنسه الإثم والعار.

والصوفي يشعر بالحيرة في تلك اللحظات المتناوئة بين الحضور والغياب، بين التجلي والستر فاذ لمع (الحق) قطعك عنا وحيك به، لكن لم يسفر نور نهاره حتّى كرّ عليه عساكر الليل، فهؤلاء بين روح ونوح لأنّهم بين كشف وستر (١٤)، يقول التلمساني:

تهز القدود في الحان قزاً بين تلك الشموس والأقمار (١٥)

إنه التواجد الذي يكون الشاعر خلاله هائماً لا يجد في الرقص عيباً إن كان يعبر عن مواحيد تهزه مرغما وبعد أن تصبح الأرض معبداً للإيقاع السماوي الذي يفجر أشواقها إلى البعيد (وهكذا يجيء الرقص الصوفي بحثاً عن شيء مفقود)(١٦) ثم يتيه الصوفي حتى لا يعرف من يكون انها حالة من الاغتراب عن مناخه الأول في واجد تدفعه إلى كون آخر، وكلما يقترب من كونه الآخر يزداد ضياعاً في عالمة الأرضي.

ويبدو، أنّ الشاعر يتعمد الإغراق الصوفي من خلال وصف الخمرة ويؤكد أن خمرته الصوفية متميزة عن الخمرة المعروفة عند الناس عامة، والشعراء الخمريين خاصة ،إذ يقول:

لا يسكن إليهم في ساحات ساحتها وليس ترقى إليها همة الغير
زادت على قدم الأيام مدتها فالدهر أقصى منها مدى العمر
وأنت مع حدثان الوجد تطلبها بكراً تزول في الأصال والبكر
لو لم يكن عالم الأرواح عالمها لم يجي من بعد موت عالم الصور (١٧)

يتحدث الشاعر هنا عن ساحات حانتها وقدمها، وأنّها من عالم الأرواح مؤكداً قوله بما يشير إليه من دلالة عالم الصور الذي يجي بعد الموت.

لذا فنراه يقرر بأن الراحة الكبرى والفوز المطلق مخصصان لكل من باع رسمه في حانتها، إذ يقول:

فمن بيع رسمه في حان سكرها بالعين منها يفز بالعين والأثر(١٨)

ويحث الشاعر على شربها لأنّها– كما يراها – أنها تصرف الإنسان عن هموم دنياه ويطيب إذ يقول:

فعاط قهوتها ابناء سكرتها ما دنوا طيب صفو العيش بالكدر
من كل أبلج لو لم ندت همته تواضعاً كان إحدى الأنجم الزهر
أقام بين نداماه وهمته فوق الكواكب لم يترح على سفر(١٩)

ويجيد الشاعر في كؤوس شرابها الهداية المطلقة إلى سواء السبيل، إذ يقول:

مدامة من يغب يحضر بحضرتها ومن يضل بها تهد إلى السبل(٢٠)

ويؤكد الشاعر بأن الإنسان يعجز عقله عن إدراك الحقيقة الكاملة الكامنة والقصد في عصرها في العصور الخوالي منذ الأزل الأول، إذ يقول

تلك التي كلت الأفهام عن درك الـ إدراك من عصرها في الأعصر الأول(٢١)

والحق أنَّ الشاعر الصوفي كثيراً ما يلجأ إلى الرمز رغبة بما تكن نفسه من (معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر لا يظفر به إلا أهله)(٢٢)، لذا فالشاعر أتخذ من خمرياته ليرقى إلى حالة السكر، حيث تبدأ روحه بالتحرر ولو قليلاً من قيودها، ويبدأ بالشعور وكأنه ساع إلى المطلق في إيقاع متناوب بين العلو والانخفاض مفرغاً في إيقاعه هذا كل الشوائب الحسية التي مازالت تحول بينه وبين عالم الروح ، يقول التلمساني:

لو لا مرور صبا نجد يجانبها من المحبين ما عُدَتْ من الرسل(٢٣)

تستحضر (لولا) في هذا البيت بالمشاعر التي تربت على حصول حالة السكر بما يرمز إليها الصوفي في الهبوط إلى صبا نجد وبما حملت من رسل سماوية، محاولاً من خلالها نقل حالة من الشعور بالحركة الداخلية التي يشعر بها من إلى مضامين خارجية مرتبة صبا نجد، أو مدركة ما عدت من الرسل.

وما يزال الصوفي في حالة السكر يشعر بوجوده، ما يزال يشعر بالانا الذي يمثل عائقاً يحترق الصوفي من أجل تحطيمه، من أجل المزيد من الاقتراب نحو الحياة الواعية الأخرى، يقول التلمساني:

فهل أنا والساقي يناول كأسها فأشرب صرفاً أو يغني فأطرب
فإن لام فيها الشيخ طفل غرامها على شربها فالشيخ كالطفل يلعب
تذكرني الحلاج والكأس تجتلى ولكنّها عنه تصان وتحجب
ولو لم يكن راووقها كصليبه لما عذروا حلّاجها حين يصلب(٢٤)

هذه الأبيات تلخص تجربة الشاعر في حالة السكر، حيث ينقلنا إلى مناخ فريد ،وإلى عالم خاص من الدلالات التعبيرية يبدأ من الداخل مستخدماً أسلوب الاستفهام يكشف من خلاله عن الاحاسيس القلقلة المضطربة التي تنتابه معرضاً للساقي والكأس والغناء، وهو في ناحية أخرى يقوم بتشكيل رؤيا بإلغاء الانا نتيجة للبعد النفسي الذي المَّ به حين وقوفه عند الحلّاج المتصوف الأكبر المصلوب مُثيراً نفوسنا وعواطفنا بما يؤاخذه في رمزه الصوفي بالخمرة عند ذكر الراووق والصليب لأنه لم يلتزم كتمان الحقيقة الصوفية (تقية) وإنما صرح بها من خلال مواجده ومواهبه وسلوكه.

الغزل والنسيب:

يتضمن بحث النسيب والغزل الصوفي، التحدث عن معالم النسيب العربية ووصف نجد وما حوله والتحدث عن العروبة والعرب ووصف النساء العربيات والوقوف عند أوصاف الحب وأحوال المحب.

والحق أن الشاعر الصوفي لم يرد استخدام الغرض الأصلي من النسب والغزل كما هو معروف عند الشعراء وإنما كان يتخذه رمزاً وسبيلاً يرقى به نحو الأكوان الصوفية وتوجهه نحو معتقده يقول التلمساني:

أمَّا هذه نجد أنيخا مطيتي ليسقي بها دمعي منازل علوة
وأسال عن قلبي فثم فقدته عيشة سار الظاعنون بمهجتي
منازل اطرابي ومغنى تهتكي مرتع ايناسي وموطن خلوتي(٢٥)

يصف الشاعر نجداً وأطال في وصفه كثيراً وذلك شأن الصوفي إذ يهتم به كثيراً لانّه يضم البيت العتيق، ويرى أنّ الله أقرب ما يكون إلى عباده منه، إذ شهد الفيض الإلهي المتمثل في الوحي المنزل على أنبيائه جميعاً.

ولم يقتصر الشاعر في شعره على وصف نجد ،بل يذكر أسماء أماكن أخرى معروفة في الجزيرة العربية وكأنما يستقصي في نسيبه أسماءها، ووصف خيام العرب وقيامهم وهوادجهم، إذ يقول:

أيا عرب الخيام كذا أضعتم نزيلاً في جنابكم المنيع
ويا ظبي الصريم أخذت قلبي فليتك لو أضفت له جميعي
سكنت بمهجتي والجار يرعى فما لك لا ترق على خضوعي(٢٦)

ويتحدث الشاعر عن العرب والعروبة(٢٧) إذ يقول:

وينجد (عُرْب) نزول أضاعوا للمحبين ذمة النزلاء
ضربوا خيمة المليحة في الرو ض وأجروا أنهارها من بكائي
ودعوا للعقيق دمعي ومن أيـ ن لد معي العقيق لولا دمائي(٢٨)

يلخص الشاعر في هذه الرؤية الشعرية حالة الوجد الإنساني من الانتماء للعرق العربي وتمجيده فيقدمها في صورة موجزة إيجازاً شديداً لتستبطن في كلماتها القليلة تفاصيل كثيرة.

وحين تمتلأ النفس مشاعر الحب والوجد الإلهي تتصاعد العلاقة بين الحبيب والمحبوب، فتبدأ روح الصوفي وكأنها قد امتزجت بروح محبوبه تتلاشى نفسه العاشقة وتذوب روحيا في بقاء الله في لحظة يصبح فيها كل ما في الوجود عدما ، يقول التلمساني:

وفي لي من أحب وزار وهنأ فبالله ما أحلى وأهنا
والتمني لماه فبت منه أقبل من فريد الدّر مثنى
ذوائبه كليل الهجر طولا ولونا واستتاراً فيه عنّا
وتقلقله إذا نشرت عليه وإن زادته في الأبصار حسناً(٢٩)

الشاعر حينما يفتح عليه الغيب يرى، ولكنّه لا يعرف كيف يرى، حيث تفقد الرؤية البصرية معناها، مثلما يتلاشى عند الشهود كل الحواس الأخرى، تعطي للشاعر حاسة أخرى لا يعرف هو نفسه مكنونها، إنّما كل الذي يدربه أنَّ الله حاضر في قلبه. (بحيث لا يكون ثمة مجال لصفة تفسد الاتحاد الذي تحسه النفس في حضورها مع الله)(٣٠).

ومما يبدو، أنَّ الشاعر جسد من خلال هذه المقطوعة الغزلية عمق الفكر الصوفي نحو الموجود والمرئي، فانطلق وفق هذا المنظار مميزاً ما هو فان ودائم ليجعل من الرؤيا القلبية حيث التجلي الإلهي جوهراً للرؤية الحقيقية السرمدية ، فالنور الحسي ينقطع بانقطاع أصله، والنور المعنوي لا ينقطع أبداً ، إذ كان الشاعر فيها لا يعمد إلى الجمال الفني بقدر ما كان يعمد بما تفرضه أحاسيسه ومشاعره تجاه البعيد الغائب، فجاءت هذه المقطوعة مفعمة بالكثير من الدلالات التي تكشف عن نفسية الشاعر، فهو متوجه إلى الباري (عز وجل) محاوره، مسافراً بهيامه إلى عالمه البعيد، فتثير انفعالاته وما تتمخض عنه من صور وإيقاعات ونبرات، تستميل دموعاً وآهات، يلونها حزن ينطوي على رفض واقعه وقلقه بذات البعيد

اللانهائي.

المبحث الثاني: مظاهر الحب والاندماج الروحي في شعر التلمساني:

لعل ما يميز الشعر الصوفي عن غيره بأنه يعكس أفكار الشاعر الصوفي ومعتقداته ويعبر فيه عن مجموعة من المصطلحات والألفاظ التي كثر استعمالها بينهم، وصارت لها مدلولات خاصّة بهم لذا فإنهم اعتمدوا في تظم أشعارهم وتنظيرهم لأفكارهم محاكاة العقل حتى بدت أشعارهم لغير المتصوف أشبه بالطلاسم والمعجمات، فاكتسب الشعر غموضاً لا سبيل إلى إزالته إلا بالرجوع إلى كتب التصوف.

والحق أنَّ للصوفية معتقدات عدّة منها ما هو مأخوذ عن الفلسفة التي شاعت في الإسلام ومنها ما هو توسّع في تعاليم القرآن ومنها ما هو نتيجة لاختيارات شخصية، ومهما تعددت المذاهب واتسعت الفرق الصوفية إلا أن غايتهم واحدة وهي الاتصال بالله والاتحاد به، ومن تلك المعتقدات التي وردت في شعره نذكر منها :

عشق الذات الالهية والبحث عن الحقيقة المطلقة:

يخلق الصوفي بالحب كونه الخاص وتتبادل الأشياء ووظائفها فلا ذرة في الكون إلا ولها قلب، إذ يقول التلمساني:

سبيت الورى حسناً وأنت محجب ... فكيف بمن يهواك إن زالت الحجب
وأصبحت معشوق القلب بأسرها ... ولا ذرة في الكون إلا لها قلب(٣١)

الرؤيا الشعرية التي نلمسها هنا تنمو بين القلب الذي تحول إلى ذرة في الكون وبين المحبوب الذي استوطن القلب، والذي له فيه أصبح معشوقه فيكون محور الرؤية القلب وعلاقة المحبوب به، فيختفي دور القلب من ناحية، ومن ناحية أخرى ينسج علاقة مباشرة بينه وبين الذرة بحيث يتعادل الاثنان ليكشف البيت الثاني عن توحد المحبوب في القلب وتمكنه فيه (فالصوفية بوصفها موقفاً تشويش لنظام العالم ا لظاهر وأدوات معرفته وهي بوصفها تعبيراً تشويش لنظام الكلام المألوف، وبعد ذلك ان الصوفي لا يقيم

بينه وبين الطبيعة وأشيائها علاقات عقلية وإنما الطبيعة عنده مجمع للرموز والصور والإشارات وعلاقاته بهذا كله علاقات قلبية بالمعنى الصوفي للكلمة)(٣٢).

ان الاتصال بالله هو الغاية التي يهدف إليها التصوف في كل زمان ومكان فالصوفي (من أشد خلق الله نزوعاً إلى طلب الكمال والجمال، وقد وجد هذا في اتحاده بالله، فالله مثاله المادي والمثالي معاً)، (٣٣) يقول التلمساني:

فقد أذن التحقيق أن يغتدي إلى مباديه والمعنى إلى عرشه استوى
فإن وقفت فيك المعاني وكنتها وسار بها الحق الوجود بما انطوى(٣٤)

فالشاعر هنا يبرز المعنى المطلق وهو العقل الأكبر الذي يفيض وهو على عرشه استوى ويتجرد الإنسان من وجوده حين يؤذن له التحقيق ليعود إلى معناه الأول، لأنّه صادر عنه ومرتبط به ومصيره إليه.

والحق أنَّ الشاعر الصوفي حينما يعبر عما ينتابه من مشاعر يقترب من عالم الغيب، هذا فتصيَرهُ انفعالاً عما أنتابه من مشاعر الوجد، فهو ينطلق من الرؤيا القلبية لا يكاد يلجأ إلى تسمية الظواهر النفسية التي يعتمدها مادة لشعرهِ وإنما ينزع إلى نقل ما قادته أحاسيسه عبر هذه الرؤية من انطباعات وانفعالات في لغة مغلقة توحي أكثر مما تسمى أو تعبر أكثر مما تصف، يقول التلمساني:

وكنت الذي قد كان أمسى وكلما يكون غدا في حاليتك على السّوا(٣٥)

يلجأ الشاعر الصوفي لفلسفته في وحدة الوجود إلى استعمال ماهية التكوين فيشير الشاعر هنا إلى الأحوال الثلاثة من ماضيه التكويني وحاضره الوجودي ومستقبلهُ التحقيقي يطمح من خلالها إلى إبراز وحدته المطلقة، إذ يقول:

فأنت ولا شيء سواك منزّه عن الشبه إذ لا شيء أنت له سوى(٣٦)

يقرر الشاعر للعلاقة بين الخالق والإنسان في كونهما شيئاً واحداً، يوحدها العشق بكونه صفة ثابتة في الطرفين، إلا أن الثاني مرهق بطبقات من الحواس، واثقال من الأعراف والعادات والرواسب، تمنع من الأحاسيس بالروحانية ،و تعرقل قابليته على الاتصال بعالم السماء، فلا شيء أنت له سوى، وأنت وحدك المنزه عن المثيل والشبيه، ولا شيء بعد ذلك كله سواك.

إنّ معرفة الله تكون هبة منه يمنحها لعباده من يشاء، إذ يستطيع الفرد من خلالها معرفة الصفات الإلهية التي أجمع الصوفية على أنه لا يكن لبشر الإحاطة بها أو إدراكها (فالدليل على الله هو الله وحده، وسبيل العقل عندهم سبيل العاقل في حاجته إلى دليل لأنه محدث والمحدث لا يدل إلا على مثله) (٣٧)، يقول التلمساني:

وذلك حقا صبغة الله في الورى واحسن به عند الرواية والروى(٣٨)

يقرر الشاعر الحقيقة الأبدية للخالق بعد أن يصطبغ القبح بالحسن وينفي (الغير) و(السوى) من أزلها إلى سرمدها.

ويلح الشاعر في إرجاع (السوى) إلى الصفات البشرية، وعدّها أكبر البلاء في تجريد معنى الوحدة المطلقة، ويؤكد أنَّ النواظر لا تقوى على رؤية طريق النور والهدى إلا إذا تجردت وتحللت من هذه الصفات، إذ يقول:

لها سبحات يرفقها صفاتها فظنوا (سواها) والصفات هي البلوى
فمن يعم عن إبصارها يبصر الهدى وإلا فوجه الحسن عن لحظه يروى

ويرى الصوفية بأنه لا موجود إلا الله بمعنى ان لا وجود مستقل بذاته إلا وجود الله (تعالى)، أما العالم فليس وجوده من ذاته ولا بذاته ولا قوام بذاته وإنما هو عندهم شأن من شؤون الله (تبارك وتعالى) ويعبر

بعضهم بأنه فعل من أفعاله، يقول النابلسي: (إنَّ جميع العوالم على اختلاف أنواعها وأجناسها موجود من العدم بوجود الله تعالى لا بنفسها، فالوجود الحق هو عين ذات الحق تعالى وهو وجود واحد لا شيء سواه، ولا يتحد مع شيء لأنَّ جميع الأشياء موجودة بوجوده الي هو عين ذاته)(٣٩)، فالصوفي حينما يفتح عليه الغيب يرى، ولكنه لا يعرف كيف يرى حيث تفقد الرؤية البصرية معناها، مثلما تتلاشى عند الشهود كل الحواس الأخرى وتعطي للصوفي حاسة أخرى لا يعرف هو نفسه مكنونها، انما كل الذي يعلمه أن الله حاضر في قلبه .

يقول التلمساني:

وكن عندما يبدو من الحسن واتخذ ... إلى الحسن معنى يجعل القبح حسناً ما
فإنّك ان تعقل ثن الحسن وحده ... ولا قبح إلا حيث تجعله وهما(٤٠)

يغرق الشاعر في التحدث عن الوحدة المطلقة، فينفي فكرة التعدد، ويندد بفرقة التعداد، ويكرهها كما يكره الازدواجية الثنائية في كل شيء ذلك لأن التوحيد والتحقيق في أصولهما الصوفية لابدّ منهما، على أن التوحيد أصل واحد وجوهر مفرد، يتلاشى القبح حين يسطع نور الحسن في معرض الوجد والهوى وتزول عن العين العليلة فكرة الازدواجية وعن النفس الكليلة فكرة (الغير) و(السوى) الثنائيتين ولا تبقى بعد الوحدة المطلقة قبح لأنّ شمس الحسن تنفي كل ما عداه، وهكذا يتلاشى وهم القبح البشري بشروق شمس الحسن الإلهي وحدها وتبرز من خلالها الحقيقة السرمدية،

ويستطرد الشاعر في هذه الثنائية (ثنائية القبح والحسن) والازدواجية المتمثلة في التعدد ليعيد كل شيء في الكون إلى الواحد الفرد الصمد فيقول:

إذا ما صبغت القبح بالحسن في الهوى ... وزال بحكم العين عن قلبك (السّوى)
وعاد الذي الفيته متعدّداً ... الى واحد كل الكثير له قوى(٤١)

ويبدو أنَّ الشاعر الصوفي استطاع أنْ يوضح لنا هذا العالم المحسوس، أو هذا العالم المادي، إذ هو صورة وظل للخالق، أو بتعبير آخر فإنَّ هذا الوجود مرآة تعكس وجه الحقيقة المتمثلة في الذات الإلهية.

الترميز والغموض في شعره

اتخذ الشاعر من الخمرة وما فيها من وصف لقدمها والخمار الذي سقاها تصويرا ورمزا لعالم الصور والارواح ، فعندما يسكر المتصوف بخمرة الحب الإلهي قد ينعم الله عليه بنعمة أخرى هي حال الفناء فيه فـ(سر المحبة لا يكاشف به إلا من أطلع عليه، ولا تحدث به إلا من أعطيه، وما رأيت أحداً رسمه في كتاب لأنه لا يؤخذ من كتاب ، وإنما يتلقى من أفواه العلماء، وينسخ من قلب إلى قلب)(٤٢)، فالحب الصوفي حاجة مستمرة إلى محبوب غائب، بعيد قريب، حاضر غائب، وهو لا يرى في الوجود غير الحق ولا يشعر بشيء سوى الحق وفعله وإرادته، فالفناء الحق فناء عن الخلق وبقاء في الحق، يقول الشاعر عفيف الدين التلمساني مصوراً ذلك:

شهدت نفسك فينا وهي واحدة كثيرة ذات أوصاف وأسماء
ونحن فيك شهدنا بعد كثرتنا عينا بها أتحد المرئي والرائي
فأول أنت من قبل الظهور لنا وأخر أنت عند النازح النائي
وباطن في شهود العين واحدة وظاهر لامتيازات الإبداء
أنت الملقن سري ما أفوه به وأنت نطقي والمصغي لنجواي[٤٣]

انها دعوة للبوح بالحب، فالشاعر تؤرقه نفسه الهائمة يحب الله فالله هو العقل المبتدع الأول نفسه، وهو الحقّ والحقيقة المثلى وهو المعنى الأزلي وهو الأول والآخر، وهو الظاهر والباطن وهو القريب والبعيد وهو الناطق والصامت، وهو الملقن والمصغي.

الحب شعور وإحساس ينمو ويتكاثر بلا حدود، وبه تسمو العلاقة بين الصوفي وربه، وبين العبودية

والقنوع، فالحقيقة عندهم شيء يحب ولا يتعقل، والعلم بها علم يتذوق ولا يعلل أو يفسر، ثمّ هي فوق كل هذا شيء يتجلى للقلب في القلب وقد يتساوى الخير والتوفيق في فلسفة الصوفي في الحب الذي يضفي على متناقضات الجمال كله، فكل شيء جميل لأنه من قضاء الله ومن إرادته.

يقول عفيف الدين التلمساني:

يا شاغلي بجماله الممتوع عن رفيع طيب حديثه المرفوع
قالوا: أتبكي من بقلبك داره جهل العواذل داره بجميعي
يا من غدا بجماله متعززاً عطفا على ذلّي وفرط خضوعي
ناديت في ناديك: يا كل المنى باسم الغرام وأنت خير سميع(٤٤)

فيمثل هذا التشاكل والدوران حول المعنى رؤية شعرية يستخدمها الشاعر لترسيخ الدلالة وتدعيمها (وبالذكر يقطع الصوفي نفسه عن كل سبب بينهما وبين غيرها، فإذا هي لا تحس بشيء ولا تتجذب إلى شيء ولا تقبل على شيء ذلك بأنها مستقلة بشيء واحد انجذبت إليه وأقبلت عليه، وذلك الشيء الواحد هو الذات الإلهية ذات الجمال المطلق الذي انطوى تحت لوائه، وفاض منه كل ما في الكون من آيات)(٤٥).

لذا فإن كان السجود للحسن فرضاً كما أشرنا إليه فعبادة الجمال عند الشاعر الصوفي لابدّ منها، إذ يقول التلمساني:

وما كنت أدري فتنة العشق قبلها إلى أن رأت غير جمالك يعبد(٤٦)

الشاعر في حبه هنا استطاع أن يتسامى ويتحرر من القيود الخارجية التي تشده بعيداً عن المحبوب متجاوزا تلك القيود ليكون أكثر قرباً من عالمه الواسع الذي يغدو به أكثر إشراقاً، فمحبة الصوفي لله تدفعه

إلى (قلة الصبر عنه والاهتياج إليه أو عدم القرار من دونه، ووجود الاستئناس بدوام ذكره)(٤٧).

وقد يكثف الشاعر مدلول سريان الحب في نفسه من خلال اختياره للمفردات الدالة على الحركة، يقول التلمساني:

ما ترى الكون قد تمايل سكراً ونسيم الرياض يعبق عرفاً(٤٨)

فهنا يتراءى بوضوح إشراق الحب بالداخل وسيلانه في حركة يؤالف بها الشاعر بين ما هو محسوس وما هو خفي باطني غير منظور.

البعد الفلسفي للجمال والبحث عن الحقيقة المطلقة

لقد نظر الشاعر الصوفي نظرة مركزة في الحسن والجمال والكمال وفرق بينهما، فيرى أَنَّ الأصل هو الحسن، ويقدمه على الجمال في معظم الأحيان وذلك لأنَّ هذا الجمال يفيض من ينبوع الحسن، إذ يقول الشاعر عفيف الدين التلمساني:

يبدي لعينك حسنه معنى الجمال الأقدس

ينعت الجمال بأنه مقدس، أو مطلق، أو مبدع، أو ممنوع، أو مصون، أو محجوب...

ولكن في بعض الأحيان يستوي عنده مفهوم الجمال والحسن بيد أنهما يتوحدا في معناه فينفي الثنوية، إذ يقول:

وحدّت معنى الحسن فيه ولا أرى ثنوية وأقول: أشهده معي

فقد تجلى الحسن لذا يأمرنا الشاعر بوجوب سجود الشكر، إذ يقول:

وإذا الحسن بدا فأسجد له فسجود الشكر فرض يا أخي

أما الجمال الممنوع فقد شغله لأنّه كان يعتقد أنه يحب ان يتمتع بالجمال المطلق، فيقول:

ملأ الكون حسنه فلهذا كل حب إلى معانيه يصبو
شاهدت حسنه القلوب فأمسى وله في العقول نهب وسلب

يتراءى بوضوح هنا إبعاد ودلالات تتنازع فيها اضطرابات الصوفي الداخلية بين ما يستطيع أنْ يقوله وبين ما يكنه في داخله من أسرار، موضحاً العلاقة الحميمة التي تربطه بالمطلق في إشارات ينشئ من خلالها ارتباطه بالكون وإحساسه بما حوله من الأشياء، فهو هكذا يشعر بأن الله أكثر حضوراً إنه يحيط به، إنه هذه الوحدة التي تؤلف بين الأشياء التي تحيط به من كل الجهات، فهو موقن (أن الله ان كان خارج الوجود ولا اتصال له بالوجود إلا اتصال التكوين والهيمنة، فإن هذا العالم ان يكون أكثر من كرة من الغبار لا يستحق أن يوجد ولا يستحق بالأحرى أن يعيش فيه هذا الكائن العظيم الإنسان)(٤٩).

الخاتمة:

توصل البحث الى نتائج اهمها:

١. نجد أنَّ الشاعر قد مزج بين الشعر والنفس والعقيدة، فعبر بصدق عن مكنونات النفس وعن عالمه الروحي الذي اندمج معه اندماجاً، إذ استطاع أنْ يحدد صورة خاصة تصور تجربته الفريدة وعقيدته في رؤية جديدة للكون والوجود، بأفكار فلسفية أثرت بعمق التجربة وبما احتملت من غموض وتعقيد من تحليل النص الشعري الذي أفاض بالشفرات والرموز التي توحي بما يريده الصوفي بطريقة اخفائية تمجد اعتقاده.

٢. من خلال تحليل النصوص لدى الشاعر يتراءى لنا أن الشاعر في بعض الاحيان يعمد الى التعبير المباشر من دون رمز أو ايماء في عرض تجربته الشعرية لاسيما التي تخص معتقده الصوفي التي تشمل معاني التوحيد والوحدة المطلقة ، والحسن والجمال، والانبياء والرسل.

٣.كشف الشاعر عن مذهبه الصوفي في الوحدة المطلقة ، اذ ينفي فكرة التعدد بل ينبذها، كما أنه يكره الازدواجية الثنائية في كل شيء، اذ إن التوحيد أصل واحد وجوهر مفرد، ليرجع كل الأمور في الكون الى الواحد الأحد.

٤.عمد الشاعر في فن التصوف الى الترميز وقد كانت وسيلته في ذلك الخمرة الصوفية، اذ وصف قدمها وساقيها ، بل تطرق من خلالها الى معالم الأرواح والصور.

٥.يؤكد الشاعر في اظهار المعنى المطلق ، وهو العقل الأكبر الذي يفيض وهو على عرشه استوى ، فالله وحده المنزه عن الشبيه والمثل، وهو الدائم الباقي وكل ما سواه الى الفناء.

٦.أبرز الشاعر من خلال نتاجه الشعري في التصوف الى ابراز معالم الحياة الدينية والثقافية والفكرية آنذاك.

٧.حرص الشاعر على أن تكون اشعاره ضمن الموروث الشعري ، اذ إن الشعر في كل زمان ومكان وليد البيئة الذي ينبثق منه ، والعصر الذي يعيش فيه، فجاءت قصائده امتداد للماضي ، يضاف إليه ما انماز شعره من رقة وانسجام .

٨.كشفت الدراسة ثقافة الشاعر الشعرية ، وقدرته الابداعية في نظمه لقصائده الشعرية، مما جعلها تنبض بالحياة والحيوية، انه بحق لو قلنا شاعر الجمال والحب الالهي، وأخيرا فقد مثل شعره رافدا من روافد الشعر العربي الصوفي آنذاك.

الهوامش:

(١) ينظر : فوات الوفيات ١ / ٢٩٣ ، النجوم الزاهرة ٨/ ٢٩ ، تاريخ الادب العربي (العصر المملوكي) / ٢٠٠ ، تاريخ آداب اللغة العربية ٣/ ١٣٠ ، الديوان (المقدمة) .

(٢) مصطلحات التصوف: ٣.

(٣) المقدمة لابن خلدون ٣: ١٠٦٣.

(٤) الرسالة القشيرية ٢ :٥٥٢.

(٥) ينظر: تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير: ٣٩٧.

(٦) مخطوطة مصورة الديوان ل ٢٩ظ.

(٧) مصورة مخطوطة الديوان ل ٨ و٠.

(٨) نفسه.

(٩) التصوف الإسلامي: ١٦٤.

(١٠) قوت القلوب: ١٦٩.

(١١) مصورة مخطوطة الديوان ل ٨، ظ و١٩.

(١٢) نفسه.

(١٣) مصورة مخطوطة الديوان ل ١١و.

(١٤) ينظر :الرسالة القشيرية/ ٤١.

(١٥) مصورة مخطوطة/ الديوان/ ١١و.

(١٦) الرقص الصوفي عاد، كامل الألوسي، مجلة أفاق عربية، ع١٣، س ٦، ١٩٨١.

(١٧) مصورة مخطوطة الديوان ل ١٨ ظ و١٩.

(١٨) نفسه .

(١٩) مصورة مخطوطة الديوان ل ١٨ و١٩ .

(٢٠) مصورة مخطوطة الديوان ل ٢٨ و. ظ.

(٢١) مصورة مخطوطة الديوان ل ٢٨ و. ظ.

(٢٢) التصوف والفلسفة: د. أبو العلاء عفيفي. مجلة الثقافة، ٥٢، س ١٠، ١٩٤٨.

(٢٣) مصورة مخطوطة الديوان: ٢٨ و. ظ.

(٢٤) مصورة مخطوطة الديوان: ل١ ظ.

(٢٥) مصورة مخطوطة الديوان: ل٩ . ١٠.

(٢٦) مصورة مخطوطة الديوان: ل٢٦.

(٢٧) ففي هذه الأبيات يتجلى بوضوح نزعة الشاعر العربية واصله، فيشير إلى ذلك الدكتور موسى باشا (أنه كان عربي النزعة في شعره كله) مما استرعى انتباهه ظاهرة كثرة ما جاء من شعر في التغني بالعرب والعروبة في ديوانه مما جعل

الدكتور الباقي ؟؟ ان يوصف تلك الظاهرة بقوله: (لقد تفنى هذا الشاعر الكومي بالجمال العربي والعادات العربية والأمكنة في كثير من اشعاره في جو من الإجلال عظيم) ثم يعللها بما ذكره بأنها: (إشارة إلى الرسالة الإلهية المنزلة على النبي العربي ص).

ينظر: تاريخ الأدب العربي (العصر المملوكي)/ ٢٠٧، دراسات فنية في الأدب العربي/ ٤٢٧.

(٢٨) مصورة مخطوطة الديوان: ل١ و.

(٢٩) مصورة مخطوطة الديوان ل، ١ظ.

(٣٠) ابن الفارض والحب الإلهي/ ٢٠٠.

(٣١) مصورة مخطوطة الديوان ل ١ ظ.

(٣٢) الصوفية والسوريالية :١٤٢ .

(٣٣) مقدمات في الشعر (السومري ،الإفريقي ،الصوفي) :١٨٩ .

(٣٤) مصورة مخطوطة الديوان/ ٥٧ و١ظ.

(٣٥) مصورة (مخطوطة)الديوان ل ٥٧ و٠ ظ.

(٣٦) مصورة (مخطوطة)الديوان ل ٥٧و. ظ.

(٣٧) التعرف لمذهب أهل التصوف :٦٣ .

(٣٨) مصورة مخطوطة الديوان ل ٥٨ و.

(٣٩) التصوف، الإسلامي (ضهيب الرومي) : ١٦٦.

(٤٠) مصورة مخطوطة (الديوان ل٤٥ و ٠).

(٤١) مصورة مخطوطة (الديوان ل ٥٧ و، ظ).

(٤٢) قوت القلوب ٢ :١١٩ .

(٤٣) الديوان (مصورة مخطوطة) / ل١٠ ظ.

(٤٤) الديوان (مخطوطة ل ٣ ظ).

(٤٥) الحب الإلهي في التصوف الإسلامي : ٦٥ –٦٦ .

(٤٦) مصورة مخطوطة (الديوان ل ١١ظ).

(٤٧) الرسالة القشيرية: ١٤٤.

(٤٨) مصورة مخطوطة (الديوان ل ٢٠)

(٤٩) الصوفية والسوريالية: ١٦ –١٧ .

المراجع:

أولا: المخطوطات:

–ديوان التلمساني، عفيف الدين بن علي التلمساني، الناسخ: أحمد بن عبد النبي بن زيد الدين، مخطوط مكتبة آية الله الحكيم، النجف الاشرف، برقم(٣٦٥).

ثانيا: االمطبوعات:

١. ابن الفارض والحب الإلهي، د.محمد مصطفى حلمي، مطابع دار المعارف، بمصر،١٩٧١م.

٢. تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، بيروت، لبنان،١٩٨٣ م.

٣. تاريخ الأدب العربي (العصر المملوكي)، د. عمر موسى باشا، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٩م.

٤. تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير، محمد فهد بدري، م. الإرشاد، بغداد،١٩٧٣م.

٥. التصوف الاسلامي، البيرنصري نادر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت،١٩٦٠ م.

٦. التصوف الاسلامي، ضهيب الرومي، بيروت، لبنان، ط١، د.ت،

٧. التعرف لمذهب أهل التصوف، أبو بكر محمد الكلاباذي(ت٣٨٠ هـ)، حققه وقدم د. عبدالحليم محمودو، د. طه عبد الباقي سرور، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة،١٩٦٠م

٨. الحب الالهي في التصوف الاسلامي، د. محمد مصطفى حلمي، دار القلم،١٩٦٠م.

٩. دراسات فنية في الأدب العربي، عبد الكريم الباقي، مطبعة جامعة دمشق،١٩٦٣ م.

١٠. الرسالة القشيرية، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن(ت ٤٦٥ هـ)، ط. بولاق،١٢٨٤ هـ.

١١. الصلة بين التصوف والتشيع، د. كامل مصطفى الشيبي، مطبعة الزهراء، بغداد،١٩٦٣م

١٢. الصوفية والسوريالية ، اودنيس، دار الساقي، بيروت– لبنان، ١٩٩٢ م.

١٣. فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت، ١٩٧٣ م.

١٤. قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد الى مقام التوحيد، أبوطالب محمد ابن علي بن عطية الحارثي المكي(ت٣٨٦هـ)، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده،مصر،١٩٦١ م.

١٥. مقدمات في الشعر(السومري، والإفريقي، والصوفي)،طراد الكبيسي، وزارة الإعلام، مديرية الثقافة العامة، كتاب

الجماهير(٣)،١٩٧٩ م.

١٦. مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون المغربي (ت ٨٠٨ هـ)، حققها د. علي عبد الواحد وافي، مطبعة لجنة البيان، القاهرة، ط٢، ١٣٨٨ هـ- ١٩٦٨ م.

١٧. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٦ م، وطبعة مصورة عن دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

١٨. المجلات والدوريات

١٩. الأنا الأعلى في الذات العربية (البطل في التصوف والانثروبولوجيا والفنون والأحلام)، د. علي زيعور، مجلة آفاق عربية، السنة (٥)، العدد(٥)، كانون الثاني،١٩٨٠م

٢٠. التصوف والفلسفة، د. أبو العلاء عفيفي، مجلة الثقافة، ع ٥٢،السنة العاشرة،١٩٤٨م.

٢١. الرقص الصوفي، عادل كامل الالوسي، مجلة آفاق عربية، ع ١٣، سن٦، ١٩٨١ م.

النمو الذكي مقابل الامتداد الحضري

دراسة في تطبيق مؤشرات النمو الذكي في مدينة الناصرية

م.د. عادل حسن جاسم

الباحثة سارة عبد الكريم حنون

مركز التخطيط الحضري والإقليمي/ جامعة بغداد

المقدمة:

إن تركيز تخطيط النمو الذكي هو تكثيف كل من السكان والتنمية المادية في المناطق الحضرية القائمة في مواجهة إنشاء خطة رسمية جديدة لمدينة الناصرية. تبحث هذه الدراسة في الحد من ظاهرة الامتداد الحضري من خلال تطبيق سياسة النمو الذكي.

تناول البحث في اطاره النضري مفهوم النمو الحضري وتطور النمو الحضري نحو الامتداد بالإضافة الى مفهوم وفكرة النمو الذكي والمبادئ التي تعمل على اساسها سياسة النمو الذكي والعوامل الاساسية المرتبطة بها، وتم التوصل الى مجموعة من المؤشرات المشتركة بينهما والمتمثلة بـ(تنوع السكن والاسكان الميسر، وتنوع استعمالات الارض، الحفاظ على المساحات المفتوحة والمناطق الخضراء، التفاعل الاجتماعي، خيارات النقل المتعدد). كما تتضمن هذه المؤشرات الرئيسة مؤشرات فرعية اخرى متعددة، حيث يمكن ان توفر قاعدة مناسبة لمعرفة امكانية تطبيق النمو الذكي في المدن .

اما الجانب العملي فقد تمثل بإجراء المسوحات الميدانية لمنطقة الدراسة (مدينة الناصرية) وذلك للتعرف على الخصائص التخطيطية لها، وبعد ذلك تم تطبيق المؤشرات التي تم استنتاجها من الإطار النظري عليها.

مشكلة البحث:

النمو الحضري غير المدروس في المدن ساهم في انتشار ظاهرة الامتداد الحضري

هدف البحث:

تخطيط المدن لأستيعاب النمو المتزايد في المدينة بطريقة مستدامة

فرضية البحث:

استخدام سياسة النمو الذكي للحد من ظاهرة الامتداد في المدينة

منهجية البحث:

اتبع البحث المنهج الوصفي والتحليلي ، بالإضافة الى الاسلوب الاحصائي في قياس المؤشرات .

١- مفهوم النمو الحضري:

النمو الحضري هو زيادة في الغطاء الأرضي الحضري وان إحدى الوسائل الممكنة للنمو الحضري هي التوسع الحضري .فالنمو الحضري وفقًا للتنمية الحضرية التلقائية أو غير المخططة يسمى الامتداد الحضري .عادة ما يكون للامتداد الحضري دلالات سلبية ، مرتبطة بتوليد أو تكثيف المشاكل الحضرية المعقدة ، مثل تلوث الأراضي والمياه والهواء ، وما يترتب على ذلك من آثار سلبية على صحة الإنسان (Bengston, Fletcher et al.,٢٠٠٤,p: ٢٧٢).

٢- تطور النمو الحضري نحو الامتداد:

قد تكون شكل المدن عبر الزمن من خلال دخول التكنولوجيا الجديدة والسمات الثقافية للمجتمع. تم تمثيل المدن قبل الثورة الصناعية بمناطق كثيفة وصغيرة جدًا تحيط بها الجدران ، وغالبًا ما تكون واحدة قريبة من بعضها البعض على مسافة لا تزيد عن خمسة كيلومترات لتكون قادرة على المشي من مدينة إلى أخرى(Van Oort,٢٠١٧,p: ١٢٤). في هذه الفترة ، كانت تدار وظائف الحكومات عند بوابة المدينة ، حيث كانت السلع الواردة والخروج من المدينة تحت السيطرة(Tan, Liu et al.,٢٠١٤,p: ٢٧١). منذ القرن السادس عشر ، حدثت جميع الأنشطة الاقتصادية داخل المدينة ، والتحول من إنتاج المصنوعات اليدوية إلى مصنع كبير الحجم حول المدن لتصبح آلة إنتاج ضخمة (Mumford,١٩٦١,p) . مكّن تطوير التقنيات الجديدة خلال الثورة الصناعية المدن من بناء شكل حضري جديد يتميز بالمراكز الفرعية والتوسع خارج الجدران. كان الدافع وراء هذا الدفع إلى الخارج هو إدخال القطارات والترام ، والتي سمحت

للمدن بالامتداد حتى عشرين أو ثلاثين كيلومتراً نحو الخارج(Newman,١٩٩٢,p: ٢٨٧) . اتسمت موجات التحضر بالقرن التاسع عشر ، الذي تحول إلى عدم القدرة على احتواء المدينة التي تقدم التوسع الأكبر إلى الخارج بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث حدث التطور التكنولوجي للسيارات و أصبحت السيارات الآن وسيلة النقل التي شكلت المدينة ، والتي تطورت في كل اتجاه (Newman,١٩٩٢,p: ٢٨٩) . مع إدخال السيارة، لا يُلزم الناس بالعيش في المدينة أو بالقرب من محطة العبور ، لكنهم قادرون على الهروب من التلوث والضوضاء من خلال العيش خارج المدينة ، باستخدام السيارات للوصول إلى مكان عملهم كل يوم. والنتيجة المباشرة لذلك هي تطور الزحف في الضواحي المنخفضة الكثافة واللامركزية في مدننا منذ أوائل القرن العشرين (Newman, Kenworthy et al.,١٩٩٢,p: ٢٧٣).

إن الامتداد الحضري عملية معقدة للغاية، وقد أثرت العديد من العوامل على التطور الخارجي للمدن خلال القرن الماضي ، تتمثل القوى المحركة الرئيسية التي تسببت في تحقيق اللامركزية في المدن فيما يلي:

- تقدم وسائل النقل ، والتي تتعلق بتوسيع استخدام السيارات .
- الأولويات الاقتصادية التي تمكن نمو الحقول الخضراء من توفير مساحة في البنية التحتية الجديدة للضواحي .
- السمات الثقافية ، فيما يتعلق بالاتجاهات الجديدة لأنماط الحياة في مجتمعنا(Newman and Kenworthy,١٩٩٩,p: ٧٠).

بعد الحرب العالمية الثانية، أصبح اعتماد السيارات هو الجانب الرئيسي للحياة الحضرية ، منذ حوالي أربعين عامًا، كانت السيارة وسيلة للحرية، والتي أتاحت للناس الفرار من المدينة المزدحمة والملوثة للاستمتاع بوقتهم في هدوء الريف حيث اليوم، جلبت تقنيات النقل المتقدمة إلى التوسعات الفوضوية للمدينة في الخارج ، مما سهل الفصل بين المنزل ومكان العمل (Nyström,٢٠١٣,p: ١٧)

ارتفاع مستوى التلوث والازدحام في وسط المدينة الناجم عن حركة المركبات ومواقف السيارات هي النتيجة المباشرة لانتشار السيارات التي لا يمكن السيطرة عليها.

الصورة ٢,١: الزحف العمراني الواسع مكانيًا والمعتمد على السيارات.

المصدر:(Arbury,٢٠٠٥,p: ٣٤)

زادت الحاجة إلى حماية الإسكان من الضوضاء والظروف الصحية السيئة المسافة من المدينة ، وتم بناء طرق سريعة جديدة لربط مناطق الضواحي الجديدة مع المدن. أدى ما يسمى بتطوير "مدينة السيارات" إلى خفض الكثافة الإجمالية إلى ما بين عشرة وعشرين شخصًا لكل هكتار، مما جعل السكن منخفض الكثافة ممكنًا وزيادة مسافات الرحلة و لعبت الجوانب الاقتصادية كذلك دورًا مهمًا في انتشار المدن.(Newman and Kenworthy,١٩٩٩,p: ٧٠).

العوامل الرئيسية التي أثرت على الامتداد الحضري تتعلق بأسعار الأراضي ونقل الشركات إلى خارج المدينة ، و رخص أسعار الأراضي تلك البعيدة عن وسط المدينة ، تسببت في نزوح العائلات إلى الخارج ؛ في الواقع ، فإن أسعار الأراضي في المناطق المبنية بالفعل أغلى بكثير ، حيث يتم خدمتها من قبل العديد من المنشآت القائمة التي تم إنشاؤها بالفعل.(Beatley,٢٠١٤,p: ٢٣).

٣- النمو الذكي:

يعرف النمو الذكي بأنه تطوير يخدم الاقتصاد والأحياء السكنية والبيئة؛ إذ يوفّر إطارا للأحياء السكنية لاتخاذ قرارات واعية حول كيف وأين ينبغي أن يحدث التطوّر الجديد، ويجعل النمو الذكي من الممكن للأحياء السكنية أن تنمو بطرق التنمية الاقتصادية وتوفير فرص العمل و خلق مجاورات سكنية قويّة وتحقيق مجتمعات صحية(Artmann, Kohler et al.,٢٠١٩,p: ١٢).

"النمو الذكي" هو مصطلح عام لممارسات استعمالات الأراضي التي تخلق أنماط أكثر سهولة لاستعمالات الأراضي والتي تقلل من مقدار السفر اللازم للوصول إلى السلع والخدمات(Kushner and Pol'y,٢٠٠٢,p: ٤٥). ويعزى تطور هذا المصطلح إلى روبرت سنايدر في عام ١٩٨٨ ، وفي الواقع ، أدى إلى العديد من الدلالات التي قدمتها مجموعات مختلفة. في الولايات المتحدة الأمريكية ، هناك مجموعة متنوعة من التعريفات التي قدمتها حوالي ثلاث وكالات عامة وثلاث منظمات غير ربحية ومنظمتين ربحتين وجمعيتين ، بشكل عام ، يشير إلى ما يمكن تسميته بالنمو الموجه للمدن نحو الكفاءة والإنصاف والاستدامة(Susanti, Soetomo et al.,٢٠١٦,p: ١٩٧).

النمو الذكي هو عبارة عن نظرية للتخطيط والنقل في المناطق الحضرية تركز النمو في المراكز الحضرية القابلة للمشاة لتجنب التكاثر. كما تدعو إلى استخدام الأراضي بطريقة مدمجة ومكثفة وموجهة نحو العبور ومشاة وصديقة للدراجات، بما في ذلك مدارس الأحياء والشوارع الكاملة والتنمية متعددة الاستعمالات مع مجموعة من الخيارات السكنية(Susanti, Soetomo et al.,٢٠١٦,p: ١٩٧).

يستخدم مصطلح "النمو الذكي" بشكل خاص في أمريكا الشمالية. في أوروبا وخاصة المملكة المتحدة ، غالبًا ما تستخدم مصطلحات "المدينة المدمجة" أو "التكثيف الحضري" لوصف مفاهيم مماثلة ، والتي أثرت على سياسات التخطيط الحكومي في المملكة المتحدة وهولندا وعدة لغات أخرى. الدول الأوروبية. يقدر النمو الذكي الاعتبارات الإقليمية بعيدة المدى للاستدامة من خلال التركيز على المدى القصير(Waghorn,٢٠١١,p: ٥١). أهداف التنمية المستدامة هي تحقيق شعور فريد من المجتمع

والمكان ؛ توسيع نطاق خيارات النقل والعمالة والسكن ؛ التوزيع العادل لتكاليف وفوائد التنمية ؛ الحفاظ على الموارد الطبيعية والثقافية وتعزيزها ؛ وتعزيز الصحة العامة(Bhatta,٢٠١٠,p: ٣٧).

٤- فكرة النمو الذكي:

في أوائل التسعينيات اعترفت العديد من المنظمات الوطنية بالمشاكل التي تواجه الأحياء، وشكّلت هذه المنظمات معا في عام ١٩٩٦ م شبكة النمو الذكي، والتي هي الآن ائتلاف واسع من٣٢ منظمة تدعم النمو الذكي، وكخطوة أولى بحثت الشبكة عرض خصائص الأحياء الناجحة، ومن تلك العملية وضعت المبادئ العشرة للنمو الذكي، حيث تصوّر هذه المبادئ الخصائص المرتبطة بأحياء صحيّة ونابضة بالحياة ومتنوعة، تتيح لسكانها خيارات كيف وأين يعيشون(Waghorn,٢٠١١,p: ٥٠).

ظهر النمو الذكي كرد فعل لعواقب الزحف العمراني ، حيث ان النمو الذكي هو مفهوم قائم على الاعتقاد بأنه يمكن إعادة تركيز النمو الحضري على المناطق الحضرية الداخلية وكذلك في الضواحي(Krieger,١٩٩٩,p: ٥٣-٦٠). يدعي دعاة النمو الذكي أنه يمكن إعادة تنشيط الأحياء القديمة الموجودة من خلال توفير استعمالات الأراضي المختلطة وإنشاء أحياء يمكن السير فيها(Nallathiga and Campus,٢٠٠٧,p: ٤٣). علاوة على ذلك ، من خلال تركيز التطوير على المناطق المبنية بالفعل ، يمكن الحفاظ على المساحات المفتوحة والأراضي الزراعية ، وهو تأكيد رئيسي على دعاة النمو الذكي (Bunce,٢٠١١,p: ١٧٨). لتحقيق هذه الأهداف ، فإن زيادة الكثافة السكانية له أهمية قصوى ، حيث أن التنمية عالية الكثافة تشجع على المشي وركوب الدراجات ووسائل النقل العام لأنها تزيد من إمكانية الوصول إلى الخدمات(Artmann, Kohler et al.,٢٠١٩,p: ١٢). إن الإجماع بين دعاة النمو الذكي هو أن هذا النهج من شأنه أن يساهم في المناطق الداخلية للمدينة في استهلاك أقل للأراضي غير المطورة ، حيث سيركز التطوير على الحشو والاستعمال المختلط ، علاوة على ذلك ، نظرًا لأن مفهوم النمو الذكي يشترك في العديد من أهداف مبادرات التنمية المستدامة ، مثل الحد من الازدحام المروري والحفاظ على الأراضي الزراعية والمساحات المفتوحة ، يعزز حجج مبادرات النمو

الذكي (Bunce,٢٠١١,p: ١٧٨). يشير منتقدو النمو الذكي إلى اتجاه ارتفاع أسعار المساكن ، نظرًا لأن تطوير مزيد من الوحدات السكنية وتحديد موقعها في مناطق أصغر من الأراضي مع الجمع بين الحفاظ على المساحات المفتوحة والأراضي الزراعية يؤدي إلى ارتفاع أسعار المساكن لأنه يزيل أقل تكلفة من الأراضي المتاحة للتطوير. علاوة على ذلك، فإن وجود أولويات وأهداف مختلفة قد يكون مشكلة. لأن وجود أولويات مختلفة قد يؤدي إلى وجهات نظر مختلفة ويسهم في نهاية المطاف في الصراعات بين النمو الاقتصادي وحماية البيئة والعدالة الاجتماعية(Bunce,٢٠٠٤,p: ١٧٧-١٩١).

٥- النمو الذكي والتكثيف الحضري

على مدى العقد الماضي، كانت هناك زيادة في الكتابة الأكاديمية عن مفهوم التكثيف الحضري كحل للتنمية الحضرية والزحف السكاني. إن فكرة المدينة المدمجة ، المستندة إلى أفكار لزيادة الكثافة السكانية ، وإعادة استخدام البنية التحتية الحضرية القائمة ، والشوارع السكنية والتجارية المكثفة ، تعتبر بشكل متزايد نموذجًا أقوى للتنمية الحضرية من أنماط النمو الحضري الحالية (Bhatta,٢٠١٠,p: ٣٧).

لقد تم اعتبار سياسات النمو الذكي حلاً جذريًا للامتداد الحضري الذي يربط بين المشاكل البيئية المرتبطة بالامتداد وبين المعضلة المالية للتنمية الحضرية الموسعة ، وقد وضعت هذه السياسات في المدن الأمريكية كاستراتيجيات لتقليل التعدي على الأراضي الزراعية ، وتقليل تكلفة البنية التحتية العامة وتنشيط المناطق الحضرية القائمة(Breheny,١٩٩٢,p: ٢٤١) . إن إعادة تنشيط المناطق الحضرية من أجل تقليل التوسع الإقليمي قد استهدفت بشكل خاص قلب وسط المدن من خلال تكثيف المساحات والاستعمالات الحضرية الحالية ، حيث يمكن اعتبار التكثيف مزيجًا من عمليتين فرعيتين ، تكثيف الشكل المبني ، مثل تطوير الأراضي غير المطورة وإعادة تطوير الهياكل القائمة في المدن ، وكذلك تكثيف النشاط السكاني ، فإن النشاط السكاني المكثف عادة ما ينطوي على زيادة في استعمال المباني القائمة وأعداد الأشخاص الذين يعيشون ويعملون في المناطق القائمة ، لا سيما وسط المدينة(Bunce,٢٠١١,p: ١٧٨).

في أواخر التسعينيات من القرن الماضي ، تم تبني مفاهيم النمو الذكي في مجتمعات السياسة الحضرية الكندية ، خاصة في أونتاريو حيث أكدت بلدية تورنتو على إدارة النمو الحضري كمسألة ذات اهتمام عام كبير. إن ما هو واضح في خطط النمو الذكي على مستوى البلديات والمقاطعات هو التركيز الشامل على إعادة استخدام التنمية الحضرية القائمة وتكثيف السكان في المناطق الحضرية الحالية كحل للتوسع العمراني الحضري(Searle and Filion,٢٠١١,p: ١٤٢١).

يستخدم تقرير الرؤية للخطة الرسمية الجديدة الكثير من خطاب النمو الذكي لإثبات الحجج المتعلقة بتكثيف المناطق الحضرية الحالية في تورونتو من أجل معالجة مشاكل الامتداد الإقليمي. يؤكد التقرير أن تورنتو "بحاجة إلى النمو بطريقة أكثر ذكاء ، من خلال تحسين كل من الجودة البيئية لحياة المنطقة والنمو الاقتصادي من خلال التكثيف ، من خلال زيادة الكثافة السكانية في المدينة الحالية كمحور رئيسي لإعادة التحضر ، وربط أنماط التنمية الحضرية المستقبلية باحتياجات سكان الحضر الأكثر كثافة ، قاموا بتثبيت التكثيف كاستراتيجية تخطيط مركزية في الخطة الرسمية لتورونتو(Bunce,٢٠١١,p: ١٧٧).

ولكن في الآونة الأخيرة في أواخر التسعينيات ، تم ربط التكثيف الحضري بالقضايا البيئية المتعلقة بالنمو الإقليمي. فأصبحت سياسات التكثيف الآن تتأثر بمبادئ النمو الذكي التي تستخدم فيها حماية البيئة الطبيعية من التنمية المترامية الأطراف كمبرر عام لسياسات وممارسات التكثيف الحضري. يستمد هذا التأثير من الاهتمام المتزايد بالتخطيط الذكي للنمو ضمن خطاب التخطيط المهني في كندا(Dupuis, Dixon et al.,٢٠٠٢,p: ٤١٥) .

صورة توضح فكرة النمو الذكي

المصدر: https://azbex.com

٦- المبادىء العشرة للنمو الذكي:

في الواقع ، حددت الشبكة الذكية للنمو عشرة مبادئ توفر إطارًا لكيفية تنفيذ التنمية والنمو بطريقة متفوقة على الوضع الراهن .١ وهذه المبادئ هي (Bhatta,٢٠١٠,p: ٣٧):

١.مزيج استخدامات الأراضي - يُنظر إلى هذا على أنه عنصر حيوي في إنشاء مجتمعات حيوية ومستدامة حيث تكون خيارات النقل خارج السيارة ممكنة بسبب قرب مجموعة متنوعة من الاحتياجات المعيشية اليومية.

٢. الاستفادة من تصميم المبنى المضغوط - يسمح هذا المبدأ بالحفاظ على مساحة مفتوحة أكبر ، ويعزز تصميم المباني التي يمكن بناؤها لتحقيق استخدام أكثر فعالية للأراضي والموارد

٣. إنشاء مجموعة من خيارات الإسكان - يمكن للمجتمعات أن تخفف من التكاليف البيئية للتنمية المعتمدة على السيارات ، وتستخدم موارد البنية التحتية الخاصة بها بكفاءة أكبر ، وتضمن توازن أفضل بين الوظائف والإسكان ، وتولد أساسًا قويًا لدعم محطات العبور في الحي ، والمراكز التجارية ، وغيرها من الخدمات.

٤. إنشاء أحياء قابلة للمشي – تتيح المجتمعات القابلة للمشاة نشاط المشاة ، وبالتالي توسيع خيارات النقل ، وإنشاء مخطط الشوارع الذي يخدم بشكل أفضل مجموعة من المستخدمين

٥. تشجيع المجتمعات المتميزة والجذابة – إنشاء مجتمعات فريدة ومثيرة للاهتمام تعكس قيم وثقافات الأشخاص الذين يقيمون هناك.

٦. الحفاظ على المساحات المفتوحة والأراضي الزراعية والجمال والمناطق البيئية الحرجة – يدعم الحفاظ على المساحات المفتوحة أهداف النمو الذكية من خلال دعم الاقتصادات المحلية والحفاظ على المناطق البيئية الحرجة وتحسين نوعية مجتمعاتنا وتوجيه نمو جديد في المجتمعات القائمة.

٧. تعزيز وتوجيه التنمية إلى المجتمعات القائمة – تطوير أو بالقرب من المجتمعات التي تخدمها بالفعل البنية التحتية ، والسعي لاستخدام الموارد التي توفرها الأحياء القائمة ؛ الحفاظ على المساحات المفتوحة والموارد الطبيعية التي لا يمكن تعويضها على هامش المناطق الحضرية.

٨. تقديم مجموعة متنوعة من خيارات النقل – ازداد الازدحام سوءًا على مدار العقدين الماضيين وليس هناك ما يدل على أن أنماط النمو الحالية يمكن أن تخففه. توفير مجموعة متنوعة من خيارات النقل يزيل السيارات من الطريق ويقلل من الضغط على نظام مثقل بالأعباء.

٩. اجعل قرارات التنمية عادلة ومتسقة ويمكن التنبؤ بها – يحتاج المطورون إلى معرفة ما يمكن توقعه من مساعي Smart Growth ، وبالتالي فإن تيسير حدوث مثل هذه المشروعات أمر حيوي للتطوير الفعلي للنمو الذكي. وبالتالي ، يجب أن تكون التقسيم في مكان يشجع مبادئ النمو الذكي.

١٠. تشجيع التعاون بين المجتمع وأصحاب المصلحة – يتم تحديد احتياجات كل مجتمع (والبرامج الخاصة بمعالجتها) على أفضل وجه بواسطة الأشخاص الذين يعيشون ويعملون في المجتمع (Shakibamanesh, Ghorbanian et al.,٢٠١٩,p).

وللنمو الذكي ميزّتان أساسيتان هما: أين وكيف؛ إذ يتناول النمو الذكي أين يحدث التطوير الذي يمكن أن يلائم مع الحد الأدنى من التأثير السلبي على البيئة وفي أي الأماكن، حيث يأخذ التطوير الفائدة القصوى

من الاستثمارات العامة التي تتحقق بالفعل. كما يتناول أيضا كيف أن التطوير المنتهي سوف يعمل على تطوّر المجاورة لاستعادة الخيارات التي فقدت في الأماكن التي تميّزت بالزحف العشوائي، مثل: اختيار المشي على الأقدام أو ركوب الدراجات أو استخدام وسائل النقل العامة واختيار اجتماع الجيران في الأماكن العامة الجذّابة أو اختيار العيش في شقة أو منزل أو في عمارة ملكية مشتركة(Waghorn,٢٠١١,p: ٥٠) .

٥- عناصر النمو الحضري الذكي:

عناصر النمو الذكي يجسد مفهوم النمو الذكي عناصر من المعيشة ، والكفاءة ، والقدرة على تحمل التكاليف، وحماية البيئة، حيث: تصف مجموعة متنوعة من العوامل بما في ذلك خيارات السكن، والوصول إلى العمل ، والمدارس ، والمستشفيات ، والتسوق ، والترفيه ، وكذلك محيط آمن ومأمون بشكل معقول (Bunce,٢٠٠٤,p: ١٧٧-١٩١).

تتعلق الكفاءة بكيفية استعمال الأرض وترتبط بتوفير البنية التحتية والمرافق والخدمات الاجتماعية. في منطقة متنامية، يشمل التحدي المهم استخدام البنية التحتية الحالية بشكل أكثر فعالية بدلاً من التخلي عنها لصالح الاستثمار في مرافق وخدمات جديدة تمامًا. تتضمن القدرة على تحمل التكاليف إلى حد كبير تحقيق مفاضلة واقعية بين التوقعات والموارد المالية التي يمكن إتاحتها، وهي مهمة متزايدة الصعوبة في وقت تسعى فيه جميع الحكومات إلى خفض (أو على الأقل عدم زيادة) الضرائب. تتضمن الحماية البيئية كلا من التخفيف من الآثار السلبية المعروفة المرتبطة بالنمو الحضري ، وكذلك تصحيح بعض الأخطاء التي حدثت بالفعل (Susanti, Soetomo et al.,٢٠١٦,p: ١٩٤).

وبالتالي ، فإنه ينطوي على عناصر من استصلاح التربة والمياه ، وتحسين نوعية الهواء ، والحد من انبعاثات غازات الدفيئة(Artmann, Kohler et al.,٢٠١٩,p: ١٢).

توصلت العديد من الدراسات في أونتاريو وغيرها من المناطق المعنية بإدارة نمو ذكية أو فعالة أو مستدامة إلى توافق عام في الآراء بشأن عدد من الأهداف الرئيسية بما في ذلك (Waghorn,٢٠١١,p: ٥٠):

١- وضع قيود على الامتداد الحضري (مساحة الأرض المستهلكة لاستيعاب النمو السكاني والعمالة) ؛

٢- تركيز مزيج من الأنشطة الحضرية في عقد وممرات استعمالات مكثفة للأراضي لتوسيع نطاق الاختيار على مستوى المجتمع المحلي ؛

٣- توزيع النمو في عدد السكان والعمالة لتقليل مسافات التنقل .

٤- عكس الاتجاه نحو زيادة الاعتماد على السيارات .

٥- تسهيل السير أو ركوب الدراجة الهوائية أو استخدام وسائل النقل لنسبة أكبر من الرحلات .

٦- إحياء خصائص المدن الصغيرة والشوارع الممتعة داخل المجتمعات المحلية التي تشكل مجتمعة مناطق حضرية كبيرة. بمعنى آخر ، يبدو أن الوصفة المقبولة عمومًا تشدد على استخدام الأرض بشكل أكثر إحساسًا وتغيير الطلب على السفر ، وكلاهما مرتبط بشكل كبير ، كما تمت مناقشته أعلاه.

تلخيصًا لمناقشة الأقسام الثلاثة السابقة ، تشمل عناصر / الطلب الأساسي لسفر المناطق الحضرية / قضايا النمو الذكي: تحقيق توازن في الوظائف / الإسكان ، وتعزيز التنمية متعددة الاستعمالات لدعم استخدام السفر غير المزودة بمحركات ؛ تركيز العمالة في المراكز ذات الكثافة العالية التي يمكن أن تصبح محور خدمات النقل عالية الجودة ؛ بناء كثافات سكنية من متوسطة إلى مرتفعة بطريقة تدعم النقل العابر داخل ممرات يمكن خدمتها بتكلفة منخفضة عن طريق عبور عالي الجودة ؛ تشجيع تطوير البنية التحتية وتكثيف مراكز الإسكان والنشاط لدعم السفر غير المزودة بمحركات والعبور ، وكذلك للاستفادة بشكل أفضل من البنية التحتية العامة القائمة بشكل عام ؛ القيام باستثمارات كافية ومناسبة في نظام نقل متوازن من أجل (Artmann, Kohler et al.,٢٠١٩,p: ١٢) :

(أ) توفير بديل تنافسي فعال من حيث التكلفة للسيارات في الأسواق التي تكون فيها هذه المنافسة مجدية ، و (ب) ضمان حركة البضائع والخدمات في الوقت المناسب بطريقة فعالة من حيث التكلفة وعبر منطقة أونتاريو الوسطى.

من الواضح أنه إذا كان العمال، في المتوسط ، يعيشون بالقرب من وظائفهم، فحينئذٍ يلزم سفر أقل إجمالي للتنقل و (في أكثر الأحيان) ، تكون بدائل قيادة السيارة أكثر جدوى. نظرًا للمستوى العالي للتنقل السكني والعمالة، وتنوع أذواق الأسر المعيشية لأنماط الحياة السكنية، وتعقيد الاقتصادات المكانية الحضرية ، فمن المشكوك فيه إلى أي مدى يمكن تحقيق التوازن الأمثل بين الوظائف / الإسكان ، أو إلى أي مدى يمكن إن يكون التنفيذ الصارم لهذا التوازن أمر مرغوب فيه اجتماعيًا(Bhatta,٢٠١٠,p: ٣٧).

ينبغي التأكيد على الاستعمالات المختلطة وغيرها من ميزات تصميم الأحياء التي تهدف إلى تعزيز قابلية السير في جميع مشاريع التنمية على جميع المستويات الحضرية. ومع ذلك ، غالبا ما يكون ذلك أسهل على نطاق المدينة الصغيرة أو في المراكز الحضرية(Waghorn,٢٠١١,p: ٥١).

في حالة المجتمعات الصغيرة ، لن يقلل هذا من الاعتماد التلقائي على الرحلات المحلية فحسب ، بل سيساهم أيضًا في الحفاظ على بعض سمات البلدات الصغيرة التي تجعل هذه المجتمعات عادة أماكن جذابة للعيش والعمل. علاوة على ذلك ، حتى في المجتمعات الريفية والبلدات الصغيرة ، ينبغي معاملة الأرض كمورد نادر. وبالتالي ، ينبغي تفضيل التطوير المدمج ، ليس فقط لأسباب كفاءة النقل ، ولكن للحفاظ على أكبر قدر ممكن من البيئة الطبيعية والريفية التي تعتبر حيوية لنوعية حياة المجتمع (Susanti, Soetomo et al.,٢٠١٦,p: ١٩٧).

٦- سمات النمو الذكي:

٦-١ الاحياء المدمجة:

تجذب الأحياء الحضرية المدمجة والحيوية المزيد من الناس والأعمال. إنشاء مثل هذه الأحياء هو عنصر حاسم في الحد من الامتداد الحضري وحماية المناخ. يتضمن مثل هذا التكتيك اعتماد استراتيجيات لإعادة التطوير وسياسات تقسيم المناطق التي توجه نمو السكن والوظائف إلى المراكز الحضرية والمناطق التجارية المجاورة، لإنشاء مراكز محورية مضغوطة يمكن المشي فيها وصديقة للعبور. يتطلب هذا في بعض الأحيان من الهيئات الحكومية المحلية تنفيذ التغييرات في الكود التي تسمح بزيادة الطول والكثافة في وسط المدينة واللوائح التي لا تلغي فقط الحد الأدنى لمتطلبات مواقف السيارات للتطوير الجديد ولكن تحدد الحد الأقصى لعدد الأماكن المسموح بها (Susanti, Soetomo et al.,٢٠١٦,p: ١٩٤).

٦-٢ التنمية متعددة الاستعمالات:

تضم المناطق الحضرية المزيج من الاستعمالات السكنية والتجارية والترفيهية والصناعية والمؤسسية وتعد الوظائف السكنية والعمالة والخدمات المؤسسية من الاستعمالات الاولية الاساسية التي توفر طلبا للاستعمالات الثانوية كالتجارية والترفيهية والصناعية ، ويعبر هذا المؤشر بمساحة القطع المفرزة كاستعمال مختلط للأرض نسبة الى (Nallathiga and Campus,٢٠٠٧,p: ٤٣) مساحة منطقة الدراسة.

٦- ٣ مساكن بأسعار معقولة:

- قيود السكن على نماذج تصميم الضواحي (على سبيل المثال ، المنازل المنفصلة في مواقف فردية ومراكز التسوق وقطاع المواقف السطحية)

(Artmann, Kohler et al.,٢٠١٩,p: ١٢)

- إدراج الحدائق والمناطق الترفيهية

٦-٤ التنمية الموجهة:

التنمية الموجهة نحو النقل العابر (TOD) هي منطقة سكنية أو تجارية مصممة لزيادة الوصول إلى وسائل النقل العام ، وتميل الأحياء المختلطة الاستخدام / المدمجة إلى استخدام وسائل النقل في جميع أوقات اليوم. تسعى العديد من المدن التي تسعى جاهدة لتنفيذ استراتيجيات TOD أفضل إلى تأمين التمويل لإنشاء بنية أساسية جديدة للنقل العام وتحسين الخدمات الحالية. قد تشمل التدابير الأخرى التعاون الإقليمي لزيادة الكفاءة وتوسيع الخدمات ، ونقل الحافلات والقطارات بشكل متكرر عبر المناطق عالية الاستخدام. مواضيع أخرى تندرج تحت هذا المفهوم .(Nilsson,٢٠١٤,p: ٢٠)

تدابير إدارة الطلب على النقل–

نظام تسعير الطرق (رسوم)–

ضرائب وقوف السيارات التجارية–

٦–٥ تصميم للمشاة والدراجات

يمكن لركوب الدراجات والمشي بدلاً من القيادة تقليل الانبعاثات وتوفير المال على الوقود والصيانة، وتعزيز صحة السكان. تشمل التحسينات الصديقة للمشاة والدراجات ممرات الدراجات في الشوارع الرئيسية ونظام مسارات الدراجات في المناطق الحضرية ومواقف الدراجات ومعابر المشاة والخطط الرئيسية المرتبطة بها. يعد البديل الجديد للمشاة والدراجات الهوائية الأكثر نموًا للمشاة والدراجة الجديدة هو ميزة المشاة الجديدة نظرًا لأن السيارات على شبكة (Krieger,١٩٩٩,p: ٥٣–٦٠) منفصلة.

٦–٦ أخرى:

– الحفاظ على المساحات المفتوحة والموائل الحرجة ، وإعادة استعمالات الأراضي ، وحماية إمدادات المياه وجودة (Bhatta,٢٠١٠,p: ٣٧) الهواء

– قواعد شفافة وقابلة للتنبؤ وعادلة وفعالة من حيث التكلفة للتنمية (Krieger,١٩٩٩,p: ٥٣–٦٠)

– الحفاظ على المعالم التاريخية (Shakibamanesh, Ghorbanian et al.,٢٠١٩,p)

– وبصرف النظر عن المساحات الكبيرة التي يُحظر فيها التطوير ، فإن الطبيعة قادرة على السير في مسارها ، حيث (Bunce,٢٠١١,p: ١٧٧) توفر الهواء النقي والمياه النظيفة

– يتيح التوسع حول المناطق الموجودة بالفعل إمكانية تحديد موقع الخدمات العامة حيث يعيش الناس دون الابتعاد (Kushner and Pol'y,٢٠٠٢,p: ٤٥).عن أحياء المدينة الأساسية في المناطق الحضرية الكبيرة

– إن التطوير حول المناطق الموجودة مسبقًا يقلل من الفصل الاجتماعي والاقتصادي ، مما يسمح بشكل أكثر إنصافًا ، ويولد قاعدة (Susanti, Soetomo et al.,٢٠١٦,p: ١٩٧)للمجتمع بالعمل ضريبية لبرامج الإسكان والتعليم والتوظيف

٧– مؤشرات النمو الذكي

من خلال المبادئ والعوامل والسمات الخاصة بالنمو الذكي تم استخلاص بعض المؤشرات الخاصة بالنمو الذكي والتي سيتم تطبيقها لقياس مدى توفرها في منطقة الدراسة وكما في الجدول رقم (١)

جدول (١) مؤشرات النمو الذكي

المؤشر	المؤشر التفصيلي	المعيار
التنوع بالسكن	التنوع في خيارات السكن	مؤشر سيمبسون قيمته ١–٠,٥
	خيارات متعددة من المساكن الميسرة	توفير ١٥% من خيارات المساكن الميسرة
	حصة عادلة من المساكن بأسعار معقولة	٥٠%
المناطق المفتوحة والاراضي الزراعية	استهلاك للمناطق الخضراء والمفتوحة داخل المدينة	عدم وجود استهلاك للمناطق الخضراء والمفتوحة داخل المدينة
	استهلاك للأراضي الزراعية المحيطة بالمدينة	عدم وجود استهلاك للأراضي الزراعية المحيطة بالمدينة

	القرب من المناطق الخضراء	سهولة وصول من ابعد مكان هو ٤٠٠م
تنوع استعمالات الارض	مزيج من استعمالات الارض الرأسية	مؤشر الانتروبيا ٠,٥-١
	مزيج من الاستعمالات الافقية	
النقل	خيارات النقل المتعدد	توفر وسائط نقل متعددة (سيارات ، حافلات ،سكك حديدية ،مشي ،ركوب دراجات)
التفاعل الاجتماعي	عدم تقاطع السيارات مع مسارات المشاة	عدم تقاطع حركة السيارات مع حركة السابلة بنسبة ١٠٠%
	تعزيز فضاءات المجتمع	توفر الساحات والفضاءات العامة مثل الساحات والحدائق

المصدر : الباحث

١- تنوع السكن

خيارات السكن -

يوجد في منطقة الدراسة نوعين من انماط السكن ، هو السكن المتصل للأسر المنفردة ، ونمط الشقق السكنية منخفضة الارتفاع ، حيث ان النمط الافقي هو السائد ، وهذا يفسر وجود ظاهرة الامتداد الحضري في المدينة.

- خيارات متعددة في المساكن الميسرة

يوجد اربعة انواع من المساكن الميسرة متكونة من شقق للأيجار مع شقق سكنية تعمل بنظام الاستثمارات وعن طريق المصارف الحكومية والتي تسهل عملية شراء المساكن حيث ان جميع الشقق السكنية تعمل بهذا النظام والتي بلغت نسبة ١٦% من المساكن الاخرى .

– حصة عادلة من المساكن بأسعار معقولة

من خلال الدراسة الميدانية تبين ان منطقة الدراسة تمتاز بارتفاع اسعار المساكن بصورة عامة لذلك يلجأ السكان الى استغلال الاراضي الزراعية والتعدي عليها في بناء المساكن خصوصا وان اسعار الاراضي الزراعية اقل كلفة بالإضافة الى غياب القانون في المدينة الذي ينع التعدي على الاراضي الزراعية وبالتالي انتشار العشوائيات بصورة كبيرة على الرغم من وجود اراضي مخصصة للسكن غير مستغلة في المدينة .

٢– المناطق المفتوحة والاراضي الزراعية

– استهلاك اراضي المناطق الخضراء والمفتوحة داخل المدينة

وجد ان مساحة الاراضي التي تحولت الى استخدامات حضرية في مدة (٥–١٠) سنوات ، تقدربـ ١٦٨ هكتار ، كما توضحها الخريطة ، حيث ان هنالك اراضي زراعية كبيرة قد تحولت الى استخدامات حضرية في محيط المدينة ، وهذا المؤشر يدل على الاستهلاك الكبير للأراضي الزراعية والتي اوصت معظم الدراسات بعدم استهلاكها ويجب المحافظة عليها ، كما يؤكد هذا المؤشر خاصية امتداد مدينة الناصرية على الاراضي المحيطة بها .

من خلال مقارنة الخرائط خلال آخر ١٠ سنوات والدراسة الميدانية تبين ان التجاوز على الاراضي الزراعية المحيط بالمدينة بلغ ٣٠,١ هكتار .

- استهلاك للأراضي الزراعية المحيطة بالمدينة

من خلال مقارنة الخرائط خلال اخر ١٠ سنوات والدراسة الميدانية تبين ان التجاوز على الاراضي الزراعية في منطقة الدراسة قد بلغ ٧٣,٢٨ هكتار ، كما في الخراطة ادناه .

خارطة (١) مناطق التجاوز على الاراضي الزراعية

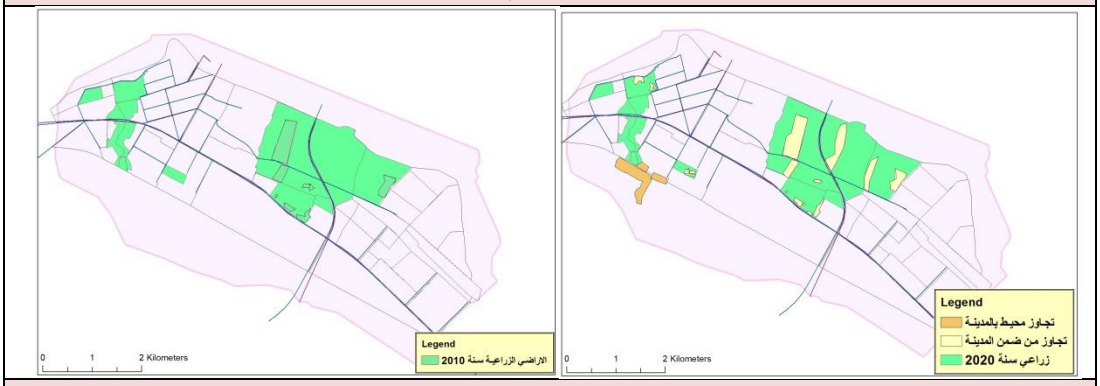

المصدر: الباحث بالاعتماد على برنامج GIS١٠,٣

القرب من المناطق الخضراء–

يصف هذا المؤشر سهولة الوصول للمناطق الخضراء القريبة، وقدرت مسافة ٤٠٠م كحد ادنى لسهولة الوصول ، من خلال الدراسة الميدانية والصورة الفضائية تبين ان نطاق الخدمة يغطي منطقة الدراسة بأكملها ، ويجود ايضا تداخل في نطاق الخدمة وهذا يعبر عن وجود فضاءات مفتوحة اكثر من الملطلوب ، كما في الخريطة

خارطة (٢) القرب من المناطق الخضراء

المصدر: الباحث بالاعتماد على برنامج GIS10.3

٣- تنوع استعمالات الارض

يشير هذا المؤشر الى قياس مدى تنوع وتكرار الاستعمالات في منطقة الدراسة ، وهو يدل على مزيج من الأنشطة داخل النسيج الحضري للمدينة ، ويمكن قياسة من مؤشر Shannon–Wiener حيث ان قيمة المؤشر تساوي ١ وكلما اقتربت النسبة من الواحد يدل على زيادة في التعقيد الحضري .

$$H= - \sum pi \ln pi$$

$$H= -\sum(0.10+0.06+0.01+0.02+0.56+0.007+0.07+0.008)$$

$$H=0.9$$

-مزيج استعمالات الارض العمودية

من خلال قياس النسبة المئوية لعدد الشقق للاستعمال التجاري من عدد الشقق للاستعمالات الاخرى حيث تبين بعد عمل المسح الميداني ان عدد المباني التجارية ٣١ مبنى وعدد الشقق ١٢٤ لمساحة ٩٣٠٠ م٢

=1-(31\124)

=0.7

- مزيج استعمالات الارض الافقية

من خلال الدراسة الميدانية تبين ان قيمة المزيج الافقي لاستعمالات الارض بلغت ٠,٤٥ كمعدل عام. وهي اقل من المعيار ٠,٥-١ اذ تم احتساب قيمة المؤشر لكل حي حسب عدد ومساحة كل استعمال لوحدة ثم تم ايجاد المعدل العام لمنطقة الدراسة .

٤- النقل

- خيارات النقل المتعدد

بعد اجراء الدراسة الميدانية لمنطقة الدراسة تبين ان هناك نوعين من النقل هو النقل العام والنقل الخاص مع وجود بعض الوسائط الاخرى مثل الدراجات ولكن بطريقة غير رسمية وغير منتظمة حيث لايوجد مسارات خاصة بها ومحطات للوقوف كذلك الامر بالنسبة للنقل العام حيث لايوجد محطات وقوف رسمية منتظمة للحافلات .

٥- التفاعل الاجتماعي

٦-تعزيز فضاءات المجتمع

يوجد في منطقة الدراسة العديد من المناطق الخضراء والمفتوحة ولكنها غير منظمة بطريقة تخدم المجتمع المحلي من حيث البنى التحتية والخدمات العامة حيث تعتبر هذه المناطق الخضراء شبه متروكة في المدينة .

٧-عدم تقاطع مناطق المشاة مع السيارات

من خلال الدراسة الميدانية تبين انه لا يوجد منطقة مخصصة للمشاة ولا توجد مسارات للمشاة حيث هناك اختلاط المشاة مع السيارات مما يؤدي الى حدوث الازدحامات بالإضافة الى الحوادث المرورية.

جدول (٢) تقييم مؤشرات النمو الذكي		
المؤشر	المؤشر التفصيلي	التقييم
التنوع بالسكن	التنوع في خيارات السكن	**
	خيارات متعددة من المساكن الميسرة	*
	حصة عادلة من المساكن بأسعار معقولة	*
المناطق المفتوحة والاراضي الزراعية	استهلاك للمناطق الخضراء والمفتوحة داخل المدينة	*
	استهلاك للأراضي الزراعية المحيطة بالمدينة	*
	القرب من المناطق الخضراء	***
تنوع استعمالات الارض	مزيج من استعمالات الارض الرأسية	**
	مزيج من الاستعمالات الافقية	*
النقل	خيارات النقل المتعدد	**
التفاعل الاجتماعي	عدم تقاطع السيارات مع مسارات المشاة	**
	تعزيز فضاءات المجتمع	**

المصدر : الباحث

٨- الاستنتاجات:

١- وجود نمطين من المساكن الافقي والعمودي والنمط السائد هو النمط الافقي والذي يفسر وجود ظاهرة الامتداد بالمدينة .

٢- غياب القوانين الخاصة بالحد من ظاهرة التعدي على الاراضي الزراعية .

٣- ارتفاع اسعار الوحدات وقطع الاراضي السكنية مما ادى الى استهلاك الاراضي الزراعية في بناء المسكان على الرغم من توافر القطع السكنية .

٤- وجود مزيج متنوع من استعمالات الارض العمودية في منطقة الدراسة مع ضعف التنوع في مزيج استعمالات الارض الافقية في منطقة الدراسة .

٥- عدم توفر الخدمات والبنى التحتية الخاصة بوسائط النقل العام بالاضافة الى العشوائية في توزيع مواقف السيارات .

٦- عدم وجود منطقة خاصة للمشاة وبالتالي تقاطع حركة المشاة مع السيارات في منطقة الدراسة .

٧- وجود مناطق خضراء وفضاءات متنوعة في منطقة الدراسة ولكنها ضعيفة من ناحية البنى التحتية والخدمات الساندة لها .

٩- التوصيات:

١- زيادة النمط العمودي في الوحدات السكنية وتسهيل الشروط الخاصة للحصول على وحدة سكنية من النمط العمودي .

٢- فرض قوانين صارمة تحد من التعدي على استهلاك الاراضي الزراعية ضمن المدينة وخارجها .

٣- توفير سكن ميسر من خلال تسعير الاراضي السكنية بما يناسب المجتمع المحلي وتسهيل اجراءات تمليك الوحدات السكنية .

٤- زيادة مزيج استعمالات الارض الافقية من خلال توفير استعمالات اضافية للمدينة .

٥- توفير بنى تحتية ساندة للكثافة متعلقة بمسارات المشاة ومناطق التفاعل الاجتماعي .

٦- فصل مسارات المشاة وطرق السيارات وعدم تقاطعهما مع توفير البنى التحتية اللازمة لمسارات المشاة .

المراجع:

١. Arbury, J. (2005). From urban sprawl to compact city: an analysis of urban growth management in Auckland, University of Auckland Auckland: 34.

٢. Artmann, M., et al. (2019). "How smart growth and green infrastructure can mutually support each other—A conceptual framework for compact and green cities." 96: 12.

٣. Beatley, T. (2014). Habitat conservation planning: endangered species and urban growth, University of Texas Press.

٤. Bengston, D. N., et al. (2004). "Public policies for managing urban growth and protecting open space: policy instruments and lessons learned in the United States." 69(2-3): 272.

٥. Bhatta, B. (2010). Towards Sustainable Development and Smart Growth. Analysis of Urban Growth and Sprawl from Remote Sensing Data, Springer: 37.

٦. Breheny, M. J. B. E. (1992). "The compact city: an introduction." 18(4): 241.

٧. Bunce, S. J. L. E. (2004). "The emergence of 'smart growth' intensification in Toronto: environment and economy in the new official plan." 9(2): 177-191.

٨. Bunce, S. J. L. E. (2011). "The emergence of 'smart growth' intensification in Toronto: environment and economy in the new official plan." 9(2): 178.

٩. Bunce, S. J. L. E. (2011). "The emergence of 'smart growth'intensification in Toronto: environment and economy in the new official plan." 9(2): 177.

١٠. Dupuis, A., et al. (2002). "Intensification in Auckland: Issues and policy implications." 20(4): 415.

١١. Krieger, A. J. A.-A. I. o. A. (1999). "City-Beyond the Rhetoric of Smart Growth." 88(6): 53-60.

١٢. Kushner, J. A. J. U. J. E. L. and Pol'y (2002). "Smart growth, new urbanism and diversity: Progressive planning movements in America and their impact on poor and minority ethnic populations." 21: 45.

١٣. Mumford, L. (1961). The city in history: Its origins, its transformations, and its prospects, Houghton Mifflin Harcourt.

١٤. Nallathiga, R. and M. J. I. J. U. P. Campus, II (2007). "Compact city and smart growth as policy guiding models for achieving sustainable city development: The case of Mumbai metropolis." 1: 43.

١٥. Newman, P. and J. Kenworthy (1999). Sustainability and cities: overcoming automobile dependence, Island press.

١٦. Newman, P., et al. (1992). "The ecology of urban driving II—Driving cycles across a city: their validation and implications." 26(3): 273.

١٧. Newman, P. J. B. E. (1992). "The compact city: an Australian perspective." 287.

١٨. Newman, P. J. B. E. (1992). "The compact city: an Australian perspective." 289.

١٩. Nilsson, C. (2014). "Green structure planning in Transit-oriented Development (TOD)." 20.

٢٠. Nyström, L. J. N. (2013). "" Theme: On the Quality of the Built Environment": Urban Quality of Life in Europe-Reflections on the Relationship between Urban Life and Urban Form." 15(4): 17.

٢١. Searle, G. and P. J. U. S. Filion (2011). "Planning context and urban intensification outcomes: Sydney versus Toronto." 48(7): 1421.

٢٢. Shakibamanesh, A., et al. (2019). Smart Growth and Sustainable Transport in Cities: Theory and Application, Routledge.

٢٣. Susanti, R., et al. (2016). "Smart growth, smart city and density: In search of the appropriate indicator for residential density in Indonesia." 227(1): 197.

٢٤. Susanti, R., et al. (2016). "Smart growth, smart city and density: In search of the appropriate indicator for residential density in Indonesia." 227(1): 194.

٢٥. Tan, R., et al. (2014). "Urban growth and its determinants across the Wuhan urban agglomeration, central China." 44: 271.

٢٦. Van Oort, F. G. (2017). Urban growth and innovation: Spatially bounded externalities in the Netherlands, Routledge.

٢٧. Waghorn, B. J. G. m. (2011). "Urban intensification in Auckland: are we growing smarter." 51.

٢٨. Waghorn, B. J. G. m. (2011). "Urban intensification in Auckland: are we growing smarter." 50.

الرياضيات والتحديات التي تواجهها في مجالات الحياة كافة– دراسة نظرية

م.م. فاضل عبد العباس عطا الله

معهد إعداد المعلمين– النجف الأشرف

المقدمة Introduction:

لا أحد ينكر دور التعليم في العصر الذي نعيشه، فالتعليم هو القوة المحركة للمجتمع من حالة السكون و النمو البطيء إلى حالة الحركة السريعة والشاملة في مضمار التقدم و التنمية في الموارد الاقتصادية و البشرية، و هو الطريق الذي يوجه المجتمع والفرد إلى معايشة القرن الحادي و العشرين الذي يتميز عالمه بالتقدم المعلوماتي و العلمي و التكنولوجي السريع و الشامل، والذي لم يكن له مثيل من قبل، كما و يعتبر التعليم قضية أمن قومي و خط الدفاع الأول أمام مخاطر العولمة وسلبياتها، والأداة الأساسية لاستثمار الموارد البشرية التي باتت تمثل العنصر الرئيس للتقدم الاقتصادي والاجتماعي.

وتعتبر الرياضيات صاحبة اليد العليا في مواكبة التطورات العالمية المعاصرة والمستقبلية، وهي جزء لا يتجزأ من العلوم، بل هي أساسها، والتي بإمكاننا إذا استطعنا إدراك أهميتها و أهمية تطبيقاتها في الحياة أن نستغلها بالطرق الصحيحة التي من شأنها أن تسهم في التقدم العلمي و التقني لبلدنا، وهذا ما حاول هذا البحث التركيز عليه، وهو معرفة وعي التربويون والطلبة على حد سواء بأهمية الرياضيات و طبيقاتها، وإذا كان حديثنا عن الرياضيات وتطبيقاتها في الحياة، فإننا نتحدث عن حجز الزاوية في التقدم العلمي والتقني، لأن تطبيقات الرياضيات في الحياة تطرح فكرة الجانب الإنساني لها حيث أصبحت هذه التطبيقات شيئا أساسيا في تعليم الرياضيات ليصبح تعليمها وتدريسها ذا معنى، و بهذا يقبل على تعلمها الطلبة، وتنمي ميولهم نحوها، و تدفعهم إلى مواجهة مشكلاتهم الحياتية و بخاصة إن علم الرياضيات الآن أصبح من العلوم غير المحببة بين الطلبة، فإذا لم تصبح الرياضيات ذات علاقة بالطلبة بأي شكل كان، فإن تعلمها سيصبح بلا فائدة ولمجرد والحفظ والاستذكار الذي ينتهي بالامتحانات بعد استظهارها.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى مناقشة عدة أهداف منها :

- بيان التأثر والتأثير بين الرياضيات والعلوم الأخرى .
- إبراز تطبيقات الرياضيات في الحياة العملية.
- التركيز على التحديات التي تواجه علم الرياضيات .
- الأهداف العامة لتدريس الرياضيات وكيفية تحقيق هذه الأهداف.
- كيفية إدخال تطبيقات الرياضيات في المناهج المقررة والأمور التي يجب مراعاتها.

الرياضيات في هذا العصر وعلاقتها مع العلوم الأخرى:

حين تخرس الكلمات فان للأرقام معنى أنها الرياضيات لب الأرقام والأعداد وأم العلوم الدنيوية كونها تدخل في كل جوانب العلوم الطبيعية إي في كل انجاز علمي، والأمثلة لا تعد ولا تحصى، ففي الهندسة تعتبر الرياضيات روح العمل الهندسي لدورها في وضع النماذج والرسومات الهندسية ومحاكاة الواقع، ومن دونها لا وجود لا للهندسة ولا لتطبيقاتها. (المنوفي، ١٩٨٧:٢٢)

وكذلك الشأن بالنسبة للإحصاء فلا يكاد يخلو منها أي علم تطبيقي من مادة الإحصاء و معادلاته وحساباته، ويلجا إليها أيضا علماء النفس المعاصرون لبناء نماذج لدراسة عمليات التعلم، والاقتصاديون يفهمون من خلالها العلاقة بين الاستهلاك في الاقتصاد الراهن القائم على المنافسة، والشركات تطبق التفكير الرياضياتي الدقيق على مسائل الإدارة والتخزين والإنتاج و غيرها، وعلى الرغم من محافظة الرياضيات على مسلماتها القائمة منذ آلاف السنين إلا أنها تنبهت إلى خطر التحديات العلمية و التقنية المعاصرة، بل أكثر من هذا بعثت التطور في علوم الحاسب الآلي و الطب و الأحياء و الاقتصاد والمواصلات والاتصال و حماية البيئة و غيرها نشاطا عارما في الرياضيات التي يمكن أن نعتبرها أم العلوم الأساسية و لغة التقنية الحديثة، فهي لغة عالمية و علم هام لا يستغني عنه أي فرد مهما كانت ثقافته أو كان عمره؛ لأنها تشغل حيزاً مهماً في الحياة و لها أهميتها في حياة المجتمع اليومية و تصريف و تنظيم أمور معاشهم و كل ما يقع بينهم من أمور تحتاج للحساب و تحديد ما لهم و ما عليهم من أمور

مادية، كما أنها مهمة في معرفة المساحات و الحجوم و المقادير و الأبعاد و غيرها وبالتالي فان الرياضيات علم لا يستغنى عنه في الحياة ، بل نستطيع القول بأن الرياضيات سهلت الحياة في كثير من جوانبها و أصبحت في عالم اليوم العصا السحرية التي تدخل في كافة مجالات الحياة لتجعلها أكثر يسراً و رفاهية .

ولو قدر للرياضي (كاوس) أن يخرج من قبره لرأى كيف تحققت نبوءته عندما قال عبارته المشهورة "الرياضيات ملكة العلوم" و لدهش كيف إن تطبيقات الرياضيات في العلوم المختلفة، قد تعدت بمراحل ما هو متوقع منها، ثم كيف أن الرياضيات بعد أن تربعت على عرشها ردحاً من الزمان قد تخلت عن تاجها و أصبحت خادمة للعلوم.

الرياضيات في حياتنا بمختلف الجوانب :

١. الرياضيات كعلم:

عرف الرياضيات قديما بأنه " علم المقدار المتصل والمنفصل " أو هو علم " الكم" وعلى تلك كان ينظر إلى الحساب والجبر على أنهما يتناولان دراسة الأعداد والعمليات عليها، وإلى الهندسة على أنها مختصة بدارسة النفط والخطوط والأسطح والأحجام والعلاقات بينها وهنا مما يدل على أنها جميعا تتعلق بالمقدار المتصل والمنفصل والكم المنفصل كما في الأعداد وهي موضع اهتمام الحساب أو كما في حروف الهجاء التي تستخدم الرموز في التعبير عن كم غير محدود وهو موضع اهتمام علم الجبر، أما الكم المتصل فهو ما يتعلق بالمكان والزمان أو تتعلق بمعنى الحركة بأشكالها المختلفة وهو الأقلية ونظرية المجموعات المجردة وجبر المنطق أصبح من الواضح عدم وجود علاقة جوهرية بين الرياضيات والكم .

وعرف بأنه علم الرياضيات بأنه أحد المجالات المتميزة فهو علم تجريدي من خلق وإبداع العقل البشري تهتم من ضمن ما تهتم به الأفكار والطرائق.

٢. الرياضيات كمادة دراسية :

الرياضيات كمادة دراسية تقدم للطلبة في مستويات الدراسة المختلفة يمكن التمييز بينهما بصورة ملموسة عندما تقارن بين نشاط واهتمامات "الرياضياتي" حيث يتبع أساليب بحثية معينه للتوصل إلى رياضيات جديدة ولإعادة تنظيم وبناء المعرفة الرياضياتية في مجال معين وابتكار رياضيات جديدة من جهة وبين مناشط واهتمامات معلم الرياضيات حيث يعلم رياضيات معينه لتلاميذ في مستوى تعليمي معين، فالرياضيات كمادة دراسية هي تطوير قام به الرياضياتيون التربويون للرياضيات كعلم لجعلها قابلة للاستيعاب والفهم من جانب التلاميذ في عمر زمني معين وبقدرات عقلية، بمعنى آخر فالرياضيات كمادة دراسية تحتوي في جوهرها على المفاهيم الأساسية لعلم الرياضيات قام بتبسيطها المختصون كي تلائم خصائص الطالب الذي يمر بمرحلة معينه وتناسب خلفيته الرياضياتية حيث يكون المهم أن يكتسب المعلم كيفية إجراء العمليات الاستيعابية البسيطة التي يمكن بواسطتها اشتقاق بعض النتائج من معلومات رياضياتية متاحة لديه .

بعض تطبيقات الرياضيات في الحياة العملية:

إن الرياضيات موجودة وهي تلازم الإنسان منذ بداية حضارته، وهي تمثل جزءاً من تأريخه، وتطورها كان مرتبطاً بتطور المجتمعات، وهذه الرياضيات تطبيقية بصورة عامة، ولها تأثير عظيم على العلم والمجتمع وتؤدي دوراً مهماً في تحديد عمل الإنسان وطريقة تفكيره، وبعضاً من التطورات الحديثة في العلوم الرياضياتية ساعدت في تحسين قابلية العلماء على التنبؤ بالأحوال الجوية وقياس تأثيرات الكوارث البيئية ودراسة أصل الكون، وكان لها دور مهم في مساعدة العلماء على الوصول الى فهم أفضل للعوامل الوراثية. (نعوم،٢٠٠٣:٨٧)

فمنذ أقدم العصور يحتل النظام التعليمي، أياً كان حجمه ومؤسساته النظامية منها وغير النظامية، موقعاً مهماً بين مختلف النظم المجتمعية الأخرى، ومرد هذا الموقع المتميز يعود إلى ما ينشده المجتمع، مع مختلف توجهات فئاته من هذا النظام من دور في صياغة أوضاعه وتشكيل أفراده، من حيث الفكر والوجدان والسلوك والعلاقات التي تحدد توقعات أفراده وشرائحه، من خلال التعامل فيما بينهم، وهذا هو

المقصود بالتوظيف الاجتماعي للتعليم، بمعنى أن الدولة المعاصرة هي التي توجه مسيرته، وآلياته، فضلاً عن مضامينه وفلسفته، لكي تتحقق نوعية المواطن المنشود، سواء أكان هذا المواطن المنشود تعزيزاً وترسيخاً لنمط مقوماته السائدة حالياً، أم كان مغايراً لذلك النمط مغايرة تتباين بدرجات متفاوتة في حجمها ونوعها ومدى اختلافها وتجددها.

وتحديث التعليم وتطويره باعتباره منظومة وقضية حيوية ومتجددة، ليس بحاجة إلى إثبات قيمته وأهميته وليس قضية استهلاكية طالما يبرز الدور المهم والفعال في بناء الأمة والفرد على السواء، وطالما يظهر متطلبات حديثة فهو قضية أمن قومي واستثمار للإنسان. ولا معنى لتعليم لايواكب التغيرات المعرفية، إذ يتحول تلقائياً إلى تعليم منقوص لتاريخ العلم بعزل عن الإفادة بتطبيقاته، وعن إمكانيات استخدام تطوراته بعامة، كذلك فإن أي مجتمع لا يتفاعل مع التغيرات المعرفية، ولا يساهم في إحداثها وتطويرها هو مجتمع يعيش متطفلاً على الآخرين، مجتمع تابع عاجز عن المنافسة والتطور.

إن قانون التغيير يقضي بأنه من المستحيل أن يكون الماضي حاضراً أو مستقبلاً، وذلك خلافاً للمستقبل الذي يتحول إلى حاضر، فالمجتمعات الإنسانية دائمة التفاعل مع المستقبل وتسعى إليه، وهذا يحتم أن تسعى الدول إلى إعداد المواطن للحياة، ولا بد أن ينهض هذا الهدف ليصبح من أولوياتها، وهذا يوجب أن تتخذ كافة الإجراءات اللازمة من أجل الوصول إلى هذا الهدف، فمستقبل الأمة مرهون بمستقبل التعليم فيها، فالتعليم ليس مشروعاً مؤقتاً، إنما هو نظام له تأريخه متضمناً مدخلاته ونتائجه.

فإذا نظرنا إلى المجتمعات المعاصرة، وبخاصة المتقدمة منها نرى أنها مشغولة بنفسها ومستقبلها شغلها بحاضرها، وأصبح للمستقبل علم له تقنياته وأساليبه، ومن هنا جاءت تسمية هذا العصر عصر الفضاء أو عصر التفجر المعرفي.

ومصطلح الرياضيات التطبيقية ما زال غير متفق عليه، فالبعض يرى أن الرياضيات التي تستخدم دون الرجوع إلى التطبيقات تسمى الرياضيات البحتة، أما الرياضيات التي تستخدم لفهم العالم الذي نعيشه

فتسمى الرياضيات التطبيقية، وهذا التقسيم صعب إذ إن الكثير من الأفكار الرياضياتية أتت من خلال العالم الحقيقي وأغلب الرياضيات البحتة عملي، كما يرى البعض. (مينا، ١٩٩٩: ٥٧)

إن مصطلح الرياضيات التطبيقية مازال قائماً في عصرنا الحالي، ولكن في سياق مختلف، كما أنه لا يزال غير محدد بصورة متفق عليها، ويمكن النظر إلى الرياضيات التطبيقية على اعتبار أنها تتمثل أساساً في بعض المجالات المعرفية التي تعمل على تطبيق نظم رياضياتي في العلوم الأخرى، أو بمعنى أصح عديد من العلوم الأخر.

ومن أمثلة تلك المجالات الاحتمالات، والإحصاء، والرياضيات حلقة وصل بينها وبين العلوم الأخرى. ويميز البعض بين تطبيقات الرياضيات والرياضيات التطبيقية، حيث يعرفها البعض أي "الرياضيات التطبيقية" بأنها فروع الرياضيات التي تطبق في الفيزياء، كما يعرفها البعض بأنها تطبيق الرياضيات في العلوم والمجالات الحياتية الأخرى، وبهذا فإن تطبيقات الرياضيات أعم وأشمل من الرياضيات التطبيقية، وهنا لسنا بصدد الخوض في التفريق بين الرياضيات التطبيقية وتطبيقات الرياضيات، وما يهمنا هو كيف نطبق الرياضيات في مجالات الحياة المختلفة. ومن تطبيقات الرياضيات (النمذجة) التي تعتمد على تحويل الموقف موضوع الدراسة إلى مشكلة (مسألة) رياضياتية، ثم حل هذه المسألة، واختبار صحة الحل في هذا الموقف، ثم الخروج بتنبؤات وتعميمات ومفاهيم جديدة، وهكذا فإن مجال الرياضيات هو دراسة النظم الشكلية، بينما المجال الرئيسي لتطبيق الرياضيات في العلوم الأخرى هو "النمذجة الرياضياتية".

فعلى الرغم من أن الرياضياتيين يمارسون ألعابهم الشكلية ويتوصلون إلى أبنيتهم المنطقية دون أن يفكروا في تطبيقاتها العملية أو ما يمكن أن تفيد العلوم الأخرى على أنواعها، فإنه تظهر مع ذلك تطبيقات مهمة للرياضيات في العلوم الأخرى، قد تظهر أولاً أو تظهر بعد فترة قصيرة، أو بعد سنوات عدة، ومثال ذلك اعتماد أينشتاين في بناء النظرية النسبية واعتماد الكثير من علماء الفيزياء المعاصرة على الهندسات الحديثة، وهذا لا يعني أن تبنى مناهج الرياضيات على أساس تطبيقاتها فقط، حتى لا تصبح كل من الرياضيات وتطبيقاتها الحياتية شيئين منفصلين، وتطبق اليوم في صورة مع الحياة، وبخاصة في ما يتعلق

بالجانب الاجتماعي، ولنا أن ندعى أن التعلم الأصيل وهو التعلم الذي يوجد علاقة بين ما يتعلمه الطلبة وبين ما يجدونه في الحياة اليومية.

لقد كان ينظر إلى الرياضيات لاسيما في المرحلة الابتدائية على أنها مجموعة كبيرة من المفاهيم والمهارات التي ينبغي أن يتقنها التلاميذ بترتيب صارم وأصبح ينظر إليها على أنها أشياء يمارسها الناس في حياتهم اليومية، وفي المرحلة الثانوية تغيرت النظرة من كون الرياضيات تدرس المنطق الشكلي إلى النظرة الإنسانية التي تعد طلبة متعلمين فاعلين في المشاركة الكاملة كأعضاء عاملين في المجتمع، وهذا يحتم اتباع مداخل غير نظرية في تدريس الرياضيات، ويقصد بتلك المداخل التي تبنى على الممارسة والخبرة، وليس على النظريات الشكلية.

وتعد الرياضيات أحد المجالات المعرفية التي لا يمكن النظر إليها بمعزل عن التوجهات المعرفية الحالية والمستقبلية، والتي لا يمكن اختزالها من أجل التعامل مع أمور جزئية منفصلة عن بعضها البعض، بل يجب أن تلتحم المعرفة بتطبيقاتها.

كما ينبغي أن تشكل تطبيقات المعرفة الرياضياتية جانباً محورياً في المنهاج في جميع مراحل التعليم العام، وهذا ما يؤدي بدوره إلى الحاجة إلى تطوير رياضيات جديدة، وهذا بدوره أيضاً يفضى إلى ادعاء مفاده أن التعليم ينبغي أن يواكب التطورات المعرفية الحادثة، ما يحتم تناول المعرفة بصورة متكاملة، وهو ما ينبه إلى اتباع طرق غير تقليدية في التدريس مثل (التعلم الذاتي، والعصف الذهني، والعمل الجماعي، والبحث التربوي، والحوار والمناقشة).

إن من يسال عن تطبيقات الرياضيات في حياتنا العامة كمن يسأل عن أهمية الحروف الأبجدية في بداية تعلمها، فالرياضيات لها جوانب مختلفة وتطبيقات هامة في مختلف مجالات الحياة، في علم النفس وعلم الفلك والطب والاقتصاد وعلم الزلازل والاتصالات والجيولوجيا وعلوم الحياة والبيئة والصحة وغيرها. (دعيبس، ٢٠١٠: ٣٢)

وهذا تفصيل عن بعض هذه التطبيقات:

الرياضيات والطقس:

لعلك تتساءل مستغربًا عن علاقة الطقس بالرياضيات، والإجابة على ذلك تقتضي توضيح كيفية قياس الطقس المتوقع لليوم التالي، بل وللأسابيع التالية، وهو الأمر الذي يتم من خلال محطات قياس الطقس في أماكن موزعة على كافة أنحاء العالم، يتم فيها قياس درجة الحرارة، ونوعية الأمطار وكميتها، والضغط الجوي، ونسبة الرطوبة، وإتجاه الرياح وسرعتها، ومن البديهي أن جمع كل هذه المعلومات، وتحليلها واستنباط نتائج منها، هو أمر مستحيل بدون استخدام الرياضيات، والمعادلات الرياضياتية، ودون خوض في التفاصيلات الدقيقة، ويمكن القول بأن احتساب متغيرات الطقس من ساعة إلى ساعة، مع مراعاة بعض المبادئ الفيزيائية، يؤدي إلى التوصل إلى الطقس المتوقع، وإن قياس الطقس المتوقع لشهور وسنوات مقبلة، أمر في غاية التعقيد، وبه متغيرات كثيرة للغاية، لذلك يشارك في هذه التوقعات إلى جانب علماء الرياضيات، علماء الطقس ومجموعة من علماء الأحياء والزراعة والاقتصاد وعلوم البحار وعلماء الاجتماع؛ لأن سلوك البشر يؤثر على الطقس، ويتأثر به بشدة، ونظراً لأن لكل علم من العلوم منهجه في البحث والتحليل، فقد جرى الاتفاق على أن تكون الرياضيات هي العلم الذي يوفق بينها جميعاً؛ لأنها ببساطة أدق العلوم، وأمهرها في التوصل إلى معادلات تصلح للتطبيق في جميع العلوم الأخرى.

الرياضيات و عالم الاتصالات :

يعلم كل مستخدم للكمبيوتر أن تسجيل الصوت، يحتاج إلى مساحة في ذاكرة الكمبيوتر تفوق بكثير النص المكتوب، وكذلك بالنسبة للجوال، فإن نقل البيانات الصوتية، يحتاج إلى ٦٤ كيلو بايت في الثانية الواحدة، وهي كمية ضخمة جدًا بالنسبة للشبكات الهاتفية، فالقناة المخصصة لنقل المعلومات لا تتسع عادة لأكثر من ٩,٦ بايت، إضافة إلى أن هناك معلومات إضافية لابد من نقلها للتعرف على الهاتف وتصحيح الأخطاء في الاتصالات، ولذلك يتم تقسيم البيانات الصوتية في شرائح، وإرسالها عبر مصف للصوت (فيلتر)، ليقوم بتسجيل فترات الصمت بين الكلمات مثلاً، ثم يتم تحويل المعلومات في شفرة مضغوطة، ويجري ترتيبها في شرائح صوتية، وحين تصل المعلومات إلى الهاتف المستقبل، فإن هذا

الجوال المستقبل قادر على تصحيح الأخطاء من خلال برامج ابتكرها علماء الرياضيات عن طريق نظرية الاحتمالات، لتصل إلى الشخص المستقبل بصورة مفهومة، بحيث لا يشعر أصلا بحدوث هذه الأخطاء في نقل المعلومات. (أسموني، ١٩٩٨:٩٢)

كذلك يحتاج من يريد الاتصال بالهاتف الجوال، إلى تردد يتكلم عليه، ولكن عدد الترددات المتاحة في كل مكان، هو عدد غير مطلق، بل يكون هناك عدد محدد من الترددات، وإذا اتصل عدد كبير من الناس في نفس المنطقة على نفس التردد، فإن ذلك يؤدي إلى مشاكل تقنية، فإذا أمكن تقدير العدد المطلوب من الترددات في منطقة ما، فإن ذلك سيساعد على تجنب هذه المشاكل، وهو الأمر الذي يمكن التوصل إليه من خلال معادلات رياضياتية، تقوم أيضًا على نظرية الاحتمالات، بحيث يتم تقدير عدد المتصلين المتوقعين في مكان ما في وقت معين، وعندها يمكن وضع الشبكات الهاتفية المطلوبة، وتحسين أدائها، بحيث تقدم أفضل خدمة للمتصلين. (سلامة،٢٠٠٥:١٠٦)

وقد أثبتت تقنية (GBS) الحالية كفاءة عالية، وهناك التقنية الحديثة (UMTS)، التي تمثل تحديًا كبيرًا لشركات الاتصالات ولعلماء الرياضيات أيضًا، وأثبتت أن الحاجة إلى علماء الرياضيات في المستقبل سيزداد بشدة، بسبب الحاجة إلى المزيد من الخدمات بسرعة أكبر، وكفاءة أعلى، أما استعمال الحاسب الآلي للتواصل عبر البريد الإلكتروني، أو نقل المعلومات على أقراص مدمجة أو على أصابع الذاكرة (USB)، بل وسحب الأموال عن طريق جهاز السحب الآلي، كل هذه الأشياء ما كانت لتتحقق لولا قدرة الرياضيات على تحويل الكم الهائل من المعلومات إلى رموز وشفرة، تختصرها في صورة قابلة للتعامل معها آلياً، ونقلها في صورة مشفرة، تضمن وصولها إلى الجهة الصحيحة، وعدم إفشائها على الملأ؛ لخصوصيتها ولخطورة وقوعها في يد العابثين، ولا تقتصر فوائد الرياضيات على هذه الرفاهية، بل أمكن بفضل الرياضيات التوصل إلى صيغة لنقل المعلومات المعقدة في شفرة مبسطة، من أعماق المحيط عن الفيضانات إلى مراكز الأبحاث على بعد مسافات ضخمة، لفك الشفرة وإصدار الإنذارات من وقوع الكوارث الطبيعية.

الرياضيات في عالم السيارات:

تسعى شركات صناعة السيارات إلى الإبداع والابتكار المستمر بموديلات جديدة ذات مواصفات عالية، وهو الأمر الذي ما كان ليتحقق بدون الرياضيات، ولا أن تسير حركة التطوير بهذه السرعة، فبالرياضيات يتم احتساب سرعة الرياح وقوتها وتأثيرها على جسم السيارة أثناء القيادة، وكمية الوقود المستهلكة أثناء القيادة، وإن تجربة عناصر الأمان في السيارة، كانت تقتضي في الماضي إجراء حوادث سيارات متعمدة، لقياس تأثير الاصطدام على مكونات السيارة، وبالتالي على حياة السائق ومن معه، ولو تخيلنا أنه ينبغي بعد إجراء كل تعديل على جسم السيارة، تجربة ذلك على أرض الواقع بسيارات جديدة تتحطم بعد الحادث. (عبيد، ١٩٩٨:١٢٢)

فلنا أن نتصور حجم الخسائر المادية من جراء ذلك، ولكن أصبح اليوم هناك برامج باستخدام مجسم للسيارة على الكمبيوتر من ملايين النقاط، وباستخدام الرياضيات يمكن قياس تأثير كل المتغيرات على جسم السيارة، بل أصبح من الممكن ربط أجهزة الكمبيوتر العملاقة لكل شركة مع شركات صناعة السيارات المنافسة، وقياس تأثير الاصطدام ليس مع سيارات نفس الشركة فحسب، بل وعند الإصطدام بسيارات الشركات الأخرى، وهو مشروع عملاق وإنجاز رياضياتي فريد من نوعه، لضمان عنصر الأمان للإنسان، يقوم على تشفير المعلومات بحيث تتمكن الشركات المنافسة من التعامل مع المعلومات، دون أن تكون لها أي قدرة على تخزينها، كما وتساهم الرياضيات في إنتاج سيارات أكثر جودة، فمكونات السيارة من المعادن والطلاء والبلاستيك، وغير ذلك من المواد، تتعرض كلها لظروف قاسية، كدرجة الحرارة المرتفعة جدًا في المحرك، ودرجة حرارة منخفضة من تبريد الرياح، وطقس متقلب، وشمس ساطعة وثلوج وأمطار، وكلها أمور يجب مراعاتها عند احتساب تأثير هذه العوامل على المواد المكونة للسيارات، ومن ثم الارتقاء بجودتها.

الرياضيات والطب:

يعتمد الأطباء في عملهم اليوم على الرياضيات، خاصة في مجال التقنيات الطبية، وصناعة الأدوية، والبيولوجيا الرياضياتية، بحيث أصبح من غير الممكن تصور حدوث تقدم في الطب دون الرياضيات؛ لأن تأثير العلاج في الجسم يعتمد إلى حد كبير على احتساب سرعة تأثير المواد المكونة للأدوية على أعضاء الجسم، بحيث يمكن تعديل المكونات لتحقق نتائج أفضل، وبفضل الرياضيات أمكن إنتاج أجهزة كمبيوتر لإجراء العمليات الجراحية، والمساعدة في الوصول إلى أعضاء في الجسم دون حاجة إلى استخدام المشرط اليدوي لعمل فتحات كبيرة في الجسم، من أجل الوصول إلى العضو المحتاج إلى العملية. (أمين، ١٩٩٦:٥٦)

أما أجهزة التشخيص التي جرى تصويرها باستخدام علوم الرياضيات، فقد أصبحت جزءاً أساسياً في الطب الحديث، والفحص المقطعي مثلاً يعتمد على وجود مجسم مرقم في الكمبيوتر، يتم تعديله ومطابقته لجسم المريض، وبالتالي التوصل إلى نتائج دقيقة للغاية، وكذلك الحال لبقية أجهزة الفحص المصورة، التي أصبحت موجودة بفضل علوم الرياضيات مثل الهندسة اللوغاريتمية، ولذا يرى الكثيرون أن علم الطب الحديث يدين لتطوره الفائق، لعلوم الرياضيات، مما أسهم في الارتقاء بحياة الإنسان، وإنقاذ الكثيرين عن طريق التشخيص المبكر والدقيق للمرض. والرشاقة بالرياضيات إحدى التطبيقات الطبية للرياضيات، وكذلك وزن الجسم والكتلة التي ينبغي أن يكون عليها جسم الإنسان والتي نحصل عليها من خلال المعادلات التالية : معادلة الوزن :يمكننا أن تعرف الوزن المثالي من المعادلة التالية :

الوزن المثالي لجسم الإنسان = الطول (سم) – ١٠٠

معادلة الكتلة : تتم معرفة الكتلة من المعادلة التالية :

الناتج من الكتلة	جسمك
أقل من ٢٠	نحيف
٢٠ ـ ٢٥	طبيعي

٢٥ ـ ٣٠	زيادة
٣٠ ـ ٤٠	سمنة متوسطة
٤٠ فما فوق	سمنة مفرطة

(www.taha٤٣٢.jeeran.com/budy.htm)

الرياضيات والرسم القلبي الكهربائي:

يبرهن على أن الهندسة لا تقتصر تطبيقاتها في عمل التصميمات وفي العمارة والمساحة ولكن تمتد إلى العلوم الأخرى ومنها هنا الطب " الهندسي "وبالضبط عن طريق استخدام مرسام القلب الكهربائي (Electrocardiogram) الذي يعمل على قياس الأنشطة الكهربائية للقلب بالنسبة إلى ثلاث نقط أو وصلات : واحدة عند الكتف الأيمن، وواحدة عند الكتف الأيسر، وأخرى عند السرة والتي تكون رؤوس مثلث متساوي الأضلاع يعرف باسم مثلث (إينثهوفن Einthoven) نسبة إلى صاحب الاختراع أي مخترع جهاز الرسام الكهربائي الذي يسجل موجات انقباض وانبساط القلب على ورق رسم بياني يمكن ذوي الاختصاص من الأطباء من تحديد مكان حدوث أي خلل في عمل القلب.

الرياضيات في الفنون والمواصلات والألعاب الرياضياتية والسياسة وعالم الأموال:

فكر الكثيرون منذ زمن طويل في معايير «الجمال الفني»، الذي –كما هو معروف– أمر فردي، وانطباع شخصي لكل إنسان، ولكن ما هو ثابت أن الجمال يرتبط ارتباطًا وثيقًا بأبعاد الجسم وتناسقه، وهو أمر يجعله محكوماً بقوانين الرياضيات، فالرسوم البديعة في المساجد، والأشكال الهندسية بالخشب على المنبر، كلها منضبطة بقوانين الهندسة، فالانسجام والجمال توأمان لا ينفصلان، وهو الأمر الذي توصل إليه عالم الرياضيات (اليوناني أويكليد) عام ٣٠٠ قبل الميلاد، ولذلك فليس من المستغرب أن يتوصل الفنان الألماني الشهير (ألبريشت دورر) بعد بحثه المستفيض عن الأبعاد المثالية في الفن، إلى أن «علم

الهندسة هو الأقدر على إظهار الحقيقة بصورة عميقة»

(www.taha٤٣٢.jeeran.com/budy.htm)

ومازالت العلاقة بين الفن والرياضيات حتى اليوم مستمرة ووثيقة. في العواصم العالمية الكبرى التي يسكنها ملايين البشر، حيث أنهم يتنقلون بين أرجاء العاصمة بشبكة من المواصلات من باصات إلى مترو أنفاق إلى قطارات وربما الباص النهري، ولابد من التنسيق بين مواعيدها، حتى لا يضطر الشخص إلى الانتظار لفترات طويلة، حين يبدل إحدى وسائل المواصلات ليواصل انتقاله بوسيلة انتقال أخرى، مع مراعاة أن أعداد الركاب تختلف بين أوقات اليوم، وبين أيام الأسبوع، ومع مراعاة اختلاف المسافة الفاصلة بين المحطات، والوقت اللازم للصعود والنزول، كل هذه المتغيرات تجعل التنسيق بينها بدون الرياضيات وبرامج الكمبيوتر غير ممكنة، ومن يلعب كرة القدم يعرف أن الكرة أحيانًا لا تسير في خط مستقيم، بل تلف في الهواء ولا تصل إلى هدفها، وهي ظاهرة درسها علماء الرياضيات، واستمروا في البحث عن أفضل الأشكال الرياضياتية التي تجعل الكرة قابلة للحركة بطريقة أفضل، وتوصلوا إلى أن الشكل الخماسي لقطع الجلد المكونة للكرة، يجعل سطح الكرة في أفضل حالاته، ويقلل من تأثر احتكاكه بالهواء، ويسري الأمر نفسه على شكل الدراجات والمراكب الرياضياتية وغيرها.

ومن يتابع الأحداث السياسية يتذكر الخلاف الذي دب بين بعض دول الاتحاد الأوروبي، والتي اعتبرت أن تمثيلها في البرلمان الأوروبي أقل مما تستحقه، وطالبت بزيادة عدد الأصوات الممنوحة لها، ودار النقاش حول كيفية احتساب الأصوات، وهل هو تبعاً لحجم إجمالي الناتج القومي، أم تبعاً لعدد السكان، وعاد علماء السياسة إلى علماء الرياضيات يطلبون مشورتهم، وبذلك فإن الرياضيات لم تلعب دوراً هامشياً تنظيمياً فحسب، بل استطاعت من خلال عدد الأصوات الذي تم احتسابها، تحديد شكل السياسة في داخل الاتحاد الأوروبي، بناء على معادلات رياضياتية.

أما بالنسبة للعاملين في قطاع التأمينات أو تجارة الأسهم في البورصات العالمية، فإنهم لا يمكن أن يتخيلوا حياتهم بدون علم الرياضيات، فالمعادلات الرياضياتية هي التي تتوصل إلى التقديرات المتوقعة

للمكسب والخسارة، ولكن تأتي كوارث طبيعية مثل العواصف والفيضانات والزلازل فتؤدي إلى إفلاس شركات التأمين، وتنفجر فقاعة اقتصادية مثل أزمة العقارات الأمريكية والبريطانية فتنهار مصارف بأكملها، لتثبت أن الرياضيات يمكن أن تحسب، ولكن القدر يأتي بحسابات مختلفة تماماً، كما حدث أيضًا في الأزمة الاقتصادية العالمية.

الرياضيات و الاسلام:

كان لعلم الحساب لدى الحضارة الاسلامية أثر واضح في تجارة المسلمين اليومية و أحكامهم الشرعية، ومن ذلك عدم الزيادة و النقصان في كثير من المعاملات لا يعرف ذلك إلا بالحساب ومن ذلك معرفة الربا و مقداره لان كل زيادة على اصل المال من غير تبايع فهي ربا.

كما كان لعلم الجبر دوراً بارزاً لديهم و الذي يحتاجه الناس في معاملاتهم و من ذلك معرفة المواريث المعروف بعلم الفرائض، كما ولا يعرف حل مسائل المواريث إلا بالرياضيات.

و الامر لا يقف عند التجارة و المواريث و الربا و غير ذلك بل إن تحديد أوقات الصلاة التي تختلف حسب المواقع و من يوم لاخر يحتاج الى الحساب الذي يحتاج الى معرفة الموقع الجغرافي و حركة الشمس في البروج و غيرها، كل ذلك بالحساب يمكن تحديد وقت الصلاة في كل بلد، كما إن معرفة جهة القبلة و الأهلة و بخاصة هلال شهر رمضان المبارك يحتاج الى حسابات خاصة و طرق متناهية في الدقة ولا يتأتى ذلك إلا بالرياضيات، ولابد من الإشارة هنا أن الرياضيات كانت سبباً لإيمان الكثير من علمائها بوجود الله واعتناقهم الإسلام.

الرياضيات والإيمان بالله:

تكاد لا تجد فيلسوفاً درس الرياضيات وتوغل فيها ينكر وجود الله (فأنشتاين وكاميل) وأمثالهم موحدون، وذلك لأنه عندما يرى أحدهم أن جميع أجزاء الكون مرتبطة بعضها ببعض بدساتير رياضياتية متقنة، وأن الرياضيات مفتاح فهم ظواهر الطبيعة عند ذلك يعلم أنه لابد من مبدع ربط أجزاء هذا الكون بعضها ببعض وأن هذا المبدع الجبار هو الله تعالى واجد الوجود ترتيباً محكماً بقوانين رياضياتية لم يصل العلم

الحديث إلا إلى جزء ضئيل وضئيل منها جداً، فهاهو (Bergson) الفيلسوف الفرنسي وعالم الرياضيات الذي أتعب نفسه في العلوم الرياضياتية برهة من الزمن عندما ينظر الى تلك المعادلات في الذرة يقول" إن الله موجود في الذرة يبدعها إبداعاً وينظمها تنظيماً " فهذا العالم يذعن أن يداً ربانية موجودة في الذرة تعمل في هذا الترتيب الحكيم، وهذا (رينيه ديكارت) الفيلسوف الرياضياتي الفرنسي توصل الى وجود الخالق جل جلاله في وجود نفسه فقال" أنا أفكر إذاً أنا موجود، فأنا لم أخلق نفسي بنفسي"، وقد صرح (والتر) "أن الموجودات برمتها تنادي برفيع صوتها أن لها بارئاً قد برأها وصانعاً قد أتقن صنعها"، أما (لينيه) فيقول" يمر أمام عيني ربي الذي خلق كل شئ إني لاأراه ببصري ولكن نفسي تراه حين تشع عليها آثار عظمته وجلاله وترى ماأودع في هذع الكون من جلائل الأعمال وخوارق لاتعد"،

(الزنجاني، ١٩٩٢:١٤)

لقد ذكر الأستاذ المؤرخ (أحمد أمين) في الجزء الأول من كتابه (التكامل في الإسلام) ص١٩٥ " يرى المطالع في أحوال الكون أن الأفلاك تضبط بمعادلات رياضياتية متقنة تشير الى النظام الرائع والانتظام البديع الذي أودعه الله في هذا الكون"، "ويرى أن الحكمة البالغة جعلت الكواكب تدور على سير اهليجي (قطع ناقص) حول الشمس على أن تكون الشمس أحد (بؤرتيه)"، ويرى المطالع" أن الشعاع الحامل الذي يوصل الشمس بإحدى الكواكب يقطع أزمنة متساوية وفي ذلك من الحكمة الفائقة"، " وأن مربعات أزمنة الدور النجومي للكواكب تتناسب مع مكعبات نصف المحور الأطول لمدارتها وفي ذلك الحكمة العالية"، "وأن نظرية (لابلاس) في تشكيل المنظومة الشمسية موجودة بشكل صحيح لا يقبل التعديل".

وقد روي أن جماعة من الفلاسفة حضروا عند (أنيشتاين) ليتحاكموا ليروا رأيه من الله جل جلاله، فعرضوا عليه سؤالهم (مارأيك في الله؟)، فأجاب " لو وفقت أن أكتشف آلة تمكنني من التكلم مع ميكروب صغير واقف على رأس شعرة من شعرات إنسان وسألت الميكروب أين تجد نفسك؟ لقال لي أني أرى نفسي على رأس شجرة شاهقة أصلها ثابت وفرعها في السماء عند ذلك أقول له أن هذه الشعرة التي أنت على رأسها هي شعرة من شعرات إنسان وأن الرأس عضو من أعضاء هذا الإنسان، ماذا تنظرون هل لهذا الميكروب

المتناهي في الصغر أن يتصور جسامة الأنسان وكبره، كلا إني بالنسبة إلى الله تعالى لأقل وأحط من ذلك الميكروب بمقدار لا يتناهى فأنى لي أن أحيط بالله الذي أحاط بكل شيء بقوى لا تتناهى وعظمة لاتحد". (الزنجاني،١٩٩٢:٣٧)

يقول احد الحكماء والعارفين : " أن الرياضيات طريقي لمعرفة الله وأمان من الشرك به".

الرياضيات الحيوية:

تشمل تطبيقات الرياضيات الحيوية جسم الإنسان من رأسه حتى أخمص قدميه، ومن أمثلتها دراسة النماذج الرياضياتية للدماغ وتوصيل التيار في الخلايا العصبية وتبادل الأوكسجين وثاني أكسيد الكربون في أجهزة الجسم وعمل مختلف أعضاء الإحساس (العيون والآذان) والكلى وذلك في علم وظائف الأعضاء الرياضياتي. (مينا، ١٩٩٩: ١٤)

أما فرع الكيمياء الحيوية الرياضياتية فيهتم بدراسة ديناميكية السوائل، التي تشمل تدفق الدم في الشرايين والأوردة وتدفق السوائل في الأذن الداخلية، وديناميكية تدفق الغازات في الرئتين. كما تدرس الضغوط والإجهاد على العظام والعضلات.

وتدرس الرياضيات توزيع الأدوية أو بقاياها في مختلف أجزاء نظام الجسم البشري أو الحيواني في علم الحركة الدوائية الرياضياتي، وتقدم النظرية الرياضياتية في الأمراض تحليلاً لاستخدام الطرق الرياضياتية في تشخيص ومعالجة أمراض معينة مثل السرطان، أما فرع الهندسة الوراثية الرياضياتية فيشمل تصميم الأجهزة الطبية مثل أجهزة القلب والرئة الصناعية والأطراف الصناعية وأجهزة التصوير بالأشعة الطبقية المقطعية، ولا تقتصر الرياضيات الحيوية على دراسة جسم الإنسان بل تمتد لتشمل البيئة المحيطة به، ومن أمثلة ذلك، علم الأوبئة الرياضياتي، وهو يدرس انتشار الأوبئة والسيطرة عليها، وكذلك دراسة مشاكل التلوث من خلال علم الأحياء البيئي الرياضياتي، ولا ننسى علم الاقتصاد الحيوي الرياضياتي الذي يشمل تحاليل التي تتعلق بالاستخدام الأمثل للموارد القابلة للتجديد مثل مزارع الأسماك والغابات.

وتبحث الديموغرافية الأرضية في نمو السكان وتأثير فئات العمر على حجم تعداد السكان وهكذا، أما علم الوراثة الرياضياتي فيبحث في انتقال الصفات الوراثية من جيل لآخر من خلال عمل المورثات، وأشمل من ذلك علم الحيوان الرياضياتي، الذي يبحث في نمو أعداد الكائنات الحية الدقيقة ودورها في التخمر والتحويل الحيوي للطاقة الشمسية والتخلص من الملوثات في الهندسة الصحية وغيرها كثير، أما علم النبات الرياضياتي فيبحث في مشاكل مثل نمو الخلايا ونمو النباتات وأشكالها وامتصاص النباتات للأغذية ونمو الغابات والتفاعل بين الحياة النباتية والبيئة، وتعتبر العلوم المذكورة أعلاه غيضاً من فيض، وهي علوم كاملة التطور فيها من المراجع والدراسات الكثير بدرجات متفاوتة، من حيث مدى اختراقها للعلوم المختلفة، وحيث أن الأوضاع في علوم الحياة معقدة للغاية فهي تتطلب من الرياضياتيين أولاً فهم الوضع ثم تشكيل أنموذج رياضياتي له واختزال نواتج هذا الأنموذج بواسطة التقنيات الرياضياتية ومن ثم مقارنة النتائج بالمشاهدات الواقعية، ويتم تكرار العملية حتى الحصول على نموذج رياضي مقبول، وكثيراً ما يتم التعاون في فرق بحثية بين الرياضياتيين والمختصين في العلوم المختلفة . (العبودي، ٢٢:٢٠٠٠)

وقد كانت الرياضيات في كثير من فروعها، في ما مضى، تدرس للمتعة العقلية، وهي متعة لا يتصورها إلا من عايشها، ومع تطور الحاسب الآلي الذي نتجت عنه تطبيقات أكبر للرياضيات، أصبح الرياضياتيون يحصلون على مزيد من الرضا والمتعة لعلمهم بأن جهودهم سوف تنتج عنها الصحة والسعادة للبشرية.

الرياضيات في العلوم الإنسانية:

تضم العلوم الإنسانية علم الاقتصاد والاجتماع والتاريخ وعلم النفس والأخلاق وما سواها، فالمجتمعات الصناعية تعتمد على اللغة الرياضياتية من أجل تطوير الواقع الذي تعيش فيه، فالاقتصاد يقوم على التخطيط الذي يعد أسلوبا للسيطرة على اقتصاد البلد ومحوره الأساسي الرياضيات. كذلك علم الاجتماع الذي يرتكز على الاستبيان والجداول الإحصائية والخطوط البيانية أثناء دراسته لحالة فقر أو نسبة الهجرة

السكانية إلى الخارج أو نسبة البطالة، أما بالنسبة للتاريخ، فالرياضيات تجعل عملية التأريخ أكثر موضوعية ودقة من خلال تحديد الفترة الزمنية لحادثة ما وتدوين نتائجها على مختلف الصعد، وتستخدم اللغة الرقمية في العديد من الدراسات لعلم النفس خاصة عندى قياس الفروقات الفردية ونسبة الذكاء، غير أن الرياضيات لا تستطيع الدخول على علم الأخلاق بسبب الموضوعات التي يحويها كالإرادة والضمير والحرية والمسؤولية والحق والواجب، فهي أمور المعنوية التي لا يصح معها استعمال القياس أو الكم. (Zeidler،٢٠٠٤)

الرياضيات في علوم المادة:

يبقى علم الفيزياء علما استقرائياً يعتمد في الأساس على مراقبة الظواهر الطبيعية، ويستطيع في أقصى حده التعبير عن القوانين بلغة رياضياتية، فتكون الرياضيات في مجال علوم المادة لغة تعبير أكثر منها منهج اكتشاف، وهناك حالات عديدة كانت الرياضيات فيها أسلوب اكتشاف وبرهنة، فقد اكتشف الفلكي الفرنسي (أوربان لوفيريي) بالحسابات الرياضياتية مكان كوكب (نبتون) وبعده وكتلته قبل التحقق من وجوده الفعلي بالرصد وكان الفكر الرياضياتي عند "نيوتن" و"أينشتاين" سابقاً إلى حد كبير على الاختبار، لكن يبقى الاختبار الضامن الأخير لصحة الاكتشافات في علوم المادة، أما فرضية تحويل الكون برمته إلى معادلة رياضياتية كبرى فيبقى حلماً راود أذهان الفلاسفة والعلماء أمثال "ديكارت"، ولكن هذا الهدف الكبير يبقى مجرّد فرضيّة دونها صعوبات وتجاذبات علمية وفلسفية، فالعالم لا يستطيع استعمال المنهج الرياضياتي الاستنباطي في سائر العلوم إلا إذا سلب الواقع كثيراً من مضمونه، فاللغة الرياضياتية توفر للقوانين العلمية مزيداً من الدقة، ومن أبرز الأمثلة على دور الرياضيات في علوم المادة: قياس سرعة الرياح، وقياس قوة الزلازل، وقياس الضغط الجوي.

الرياضيات في علوم الأحياء:

إن نجاح المنهج الاختباري في علوم الأحياء هيأها لاستعمال اللغة الرياضياتية الرائجة جداً في مجال العلوم الفيزيوكيميائية، ولقد عارض بعض العلماء هذا داعين إلى الحذر وعدم إقحام الرياضيات في علوم

الأحياء قبل أن تمر هذه الأخيرة بشكل واف على مشرحة التحليل. فالعلم الذي يبلغ مبلغا كافيا من التطور هو الذي يمكن أن يطمح إلى هذه الدرجة العلمية الرياضياتية، وكان علم الوراثة الأول من علوم الأحياء الذي اتبع علوم المادة في مسارها الرياضياتي، وقد طبقت قوانين "مندل" في المجال الحيواني بقصد تأصيل بعض الحيوانات وعزل خصائص معينة كاللون والشكل والقد. وركز العالم "مورغان" اختياراته على ذبابة (الدروزوفيل) فتوصل إلى تحديد الجينات الوراثية في كروموزومات نواة الخلية.

إن علماء البيولوجيا يعتبرون الإحصاءات الرياضياتية بمثابة استقصاء وشرح متميز للمعطيات الطبية، فإن قياس الثوابت البيولوجية والتسجيلات البيانية تشكل لغة شائعة جدا في علوم الأحياء، فتخطيط الدماغ، وتخطيط القلب، وقياس نسبة الزلال، وقياس نسبة السكر في الدم، وإحصاء عدد كريات الدم الحمراء والبيضاء، وقياس النمو والوزن كلها دلائل على دخول الرياضيات في علوم الأحياء.

التحديات التي تواجه علم الرياضيات:

ويتضح من خلال الواقع الحالى، حيث نجد أن من أهم الصعوبات التى تواجه الرياضيات هى نظرة الطلبة إليها حيث يعتبرونها رياضيات مدرسية صرف، ويعود السبب في ذلك الى نقص عاملين مهمين هما:

١- الحس العددي في المراحل المبكرة.

٢- الإثراء الرياضياتي.

الحس العددي:

الحس العددي هو ذلك الجزء الهام فى الرياضيات والتي يركز على النظام العددي ويهدف إلى تنمية الإدراك العام لدى التلميذ للعدد والعمليات عليه، وإدراك حجم العدد ومقارنته بأعداد أخرى، والمرونة في تنمية استراتيجيات متعددة للحساب الذهني والتقدير التقريبي، واختيار العلامة العددية المميزة، كل ذلك يظهر في أداء الطلبة من خلال بيئة نشطة وبنية رياضياتية تتسم بالترابط بين طرائق الحساب المختلفة،

بالإضافة إلى التواصل بين الرياضيات المدرسية والمواقف الحياتية، أي انه عملية تشير وتصف النقاط التالية :

- الإدراك الكلى والفهم العام للأعداد والعمليات عليها.
- الميل نحو استخدام هذه الأعداد .
- المرونة فى التعامل مع المنظومة العددية.
- القدرة على تجهيز المعرفة الرياضياتية.
- المرونة فى إنتاج استراتيجيات متعددة للتعامل مع الأعداد وتطويرها بصفة مستمرة.
- تقدير نواتج العمليات، والحساب الذهنى، وإصدار الأحكام، كل ما سبق فى إطار من السببية والمنطقية فى الأداء. (السعيد،٢٠٠٥)

إن الاهتمام بتنمية الحس الرياضاتي بصفة عامة والحس العددي بصفة خاصة له له تاثير كبير على تحسين اداء الطلاب، كما أن كثيراً من الوثائق المعنية بإصلاح الرياضيات المدرسية وخاصة فى الدول الصناعية تؤكد على ضرورة إلقاء الضوء على تنمية الحس العددي، وأنه منذ عام ١٩٩٥م بدأت الأبحاث تركز على المعلمين وإمدادهم بالأدوات اللازمة لتنمية الحس العددي، والتركيز على كيفية تصميم بيئة تعليمية تنمى مهارات الحس العددي.

إن الحس العددي هو الجزء الأساسي من تعلم الرياضيات والذى يبنى لدى التلميذ الكفاءة الذهنية والقدرة الحسابية، والمتعة عند التعامل مع المنظومة العددية، وإن الحس العددي يعتبر من المهارات الهامة والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعمل الذهني وقدرة الفرد على رصد خطوات عمله الذهني لذلك يمكن القول انه يوجد منذ القدم لدى هؤلاء الذين يعتمدون فى معاملاتهم الحسابية على الأداء الذهني، ومن خلال ما تقدم تتضح الفجوة بين الرياضيات داخل الصف الدراسي والرياضيات الحياتية، والتي أدت إلى ظهور التصورات الخاطئة حول جمود الرياضيات وزوال أهميتها بزوال ممارستها في المدرسة، وكان نتاج ذلك ظهور مفاهيم كثيرة إلى حيز البحث منها الحس الرياضي بصفة عامة.

إمكانية تطوير الحس العددي عند الطالب:

تثبت الدراسات والأبحاث أنه بالإمكان تطوير وتنمية الحس العددي عند الطالب وذلك من خلال أمور كثيرة نذكر منها ما يلي :

– العمل منذ المراحل المبكرة للتعليم على تجسيد مفهوم الأعداد في سياقات مختلفة (الكمّ ،القياس الخ) وربطها مع الواقع قدر الإمكان .

– تجسيد المفاهيم من خلال استعمال الوسائل التعليمية الملموسة والقريبة من واقع الطالب (لوحات ، رسومات، العاب ، برمجيات كمبيوتر الخ).

– عرض المسائل الحسابية المحفّزه للحس العددي للطالب منذ المراحل المبكره للتعليم، وذلك بإختلاف أنواعها ومستوياتها.

– تأكيد العلاقات بين الأعداد واستخدام العمليات الحسابية بالشكل الصحيح والتيقن من الفهم السليم للطالب لها.

– استخدام استراتيجيات حل مختلفة لنفس السؤال من خلال إكساب الطالب مهارات مختلفة من بينها التعامل المرن مع الأعداد واستخدام استراتيجيات التقدير، واتباع اسلوب المناقشة لفتح أفاق تفكير جديدة امام الطالب، والإبتعاد عن التعامل مع الامور كاشياء مسلّم بها وغير قابلة للنقاش والفحص أو النقد (أو النقض كذلك) .

– فحص الإجابة بعد الحل بشكل منهجي والتأكد من منطق الإجابة ومدى تلائمها وتوافقها مع الواقع.

الإثراء الرياضياتي:

يتفق معلمو الرياضيات وباحثوا التربية الرياضياتية على أهمية الإثراء الرياضياتي للتلاميذ والطلبة من جيل ما قبل المدرسة وحتى الجامعة، ويرجعون لهذا تأثيرات كبيرة على المشتركين في العملية الإثرائية، واليوم أصبح هناك اهتمام متزايد بإدخال مواضيع إثرائية في الرياضيات إلى درس الرياضيات، وهذا الاهتمام يتزايد اليوم لسببين:

الأول: محاولة تقديم طرائق تدريسية بديلة تُحاول التغلب على مصاعب تعليم وتعلُم الرياضيات.

الثاني: تقديم الرياضيات على أنها علم يتطور دائماً وجزء من حضارة إنسانية محددة.

ومن الوظائف التي يتفقون عليها للإثراء الرياضياتي بالنسبة للتلاميذ هي:

- إضافة بُعد جديد للرياضيات وهو بُعد التحدي وتنمية المثابرة والصمود أمام التحديات والمتعة واللعب وهذا يؤدي إلى تنمية شعور إيجابي تجاه الرياضيات.
- تطوير المقدرات الرياضياتية عند الطلبة ذوي المستوى الرياضي المتوسط والعالي.
- إشغال الطلبة ذوي المستوى الرياضياتي العالي بمهام إثرائية تابعة لنفس الموضوع المُتَعلم.

وعندما يشعر المعلم أن اهتمام التلاميذ بالموضوع المتعلم، أو بالوظائف المعطاة انتهى لأنهم يعتقدون أن مستوى الموضوع أو الوظائف المعطاة سهل، ويجب أن لا يكرسوا وقتاً أو جهداً إضافياً لدراستها، وقد يحدث ذلك مثلاً حين ينتهون قبل غيرهم من التلاميذ من المهام الصفية، أو في إطار وظيفة بيتية.

- دمج الطلبة بمشاريع لا منهجية يتعرف بها الطالب على الرياضيات الخاصة بظاهرة معينة مثل النسبة الذهبية، أو ظاهرة الأمواج الشمسية أو الزخرفة أو بناء القباب.
- زيادة اهتمام الطلبة بالموضوع.
- يساعد الطلبة على إعطاء معنى ومغزى للرياضيات.
- تطوير التفكير الرياضياتي والمنطقي عند الطلبة.
- الطلبة سيدركون المفاهيم الرياضياتية بصورة أفضل.
- فهم وتفسير بعض الظواهر الطبيعية .
- المواضيع الإثرائية تُنمي التفكير الرياضياتي، والتحليلي عند الطلبة وتحثهم على إثارة الأسئلة والاستفسار بالنسبة لبعض القضايا المثيرة للجدل في موضوع الرياضيات.
- المواضيع الإثرائية ستقرب الطلبة من بيئتهم وسيدركون أن الرياضيات مهمة فهي ليست علم مجرد، إنما موجودة بكل مكان فهي جزء من طبيعتنا والقدماء سابقاً لم يطوروا هذا العلم إلا بسبب حاجتهم له في

شتى المجالات، فمثلاً: علم المساحة والهندسة والحساب في مصر الفرعونية نشأ تحت ضغط الحاجات الاقتصادية والاجتماعية، ففيضانات وادي النيل دفعت المصريين القدماء إلى ابتكار طرق وأساليب هندسية لتحديد مساحات الحقول، وتنظيم الزراعة والري، كما أن اهتمامهم ببناء الأهرامات جعلهم يتقدمون في استعمال الخطوط و الحساب.

– دمج المواضيع الإثرائية في صف الرياضيات يُعتبر أحد الاستراتيجيات التعليمية الحديثة، حيث على المعلم أن يُشجع التلاميذ على التفكير الناقد بسياقات مختلفة، فهنا يمكن أن نثير أسئلة مختلفة بعد الاطلاع على الخلفية الرياضياتية مثلا كيف تطور هذا العلم؟ ما رأيك ما الذي دفع الحضارات الأخرى للاهتمام بهذا العلم؟. ويمكن دمج عدة استراتيجيات عند تعلم تاريخ الرياضيات مثل: أسلوب البحث، التعلم التعاوني، استعمال التكنولوجيا، وحل المشكلات.

الصعوبات والمشاكل في التطرق للمواضيع الإثرائية في صف الرياضيات هي:

– يميل معظم معلمي الرياضيات للتقيد بمادة المنهاج وهذا الميل يرجع إلى عدة أمور منها: إتمام دراسة المنهج بكامله.

– ضعف التلاميذ في الرياضيات: يشكون المعلمون من ضعف التلاميذ وعدم معرفتهم بالأساسيات الرياضياتية المطلوبة مما يسبب هدراً للوقت أثناء الحصة، ويضطر المعلم للخروج عن الدرس وصرف بعض الوقت إن لم يكن كل الوقت في توضيح الأساسيات التي من المفترض أن يكون التلميذ قد ألمّ بها واستوعبها من خلال المراحل التعليمية السابقة التي مرّ بها. لذلك يُفضلون المعلمين تكريس الوقت الإضافي لمراجعة مواد سابقة بدلاً من التوسع بمواضيع مختلفة.

– المناخ الصّفي لا يُساعد بإجراء دروس إثرائية، عند معرفة التلاميذ أن هذا الدرس سيكون إثرائي فإنهم لا يُبدون اهتمام كما يجب.

– هناك ظاهرة منتشرة وسط التلاميذ بكون الرياضيات مادة مُجرده يُصعب فهمها، لذلك لا يكون عندهم تلك الرغبة التي تجعلهم يقومون بمهام بحث واستكشاف للتعرف على مواضيع جديدة. وهذا الاعتقاد بأن الرياضيات مادة صعبة ناتج من عدم فهم التلميذ لطبيعة هذا العلم.

– تدخُل أولياء الأمور بصورة مباشرة في عمل المعلمين، حيث أنهم يجادلون في عمل المعلمين ويخطئونهم في أساليب تعاملهم وتعليمهم ويشككون في قدراتهم وكفاءتهم، ويعتبرون خروج المعلم عن نطاق المنهاج بأنه مضيعة وقت ولن يعود بالفائدة على أولادهم لأن اهتمامهم ينصب تجاه علامة أبنهم فقط.

– بعض المعلمين يعتقدون أن المواضيع الإثرائية هي مضيعة لوقت هم بحاجة إليه لتغطية المنهاج المطلوب.

– المعلمين لا يُفضلون التطرق لمواضيع إثرائية، وذلك بسبب ازدحام جدول المعلم وتحميله بالمزيد من الأعباء فهو يلعب أدواراً مختلفة في المدرسة إضافة لوظيفته كمعلم.

– عدم تعاون بعض إدارات المدارس مع معلمي الرياضيات لإجراء دروس اثرائية.

– عدم توفر أساليب وتقنيات حديثة للقيام بفعاليات مختلفة، والتطرق لمواضيع إثرائية. فالكثير من المدارس تفتقد لحواسيب أو تكنولوجيات حديثة، لذا لا يتشجع المعلم للقيام بهذه الخطوة.

– نقص في معرفة معلمي الرياضيات بالنسبة لكيفية إدخال ودمج المواضيع الإثرائية في صف الرياضيات، بالرغم من كثرة المصادر التي تتحدث عن أهمية إدخال الإثراء في صف الرياضيات ودمج هذه المواضيع الإثرائية في صف الرياضيات، إلا أن المصادر التي تُعطي أمثلة على كيفية الدمج ما زالت قليلة وغير معروفة من قبل مُعلمي الرياضيات.

– وجهة نظر المعلمين بالنسبة لطبيعة الرياضيات وتعليم وتعلم الرياضيات يؤثر على رغبتهم في دمج المواضيع الإثرائية في تعليم الرياضيات، وإذا نظر هؤلاء المعلمون إلى الرياضيات على أنها جسم معرفي ثابت ومنته، وإذا نُظِر إلى تعليم الرياضيات كنقل هذا الجسم من المعرفة من المعلمين إلى التلاميذ،

عندها لا يكون هناك فُسحة أو مجال للمواضيع الإثرائية في عملية تعليم وتعلم الرياضيات، بينما إذا نُظر إلى الرياضيات كواحد من أشكال مُتعددة من المعرفة، أو حتى كتعبير ومظهر حضاري أو كنشاط إنساني، عندها الإثراء في هذا الموضوع سيكون له معنى، والتوسع في هذا الموضوع سيصبح وسيلة لمعرفة أفضل للعلاقات بين الجنس البشري والمعرفة الرياضياتية، ضمن إطار حضاري مُعين.

– معظم كتب الرياضيات الدراسية لا تحتوي شيئاً من المواضيع الإثرائية، هذا يجعل معلمي الرياضيات ينظرون إلى المواضيع الإثرائية على أنها منفصلة عن تعليم ومنهاج الرياضيات وغريبة عن النشاط اليومي المتعلق بالتربية الرياضياتية.

اقتراحات للحلول:

– على المعلم أن لا يصب اهتمامه في المنهاج بشكل مُطلق، كثيراً ما نجد الكتاب المدرسي يتناول الموضوع بأسلوب تقليدي تلقيني، يعطي للتلميذ كل شيء، بحيث لا يعطي فرصة للتلميذ أن يستنتج ويُحلل ما ورد في الأمثلة والأسئلة، وبهذا يكون قد شكل سبباً لصعوبة هذه المادة.

– هناك بعض التلاميذ يَطلقون على الرياضيات (بالكابوس)، وهذا بسبب عدم شعور المتعلم بحاجة واقعية لما يتعلم، ولعدم تدريس المادة بشكل أصيل وفي سياقات واقعية، ومن عدم استطاعة التلميذ لرؤية الرياضيات داخل النسيج العلمي الحياتي الكامل، الذي يصنع رداء الحياة، فما لم ير التلميذ الرياضيات شعراً أو قصة، أو مشكلة حياتية واقعية، ما لم ندمج المسائل ضمن نماذج هادفة، ما لم ير تطبيق الرياضيات في الفيزياء والعلوم والتاريخ والكيمياء، ما لم يبنِ جسوراً وقناطر تصله من جزيرة إلى أخرى، بسلاسة وعفوية، حينها لن تكون هناك رياضيات مفيدة، سهلة، ذات قيمة، وذات معنى. لذلك هناك أهمية كبرى لإدخال مواضيع رياضياتية في صف الرياضيات.

– من المفيد أن يرتكز أسلوب تدريس علم الرياضيات على الأسلوب الذي يجعل من الدارس عنصراً إيجابياً، فاعلاً ومُتفاعلاً، مُشاركاً في العملية التعليمية، ويتم ذلك بتقديم المثيرات العلمية بطرق متنوعة ومتطورة، لتجعل عقل التلميذ في يقظة تامة، ليُسهل عليه التعامل مع الموضوعات التي تقدم له، ليشارك

في برمجتها لعقله واختزانها هناك، لاستعمالها عند الحاجة، .ومن المفيد أيضاً أن يكون التعامل مع التلميذ وفقا للأسلوب المنطقي للتفكير، فمن المفضل أن نُنمي عند التلميذ مهارة التفكير بحيث نجعله يطرح على نفسه عدة أسئلة مثل: ماذا بعد هذا ؟ ماذا لو تغيرت صيغة السؤال وماذا لو أصبح المجهول غير ذلك؟ أي أن يُبرر التلميذ لنفسه لماذا هذه القاعدة وليس غيرها ولماذا هذه الخطوة بالتحديد؟ أو أن نضع أمام التلميذ مسألة (أو مشكلة أو قضية) ليجد حلاً لها ويُبرر كيف قام بحلها.

– التخطيط الجيد للدرس من قِبل المعلم وكذلك من قبل التلميذ: على المعلم أن يُحدد مسبقاً الحصة التي سيتناول بها موضوع إثرائي، ويطلب من التلاميذ تحضير والبحث عن بعض المعلومات عن الموضوع. لأن التخطيط يُعتبر أحد المتطلبات الأساسية للنجاح في تنفيذ معظم النشاطات الحياتية التي نقوم بها. فالمحامي الناجح والمهندس والضابط والسياسي وغيرهم يحتاجون إلى الوقت الكافي، من أجل التخطيط للأنشطة والإجراءات التي سيقومون بتنفيذها من أجل تحقيق الأهداف المرجوة. ومعلم الرياضيات الناجح يحتاج لقضاء الوقت الطويل في إعداد الخطط الفاعلة لتدريس الرياضيات، من أجل تحقيق الأهداف المتوخاة. حتى المعلمين ذوي الخبرة فهم بحاجة إلى الوقت الذي يقضونه للتخطيط لمثل هذه الدروس، وعليهم تغيير هذه الخطط إن كانوا قد حضروها سابقاً، وذلك حتى تظل تلك الخطط خططاً نامية ومتطورةً، تتمشى مع التغيرات الحاصلة في ظروف المدرسة والمناهج والطلبة وتتلاءم مع التغذية الراجعة والملاحظات التي سبق وأن رصدها المعلم، وإذا لم يقم المعلم بذلك فإن تلك الخطط يعتريها الجمود والروتين، وتُصبح بذلك خططاً بالية لا تُحقق جميع الأهداف المرجوة فيها. لذلك اعتبرت مهمة تحضير الدروس والتخطيط لها إحدى أهم الكفايات الأساسية، التي ينتظر من أي معلم أن يتقنها، باعتبارها متطلباً أساسياً لمهمة التعليم، فأصبح من خصائص المعلم الجيد أن يكون قادراً على التخطيط لدرسه تخطيطاً منظماً ودقيقاً، ولديه القدرة على تتبُع السير في الوصول إلى النتاج التعليمي وِفق إجراءات وأساليب واستراتيجيات وزمن محدد. لهذا يمكننا أن نعتبر مهمة التخطيط للدروس بالنسبة للمعلم هي خطوات ناجحة في عملية التدريس، ومهمة لنجاحه للقيام بالدروس الإثرائية.

- على المعلم أن يحُث تلاميذه على دراسة الرياضيات كمادة عملية لا كمادة نظرية بحتة، فلا يجب أن يُشعرهم بالغربة بينهم وبين هذا العلم.
- من المهم في الحصص الإثرائية أن يتعرف التلاميذ على بعض قوانين وقواعد الرياضيات في البيئة المحيطة بهم، من خلال بعض الفعاليات مثل: إيجاد أشكال التي تكمن بها النسبة الذهبية، أو للتوصل للعلاقة بين أعداد متوالية فيبوناتشي وإيجاد قانون عام لها، أو عند التعليم مثلاً عن الأشكال الهندسية من المُحبذ إحضار أدوات ذات أشكال هندسية مختلفة أو صور لمبانٍ في مدينة، تُوضح كيفية استخدام المهندسين لها في البناء، واستخدام الحرفيين لها في صناعة الأدوات المختلفة، أو في موضوع رسم المستقيمات المتوازية والمتعامدة، يمكن عرض خريطة لمخطط الطرق في مدينة ما، وكيف أن المهندسون اعتمدوا على استخدام رسم الخطوط المستقيمة المتوازية، لتمثيل الطرق ومستقيمات عمودية عليها بمسافات متساوية، لتمثيل الطرق الفرعية المتقاطعة معها بشكل عمودي واستخدام كلمة طريق موازٍ عند الوصف. وكذلك من المُهم في الحصص الإثرائية التركيز على فوائد استخدام القاعدة الرياضياتية أو المهارة لحل مشكلة أرقت من سبقنا أمثلة: في موضوع قوانين المساحة من المستحسن بيان الفوائد المرجوة منها، وأنها قد سهلت حل مشكلات صادفت من سبقنا، وذكر قصة دالة على ذلك منها قصة "أحمس" كبير البنائين في مصر القديمة، وتوضيح ما حصل معه عند بنائه قصراً جديداً للملك، من احتياج لقانون حساب المساحة، لمعرفة عدد البلاط اللازم لتغطية أرضية القصر دون أي زيادة أو نقصان. بالنسبة لموضوع المثلث قائم الزاوية نُوْضح لهم كيف استخدمه القدماء في البناء، لتحديد أركان مبانيهم وحقولهم المربعة والمستطيلة ذات الزوايا القائمة.
- على المعلم أن يُراعي الفروق الفردية بين تلاميذه: هذا الأمر يجب أن يوليه المعلم جل عنايته، فيجب أن ينظر إلى تلاميذه على أنهم مختلفون في قدراتهم. وأنهم ليسوا على مستوى واحد. فيُقدم لهم من التعليم ما يناسب مستوى كل منهم. فلا يُخاطب الغبي بما يُخاطب به الذكي. فليس كل دواء يصلح لكل داء. ولا يُكَلف الجميع بواجب منزلي واحد ولا يُقدِم لهم نفس الفعالية. وعليه أن يُقسم تلاميذ صفه تقسيمًا متجانسًا.

دون أن يشعروا بالتفاضل. ويُساعد كل مجموعة على السير وِفق قدراتها. مع كثرة التطبيقات بالنسبة للضعاف دون تهكم أو ضجر. وعند قياس درجة تقدم التلميذ نُقارنه بنفسه ولا نُقارنه بغيره. أي نقارن حاله اليوم بحاله من قبل. حتى يمكنه من النظر إلى ذاته نظرة ملؤها الثقة بالنفس عندما يشعر بالتقدم. وبالتالي يندفع إلى مزيد من التحصيل ليحقق رضا نفسه وإحساسه بالنجاح. لأن الشعور بالفشل يؤدي عادةً إلى الإحباط، والشعور بالنقص وخيبة الأمل والانطواء والخمول والوحشة وغيرها. ومعرفة الفروق الفردية لا تتحقق إلا إذا ازداد اقترابنا من تلاميذنا عن طريق علاقات الحب والثقة.

- على إدارة المدرسة توفير مناخ جيد، لكي يقوم المعلم بواجبه على أكمل وجه، لذلك يجب على المدرسة تفريغه كلياً لعمله دون إشغاله بأي عمل آخر ليس له علاقة بعمله كمربي .
- على معلم الرياضيات أن يسعى جاهداً لتجهيز مركز لموضوع الرياضيات أو يقوم بإنشاء موقع يُناقش به مواضيع إثرائية مختلفة، بحيث يشمل ألغاز ووسائط سمعية وبصرية، على أن تكون الدراسة فردية وتشخيصية وبأسلوب إرشادي، وتتيح للتلميذ التقدم في موضوع الدرس حسب سرعته الخاصة، وبإتباع تعليمات مكتوبة والتنوع في المواد، للتغلب علي المشاعر السلبية نحو الرياضيات .
- على وزارة التربية الإيعاز بإنشاء مختبرات خاصة بالرياضيات يشرف عليها مدرسي ومعلمي الرياضيات والإسراع بتزويدها بكل ما تحتاجها من تقنيات ووسائل حديثة لغرض تحقيق أقصى درجات الفائدة منها في نحقيق تعلم أفضل للرياضيات.

الأهداف العامة لتدريس الرياضيات وكيفية تحقيقها:

إن الرياضيات لغة عالمية وعلم هام لكنها لم تنل ما تستحقه من الاهتمام إذ لم يكن هناك موضوع أثار ردود فعل سلبية أو أنّه فُهم بشكل خاطئ كالذي حصل مع الرياضيات، وعلى الرغم من أهميتها البالغة في التطور العلمي والتكنولوجي ويكفي أن نذكر في هذا المقام بأنّ اختراع الطائرات لم يكن ليكتمل لولا علمي التفاضل والتكامل إلاّ أن العديد من الأشخاص لا يرونها علما من العلوم الحيوية وإجمالا فإن النظرة العامّة لهذه المادّة سلبية دائماً وتتجه نحو القلق والنفور والخوف، ومن هذا المنطلق بالذات فإن

التصور عن الرياضيات يعتمد على المجال العاطفي أي على مشاعر الحب أو الكره أو النفور والتي تستند بدورها على المواقف التي مرّت بالفرد عبر سنوات الدراسة وعبر المؤثرات الخارجية كالأقران والمدرسين وغيرهم. (العبودي، ٢٠٠٠:٨)

كما ترتكز على المجال المعرفي وهو قدرة الإنسان على استيعاب هذه المادّة و انسجامه مع طريقة تدريسها، لكن الواقع الملموس أبان بأنّ النظرة الشائعة عن الرياضيات تتلخص في أنّها مادة مملّة باردة جافة، بحاجة إلى نوع خاص من العقل، وأنّها تجذب أولئك الذين لهم طبع أو ميل خاص فقط، لذا فإنّ معظم الناس يرون الرياضيات موضوعاً مدرسياً مملاّ وأنّهم إمّا فشلوا فيها أو اجتازوها بشقّ الأنفس، إضافة إلى ذلك ينظر الناس عموما إلى الرياضيات أنّها مادّة صعبة وتقترن عند غالبيتهم بشعور قوي بالإخفاق، وذكرياتهم عن الرياضيات تنحصر في الاختبارات والامتحانات، وفي إشارات الضرب التي ترمز للخطأ على أوراق امتحاناتهم وواجباتهم المنزلية، وفي الخوف من النتيجة الخاطئة.

إن الرياضيات تتصف بصفات معينة تجعلها مختلفة أكثر من المواضيع الأخرى، كما تجعلها بحاجة للمزيد من الجهد والمثابرة من أجل استيعابها و هذه بعض من صفاتها:

أوّلا: الصفة التجريدية: معلوم أنّ مادة الرياضيات التي يتمّ التعامل بها من خواص وعلاقات ليست ذات وجود مادي محسوس بخلاف المواد التي تتعامل بها الفيزياء والكيمياء على سبيل المثال، أي أنّ مادة الرياضيات هي الأمور المجرّدة التي تتعامل بالرموز والمعادلات المجرّدة أيضا. أمّا الدلالات من رموز رياضياتية وأشكال وتمثيلات بيانية... فإنها تلعب دوراً هاماً وتُعد مصدر الاستيعاب في الرياضيات.

ثانيا: التسلسل في الرياضيات: أي أنّ كل فقرة تعتمد على ما سبقها من فقرات بمعنى أنّ فهم واستيعاب أي موضوع فرعي أو فكرة تستند بصورة ما على درجة فهم واستيعاب المواضيع التي قبلها، أكيد لأنه بدون ربط المعلومات السابقة ينعدم الرقي والإنشاء.

ثالثا: تعلّم الرياضيات: يكون أكثر اعتماداً على المعلّم من أيّ مجال آخر، حيث أنّه لم يكن هناك الكثير مما يمكن اكتشافه عند عمل الطالب بمفرده .

الصفة الأخيرة: أنه في بعض مجالات الرياضيات خاصة تلك المتصلة بالتعامل مع الأعداد فإنه من الممكن للطالب الأداء بشكل جيد دون حاجة للفهم الذي يستعمل في التعلّم لاحقا لذا فإنّ المشاكل غالباً لا تلاحظ من قبل المعلم باكرا. وعليه فإنّ التصوّر السلبيّ عن الرياضيات منتشر في كثير من البلدان وعلى مستويات مختلفة وينتقل كالعدوى من جيل إلى جيل، بل إنّ كثيراً من الناس يتباهى بكرهه للرياضيات، والأثر السلبي لهذا التصور الخاطئ هو تناقص أعداد الطلبة اللذين يرغبون بدراسة الفروع المتضمنة للرياضيات أو اللذين يرغبون في التخصص في الرياضيات. (عزيز، ٢٠٠١:٢٠٨)

ولذلك فقد أنشأ (ألفن وايت) شبكة " الرياضيات الإنسانية " وعمل بنشاط من أجل الارتقاء بالرياضيات لكي تكون موضوعا إنسانيا من خلال هذه الشبكة. كما أنّ الهيئة الدولية لتعليم الرياضيات رعت مؤتمرا لتحبب الرياضيات عام ١٩٨٩م في ليدز ببريطانيا، وكانت ثمرة هذا المؤتمر هو مجلّد تحبيب الرياضيات الذي نُشر عام ١٩٩٠م بواسطة جامعة كامبردج. (مينا، ١٩٩٩: ١٨)

لكنّ الشيء المهم الذي سيؤتي ثماره حتماً في تحبيب الأجيال القادمة للرياضيات هو تحسين استخدام أساليب تعليم وطرائق تدريس الرياضيات من قبل المعلّمين والمدرسين على حد سواء، والتخلي عن الطرائق التقليدية في التدريس لكونها عقيمة منهجياً ومتجاوزة تاريخياً فضلاً على أنها متزمتة صارمة غير محببة تولّد كرهاً وإحباطا لدى معظم المتلقين، وتولّد أيضا شعورا لديهم بأنّ الرياضيات منفصلة عن الواقع وغير إنسانية بتاتا، وليس لها أي قيمة علمية أو جمالية، أمّا الأساليب والطرائق المحببّة التي تعتمد على طرح الأمثلة وسياق مفردات واقعية ذات معنى أي تطبيقات مرتبطة بالحياة اليومية فإنّ لذلك الأثر الكبير على تحصيل الطلبة في مادة الرياضيات، وعليه فإنّ سبب كراهية الناس للرياضيات لا يعود إلى طبيعتها، فالرياضيات لمن يراها بعين محايدة هي عبارة عن ألغاز ممتعة وخيال جامح و أرض خصبة للتفكير، والسبب يعود إلى طريقة تدريسها وإلى صرامة معلميها على العموم.

الأهداف العامة لتدريس الرياضيات:

من المتفق عليه أن الهدف الأساسي من تدريس الرياضيات بشكل عام هو المساهمة في إعداد الشخص للحياة العامة بصرف النظر عن عمله أو تطلعاته مستقبلا من جهة، ومن جهة أخرى المساهمة في إعداد الفرد لمواصلة دراسته في الرياضيات نفسها كمادة أو في شعب أخرى أثناء وجوده في المدرسة وبعد تخرجه منها. ومن ثم يجب:

- إتاحة الفرصة للطالب لممارسة طرق التفكير السليمة كالتفكير الاستقرائي والاستنباطي والتأملي .
- إكساب الطلاب مهارات في استخدام أسلوب حل المشكلات .
- التأكيد على أهمية الرياضيات في حياتنا العامة بمساعدة الطالب على التعرف على أثر الرياضيات في التطور الحضاري .
- إكساب الدارسين من الطلاب المهارات اللازمة لاستيعاب ما يدرسه والكشف عن علاقات جديدة .
- مساعدة المتلقي على تكوين ميول واتجاهات سليمة نحو الرياضيات وعلى تذوقها.
- مساعدة الطالب على الاعتماد على نفسه في تحصيل الرياضيات .
- تنمية بعض العادات السليمة مثل الدقة والنظام والتعاون والاحترام المتبادل والنقد البناء .
- تنمية المهارات الذهنية والابتكارات العلمية .
- التأكيد على أن الرياضيات هي أم العلوم .
- إبراز دور وإسهامات العرب المسلمين في نشأة الرياضيات.

كيفية تحقيق هذه الأهداف:

تدريس الرياضيات مهنة ممتعة ولكنها ليست بالمهمة السهلة، وتستمد متعتها وصعوبتها من طبيعة الرياضيات ووضعها كما سلف الذكر بالنسبة للعلوم الأخرى وطبيعة المتعلم وتصوره لها وكأي مهنة يحتاج التدريس إلى معرفة وفن. وتتمثل المعرفة بالنسبة لتدريس الرياضيات :

ما يخص الرياضيات نفسها أي الأساسيات اللازمة التي يجب أن يلم بها المدرس وهي معرفة تخصصية، وما يخص دور الرياضيات في الحياة العلمية التكنولوجية المعاصرة أو ما يخص تطوير الرياضيات عبر

التاريخ وأثره وتأثره بالنمو الحضاري وهي معرفة عامة. . وما يخص أهداف التربية وسيكولوجية التعلم وطبيعة المتعلم وأساليب التدريس وهي معرفة تربوية أو مهنية. أما الفن في التدريس فيتمثل في اختيار المادة المناسبة مع الوسيلة في ضوء الهدف المنشود بما يتلاءم وطبيعة المتلقي، وإذا كانت المؤسسات التربوية الخاصة بتكوين المدرس تمده بالمعرفة على أنواعها التخصصية والمهنية فإن الخروج إلى الحياة العملية يمده بالخبرة بما يصقل وينمي فن التدريس من جهة وإثراء ثقافته من جهة أخرى. وهذا لا يتأتى إلا إذا كان المدرس يحب الرياضيات فعلا ويسعد بتدريسها ولا يرى فيها هدفاً للاسترزاق كسب العيش وحسب وعنده الرغبة والمقدرة على الاستمرار في دراسة الرياضيات، والتطلع على آخر المستجدات المتعلقة بها وتلقينها وقراءة الأبحاث التربوية التي تخصه في عملية التدريس كما يكون لديه حب التجريب والتطوير، وحبَّ المعلم هذا للرياضيات يمكن أن ينتقل إلى الطالب انتقال المرض بالعدوى، أما إنْ غاب عند المدرِّس نفسه فإنه سيُفقَد بالتأكيد عند المتعلم، حتى ولو كان موجودًا بدرجة أو بأخرى، ولما كان من الصعوبة بمكان زرع حبِّ الرياضيات وحبِّ التعليم في قلب مدرِّس لا يرى في الأمر أكثر من واجب وظيفي، فإن من الأهمية بمكان حسنَ اختيار المدرِّسين، لا من ناحية المستوى العلمي فحسب، بل أولاً من حيث محبتهم لعلمهم ولعملهم، ومن حيث استعدادهم لأداء رسالتهم، لا من أجل عملهم ذاك، وفي هذا الصدد وجب التذكير بأن التعليم رسالة من حيث المبدأ إلا أنه مؤخرا قد امتُهِنَ وإلى أقصى الحدود. ولعل المقولة الآتية توقظ بعض العقول المغيبة : " فما يُبنى على الصخر يثبت وما يُبنى على الرمل ينهار مع أول هبَّة ريح ". (السعيد،٢٠٠٥: موقع رسمي)

ومن أجل الطالب أيضا وبهدف المساهمة في تجاوز سلبيات ما هو كائن، تسعى المناهج الحديثة لأن تكون أكثر مرونة، بحيث تتيح للمدرِّس قدرةً أكبر على التكيف مع حاجيات الطلاب، ومع مقدار جهدهم ومدى استيعابهم، وبحيث تتيح للطالب مجالاً للاستكشاف بنفسه، وللبحث عما يريد أن يدرس ويتعلَّم، وعبر طرق مختلفة أحيانًا في سبيل تنمية معارفه وتنمية قدراته على التفكير وبالتالي ترجمة هذا التفكير

إلى عمل بناء وكذا تطوير مهارات الدارس واهتماماته وتعميق تحفيزه للاهتمام بمختلف القضايا لتنمية مداركه ومواقفه.

كيفية إدخال تطبيقات الرياضيات في المناهج المقررة:

إذا كان لتطبيقات الرياضيات أهمية كبيرة بالنسبة للمعلم والمتعلم كما ورد سابقاً فهناك مداخل متعددة لإدخالها في المناهج، منها:

١. دمج التطبيقات في المنهج الموجود، حيث تدرس الأفكار الرياضياتية وتطبيقاتها في العلوم المختلفة، بحيث تقدم أمثلة تطبيقية تتضمن مواقف حياتية مع كل مفهوم رياضي، وهذا يظهر بوضوح العلاقة بين الرياضيات والعلوم الأخرى بشكل مباشر، وهذا يتطلب وجود المعلم المؤهل الذي يمتلك معلومات متصلة بمجالات التطبيق، كالعلوم، والهندسة، والبيولوجيا والاقتصاد، وغيرها من المعلومات المتنوعة، كما يتطلب تنسيقاً بين معلم الرياضيات وغيره من معلمي المواد الأخرى.

٢. "إبراز تطبيقات الرياضيات خلال الدراسة، وإجراء مشروعات تتضمن رياضيات تطبيقية، ويتضمن ذلك الإكثار من التطبيقات في مناهج الرياضيات وتناولها في سياقات تؤكد أهميتها، وعمل مشروعات يشارك فيها التلاميذ جميعاً، وتتطلب معارف تنتمي إلي مجالات متنوعة يشارك فيها التلاميذ جميعاً، وتتطلب معارف تنتمي إلى مجالات متنوعة ومن بينها الرياضيات".

٣. إعادة بناء مناهج الرياضيات على أساس العمليات الرياضياتية (Processes)، وليس علي أساس موضوعات رياضياتية (Topics)، وفي هذه الحالة سيتمحور التدريس حول ما يسمي (Mathematization)، ويكون الاهتمام منصباً على عمليات مثل المقارنة والتصنيف والترتيب والتجريد والترميز والتعميم .... والتي تقع تحت المفهوم العام للتربيث أو إتاحة الفرصة للمتعلمين للتعبير عما يحيط بهم وعن مشكلاتهم رياضياتياً. (عبيد، ١٩٩٨:١٨٩)

وقد يعني هذا الاعتماد في بعض المناهج المدرسية على النمذجة والنماذج الرياضياتية، بحيث تصبح أسلوب تفكير في قضايا علمية واجتماعية وحياتية، وتصبح تقنية عامة يفاد منها في مقررات دراسية

أخري، وذلك ليتعلم الطلاب كيف يبدؤون من الواقع، وكيف يبحثون عن ارتباطات منطقية بين الأحداث وأسبابها.

إن تطبيقات الرياضيات متعددة ومتنوعة، لدرجة أنها أصبحت إحدى المشكلات التي تواجه واضعي مناهج الرياضيات – الذين يؤمنون بضرورة إدخال التطبيقات – وهي كيفية احتواء هذا الكم الهائل من التطبيقات في مناهج التعليم، مع العلم أن تدريسها ليس بالأمر السهل، وإنما يحتاج إلي دراسة واعية وفهم للرياضيات وتطبيقاتها، ومعرفة دقيقة في العلوم الأخرى وحتى يتم ذلك، لا بد من مراعاة بعض الأمور منها:

١. أن تكون هذه التطبيقات مرتبطة بالواقع الثقافي والبيئي الذي يهم الطالب، وذلك للتدرب على ترجمة هذه المواقف إلى صيغ رياضياتية، ثم يتعامل معها رياضياتياً، ويفسر النتائج في ضوء الواقع.

٢. أن تكون مصادر التطبيقات الرياضياتية مثل الكتب، والدوريات، والصحف، والمجلات، ووسائل الإعلام، والمشكلات الحياتية، متاحة ويسهل حصول المعلم والطالب عليها.

٣. أن يكون لدى مخططي المناهج، المعلومات عن التطبيقات الممكنة للرياضيات في الرياضيات نفسها، وفي العلوم الأخرى وفي الحياة المحيطة بنا، حتى يمكن اختبار المفاهيم والتراكيب والمهارات التي يحتاجها الطلاب، كما أن معرفة التطبيقات تساعد على تحديد موقع الموضوع في المنهج، وتوافقه مع دراسة موضوعات العلوم الأخرى.

٤. أن يتم توفير التجهيزات التي تتطلبها التطبيقات مثل المختبرات، والأفلام ... وغيرها من الوسائط التعليمية، وأن يكون هناك تناسق بين ما هو موجود في الكتاب المدرسي وما هو موجود في الحياة الواقعية.

٥. أن تناسب التطبيقات مستوى الطالب، أي تلائم جهده وعمره واستعداده وخبرته وميوله، وتسعى إلى تنميتها، سواء أكانت هذه مشكلات فعلية أم مسائل إبداعية، وذلك لتعويده على حل المشكلات المدرسية حتى يتدرج منها إلى مواجهة المشكلات العامة، والمسائل الاجتماعية والاقتصادية، وهذا يؤدى إلى إخراج

الرياضيات المدرسية من تجريداتها الصماء بطريقة أو بأخرى، لتصبح لغة تعبير وتفاهم حول كل ما يحيط بالطالب من قضايا ومشكلات، ولكي يصبح تدريس الرياضيات انعكاساً لمتطلبات الإنتاج وحاجات المجتمعات إلى التطور الذاتي.

إن الرياضيات موضوع تعددت تسمياته وأوصافه، فمنهم من أسماه أساس العلوم، ومنهم من أسماه لغة العلوم، وفي هذا يقول (أينشتاين) أن العلم بناء متعدد الظواهر، لكنه في الجوهر بناء واحد لا يتغير، إنه رياضيات في أثواب مختلفة.

أما عالم الرياضيات والرئيس المؤسس للجامعة العربية الأمريكية في فلسطين

(أ.د. وليد ديب) فقد تحدث في مداخلته عن نظرية التبولوجيا في الرياضيات التي من المتوقع أن تضع المفهوم الجديد للكون وشكله، كما أشار إلى أن منظمة الصحة العالمية طلبت من أحد علماء الرياضيات أن يضع تصوره لأفضل وأسوأ سيناريوهات انتشار مرض أنفلونزا الخنازير، وهي السيناريوهات التي تتحدث عنها المنظمة حالياً، وبالتالي فأن الرياضيات لها علاقة بكل شيء، من الأكبر إلى الأصغر حتى الذي لا يرى بالعين المجردة، وقد نوه الدكتور (ديب) إلى أن الرياضيات لها علاقة بكل العلوم، وتعمل بالشراكة معها، وهناك بعض العلماء الذين قالوا أن الرياضيات ملكة العلوم، إلا أن المصطلح الجديد الذي أطلق عليها هو علم العلوم، وأشار إلى أن الرياضيات لا ينظر إليها اليوم كعلم مستقل، بل هي في كل العلوم، وكل شيء يمكن أن نفكر به هو رياضيات. (صحيفة عكاظ،٢٠٠٠)

الخاتمة Conclusion :

خلاصة القول إن الرياضيات و تطبيقاتها في الحياة هي حجر الزاوية في التقدم العلمي والتقني، و الموضوعات التي طرحت في هذا البحث ربطت بين الرياضيات و الواقع الملموس في محاولة لاستمطار أفكار الطلبة حول أهمية الموضوع في الحياة و التطبيقات حتى لا يصبح حل المعادلات هو المشكلة التي تستهلك وقت و عقول هؤلاء و يغيب عنهم الهدف الرئيس.

إن تعليم الرياضيات بهذه الطريقة يخدم في إطار تسهيل الاندماج في المجتمع، و بدرجة اكبر على تعلم فن التفكير. فإذا لم تصبح الرياضيات ذات علاقة بالفرد باي شكل كان، فان تعلمها سيصبح بلا فائدة و لمجرد الحفظ و الاستذكار الذي ينتهي بالامتحانات بعد استظهارها.

لقد كان الهدف المتوخى من هذا البحث هو السعي نحو تعليم مرتفع الجودة و بالأخص في مجال الرياضيات كونها أم العلوم حتى يتمكن بلدنا ودولتنا من اللحاق بركب ما توصلت إليه باقي الدول التي كانت في السابق متأخرة عنا بكثير، وكذلك اللحاق بركب التنمية العلمية، والله ولي التوفيق ومنه نستمد العون وهو المسدد للصواب.

المراجع:References

١- أسموني، خنساء محمد، (١٩٩٨) "تطبيقات الرياضيات في الحياة اليومية كوسيلة لتحبيب الطلبة فيها"، مجلة مدرستي للتربية و التعليم.

٢- أمين، أسامة، (١٩٩٦) "الرياضيات مفتاح التقدم و أم العلوم الحديثة"، مجلة المعرفة الأرشيفية، العدد ١٦٩.

٣- دعيبس، ريم شوكت ايليا، (٢٠١٠) "التحديات التي تواجه علم الرياضيات كقوة محركة لتقدم المجتمع"، بحث منشور.

٤- الزنجاني، ابراهيم الموسوي، (١٩٩٢) "عقائد الإمامية الأثنى عشرية"، ج٢، ط٣، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٥- السعيد، رضا مسعد، (٢٠٠٥) "الحس العددي"، الصحيفة التربوية الالكترونية، استخرج من: (www.mbadr . net /articles / view. Asp? id=٣٤)

٦- سلامة، أحمد، (٢٠٠٥) "تطبيقات الرياضيات هي القوة المحركة للمجتمع"،ملتقى التخطيط و التطوير.

٧- العبودي، محمد فاطمة، (٢٠٠٠) "الرياضيات ملكة العلوم و خادمتها"،صحيفة عكاظ.،عدد ٢١٥٦.

٨- عبيد، وليم، (١٩٩٨) "رياضيات مجتمعية لمواجهة تحديات مستقبلية إطار مقترح لتطوير مناهج الرياضيات مع بداية القرن الحادي و العشرين"، مجلة تربويات الرياضيات،المجلد الأول،القاهرة.

٩- عزيز، إبراهيم، (٢٠٠١) "رؤى مستقبلية في تحديث منظومة التعليم"، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

١٠-المنوفي، سعيد جابر، (١٩٨٧) "بناء برنامج تكاملي للرياضيات وتطبيقاتها في الهندسة الكهربائية بكليات التربية وبيان مدى فاعليته"، رسالة دكتوراه غير منشورة، مصر: جامعة عين شمس – كلية التربية.

١١-مينا، فايز مراد، (١٩٩٩) "تعليم الرياضيات بين النظرية والتطبيق تضييق الهوة أساس للإصلاح"، المؤتمر العالمي لتعليم الرياضيات في القرن الحادي والعشرين، القاهرة، ١٤. ١٨ تشرين الثاني.

١٢-نعوم، عادل غسان، (٢٠٠٣)" الرياضيات الحضارة غير المرئية"، مجلة المجمع العلمي، المجلد الخمسون، بغداد.

13- Zeidler,Eberhard, (2004) Oxford User's Guide to Mathematics. Oxford, UK:Oxford University Press. p. 1188. ISBN 0-19-850763-1

المراجع من الأنترنت:

www.taha٤٣٢.jeeran.com/budy.htm

www.almarefh.org/news.php

تطوير أداء اقسام الرقابة والتدقيق الداخلي في الوحدات الحكومية الخدمية من خلال تطبيق المعايير والمفاهيم الدولية– انموذج مقترح في المديرية العامة لتربية النجف الاشرف

م.م. العباس فاضل عبد الهادي

م.م. عمار سليم العامري

م.م. وسام هادي جواد

المقدمة:

إن واقع اقسام الرقابة والتدقيق الداخلي في العراق بحاجة الى تطوير واعادة صياغة للمعايير والتعليمات التي تحكم عمله حيث ان الارتقاء بأداء الرقابة والتدقيق الداخلي في الوحدات الحكومية عامة والخدمية منها خاصة يؤدي الى الحد من ظاهرة الفساد الاداري والمالي وكذلك التقليل من المخالفات الوظيفية والارتقاء بالمهام الوظيفية الى مستوى تحقيق الاهداف وتجاوز الاخطاء ، لذا اتخذت منهجية البحث اتجاها لتطوير اقسام الرقابة والتدقيق الداخلي انطلاقا من اهميتها ودورها الفعال في تقويم المسار الوظيفي وذلك من خلال اتخاذ المعايير الدولية اساس للتطوير وامكانية تطبيقها من خلال برنامج مخطط .

المبحث الاول: منهجية البحث:

–مشكلة البحث :

تتمثل مشكلة البحث في ان اقسام الرقابة والتدقيق الداخلي في الوحدات الحكومية بشكل عام والخدمية منها بشكل خاص تفتقر الى تطبيق معايير الاداء المهني وكذلك تفتقر الى تطوير ادائها وفق المناهج والاساليب المهنية الدولية مما يجعلها غير قادرة على ان تكون الاداة الفاعلة في تقويم اداء الوحدات الحكومية الخدمية.

–فرضية البحث:

ان تطوير وتفعيل اقسام الرقابة الداخلية وفق معايير رقابية دولية واسس عملية مخططة تجعل منها اداة قادرة على تقويم اداء الوحدات الحكومية .

–منهجية البحث :

١ . المنهج الاستنباطي :

حيث تم جمع البيانات والمعلومات المتعلقة بالبحث عن طريق الدراسات السابقة والاستعانة بالكتب العلمية والرسائل والاطاريح وجمع المعلومات من شبكة المعلومات العالمية (الانترنت).

٢ . المنهج الاستقرائي :

حيث تم جمع وتحليل البيانات والتقارير الخاصة بالرقابة الداخلية من خلال دراسة الحالة التطبيقية على عينة عمدية وهي المديرية العامة لتربية النجف الاشرف.

–اهداف البحث:

١ . بيان اهم المعايير والمفاهيم الدولية المنظمة لأداء اقسام الرقابة والتدقيق الداخلي وامكانية تطبيقها فيها

٢ . الارتقاء بأداء اقسام الرقابة والتدقيق الداخلي الى مرحلة تجعل منها أنموذجا فاعلا لتحقيق الاهداف للوحدات الحكومية وفقا للمعايير الدولية من خلال اقتراح تطبيق المعايير والمفاهيم الدولية وفق برنامج معين

المبحث الثاني: الرقابة والتدقيق الداخلي في ظل المفاهيم والمعايير الدولية:

اولا : الاطار النظري للرقابة والتدقيق الداخلي

١. مفهوم الرقابة الداخلية:

تطورت التعاريف الخاصة بالرقابة الداخلية نتيجة تطور مفهوم الرقابة الداخلية الذي رافق تطور مهنة التدقيق حيث عرفت الرقابة الداخلية بـ: (الاجراءات والطرق المستعملة في المؤسسة للمحافظة على النقدية والموجودات الاخرى واكتشاف الاخطاء للمحافظة على دقة السجلات، كما كان ينظر الى الرقابة الداخلية على إنها نظام خاص بتوزيع العمل والاختصاصات والمسؤوليات بين موظفي المؤسسة بحيث تتم مراقبة اعمال موظف من قبل موظف اخر). (الالوسي، ٢٠٠٣: ٢١٤)

وبعدها تطور مفهوم الرقابة الداخلية مع عدّ الضبط الداخلي احدى حلقاتها فأصبحت تتكون (من الهيكل التنظيمي وكل الطرق والمقاييس المستعملة داخل المؤسسة لحماية الموجودات واختبار مدى دقة البيانات

المحاسبية ودرجة الوثوق فيها وتحقيق الكفاية التشغيلية وتشجيع الالتزام بالسياسات الادارية الموضوعة) (الالوسي،٢٠٠٣: ٢١٤).

اما تعريف لجنة طرائق التدقيق المنبثقة عن المعهد الامريكي للمحاسبين القانونيين (AICPA) فنص على انها (الخطة التنظيمية ووسائل التنسيق والمقاييس المتبعة في المنشأة بهدف حماية موجوداتها وضبط وتدقيق البيانات المحاسبية والتاكد من دقتها ومدى الاعتماد عليها وزيادة الكفاية الانتاجية وتشجيع العاملين على التمسك بالسياسات الادارية الموضوعة). (عبدالله،١٩٩٨: ١٦٣). وقدم مجمع المحاسبين القانونيين في انكلترا وويلز(ICAEW) تعريفا للرقابة الداخلية على انها (النظام الكلي للرقابة الذي يهدف الى توفير تأكيد معقول بخصوص كفاءة وفاعلية التشغيل وامكانية الثقة في المعلومات والتقارير المالية والالتزام بالقوانين) (رفعت، ٢٠٠٧: ٧).

كذلك عرّفت المنظمة العربية للتنمية الرقابة الداخلية بأنها (الطرق والاساليب التي تتبناها ادارة الوحدة بما في ذلك مجلس ادارتها ومديروها وموظفوها لتوفير تأكيد معقول بتحقيق اهداف الوحدة الاتية: (رفعت، ٢٠٠٧: ٧)

١- حماية موجودات المؤسسة والحد من وقوع الاخطاء واكتشافها فور وقوعها ودقة السجلات المحاسبية واكتمالها ومنع الغش فيها.

٢- فاعلية وكفاءة الاحداث والعمليات والظروف التي تتأثر بها الوحدة بما في ذلك استخدام الموارد بشكل ملائم وزيادة الانتاجية).

كما أعطت لجنة رعاية المؤسسات (لجنة COSO) مفهوما اخر للرقابة الداخلية وهو "الرقابة الداخلية هي عمليات تتأثر بمجلس ادارة المؤسسة والادارة والافراد الاخرين في المؤسسة تصمم لتعطي تأكيداً معقولاً حول تحقيق المؤسسة لأهدافها في المجالات الآتية (الغزاوي، ٢٠٠٨: ٤٩):

- مقدار كفاءة العمليات وفاعليتها.
- مقدار اعتماد على التقارير المالية.

●مقدار الالتزام بالقوانين والانظمة المعمول بها".

اما مجلس المعايير المحاسبية والرقابية في العراق فأوضح بان الرقابة الداخلية هي (مجمل السياسات والاجراءات المتخذة من قبل الادارة التي تكفل تحقيق اهداف الوحدة الاقتصادية وتضمن التنفيذ المنظم والعملي للعمليات بما في ذلك الالتزام بالسياسات الادارية والمحافظة على الاصول واكتشاف ومنع الاخطاء ودقة القيد واكتمال السجلات وتهيئة البيانات المالية المطلوبة والمعول عليها في الوقت المناسب) (دليل التدقيق العراقي رقم ٤، ٢٠٠٠، ف/٤) .

وكما ان نظام الرقابة الداخلية يعد نظامًا شاملاً لتوجيه انجاز الاهداف في مجالات اعداد التقارير المالية والالتزام بالقوانين والتعليمات، ويشمل الطرائق التي من خلالها تفوض الادارة العليا الصلاحيات وتحدد المسؤوليات للوظائف مثل البيع والشراء والاعمال المحاسبية والانتاج، كما تشمل الرقابة الداخلية برنامج لتهيئة المستويات المختلفة من الادارات لتقاريرهم وتحليلاتهم التي تمكن المدراء التنفيذيين من المحافظة على الرقابة على مختلف الانشطة في المنظمات الكبيرة، وان استخدام الموازنات ومعايير الانتاج ومختبرات الفحص، ودراسة الحركة والوقت وبرامج تدريب الموظفين لازالت تمثل جزء من وسائل الرقابة الداخلية .

(Pany& Whittington, ٢٤١: ٢٠٠١)

٢. اهداف الرقابة الداخلية:

تتمثل الاهداف العامة على وفق معايير الرقابة الداخلية والتي اشار اليها الدليل الارشادي للمنظمة الدولية للأجهزة الرقابية العليا (INTOSAI) كالاتي :

اولاً: تنفيذ العمليات التشغيلية بشكل نظامي واخلاقي واقتصادي وفعال ومؤثر

يجب ان تكون العمليات التشغيلية للمنشاة نظامية واخلاقية واقتصادية وفعالة ومؤثرة وان تكون كذلك متناسقة مع المهام التي تقوم بها المنشأة . ويقصد بالنظامية هنا ان تكون بطريقة منظمة جدا وممنهجة ، اما الشكل الاخلاقي فانه يتعلق بالمبادئ الاخلاقية حيث اصبح من الامور المؤكدة كثيرا منذ التسعينيات على اهمية السلوك الاخلاقي ومنع التلاعب والفساد والكشف عنهم في القطاع الحكومي ، اما المقصود بالجانب

الاقتصادي فهو الا تتسبب العمليات التشغيلية عن ضياع او هدر المال او تبذيره وذلك بالحصول على القدر المناسب من الاصول بالنوعية المناسبة واستلامها في الوقت والمكان المناسبين باقل التكاليف .

بينما تشير الفعالية الى الاصول المستخدمة في تحقيق الاهداف وهي تعني الحد الادنى من الاصول الداخلة في الانتاج لتحقيق كمية ونوعية محددة من المنتجات .

اما اثر العمليات التشغيلية فهو يشير الى تحقيق الاهداف او الى ان حجم الانتاج يتفق مع الاهداف الموضوعة او انه يعادل الاثر المطلوب على ذلك النشاط .

ثانياً: استيفاء التزامات محاسبة المسؤوليات:

محاسبة المسؤولية هي عملية تكون بموجبها المؤسسات الخدمية الحكومية والافراد مسؤولين عن قراراتهم وتصرفاتهم بما في ذلك ادارتهم للأموال العامة وبعدالة ومن كافة الجوانب الاداء.

ويتحقق ذلك بتطوير والاحتفاظ بالمعلومات المالية وغير المالية على ان تكون موثوقة وذات صلة وكذلك بالإفصاح العادل عن تلك المعلومات في تقارير دورية يتم تقديمها الى المستفيدين ذوي العلاقة .

ثالثاً: الالتزام بالقوانين واللوائح المعمول بها:

يتعين على المنشآت ان تتبع العديد من القوانين واللوائح ، ففي المنشآت الحكومية تعمل القوانين واللوائح على تنظيم اعمال تحصيل وانفاق الايرادات والاموال الحكومية وطريقة التشغيل، وتتناول تلك القوانين الميزانيات التقديرية والمعاهدات الدولية وقوانين الاجهزة الادارية للدولة وقوانين المحاسبة وحماية البيئة والحقوق المدنية وضريبة الدخل وقوانين مكافحة التلاعب والفساد.

رابعاً: تفادي خسارة الاصول بسبب الفاقد وسوء الاستغلال وسوء الادارة والاخطاء والتلاعب والمخالفات

رغم انه يمكن النظر الى الهدف الرابع على انه متفرع من الهدف الاول الا ان مغزى حماية الاصول الحكومية يحتاج الى التوكيد عليه. ونظرا لان الاصول الحكومية عادة ما تجسد اموالا عامة وطريقة استخدامها للمصلحة العامة فإنها وبشكل عام تتطلب عناية خاصة . فضلا عن ذلك فان اعداد الميزانيات باتباع الاساس النقدي مازال اجراءً واسع الانتشار في القطاع الحكومي ولكنه لا يوفر ضمانا كافيا بخصوص

اقتناء واستخدام الاصول والتصرف فيها . ونتيجة لذلك تفتقر الدوائر الحكومية دائما الى وجود سجلات لكافة اصولها مما يجعل تلك الاصول عرضة للسرقة وبالتالي فانه يجب غرس الضوابط الرقابية في كافة الانشطة المتعلقة بإدارة اصول المنشأة بدءا من الاقتناء وانتهاءً بالتصرف فيها بالبيع .

كما تعتبر الاصول الاخرى مثل المعلومات والمستندات المصدرية والسجلات هي ايضا اصول معرضة لمخاطر السرقة وسوء الاستغلال او التلف .

(www .INTOSAI.org)

٣. المبادئ الأساس لتقويم وتحسين نظام الرقابة الداخلية:

(www.socpa.org.sa)

قدم الاتحاد الدولي للمحاسبين (IFAC) في (يوليو ٢٠١٣) دليلا ارشاديا لتقويم وتحسين نظم الرقابة الداخلية القائمة من خلال تسليط الضوء على عدد من المجالات التي غالباً مافشل فيها التطبيق العملي لتلك المعايير في الكثير من المنشآت . ويتضمن هذا الدليل مجموعة من المبادئ الاساس والتي تم صياغتها لتيسير عملية تقويم وتحسين نظم الرقابة الداخلية وتتمثل هذه المبادئ بالاتي :

اولاً: دعم اهداف المنشأة : يتم تطبيق نظام الرقابة الداخلية لمساعدة المنشأة في تحقيق اهدافها عن طريق ادارة المخاطر التي تواجهها ، وفي الوقت نفسه تتسق مع القواعد والسياسات التي تطبقها المنشأة . لهذا يجب على المنشاة ان تجعل الرقابة الداخلية جزءا من ادارة المخاطر على ان يكون كلاهما جزءا لا يتجزأ من نظام الحوكمة .

ثانيا: تحديد الادوار والمسؤوليات : يتعين ان تحدد المنشأة مختلف الادوار والمسؤوليات المتعلقة بنظام الرقابة الداخلية ، متضمنة الهيئة الادارية ، الادارة بكل مستوياتها ، العاملين ، وجهات الرقابة الداخلية والخارجية ، بالإضافة لتنسيق عملية التعاون فيما بين هذه الفئات .

ثالثاً: تعزيز وترسيخ ثقافة التحفيز : يتعين على الهيئة الادارية بالمنشاة وادارتها ان تعزز الثقافة التنظيمية التي تحفز اعضاء المنشاة على التصرف بما يتفق مع استراتيجية وسياسات ادارة المخاطر التي وضعتها

الهيئة الادارية فيما يتعلق بالرقابة الداخلية ، من اجل تحقيق اهداف المنشاة . ولاشك ان تصرفات الادارة العليا تمثل عنصرا حاسما في هذا المجال .

رابعا: ربط نظام الرقابة الداخلية بالأداء الفردي : يتعين على الهيئة الادارية بالمنشاة وادارتها ، ان تربط تحقيق اهداف الرقابة الداخلية بأهداف الاداء لكل فرد من افراد المنشاة . فكل فرد من افراد المنشاة يجب ان يكون مسؤولاً عن انجاز المهام الموكلة اليه، والتي ترتبط بأهداف الرقابة الداخلية .

خامساً: ضمان توافر المهارات الكافية : يتعين ان يكون لدى الهيئة الادارية بالمنشأة وادارتها ، والمشاركين الاخرين في نظام حوكمة المنشأة من المعارف والمهارات والقدرات ما يكفي للاضطلاع بمسؤوليات الرقابة الداخلية المرتبطة بالادوار التي يقومون بها .

سادساً: الاستجابة للمخاطر : يتعين دائما تصميم وتطبيق نظام واجراءات الرقابة الداخلية ، استجابة لمخاطر محددة ومسببات تلك المخاطر والعواقب الناجمة عنها .

سابعاً: التواصل بشكل منتظم: يتعين ان تظمن الادارة وجود عملية تواصل فعالة ومنتظمة بين كل المستويات بالمنشاة، فيما يتعلق بنظام الرقابة الداخلية ونتائجها على جميع المستويات ، وذلك حتى تتحقق من الفهم الكامل والتطبيق السليم لمبادئ الرقابة الداخلية من جميع افراد المنشأة .

ثامناً: المتابعة والتقويم : يتعين ان تتم متابعة وتقويم اساليب الرقابة ، سواء كانت اساليب رقابة فردية ، ام نظام الرقابة الداخلية بشكل منتظم . ان اكتشاف مستويات خطر غير المقبولة ، وفشل عملية الرقابة ، او الاحداث التي تقع خارج نطاق الخطر المقبول ، يمكن ان يكون مؤشرا على عدم فعالية الاساليب المتبعة في الرقابة الفردية ، او نظام الرقابة الداخلية ، ما يستدعي تحسينها وتطويرها .

تاسعاً: توفير الشفافية والمساءلة : يتعين ان تقوم الهيئة الادارية مع ادارة المنشاة بتقديم تقارير دورية الى اصحاب المصالح عن المخاطر التي تتعرض لها المنشأة ، والاداء الفعلي لهذا النظام .

٤. مفهوم التدقيق الداخلي:

يعد التدقيق الداخلي احد اقسام نظام الرقابة الداخلية والجزء المهم منها وله عدة تعاريف اهمها :

التدقيق الداخلي هو: مجموعة من أوجه النشاط المستقلة التي تنشؤها الإدارة للقيام بخدمتها في التحقق من العمليات والقيود بشكل مستمر لضمان صحة البيانات المحاسبية والاحصائية والتأكد من كفاية المخصصات المعدة لحماية موجودات وأموال المؤسسة ، والتحقق من إتباع العاملين في المؤسسات للسياسات والخطط والاجراءات الادارية المرسومة، واخيراً قياس مدى صلاحية تلك الخطط والسياسات وجميع وسائل المراقبة الاخرى في أداء أغراضها واقتراح التحسينات اللازم ادخالها عليها حتى تصل المؤسسة الى درجة الكفاية في تحقيق اهدافها . (عبدالله، فيحاء، ٢٠٠٦: ١٢٠).

وقد عرف من قبل معهد المدققين الداخليين الامريكيين (IIA) في عام ٢٠٠١ بانه :

(نشاط مستقل وموضوعي وتوكيدي واستشاري صمم من اجل اضافة قيمة للمؤسسة وتحسين عملياتها ويساعد المؤسسة على تحقيق اهدافها من خلال الالتزام بمنهج نظامي منضبط لتقييم وتحسين فاعلية كل من ادارة المخاطر والرقابة وعمليات التحكم المؤسسي) . (عبد الله و الرمحي، ٢٠١٢: ١).

كما بين مجمع المحاسبين القانونيين في انكلترا وويلز في نشرة أصدرها سنة ١٩٦٤ مفهوما للتدقيق الداخلي اوضح بأنه: " تدقيق للأعمال والسجلات يتم داخل المشروع بصفة مستمرة أحياناً وبوساطة موظفين يخصصون لهذا الغرض، ويختلف مجال التدقيق الداخلي وأهدافه كثيراً في المشروعات المختلفة، وقد يمتد خاصة في المشروعات الكبيرة إلى أمور متعددة لا تتعلق مباشرة بالمجالات المحاسبية بطبيعتها." وقد أشار هذا التعريف إلى مجال التدقيق المالي ومجال تدقيق الإعمال. ويمثل نقطة الاختلاف عن التعريف الذي سبقه، إلا أنه يشترك معه على أن التدقيق الداخلي يعتمد بطبيعته التقويم والقياس والمراجعة بوصفها وسائل لتحقيق أهدافه (الغزاوي، ٢٠٠٨: ٦٥).

أما المجمع الأمريكي للمحاسبين (AICPA) فقد أورد مفهوماً للتدقيق الداخلي بين أنه: "تدقيق العمليات والقيود التي تتم بشكل مستمر الذي ينفذه أشخاص يعينون أو يستخدمون على وفق شروط خاصة". كما عرفته لجنة معايير (ISAC) التابعة للاتحاد الدولي للمحاسبين (IFAC) بأنه: " تقويم الأنشطة المتعارف

عليها داخل المشروع بوصفه خدمة له، وتشمل وظائف الفحص والتقويم والمراقبة بهدف تحديد مقدار كفاءة أنظمة الرقابة الداخلية والمحاسبة وفاعليتها " (الغزاوي، ٢٠٠٨: ٦٥).

اما مجلس المعايير المحاسبية والرقابية في جمهورية العراق اوضح بان التدقيق الداخلي هو " قسم تقويمي مستقل ضمن تشكيلات المنشأة ويُعد أحد وسائل الرقابة الداخلية الفعالة تنشئه الإدارة للقيام بخدمتها وطمأنتها على ان وسائل الضبط الموضوعة مطبقة وكافية عن طريق مجموعة من الضوابط والإجراءات لتحقيق العمليات والقيود وبشكل مستمر لضمان دقة البيانات المحاسبية والإحصائية وللتأكد من حماية أصول وأموال المنشأة والتحقق من أتباع موظفي المنشأة السياسات والخطط والإجراءات الإدارية المرسومة لهم .(دليل التدقيق العراقي رقم ٤، ٢٠٠٤).

٥.المعايير الدولية للتدقيق الداخلي (مجلس معايير التدقيق الداخلي الامريكي ASB)

A. المعايير الخاصة:

وتوضح خصائص المنظمات والأشخاص الذين يقومون بأداء نشاطات التدقيق الداخلي.

B. معايير الأداء :

تصنف طبيعة نشاطات التدقيق الداخلي وتقدم معايير نوعية في مقابل الأداء الفعلي لكي يمكن تقييم الأداء.

C. المعايير التطبيقية :

تطبق هذه المعايير على أنواع خاصة من الإعمال. ويمكن توضيح الأنواع الرئيسية من المعايير الخاصة ومعايير الأداء بالجدول (٢-١) في أدناه:-

جدول رقم (٢-١)

المعايير الخاصة ومعايير الأداء للتدقيق الداخلي

وصف المعيار	طبيعة المعيار
المعيار الخاص	١٠٠٠: الغرض والصلاحيات Purpose , Authority and Responsibility إن أغراض وصلاحيات ومسؤوليات نشاط التدقيق الداخلي يجب إن تصرف بشكل رسمي في رخصة العمل أو العقد بشكل متناسق مع المعايير ويصادق من قبل مجلس الإدارة .
المعيار الخاص	١١٠٠: الاستقلالية والموضوعية Independence and objectivity إن نشاط التدقيق الداخلي يجب إن يكون مستقل وان المدققيين الداخليين يجب ان يكونوا موضوعيين في اداء اعمالهم.
المعيار الخاص	١٢٠٠: البراعة والعنايه المهنية المناسبة Proficiency and Due professional care ان الإعمال يجب ان تؤدي ببراعة مع بذل العناية المهنية المناسبة.
المعيار الخاص	١٣٠٠: التأكد النوعي وبرامج التحصينات . Quality Assurance and improvement program ان مدير قسم التدقيق الداخلي يجب ان يطور ويحتفظ بالتأكد النوعي وبرامج التحسينات التي تغطي كل جوانب التدقيق الداخلي والاستعراض المستمر لفاعليته . ان هذا البرنامج يتضمن التقييم النوعي الدوري الداخلي والخارجي وكل جزء من هذا البرنامج يجب ان يصمم بمساعدة نشاط التدقيق الداخلي في اضافة قيمة وتحسين عمليات المنظمة وتقديم خدمات التأكد حول ان نشاط التدقيق الداخلي يتناسق مع المعايير والادلة الاخلاقية.

المعيار الخاص	٢٠٠٠ : أدارة نشاط التدقيق الداخلي manging the Internal Audit Activity. ان مدير قسم التدقيق الداخلي يجب ان يدير بفاعلية نشاط التدقيق الداخلي للتأكد من اضافة القيمة للمنظمة.
المعيار الخاص	٢١٠٠: طبيعة العمل Nature of work . ان نشاط التدقيق الداخلي يجب ان يقيم ويساعد في تحسين ادارة المخاطر والرقابة وعمليات التحكم من خلال استخدام مدخل منهجي منظم.
المعيار الخاص	٢٢٠٠: تخطيط الاعمال Engagment planning. ان المدققين الداخليين يجب ان يطورو ويسجلوا خطة عمل متضمنة النطاق والاهداف والتوقيت وتخصيص الموارد.
المعيار الخاص	٢٣٠٠: أنجاز الاعمال Performing the Engagement . ان المدققين الداخليين يجب ان يحددوا ويحللوا ويقيموا ويسجلوا المعلومات الملائمة لانجاز أهداف المنظمة .
المعيار الخاص	٢٤٠٠: توصيل النتائج Communicating Results . ان المدققيين الداخليين يجب ان يقوموا بتوصيل نتائج الاعمال.
المعيار الخاص	٢٥٠٠: أستعراض التقدم monitoring progress . ان مدير قسم التدقيق الداخلي يجب ان يضع ويحتفظ بنظام العرض وتنظيم النتائج التي يتم توصيلها للادارة .

المبحث الثالث: الإطار التطبيقي المقترح لتطوير قسم الرقابة والتدقيق الداخلي في المديرية العامة لتربية النجف الاشرف وفق المعايير والمفاهيم الدولية:

اولا : نبذة مختصرة عن المديرية العامة لتربية النجف وقسم الرقابة والتدقيق الداخلي فيها:

تُعَدُ المديرية العامة للتربية في محافظة النجف الأشرف أحدى أهم تشكيلات وزارة التربية في جمهورية العراق وهي مع نظيراتها المديريات العامة في محافظة بغداد والمديريات الأخرى في محافظات قطرنا تُشَكل بمجموعها وزارة التربية، وقد تأسست المديرية العامة للتربية في محافظة النجف الأشرف بتأريخ ١٩٧٦/٢/٩ بعد أن كانت مرتبطة إدارياً مع مديرية تربية كربلاء ، إذ كان النجف الأشرف حينذاك قضاءً إدارياً تابعاً إلى لواء كربلاء المقدسة ، ويقع مقر المديرية العامة بالقرب من بناية محافظة النجف الأشرف الحالي على الطريق العام لشارع نجف – كوفة ،وتتكون المديرية العامة للتربية من عد اقسام ضمن تشكيلاتها الرئيسية ومن اهم هذه الاقسام هو قسم الرقابة والتدقيق الداخلي الذي يرتبط بالمدير العام ضمن الهيكل التنظيمي ويعد من الاقسام الرقابية والتقويمية لنشاط المديرية .

وقد تم اختيار مجتمع الوحدات الحكومية الخدمية لتطوير اقسام الرقابة والتدقيق الداخلي وكعينة عمدية قسم الرقابة والتدقيق الداخلي في المديرية العامة لتربية النجف الاشرف لما لها من تأثير مهم في القطاع الحكومي الخدمي كونها تقدم الخدمة لشريحة كبيرة ومهمة في المجتمع .

ثانيا : قسم الرقابة والتدقيق الداخلي في المديرية العامة لتربية النجف الاشرف

ويعد من الاقسام الهامة في المديرية ، التي تربتط بالمدير العام ، ويعمل هذا القسم بموجب الية عمل ترسمها الوزارة وخطة سنوية تعد من قبل مدير القسم ، وترفع للوزارة بعد موافقة المدير العام عليها ، ويكون هذا القسم مسؤول عن عملية التدقيق السابق للصرف بعد التأكد من سلامة العمليات ، وصحة الحسابات والالتزام بتنفيذ القرارات والتعليمات والقوانين النافذة ، إضافة إلى التدقيق المستندي وجرد ومطابقة الصندوق شهرياً، ويقسم عمل القسم الى المهام الاتية :

١. تدقيق الحسابات اليومية والرواتب الخاصة بمنتسبي المديرية : وتشمل :

أ. تدقيق رواتب الموظفين بدءً من المعينين بعقد أو بأوامر إدارية ومراجعة كافة المتغيرات التي تحدث خلال الشهر من خلال تدقيق سجل رواتب محاسبة رقم (٨) .

ب. تدقيق سجل يومية الصندوق ووصولات القبض مع قسائم الإيداع بالمصرف ، والقيام بعملية الجرد المفاجئ للصندوق.

ت. إجراء عملية التدقيق السابق للصرف ، وفي حالة وجود أي ملاحظات أو استفسارات على عملية الصرف يتم الاتصال بقسم الحسابات لغرض إيضاح الملاحظات وإعادة المعاملة لغرض معالجتها.

ث. تدقيق العمليات الخاصة بالموظفين لأغراض السفر والإيفاد .

ج.الاشتراك في اللجان الخاصة بالمشتريات والجرد وتحليل العطاءات.

٢. تدقيق المخازن والعقود ومطابقة كشف المصرف والحركات النقدية : وتشمل :

أ. تدقيق البطاقات المخزنية وحركة المخزون من المخزن واليه ، إضافة إلى تدقيق سندات الإدخال و الإخراج المخزني.

ب. تدقيق موازين المراجعة التي تصدر بصورة شهرية ، ومطابقة كشف المصرف للمديرية.

ت. تدقيق عقود الشراء ، وتدقيق المناقصات التي تقوم المديرية بالإعلان عنها لغرض التجهيز.

اما عن ملاك قسم الرقابة والتدقيق الداخلي فانه متباين من ناحية الاختصاص والشهادة ، و موضح في الجدول (٣_١) أفراد القسم حسب سنوات الخدمة والشهادة والاختصاص لعام ٢٠١٨.

جدول (٣_١) أفراد قسم الرقابة والتدقيق الداخلي حسب سنوات الخدمة والشهادة والاختصاص لعام ٢٠١٨.

سنوات الخدمة	عدد أفراد القسم	الشهادة					الاختصاص	
		محاسبة قانونية	دكتوراه	ماجستير	بكالوريوس	دبلوم	محاسبة	أخرى

اقل من سنة – ٥	٣				٣		٣	
٥ – ١٠	١٠		١	٤	٥	–	٨	٢
أكثر من ١٠	١٢	٢			٥	٥	٨	٤
المجموع	٢٥	٢	١	٤	١٣	٥	١٩	٦

المصدر : (إعداد الباحث بالاعتماد على بيانات المديرية لعام ٢٠١٨).

ثالثا : الاطار المقترح لتطوير قسم الرقابة والتدقيق الداخلي في مديرية تربية النجف:

يتناول هذا الاطار التطبيقي المقترح الية تطبيق المعايير والمفاهيم الخاصة بتطوير اقسام الرقابة والتدقيق الداخلي في الوحدات الحكومية الخدمية وبالاخص قسم الرقابة والتدقيق الداخلي في المديرية العامة لتربية النجف الاشرف وكالاتي :

(١) تحديد الاهداف المرسومة (التشغيلية ، التقريرية ، الالتزامية) .

(٢) تحديد المخاطر .

(٣) تحديد الانشطة الرقابية .

(٤) تحديد المعلومات والاتصالات .

(٥) المتابعة والتقويم .

(٦) توفير الشفافية والمساءلة .

وبما ان قسم الرقابة والتدقيق الداخلي هو الجهة المعنية والمعتمدة من قبل الادارة بمتابعة تنفيذ التعليمات والقوانين والالتزام بالضوابط الرقابية ولغرض تحقيق الاطار اعلاه نبدأ بتحديد :

(١). الاهداف المرسومة : حيث يتمثل الهدف الرئيسي لقسم الرقابة والتدقيق الداخلي ب (تقويم الأداء والإسهام في تحقيق فعالية وكفاءة الاداء لاقسام المديرية) اما تحقيق الاهداف وفق الاطار المقترح للمعايير والمفاهيم الدولية فيكون كالاتي :

أ. الاهداف التشغيلية :

- الإشراف على تنفيذ خطط المديرية المرسومة وسياساتها وكشف الانحرافات ووضع التوصيات لمعالجتها ومنع حدوثها مستقبلا ، وبما ان المديرية العامة للتربية هدفها الاساس هو تنشئة جيل واعٍ وعلى قدر كافي من العلم والمعرفة وكذلك تحقيق ميزة تنافسية بين مديريات العراق من خلال تحقيق نسب النجاح العالية فهنا يتم متابعة تنفيذ هذه الخطة من قبل قسم الرقابة والتدقيق الداخلي وتحديد المعوقات التي تحد من تنفيذها.
- القيام بالفحص والتدقيق الشامل لأنشطة المديرية والمتمثلة بنشاط الاقسام التابعة لها وهنا يتم الفحص وفقا للأهمية النسبية لنشاط القسم وكذلك ارتباط القسم بتحقيق هدف المديرية العامة وحيث تتدرج الاقسام من حيث اهميتها وتحقيقها للأهداف وكما يلي يتصدر الاقسام اهمية قسم الامتحانات ونشاطه هو ادارة العملية المتعلقة بتحقيق الامتحانات للطلبة وتوفير المستلزمات الضرورية لأداء الامتحانات ومتابعة تحقيق نسب النجاح وتحديد اسباب الاخفاقات ويتبعه قسم الحسابات حيث انه القسم المعني بإدارة الامور المالية وتوفير الاعتمادات المالية والاشراف على انفاقها ويتبعه قسم الاشراف الاختصاصي والتربوي وهو القسم الرقابي والتوجيهي للعملية التربوية وتتدرج باقي الاقسام الاخرى حسب اهميتها وهنا يبرز دور قسم الرقابة والتدقيق الداخلي من خلال دراسة خطة الاقسام ومعرفة نشاطها ومتابعة تنفيذ هذه الخطة بما يتوافق مع الانظمة والقوانين والتعليمات وتحديد الانحرافات ومعرفة اسبابها وتحديد الطرق لمعالجتها .

ب. الاهداف التقريرية : وتتضمن رفع تقارير آنية ودورية إلى المدير العام والوزارة وديوان المحافظة عن المخالفات المكتشفة وإعطاء التوصيات لحلها، وحيث ان التقرير هو الاداة والوسيلة المعبرة عن رأي التدقيق والرقابة ويعتبر الدليل العملي لأداء قسم الرقابة والتدقيق الداخلي لذا فان قسم الرقابة والتدقيق الداخلي في المديرية العامة معني برفع واعداد تقارير بأشكال مختلفة، وهي :

١. تقارير الأداء: وتركز على تقييم وتقويم اداء نشاط اقسام المديرية العامة .
٢. تقارير الاجابة ومتابعة ملاحظات الجهات الرقابية المتمثلة بديوان الرقابة المالية ومكتب المفتش العام.
٣. تقارير الاجابة ومتابعة البريد الوزاري .

٤. تقارير الرقابة على الحسابات الختامية .

٥. تقارير الاجابة عن بريد ديوان المحافظة .

ت. الاهداف الالتزامية : وتتضمن المتابعة المستمرة لأداء الاقسام وإجراء الزيارات التدقيقية الميدانية والجرد المفاجئ والحث على الالتزام بالقوانين والتعليمات النافذة ومواكبة التجديد والتحديث للقوانين والتعليمات.

(٢). تحديد المخاطر التي تواجه تحقيق الاهداف : حيث يواجه كل هدف تهديد أو مخاطر يعيق تحقيقه، وينجم عن تحديات في البيئة الداخلية أو من البيئة الخارجية، وغالباً ما تتغير المخاطر أو تنشأ مخاطر جديدة في ظل تغير الظروف والأحداث الداخلية والخارجية والأهداف.

وتتمثل هذه المخاطر التي تواجه الاهداف المصنفة اعلاه بـ

١) مخاطر الاهداف التشغيلية :

- كفاءة الموظفين والمستوى التعليمي لديهم والمهارة في العمل .
- كفاءة البرامج والخطط الخاصة بالتدقيق والسياسات المتبعة .
- الخبرة والعدد الكاف لإنجاز الاعمال.
- إعاقة العمل في الأقسام ومخاطر الاكتشاف المحتملة.
- كفاية الوقت وفق الخطط المرسومة .

٢) مخاطر الاهداف التقريرية :

- التوقيت الملائم لبيان نتائج الاعمال.
- استجابة الإدارة لنتائج التدقيق والرقابة .
- ملائمة التوصيات مع الحدث والموضوعية في الطرح.

٣) مخاطر الاهداف الالتزامية :

- التركيز على التدقيق المستندي .
- كفاءة الملاك وفعاليته وبرامج التدقيق .

- ضعف الدور الرقابي للإدارة العليا على أنشطة المديرية .

(٣). تحديد الانشطة الرقابية: تمثل السياسات والإجراءات التي تساعد الإدارة في التصدي للمخاطر ، وتشخيص نقاط الضعف، ومعالجتها لتحقيق أهدافها، وهذه الإجراءات تمكن الإدارة من بناء أهدافها التشغيلية ، وتم تصنيف الأنشطة الرقابية إلى خمسة أنشطة كالاتي:

- الفصل الملائم بين المهام.
- التصريح الملائم للمعاملات المالية والأنشطة.
- المستندات والسجلات الملائمة.
- الرقابة المادية على الأصول والسجلات.
- المراقبة المستقلة للأداء.

يمكن توظيف الأنشطة الخمسة للرقابة الداخلية على وفق الأنموذج المقترح للحد من المخاطر كأحد إجراءات الإدارة في مواجهة المخاطر التشغيلية والتقريرية والالتزام ، وكذلك إمكانية الاستفادة منه في وضع الأهداف الاستراتيجية وكما يلي :

المخاطر التشغيلية : نواجه نوع من المخاطر يتمثل بقلة الملاك والكادر المتخصص لقسم الرقابة والتدقيق الداخلي حيث ان الكادر المكون من ٢٥ موظف منهم ١٩ اختصاص محاسبة و ٦ من اختصاص اخر لا يفي بغرض التدقيق والرقابة الداخلية على نشاط اقسام المديرية ولمواجهة هذا النوع من المخاطر بنشاط رقابي مقترح هو ضرورة التوجه الاداري عن طريق التخطيط السليم لرفد قسم الرقابة والتدقيق بالكادر المتخصص والمهني .

الخطر التشغيلي الاخر هو تلكؤ القسم لأداء مهامه الرقابية على الانشطة للأقسام ويمكن مواجهة هذا النوع عن طريق دور الادارة في رسم السياسات والاجراءات التي توضح صلاحيات قسم الرقابة والتدقيق والهدف من ادائه الرقابي واهميته وكذلك الدعم الاداري لهذا القسم يساهم في تحقيق اهدافه.

اما الاخطار التقريرية فمنها ما يتعلق بالتوقيت الملائم لتقديم التقارير وما تتضمنه من توصيات لتقويم الاداء ويمكن درء هذه المخاطر من خلال تفعيل دور الادارة لأهمية التقارير الرقابية وضرورة توفير الالية الملائمة لاستثمار توصياتها من خلال الاجتماعات الدورية واللقاءات المتكررة بالقائمين على ادارة العمل الرقابي ومما يجعل التقرير يحقق مبتغاه .

وكذلك من الاخطار التقريرية خطر استقلالية قسم الرقابة والتدقيق الداخلي وتجاهل الادارة للتقارير الرقابية والذي يواجه بتفعيل استقلالية قسم الرقابة والتدقيق الداخلي بجعل ارتباطه بالجهات الادارية العليا من الناحية التنظيمية مما يضمن حيادية القرار والعمل الرقابي للقسم .

وقد تتضمن الاخطار التقريرية عدم مطابقة التقارير الرقابية للأحداث التي تم الرقابة عنها وقد تكون مضللة الى حد ما وهنا يجب مواجهة هكذا نوع من المخاطر عن طريق تكوين كادر مؤهل مهنيا للرقابة والتدقيق من الناحية الاكاديمية والعملية وتفعيل الاشراف على الكادر والمتابعة الدائمة للعمل الرقابي .

اما المخاطر الالتزامية فتتحدد بالتقييد بالتدقيق المستندي وغياب الخطط الرقابية ويواجه بتوجه الادارة العليا للأداء الرقابي وتوجيه قسم الرقابة والتدقيق الداخلي للتخطيط للعمل الرقابي وكذلك العمل على تطوير الكادر الرقابي وهنا قد نواجه عدم كفاءة الكادر وضعف البرامج الرقابية التي يتوجب التخطيط لتطويرها .

(٤). تحديد المعلومات والاتصالات :

تعد المعلومات والاتصالات من الوسائل الجوهرية الهامة لتحقيق اهداف الرقابة الداخلية ، ويمكن تقسيمها على نوعين :

١) المعلومات والاتصالات الداخلية :

تبادل المعلومات بين الإدارة والموظفين لتواصل مسؤولية الرقابة في جميع أنحاء المؤسسة وتوفير المعلومات في شكل إطار زمني يسمح للموظفين بالاطلاع على مسؤولياتهم، فهو يحيط بأنشطة رقابة نظم الاتصال والمعلومات التي تمكن المديرية من التقاط ومبادلة المعلومات التي تلزم بإجراء عملياتها وإدارتها وضبطها . ولتفعيل الدور الرقابي لوحدة الرقابة والتدقيق الداخلي فيما يتعلق بجانب المعلومات والاتصالات يجب ان

تتوافر مقومات نظم المعلومات والاتصالات داخل المديرية ومن خلال متابعة الادارة وفرضها اجراءات لتوفير نظم المعلومات والتي يمكن تحديدها بالاتي :

- تفعيل نظام المعلومات الخاص بقسم الرقابة والتدقيق الداخلي عن طريق وضع برنامج شبكة المعلومات الالكترونية والذي يضمن ايصال المعلومات الى الاطراف المستفيدة حيث يتمثل هذا البرامج بـ

_ ايصال المعلومات الاساسية لغرض الرقابة والتدقيق والتي تتمثل بالبريد الوزاري وبريد ديوان المحافظة وملاحظات وتحفظات ديوان الرقابة المالية وكذلك مكتب المفتش العام الى الموظفين التابعين لقسم الرقابة والتدقيق الداخلي وهنا دور القسم بإيصال تلك المعلومات يجب ان يراعي التوقيت المناسب والدقة ولأجل تحقيق ذلك يتطلب عمل شبكة اتصال الكترونية تربط من خلال موقع الكتروني موحد لفروع القسم يديره موظف ذو مهارة باستخدام الحاسبة وكذلك المهنية الرقابية تحت اشراف وتوجيه مدير القسم ومن خلال هذا البرنامج يتم ايصال التعليمات والتوجيهات الى الموظفين وكذلك عملية التغذية العكسية لعملية الرقابة وحل المعوقات التي تواجه الموظيفن بأداء مهامهم مما يكفل تحقيق اقصى غاية مرجوة من عملية الرقابة والتدقيق الداخلي وكذلك توحيد العمل الرقابي على مستوى شعب ووحدات القسم.

- توفير نظام للمعلومات متكامل يشمل كافة أقسام المديرية (الاشراف التربوي ، الاشراف الاختصاصي ، الموارد البشرية، الحسابات،...) من خلاله يتم تبادل المعلومات وتوصيلها إلى الإدارة العليا لتمكن الإدارة من وضع الأهداف التشغيلية والاستراتيجية وتحديد المخاطر والفرص واتخاذ القرار المناسب.
- تفعيل نظام المعلومات المحاسبية من خلال تجهيز التقارير المحاسبية التي توفر المعلومات اللازمة للمساءلة المالية والمساءلة الادارية والمساءلة عن الاداء وكذلك توفير معلومات لتقويم نتائج نشاط المديرية خلال السنة من خلال مقارنة النتائج الفعلية والمخططة في الموازنة المعتمدة وبيان الاداء المالي ونتائج العمليات .
- توفير شبكة اتصال للمعلومات بين الادارة والمستويات الادارية وبين المستويات الادارية نفسها .

- تفعيل دور الاعلام التربوي للمديرية وخاصة الجانب الالكتروني من خلال تطوير موقع المديرية الالكتروني والبريد الالكتروني لاستلام شكاوى المواطنين .

ويمكن توضيح الية ايصال المعلومات الداخلية لقسم الرقابة والتدقيق الداخلي من خلال برنامج شبكة المعلومات الالكترونية بالشكل (٣_١) الاتي :

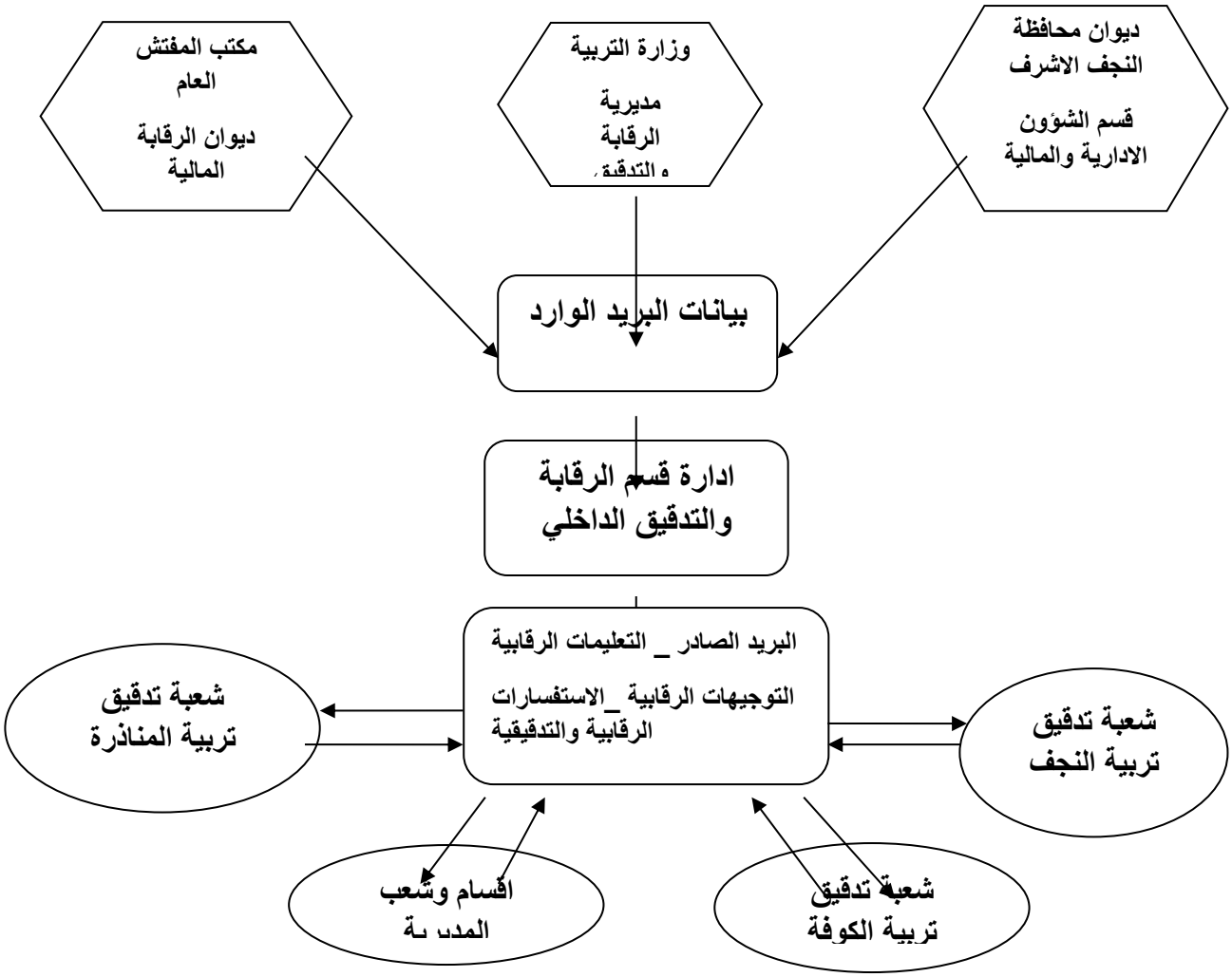

شكل (٣ _ ١) اعداد الباحث

٢) المعلومات والاتصالات الخارجية :

توصيل المعلومات من قبل الإدارة إلى الأطراف المستفيدة لإبلاغهم بالأهداف وسياسات وإجراءات الإدارة وأنشطتها الرقابية وهنا تتمثل الادارة بالهرم الاداري للمستوى الاول ويمثل الادارة العليا والمستوى الثاني ويمثل الادارة الوسطى والجدول (٣_٢) يوضح نوع المعلومات التي يتواصل من خلالها قسم التدقيق الداخلي مع الادارة العليا والجهات المستفيدة والالية المقترحة لإيصال المعلومات وفق المعايير الدولية :

جدول (٣_ ٢) المعلومات والاتصالات الخارجية والجهات المستفيدة

اهم المعلومات	الجهات المستفيدة	دور الادارة في ايصال المعلومات
القوائم المالية	• ديوان الرقابة المالية • مكتب المفتش العام • ديوان المحافظة • الوزارة	إصدار القوائم المالية والمصادق عليها من جهة رقابية مستقلة (ديوان الرقابة المالية الاتحادي).
تقرير الإدارة	• ديوان الرقابة المالية • مكتب المفتش العام	_إصدار تقرير الإدارة السنوي عن أداء المديرية والاقسام التابعة لها، ويرفق مع القوائم المالية لتوصيل المعلومات عن كفاءة وفاعلية الأقسام العاملة وتنفيذ الخطط ، وضرورة ان يتضمن تقرير الادارة الفقرات التالية : أ- نبذة مختصرة عن المديرية تتضمن (تاريخ تأسيسها ، طبيعة نشاطها ، القانون الذي يحكمها ، أهدافها الرئيسية والفرعية).

		ب- كشف بإعداد العاملين في المديرية المصدق والمنقح والفعلي موزعا حسب المستويات الإدارية والفنية. ج- النشاطات والتوسعات الجديدة التي حدثت خلال السنة والنشاطات والتوسعات في المستقبل القريب. د-مدى تحقيق المديرية لأهدافها الموصوفة في القانون الأساسي . هـ- مجموع الإيرادات النهائية المخمنة والمتحققة . و- نسب النمو والتطور ومدياتهما في نشاط المديرية للسنة الحالية قياسا بالسنوات السابقة . ز- بيان مقدار التخصيصات المنفذة والمصروفات النهائية للسنة المالية . اثر نشاط المديرية على حياة المجتمع والاقتصاد الوطني ومدى مساهمتها في توفير العمل وتحسين ظروفه وأساليبه وأي مساهمات أخرى .
تقارير الرقابة الخارجية	• مكتب الوزير • الادارة العليا • الادارة الوسطى (الاقسام بفروعها ،	_ هذه التقارير تعد من اهم التقارير الرقابية التي تصدر من جهة مستقلة وهي ديوان الرقابة المالية وهنا يتمثل دور الادارة العليا بتوفير المعلومات والتسهيلات المناسبة لعمل الديوان وكذلك توفير المستندات

	قسم الرقابة والتدقيق الداخلي)	والسجلات الخاضعة للرقابة والتدقيق من اجل تقييم وتقويم عمل المديرية . _ اما دور الادارة الوسطى المتمثلة بقسم الرقابة والتدقيق الداخلي الذي يمثل حلقة الوصل الرئيسية والمهمة لاداء عمل الجهات الرقابية الخارجية والذي يؤدي دورا مهما في ايصال البيانات ومناقشة المعلومات الرقابية بين الادارة العليا وباقي الاقسام التابعة للمديرية والجهات الرقابية الخارجية .

المصدر : (اعداد الباحث) .

(٥) المتابعة والتقويم :

وهنا تتم المتابعة بمستويين الاول من قبل مدير الرقابة والتدقيق على كادر الرقابة وتتحق من خلال عملية الرقابة المتمثلة بالتغذية العكسية وعملية التدقيق الموازي من خلال تدقيق سندات الصرف التي يتم تدقيقها من قبله وايضا من خلال برنامج متابعة مراحل التدقيق بشكل دوري وحسب خطة التدقيق وتتمثل في المديرية عينة البحث بتدقيق معاملات الصرف وكذلك تدقيق صرف الرواتب وايضا متابعة عملية الرقابة المتمثلة برقابة اداء الاقسام من خلال التقارير المقدمة من قبل الكادر والتي ترفع اليه لغرض التقييم والمتابعة وبهذا يتحقق المتابعة والتقييم المباشر اما المستوى الثاني فيتحقق من قبل الادارة العليا مع مدير الرقابة وهو متابعة وتقييم نظام الرقابة الداخلية المتبع في المديرية ويمكن اتباع التقييم الخارجي كدليل على اداء نظام الرقابة حيث انعكاس تقارير الرقابة الخارجية المتمثلة بتقرير ديوان الرقابة المالية وتقرير المفتش العام عن اداء المديرية يوضح نقاط القوة والضعف في نظام الرقابة المتبع في المديرية وعليه يتم التقويم والتعديل .

(٦) توفير الشفافية والمساءلة :

ويمكن توفيرها من خلال التقارير الدورية المشتركة بين ادارة قسم الرقابة الداخلية والادارة العليا والتي يتم رفعها الى الجهات المسؤولة عن المديرية المتمثلة بالوزارة وديوان المحافظة والتي تشخص المخاطر المكتشفة والتي تواجه المديرية والتي تتطلب حلولها لمعالجتها .

المبحث الرابع : الاستنتاجات والتوصيات:

اولا : الاستنتاجات:

من خلال دراسة موضوع البحث في الجانبين النظري والعملي، وما تم التوصل إليه من نتائج، استطاع الباحث الوصول إلى مجموعة من الاستنتاجات التي تساعد الجهات ذات العلاقة بالرجوع إليها والاستفادة منها، وتمثلت بالاتي:

١. لازالت المعايير المحلية للرقابة والتدقيق الداخلي غير متلائمة مع المعايير والمفاهيم الدولية الحديثة .

٢. عدم الاهتمام بتطوير اقسام الرقابة والتدقيق الداخلي من قبل متخذي القرار بالرغم من كونها تعد من اهم الاقسام في الوحدات الحكومية وبالأخص الخدمية منها .

٣. ان اقسام الرقابة والتدقيق الداخلي لازالت تعمل بنظام تنفيذ التعليمات واللوائح التي لا تواكب التطور في مجال الرقابة والتدقيق .

٤.عدم توجه ادارة المديرية عينة البحث الى اتخاذ الطرق المناسبة لتطوير قسم الرقابة والتدقيق الداخلي وجعله من الاقسام الحيوية والهامة لتحقيق اهداف المديرية .

٥. عدم استقلالية قسم الرقابة والتدقيق الداخلي من ناحية الارتباط الاداري يعد احد اسباب عدم فاعلية الاداء الرقابي للقسم .

٦. عدم رفد القسم بالكادر المهني من ذوي الشهادات العليا ومن ذوي الاختصاص والذي ينعكس على عملية تطوير القسم .

٧. لم يأخذ قسم الرقابة والتدقيق الداخلي دوره كأداة فاعله للتخطيط ولمتابعه تحقيق اهداف المديرية وذلك لضعف الاهتمام بهذا القسم وعدم تطويره .

ثانيا : التوصيات :

١. على الجهات واضعة القرار المتمثلة بمجلس مهنة مراقبة وتدقيق الحسابات ونقابة المحاسبين والمدققين وديوان الرقابة المالية اتخاذ الاجراءات المناسبة لإعادة اصدار معايير تدقيق داخلي محلية متوافقة مع المعايير والمفاهيم الدولية.

٢. على الجهات التنفيذية في الحكومة المتمثلة بالوزارات اعادة هيكلة الارتباط الاداري لأقسام الرقابة والتدقيق الداخلي لضمان استقلاليتها وتفعيل ادائها الرقابي .

٣. على الجهات التنفيذية في الحكومة المتمثلة بالوزارات الاهتمام بتطوير اقسام الرقابة والتدقيق الداخلي من خلال اعتماد مناهج المعايير الدولية للتدقيق الداخلي في اصدار التعليمات والتوجيهات الوزارية لهذه الاقسام .

٤. على ادارة المديرية العامة لتربية عينة البحث تطوير قسم الرقابة والتدقيق الداخلي من خلال اعتماد الدورات التي تعتمد منهج معايير التدقيق الدولية .

٥. اعتماد البرنامج التطويري المستند على المعايير الدولية المقترح من قبل الباحث لتطوير اقسام الرقابة والتدقيق الداخلي وذلك لتحقيق الاهداف الرقابية .

٦. خطوات تطوير قسم الرقابة والتدقيق الداخلي تبدأ من اعادة هيكلة الارتباط الوظيفي للقسم ووضع استقلالية مناسبة لارتباط القسم بجهة تعطي حرية لتطبيق الاداء الرقابي بعيدا عن الانحياز في العمل.

المراجع:

١. الالوسي ، حازم هاشم ، (الطريق الى علم المراجعة والتدقيق – المراجعة نظريا) ، ج/١، الجامعة المفتوحة –طرابلس/ ليبيا ، ٢٠٠٣ .

٢. رفعت ، فراس احسان ،(تقويم وتطوير نظام الرقابة الداخلية في مديرية زراعة نينوى) ، اطروحة مقدمة الى المعهد العربي للمحاسبين القانونيين فرع /نينوى ، العراق، ٢٠٠٧ .

٣. عبد الله ، خالد امين ، (التدقيق والرقابة في البنوك) ، ط/١، معهد الدراسات المصرفية ، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، ١٩٩٨.

٤. عبدالله ، فيحاء يعقوب ، التدقيق الداخلي ودوره في التحكم المؤسسي ،دراسة تطبيقية على المصارف العراقية الخاصة ، اطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الادارة والاقتصاد/ الجامعة المستنصرية – بغداد ٢٠٠٦

٥. الغزاوي ، زكي جبار كاظم ، دور قسم الرقابة والتدقيق الداخلي ومسؤوليتهُ في الحد من ظاهرة الفساد الإداري في الدوائر الحكومية (تحليل في أقسام الرقابة والتدقيق الداخلي لوزارة المالية والهيئة العامة للضرائب) ، المعهد العربي للمحاسبين القانونيين / بغداد ، ٢٠٠٨ .

٦. الغزاوي ، زكي جبار كاظم ، دور قسم الرقابة والتدقيق الداخلي ومسؤوليتهُ في الحد من ظاهرة الفساد الإداري في الدوائر الحكومية (تحليل في أقسام الرقابة والتدقيق الداخلي لوزارة المالية والهيئة العامة للضرائب) ، المعهد العربي للمحاسبين القانونيين / بغداد ، ٢٠٠٨ .

٧ . مجلس المعايير المحاسبية والرقابية في العراق ، دليل التدقيق رقم (٤) ، ٢٠٠٠.

ثانيا: التعليمات والمعايير:

١. مجلس المعايير المحاسبية والرقابية في العراق ، دليل التدقيق رقم (٤) ، ٢٠٠٠.

٢. مكتب المسائلة الحكومية للولايات المتحدة ، المراقب العام للولايات المتحدة (GAO)، معايير الرقابة الحكومية ، تموز /٢٠٠٧ .

ثالثا : المراجع الاجنبية :

- O. Ray Whittington & Kurt Pany, (Principles Of Auditing and Other Assurance Services), Thirteenth Edition , 2001.

رابعاً : الانترنت:

١. www.intosai.org . International Organization Of Supreme Audit Institutions , USA .

٢. (www.socpa.org.sa) Saudi Organization Of Certified Public Accountant, KSA.